٣

الخزانة التاريخية

البطريرك
اسطفان الدويهي

تاريخ الازمنة

نظر فيه وحققه

الاباتي بطرس فهد

تاريخ الازمنة

المكتبة الفاتيكانية

مخطوطة رقم ٢١٥

طبعة ثالثة مصححة

٣

الخزانة التاريخية

البطريرك
اسطفان الدويهي

تاريخ الازمنة

نظر فيها وحققها
الاباتي بطرس فهد

منشورات دار لحد خاطر ص . ب . ١٦٦٠٢٠ — بيروت ، لبنان

مقدمة

نشرنا في العام الماضي كتابين جليلين عن تواريخ الطائفة المارونية لعلامتنا الكبير البطريرك اسطفان الدويهي المعتبر بحق من أعاظم المؤرخين الشرقيين الذين كتبوا عن الموارنة وجيرانهم التواريخ المتمة الصادقة ، جمعها من شتات المستندات المبعثرة هنا وهناك وعلى هوامش الكتب القديمة وعلى حيطان الكنائس والاديار وفي الابنية الاثرية الباقية ، ومهدنا لنشر هذين السفرين بمقدمتين كبيرتين كاملتي الشروح والاستشهادات والاوصاف ، وذكرنا بعض الاعمال التي اتاها هذا المؤرخ الشهير في سبيل الاصلاح والنفع العام وتصنيف التواريخ والكتب المختلفة المواضيع .

ذلك ان المؤلف المثلث الرحمة كان ، قبل أن يُنتخب في قنوبين سنة ١٦٧٠ ، لاعتلاء الكرسي الانطاكي البطريركي الماروني خلفاً للبطريرك جرجس السبعلي ، كان يطوف في الابرشيات ويختار معاونين ذوي علم وتقوى ويتفحص الكتب والمخطوطات ويصلح ما اوقعه النساخ واصحاب الاغراض الملتوية من اخطاء متعمدة تشوّه الحقائق ، ويبحث جميع العادات العريقة ويرتّبها قدر الامكان ، مستنداً الى مراجع المؤرخين الصحيحة ومصنفات الآباء من شرقيين وغربيين .

فوضع من كل ذلك كتباً متعددة مفيدة سليمة ، كالمنائر الطقسية والفردوس الارضي والالحان البيعية والشرطونية وشروحاتها والقداس الالهي وتواريخ الطائفــة ، وردّ التهم والمحاماة عن عقيدة الموارنــة وغيرهــا . وكان علامّتنا يهتم على الأخص بنقل الحوادث التاريخية ويدقّق في ضبطها متمسكاً بأذيال الحقيقة والجهر بالحق مهما كلّفه الأمر ، وبهذا تظهر عظمته وحكمته ويبدو سمو عقله وعلو مقامه . ومن بين مصنفاته المشهورة تاريخ الازمنة الذي نحن بصدده الآن .

وقبل أن نقول كلمتنا في هذا التاريخ تمهيداً لنشره بنصه الأصلي دون ما تصحيح ولا تبديل ، نرى لزاماً علينا أن ننقل للقراء ما قاله المؤرخون والنقاد عن الطبعة المختصرة التي نشرهــا العالم الاب فرديناند توتل اليسوعي سنة ١٩٥٠ ، بعــد بذل جهد مشكور في هذا السبيل . قال المونسنيور مخايل الرجي في مجلة المشرق المحجوبة (صفحة ٧٧ وما بعدها) سنة ١٩٥٤ ما يلي :

« طالما عطش عشاق الآداب اللبنانية الى ظهور مؤلفات البطريرك اسطفان الدويهي ولاسيما كتابه « تاريخ الأزمنة[١] » . فنشر أقساماً منه مضافة الى سواها من كتبه المعلم رشيد الشرتوني ، فلم ترو غليل العلماء المدققين لما اعتور النص من حذف وبضع او تصليح او تحوير . وقد تكون ظروف زمانه هي التي لم تؤاته عملاً اكمــــل (تاريخ الطائفة المارونية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٨٩٠) . وقد انبرى حضرة الاب فرديناد توتل اليسوعي لابراز تاريخ الازمنــــة بطريقة علمية ، مستعيناً بنسخه المعروفة لديه وعددها ١٢ ، فأدى للعلم وللتاريخ خدمة يشكر عليها (تاريخ الازمنة سنة ١٠٩٥ م –

١) والظاهر انه لا يدعى تاريخ الازمنة ، بل المختصر ، كما سنرى ، وفقاً لــما سماه الدويهي نفسه في المقدمة .

١٦٩٩ م ، نشره عن اصوله للمرة الاولى الاب فردينان توتل اليسوعي ، المشرق السنة ٤٤ – سنة ١٩٥٠) . ولكن يعزّ علينا الا يكون الكتاب المنشور وقد تمّ طبعه على احسن وجه ، يضاهي نشره نصاً جماله طبعاً . ولسنا الآن في معرض نقده بالتفصيل . وانما نقتصر على الاشارة الى ان فيه عدة اغلاط طبع أو نقل كان من المفروض اصلاحها ، وارقاماً في الجداول لا تتفق مع الاصل ، وخصوصاً قراءات مغلوط فيها ، وهي المأخوذة عن النسخ المخطوطة بالحرف السرياني أي الكرشونية ، وخاصة المسودة . وقد اتخذ حضرته اساساً لطبعته نسخةً بالكرشونية دون ان يخفي صعوبة الأمر ... فما كان احرى به العدول والحالة هذه عن النسخة الكرشونية إلى سواها عربية ، وعلى الاقل ، عن هذه النسخة المنخورة المكتوبة سنة ١٧٩٧ ، ولديه من النسخ اقدم منها واقرب الى عهد المؤلف وخصوصاً الى شخصه . خطها حسن وسهل القراءة كما قال في النسختين الفاتيكانيتين رقم ٣٩٤ و ٦٨٣ . . . وعندنا ان كتاب تاريخ الازمنة لا يصحّ نشره الا عن النسخة الواتيكانية رقم ٢١٥ من القسم السرياني ، فهي بخط المؤلف نفسه وقد هذّب واصلح وزاد ونقص فيها وارسلها الى روما مع كتب أخرى ، على امل أن يطبعها مجمع نشر الايمان المقدس ، وهي على حالها قبل ان يتمكن من تبييضها ، وكان ذلك سنة ١٦٨٥ ، صحبة الخوري يعقوب عواد ، او سنة ١٦٩٥ صحبة المطران بطرس مخلوف ، والافتراض الاول ارجح . والبرهان على ذلك ما وُجد في محفوظات المجمع المذكور من ان مقرره عرض للسادة الكرادلة سنة ١٧٦٧ « أن بطرك انطاكية على الموارنة يرجو من هذا المجمع المقدس ان يطبع بعض كتب ارسلها اليه مع موفديه : وهي العهد الجديد والشرطونية وكتاب الطقوس وتاريخ الازمنة » (خزانة المجمع ، المراسلات ، رقم ٦٨ ورقة ٩٩) .

وبعد هـذا العرض نشر المونسنيور الرجي ثبت الخطاطين في القرن السادس عشر ، كما جاء في المسودة بعنوان : « النساخ بهذا الجيل » بينا نقله الاب توتل تحت عنوان : « النساك بهذا الجيل » عوضاً عن النساخ ، ذاكراً أنـــه وقع في هذا الغلط لأن للحرفين العربيين ك و خ مقابلا واحداً في الكرشونية هو . فيقرأ ك او خ بحسب المعنى والقرائن . . . »

ثم نشر الاب بولس مسعد سنة ١٩٥٧ ، في الاصول التاريخية[١] تحقيقاً انتقادياً مستفيضاً تناول طبعة الاب توتل المشار اليها ، مع ذكر المقابلات بـين النسختين المطبوعة والباقية خطا لتأييد كلامه ، ننقل منه ما يهمنا ذكره هنا توضيحاً للموضوع الذي يعود على القارىء بالفائدة المرجوّة ، لأن المقـــال طويل يتجاوز خمسين صفحـة من الاصول . قال رحمه الله ص ٥٦ ما نصه :

« اما كتب الدويهي التاريخية فهي سلسلة البطاركة الموارنة وتاريخ الازمنة والمختصر والاحتجاج ، وهي كلها تعـــدّ من اصول تاريخنا الوطني والديني . . . في سنة ١٩٥٠ نشر الاب فرديناند توتل اليسوعي ما اسماه « تاريخ الازمنة » (١٠٩٥ — ١٦٩٩م) في المطبعة الكاثوليكية لمناسبة مرور ٧٥ عاماً على تأسيس جامعة القديس يوسف في بيروت ». وقال مستطرداً : « لقد ابتهج الجميع لخبر هذا النشر . الذي سهّل اطلاع العامة على تاريخ الدويهي ولكنه افقد هذا التاريخ الكثير من المعلومات ، كما شوّه الكثير مما وضع بين يدي القراء فلفت ذلك انظار المعتنين بتاريخنا ، ولقد كنا شرعنا في السنة ١٩٥١ مع المأسوف عليه المونسنيور بولس قراعلي بنشر النص الاصلي لأبي تاريخنا مقروناً بترجمة فرنسية وشروحاً باسهاب في الحواشي ، ثم اختلفنا وقراعلي. فظهرت بالفعل اربع ملازم نشرت في المجلة البطريركية (سنة ١٣)

١) طالع المجلد الثالث ، ص ٥٦ — ١٤١ .

كجزء اول بقلم قراعلي والشيخ نسيب وهيبه الخازن (مطبعة لاباتري - مصر) وأرسلت منها نسخة لمكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت قبل أن ينشر الاب توتل كتابه . ولكن هنا توقف العمل في نشر التاريخ لتكليف جاء من روما الى الخوري قراعلي بنشر كتاب عن علاقة الفاتيكان بالبطريركيات الانطاكية من تاريخ مجمع فلورنسه إلى تاريخ تثبيت المجمع اللبناني الشهير (١٤٣٨-١٧٤١) وقد تمّ طبع المقدمة في ١٠٧ صفحات سنة ١٩٥٢ ، وهي السنة التي مات فيها المرحوم الخوري بولس قراعلي » .

وتابع الاب مسعد في صفحة ٥٧ يقول : « وقد لاحظنا كما لاحظ الخوري قراعلي والمونسنيور ميخايل الرجي وغيرنا من العاملين في هذا الحقل ، لاحظ الجميع ان ما نشره الأب توتل فيه خلط ما بين تاريخ الازمنة والمختصر[1] . . . وعليه فقد رأينا ونحن نعتني بجمع اصول تاريخنا ان نذهب الى روما للمرة الرابعة لنتثبّت من النصوص الاصلية في مصدرها ، وعزمنا ان نكمّل بعض النقص في نشرة الاب توتل الى ان تسنح لنا الفرصة لإعادة طبع تاريخ الدويهي بأكمله ... » .

وفي صفحة ٥٩ قال ما يلي : « اجل ان الاب توتل نقل في الهوامش بعض الاحداث عن مسودة بكركي المحفوظة ، كما قال لنا الزميل الشيخ نسيب ، ضمن علبة تحمل رقم ٤٧ مكرّر من مخطوطات مكتبة بكركي[2] انما نسخة الفاتيكان الكاملة من تاريخ الازمنة فهي

١) يعني بالمختصر التاريخ المنشور ، وبالازمنة التاريخ الذي ننشره نحن هنا .

٢) وهي مكتوبة بالكرشونية على ورق صكوكي قديم ومؤلفة من عدة كراريس متفاوتة الاحجام اغلبها بقياس ١٥ × ٢١ وقد تهرأت بعض اوراقها لكثرة الاستعمال واكل زاج حبرها بعض صفحات منها خاصة ٤٥ - ٥٤ ، وكانت خالية من الارقام فرقمها الخوري بولس قراعلي وبلغت ٢٠٥ صفحات وكتب على جلدها بخط المطران بطرس شبلي هذه الاشارة : « المسودّة بخط المؤلف » .

اوفى من المسودة . ثم ان الناشر نفسه اعترف في توطئة الكتاب المنشور بأنه قد التبس عليه امر قراءة الاحرف الكرشونية ، فاستعان بمخطوطة بكركي العربية التي نسخها الخوري بولس برهوش من قرية ساحل علما في ١٥ حزيران سنة ١٨٥٤ . كما انه اعترف ايضاً بأنه اعتمد في النشر على مخطوطة الفاتيكان الحاملة رقم ٦٨٣ من القسم العربي والمخطوطة الأخرى الحاملة الرقم ٣٩٤ من القسم السرياني في المكتبة نفسها . مع اننا نرى ان اهم النسخ الفاتيكانية هي النسخة الكرشونية الحاملة الرقم ٢١٥ (التي نحن آخذون بنشرها هنا) لأنها الاولى المنقولة عن المسودة المحفوظة في مكتبة بكركي . الا ان الناشر في مقدمته قد حذف هذه النسخة من حسابه لأنها بحالة سيئة تتعذر على العين قراءتها في مواضع كثيرة ، كما قال في التوطئة نفسها ص ه ... » .

بعد هذا العرض الذي رأيناه ضرورياً جم الفوائد ، تنويراً للاذهان وتصحيحاً للأوضاع وتأكيداً للحقائق ، نورد هنا ما كتبناه بهذا الخصوص في الصفحة الثانية من المجلد الاول الذي طبعناه لعلامتنا الدويهي ، وهو كتاب الشرح المختصر[1] في اصل الموارنة وثباتهم في الامانة وصيانتهم من كل بدعة وكهانة ، قلنا :

اما المجموعة الثانية من التاريخ التي وضعها العلامة الدويهي فهي المعروفة عند علماء الطائفة اليوم بتاريخ الازمنة « Annales » وهي كتابان او تصنيفان متمايزان في غالب الاحيان . الاول تصنيف مؤرخ بحسب سني الهجرة الاسلامية ، واحياناً المسيحية معاً ، وهو

---

١) لا علاقة البتة لهذا الكتاب « الشرح المختصر » بتاريخ الموارنة الذي نشره الاب توتل ، ويعرف بالتاريخ المختصر كما رأينا ، كما لا علاقة له ايضاً بتاريخ الازمنة الذي نحن آخذون بنشره هنا ، ولذا يلزم الانتباه للتمييز بين هذا وذاك وذلك .

يتعلق بالتاريخ المدني اذا صحّ التعبير والبيعي ايضاً بوجه عام . بدؤه من ظهور الاسلام في سنة ٦٢٢ للميلاد ، وانتهاؤه في سنة ١٦٩٩ للميلاد ايضاً ، اعني سنة ١١١١ للهجرة التي تبدأ في شهر حزيران ، ويقال له عند العامة تاريخ المسلمين[1] ، وهذا هو المخطوط الكرشوني الفاتيكاني الحامل الرقم الـ ٢١٥ من القسم السرياني .

والتصنيف الثاني من هذه المجموعة مؤرخ بحسب السنين المسيحية وهو يتضمن تاريخاً كنسياً ومدنياً في بعض الامكنة ، بدؤه سنة ١٠٩٥ مسيحية وانتهاؤه في سنة ١٦٩٩ للميلاد ، وهذا هو المخطوط الكرشوني المحفوظ في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم ٦٨٣ ، وقد نشره سنة ١٩٥٠ الاب توتل اليسوعي في بيروت بعد مقارنته اياه بعدة نسخ كما جاء في توطئة الكتاب ويدعى كتاب المختصر كما هو مذكور في المقدمة .

أما نحن وقد باشرنا منذ سنين طويلة درس المخطوطات ولاسيما مخطوطات علامتنا الدويهي وطبع جلها ليقف عليها المطالعون الراغبون في التنقيب واكتشاف مخبآت التاريخ ، فلا بد لنا تجاه ذلك من نشر الكتاب الاول من هذه السلسلة السالفة الذكر ، على ما يعتور سبيلنا من صعوبات وعراقيل . وبديهي ان الكتاب لم يطبع بعد على ما فيه من مستندات عريقة ووثائق أكيدة ومشاهد حقيقية مؤثرة وأمور كثيرة ما يزال يجهلها بعض المؤرخين وعامة الناس حتى الآن . وطالما سمعنا ورأينا اناساً كثُراً من الراغبين في الاطلاع والتفتيش يستعظمون هذا السفر الجليل ويودّون الوقوف عليه مطبوعاً دون ان ينهض احد لدرسه وطبعه وذلك لأسباب متعددة منها وجوده في حالة سيئة وصعوبة قراءته في عدة مواضع ،

---

١) كقول المعلم الشرتوني في كتابه المطبوع سنة ١٨٩٠ ، ص ٩٧ .

على ما قال الاب تونل نفسه في صفحه هـ من التوطئة لنشره التاريخ المختصر حيث قال :

« ان نسخة الفاتيكان رقم ٢١٥ بين أيدينا صورتها الفوتوغرافية وهي بالخط الكرشوني وبحالة سيئة تتعذر على العين قراءتها في مواضع كثيرة ، وفيها تشطيب وتصليح وتعليق ... اولها بدء الهجرة وآخرها سنة ١٦٨٦ مسيحية » .

وكان الاب تونل قبيل ذلك وهو يتكلم على اهمية المخطوط ، قد صرّح قائلاً (صفحة ج) : « هذا الكتاب جليل وحقيق بأن يعدّ من اصول تاريخ الشرق المعروضة لاهميتها للنشر في برنامج النهضة التاريخية الحديثة ، كما هو معروف في مجلة المشرق للسنة الاولى (صفحة ٣٦٢) وفي تاريخ الغرر الحسان الذي نشره العالمان اسد رستم وفؤاد افرام البستاني » .

اجل ان تاريخ الازمنة هذا الذي ننشر لا يتجاهل عاقل عظم الاهمية التي يعلقها عليه المؤرخون والعلماء ، فهم يعتبرونه كاحدى الركائز الصلدة في وضع التواريخ الشرقية الحديثة ، إذ يبدأ بالفتح الاسلامي سنة ٦٢٢ للميلاد وينتهي في مطلع القرن السابع عشر أي قبيل افول نجم البطريرك العظيم اسطفان الدويهي ، لأنه مات في عام ١٧٠٤ . بناء على كل ما تقدم وطدنا العزم على نشر هذا المخطوط الجليل الفائدة نقلاً عن النسخة الفاتيكانية رقم ٢١٥ وبالاستناد الى النسخ التالية التي اطلعنا عليها وهي :

اولاً : النسخة الاولى تحمل الرقم الـ ٣٩٤ من القسم السرياني وهي محفوظة في المكتبة الفاتيكانية بالخط الكرشوني ومكتوبة على ورق عبادي سميك ، لا توقيع فيها لناسخ ولا تاريخ ليوم او سنة

نسخها ، تبدأ بعد المقدمة بسرد حوادث سنة ١٠٩٥ مسيحية وتنتهي بتدوين احداث سنة ١٦٩٩ م ، خطها جميل وقراءتها سهلة ، يمكن الرجوع اليها عند الاقتضاء في مقارنة التواريخ والاحداث المدونة فيها واكتشاف العبارات المطموسة في سائر المخطوطات ، عدد ورقاتها ١٣٩ ورقة جاء في آخرها ما حرفيته :

« هذا الكتاب باسم الخوري ميخايل الدويهي وهو من مصنفات المرحوم البطريرك اسطفان » ومعلوم ان الخوري ميخايل الدويهي انما هو ابن شقيق البطريرك الدويهي كما اثبت الاب مسعد ، حيث ذكر الفروقات التي وردت في هذه النسخة وفي الطبعة التي نشرها الاب توتل اليسوعي في صفحة ٦٣ من الاصول التاريخية السالفة الذكر .

ثانياً : النسخة الفاتيكانية التي تحمل الرقم ٦٨٣ من القسم العربي كانت ملكاً للعلامة يوسف شمعون السمعاني لأنه كتب بيده بالكرشونية على الصفحة الاولى منها ما نصه : « هذا الكتاب هو للخوري يوسف السمعاني » وباللاتينية على الصفحة نفسها ما مؤداه : « من كتب الخوري يوسف سمعان السمعاني الحصروني الماروني تقدمة من سيادة المطران سمعان عواد الحصروني رئيس اساقفة دمشق الكلي الاحترام صحبة الاب بولس اسرائيل الراهب الماروني المنتمي الى رهبنة القديس انطونيوس الكبير الذي شخص الى دير الرهبان في رومية في اليوم ١٨ من شهر كانون الاول سنة ١٧١٥ م » . عدد اوراق هذه النسخة ١٢٠ ورقة من الصنف العادي وهي مجلدة على ورق غزال وبحالة جيدة ومكتوبة على عمودين .

جاء في آخر صفحاتها ما حرفيته : « في سنة اعي (أي سنة ١٧١٠) مسيحية كملت هذه التواريخ على يد الشدياق يوسف بن

حبقوق من قرية بشوعله (بشعله) المحروسة في تسعة ايام مضت من شهر نيسان المبارك ، وكان ذلك بأيام سيدنا المفضال ورئيس الرؤساء المتعال البطريرك يعقوب عواد الحصروني ، الرب يزيد عمره امين ».
وجاء بعد ذلك بخط آخر ما يلي : « وجه تحريره هو اني انا القس سمعان عواد الحصروني قد وهبت هذا التاريخ المبارك إلى ابن عمي القس يوسف شمعون الملفان المكرم . وقـــد كتبنا له ذلك لأجل البيان ومنازعة كل انسان ، تحريراً في ايلول سنة اتشيا رباني (اي عام ١٧١١ م) صح صح » . ويلي ذلك ختم المكتبة الفاتيكانية ثم نقرأ بالعربية : « الحقير شمعون الحصروني رئيس اساقفة دمشق ، وختمه . ثم هذه العبارة : « وكان ذلك في رئاسة قدس قداسة سيدنا وعمنا البطريرك مار يعقوب المحترم وفي السنة ونصف من رياستنا صح » .

ونقرأ باللاتينية على الصفحة الثانية من المخطوط وصفه بقلم العلامة السمعاني نفسه ، وفي الورقة الثانية هذه العبارة المكتوبة بالقلم العربي : « هذا الكتاب المبارك هو برسم القس يوسف شمعون الملفان المكرم وقد أوهبه اياه ابن عمه القس سمعان عواد ، وكان ذلك سنة الف وسبعماية واحد عشر ربانية . ثم باللغتين اللاتينية والكرشونية يقرّر الكاتب ان الكتاب انما هو ملك السمعاني ».

ويتناول هذا المخطوط سرد الاخبار والحوادث من سنة ١٠٩٥م إلى سنة ١٦٩٩ كالنسخة الاولى ، وخطها جميل ايضاً واضح وقراءتها سهلة . وقد بسط الاب مسعد الفروقات بين الكتاب المنشور وسائر المخطوطات ، في صفحة ٦١ فصاعداً من الاصول التاريخية ، فنحيل القارىء اليها .

ثالثاً : نسخة ثالثة في خزانة مكتبتنا الخطية برومية تحت رقم ٧٥ كانت مفقودة فعثرنا عليها حديثاً . وهي مكتوبة بالخط الكرشوني

البيمي الخالي من كل تشطيب وكشط واعوجاج في الكتابة ، تجلوها العين بسهولة أولاً لجمال الخط وتناسق حروفه وسواد الحبر ، وثانياً لتسطير ارقام السنين بالاعداد العربية المعروفة بالهندية مما لا يدع مجالاً للحيرة والتفتيش عن فك الاحرف الابجدية ، وثالثاً لكون الاخبار آخذاً بعضها برقاب بعض تنسيقاً وتدويناً دون عودة عن السطر أو توقف عند نهاية الخبر ، ولكن استعمال الحبر الاحمر هو الدليل على الانتهاء من تدوين الخبر والابتداء بخبر جديد .

وهذا المخطوط المحفوظ بحالة جيدة غير مرقومة صفحاته ، ولكني وضعت لها ارقاماً جديدة لمعرفة عددها فهي ٢٦٤ صفحة ، وكل صفحة مكتوب عليها ٢٤ سطراً محشواً حشواً ، تنتهي الصفحة الاخيرة بهذه العبارة الدالة على اسم المالك وتاريخ نسخها وهذا نصها حرفياً : « صح انا متى شهوان قد قرأت هذا التاريخ ووجدت فيه غلطاً ليس بقليل قد جرى من الناسخ الذي نسخه على دصروقي في سنة ١٨٥٣ م صح » .

وقد قابلنا تواريخ النسخة التي نشرها الاب توتل بتواريخ النسخة الحديثة التي وجدناها فظهر ان هذه المخطوطة الاخيرة انما هي أكمل واضبط من سائر النسخ التي اعتمدها الاب توتل في طبعه كتاب المختصر ، بل احسن لفظاً ومعنى ، نورد مثلاً على ذلك ما سطرناه في الحاشية رقم ٤٨ التي نشرناها في آخر هذا الكتاب ، ونزيد قائلين: « انك تقرأ في مطلع النسخة الحديثة فعل « استصوب » ورد صحيحاً فيها بينما تقرأه مغلوطاً فيه هكذا في النسخة المنشورة : « اسطصوب » بالطاء . وكذلك فعل « بيع » المجهول الصيغة ، كتب صحيحاً في نسختنا هذه بينما في الكتاب المطبوع مكتوب بصيغة الفعل المزيد همزة في اوله اي « ابيع ». وعلاوة على ذلك نجد في الكتاب الذي

نشره الاب توتل مقاطع كثيرة ساقطة في الطبع او مفقودة بينما نراها محفوظة في النسخة التي عثرنا عليها وغير ذلك امور كثيرة وفروقات عدة تفصل بين النسختين .

والجدير بالذكر ان هذه النسخة الحديثة يدعوها مؤلفها العلامة الدويهي « بالمختصر » تمييزاً لها عن تاريخ الازمنة الذي عمدنا الى نشره هنا لكبر أهميته وعظيم فوائده . وهذا الاسم « المختصر » وارد في مقدمة الكتاب في مطلع الصفحة الثالثة منه حيث تقرأ : « واما نحن بهذا المختصر نقتدي بتاريخ السيد المسيح كونه مواسطة بين تاريخ آدم واسكندر الكبير اللذان تقدماه ، وبين تاريخ الشهداء والهاجرة اللذان تخلفا بعده ... » وورد أيضاً هذا الاسم في عنوان الكتاب نفسه حيث يبتدي بالبسملة وبعدها مباشرة بالعبارة المكتوبة بالحبر الاحمر وهي : « نبتدي بعونه تعالى وحسن توفيقه بنسخ مختصر التواريخ المرتبة من سعيد الذكر البطريرك اسطفانوس الدويهي الهدناني ، وذلك نقلاً عن النسخة المحررة بخطه بالكرشوني صح صح » . ولكتاب المختصر هذا قيمة كبيرة لأنه منقول مباشرة كما رأينا عن النسخة الاصلية التي اطلع عليها المؤلف نفسه وهو اكمل واوضح كما بيّنا اعلاه .

رابعاً ، النسخة الاخيرة التي بين ايدينا تحمل الرقم الـ ٢١٥ من القسم السرياني وهي مجلدة برق غزال ومكتوبة بالخط الكرشوني ، ولا مقدمة لها بل تبدأ الصفحة الاولى منها بما يلي : « قال أبو جعفر ... » وهذا اول الكتاب . وفي هذه النسخة تشطيب وتصحيح وتعليق وحذف وزيادات على الهوامش وفي المتن ، مما يدل على ان يد المؤلف قد اعملت في النسخة اليراع مراراً وتكراراً ، طلباً للصواب ورغبةً في الوصول الى الحقيقة الناصعة ، كما نرى فيها احياناً

كتابات غير مقروءة بل يتعذر على العين قراءة حروفها لكون زاج الحبر طمس معالم الكلمة أو نخر السوس في بعض كلماتها .

فهذه النسخة الكبيرة الاهمية التي لم تنشر بعد ، عقدنا العزم كما قلنا على نشرها محاولين بفضل المقارنات والمطالعات في النسخ المذكورة الوقوف على ما غمض منها وقد تمكنّا بعونه تعالى بفضل المجالدة الطويلة وقضاء الساعات في استقراء الحروف ومقابلتها بغيرها مستعينين احياناً بالكتاب المطبوع والمؤلفين القدامى كما سنرى .

واليك الآن ايها القارىء الكريم علاوةً على ما ذكرناه وصفاً دقيقاً لهذه المخطوطة الفاتيكانية رقم ٢١٥ مع بعض الملاحظات في هـــذا الشأن امعاناً في ادراك الحقيقة :

اولاً : ان مخطوطة « تاريخ الازمنة » المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم ٢١٥ من القسم السرياني تبتدىء بسرد الحوادث والاخبار المختلفة منذ الفتح الاسلامي سنة ٦٢٢ للميلاد حتى سنـــة ١٦٩٩ ، متناولةً الديار المصرية ، على حد تعبير المؤلف ، والبلاد الفلسطينية والسورية والفراتية وجبل لبنان وبلاد الترك والعجم والفرس وما إلى ذلك من البلدان الاخرى كما سيأتي ذكرها . ومخطوطتنا هذه مرقمة بالورقات دون الصفحات ، من القطع الكبير المملوء ، وطولها ٣٤ بعرض ٢٤ سنتيمتراً ، محررة كلها بالخط الكرشوني وفيها على الهامش وفي خلال الاسطر أحياناً بعض الكتابات والارقام باللاتينية ، ولا تاريخ لها في مطلعها ولا في ذيلها بسبب نقص لحق بها في الصفحات القليلة الاخيرة ، وليس عليهـــا اسم المؤلف ولا الناسخ ولا القارىء شأن كثير من المخطوطات التي تحمل اسماءً او القاباً ذرية ينسبها الناسخ او المؤلف الى نفسه كصفـــة الحقارة والمسكنة وارتكاب الزلات والجهل طالباً ممن يقرأ نعمة الغفران والمسامحة وما أشبه .

وليس على نسختنا هذه اسم واضعها البطريرك الدويهي ، انما العلامة يوسف السمعاني قال انها له بعد اجراء المقارنة بينها وبين سائر النسخ المحفوظة حتى الآن . والخط الذي استعمله الدويهي والمرقوم على الهوامش يؤكد ذلك دون ما ريب البتة . وعلاوة على ذلك نكرر القول ان نسخة بكركي هي المسودة ونسختنا هذه هي الاولى بين النسخ المنقولة عنها كما مرّ بنا

ثانياً : على ان هذه المخطوطة ناقصة في آخرها بضع ورقات لأنها تصل في سرد اخبارها وحوادثها الى عام ١٦٨٧ مسيحية فقط ، بينما المخطوطات الثلاث الاخرى تنتهي في سنة ١٦٩٩ . والكلام في هذه الفترة الوجيزة يدور كما نتحقق من مضمون النسخ الباقية والكتاب المنشور ، حول هزيمة الاتراك في حربهم مع المجر ، وتحريك الفتن بين امراء لبنان ، وارهاق الناس بالضرائب ، وحول وفاة آخر الامراء المعنيين واستشهاد الشيخ يوسف البشملاني واستنجاد باشا طرابلس بالامير بشير الشهابي لتهدئة الخواطر وتأديب العصاة . ومعلوم ان اخبار هذه المشاهد المذكورة لا يستلزم سردها اكثر من خمس ورقات وفقاً للخطة التي انتهجها علامتنا الدويهي في وضع تاريخه هذا المشهور وكما يبين من سائر النسخ المحفوظة .

كما ان هذا المخطوط ناقص في اوله عند الورقة الثالثة منه سبع ورقات ، وهي متروكة بياضاً ضمن المخطوط دون أن يسجل عليها الناسخ شيئاً البتة . بعدها يواصل الكاتب سرد الاخبار والاحداث التي جرت في السنة الثلاثمائة للهجرة (اي سنة ٩١٣ م) ، وقد عيّنها المؤلف نفسه هكذا بالرقم اللاتيني على الهامش حسب عادته كما ألمحنا إلى ذلك قبلاً .

وحتى لا تبقى هذه الفترة من الزمن شاغرة من تدوين اخبارها واحداثها ، اعتمدنا تاريخ العلامــة والمؤرخ غريغوريوس ابن العبري الذي كان من جمـــلة المؤرخين المشهورين الذين استند اليهم علامتنا الدويهي في وضع تاريخه هذا . ولا عجب من ذلك فان كل من يطالع هذه المعلومات التاريخية الوجيزة في هـذا الكتاب سيكون مرتاحاً اليها ومكتفياً بهـا ، وتبقى المواضيع المشروحة مستحكمة الحلقات جامعة الروابط بين مختلف اجزاء التاريخ .

ثالثاً : ان الورق الذي سطر الناسخ عليه هذا السفر الجليل انما هو من النوع الجيد لكن حبره سيء بسبب ما أضيف اليه من مواد كيماوية فعطّل الورق وطمس الحروف واكل بعضها وجعلها غير مقروءة في بعض الاحيان حتى صعب على العين تمييزهـا وقراءتها . اما النسخة التي عثرنا عليها في ديرنا بروما فهي اجلى واوضح واحسن خطاً وترتيباً ، انما هي مختصرة كما قلنا اعلاه ، وكذلك النسخة التي طبعهـا الاب توتل اليسوعي فهي أحسن حالاً من نسختنا الآخذين بطبعها ، وخطها جميل ظاهر وقراءتها سهـلة لكنها كما لا يخفى لا تتناول حوادث الشرق وأخباره من الفتح العربي الاسلامي سنة ٦٢٢ نظير مخطوطتنا رقم ٢١٥ الفاتيكانية بل منذ قدوم الصليبيين الفرنج سنة ١٠٩٥ إلى الشرق ، ولذلك لم نعتمدها كأصل في نشر تاريخ الازمنة بل كمرجع فقط نستعين به وقت الحاجة القصوى لاكتشاف ما غمض فهمه وامحى آثره . ويا حبذا لو كان الاب توتل اطلع على النسخة المحفوظة في ديرنا بروما لكان وفّر عليه تعباً جزيلاً وجاءت طبعته وافيةً كاملة .

رابعاً : ان تاريخ الازمنة الذي قام الدويهي بوضعه بعد ما قضى عـــدة سنين في البحث والتنقيب والمطالعات ، يجب اعتباره دائرة

معارف واسعة الاطلاع عميقة الغور تجمع بين دفتيها مختصراً متسقاً لاخبار واعتبارات وحوادث جرت في الشرق على مدى أحد عشر قرناً متواصلاً ، ابتداءً من سنة ٦٢٢ للميلاد حتى سنة ١٧٠٠ تقريباً ، وهذا ليس بالشيء اليسير طبعاً ، وكما جاء في المقدمة (ص يا) : « ليس الغرض من هذا التاريخ البنيان التاريخي عن التصميم الظاهرة فيه الوقائع مع علاقاتها بالزمان والمكان وبالنسبة الى الشخصيات البارزة فيها حكاية لذيذة وعبرة قريبة المنال بل هو الالمام بأهم ما يتوجّب على الاديب الشرقي معرفته من حيـــاة جدوده السياسية والاجتماعية والدينية ، ولست ادري هل ظهر قبل الدويهي من وضع كتاباً مختصراً شاملاً كاملاً مثل كتابه هذا ؟! » .

خامساً : اما لغة هذا المخطوط (رقم ٢١٥) التي تداولها علامتنا الدويهي فهي ركيكة احياناً مسايرةً للعصر الذي يكتب فيـــه ، وفصحى احياناً اخرى لاتخاذه القصة المروية عن مصدرهــا الاصلي المعلوم دون اعمال التغيير والتصحيح في كلام قائلها . فكان الدويهي اذا عرّب تاريخ غليلموس الصوري اللاتيني أو غـيره من المؤرخين القدامى برزت في ترجمته العربية الركاكة في الالفاظ والعبارات وسوء انتقـاد الكلمات وتبيّن الاصل اللاتيني او الفرنجي ، واذا استشهد بابن الحريري او بابن العبري او سباط او الاثير او الفداء او بغيرهم من المؤرخين العرب أتت لغته بليغةً محكّمة التركيب ، دقيقة التعبير ، جميلة الاسلوب ، لكونها منقولة عن هؤلاء المؤرخين المشهورين . على انه اذا تكلم على تواريخ المماليك والاتراك ومن انتسب اليهم اخـذ من كتبهم الاصطلاحات الأعجمية في ذكر الوظائف والالقاب وتعداد الاسماء المختصة بهم وآلات الحرب وكل المتعلقات بحروبهم . وامـا اذا عمد الى تدوين اخبار بلاده العزيزة ولاسيا المقاطعة الشمالية الحبيبة

الى قلبه فهو يستعمل الكلمات المتداولة في ذلك العصر وتلك الجهات اللبنانية وسائر معاملاته المتباينة علماً وعمراناً وتمسكاً بأهداب الدين .

واننا نجد في صفحات هذا التاريخ أغلاطاً كثيرة تتعلق بقواعد الصرف والنحو والاملاء وبطريقة وضع التنوين واستعمال المنصوبات والمرفوعات والتذكير والتأنيث والتنقيط مما لا يقتضي لمعرفة كل ذلك اجهاد فكر وامعان عميق . وقد تركنا كل شيء على حاله ، شأننا في كل ما نشرناه من مخطوطات ، مـا عدا اوضاع الهمزة والشدّة والمدة والعناوين والنقط فوق بعض الحروف وما الى ذلك من الامور السهلة الادراك كما نبّهنا . واذا رأينا اسباباً ملحة لوضع تفسير او شرح او زيادة او ملاحظة عمدنا عندئذ إلى وضع ذلك بين معكوفين تمييزاً للكلام الذي نزيده عن كلام المؤلف ، وفقـاً للتقاليد المرعية الاجراء عند الباحثين ، أو جعلنا ذلك في حاشية منفصلة عن الكتاب في آخر الصفحة أو في آخر الكتاب اذا كانت الحاشية تستدعي كلاماً مستفيضاً كما سترى .

سادساً : وقبل الاقدام على النشر والوصول إلى هذه النتيجة ، اخذنا النسخ المختلفة التي ذكرنا ودرسناها وبعد الوقوف على مميزاتها ، قسمناها الى فرعين متقابلين حسب تصنيفها : فرع يتناول اخبـار الحوادث منذ بدء الهجرة الى سنـة ١٦٩٩ للميلاد ، وآخر يتناولها منذ قدوم الصليبيين إلى الشرق حتى ايام المؤلف الأخيرة تقريباً . وبعد اجراء المقارنة بين النصين تبيّن لنا ان النسخ بفرعيها لا يختلف بعضها عن بعض كثيراً الاّ في مواضع معلومة بـل يطابق بعضها بعضاً تطابقاً حرفياً في امور كثيرة . وهذه ملاحظة نراها جديرة بكل انتباه وتقدير ، لأن كثيرين ممن كتبوا في هذا الموضوع قالوا ان النصين يتمايزان تماماً ، حتى انهم دعوا نصاً بتاريخ الاسلام وآخر

بتاريخ المسيحيين ، مما لا ينطبق تماماً على الحقيقة التي اراد الدويهي نشرها ، ومن اجرى المقارنة بين النصين اي بين المختصر المطبوع وتاريخ الازمنة الذي نحن جادون الآن بطبعه يتحقق تماماً صدق كلامنا دون أدنى صعوبة .

سابعاً : اما المصادر التي تناولها علامتنا الدويهي ابتغاء الوصول الى معلوماته الصادقة في وضع مؤلفه التاريخي الجليل فهي كثيرة ومتباينة وقد عدّدناها في الصفحة الثانية من كتاب الشرح المختصر للعلامة الدويهي الذي طبعناه في العام الماضي ، نقلاً عن ترجمته التي وضعها له المثلث الرحمة المطران بطرس شبلي (ص ٢٠٧) ، وسيادته نقلهـــا بالتفصيل عن المسودة المحفوظة في خزائن بكركي الخطية ، وتشتمل هذه المسودة على عدة كراريس واوراق متفرقة ومتفاوتة الحجم والطول والعرض تشغل اكثر من ثلاثمائة صفحة ، ونشرها ايضاً الاب توتل في كتابه المطبوع (ص ٤٩) على الوجه التالي :

« الكتاب الثاني الذي يتكلم عن إمــارة الغرب التنوخي الذي بدؤه سنة تسعماية وسبعة وعشرين للهجرة الى سنــة تسعماية واثنتين وعشرين (اي ١١٣٢ الى سنة ١٥١٦ م) فيحتوي والحالة هذه ولاية اربعمائة سنة من ملوك دمشق ومصر والترك وامارة الغرب التنوخي . وكتاب دوحة الازهار الاسحاقية يبتدي من بدي المهاجرة الى سنة واحد وثلاثين والف للهجرة . تاريخ قطب الدين اليونيني اربعـــة مجلدات ... تاريخ مرآة الزمان مبسوطة بنحو ثلاثين مجلداً كبيراً . تاريخ المختصر في اخبار البشر لابن ايوب . تاريخ القاضي شمس الدين خليقان . عيون التواريخ للشيخ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي . تاريخ المسعودي . تاريخ الكاتب جرجس بن العميد النصراني . تاريخ حمزة ابن سباط وابن الحريري . تواريخ غليلموس مطران صور

اللاتيني من دخول الفرنج الى بلاد الشام . . . تواريخ لوريدان عن ملوك قبرس الخ » .

ثامناً : إحاطةً بموضوع هذا التاريخ الهام من كل جوانبه ، ننقل الى القراء الكرام ختاماً لكلمتنا في هذه التوطئة ، بعض ما ذكره العلامة الدويهي في تاريخه المختصر الذي عثرنا عليه في مكتبتنا الديرية بروما عن غرضه في تأليف هذا التاريخ ، قال بعد الحدلة في مقدمة الكتاب ما حرفيته :

« لما خرجنا سنة ١٦٦٨م إلى افتقاد الرعايا الذين أوتمنا على زيارتهم لئلا نهدر باطلاً الزمان الذي يفضل عن الارتشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخصّ هذه البلدان المقيمين بها من الكتب التي نقف عليها وقصدنا الابتداء منذ بدي الهجرة لكون الاب الطاهر يوحنا مارون تملك الكرسي الانطاكي في سنة ٦٨٥ لربنا ، فاعتمدنا وجمعنا اخباراً شتّى من تواريخ اصحاب ذلك العصر . ولكن حين تأملنا غالب الاخبار تنسب الى الامم الغريبة والتي تخصّ هذه البلدان زهيدة وغير مرتبة على توقيع السنين ، فاقتصرنا عن ذكرها وجعلنا مبتدا هذا التاريخ من سنة ١١٠٠ للتجسد الالهي لكون بالقرب من دخولها كان استيلاء الفرنج على سواحل هذه البلدان ... » .

هذه معلوماتنا عن هذه المخطوطة الفاتيكانية ذي الرقم الـ ٢١٥ من القسم السرياني ذكرناها هنا اسهاماً في تبيـان الحقائق التاريخية وتسهيلاً للطالع في ادراكها دون تعقيد وغموض .

الأباتي بطرس فهد

الفصل الاول

نشأة الاسلام وظهور الدعوة

١ – ظهور الدعوة ٢ – مقاومة قريش ٣ – الهجرة ٤ – غزوة بدر ٥ – كسرى ٦ – هرقل ٧ – حروب هرقل ٨ – كسرة اليهود ٩ – زحف هرقل ١٠ – بنو النضير ١١ – انتصارات هرقل ١٢ – سحق الفرس ١٣ – مصرع كسرى ١٤ – غزوة بني قريظه ١٥ – الطاعون في بلاد فارس ١٦ – عودة هرقل ظافراً ١٧ – آخر ملوك فارس ١٨ – هرقل في اورشليم ١٩ – المونوطيلية ٢٠ – وفاة نبي الاسلام ٢١ – مبايعة ابي بكر الصديق ٢٢ – الردة ٢٣ – جمع القرآن الخ ...

١ – ظهور الدعوة : قال ابو جعفر بن جرير الطبري (١)، ان اول من اظهر دين الاسلام وقام بأمره ابو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . فولد هذا ببطحاء مكه

١) طالع الحاشية رقم ١ في آخر هذا التاريخ .

في اثنين وثمان ماية[1] للاسكندر ذي القرنين . فتوفي والده قبل مولده بشهرين . وتوفت (توفيت) والدته وعمره ست سنين . وكفله عمه ابو طالب الى ان بلغ ثمان سنين . ولما تكامل له اربعون سنة، دعى في شهر ربيع الاول سنة تسعماية واثنين وعشرين للاسكندر، وتبعه الى الاسلام سراً تسعة انفس .

وفي سنة اربعة واربعين من عمره ، أظهر الدعوة رفض عبادة الاصنام وامر بالايمان بالله وحده صمد ، لا يولد ولا يلد ، وامر بالختان، وان لا يؤكل الدم ولا المايتة ولا لحم الخنزير ، على موجب سنّة التوراة . وفرض على امته صوم شهر رمضان والصلوات الخمس والزكاة والحجج (والحج) الى الحرم . وأمرهم بتصديق الانبياء والرسل وما انزله الله عليهم . وان المسيح روح الله وكلمته ورسوله على رأي اريوس[2]، وصدق الانجيل والتوراة .

٢ً — **مقاومة قريش** : واما قريش وتباعه (واتباعهم) اللذين كانوا متقلدين الدرجات الاوله (الاولى) في مدينة مكّه ومتمسكين بعبادة الاصنام ما وافقوه على ذلك ، بل نصبوا له العداوة وكتبوا صحيفةً وعلقوها في الكعبة ان بنو (بني) هاشم لا يعاملوا بني المطلب ولا يخالطوهم .

٣ً — **الهجرة** : ولما كان له من العمر اربعة وخمسين (اربع وخمسون) سنة ، هاجر الى الى المدينة في شهر ربيع الاول وابتنى له فيها مسجداً ومساكن . وكانت تلك السنة بدو (بدء) سنين

١) والصواب ان نقرأ : « اثنتين وثمانين وثمانماية » كما اجمع المؤرخون ، طالع ابن العبري في كتابه مختصر تاريخ الدول الذي نشره الاب الصالحاني في بيروت . (ص١٦٠).
٢) طالع حاشية ٢° في آخر هذا الكتاب .

(سني) الهجرة ، وهي سنة ستماية واثنتين وعشرين للسيد المسيح ، وتسعماية و[1].

فأتاه العرب من النصارى واليهود والمجوس والصابه (الصابئة كما سنرى) وغيرهم[2] بايعوا له واخذوا منــه الامان ، على ان يؤدوا الجزية والخراج . والذين امتنعوا عن ذلك قاتلهم وحاربهم[3] .

٤ً - **غزوة بدر** : وفي السنة الثانية للهجرة (٦٢٣ م) كانت غزوة بدر الاولى . [وغزوة بدر الكبرى قتل فيهـــا] سناديد (صناديد) قريش .

٥ً- **كسرى** : وفيها [ضيّق كسرى على النصارى] واثقــل الخراج على النصارى... فهدم كنائسهم [بالشام والجزيرة وحمل ما وجد فيها] من الذهب [والفضة حتى الرخام] وذلك ان الملـك [كان مزوجاً من بنت موريق ملك الروم[4] ومحبـــاً للنصارى الرومانيين] لاجل حبها... فجاءه ولد منها وتعمّد ولده عنـــد غريغوريوس بابا رومية[5].

ولكن بسبب فوقاس قبض على موريق وقتله وقتـــل زوجته

---

١) هنـــا نجد ثلاثة اسطر بيضاء ، والواو العاطفة هي تكلة لسنة اليونانية تسعمائة وثلاث وثلاثين للاسكندر الموافقة لسنة ٦٢٢ للمسيح كما لا يخفى ، وهي ناقصة .

٢) راجع حاشية ٣ً في آخر هذا الكتاب .

٣) وهنـــا ايضاً ثلاثة اسطر بيضاء في الاصل . ويلي ذلـك ستة اسطر ممزق نصفها الايمن وباقي النصف الآخر الايسر ، فأخذنا مـا ذهب منها عن الفصل الذي طبعه الشيـخ نسيب وهيبه الخازن والخوري قراعلي ، واضعينه بـين معكفين لتمييزه مما هو محفوظ في الاصل كما سلف الشرح .

٤) راجع حاشية ٤ً في آخر هذا الكتاب .

٥) اقرأ حاشية ٥ً في آخر هذا المصنّف عن البابا غريغوريوس وسواه .

واولاده وبناتــه وتولى ملكه وصار له قبول عندهم ، حنق عليهم (كسرى)، وليأخذ ثأر عمه[1] موريق ، زحف بجيش الفرس (الى) بلدان ارمينيه والشام ومصر ، فاستجاشهم ، وهدم مدنهم ، واحرق ضياعهم ، واخرب كنائسهم ، وقتل (نساءهم) ، وسلب نعمتهم ، وفتح انطاكية ودمشق وبيت المقدس ، وهدم هيكل القيامة الذي بنــاه قسطنطين (الملك) ، وقتل من نصارى القدس تسعين الف ، والبواقي باعهم لليهود ، واخذهم معه في السبي ، مع خشبة الصليب وزكريا البطريرك ، الى مملكته .

ثم أحال عليهم اليهود والعرب ، فنكبوا كنائسهم ، واخذوا اموالهم ، ونهبوهم ، وقتلوا رهبانهم . فيذكر القديس انطيوخوس رئيس دير لوقا (؟) بان قتلوا من رهبانه اربعة ماية واربعين راهباً[2].

٦ — هرقل الملك (٦١٠ — ٦٤١) : فلمـا رأوا الروم خراب المملكة قتـلوا فوقاس واقاموا عوضه ملكاً هرقـل ابن بولص ، فأرسل الى كسرى بسبب الهدنة ، وتعاهد له بارسال الخراج كل سنة بسنتها ، فما أجابوه الى ذلك . ثم راجعهم (راجعه) بالمكاتبة بطلب الصلح على اي شرط أحب . وكان جوابه انه لم (لا) يرضى

١) في العرف اللبناني الدارج ان كلمة « العم » تطلق ايضاً على والد الزوجة ، كما ان لفظـة « ابنة العم » هي الاسم الملطف او المؤدب للزوجة ، كما شرح المؤرخ الشيخ نسيب وهيبه في الموضع نفسه ص ٥ قائلاً : « وهنا نجد مصادفة تحمل على الامعان في الالتباس : ففي سنة ٥٩٠ رجع كسرى منصوراً الى المدائن على رأس جيش موريق وهرب من امامه بهرام المغتصب . فوصـل كسرى جنود الروم بصلات جليـلة وارسل الهدايا النفيسة الى موريق وسماه اباه بعاطفة عرفان الجميل وكان موريق يسمّي كسرى ابنه تحبباً وتقديراً.»

٢) ان اسم الدير غير ظاهر ولا نعرف مؤرخاً بهذا الاسم سوى الراهب الذي جمع له بارونيوس المؤرخ ١٢٩ ميمراً سنة ٦١٤ ، كما ذكرها البحاثة منسي في تواريخه البيعية في عدد ١٦ حق ٢٦ : انظر : Mansi, Annales ecclésiastiques —

عليهم الاّ إن يكفر بالمسيح هو وشعبه ويعبدوا الشمس . وحرّك عليه ملك البلغر[1] حتى انه وضع الحصار على القسطنطينية وارسل عساكر الفرس تدوس كل بلاد الشرق ، وكتب امره للجيش (امير الجيش) الى هرقل انـــه يرسل له سبعين رجلاً ليعقد الصلح بينه وبين الملك كسرى . فلما وصلوا الى عنده ، شدّهم بالكتاف وانفذهم الى الملك فسلخ جلودهم[2] .

٧ً – حروب هرقل مع الفرس : عند ذلك امضى هرقل (الملك) الصلح مـــع البلغر ، واذ لم يتحصل له دراهم لمقاتلة الفرس . جمـــع جميع ما وجد في الكنائس والاديرة من الاواني المقدسة ، فجعلها روباص[3] وضرب بها السكة ليفرّقها على الجند لاستخلاص المدينة والكنائس من ايدي الكفرا (اي الكفرة) . ثم انه اتكل على الله واخذوا امامه صورة السيدة (السيد) المسيح التي بعثها للأبجر، وخرج بجيش الروم الى بلاد البنطوس وأرمينيه واستجاش كل بلاد الفرس ، واهلك جيشهم ، وعـــاد الى القسطنطينية بغنـائم كثيرة (منتصراً)[4] .

٨ً – كسرة اليهود : وفي السنة الثالثة للهجرة ، والخامسة عشرة لهرقل الملك ، حاصر المسلمون اليهود في حصونهم فكسروهم واغتنموا

---

١) طالع حاشية ٦ً في آخر هـــذا المصنّف عما وردَ بخصوص البلغار وغزواتهم للامبراطورية البيزنطية .

٢) طالع حاشية ٧ً في آخر هذا الكتاب ايضاً .

٣) راجع ايضاً حاشية ٨ً في آخر هذا التاريخ .

٤) جاء في مجموعة مين لعلم الآباء : (Pat. Gr.) مج ٩٣ عمود ٣ - ١٨ و١٢١– ١٢٢ ، انّ هرقل استبدل الارجوان بالاسود واحتذى النعال التي صبغها بالاحمر من دم الفرس لـــا زحف عليهم وقاتلهم اشد مقاتلة لاسترجاع عود الصليب واستخلاص المدينة والاسرى من ايديهم الاثيمة .

امواهم . وفي السنة ذاتها زحف هرقل بالجيش (الى) بلاد الفرس ، فأهزم جيشهم وظفر بهـم في مواضـع شتى ، وافتتح شميساط ، ولاجل ذلـك أحرق كسرى كنائس النصارى الذين في بـلاده ، واستباح ارزاقهم ، والزمهم (ان) يتبعوا مذهب النصاطرة ليكيد هرقل الملك (انتهت الورقة الثانية وجهاً) .

٩ً - بنو النضير : وفي السنة الرابعة للهجرة ، وهي سنة سكه (اي سنة ٦٢٥) مسيحية ، في بلاد العرب نزل النضير من حصونهم وارتحل البعض منهم الى عنـد عرب خيبر ، والبعض الى الشام ، فتبعهم المندر وقتلهم عند بئر معاوية[1] .

١٠ - انتصارات الملك هرقل : وفي هذه السنة كسرى ليظفر بهرقل الملك ، عمل هدنة مع شهربار[2] بن ادريان ملك البلغر ، ومع المزاربة (اي المرازبة) والمقدمين الذين بحيرتهم . فجمعـوا خمسين الف وزحفوا بهـم على القسطنطينية ، وشدّوا عليهـا الغارة مدة عشرة ايام .

فالملك هرقل كشف مكر كسرى ، وقسم جيش الروم في ثلاث فرق : الفرقة الواحدة ابقاها في القسطنطينية لتنجد المدينة ، والفرقة الثانية انفذها مـع اخيه تاودوروس الى لقاء زوربهار قائـد جيش

---

١) انظر حاشية ٩ً في آخر هـذا الكتاب عن هذه القصة التي لم يرد لها ذكر في التواريخ كما سنرى .

٢) والأرجح ان الاسم هو شهريار آخر ملوك الفرس وهو نسب عريق عندهم ، كما ذكر ابن العبري في تاريخه « مختصر الدول » الذي طبعه الاب صالحاني اليسوعي في بيروت ١٨٩٠ ، ص ٢٧٩ . ونظن انه التبس على المؤرخ كما التبس على غيره ممن تناولوا تاريخ الدولة البيزنطية لتعداد الاسماء واختلاطها مع غيرها .

الفرس ، والفرقة الاخره (الاخيرة) سار بها الى بلاد الفرس . وفي الجميع كانت النصرة له[1] .

١١ – **سحق الفرس ومصرع كسرى الملك** : فان ملك البلغر والمزاربة طلبوا ان يكونوا تحت طاعته (اي هرقل) . وبـــلاد الفرس اندرس وهلك تحت حوافر خيله . وعندما دخل (مدينة) الرها ، اجتمع اليه ثلاث ماية الف فارس . ومن ناحية الحرر[2] نحو اربعين الف فارس مضى بهم الى نحو نينوى والتقى بزوربهار مقدم (قائد) عسكر كسرى ، فقتله وقتل من جيشه مـــا ينوف عن خمسين الف رجل . ونكب نعمتهم واستباح اموالهم . فلما بلـــغ ذلك كسرى هرب عن الماحوره (قرية من قرى دجيل ببغداد كما ذكرها ياقوت ٣ – ٣٦١) ، والمدائن . فقـــدم (حينئذ) هرقل واستولى على ذخائره ، وقتل واحرق وسبى اهلها .

وفي السنة الخامسة للهجرة ، كسرى هرب باعياله وامواله من قدام هرقل الملك الى سلق[3] ، فقبض عليه سرويه وحبسه ثم اماته ولجميع امراء المملكة لشدة عسفهم واثقالهم على الناس . وكتب الى هرقل بسبب الامان والهدنة . فاجابه الى ذلك هرقل الملك بشرط انه يردّ جميع مـــا كان ابوه اخذه من اليسره (اي الاسرى) من بلاد الروم . وعندما تقرّر الامر ، ارسل اخـــاه تاودوروس الى

---

١) هذا المؤلف شطب خمسة اسطر ونصف السطر من المتن ، وكتب بدلها على الهامش ما يأتي في المتن قائلا :

٢) والحور هو الخزر اي اتراك انظر في آخر هذا الكتاب حاشية رقم ٦٠ توضيحاً لهذا الاسم .

٣) هو جبل في الموصل كما جاء في معجم البلدان لياقوت ، مج ٥ ص ١٠٩ من طبعة القاهرة لسنة ١٩٠٦ .

الجزيرة والشامات[١] ليخرج عنهم الفرس . وسار بنفسه الى الرها واقام بها سنة ، وامر نصارتها بترك النصطورية ، وان يرجعوا الى الامانة المهذبة .

١٢ – **غزوة بني قريظه وتفشي الطاعون** : وفيها (اي السنة الخامسة للهجرة) كانت غزوة اليهود بني قريظه في بلاد العرب . فقد حاصروهم المسلمون مدة خمسة وعشرين ليلة ، فظفروا فيهم ، وقتلوا الرجال وسبيوا الذراري والنساء وتقاسموا اموالهم . وفيها (اي السنة المذكورة) وقع الطاعون في بلاد فارس فاهلك اكثرهم. وهلك ايضاً سرويه (والاصح سيرويه) بن الملك كسرى في الشهر الثامن من مملكته .

١٣ – **عودة هرقل ظافراً** : في السنة السادسة للهجرة ، الملك هرقل دخل القسطنطينية برهجة عظيمة ، وصحبته زكريا بطرك بيت المقدس وجميع الاسرى الذين كانوا في بلاد الفرس، وهم حاملين عود الصليب في المصابيح والمباخر وسعف الزيتون والنخل[٢] .

١٤ – **نهاية ملوك فارس** : وفي بلاد الفرس بعد وفاة سرويه، ملك ابنه اردشير خمسة شهور وقتل . ثم ملك بعده رجل من غير بيت المملكة اسمه شهريار (وقد سبق ذكره) . وفي اليوم الثاني والعشرين من ملكه قتلته امرأة من بيت المملكة . ثم ملك من

١) جمع شامة وقد سميت بها دمشق الشام كما ذكر ياقوت في معجمه في الموضع المذكور، ص ٢١٦ . وهنا المؤلف شطب في المتن اربعة اسطر ، انتهت بها الصفحة ، واما النسطورية فراجع عنها في اخر هذا الكتاب حاشية ١٠ مكررة .

٢) بدأ حصار القسطنطينية في ٣١ تموز سنة ٦٢٦ للميلاد ، وقد وصفه شاهد عيان هو جورجيوس البسيدي الذي نظم قصيدة" عن حرب الآفار (de belloarabico) ، تخليداً لذكرى هذه المعجزة الربية ، كما روى الشيخ نسيب وهيبه في الموضع نفسه ، نقلا عن علم الآباء اليونان مج ٩٢ لمين ، ص ٤٠٥ وما بعدها .

بعده كسرى بن قباذ بن هرمز ثلاثة شهور ، فوثب عليه صاحب خرسان وقتله . وبعـــد كسرى ملكت بنته توران سنة ونصف واحسنت السيرة وقسمت المال بين الجند واطلقت الخراج للناس . وملك بعد توران جُشنسده ابن عم كسرى . ثم خلع وملكت بعده ازمري بنت كسرى الملك ، فثبتت سنة واربع شهور وماتت بالسم . وملك بعدها فرخزاد بن كسرى شهراً واحداً وقتل هو ايضاً[1] .

١٥ – **هرقل الملك في القدس** : في السنة السابعة للهجرة وهي سنة ست ماية وثماني وعشرين (٦٢٨) للمسيح ، هرقل الملك أخذ زكريا البطريرك ، وخشبة الصليب ، وسار قاصداً بيت المقدس . ولم راد (يرد) (أن) يدخله بعز ، والناس تدعو له بالنصر ، بل نزل عن الحصان ونزع عنه ثياب العز ، وانعكف بعود الصليب ، وهو حافياً مكشوف الهامة ، مماثلا (اي متمثلا) بالرب الذي ما دخل به الا في الاهانة والاتضاع . ثم امر ان في كل عـام يصير تذكار عودة الصليب المقدس في البيعة . ورسم ببناية (بناء) الهيكل على ما كان اولاً ، وان اليهود لا يسكنوا الا بالبعد من المدينة .

١٦ – **المجمع الخلقيدوني (٤٥١) وقضية المونوطيلية** : في سنة

---

١) لقـد وصف بدقـــة حالة الدولة الفارسية في آخر عهدهـا المؤرخ سعيد البطريق المعروف بأفتيشيوس كما بيّنا في كتابي الدويهي الاول والثاني في الحواشي التي الحقناها بهما فنحيل القارىء اليها . ويذكر الكاتب المعروف الشيخ وهيبه في تعاليقه على الفصـل الاول من الدويهي ، ص ١١ ما يلي : ترجم تاريخ سعيد البطريق الى اللاتينية بوكوك وطبـع في اكسفورد سنة ١٦٥٨ ، والمؤرخ جيبون يحيل اليه هنا مضيفاً اليه ما ترجمته (ص ٥٣٢ من المجلد الرابع): ان مجد آل ساسان انقضى بموت كسرى ولم يعرف ابنه المعاف سيرويه ان يجني ثمرة جريمته الا في متعة لم تتجاوز الثمانية شهور . ثم مرّت اربع سنوات شاهدت لسماً من المتزاحمين على درجات العرش وقامت فيها الثورات في كل مدينة ، وبعد ثمان آخر من السنين اخمد العرب صياح الاحزاب وجعلوهم تحت نيرهم .

(٦٢٩) ستمائة وتسعة وعشرين رجع هرقل الملك الى الرها واخبروه بأن غريغوريوس بطرك انطاكية انتقل الى رحمة ربه، فصيّر أتناسيوس بدله بعد العهد انه يكون متمسكاً بالجمع الرابع (اي الخلقيدوني) الذي أثبت بربنا طبيعتين كاملتين: الاهية وبشرية. ثم انه زعم (أن) به مشيئة واحدة على ما تلقن من سرجيه (سرجيوس) بطرك القسطنطينية، ومن قوروس اسقف باسندلس الذي فيما بعد صيّره هرقل بطركاً على الاسكندرية. ومن اثاناسيوس الذي قدّمه الى كرسي انطاكية[1].

١٧ – **وفاة نبي الاسلام محمد**: في سنة الحادية عشر اي في السنة الحادية عشرة للهجرة، وهي سنة ستمائة واحدى وثلاثين للسيد المسيح (وهنا ينقطع الكلام)، وهي ايضاً سنة ٦١٢٣ لأبينا آدم كانت وفاة ابي القاسم محمد نبي الاسلام (وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وقيل مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول، على ما روى ابن الاثير في المجلد الثاني (ص ١٣٤).

وذكرت التواريخ انه كان مؤثراً للنصارى رؤوفاً بهم. ضرب عليهم الجزية وكتب لهم الامان. وقال من اذى ذمياً فقد اذاني، ومن ظلم ذمياً فكان خصمه يوم القيامة. وقال لعمر عندما طلبوا منه الامان ان نفوسهم كنفوسنا واموالهم كاموالنا واعراضهم كاعراضنا.

١٨ – **مبايعة ابي بكر الصديق**: وفي يوم وفاته، اجتمعت الانصار اهل المدينه في سقيفة بني ساعده ليبايعوا سعد بن عباده

---

١) هنا يوجد ثلاثة اسطر بيضاء، يليها خبر وفاة رسول الاسلام وبعد ذلك نرى ثلاثة ارباع الورقة متروكة بيضاء، وفي الصفحة الجديدة يتكلم المؤلف على حوادث سنة ٦٣١ وما بعدها تاركاً اخبار السنين ٧ – ٣٠ هج، فأخذناها عن نسخة بكركي ونسخة المغفور له الخوري بولس قراعلي والاستاذ وهيبه الخازن، في الموضع المذكور.

الانصاري ويجعلوه خليفة. فاشتد اللفظ والصوت من المهاجرين. فأقاموا اثنين : عمر بن الخطاب اميراً عن الانصار وأبا عبيدة بن الجراح اميراً عن المهاجرين. حينئذٍ قال عمر لابي بكر أبسط يدك لنبايعك. فبسط يده وبايعه المهاجرون والانصار. وصار الثاني بين امارة المسلمين أبو بكر الصدّيق. وهو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب. وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول.

١٩ – **الردة** : وفي هذه السنة منع مسلمة الزكاة، وارتد الى قوله العرب. وايضاً طليحة تسمّى نبياً وتبعه قومه من بني اسد. فسيّر ابو بكر الجيوش لقتال المرتدين وعقد احد عشر لواء، أعني سنجقاً على احد عشر حداً[1]. فمضى خالد بن الوليد لقتال طليحة فهزمه وقتل مالك بن نويره واصحابه. ومضى عكرمة ابن ابي جهل الى قتال مسيلمه، فاجتمع اليه من المسلمين باليمامه اربعون الفاً فهزموهم، وقتلوا مسيلمة وعشرة آلاف رجل، من اصحابه، وغنموا اموالهم، ورجع من بقي الى الاسلام.

٢٠ – **جمع القرآن** : وفي هذا الزمان أمر أبو بكر الصديق بجمع القرآن لئلا يعدم منه شيء، وانما كان في صدور الرجال وفي الرقاع بين لوحين (اي قوسين مزدوجين) وسمّاه مصحفاً[2].

١) هذا الكلام هنا ترجمناه عن الفرنسية، نقلاً عن نسخة المؤرخ الشيخ نسيب وهيبه الخازن (ص ١٢ في الحاشية) حيث يقول : « كلمة Quartorius اللاتينية تعني المعسكر او الجزء منه او الحدود لكل فرقة. والكلمة الفرنسية Quartier تدل على « حد » لكل جيش او مكانه. وهنا نلاحظ ابن الدويهي الكاتب يساير ابن العميد ويواصل تاريخه بالطريقة عينها بل ويأخذ عنه اصطلاحات لاتينية لا وجود لها في اللغة العربية ويترجمها كحد مثلاً... وانه راجع النصوص التي امكنه الاطلاع عليها في تواريخ الطبري وغيره». وطالع ايضاً ابن العبري في تاريخ مختصر الدول، ص ١٦٨ وما بعدها.

٢) طالع حاشية رقم ١٢ في آخر هذا الكتاب.

الفصل الثاني

فتح سوريه (١٢ – ١٧ هج ، ٦٣٣ – ٦٣٨ م)

[ملاحظة : الكلام على فتح سوريه يستلزم الكلام على فلسطين، والعراق ، وزلزال فلسطين وحملة سوريه ، وفي غضونها على وفاة ابي بكر الصديق ومبايعة عمر ، وفتح غزة ، ولبنان ، والروم ، وفارس ، وفتح دمشق وطرابلس وحمص وقنسرين والرملة والقدس والمدائن وانطاكية وما اشبه واليكه بالتفصيل ، نقلاً عن الكراسة التي نشرها المؤرخان بولس قراعلي والشيخ نسيب وهيبه عن مخطوطة الدويهي في بكركي ، لنقص المسودة التي بيدنا] :

٢١ – فلسطين : سار ابو بكر بعسكر السراكنة[١] فقتل والي كورة فلسطين ، ونهبوا وقتلوا . وقال اناليوس (اي المؤرخ من الفرنسية annaliste) : في هذا العصر ظهرت في السماء آيات مخيفة اشارةً الى استيلاء الهجرة ، وهدم سلطنة الروم .

٢٢ – العراق : وفي السنة الثانية عشرة هج (اي ٦٣٣ م)

---

١) يسمّي الافرنج المسلمين ايضاً Saraceni من اللاتينية Saracenus وبالفرنسية Sarrasins وقد ترجمها المؤلف سراكنة .

امر ابو بكر خالداً ابن الوليد بالمسير الى العراق ، فصالح اهلها على ان يؤدوا الجزية ، ثم فتح الانبار ، وعين اليمين ، وقتل المنذر ، وسبي ابنه ، وغنم من الاموال مـا لا يحدّ ولا يعد ، (انظر ابن العبري في الموضع نفسه ص ١٦٩) .

٢٣ - زلزال فلسطين : وفي السنة الثالثة عشرة ، وهي سنة ٦٣٤ ربانية ، عرضت رجفة شديدة في ارض فلسطين ثلاثين يوماً ، وزلزت الارض . وتباين في السماء مثل سيف مسلول طالب النقمة من شعب النصارى ، وعرض فيها وباء كبير جداً .

٢٤ - حملة سوريه - وفي هذه السنة جهز ابو الشام ، فبعث عمر ابن العاص الى فلسطين ، ويزيد بن ابي سفيان وابا عبيده بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة الى البلقاء (كورة من اعمال دمشق) والى الشام ، وخالد ابن سعيد بن العاص الى تيماء (بلدة في اطراف الشام) . فخرج اليهم بطريق الروم من غزة بجيش كثير . وكانت الهزيمة على الروم وقتل منهم جماعة كثيرة وانهزموا ، حتى وصلوا بيت المقدس ، وقيسرية وتحصنوا فيها . فتركهم المسلمون ومضوا الى البثنية[1] .

٢٥ - انتصار المسلمين : وفي هذه السنة فتحت مدينة بصرى ، وهي اول مدينة اخذها المسلمون بالشام . وفتحوا ايضاً طبريه فلسطين والساحل . ونزل خالد بن سعيد المرج الصفير (أو مرج الصفر ، بضم الصاد وتشديد الفاء مع الفتح) . فأخذت الروم عليه الطريق وتأخروا في القتال . فقتل ولد سعيد واكثر من معه ،

---

١) والارجح البثنية ، كما جاء في معجم البلدان لياقوت ، م ٧ ص ٦٠ - ٦١ ، وهي في دمشق الشام .

فانهزم بعض اصحابه الى ذي المروه . فلما بلغ أبا بكر الخبر، سيّر معاوية بن أبي سفيان الى اخيه مدداً في جند من المسلمين . وفيها كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد وهو في العراق يأمره على اجناد الشام وان يسير اليهم بشطر ممن معه ، فسار اليهم خالد في تسعة آلاف.

٢٦ – **وفاة ابي بكر الصديق** : ثم ان ابا بكر امير المسلمين مات في هذه السنة بمرض السل لسبع ليالي بقين من جمادى الآخرة. وقال صاحب دوحة الازهار الاسحاقية (على الهامش) انه اول من دعي امير المؤمنين ، واول من كتب التواريخ ، واول من جمع القرآن والمصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان .

وفي السنة الثانية لملكه كانت غزوات كثيرة للمسلمين مع الروم، وكان الظفر فيها للمسلمين ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . قال ابو جعفر الطبري : وكان ابو بكر الصديق يفرّق في كل ليلة جمعة مـا يجمع في بيت المال على اربابه على حساب الفضائل في الجند اولاً ثم بعدهم للعلماء ومن استحق.

٢٧ – **مبايعة عمر ابن الخطاب**[١]: وبويع بالخلافة عمر بن الخطاب وصار الثالث بين امراء المسلمين ، وكانت لعمر غزوات كثيرة مع الروم ، وكان الظفر فيها للمسلمين . (وقال العلامة الدويهي في كتابه الذي طبعه الشرتوني سنة ١٨٩٠ ، ص ٦٨ ، نقلاً عن كتاب قديم نسخه داود ابن ابراهيم سنة ١٣١٥ « انـه في ابتداء دولة العرب كان يوسف ملكاً او اميراً على جبيل ، وكسرى على الداخلة ، ومن اسمه سميت كسروان ، وكان ايوب متولياً قيسارية فيلبس وبيت

١) ويكنّى ابا حفص ، ويُدعى خليفة خليفةِ رسول الله ، طالع ابن العبري في تاريخه المذكور ، ص ١٧٠ – ١٧٥ ، ونسخة بكركي ص ١٢ لنقص النسخة التي بيدنا في هذه الصفحات المذكورة .

المقدس في خلافة عمر بن الخطاب ، وبعد ايوب قام الياس ، وهذا أنجد هرقل الملك عند قدومه الى بلاد الشام »[1] .

٢٨ - **فتح غزة ولبنان والفرس** : حاصر المسلمون مدينة غزة (في فلسطين) وملكوها ، فاشتدّ عزمهم وصاروا يخضخضوا في ظاهر دمشق . وفي ايام عمر بن الخطاب كان يوسف ملك جبيل ولبنان (كما رأينا في الحاشية) ، وكسرى على كسروان ، وجاء كسرى لمعونته .

وفي هذه السنة الثالثة عشرة للهجرة جهّز عمر أبا عبيدة ابن مسعود والثقفى الى بلاد فارس ، فقاتلهم بالحيلة ، وانتصر المسلمون، وقتل من المشركين خلقٌ كثير . ثم كانت وقعة الحيرة فقتل فيها ابو عبيدة وخلق من المسلمين ، وكانت الكسرة عليهم . ثم كانت وقعة البويب ، فكانت الكسرة على المشركين وقتل منهم مقتله عظيمة[2] .

٢٩ - **العرب المتنصّرة** : فان هرقل ملك الروم لما بلغه الخبر أن المسلمين فتحوا طبرية فلسطين ، انتقل من حمص حيث كان الى انطاكية ، وامر بجمع عسكر عظيم من غسان وجذام ولخم ، وقدم عليهم بطريقٍ اسمه ماهان (والصواب باهان حسب الطبري ، ص

---

١) وانك ايها القارىء الكريم لتجد هذا الكلام وما يليه في كتابنا عن الدويهي الذي نشرناه في هذا العام ، ص ٩٩ وما بعدها وتزيد قايلين : ان الامير الياس هذا دخل بعدئذ على تدبير جبيل وجبل لبنان وانه اخذ صحبته اثني عشر الفاً من الابطال وسار بهم الى بلاد ارمينية وقاتلوا جيش صابور الفرسي وهدموا حصونهم ونكبوا نعمتهم ثم غزوا سواحل البحر والبقاع ...

٢) وهذا الكلام نقله الخوري بولس قراعلي عن نسخة بكركي ص ١٢ ، كما اشار اليه في الحاشية رقم ٦٤ من الكراسة المطبوعة سنة ١٩٥٠ بالقاهرة ، واخذنا كلامنا هنا عنه لنقص مخطوطتنا الفاتيكانية كما مرّ التلبيه .

٥٨٥ و٥٨٩) ، ووجّه بهم الى دمشق وكتب الى منصور عامله بان يخرج عليهم من المال .

٣٠ – **فتح دمشق** : فابن الخطاب لما كانت سنة ١٤ للهجرة وهي الثانية من ملكه ، أمر ان يتوجّه العسكر الى اخذ دمشق، فنزل خالد بن الوليد بباب شرقي المدينة ، ونزل ابو عبيدة بن الجراح بباب الجابية ، ونزل عمرو بن العاص بباب توما . ونزل يزيد بن ابي سفيان بباب الصغير وحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المناجيق واقاموا عليها ستة اشهر[1]. وكانت بينهم حروب كثيرة حتى ان منصور عامل دمشق طلب من خالد بن الوليد الامان لمن بدمشق من الروم ، فأجابه الى ذلك وفتح له الباب ، ودخل خالد بن الوليد المدينة وامر اصحابه ان يغمدوا السيوف .

فبلغ بقية الروم ان المسلمين دخلوا المدينة ، فهربوا وتركوا الابواب ، فدخل ابو عبيدة بن الجراح ورفاقه بالسيف من الابواب الآخر . ولم يزالوا يقتلون الى ان التقى خالد بن الوليد ومنصور معه وبيده الامان منشوراً . وبعد مخالفة يسيرة ، اتفقوا على الامان وكتبوا بخطوطهم فيه . ولذلك صار ان جامع دمشق كان بعضه كنيسة لاجل الامان الذي اعطاه خالد بن الوليد ، وبعضه مسجد. لان ابا عبيدة ورفاقه دخلوا المدينة عنوة وبالسيف . واخذ منصور من بقي من الروم ، ولحق بهرقل الملك الى انطاكية . فلما بلغ

---

١) وجاء في كتاب ابن العبري المطبوع في بيروت ، ١١٣ ، ان الحصار دام ٧ اشهر على دمشق وكان شديداً جداً . والظاهر ان الدويهي اختصر اخبار الجزيرة وتوسّع في اخبار سوريا لاهميتها بالنسبة الى لبنان وملاصقة حدودهما معاً .

هرقل ان دمشق قد اخذت، قطع الامل من كل بلاد الشام قائلاً[١] السلام عليك يا سوريا ، وسار الى القسطنطينية .

فاخذ ابو عبيدة معه عبدالله بن جعفر الطيار وامره ان يسير بخمسماية فارس .

٣١ – **فتح طرابلس**[٢] لما بويع بالخلافة عمر بن الخطاب ، عزل خالد بن الوليد عن الشام وولّى ابا عبيدة وجعله اميراً على جيوش المسلمين بها ، لفتح طرابلس . فشدّ عبدالله الغارة على دير ابي القدس[٣] وهو شمال المدينة . وجاء خالد بن الوليد بجيش الزحف لينجده وصار قتال شديد على المدينة ، فما قدروا عليها بل اخذوا ابنة صاحب طرابلوس مع جواريها .

وكذلك ابو عبيدة ترك صفوان بن عامر بخمسماية فارس على الشام ، وسار بالعساكر الى بعلبك وتقاتلوا قتالاً شديداً . ثم انه ترك عليها رافع بن عبدالله بخمسماية فارس من عشيرته ، واربعماية من المسلمين ، وجاء اليه صاحب عين بجو وصاحب جوسيد بالخدم فصالحهم .

٣٢ – **فتح حمص** : ثم صار طالبا حمص وقسم العسكر اربع فرق . فنزلت الفرقة الواحدة على باب الجابية . والاخرى على باب

١) باليونانية « شوره » التي هي تصحيف كلمة خيره اليونانية التي معناها « سلام او وداع » كما جاء في تاريخ الدول لابن العبري ، ص ١٧٤ .

٢) ننقل هذا المقطع عن النسخة التي طبعها الشيخ نسيب وهيبه والمرحوم قراعلي كما أشرنا آنفاً ، لنقص في نسخة الفاتيكان التي بين أيدينا .

٣) ذكر المؤرخ جيبون هذه القصة بتفصيل ولكنه قال كما ذكر الشيخ وهيبه ، ان الدير على مسافة ٣٠ ميلا من دمشق ، ثم جاء في آخر الرواية ان عبدالله المذكور لما اتاه الوليد بنجدة تغلب على الذين كانوا في سوق ابي القدس السنوي ولاحقهم الى نهر طرابلس (مج ٥ ص ٣٢١) .

الرستن (وهي بلدة قديمة على نهـــر العاصي) . والاخرى على باب الطواحين . والفرقة الاخرى مـــع ابي عبيدة وخالد بن الوليد على باب اللبوة الصغير ، فوجدوهم مهيئين للقتال ، ومكتفيّين من الزاد وآلة القتال . فارتحلوا عـن حمص ونزلوا على الرستن ، فكاتبهم على الصلح فأبوا . فقال لهم انه ارتحل عنهم ، بل ان معه بعض اثقال (يرغب) ان يدعهـا عندهم حتى يكون رجع . فأجابه الى ذلك تيقيطا البطريق (وكانـ غنياً معروفاً عندهم) . فأدخل ابو عبيدة عشرين رجـلاً من ابطال جماعته في عشرين صندوق كانت للطعام ، وادخلوهم الى داخل الحصن . فلمـــا كان الليل خرج الصحابة من الصناديق بالسلاح من داخل الرستن وقدم الى نجدتهم خالد بن الوليد بعسكر الزحف من جهة باب حمص وملكوها بلا طعن . ثم فتحوا حماة وشيزر[١] .

السنة ١٥ للهجرة التي بدؤها في ١٤ من شهر شباط سنة ٦٣٦ ربانيـــة ، نزل ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد على حمص ، فحاصروها مدة ، ثم صالحهم المسلمون على الجزية وامّنوهم . ثم بعث ابو عبيدة خالداً الى قنسرين ، وقاتلهم متياس العامل (حافظ المدينة) بجمع كبير من الروم حتى قُتل متياس ، ثم سلموها بالامان .

٣٣ — **قنسرين** : (على الهامش) وان سعيد ابن البطريق يقول ان بطريق قنسرين سأل ابا عبيدة الموادعة (= هدنة) على نفسه سنــة (واحدة) . فأجابه الى ذلـــك ، واقاموا عهوداً بين الروم

---

١) الى هنا ينتهي الكلام الذي وضعه الدويهي على الهامش ، ابتداءً من اول هذا المقطع. كما ان المطبوع من نسخة الدويهي على يـد الشيخ نسيب وهيبه والخوري قراعلي ينتهي هنا بالعربية ، واما بالفرنسية فيواصلان نشره الى نهاية هذا الفصل تقريباً ، ونحن نعرّبه عنهما لفقدان الاصل العربي في النسخة التي بين ايدينا كما مرّ القول !

والمسلمين . وكان على العامود صورة هرقل . فمرّ بذلك العامود واحد من المسلمين وهو يتعلم الفروسية ، فنصب رمحه في عين الصورة ، ففقأها ، ولاجل ثبات العهد أذن ابو عبيدة للروم ان يصوروا تمثال عمر بن الخطاب في عامود . فاقبل رجل منهم ففقأ عين الصورة هذه برمحه (وذلك لكي) ينصفهم . وبعد سنة اقاموا على الصلح.

٣٤ – **فتح اورشليم والرملة** : وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة الموافقة سنة ٦٣٧ ربانية ، زحف عمرو بن العاص الى الرملة في فلسطين وحاصرها واخذها بالصلح . ثم تابع الزحف بالعسكر وشورهبيل الى اورشليم حيث اقام ضدها الحصار الشديد . ولما تضايق السكان واستنفدوا قواتهم باطلاً في الدفاع عن بلدهم ، طلبوا الصلح بشرط ان يكفل لهم عمر الأمان ، وقد حققه لهم على الصورة التالية[1] :

« بسم الله الرحمان الرحيم . من عمر بن الخطاب الى اهالي مدينة القدس . ليكن الامان عليهم وعلى دمهم واولادهم ونسائهم وارزاقهم وكنائسهم ، ولا تهدم منها واحدة ولا احد يملك واحدة منها اصلاً ».

ثم دخل عمرو المدينة وجلس على مقعد في صحن كنيسة القيامة . ولما حان وقت الصلاة ، ما اراد ان يتلو صلاته في الكنيسة خوفاً من ان المسلمين فيما بعد يطالبون بها . فخرج خارج البيعة وصلّى لوحده صلاته المعروفة في البستان وعلى باب الكنيسة . ثم سلمهم وثيقة بذلك تنص على ان المسلمين لا يحق لهم ان يصلوا في هذا البستان التابع لكنيسة القيامة الا واحداً بعد واحد ، كما لا يحق

١) نقرأ هنا نص الوثيقة المذكورة على الهامش ، واننا نعيد تعريبها عن الترجمة الفرنسية المشار اليها .

لهم ان يجتمعوا هناك للصلاة او ان يتنادوا لقيام الصلاة في ذلك الموضع اصلا »[١] .

وعلى اثر ذلك طلب عمرو من البطريرك صفرونيوس ان يدلّه على مكان لائق يقدر ان يبني عليه مسجداً لاقامة الصلاة الى الباري تعالى . فعيّن له البطريرك المذكور الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب كليمه . وكانت الصخرة وقتئذ مغمورة بتراب كثير . فانحنى عمرو واخذ بعض التراب في طرف ردائه لتنظيف الموضع المذكور. فاذ رأى المسلمون هذا المشهد المهيب المؤثر اخذ كل واحد منهم يقتدي به . وما عتّم حتى تنظف المكان كله وصار نظيفاً لائقاً . فأمر عمرو حينئذ ان يباشروا ببناء المسجد على طرف الصخرة لاقامة الصلاة .

وبناء المسجد هذا على ذلك الشكل الذي بني عليه عصرئذ لم يستلزم زماناً طويلاً . وقد كرّس الاساس عمرو وتكفل كل سنة بتقديم نفقات الاصلاح وكل الترتيبات الضرورية .

وبعد ذلك واصل عمرو سيره الى بيت لحم المدينة ، فدخل كنيستها وصلى في صحنها ، اي في الموضع الذي ولد فيه عيسى بن مريم (يسوع الفادي) ، ثم اصدر امراً خطياً حتّم بموجبه على المسلمين ألاّ يقيموا الصلاة في هذا المكان المقدس إلا واحداً تلو واحد فقط ، وألا يجتمعوا فيه ولا يتنادوا للصلاة هناك ابداً .

٣٥ – **في بلاد الفرس والعجم** : وفي هذه السنة ايضاً (اي الخامسة عشرة هجرية) زحف المسلمون الى المدائن في العجم ، وعلى

١) وقد جاء النص في كتاب ابن العميد متغيراً بعض الشيء ، ترجمة العالم فطيير (Vattier) ص ٢٩ ، فيمكن مطالعته فيه .

رأسهم سعيد بن ابي وقّاص وقاتلوا اهاليها وعساكرها مقتلةً عظيمة واستولوا على بلادهم واخذوا كنوزهم وتملكوها ، وكانت تقدّر بالف الف الف دينار ، ما خلا الصناديق الرصاصية المعبأة بالآنية الذهبية والفضية والكافور ، وفيها تاج الملك المرصّع بالذهب والجواهر الكريمة مع حلل الحرب والطاسات التي كان يلبسها الملك في الحروب ، وهناك الايوان الذي يستقبل فيه زائريه عندما يكون بعيداً عن قصره ، وكذلك السجاد النفيس ، ومنها سجادة فاخرة رائعة مصنوعة من الحرير المزركش ، طولها ستون ذراعاً وعرضها ستون ايضاً.

ولما جيء بهذه الكنوز الى الخليفة عمرو ، عمد الى تقسيمها ، فوزّعها غنائم على المسلمين والعساكر ، ولم يكن لعلي منها الا نصيب زهيد باعه بمبلغ عشرين الف دينار ، ولم تكن قيمته خارقة العاده[1].

٣٦ ـ **فتح انطاكية ونهاية مملكة الفرس** : (على الهامش) ان السراكنة استولوا على انطاكية في سنة ٦٣٧ للميلاد ، (وقد سبق ذكرهم تحت عدد ٢١ من هذا الفصل) ، كما استولوا على بلاد الفرس والعجم ، في هذه السنة ايضاً .

[وهنا ننقل ما سطّر ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » بهذا الصدد ، ص ١٧٣ ، ما حرفيته ، « لما رأى العجم ان العرب السراكنة قد اخذوا اطراف بلادهم وشنّوا الغارة في ارضهم ، اجتمعوا وخلعوا بنت كسرى ارزمي دخت ، واجلسوا مكانها على سرير الملك يزدجرد غلاما عمره احدى وعشرون سنة ، بايعوه على السمع والطاعة لانه نجم من عقب كسرى بن هرمز .

١) تكلم على هذه الحوادث والروائع الطبري وابن الاثير وابن العميد وغيرهم ممن نقرأ اسماءهم وكتاباتهم في ترجمة فطبير ، ص ٢٤ Vattier .

فاستجاش يزدجرد جنوده من آفاق مملكته وولّى عليهم رجلاً عظيماً من عظماء مرازبته ، له سن وتجربة يقال له رستم . فوجّهه الى الحيرة ليحارب من ورد عليه هناك من العرب . وعقد ايضاً لرجل آخر من حرّ سادات العجم يسمّى الهرمزان في جنود كثيرة ، ووجّهه الى ناحية الاهواز لمحاربة ابي موسى الاشعري ، ومن معه من العساكر . وعند الالتقاء ، قتل هاذان المرزبانان المظيمان ومرّت جيوش العرب في اثر العجم يقتلون من ادركوا منهم وينهبون ، وهرب ملكهم الى فرغان وكان آخر ملوكهم ،] .

٣٧ – نهاية الحروب مع الروم والعزم بالتوجه الى مصر : وفي السنة السابعة عشرة للهجرة ، وهي توافق سنة ٦٣٨ للميلاد ، اشتعلت نيران الحرب في جهات حمص قام بها ملك الروم هرقل على رأس عساكر كثرة ولكن دون ما جدوى ولا فائدة تذكر ، لان ابا عبيدة القائد العربي المحنك ، وكان يومئذ في حمص ، شعر بالخطر يحدق به فاسرع بطلب النجدة من الخليفة ، واحتاط للامر بكل قوة واندفاع . فوجّه اليه عمرو على الفور اربعين الف فارس ، وهاجموا جيوش الروم وكسروهم وشتّتوا شملهم ودحروا فلولهم وافتتحوا حمص عنوةً .

واذ رأى عمرو ان فلسطين والاماكن المقدسة قد استسلمت لهم من شدة الرعب ، وضع على سكانها الجزية والخراج يدفعونها وهم صاغرون ، ثم كتب لابن العاص امراً يرغب اليه في التوجه الى مصر على رأس جيوشه ليفتحها ويستولي على اراضيها الغنية فتؤدي له الجزية شأن جميع البلدان المقهورة على امرها امام جيوشهم المظفرة المنصورة .

[وننقل هنا عن ابن العبري كيفية وفاة عمرو بن الخطاب ، في ص ١٧٤ ، قـــال : مات عمر يوم الاربعاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، وكان عمره ٦٣ سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وسبعة عشر يوماً ، قتـــله ابو لؤلؤة فتى المغيرة ابن شعبة في صلاة الفجر . وكان السبب في ذلك ان ابا لؤلؤة جاء اليه يوماً يشكو ثقل الخراج وكان عليه كل يوم درهمان. فقال له عمر ، ليس ذلك بكثير في حقك ، فاني سمعت عنك انك لو اردت ان تدير الرحى بالريح لقدرت عليـــه . فقال لؤلؤة : لاديرنّ لك الآن رحىً لا تسكن الى يوم القيامة ، وطعنه بالخنجر في خاصرته طعنتين ، فمات عمر متأثراً بجراحه] .

الفصل الثالث

في الفتوحات المصرية

(من سنة ٦٣٩ – ٦٦١ م = اي من سنة ١٨ هج الى ٤٠)

[وهنا يدور كلام المؤلف حول الاتفاق مع الاقباط ، في البدعة المونوطيلية ، ثم الطاعون في عمارص ، فتح الاسكندرية ، فتح الموصل ، اغتيال عمر ، فتح همزان بالموصل ، افريقيا ، قبرص ، خراسان ، النوبة في مصر ، محاولة فتح القسطنطينية ، اغتيال عثمان بن عفان ، مبايعة علي ثم خلعه واغتياله غدراً ، معاوية في مصر ، هدنة بين معاوية وقسطنطين الرومي وغير ذلك][1] .

١ – **الجيوش العربية في مصر والاتفاق مع الاقباط** : في السنة الثامنة عشرة للهجرة وتوافق سنة ٦٣٩ للميلاد ، سار عمرو بن العاص بجيوشه الجرارة الى مصر ليفتحها . فحاصر في البدء مدينة الفسطاط مدة سبعة اشهر ، وكان حصاراً شديداً جداً . وكان المقوقس يومئذ حاكماً او عاملاً على مصر من قبل هرقل الملك

١) هذه العناوين وضعناها كما سبق الشرح لتسهيل الفهم وحسن التنظيم . ويجدر التنبيه هنا الى ان كل مرة يكون الكلام موضوعاً بين معكفين في المتن ، يتضح جلياً انه للناشر وليس للمولف كما سبق القول تكراراً .

الرومي . فتباحث مع الاقباط سكان مصر وزعماؤهم واتفقوا على ان يطلب الصلح من عمرو بن العاص متكفّلين بدفع الجزية ، وهي دينار عن كل رجل ، ويقدمون فضلاً عن ذلك كلفة الضيافة في مدى ثلاثة ايام عن كل مسلم يمرّ بهم .

[والجدير بالذكر ان الاقباط ما كانوا متفاهمين اصلاً مع الروم ، ولا كانوا يرغبون في التعامل معهم ، بل كانوا يكرهونهم كثيراً بسبب جشعهم وكبريائهم الممقوت ، بدليل ما قال عنهم ديونيسيوس التلمحري الذي نقل روايته الجاثليق غريغوريوس بن العبري اليعقوبي في تاريخه السرياني المعروف عند ذكر سنة ٦٣٠ اذ قال[١]: «ولكن اله النعمة قد ارسل العرب لينقذونا من الروم . اما كنائسنا فلم تُردّ الينا لان كل فريق حفظ كل ما يملك . بيد اننا على الاقل قد نجونا من كيد الروم وبغضهم لنا ... »]

[وقال الواقدي في كتابه « فتوح الشام » المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هج مج ٢ ص ٨٤ مؤداه : فقبل عمرو اجراء الصلح ووقّع شروطه هو واعداؤه وكان حاضراً وقت التوقيع نحو ستة آلاف رجل ، وتقرّر ان يدفع القبط عن كل رجل منهم اربعة دنانير ، واما النساء والشيوخ والرهابين والاولاد الذين تنقص اعمارهم عن ١٦ سنة فهم مستثنون من الشريعة ولا يدفعون الجزية اصلاً] .

وعلى اثر ذلك وجّه عمرو جيوشه نحو مربوط في مصر حيث

---

١) ان ابن العبري ولو كان عصره متأخراً ، فقد اجمع المحققون على صحة رواياته لانه اعتمد في نقلها على مؤرخين معتبرين تقدموه بالبحث وتقصي الاخبار ، فحذا حذوهم ، وهو من كتبة القرن الـ ١٣ ، اخذ روايته هذه عن التلمحري المتوفى سنة ٨٤٥ . وقد نقلناها هنا للوقوف عليها ليس الا ، لان مؤلفنا الدويهي لم يأتِ على ذكرها في مسودته هذه المحفوظة في الفاتيكان الناقصة في هذا المكان كما سبق التنبيه .

كانت عساكر الروم ، فدحرهم وشتّت شملهم . ومن هناك واصل سيره نحو قرم الشيخ فاستولى عليها بعد انزال الهزيمة في جيوشها وتهديم حصونها . وبعـــد ذلك تابع زحفه الى الاسكندرية وشدّد عليها الحصار ، لكن العساكر الرومية كانت قـــد اسرعت قبله لتحصينها وتثبيت حصونها ومغالقها ، وقد التفّ حولهم الاروام الذين هربوا من امام العرب وضجيج عجلاتهم من تلك الاماكن المحتلة المتعددة في القاهرة وغيرها .

٢ً – شجب البدعة المونوطيلية والقائلين بها : انعقد في مدينة رومية سنة ٦٤١ مجمـــع لشجب البدعة المونوطيلية المضادة لوجود مشيئتين في السيد المسيح له المجد[١]. وكان قبل ذلـــك القديس مكسيموس المعترف قد بشّر في افريقيا بتعاليم الكنيسة المقدسة ، وهي تعاليم تضاد البدعة المذكورة وتبيّن ضلالها . والملـــك هرقل الرومي كان قد صرّح علناً بان سرجيوس البطريرك القسطنطيني انما هو الذي خدعه يوم كان راجعاً من حرب الفرس ظافراً ، ودفعه الى القول بمثـــل تلك الاقاويل المغايرة لدين الله تعالى ، ثم اعطى أوامره بوجوب الاعتراف بالارادتين في السيد المسيح .

[وهنا ننقل مـــا جاء على لسان الدويهي بهذا الخصوص اتماماً للموضوع : « عقـدة عدت مجامع لشجب المونوطيلية وتحريم الاخذ بها على اثر نشأتها في اماكن مختلفة : من هذه المجامع اولاً مجمع اورشليم الذي عقده القديس صفرونيوس البطريرك سنة ٦٣٥ ودعا اليه جميع اساقفة فلسطين لتحريم البدعة وتبيان ضلالها ثانياً مجمع

١) ما زالت النسخة الفاتيكانية التي نعتمدها ناقصة" كما اشرنا الى ذلك قبـــلا ، ولذا ادراكاً للمعنى التاريخي عمـدنا الى المخطوطة المحفوظة في بكركي ، وقـد نشر منها ملزمتين الشيخ وهيبه والخوري قراعلي كما سبق القول .

رومية الذي عقده البابا تاودورس سنة ٦٤٦ لنفس الغاية . ثالثاً مجمع رومية الثاني الذي عقده البابا مرتينوس الاول سنة ٦٤٩ . ثم مجمعان عقدا في مدينة ميلانو الايطالية وذلك سنة ٦٧٩ . ثم مجمع رومية الثالث الذي عقد سنة ٦٨٠ كمقدمة للمجمع المسكوني السادس المنعقد في القسطنطينية وقـــد ترأسه معتمدو البابا اغاتون ثم مجمع القصر الذي سعى بعقده يوستنيانوس الاخرم، سنة ٦٩٢ ، وهذا المجمع ولئن كان يعتبر غير شرعي الا انه جدّد البحث في اساس هذه البدعة وتحريم تعاليمها وشجب القائلين بها... »

٣ً ـ **الطاعون في عماوص**[١] : في هذه السنة انتشر الطاعون في مكانٍ بسوريا ، يقال له عماوص . وقد هلك فيه خمسة وعشرون الف مسلم ، ومن بينهم ابو عبيده ويزيد ابن سفيان .

٤ً ـ **فتح الاسكندرية** : وفي السنة العشرين للهجرة (التي توافق ســـنة ٦٤٠ او ٦٤١ للميلاد ، تبعاً لزعم سعيد البطريق في تاريخه المعروف ، مج ٢ ص ٣١٩ ، وابن العميد في تاريـخ السراكنة ، ص ١٨) استولت عساكر المسلمين بعد حصار دام ١٤ شهراً ، على مدينة الاسكندرية ، وذلك في اول محرم بعد صلاة الجمعة . وقد مات في هذه المعارك الضارية من المسلمين ثلاثة وثلاثون الفاً ، واما جيوش الروم فهربوا بحراً بواسطة المراكب .

وعـــلى اثر ذلك كتب عمرو ابن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : لقد افتتحت مدينة الغربيين ، ولا استطيع ان أصفها لك الا بهذا الكلام الوجيز ، فهي تحوي اربعة آلاف حماماً،

---

١) نقـــلاً عن اللازم المطبوعة باللغة الفرنسية ، وذلـــك لوجود النقص في نسختنا الفاتيكانية ، كما سبق التنبيه ، وهكذا الى آخر هذا الفصل .

و١٤ الف تاجراً للخضار يبيعونها طازجة ، واربعـــة آلاف يهودي يدفعون الجزية ويؤدون الخراج ، وفيها اربعماية مسرح . فردّ عليه عمر بن الخطاب شاكرًا واضاف يقول له ان الجوع منتشر في جهات المدينة وقد استولى الجزع والحزن على جميع السكان . فارسل اليه ابن العاص قافلة كبيرة جدًا من الجمال تحمل القمح والحبوب ، تبتدي في الاسكندرية وينتهي آخرها في المدينة .

ثم كتب الخطاب الى ابن العاص يقول له ان يعمل على حفر قنال بحري لنقل الحبوب والاثقال من مصر الى البحر الاحمر، ومن هناك الى المدينة بحرًا . وقد حقّق ابن العاص هذه الفكرة وامر بحفر القنال الذي عرف في التاريخ باسم « خليج امير المؤمنين » . وهكذا تمكنت المراكب من نقل الحبوب والقمح بحرًا من القاهرة والاسكندرية الى البحر الاحمر ومنه الى المدينة المنوّرة .

وفي هذه السنة نفسها استولى عمرو بن العاص على مدينة برقه ، وبلاد طرابلس الغرب ايضاً .

وفي هذه السنة (٢٠ هج) حرّر بن العاص الى بطريرك الاقباط في الاسكندرية السيد بنيامين يعقوب عهد الامان . وبعد كل ذلك رجع عمرو بن العاص مغتبطاً كثيراً الى بلاده ، وقد دام غيابه ١٣ سنة ، قضى منها عشرة سنين في مملكة هرقل الرومي ، وثلاث سنين في مملكة المسلمين .

٥ – **فتح بلاد الموصل وما اليها :** ويقال انه في هذا الزمان (اي في سنة ٦٤١ للميلاد) استولى المسلمون على بلاد الموصل وما بين النهرين وبلاد آمد واستخار واصفهان وعلى كل جهات خراسان. ويقول ابو جعفر الطبري في تاريخه المشهور انـــه في سنة احـدى

وعشرين للهجرة تمّت هـــذه الفتوحات : مجيره بن شعبـه افتتح اذربيجان ، وعمرو بن سعيد فتح عـين ورده وحرّان والرها ، وعيشى بن عيسى فتح الرقه ونصيبين ومـا يتبعهما ، وابو موسى الاشعري اخـذ الاهواز ومـا يتبعها ، وخراسان وقعت بين أيدي المسلمين بفضل النعمان بن مقران .

٦ ــ **وفاة الملك هرقل** : مات هرقل الملك بعد ان استوى على مملكة الروم واحـداً وثلاثين سنة ، وكانت وفاته في السنة الحادية والعشرين للتاريخ الهجري، ويقول البعض في السنة العشرين. وخلفه في الملك ابنه قسطنطين مدة ستة اشهر فقـط ، ثم اغتالته زوجة والده (او احدى نسائه) ، وجاء بعده على العرش هرقليون (Heraclianas) بن هرقل الملك وانزل عن العرش عنوةً . وصعد مكانه على العرش قسطنطين بن قسطنطين (ويدعى قسطنت Coustance) ابن هرقل وبقي يملك سبعة وعشرين سنةً .

والجدير أن قسطنطين هذا يقال له اللحياني[١] لانـه توجّه الى صقلية بدون لحية ، ثم عاد منها حاملا لحيةً كبيرة ، ويقول بعض المؤرخين ان قسطنطين اخا هرقل اغتيل في السنة العشرين للهجرة. وبعد موته غيلةً ، اجتمع الوزراء والبطاركة والقواد واعيان المملكة ضد هرقل هذا وقتلوه ، لكونهم وجدوه لم يعمل حسناً في خلال ملكه ، ولانهم اعتبروا اسمه شؤماً على البلاد لفقدانهم بعض اجزاء المملكة كسوريا ومصر والاسكندرية وغيرهـا . ولذا رفعـوا الى العرش قسطنطين بن قسطنطين اخا هرقل الذي ملك ١٦ سنة وكان

---

١) هذا المقطع كتب على هامش المخطوطة، وقد ترجمناه عن اللازم المطبوعة بالفرنسية، لفقدان النص الاصلي في مخطوطة الفاتيكان ، كما لاحظنا مراراً وتكراراً لمزيد الانتباه .

ارثوذكسياً ، وقد ترأس مجمع البطاركة البيزنطيين (اي المجمع المسكوني السادس) وبعده توفي الى رحمة الله[1] .

٧ – **عثمان بن عفان** : قال ابن العبري ان عثمان هذا يكنّى ابا عمرو ، وقد بويع له لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة ، وانه انتزع ابن العاص عن الاسكندرية وعيّن عليها عبدالله بن مسعود اخاه لامه ، فغزا أفريقيا ، وغزا معاوية قبرص وانقره صلحاً ، على ان الناس نقموا على عثمان وقتلوه في داره ، ولذا سمي يوم قتله يوم الدار ، وكان عمره نيّفاً وثمانين سنة ، وكانت خلافته ١٢ سنة بالتقريب .

٨ – **عليّ بن ابي طالب** : لما قتل عثمان اجتمع اناس من المهاجرين والانصار ، فأتوا علياً وفيهم طلحة والزبير ليبايعوه . فقال علي لطلحة والزبير : ان احببتما ان تبايعاني وان احببتما بايعتكما . قالا له ، لا بل نبايعك . فخرجوا الى المسجد وبايعه الناس يوم الجمعة في الخامس من ذي الحجة سنة ٣٥ للهجرة وكان اول مبايعيه طلحة ، وحصلت مشادات ومعارك بهذا الخصوص ، كما ذكر ابن

---

١) قال الشيخ وهيبه في الحاشية ملاحظاً ما يأتي تعريبه : « ربط هرقل الملك مملكته بعهد مع قسطنطين وهرقليون . على ان هذا هو قسطنطين الثالث الذي ملك فقط مئة وثلاثة ايام وتوفي في الثلاثين من عمره ، تاركاً ولدين اكبرهما قسطنت الذي مسح ملكاً أولاً ثم عزل على اثر اغتيال اخيه ثاودوسيوس . ولما قتل هذا ايضاً في سيراكوزه بجزيرة صقلية الايطالية ، استوى على عرش الروم قسطنطين الرابع الذي يقال له اللحياني ، كما رأينا ، وكان اكبر اخوته الثلاثة . — الى هنا ينتهي المطبوع افرنسياً من تاريخ الدويهي الذي عرّبناه هنا ، ويبقى ناقصاً من المخطوطة الفاتيكانية التي بيدنا شرح عدة سنين أخذنا اخبارها باختصار عن تاريخ ابن العبري المذكور ، ص ١٧٨ وما بعدها ، كما سنرى بعيده ، إتماماً للنص الذي لم يدوّن ، بل بقي الورق منه بياضاً وبالتالي خلواً من الكتابة .

العبري في صفحة ١٧٩ – ١٨٥ . ومات علي وكان عمره ٦٣ سنة ومدة خلافته نحو خمس سنين .

٩ً – **الحسن بن علي بن ابي طالب** : ثم بويع الحسن بن علي بالكوفة ، وبويع معاوية بالشام في مسجد ايليا ، وتنازل هذا اخيراً للاول وسار الحسن الى المدينة واقام بها الى ان مات سنة سبع واربعين من الهجرة وكانت خلافته خمسة اشهر .

١٠ً – **معاوية بن ابي سفيان** : وصار الامر بعد ذلك الى معاوية بن ابي سفيان ، وفي هـذه السنة ارسل المتغلب على ارمانيا الى معاوية رسولاً اسمه سرجي يطلب منه النجدة على الروم ، وارسل قسطنطين الملك ايضاً رسولاً الى معاوية هو لاندرا الخصّي . فأذن معاوية لسرجي بالدخول اولاً ثم اندرا ثانياً . فلمـا رآه سرجي نهض له لانه كان عظيماً . فوبّخ معاوية سرجي قائلاً : اذا كان العبد هالك فكيف مولاه ... فغضب اندرا وقـال الى معاوية : كأنك تزعم ان العرب هم الجسم والروم هم الخيال نستعين برب السماء ، ثم استأذن للرحيل وسار مجتازاً على ملطية ... وقيل ان معاوية اخذ بيعة اهل المدينة ومكة ليزيد ابنهِ وبايعه الشاميون ايضاً ، ثم مات بدمشق سنة ستين وهو ابن ثمانين سنة .

١١ً – **يزيد بن معاوية ثم معاوية ابنه**(١) : وبايع اهل الشام يزيد هذا ابن معاوية ، وكان لمـا مات والده استدعى الوليد بن عتبه وهو على المدينة الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير ، ونعى اليهما معاوية وطلب منهما البيعة لابنه ، فرفضا وخرجا من عنـده تحت جناح الليل الى مكة ، وحصلت معارك في هـذا الصدد .

---

٩) طالع مختصر الدول لابن العبري ، ص ١٨٧ – ١٩٠ .

وقُتل الحسين سنـــة احدى وستين للهجرة يوم عاشوراء وهو يوم الجمعـة وكان عمره ٥٨ سنة.. .ولما احتضر يزيد بن معاوية بايـع ابنه معاوية ومات وهو ابن ٣٨ سنـة ، وكان ملكه ثلاث سنين وثمانية اشهر .

١٢ - مروان بن الحكم : ولمـــا مات يزيد دعا ابن الزبير الناس الى البيعة لنفسه ، وادّعى الخلافـــة فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . فان مروان بن الحكم انتزع الخلافة بالسيف ، لكنه لم يعش طويلا فقـــد مات بدمشق مقتولاً كما قيل ، وكانت ولايته سبعة اشهر واياماً . (الموضع نفسه ص ١٩١) .

١٣ - عبد الملك بن مروان : وفي سنة خمس وستين للهجرة بايع اهل الشام عبد الملك بن مروان ثم العراق بعد ان سار اليها عبد الملك وقتل مصعب اخا ابن الزبير الذي كان قد استولى على العراقيين ، وبعدهما مكه والكوفه ، وولّى الحجاج على الحجاز واليمامه. وفي سنة سبعين للهجرة استجاش يوستنيانوس الرومي على من بالشام من المسلمين ، فصالحه عبد الملك على شرط ان يؤدي اليـه كل يوم جمعة الف دينار وفرساً ومملوكاً . وتوفي عبد الملك في سنة ٨٦ هج.

١٤ - الوليد بن عبد الملك : ولما تولّى الحكم أقرّ العمال عـلى النواحي وافتتح بخاراً ثم سمرقند صلحاً وفي ايامـه مات الحجاج . وبنى الوليد مسجد دمشق وكان فيـه كنيسة فهدمها وبني مسجد المدينة والمسجد الاقصى ، ومنع الكتّاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية ، وفتح الاندلس والهند وغيرهما ، ومات سنة ٩٦ وكانت ولايته تسع سنين وثمانية اشهر .

١٥ - **سليمان بن عبد الملك** : وبويع سليمان هذا في اليوم الذي فيه مات الوليد اخوه ، وقيل انه كان فصيحاً خيّراً فردّ المظالم واخرج المحبوسين . وفي سنة ثماني وتسعين هجرية جهّز سليمان مع اخيه مسلمة جيشاً كبيراً ليسير الى القسطنطينية ، وبلغها وحاصرها وكاد ان يستولي عليها لولا حيلة استعملها لاون البطريق مع مسلمة، كما وصفها ابن العبري في تاريخه المشار اليه ص ١٩٦ . ومات سليمان في اليوم العاشر من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة .

١٦ - **عمر بن عبدالعزيز ، ثم يزيد بن عبدالملك** : ولما بويع عمر هذا ، أمر بردّ المظالم وحضّ على التقوى والتواصل ، ثم توفي في غرة رجب سنة احدى ومائة . وخلفه يزيد بن معاوية ويكنى بابي خالد وهو العاشر من بني مروان . ولما ولي الامر ، استعمل على العراقين وخراسان عمر بن هبيرة الفزاوي ، وبعث مسلمة بن عبد الملك لقتال يزيد بن المهلّب ، ومات الخليفة بعد ولاية مدتها اربع سنين ، في سنة مائة وخمس سنوات للهجرة .

واستخلف في هذه السنة **هشام بن عبد الملك** وكان عمره اربعاً وثلاثين سنة ، وقد اتاه البريد بالخاتم والقضيب وسلّم عليه بالخلافة وهو بالرصافة ، فركب منها حتى أتى الشام... وملك هشام عشرين عاماً ومات في الرصافة سنة ١٢٥ هج .

١٧ - **الوليد بن يزيد بن عبد الملك** : كان الوليد هذا يحب المجون والشراب وقد تهاون بالدين واستخفّ به ، فقام عليه رجاله وقطعوا رأسه سنة ١٢٦ هج ولم يكن له في الولاية الاّ سنة وثلاثة اشهر . وجاء بعده **يزيد بن الوليد بن عبد الملك** : وكان محمود السيرة ومرضي الطريقة ، وامر بالبيعة لاخيه ابراهيم بن الوليد بن

عبدالملك الذي بقي بالحكم سبعين يوماً فقط ، ثم سار اليـه مروان بن محمد في جنود الجزيرة الى الشام فخلعه وجلس مكانه على عرش المملكة ، وكان يقال له الجعدي ويلقب بالحمار لصبره في الحرب (راجع ابن العبري ص ٢٠٥) ، وكثرت الحروب الداخلية في ايامه ، ولما احسَّ بالتضييق عليه اوصى الى اخيه ابي العباس ، ونعى نفسه اليه ، وامره بالمسير الى الكوفة باهـل بيته . فسار معه اخوه ابو جعفر وعمه وستة رجال حتى قدموا الكوفة مستخفين .

١٨ – ابو العباس : وفي سنة ١٣٢ هج ، ليلة الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول خرج ابو العباس بن محمـد الامام بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب من دار ابي مسلمة بالكوفة ، فصلّى المغرب في مسجد بني ايوب ودخل منزله . فلمـا اصبح دخل عليه القواد والناس واعلنوا مبايعته . ثم وجّه عمـه عبدالله الى الفرات فمرَّ بهـا ، ثم حاصر دمشق حتى افتتحها ، وقتل مَن بها من بني اميّة واحرق عظامهم بالنار ... وسار الى مصر حيث قتل مروان واحتزَّ رأسه وبعث به الى السّفاح ابي العباس . ومات ابو العباس بالانبار مدينته التي بناها واستوطنها ، وملك بعده اخوه ابو جعفر المنصور سنة ١٣٧ للهجرة .

فامر بقتل ابي مسلم الخراساني وكان رجلا شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ومروّة (ابن العبري ص ٢٠٩) . وفي سنـة ١٤٠ للهجرة سيّر المنصور ابن اخيه عبدالوهاب في سبعين الف مقاتل الى ملطية فاستولوا عليها وعمّروا ما كان اروم خرّبه منها واسكنها جنوده . وفي سنة ١٤٥ ابتدأ المنصور في بناء عمارة مدينة بغداد وسكن فيها بعد ان ترك الكوفة ، وبنى قصره في وسـط المدينة التي جعلها مدورة ، وبقربها المسجد الجامع ، وكان يبغض المجون

والترف واوصى ابنه المهدي بذلك قائلا : « اياك ان تدخل النساء بامرك » . ومرض ابو جعفر المنصور فعالجه عبثاً جيورجيس بـن بختيشوع الذي كان افضل الاطباء في ذلك العصر ، ولكن اشتد مرضه ومات في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ١٥٨ هج ، وحمل جثمانه الى مكة حيث دفن مكشوش الراس لاحرامه ، وكان عمره ٦٣ سنة ، وخلافته ٢٢ سنة .

١٩ً – **المهدي بن منصور** : وبايع الناس المهدي هذا الا ابن عمه عيسى بن موسى الذي تحصّن بالكوفة ، فبعث المهدي اليه أبّا هريرة في الف فارس وجعله يخلع نفسه ويرضى بمكافأة مالية . وقام رجل يقال له "كَرَه ادعى النبوة وقال بتناسخ الارواح وتبعه اناس كثيرون . وقد اضطهده المهدي وحاول القبض عليه ، ولكنه رمى نفسه في النار لئلا يقع في الشرك بعد أن اهلك كل اتباعه . وفي سنـة ١٦٥ سيّر المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم ، وكان صاحب الروم يومئـذ إيريني امرأة لاون الملك ، فطلبت الصلح من المسلمين ودفعت الفدية ومقدارها سبعون الف دينار لكل عام . ومات المهدي مسموماً بعد خلافة عشر سنين في سنة ١٦٩ للهجرة[١] .

ولما توفي المهدي بويع ابنه الهادي . وهذا تتبع الزنادقة وقتل منهم جماعة كبيرة وغيرهم ولم يعش طويلاً بل مرض ومات كمـداً بسبب غضب والدته عليه بعد خلافة دامت سنةً وثلاثة اشهر وكان عمره ٢٦ سنة فقط .

---

١) ورد في تاريخ ابن العبري ص ٢١٩ ان جارية المهدي طلبت من المنجم الرهاوي توافيل بن توما النصراني الماروني وهو رئيس منجّمي المهدي ان يشرح لهـا معنى رحلة المهدي الى بلاد ماسبذان ، فشرحه على النحو الموجود في التاريخ المذكور ، فليراجع هناك انما لهم لدينا قوله . « وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي هوميروس من اليونانية الى السريانية » .

٢٠ – **هارون الرشيد بن المهدي** : وفي الليلة التي توفي فيها الهادي بويع الرشيد الخلافة ، وكان عمره ٢٢ سنة لا غير ، وامه الخيزران . وفي سنة ١٨٢ بايع الرشيد لعبدالله المأمون بولاية العهد بعد الامين ابنه وولاه خراسان وما يتصل بهـا الى همذان ولقبه المأمون وسلمه الى جعفر البرمكي . وفي سنة ١٨٦ اخذ الرشيد البيعة للقاسم ابنه بولاية العهد بعد المأمون وسمّاه المؤتمن . وفي سنة ١٨٧ هج خلع جيش الروم الملكة ايريني ورفع على العرش نيقيفور وهـو من اولاد جبلة (ابن العبري ص ٢٢٣) ، فشهر الحرب على الرشيد . على ان الرشيد نزل على هرقله فأحرقها وهـدم معالمها ورجع . ثم في سنـة ١٩٢ سار الرشيد من الرقـة الى بغداد يريد خراسان . على انه وهو في الطريق اشتدّ عليه المرض وكان معه ابنه المأمون ، فسار الى طوس وفيها لفظ انفاسه ودفن وكانت خلافته ٢٣ سنة ، وعمره ٤٧ سنة ، وكان الرشيد يصلي كثيراً ويتصدّق كثيراً وكان وسيم الطلعة جميلاً . وكان من اطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني المشهور في بغداد بترجمة الكتب الطبية وبالتدريس واخراج الكلمات المضحكة .

٢١ – **الامين بن الرشيد** : وانتهى الامر الى الامين بعد ابيه باثني عشر يوماً ، فبويع له في عسكر الرشيد وكان اخوه المأمون في مرو . وثارت الخلافات بين الاخوين ، وانتهى الامر بقتل الامين بعد خلافة دامت نحو خمس سنين ، وجاء بعده اخوه **المأمـون** ، فكتب الى الآفاق انه نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد احداً افضل ولا اروع ولا اعلم من علي بن موسى بن جعفر بن علي الحسين ابي طالب ، ولذلك عقد له العهد من بعده . .

وفي سنة ٢١٧ سار المأمون الى بلد الروم فأناخ على لؤلؤة مائة

يوم ثم رحل عنها وترك عليها عجيفاً . وفي سنة ٢١٨ هج مرض المأمون ، فخلع اخاه القاسم المؤتمن واخذ البيعة لاخيه ابي اسحق المعتصم وامر ان يكتب الى كل البلاد بهذا الخصوص ، وتوفي المامون وكان عمره ٤٨ سنة ، وخلافته عشرين سنة ، وكان المأمون يكرّم العلماء ويكثر عليهم بالعطاء .

٢٢ ــ **المعتصم بن الرشيد** : ولما بويع له بعد موت المأمون ثار الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج اليهم العباس ودعاهم الى السكينة وانكر عليهم المبايعة وقال : « ما هذا الحب البارد وقد بايعت عمي المعتصم » ؟ فسكتوا . وكان المعتصم يحضر العلماء عنده ومنهم احمد بن حنبل ويمتحنهم بالقرآن وكل من لم يجب بكونه مخلوقاً ، يأمر بجلده وقتله معاً . ثم حارب المعتصم بابك وفي النهاية امر بذبحه وارسال رأسه الى خراسان . وفي سنة ٢٢٣ للهجرة خرج ملك الروم توفيل بن ميخايل الى بلاد الاسلام واغار على ملطية وغيرها وقتل وسبي وخرّب . واذ بلغ الخبر الى المعتصم زحف بعسكره الى بلاد الروم وفتح عمورية وقتل ثلاثين الفاً منهم واسر ثلاثين الفاً كذلك . وفي سنة ٢٢٧ توفي الخليفة وكان عمره ٤٧ سنة ، وخلافته تسع سنين تقريباً .

٢٣ ــ **الواثق بالله هارون بن المعتصم** : وفي اليوم الذي مات فيه المعتصم بويع لابنه الواثق بالله هارون ، وتوفي في اليوم نفسه ملك الروم توفيل وملكت بعده امرأته تاودوره وابنها ميخايل بن توفيل وهو صبي . وفي سنة ٢٢٨ للهجرة غزا المسلمون جزيرة صقلية بحراً وفتحوا مدينة مسيّنه وتبادلوا الاسرى مع الروم . وفي سنة ٢٣٢ مات الواثق بالله بمرض الاستسقاء وكان عمره ٣٢

سنة وخلافته خمس سنين واشهراً . وجاء بعده اخوه خليفةً وكان عمره ٢٦ سنة واسمه المتوكل على الله جعفر بن المعتصم .

٢٤ً وفي سنة ٢٣٥ عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة وهم المنتصر والمعتز والمؤيّد ، وعقد لكل واحد منهم لواءً ، فولّى المنتصر على العراق والحجاز واليمن ، والمعتزّ على خراصان والريّ ، والمؤيد على الشام . وفي سنة ٢٣٧ ولّى الخليفة على ارمينيه واذربيجان يوسف بن محمـــد فثار بطارقة المملكة على يوسف وقتلوه ، فسيّر الخليفة عليهم بغا الكبير مطالباً بدم الوالي يوسف فقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى مدينة تفليس واحرقها . وفي سنـة ٢٣٨ هج جاءت ٣٠٠ مركب للروم مع ثلاثة رؤساء فأناخ احدهم في مئة مركب بدمياط. وفي سنة ٢٤٢ للهجرة وقعت زلازل هائلة فهلك خلق كثير وتهدمت المنازل وتقطع الجبل الاقرع وسقط في البحر فمات اهـل اللاذقية كما قال ابن العبري في صفحة ٢٤٨ .

وفي سنة سبع واربعين ومائتين قُتل المتوكل وهو ثمـل ، قتله غلام تركي اسمـه باغر ، وكانت خلافته ١٥ سنة وعمره ٤٠ سنة ، وفي سنة الزلازل اخرج المتوكل احمد ابن حنبل من الحبس وصرفه وامر بترك الجدّل في القرآن وان الذمّة بريئة ممن يقول بخلق او بغـــير خلق . واشتهر في ايام المتوكل حُنـين بن اسحق الطبيب النصراني ، وجبرايل بن بختيشوع المعروف بسمة معارفه .

٢٥ً – **المنتصر بن المتوكل** : وبايع الاتراك قتلة المتوكل ابنـه المنتصر في الليلة ذاتها ولم يعش طويلا ابداً ، فمات في عمر خمس وعشرين سنة ، بعد خلافة دامت ستة اشهر ، في عام ٢٤٨ للهجرة. وخلفه المستعين احمد بن محمد بن المعتصم فأجمع الموالي على خلافته

وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير واتامش وبايعوه ، ولكن ألجند والناس في بغداد ثاروا عليه لما رأوا الاتراك يستولون على مقدرات الدولة ويقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من يريدون من غير نظر المسلمين .

وفي سنة ٢٥٢ خلع المستعين نفسه من الخلافة وبايع للمعتزّ بن المتوكل وخطب له في بغداد ، وقد حبس المعتزّ اخاه المؤيد ثم اخرجه ميتاً لا جرح فيه ولا اثر . وفي سنة ٢٤٥ ولّى الاتراك احمد بن طولون على مصر وكان هذا مملوكاً تركياً للمأمون . ولما طلب الاتراك ارزاقهم من المعتزّ وكان ماطلهم بحقهم ، ثاروا عليه وضربوه حتى مات في سرداب مظلم وضعوه فيه ، وكانت خلافته نحو خمس سنين . ثم بويع المهتدي بن الواثق سنه ٢٥٥ وبعد سنة تقريباً خلع من المملكة وتوفي عن عمر لا يتجاوز ٣٨ سنة . وبايع الاتراك وغيرهم المعتمد بن المتوكل وكان محبوساً في الجوسق .

وفي سنة ٢٦١ هج ولّى المعتمد ابنه جعفر العهد ولقّبه المفوض الى الله ، ثم ولّى اخاه ابا احمد ولقّبه الموفّق بالله . وفي سنة ٢٦٤ دخل عبدالله بن رشيد كاووس بلاد الروم في اربعة آلاف فارس فغنم وقتل ورحل فخرج عليه بطريق سلوقية وخرشنة واصحابها وانزلوا خسائر بالمسلمين . وفي سنة ٢٧٨ عرض للموفق وجع النقرس واشتد به فلم يعد يقدر على الركوب ومات من جرائه بعد معارك كثيرة أبلى فيها بلاءً حسناً ضد الزنج وباقي الخوارج .

وبعد وفاة الموفّق اجتمع القواد وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد بعد المفوّض الى الله ولقّب المعتضد بالله . ثم توفي المعتمد بالله سنة ٢٧٩ وكان عمره خمسين عاماً وهو اسنّ من الموفّق بنصف

سنة ، وكانت خلافته ٢٣ سنة كما روى ابن العبري (ص ٢٥٨) .
وفي آخر دولة المعتمد تحرّك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان ابتداء امرهم ان رجلا فقيراً قدم من خوزستان الى الكوفة وكان يظهر الزهد والتقشف ويأكل من كسبه ، وكان اذا جلس اليه رجل ذاكره بامر الدين وزهّده في الدنيا واعلمه انه يدعو الى امام من اهل بيت النبي ، وتبعه جمع كثير اختار منهم ١٢ شخصا على عدد الحواريين وامرهم ان يدعوا الناس الى مذهبهم ، ثم جاء ناحية الشام ونزل عند رجل يُدعى كرمتية فخفّف الاسم وقيل قرمطة[١]

١) لغاية هنا كان المخطوط الفاتيكاني ناقصاً فيه الكلام الذي اخذناه باختصار عن تاريخ ابن العبري لئلا يعدم القاريء من الوقوف على الاخبار الناقصة في تاريخ الدويهي كما مرّ .

الفصل الرابع

[ظهور القرامطة ، والمغاربة ، قتل حسن المنصور الحلاج ، وفاة الطبري المؤرخ المشهور ، حرق الكنائس ، طاهر القرطمي واستيلاؤه على الكوفة ومكة ، اغتيال المقتـــدر بالله ، تعذيب القاهر بالله ، خلافة الراضي بالله وظهور الحنابلة والاخشيديين ، قصـة البطريرك يوحنا مارون ، خلافة المتقي لله ، ظهور عساكر الروم في ديار بكر لاسترجاع المنديل المقدس ، دولة الاتراك وظهور توزون في بغداد، خلافة المستكفي بالله ، ثم المطيع لله ابو القاسم الفضل ، ظهور سيف الدولة وحروبه ضد الروم، وخلافة المعز لدين الله ، ثم وفاة الامير الاخشيدي وبعض الخلفاء السالف ذكرهم[1]]. واليك الآن ايها القاريء كلام الدويهي حرفياً دون زيادة البتة :

١ — خراب كنيسة . وفاة ملك الاندلس ، ظهور القرامطة :

سنة ثلاث مـاية يوم الاثنين (وعلى الهامش : سنة ٩١٢ مسيحية) ثالث شوال احترقت في الاسكندرية الكنيسة المعروفة بالقمشا ، وكانت اولاً هيكل للاصنام قد بنتها كلاوبطره .

١) هذه العناوين كما سبق التنبيه انما وضعناها لتنظيم الكتاب وحسن الفهم ليس الا .

وفي هذه السنة كانت وفاة ملك الاندلس عبدالله بن المنذر بن محمد بن عبدالرحمان بن الحكم الاموي . وبويع بالخلافة مدةً اخوه عبد الرحمان وتلقّب بالناصر لدين الله .

وسنة احدى وثلاثماية (= ٩١٣ م) قتل ابو سعيد القرطمي الذي سنة مايتين وستة وثمانين استبلا (= استولى) على هَجَر ، وكسر جيش المتضد بالله . فدخل الى الحمام ووثب عليه خادم له فقتله . وتولاّ امر القرامطة بعده ولده سعيد . فمسك سعيداً الخادم الذي قتل اباه واماته بقرض المقاريض .

٢ً – المغاربة وجيش المقتدر[١] : سنة تنتين وثلاث ماية قدم حباسه في عسكر من المغاربة الى الاسكندرية وجهّز المقتدر من بغداد عسكراً مع مؤنس الخادم لمحاربة المغاربة . فظفروا به وقتلوا من عسكر بغداد نحو سبعة آلاف ، والباقي دخلوا الاسكندرية .

٣ً – قتل حسن بن المنصور الحلاج : وسنة تسعة وثلاثة ماية (= ٩٢١ م ، على الهامش) للهجرة افتى الفقهاء بقتل حسن بن منصور الحلاّج بسبب انه قال : سبحان من اظهر ناسوته سر سناه لاهوته الناقب حتى بدا خلقه ظاهراً في صورة الاكل والشراب ، حتى لقد يعاينه خلقه كلحظة الحاجب للحاجب ، وامر المقتدر بقتله فصلب في بغداد .

٤ً – حرق كنيسة دمشق[٢] : وفي هذه السنة شط ، (اي تسع وثلاثمائة) أحرقوا المسلمون كنيسة مرتي (القديسة) مريم بدمشق ،

---

١) طالع حاشية " رقم ١٣ " في آخر هذا الكتاب .

٢) نقرأ هذا الكلام على الهامش . وانظر حاشية بخصوص الحلاج في آخر هذا الكتاب رقم ١٤ .

ونهبوا معها الأواني من ذهب وفضة ، ونحاس وآلات بحملة عظيمة ، وكانت كنيسة كبيرة حسنة ، ونهبوا دير النساء الذي بجانبها .

٥ – **وفاة المؤرخ الطبري** : وفي سنة عشرة وثلاثماية (اي في سنة ٩٢٢ م) كانت وفاة ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ، (وقد اسهبنا في الكلام عليه في الجزء الثاني من كتاب الدويهي الذي نحن بصدده ، ص ٤٩١) .

٦ – **الامير ابو الهيجاء بن حمدان** : سنة اثنته عشرة وثلاث ماية (اي ٩٢٤ مسيحية ، وعلى الهامش) الامير ابو الهيجا عبدالله بن حمدان والد سيف الدولة عامل الموصل وديار ربيعه وغيرهما مضى بالحاج الى المدينة ، ثم في الرجعة إلتقاهم ابو طاهر ابن ابي سعيد القرطمي بجيش كثير . وبعد قتال شديد فظفر بهم وقتل ونهب واسر اكثر النساء والاطفال ، وقيل انه اخذ من الاموال ما ينوف عن الف الف دينار ، ومن الطيب والزيت مثلها ، واسر ابا الهيجاء وجماعة من اصحاب المقتدر وغيرهم نحو الفين ومائتين وعشرين رجلاً ، ومن النساء خمسين امرأة ، وترك باقيــة الحاج بلا زاد ولا جمــال ، فمات اكثرهم بالعطش والجفا .

وكان ابو الطاهر قبل ذلك بسنة ، وهو ابن ثمانية عشر سنــة قصد البصرة (في بغداد) في الف وسبعماية مقاتــل ، فتولى عليها وقتل ونهب واحرق وسلب جميع ما وجد فيها من الاموال وغيرهم ، لموضع ذلك اشتدّت شوكته .

(ونقرأ على الهامش ايضاً ما يلي) : وفي نصف رجب من هذه السنة شيب (٣١٢) يوم السبت شلّت المسلمون كنائس اليعاقبة والنساطرة بدمشق .

٧ً – **ابو طاهر القرطمي ، والوزير عبدالله بن خاقان** : وفي سنة ثلاثة عشرة وثلاث مائة (ومقابل لها على الهامش سنة ٩٣٥ م) ، سار ابو طاهر القرطمي بغيري كثيرة الى الكوفة فنهب وقتل وسبى بشيء لم يحصر ، ونقلوا انه اخــــذ من الثياب الومي اربعة آلاف ثوب ومن الجمال ثلاثمائة رادية .

(ونقرأ على الهامش ما نصه) : وفي سنــة شيبح (اي ٣١٣) كتب الوزير عبدالله بن محمد بن خاقان الى بن عـــلي ابن عيسى وكان بمكة بان يسير الى مصر ويكشف احوالها . فدخل الفسطاط مستهل رجب ، وبعدما كشف احوال البلد والزم الرهبان والاساقفة والضعفاء باداء الجزيــة . ثم انهم استغاثوا على المقتدر بالله ببغداد . وكتب ان لا يؤخــذ من الرهبان والاساقفة والضعفاء جزية ، وان يجري على العهد الذي قرّره صاحب الدعوة .

وسنة اربعة عشر وثلاث مائة (على الهامش ايضاً) وصل الخبر الى مصر بقدوم العدو في الف قطعة مقاتلة ، واحضر النائب المهندسين واشاروا بسدّ الارمسيّة بين اسكندرية ودمياط ورشيد في ابرجة من خشب تزحف على بكر من حديد ، فــــلم يتركهم الهواء ، ثم وصل الخبر ان الريح كسر من مراكب العدو ما ينوف عن ثلاث مايــة قطعة ، وان رجع البقية الى بلادهم ، حينئذ كتب النائب بمصر الى الشام يستدعي الجيوش[١].

٨ً – **القرطمي يدخل الكوفة** : وسنة خمسة عشر وثلاث مائة (مقابلاً لها ٩٣٧ م) استولى القرطمي عـــلى الكوفة بعدما كسر عسكر المقتدر بالله ، وقتل خلقاً كثير ونهب واسر يوسف قائـد

---

١) هنا انتهى الكلام على الهامش .

العسكر . وفي سنة ستة عشر وثلاث مائـــة (= ٩٣٧) هجم القرطمي الى الكوفة ووضع السيف في اهلها . واما اهل قرقيسيا (فقد) طلبوا منه الامان فأمّنهم . ثم عاود الى بلده مدينة هَجَر، فعظم امره وكثرت باعه وتلقّب بالمهدي .

٩ً — القاهر بالله ابن المعتضد : وفي سنة سبعة عشر وثلاث ماية (اي ٩٣٨ على الهامش) دخل القرطمي يتقدمه مقدم الجيش دار الخلافة [وقال : الرأي ان تنصّب ولده ابا العباس فانه ولد عاقل فيه دين وكرم ووفاء بما يقول . فاعترض عليه اسحق النوبختي وقال اننا بعد الكد استرحنا من خليفة له ام وخالة وخدم يدبّرونه فنعود الآن الى تلك الحال، لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبّر نفسه ويدبرنا معاً... وذكر ابا منصور محمد بن المعتضد... فكان ذلك عليه وبالاً[١] لان القاهر قتل كما سيأتي ذكره . فأمر مؤنس باحضار محمد بن المعتضد بالله من الكوفة واقاموه ثاني يوم ولقّبوه بالقاهر بالله ، واستحجب وزيره واستوزر بدله ابو علي بن مقلة . ثم انه في اليوم الثالث اجتمع الجند واعادوا المقتدر للخلافة وكتبوا الى الآفاق بخلافته] .

١٠ً — القرطمي في مكة : وفي هـــذه السنة هجم ابو طاهر القرطمي مكة فقتل الحاج في المسجد الحرام... وقلع الحجر الاسود وقلع قبة زمزم ، ثم رجع الى هَجَر ، واما الحجر الاسود فبقي في ايديهم اثنين وعشرين سنة الا شهر ثم ردّوه .

١١ً — المقتدر وابو الهيجاء واغتيال المقتدر بالله : وفي سنـــة

١) هـذا الكلام استقرضناه من ابن العبري ، ص ٢٧٦ ، « مختصر الدول » لان مخطوطة الدريهي يستحيل هنا قراءتها ، لطمس الحبر عليها . اقرأ في آخر هـذا الكتاب حاشية رقم ١٥ً عن هذا الخليفة وما دار حوله من مؤامرات .

ثمانية عشر وثلاث مائة ولّى المقتدر بالله ناصر الدولي بن ابي الهيجاء تدبير ديار بكر وآمد وميافرقين وقرّر عليه مالاً يحمله في كل سنة. (هذا الخليفة مات مذبوحاً وهو في المعركة اذ خانه قواده، ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه واخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة، الى ان مرّ به رجل من الاكرة فستره بحشيش، ثم حفر له في موضعه ودفن وعفا قبره. ولما حمل رأس المقتدر الى مؤنس الخادم بكى ولطم وجهه ورأسه وانفذ الى دار الخليفة من منعها من النهب) وكانت خلافة المقتدر خمساً وعشرين سنة، وعمره ثماني وثلاثين سنة[1].

وسنة عشرين وثلاث مائة بلغ المظفر مؤنس ان المقتدر قد دبّر على حبسه، فسار مع الجيش الى الموصل، فملكها ثم قصد بغداد، فخرج المقتدر الى قتاله، فانهزم المقتدر وقتـــل يوم الاربعا آخر شوال. وكانت خلافته اربعة وعشرين سنة واحد عشر شهر واربعة عشر يومـاً. واحتمل حروب كثيرة من القراطمة والديلمه والقاهر ومؤنس. وانحطّ عن الخلافـة مرتين، جملتها يومين وثلاثة ليالي. وكان كثير الصوم والصدقة، ونقش على خاتمه: الحمـــد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء.

وقال المؤرخ ان كان انقضاء مملكته لتتمة ثلاث مائة وتسعة عشر سنة وتسع شهور وثمانية وعشرين يومـاً للهجرة. ولتمام ست آلاف واربعمائة وعشرين لسنة واربعة وستين يوماً شمسية للعالم[2].

وبويع الخلافة القاهر بالله ابو المنصور محمد بن المعتضد ببغـداد

١) طالع ابن العبري، في الموضع المذكور، ص ٢٧٤.

٢) وعلى الهامش نقرأ هذه الارقام ٩٣١ م و ٦٤٢٠ وبعدها ٦٤٢٤ لادم ـ وهذه كلها تطابق السنة الهجرية المذكورة اعلاه.

ليلة بقيت من شوال من هـذه السنة . وهو الاربعون من الخلفاء ، والتاسع عشر من بني العباس .

١٢ً — **القاهر بالله يقبض على ام المقتدر ويعذّبها** . سنة احد وعشرين وثلاث ماية ، قبض القاهر على احمـــد بن ابيه المكتفي فأماته جوعاً . وعلى ام المقتدر واماتها عذاباً ، وضربها بعدما اقرت له بماية الف دينار وباعته ملكها ، وقبض على الامير علي بن بليق وعلى المظفر مؤنس فقتلهما .

وفيها (السنة المذكورة) توفي يكين الحريري امير مصر فولاها القاهر محمـــد بن طمج المعروف بالاخشيد ثم عزله وولاها محمـد بن كيخلك .

١٣ً — **تعذيب القاهر بالله** : سنة اثنين وعشرين وثلاث ماية ، هجم الجند على القاهر وسملوا عينيه وخلعوه من الخلافة يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاولى ، وكان يتوسل في الجامع قائـــلا : « ايهـا الناس تصدّقوا عليّ ، بالامس كنت خليفتـكم وانا اليوم من فقرائكم » . وقال المؤرخ : ان مدة خلافته سنة واحدة وستة اشهر وخمسة ايام . لتتمة واحد وعشرين وثلاث ماية سنة ، وماية وثلاثة وعشرين يوماً للهجرة . ولتمام ستة آلاف واربعمائة وخمســة وعشرين سنة ومايتين وثلاثة وثلاثين يوم شمسية للعالم[١] .

١٤ً — **خلافة الراضي بالله** : وفيهـا (السنة المذكورة) نهبت بغداد ، وبويع بالخلافـة الراضي بالله يوم الاربعاء لستٍ خلون من

١) وهنا نقرأ على الهامش الارقام التالية « D. 233 A. 6425 » ويزيد ابن العبري على قصة القاهر بالله قائلا : « اخذره وحبسوه وكانت خلافته عاماً واحداً وسبعة اشهر ، ثم عاش خاملا الى ان مات سنة ٣٣٨ هج . (ص ٢٨١) .

جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلاث ماية ، وهـــو ابو العباس احمد بن المقتدر ، بايعه القواد والناس . ومشا (ومشى) الراضي بالله فأطلق المحابيس واستوزر ابا علي بن مقلة . والراضي هـــو العشرون من العباسيين والحادي والاربعين من خلفاء المسلمين .

١٥ – **وفاة المهدي وما جرى في ايامه** : وفي هذه السنة كانت وفاة المهدي ابو محمد عبدالله الذي كان مولده بسلمية ، وقيل بالعراق سنة ٢٨٩ ، وكان يزعم انه بن ولدين ابي طالب . فدخل الى المغرب وملك افريقيا وصقلية ، وصارت له حروب مع بني تغلب واخرجوه سنة... وثلاث ماية ، وكان بدو الدولة الفاطمية . وفي هذه السنة كانت وفاته رابع عشر ربيع الاول ، وبويع الخلافة بعده ولده القائم بامر الله ابو عبدالله ، وكان ذلك في المهدية التي ابتناهـــا والده المهدي .

١٦ – **الحنابلة والاخشيد** : سنـة ثلاثة وعشرين وثلاث ماية سلم الامير ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان ميافرقين وديار بكر الى اخيه سيف الدولة ابو الحسن علي .

وفي هذه السنة عظم شأن الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً ، اراقوه عـــلى الارض ، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء[١] .

وفي هذه السنة تغلّب الاخشيد بن طغج على الشام ، ثم توجّه الى مصر في رمضان فدخلها وتغلّب عليها واجتمعت له مصر والشام.

وفيها (اي السنة المذكورة) ابو طاهر القرطمي صاحب هَجَر وثب على الحاج فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ونهبهم وعاد لارضه سالماً.

١) طالع مختصر الدول ، ص ٢٨٣ .

٦٧ – **الراضي وابو بكر محمد بن رائق وتقسيم الدولة** : سنة اربعة وعشرين وثلاث مائة فوّض الراضي بن المقتدر تدبير المملكة الى الامير محمد بن رائق ، فخلع عليه واعطاه امارة الجيش وجعله امير الامراء ، وولّاه الخراج والمعادن والدواوين ، في جميع البلاد ، وامر ان يُخطب له على جميع المنابر ، وبطلت الوزارة من تلك الوقت ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الامور ، بل كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الامور جميعها ، وكذالك كل من تولى امرة الامراء بعده . وصارت الاموال تُحمل الى خزائنهم فيتصرفون بها كما يريدون ، فكل شيء صار في يد الامراء المتغلبين ولم يبقا لوزارة بغداد الاّ الاسم فقط ، وثبت ذلك الى ان انقرضت دولة بني بويه والسلجوقية ببغداد فتولى ابو عبدالله واخوته على البصره وواسط والاهواز .

وتولا (وتوّلا) عماد الدولة بن بويه الديلمي ووسمكين على فارس ، وتولى القايم بن المهدي على المغرب وافريقيه ، وتغلب بنو اميّة على الاندلس ، ونصر بن احمد الساماني على خراسان ، وابو طاهر القرمطي على اليمامة وهَجَر والبحرين ، والديلم على جرجان وطربستان ، وبنو حمدان على ديار ربيعه والموصل وديار بكر ، والاخشيد محمد بن طفج على مصر والشام . ولم يبقا شيء للخليفة ، وابن رائق ، في بغداد ، ولا للوزارة وضعف ملكها ، وتعطلت بيوت المال ، وبطلت دواوين المملكة ، وصار الحكم كله بيد الاتراك المتغلبين ، وحملت الاموال الى خزائنهم كما قلنا ، وكثرت الحروب بينهم .

٦٨ – **الراضي يأمر بقطع يد ولسان الوزير** : سنة خمسة وعشرين وثلاث مائة أمر الراضي بالله بقطع يد ابي علي بن مقلة الوزير ولسانه بسبب انه كان يسعى بعزلة ابن رائق من الوزارة ،

وان يحكم بدله ، يقول بن حرير ، التركي (يحكم) . وكان بن مقلة يشك الخط العربي وهو الاول الذي نقل الخط الكوفي المولد بالطريقة العربية الكوفية ومعانيها ، وجاء بعده ابن البوّاب فزاد في تعريبه وبلغ الغاية فيه[1] .

ثم ان يحكم (يحكم) التركي قصد بغداد فخرج لمقابلته الوزير ابو بكر بن محمد بن رائق ، وكانت الهزيمة على ابن رائق فدخل يحكم التركي بغداد وخلع عليه الراضي وأسماه امير الامراء يحـكم محمد بن شيرزاد وقام بتدبير المملكة .

١٩ً — **حرق كنيسة القيامة** : وفي السنة المذكورة ثار المسلمون في بيت المقدس ودخلوا كنيسة القيامة واحرقوها واخربوها ونهبوا منها ما قدروا عليه .

٢٠ً – (وعلى الهامش نقرأ) **قصـة البطريرك يوحنا مارون** : وفي هذه السنة شكز (٣٢٧ سنة) نختبر من بعض تواريخ سريانية قديمة ان انتقل من انطاكية البطرك يوحنا وجاء الى جبل لبنان ، ثم انه قصد زيارة القدس الشريف والمواضع المقدسة ، فـلم تتركه المسلمين فضا (المسلمون فضى) الى يانوح ، وكانت يانوح من اشرف المجالس بجبة انيطرة واهلها كثيرين الغيرة والعبادة . فابتنوا دير مار جرجس كله من الحجر الازرق في غاية الصنمة والشرافة . وهو الى يومنا هذا باقي ولكن خالياً وقد اثروا دفوع شتّا الغير مؤمنين

---

١) ونقرأ ، في مختصر الدول ، ص ٢٨٤ بهذا الخصوص ما يلي : « في سنة ٣٢٦ كتب ابو علي بن مقلة الى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق واصحابه ويضمن انـــه يستخرج منهم ثلاثة آلاف الف الف دينار واشار عليه باقامة يحكم التركي مقـام ابن رائق وطلب ابن مقلة من الراضي بالله ان ينتقل ويقيم عنده بدار الخليفة فاذن له بذلك ... ودخل يحكم بغداد ولقي الراضي وقلده امرة الامراء مكان ابن رائق ... » .

ينقلوا احجاره فلم يتركهم الله . ثم ان البطرك يوحنا لما قرب أجله جمع جميع كهنة البلد واقام لهم بطركاً آخر باسمه من قرية دملصا.

٢٠ – **الراضي مع الامير يحكم ضد ناصر الدولة** : سنة سبعة وعشرين وثلاثماية خرج الراضي والامير يحكم التركي الى مقاتلة ناصر الدولة بن حمدان ، فاهزمهم حتى بلغوا نصيبين والموصل وآمد، ثم انهم صالحوه على ان يدفع خمسمائة الف دينار فرضي ناصر الدولة...

ثم ظهر ببغداد ابو بكر بن رائق ووقع الصلح... على ان يكون لابن رائق الفرات وقنسرين والعواصم .

وفيها (اي السنة) طلب أبو طاهر القرطمي من الحج خمسمائة وعشرين الف دينار ، وكان قد منعهم عن الحاج سنة تسعة عشر وثلاثمائة . .

٢١ – **الامير ابو بكر الاخشيد وغزواته** : سنة ثمانية وعشرين وثلاث ماية جمع الامير الاخشيد ابو بكر بن رائق الجيش ، فملك حمص ثم دمشق ، ثم الرملة حتى وصل الى عريش مصر . فخرج اليه الامير الأخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والشام وتراشقوا في نصف رمضان . فانهزم الاخشيد بن طغج واشتغل عسكر بن رائق في النهب فخرج عليهم كمين بن طغج عن غفلة ، فقتل منهم جماعة، وانهزم بن رائق بسبعين رجلاً وعادوا الى دمشق .

وفيها (اي السنة المذكورة) كانت الوقعة باللجون في ذي القعدة بين بن رائق وبين ابي النصر اخي الاخشيد ، وكانت الهزيمة على ابي النصر ، وقتل اكثر جماعته ، ثم وقع الصلح بين ابن رائق والاخشيد على ان تكون الرملة وبادية الشام لابن رائق ، وان تحمل اليه الاخشيد كل عام مئة الف واربعين الف دينار .

٢٢ – **هـدم كنيسة العذراء في عسقلان** : وفيها (اي السنة المذكورة) ثار المسلمون على كنيسة ستّنا مريم التي بعسقلان وتعرف بالخضراء ، فنهبوا جميع مـا فيها ثم هدموها ، وكان ذلك بمعضدة اليهود الذين بالبكرات كانوا يصعدون الحطاب لسقوفها حتى احترقت كلها ، وهرب عسقلان الى الرملة ، واقام بها الى ان مات .

وفيهـا (اي السنة نفسها) توفي بطرك الاسكندرية افتيشيوس المعروف بسعيد بن البطرك صاحب التاريخ في آخر رجب ، وكان مقامه في البطريركية سبع سنين ونصف ، وكان بينه وبـين شعبه شقاق عظيم حتى ان الاخشيد بن طفج ... كثير الكنائس ، في مدينة تينيس (= Tinis) . ووقبض على آلات الفضة والذهب الذين كانوا في الكنائس ، وكانوا كثار جداً ، ثم استرجعهم اسقف تينيس.

٢٣ – **وفاة الراضي ومدة خلافته** : سنة تسعة وعشرين وثلاثماية كانت وفاة الراضي بالله بالاستسقاء ، ليلة السبت اربعة عشر من ربيع الاول ، فكانت مـدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام ، وكان اديباً شاعراً سمحاً سخياً فصيح اللسان ، يحب محادثة الادباء والفضلاء والجلوس معهم . وكان سبب موته الاستسقاء وذلك بسبب كثرة النكاح ، وعمره وقتئذٍ اثنتين وثلاثين سنة وشهوراً ...

قال المؤرخ انه مات لتتمة ثلاثماية وثمانية وعشرين سنة وعشرة ايام للهجرة ، ولتمام ستة آلاف واربعمائة واثنين وثلاثين سنة ومماية وثلاثة عشر يوماً شمسية للعالم .

٢٤ – **خلافة المتقي بن المقتدر** : ولما مات الراضي اجتمـع المسلمون واتفقوا كلهم على ابي اسحق ابراهيم بن المقتدر بن المعتضد، وبايعوه ولقّبوه بالمتقي لله وسيّر الخلع واللواء الى بحكم التركي الى

واسط واقرّ سليمان على وزارته وليس له منها الا اسمها وانما التدبير كله كان الى الكوفي كاتب بجكم . والمتقي هو الثاني والاربعون من الخلفاء المسلمين والحادي والعشرون من بني العباس .

وفي هذه السنة خرج بجكم او يحكم الى الصيد فقتله رجل كردي لسبع بقين من رجب . وفوّض المقتفي (والاصح المتقى) . تدبير المملكة الى كوتلين (والصواب : كورتكين الديلمي) . ثم انه استدعا ابا بكر بن رائق من الشام الى بغداد وفوّض اليه تدبير المملكة[1].

وفي هذه السنة شاط (اي ٣٢٩) وقع الغلاء في مصر وبغداد، فلحق الناس شدائد عظيمة من الجوع ، وعدم الناس القوت جملة ، واكلت النخالة والحشايش . ثم لحقـه الوباء العظيم ، وكان المسلمون يدفنون كثيرين بقبر واحد من غير صلاة وغسل . فركض العقلاء والشماس حتى ابتاع ما قيمته دينار بدرهم واحد .

٣٥ ـ ابو عبدالله البريديّ والبريديّون في بغداد ، ثم ناصر الدولة:
سنـــة ثلاثون وثلاث مائة قصد البريديّون دار الخلافة في بغداد . وكان ابوهم اولاً صاحب البريد ، ثم تغلّب على البصره والاهواز ، ثم عـزم على الاستيلاء على بغـــداد فملكوها[2] وانهزم من قدامهم المكتفي ومعه ابن رايق الوزير وابو الحسن بن عــلي بن مقلة .

---

١) والاصح ما يلي كما جاء في مختصر الدول لابن العبري ص ٢٨٦ : « وخلع عليــه الخلع وقلّده امارة الامراء » . وبعد هـذا الكلام نقرأ على الهامش في المخطوطة مـا يأتي عن الغلاء كما في المتن .

٢) قال ابن العبري ص ٢٨٦ في الموضع المذكور بهذا الصدد ما يلي : « دخل عبدالله البريدي بغداد ... وانفذ الى المتقي لله يطلب منه ٥٠٠ الف دينار ليفرّقها عــلى الجند فامتنع عليه فارسل اليه يهدّده فانفذ المبلغ اليه ولكنه لم يؤثر الجند بالمال فشغبوا عليــه وحاربوه فهرب هو واخوه وابنه واصحابه الى واسط ... »

فخرج الى لقائم الى تكريت ابو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان. وحملهم اخـوه ابو محمد الحسن الى الموصل واهدى لهـم الالطاف والاموال والدواب ، وقـام لخدمة المكتفي احسن قيام ، فلقّب المكتفي بالله الحسن بناصر الدولة ، ولقّب اخاه بسيف الدولة .

وفيها (اي السنة المذكورة) جهّز ناصر الدولة اخـاه سيف الدولة ابو الحسن الى مقاتلة البريديّين ، فقاتلهم مقاتلةً شديدة وهزمهم وملك بغداد . ثم ان البريديّين جمعوا جماعتهم وهاجموا بغداد ، فخرج عليهم سيف الدولة وظفر بهم ، وقتل ونهب وأسر منهم ما ينيف عـن الفين من الجند ، وبعث رسالةً الى اخيـه ناصر الدولة يخبرهم بها بذلك . وبقية البريديّين انهزموا هزيمة قبيحة .

وفيها (السنة المذكورة) كان مقتل ابي بكر ابن رايق ففوّض المكتفي تدبير المملكة الى ناصر الدولة ، وبعد ما رجع لبغداد ازوج ولده المنصور لابنة ناصر الدولة على صداق قدره ماية الـف دينار وخمسمائة الـف درهم ، وصارت امور الخلافة كلها بحكم ناصر الدولة ابو محمد الحسن .

٢٦ – ظهور جيش الروم في ديار بكر لاسترجاع المنديل المقدس:

وسنة واحـدة وثلاثون وثلاث ماية هجم جيش الروم على ديار بكر فاخربوا واحرقوا وقتلوا ونهبوا واسروا خلقاً كثيراً ، ثم انهم ملكوا اشور ودارا ونصيبين وبلغوا الى الرها وطلبوا من المتقي لله المنديل المقدس الذي كان مسح به السيد المسيح وجهه وارسله الى الابجر ملك الرها ، وبدلوا لهم بذلك اطلاق جميع الاسرى المسلمين الذين هم بايديهم .

فاستفتى المتقي لله القضاة والفقهاء ، فانكر بعضهم تسليمها واجاب

بعضهم المكتفي قائلين : ان خلاص المسلمين من الاسر والضر والضنك الذي هم فيـــه اوجب وكانوا بكثرة في يد الروم . فامر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل . وبعث معهم من يتسلم الاسرى. فاطلق الروم الاسرى وحملوا المنديل الى القسطنطينية ودخلوا بـه اليها في اليوم الخامس من شهر آب . وخرج البطرك والملك والمطارنة والكهنة لاستقباله بالانجيل والمباخر والتراتيل فجعلوه في الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة اجيّا صوفيا .

٢٧ — دولة الاتراك ومنهم توزون امير الامراء في بغـــداد :
سنة ثنتين (اثنتين) وثلاثين وثلاثماية[١] عندما تمكن ناصر الدولة في نفقات الخلافة ، تنكروا له الاتراك (توزون الامير) ، وكانت بينه وبينهم مشقة عظيمة ، فرحل ناصر الدولة واخوه سيف الدولة من بغداد الى الموصل ، وسلّم امور المملكة الى بوزون الثاني وسمّاه امير الامراء وفوّض اليه تدبير المملكة .

وفي سنـة ثلاثة وثلاثين وثلاثماية وقعت الوحشة بين بوزون (التركي) وبـــين المكتفي (وهو المتقي لله) . وتنكروا الاتراك للمكتفي بسبب انه فوّض تدبير المملكة الى توزون الثاني امـــير الامراء ، فخرج من بغـداد وقصد الموصـل واستدعا بني حمدان ليصحبوه الى الموصل . [فخرج المتقي في حرمه واهـــله ووزيره وساروا الى الموصل واقام المتقي بها عند ابن حمدان ثم سار منهـا الى الرقّة ، وانفذ رسلاً الى بوزون في الصلح، فحلف توزون للخليفة والوزير ، وانحدر المتقي من الرقة في الفرات . فلما وصل الى هيت

١) ثار الاتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلاً فهرب من معسكره ، فلما بلغ الخبر اخاه ناصر الدولة سار الى الموصل وكانت امارتـه ١٣ شهراً وتولى توزون (ويروى توزون او بوزون) امارة الامراء ، نقلاً عن ابن العبري ، ص ٢٨٧ في مختصر الدول .

اقام بها وانفذ من يجدّد اليمين على بوزون ، فعاد وحلف وسار عن بغداد ليلتقي بالمتقي لله ، فالتقاه بالسندية ونزل وقبّل الارض وقال : ها انا قد وفيت بيميني والطاعة لك . ثم وكل به وبالوزير وبالجماعة[1] وانزلهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي ثم كحله فأذهب عينيه وعمي المتقي لله ، وانحدر بوزون الى بغداد في الغد والجماعة في قبضته] . فكانت خلافة المتقي ثلاثة سنين وستة اشهر .

وقال المؤرخ : وكانت انقضاء حياة المتقي لله يوم السبت لتتمة سنة ثلب (اي ٣٣٢ هج) وخمسين يوماً للهجرة ، ولتمام سنة ستة آلاف واربعمائة وستة وثلاثين سنة وخمسة واربعين يوماً شمسية للعالم . ربويع ابن عمه المستكفي بالله اخو القاسم عبدالله بن المكتفي وهو الرابع عشر من خلفاء المسلمين ، والثاني والعشرون من العباسيين[2] .

٢٨ – **المستكفي بالله وما جرى في ايامه** : وفي هذه السنة المذكورة سار الامير سيف الدولة بن حمدان الى حلب فملكها من بانس المؤنسي الذي كان متوليها من قبل الاخشيد بن طفج صاحب مصر والشام . وكان ذلك في ربيع الاول . ثم انه وثب على ابراهيم العقلي بن سرمين والمعرة بقرية تسمّى بداريج ، فنهب عياله وجميع من معه ، الا انه هرب بنفسه .

ثم ان سيف الدولة قصد حلب واستولى عليها ، ثم سار منها الى حمص بالجيش ، وكانت بيد نواب الاخشيد محمد بن طفج ، فاستولى عليها ايضاً . ثم سار الى دمشق ، فاستنجدوا اهلها بالاخشيد

١) اخذنا هذا الكلام عن مختصر ابن العبري ص ٢٨٨ لعدم تمكنا من قراءة المخطوطة التي طمسها الحبر ونخرها العث في هذا المقطع .

٢) وهنا تنتهي الصفحة الاولى من الورقة الخامسة عشرة من مخطوطة الدويهي التي بيدنا .

بن طغج صاحب مصر والشام . فجهّز لهم جيشاً عظيم من مصر ، وكان مقدم الجيش كافور الاخشيدي . فلما قارب كافور دمشق ، ذهب للقائه سيف الدولة . فخيّم كل واحد منهم قبال صاحبه للقتال.

ثم ان سيف الدولة لما جاء يوم الجمعة قال انه بهذا اليوم لم يصير قتال ، فاطلق جماعته لكي يذهبوا الى الضياع يأتوا بالعلوف لدوابهم . فبلغ ذلك كافور الاخشيدي وان معسكر سيف الدولة خلا من اكثر رجاله واصحابه . فجهّز عندئذ عسكر مصر وهجم عليه وهزمه هزمة قبيحة واستولى كافور على جميع اثقاله وامواله. ثم تبعه بالجيش الى حمص . فرحل سيف الدولة من حمص الى العاصي، فعبر النهر من جهة حماة وتبعه كافور الاخشيدي وقطع النهر عليه. ثم رجع سيف الدولة... عند معبر الرستان وقاتل كافور فانهزم كافور على الجسر وسقط من جماعته في العاصي خلق كثير وغرقوا... واسر منهم سيف الدولة نحو اربعة آلاف نفس واحتوى على جميع اثقاله وامواله .

ثم مضى كافور الاخشيدي منهزماً الى دمشق، واما سيف الدولة فعاد بعز مع جماعة الاسرى الى حلب . فلما بلغ الخبر للاخشيد في مصر ان ابن حمدان قد كسر العسكر وهزمه ، سار هو بمجموعه واتى الى الكوفة... فاختار الاخشيد من عسكره عشرة آلاف وسمّاهم الصابريّة وامر مقدمهم ان يطارد سيف الدولة ، وكانت في القتال الطبول تقرع والبوقات . فوقّع سيف الدولة على مقدمة الاخشيد مطاردته فظفر بهم واستولى على جماعة من قوادهم . فلما نظر ذلك الاخشيد دخل بالصابرية واستخلص قواده ، وحينئذ انفصل الفريقان . فعاد سيف الدولة الى حلب ومنها مضى الى منبج ، ثم قطع الجسر ودخل الجزيرة . واما الاخشيد فتوجّه الى

الرقة بالفرات[1] . ثم ان سيف الدولة عاد الى مقاتلته في الرقة ، ولم يكن بين الفريقين الا الفرات . ثم جرت بين الاخشيد وسيف الدولة جملة مراسلات آخرها ان يتزوج سيف الدولة اخت الاخشيد ويكون لسيف الدولة حلب وحمص وما بينهما ، ويكون من حمص الى اقصى العرب للاخشيد صاحب مصر والشام . فتقرّر الامر على ذلك ، ثم عاد الاخشيد الى مصر وسيف الدولة الى حلب . وكان بيد سيف الدولة ايضاً ميافرقين وديار بكر الذين انعم بهم عليه ابوه ناصر الدولة كما ذكرنا سنة ٣٣٣ هج.

٢٩ – **وفاة بوزون التركي وما جرى بعده** : وفي سنة اربعة وثلاثين وثلاث ماية توفي في آخر محرّم بوزون (توزون) في داره ببغداد . [فاجتمع الاجناد وعقدوا الرئاسة عليهم لزيرك بن شيرزاد وحلفوا له وحلف المستكفي ودخل اليه ابن شيرزاد وعاد مكرّماً يخاطب بامير الامراء] . وبعد مدة يسيرة سار احمد بن بويه الى بغداد فانهزم خوفاً منـه الاتراك الى الموصل . واختفى المكتفي (اي المستكفي) في بغداد وابن شيرزاد ايضاً[2].

ثم ان المكتفي ارسل له الطافاً وهدايا وخلع عليه خلع وطوّقه وسوّره وفوّض اليه تدبير المملكة وعقد له لواء (اي امير اللواء) ، وامر ان تضرب السكة باسمه ، وان يُخطب له من على المنابر ولقّبه معزّ الدولة ، ولقّب اخاه الاكبر الحسن ابا علي عماد الدولة ولقّبا

---

١) ان كلمة « الفرات » كتبناها حسب اصولها بالتاء الطويلة ، وهي في المخطوط مكتوبة ابداً بالتاء المربوطة ، ولذا وجب التنبيه مرّة واحدة .

٢) قال ابن العبري ص ٢٩٠ : « وكانت امارة ابن شيرزاد ثلاثة اشهر و ٢٠ يوماً وخلع المستكفي على معز الدولة ولقّبه ذلك اليوم معزّ الدولة . ولقّب اخاه علياً عماد الدولة ، ولقّب اخاه الحسن ركن الدولة ، وامر ان يضرب القابهم وكناهم على الدراهم والدنانير » .

كاهن الاوسط ، ولقّب اخـاه الحسن ركن الدولة . فكبر امرهم وكانوا سابقاً قد استولوا بنو بويه على بلاد فارس ثم على الاهواز والآن على بغداد .

ثم ان معـزّ الدولة وثب على المكتفي واعتقله وشمل (سمل) عينيه وخلعه ونهب دار الخلافة حتى لم يبقا فيها شيء ، وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الاخره . وكانت مدة خلافة المكتفي سنة واحدة واربعة اشهر ويومين . وانقضت خلافته لتمام ثلاثة مـــاية وثلاثة وثلاثين وخمسة اشهر وعشرين يومـــاً للهجرة ، ولتتمة ستة آلاف واربعماية وسبعــــة وثلاثين سنة وخمسة اشهر واربعة ايام[1] شمسية للعالم .

٣٠ ـ خلافة المطيع لله ابو القاسم الفضل ومعزّ الدولة : وبويع بالكوفه ابن عمه المطيع لله ابو القاسم الفضل بن المقتدر ، وهـــو الثالث والعشرين من خلفاء العباسيين ، والرابع والاربعين من خلفاء المسلمين . وفوّض تدبير المملكة الى معزّ الدولة احمد بن بويه الديلمي.

٣١ ـ الحرب بين معز الدولة وناصر الدولة بن حمدان : وفي هـذه السنة سار ناصر الدولة بن حمدان بالعسكر الي محاربة معزّ الدولة بن بويه ، فجرت بينهم حروب كثيرة آخرها ان دخل ناصر الدولة بغداد وملك منها الجانب الشرقي ، وملك معزّ الدولة الجانب الغربي . ثم تحاربوا معـــاً ، فانهزم ناصر الدولة وترك الامر لمعزّ الدولة وعاد لارضه .

---

١) ونقرأ على الهامش باللغة الفرنجية الارقام مع اسم الشهر واليوم والسنة هكذا : 333 H, 6437 A, 5 M, 4 D ومعنى الحروف هو التالي : H = الهجرة ، A = آدم ، M= الشهر ، D = اليوم ، وهكذا في كل مرة نقرأ هذه الحروف على الهوامش يكون معناها واحداً كما رأينا .

٣٢ – وفاة الاخشيد صاحب مصر وملك بعده ابنه حور :
وفيها (اي السنة المذكورة) لثمان بقين عن ذي الحجة توفي الامير الاخشيد ابو بكر بن طفج صاحب ديار مصر بدمشق ، وكان صاحب مصر والشام وذو شجاعة ويقظة في الحرب وتلقب بالاخشيد لان مخرجهُ من فرجانه ويسموا الفرجانيون جميع ملوكهم اخشيدية على شبه القياصرة بروميه والكباسرة (القباطرة) بالفرس . ويقال ان كانت عدة عسكره اربعماية الف مقاتل ومماليكه ثمانية آلاف . كل الف منهم يقدم يوماً وليلة ، ومع ذلك كله لم يكن ينام الليالي في موقع واحد ، بل ينتقل في الليل من مكان الى مكان ومن خيمة الى خيمة ، ولم يعلم بذلك احد ولا خدامه وكل ذلك خوفاً على نفسه . وبعد موته تولى الخلافة بعده ولده ابو حور محمد ، وقام بالملك وتدبيره مملوك ابيه كافور .

٣٣ – سيف الدولة في بلاد الروم : وفي سنة خمسة وثلاثين وثلاث ماية غزا الامير سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم وقاتل الدمستق قائد جيوش الروم فظفر بعسكره وقتل منه نحو من عشرين الف واسر نحواً من الفين واحرق وغنم ونهب سيف الدولة وعاود سالماً[1].

وفي سنة ستة وثلاثين وثلاث ماية سار سيف الدولة الى حصن

---

١) اما في تاريخ ابن العبري ص٢٩٢ فنقرأ ما يلي : « وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة سار سيف الدولة بن حمدان الى بلد الروم فلقيه الروم واقتتلوا ، فانهزم سيف الدولة واخذ الروم مرعش واوقعوا باهل طرسوس . وفي السنة التالية توالت على عماد الدولة الاسقام بمدينة شيراز واحس بالموت ولم يكن له ولد ، فانفذ الى اخيه ركن الدولة يطلب منه ان ينفذ اليه ابنه عضد الدولة فناخسرو ليجعله وليّ عهده ، وهكذا صار... » والله اعلم – طالع في آخر هذا الكتاب حاشية رقم ٤٢ .

برزيه وثبت الى دخـول سنة سبعة وثلاثين وثلاث ماية ففتح سور الحصن بالامان وهدمه .

وفيها (السنة المذكورة) ظهر بحلب وحمص رجل من **القراطمة** يقال له **المرتفع** فدّعى الى نفسه وتبعه قبايل من العرب ، ومسك على ابو اويل ابن عم سيف الدولة المتولي بحمص من قبل سيف الدولة وامره . فلما بلغ ذلك سيف الدولة سار من حلب اليـه ، فلقيه بنواحي دمشق وقتله وقتل جماعته واستنشد ابن عمـه ابو اويل ورجع بعشرة ايام الى حلب ومعه رأس المرتفع على رمح .

وفيها (ـ السنة المذكورة) قصـد الامير معزّ الدولة بن بويه الموصل ، فخرج اليه سيف الدولة بن حمدان ، ووقـع الصلح بينهما وعاد كل واحد لموضعه .

وفي سنة شلز (اي سنة ٣٣٧) خرج ناصر الدولة محمد وتقاتل مع الدمستق عند سورا ، وقتل من جماعة الدمستق نحو من اربعمائة رجل واسر خلقاً كثيراً .

٣٤ ـ حرب الملقاة بين الروم وسيف الدولة : وفي سنة ٣٢٩ كانت وقعة الملقات (اي الملاقات) . وذلك ان سيف الدولة غزا بلاد الروم وثبت مدة شهرين يقتل وينهب ويسبي ويحرق ، ثم جاء الخرسنة فتلاقا مـع الدمستق (قائد الروم) بن لاوون في موضع يقال له الملقات وراء خرسنة ، فظفر سيف الدولة بالروم وقتـل منهم نحو ثلاثين الف واسر من البطارقة نحواً من الفين .

وفيها (ـ السنة المذكورة) كانت وقعة المصّيصه ، وذلـك ان سيف الدولة بن حمدان سار في درب كيكرون ويسما درب مقتل الاظفار ، فمسك عليه الدمستق وتقاتلوا فيـه ، فهزم سيف الدولة

بنفر قليل، وقتل[1] الدمستق من جماعة سيف الدولة نحواً من خمسة آلاف واسر نحواً من ثلاثة آلاف، وخلص الباقي وكان الامر ليلا.

٣٥ — **وفـــاة المنصور بالله ابن المهدي وخلافة المعزّ لدين الله وحروب هذا الاخير**: سنة احد واربعون وثلاث ماية توفي المنصور بالله ابو طاهر اسمعيل بن المهدي صاحب القيروان في آخر شوال، وكانت مدة ملكه سبع سنين وستة عشر يوماً، وبويع بالخلافـــة بعده المعزّ لدين الله ابو تميم معبد، فطاعته القبايل حتى اخـذ فيما بعد خلافة مصر.

وفي سنة سبعة واربعين وثلاث ماية قصد الامير معزّ الدولة بن بويه مقاتلة ناصر الدولة بن حمدان، فاخذ معه ديار ربيعه جميعها، وهي الموصل والجزيرة ونصيبين وسنجــار والرحبة وراس العـــين والخابور، وانهزم ناصر الدولة الى حلب. ثم سنة شمح (=٣٤٨) صار الصلح بينهما، فعاد معزّ الدولة لبغداد وعاد ناصر الدولة لبلده.

٣٦ — **حرب الروم مع ابي فراس الحرث الحمداني**: وفي سنة ثمانية واربعين وثلاث ماية غــار ثاودوروس ابن اخت ملك الروم بالف فارس على منبج فصادفوا ابا فراس الحرث بن سعيد بن حمدان يتصيّد في سبعين فارس. فوثبوا عليهم، وقاتلهم ابو فراس الحمداني مقاتــلةً شديدة حتى ذلّ بالجراح فمسكوه واخذوه اســيراً الى القسطنطينية وثبت سبع سنين حتى استفكّه ابن عمه سيف الدولة.

(1) وجاء في تاريخ ابن العبري ما نصه ص ٢٩٣: وغزا سيف الدولة بلاد الروم وسبى وغنم واسر وبلغ الى خرشنة. ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق. فلما اراد الرجوع قال له من معه من اهل طرسوس: الراي ان لا تعود في الدرب الذي دخلت منه ولكن ان ترجع معنا في مسالك نحن نعرفها، فلم يقبل منهم وكان معجباً برأيه... وعاد في الدرب الذي دخل منه، فظفر الروم بـــه واستردوا كل ما معه من الغنائم ووضعوا السيف في اصحابه، فأتوا عليهم قتلا واسراً وتخلّص هو و ٣٠٠ رجل بعد جهد ومشقة ».

٣٧ – وفاة بن حور الساماني وتملك ابنه عبد الملك : وفي سنة تسعة واربعين وثلاثماية كانت وفاة الامير ابو حور ابن الاخشيد صاحب مصر فملكها بعده ابنه عبد الملك ، ولكن الامر كله كان بيد كافور[١] .

٣٨ – عود على بدء ، بشأن الحرب بين الروم وسيف الدولة : وفي سنة احدى وخمسين وثلاث ماية خرج من بلاد الروم الدمستق (القائد المعروف) بمايتي الف مقاتل الى اخذ حلب ، وكان من الجيوش ثلاثون الف بالجوامن[٢] وثلاثون طبّاع القوم ، ومعهم اربعة آلاف بغل عليهم حسك الحديد ، وكانوا هولاي حول عسكر الدمستق . وجرّد سيف الدولة العسكر وسيّره مع خادمه رجا وابقى معه جماعةً يسيرة . فجاء الدمستق في غير الطريق التي مضى فيه العسكر مع نجا وقدم الى حلب . فخرج اليه سيف الدولة وهو في جماعة قليلة وتقابلوا على جبل بانشوسا فانهزم سيف الدولة، ودخل الروم المدينة . ثم حاصر الروم حلب ثلاثة ايام وملكوها بالسيف ، وقتلوا كل من فيها واستولوا على اموال سيف الدين وذخائره ، واقاموا الحصار على القلعة ، فوصل الخبر الى طالع العسلي والى الشام من قبل الاخشيد ، فجمع عشرة آلاف مقاتل وقدم الى معضدة (مؤازرة) سيف الدولة ، فبلغ الروم ذلك ورجعوا عن حلب في اليوم الثامن من حصار القلعة ، وكان ذلك يوم الاربعاء مستهل ذي الحجة .

١) وهنا انتهت الصفحة الاولى من الورقة السابعة عشرة من المخطوط الدويهي .

٢) وجاء في مختصر الدول لابن العبري ص ٢٩٣ ، ان الدمستق نزل على عين زربة بجيوشه الجرارة وفتحها بالامان ، فدخلها ونادى بان يخرج جميع اهلها الى المسجد ومن تأخر في منزله قتل... فخرجوا مزدحمين فمات بالزحمة جماعات...» وكلمة الدمستق لاتينية من (Domesticus) ومعناها الخادم ولكن هنا هي لقب لقائد جيش الروم ، كما رأينا في الحاشية السابقة .

٣٩ً – مولى سيف الدولة ، نجلا ، وتمرده على مولاه : وفيها (اي السنة ٣٥١) كانت وفاة ابو الورد صاحب خلاط ، فتولاها بعـــده "نجلا" ، مولى سيف الدولة ، فعظم امره وعصى مولاه .
(وهنا على الهامش نقرأ هذا المقطع) :

سنة ٣٥٢ للهجرة مات قسطنطين ملك الروم في ٢٦ اذار سنة ارعـــد (اي ١٢٧٤ للاسكندر التي توافق سنة ٩٦٤ للميلاد) . وجلس بعده في الملك باسيل وقسطنطين . وسنة ثلاثـــة وخمسين وثلاثماية (٣٥٣) للهجرة نازل نجلا (والاصح نقـلا) ميامرقين ليأخذها من مولاه سيف الدين ، ويعطيها لمعزّ الدولة بن بويه . واذ هو محاصراً لهـا انـ واحداً من اقرباء ابي الورد دخل بـلاد كرد وهلكه . فرحل عن ميافرقين ودفع قريب ابي الورد من بلاد كرد ونهب عسكره .

٤٠ً – استيلاء الروم على المصيّصه : [وفي السنة المذكورة تملّك الروم عليهم نيقيفور الدمستق وجعلوا شخصاً يسمّى شمشقيق[1] دمستقاً له] . وفيهـا حاصر الدمستق المصيّصة فجأتها النجدة من مسلمين طرسوس . واذ لم يمكن للدمستق دخول المصيّصه ، حارب الذين اتوا من طرسوس ، فقتل منهم نحو خمسة آلاف رجل ، وقتل من الروم ايضاً خلق كثير .

وسنة اربعة وخمسين وثلاث ماية (٣٥٤) للهجرة عاد الدمستق الى محاصرة المصيصة فلكها عنوةً وقتل من قتـل وامر الباقي من

---

١) وهذا لقب ليوحنا الاول ملك الروم والكلمة ارمنية معناها قصير القامة ، ويوحنا هـــذا قتل نيقيفور واستبدّ بالملك بعده وكان مظفراً في الحروب ، وهو اول من ضرب السكك بهذا الرسم المقدس : يسوع ملك الملوك (طالع ابن العبري ، ص ٢٩٤ حيث يقول « ان الروم فتحوا مصيّصة وطرسوس » كما سنرى .

اهلها، ثم قصد طرطوس فتسلّمها في الأمان . وفيها (السنة المذكورة) قتل سيف الدولة بن حمدان نفلا الذي كان قد عصى وتسلّم خلاط.

٤١ً – **كافور يتولى الحكم في مصر بعد الاخشيد** : وسنة خمسة وخمسين وثلاثماية توفي الامير علـــي بن الاخشيد صاحب والشام وفوّض تدبير المملكة الى كافور . وكان كافور عبداً شديد السواد قــد اشتراه الاخشيد بثماني عشر دينار . فملّكه الله الديار المصرية والشامية ومدحته الشعراء، وطاعته العباد ولم يوالِ ملكاً حتى مات.

٤٢ً – **وفاة سيف الدولة ثم معز الدولة ثم كافور** : وسنة ستة وخمسين وثلاث ماية (٣٥٦) توفي الامير سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب في آخر صفر يوم الخميس ودفن في ميافرقين، وملك حلب مدة ٢٣ سنة ، وكان ملكاً شجاعاً عالماً محباً للعلماء وكثير الاحسان والعدل . وتولى حلب بعــده ولده الامير شريف وتلقب باسم سعد الدولة .

وفيها (السنة المذكورة) توفي ايضاً الامــير معزّ الدولة بن بويه الديلمي العراقي بعد واحد وعشرين سنة واشهر، وتوّلى بعده ولده عز الدين وكان اسمه الاصلي بختار . وكان الامير معزّ الدولة ملكاً شجاعاً قوي القلب صلب النفس، وفي طول مــدة الحكم والسعادة ما انتزعت اخلاقه ابداً .

٤٣ً – **وفاة كافور الاخشيدي صاحب مصر** : وفي سنة ثمانية وخمسين وثلاث ماية (٣٥٨ هج) كانت وفـــاة كافور الاخشيدي صاحب مصر، وعقد الامر بعده لعلي بن محمد بن الامير وكان خليفته الحسين بن عبدالله بن طفج والوزير اخو الفضل جعفر بن المديون . وكان عمر الامير بن محمد احد عشر سنة .

الفصل الخامس

صاحب القيروان المعزّ لدين الله ، وما جرى له في مصر ودمشق وبغداد مع المسلمين والاتراك والروم الخ

١ً – جوهر غلام المعزّ لدين الله يقيم الدعوة لمولاه في مصر:
وفي هذه السنة (اي ٣٥٨ هج) دخل جوهر غلام المعزّ بالجيش الى مصر في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان فبايع الناس له . اما جوهر فلفّظ خطبة بني العباس واسمهم من على المنابر في الديار المصرية . وعوّض عن ذلك باسم مولاه المعز لدين الله صاحب القيروان وازال عن الخطباء السفار الاسود وألبسهم الثياب البيض . وفي يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان اقيمت الدعوة للمعزّ وبطلت دعوة المطيع[١] والعباسيين .

٢ً – المعزّ لدين الله يدخل القاهرة ويأمر ببنائها سنة ٣٦٢ هج:
وكتب جوهر الى المعزّ يعلمه بذلك جميعه ، وقيل ان الحسين بن

---

١) جاء في مختصر الدول ص ٢٩٧ ان المطيع خلع نفسه بسبب انه لحقه فالج وثقل لسانه وتعذّرت الحركة عليه ، فسلّم الخلافة الى ولده الطائع واسمه ابو الفضل عبدالكريم ، وذلك في سنة ٣٦٢ للهجرة ، وفيها خُطب للمعز لدين الله العلوي بمكة والمدينة في الموسم وفي مصر ، وكان ذلك كله بفضل سبكتكين التركي كما سنري في السنين اللاحقة .

طفج صاحب مصر كاتب المعز لدين الله بالتوجه الى مصر ليكون معضّداً له ، وانسه يتخذه بشبه الوالد له ، (وهنا انتهت الصفحة الاولى من الورقة المزدوجة ١٨) .

[وقال ابن العبري ص ٢٩٤ ما نصه بهذا الخصوص : وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة سار المعز لدين الله العلوي صاحب بـــلاد المغرب من افريقية يريـــد الديار المصرية ، فاقـــام قريباً من مدينة قيروان ولحقه رجاله وعمّاله واهل بيته وجميع ما كان له في قصره من الاموال والامتعـــة حتى ان الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين ، وحمّل كل طاحونتين على جمل ، ثم سار حتى وصل الى الاسكندرية . واتاه اهـــل مصر واعيانهـــا فلقيهم واكرمهم واحسن اليهم وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنـــة ٣٦٢ وملك الديار المصرية بلا ضرب ولا طعن][1] .

وفي هـــذه السنة (٣٦٢) للهجرة بنـــا (بنى) المعز لدين الله القاهرة ، وامر الامراء والاغنياء ان يبني كل واحـــد منهم داراً لسكنته ، واستقر الملك للمعزّ بالله . وقيل انه سمّى القاهرة ، لانه تعمّرت في طالع المريخ[2] وهو قاهر الفلك ، وكان بدو البنيان في عشرة رمضان .

٣ـ – حرب الروم في العراق وانكسارهم : وفيها (اي السنة المذكورة) حاصر الروم نصيبين وملكوها وملكوا ديار ربيعة وقتلوا ونهبوا واسروا خلقاً كثير . ثم ان جوهر عز الدولة بن بوية هجم

---

١) نقلنا هـــذا المقطع عن ابن العبري لان المخطوطة الدويهية في هـــذا الموضع مطموسة بالحبر ومن الصعب قراءتها تماماً والكلام عند الاثنين واحدٌ بالتقريب .

٢) نقرأ بين السطور هـــذه الكلمات اللاتينية التي تشرح طالع المريخ والقاهر وهي : Coactrax, herascopos وغيرها .

بجيش عظيم على موالاة الروم فظفروا بهـــم ، وقتلوا خلقاً كثيراً واسروا كذلك . ومن جملة الاسرى كان الدمستق . فلم يطول لانه مات في جمادى الاخره سنة شسج (اي سنة ٣٦٣ للهجرة) .

(ويوضّح ابن العبري هـذا المقطع هكذا ص ٢٩٥) : « سار الدمستق الى آمد وبها هزار مرد غلام ابي الهيجاء بن حمدان فكتب هذا الى ابي تغلب يستصرخه ويستنجده . فسيّر اليه اخاه هبة الله بن ناصر الدولة فاجتمعا على حرب الدمستق ، وسارا اليه فالتقياه سلخ رمضان وكان الدمستق في كثرة ولقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل والروم على غـير اهبة الحرب فانهزموا . واخذ المسلمون الدمستق اسيراً ولم يزل محبوساً الى ان مرض سنة ٣٦٣ ، فبالغ ابو تغلب في علاجه فلم ينفعه ذلك ومات » .

٤ً – سبكتكين التركي في بغـــداد ودمشق : تغلّب سبكتكين التركي احد حجّاب معزّ الدولة بن بويه على بغداد ، في سنة ثلاثة وستين وثلاثةماية ، واخذها (بغداد) من عزّ الدولة بن استاذه معزّ الدولة واستولى على امرها ، وكانت الاتراك والسنّة من حزبه ، واما الشيعة والديلم من حزب عز الدولة ، وكانت حروب شتّى بين الفريقين ، آخرها ان فيها ظهر اصحاب سبكتكين على بغداد.

فلما رأى ذلك الخليفة المطيع لله خلع نفسه من الخلافة (كما رأينا في الحاشية) طائعاً ، وسلمها لولده عبدالكريم ولقّبه بالطائع لله ، وهو صحمه (اي الخامس والاربعون) مـــن الملوك الاسلامية والرابع والعشرون من الخلفاء العباسين . وقال المؤرخ انه انقطعت خلافة المطيع لتمام ثلاث ماية واثنتين وستين سنة وثلاثة عشر يوم للهجرة ، ولتتمة سنة ستة آلاف واربع ماية وخمسة وستين سنـة

واحــد عشر شهر واثنين وعشرين يوم للعالم شمسية[1] . وفي سنة اربعة وستين وثلاثماية لحق سبكتكين عارض فمات لسبع بقـين من محرّم ، وكانت مدة ولايته شهرين وثلاثة عشر يوم . فاجتمع الاتراك وعقدوا الامر لافتكين الشرابي الذي كان خادم معزّ الدولة بن بويه. فسار افتكين بالجيوش الى مقـاتلة عزّ الدولة ، وثبت مـدة خمسين يوما محاصراً واسط ، فاستنجد عزّ الدولة بابن عمه عضد الدولة بن بوية ، وفي عدة الدولة ابي تغلب ، وبعد حرب شديد انهزم الاتراك ، ودخل عز الدولة الى بغداد وملكها .

واما افتكين لما انهزم ، قدم الى دمشق بثلاثماية غلام من الاتراك ، وكانت دمشق في يــد العياريين وهم يحكون بأهلها . فلمـا اقبل افتكين الى دمشق اجتمع أكابرها الى افتكين وسألوه (ان) يتقلد امرها ، فرفع عنهم يد العياريين وتقلد امر دمشق واحسن السيرة .

٥ّ — شمسق ملك الروم يهاجم افتكين : وفي هذه السنة (٣٦٤ هج.) ســـار شمسق[2] ملك الروم الى الشام ففتح حمص وبعلبك وتوجّه الى دمشق ، فخرج الى لقائه افتكين الشرابي ، فكفّ عنها وصار الى صيدا فصالحوه اهلها على مال يحمله . ثم اقبل شمسق الى طرابلوس فقام على حرب اهلها نحو اربعين يوم ، فدسّا اليه باسيل وقسطنطين ولديّ رومانوس ملك الروم سمـــاً في شراب ، فمرض ورحل بالعسكر عن طرابلوس الى انطاكية ، فحاصرها وقطـــع اشجارها . وعندما قوي عليه المرض استخلف على حصار انطاكية

---

١) وكانت مدة خلافة المطيع لله تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر .

٢) ويقال له شمشقيق (ي Zimiscès) الرومي ، وهي كلمة ارمنية ، ومعناها قصير القامة ، كما ذكرنا سابقاً .

البرجي[1] البطريق ومضى ثمسق الى القسطنطينية ، فمات بعد قليل. واما البرجي ففتح انطاكية . وكانت وفاة ثمسق ملك الروم يوم الثلاثة حادي عشر كانون الثاني سنة الف ومايتين وسبع وثمانين للاسكندر الموافق لسبع خلون من جمادي الاول سنة خمسة وستين وثلاثماية للهجرة .

وبعد وفاة ثمسق ، استقرّ ملك الروم بين باسيل بن رومانوس ملك الروم ، وكان عمره ثمانيـة عشر سنة . وصّى عليـه اخوه قسطنطين واجتمع اليه خلق كثير من السنّة والارمن والمسيحيين، فملك ملطيه وجيرتها وظفر بعسكر اخيه في الكابادوك . فعظم امر قسطنطين ، وامر قائد جيوشه السقلارس البطريق ، فتولى السقلارس على الثغور وبلد الشرق ، وارسل عبدالله المنتصر من بطارقة ملطية الى تدبير امور انطاكية .

واما اهل انطاكية فكانوا ميّالين الى طاعة الملك باسيل وارسلوا يطلبوا منه اغابيوس الذي كان اسقفاً بحلب ليكون بطركاً عليهم. فارسل الملك اغابيوس بزي راهب الى عند عبدالله المنتصر ليستميله الى طاعته . فاستمال عبدالله الى طاعة الملك ، فقطع اسم السقلارس (Sélerus) واقام الدعوة في انطاكية لباسيل الملك . وصيّر اغابيوس بطركاً على انطاكية .

٦ً — **وفاة اول الخلفاء العلويين في مصر :** وفي سنـــة خمس وستين وثلاثماية للهجرة ، توفي المعزّ لدين الله صاحب مصر (العلوي) في احد عشر ربيع الاول ، وكانت مدة ملكه بمصر ثلاث سنين، وبويع ولـده العزيز ابو المنصور ، واقــام بامره جوهر مولى المعز

١) نقرأ على الهامش الكلمة اللاتينية هذه : Zimisca, Burtza .

السالف الذكر[١] . وقالوا عن المعزّ انه كان مفتون بعلم الفلك والنجوم ، وانه حضر لعنده منجم واعلمه ان عليه قطعاً فاشار عليه (ان) يتوارى بسرداب تحت الارض . فتوارى مدة سنة كاملة تحت الارض . فلما طالت غيبته ، ظنّ المغاربة انه رفع في الغمامة ، وكانوا اذا أبصروا غمامةً نزل الفارس منهم الى الارض ويسلّموا عليه قائلين : « السلام عليك يا امير المؤمنين » ظناً ان المعزّ في الغمامة . وبعدما خرج المعزّ من السرداب بمدة يسيرة توفي ، (انتهت الصفحة الاولى من الورقة الثامنة عشرة) .

٧ً – **الحرب بين عز الدولة وعضد الدولة** : سنة ستة وستين وثلاث ماية جرت حروب كثيرة بين عضد الدولة وابن عمه عزّ الدولة صاحب بغداد ، آخرها ان رحل عز الدولة من بغداد ، واستولى عليها عضد الدولة ، وخلع عليه الخليفة الخلع السلطانية وقبض على وزيره ابي طاهر فقتله وصلبه . وبعد ذلك قطل (قتل) ايضاً عز الدولة في شهر شوال ، وكانت مدة امره احد عشر سنة .

٨ً – **الحرب بين قواد ملك الروم برداس وسقلارس** : سنة سبع وستين وثلاث ماية باسيل ملك الروم احضر برداس الفقّاس (وعلى الهامش : Bardas Phocas) ، بن لاوون اخا نقفور وكان له سبع سنين في الجزيرة منفياً ، وجعله دمستقاً وقائد الجيوش . فسار الدمستق الى مقاتلة السقلارس والتقيا الفريقان لعشر خلون من ذي الحجة وقتل خلق كثير من الفريقين ، وكانت الهزيمة على على بردس الفقاس .

---

١) وفي السنة التالية (اي ٣٦٦ هج.) توفي ركن الدولة ابو علي الحسن بن بويه واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة ، وفيها مات منصور بن نوح صاحب خرسان وولى بعده ابنه نوح ايضاً وكان عمره ١٣ سنة ويكنّى بابي القاسم... (راجع ابن العبري في الموضع نفسه ، ص ٢٩٨) .

حينئذٍ أرسل السقلارس بهرام الى انطاكية ليستميل اهلها الى طاعته . فلم اجابوه الى ذلك . فحاصر بهرام انطاكية حصاراً شديداً ، واذ لم ينال غرضه ، نهب القرى الذين في ظاهر انطاكية واخذ اموالهم وسايقتهم ورحل عنها .

٩ ـ عضد الدولة وانتصاراته المتعددة : سنة ثمان وستين وثلاث مائة ملك عضد الدولة بويه الموصل اولاً ثم ديار ربيعه ومبافرقين وديار بكر[1] . وامـا عز الدولة ابو تغلب هرب الى مصر ، وامر الخليفة الطائع لله ان يخطب الملك عضد الدولة ببغداد ، وفي خطبة الجمعة . وان يضرب بذلك اسمه وتقال الصلوات الخمس . وان يتلو من على المنابر بشاه نشاه[2] الاعظم ملك الملوك ، ولم يتقدم شيء من هؤلاء لاحد قبله ولا لمولاه المعز لدين الله ، وهو الاول من خوطب بالملك في الاسلام .

[وارسل عضد الدولة اخويه : فخر الدولة ومؤيد الدولة يدعوهما الى طاعته وموافقته كما سنرى . وشرع عضد الدولة في عمارة بغداد وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها وعمّر مساجدها واسواقها ، وادّر الاموال على العلماء والقراء والغرباء والضعفاء والذين يأوون الى المساجد ، وجدّد ما دثر من الانهار واعاد حفرها

١) يقول ابن العبري عن عضد الدولة انه كان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة ، كثير الاصابة شديد الهيبة ، بعيد الهمة ثاقب الرأي وعباً للفضائل واهلها ، وباذلاً في مواطن العطاء ، ومانعاً في اماكن الحزم وناظراً في عواقب الامور (ص ٣٠٠ من مختصر الدول).

٢) وهو عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويه ، وكان اذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول : « معلمي في الكواكب واماكنها عبد الرحمن الصوفي المشهور ، وفي حل الزيج الشريف ابن الاعلم ، وفي النحو ابو علي الفارسي ، وتوفي سنة ٣٧٦ وكان عمره ٨٥ سنة ، (راجع ابن العبري ، ص ٣٠٤) .

وتسويتها . وقال ابن الاثير انه اذن للوزير نصر بن هرون وكان نصرانياً في عمارة البيع والاديرة واطلاق الاموال لفقرائهم][1] .

٦٠ – الحرب سجال بين باسيل وقسطنطين ملوك الروم : وفيها (اي السنة المذكورة) استنجد السقلارس بعضد الدولة على الملك باسيل ، وارسل له هدايا والطافاً ، وعضَدَ عضد الدولة طائفة من عسكره نجدة للسقلارس . ولكن قبل ان تصل النجدة ، التقى بدراس الفقاس مع عسكر الملك باسيل والسقلارس مع عسكر قسطنطين ، وتقاتلا يوم الاحد لثمان بقين من شعبان من هذه السنة (٣٦٨ هج.) ، وكانت الكسيرة على السقلارس فانهزم الى ميافرقين.

ثم ان عضد الدولة أوجز الى نائبه بميافرقين ، وامره سراً ان يحيط الى السقلارس ويحمله الى بغداد . فقبض نائب ميافرقين على القائد السقلارس وعلى ولده رومانوس وكل من كانوا معه وارسلهم ايضاً الى بغداد . فاعتقله عضد الدولة وكتب الى ملك الروم يخبره بامرهم وان يسلمه اياه (اي السقلارس) اذا ردّ له جميع الحصون التي افتتحها الروم من المسلمين (وهنا انتهت الصفحة الثانية من الورقة التاسعة عشرة) ، والا يخرجه متعافياً ، وان يمده بالعساكر والاموال .

فارسل ملك الروم حينئذٍ هدايا جليلة الى عضد الدولة وسيّرهم مع نقفور الكاتب ليتفق معه على ما يرضيه . ولما وصل نقفور اعلم السقلارس عضد الدولة ان نقفور جاب معه سماً ليسمّم عضد الدولة به . فقبض عضد الدولة على نقفور ومن معه ولكن عضد الدولة اعتلّ ومات . وثبت الجماعة في الاعتقال مدة ثمان سنين .

١) هذا الكلام الذي وضعناه بين هلالين هو لابن الاثير في الكامل ولابن العبري في مختصر الدول ص ٢٩٨ ، ولذا وجب التنبيه .

وبعد وفاة عضد الدولة تخلّف ولده صمصام الدولة وملك على بغداد ، فأتاه الطائع لله معزياً – وكانت ولاية عضد الدولة بالعراق خمس سنين ونصف . وكان عمره لما مات في الثامن من شوال ، سبعاً واربعين سنة .

١١ – العزيز بن المعز لله صاحب مصر وحرب افتكين : وفي هذه السنة جهّز العزيز صاحب مصر الجيش مع جوهر الغلام وقام الى اقتتال أفتكين الشرابي صاحب دمشق ، فشبت الحرب بين الفريقين مدة شهرين ، ثم استدعا افتكين الى حسن ابن احمد القرطمي . فلما قدم الى نجدته ، هزم جوهر الى طبريه . فتعاقد افتكين والقرطمي ونازلا طبريه ، فانهزم جوهر ايضاً من طبريه الى الرمله ، وارسل يطلب الامان من افتكين . فأجابه افتكين الى ذلك ولكن بشرط ان يعلق سيفه ورمح القرطمي ويخرج جوهر ومن معه من تحتها . فقبل ذلك جوهر وعاد الى مصر . فجمع حينئذ العزيز بن المعز الجيوش وخرج بهم من مصر الى الشام ، والتقى الجمعان في الرملة وتقاتلا ، فكانت الكسيرة على افتكين . فمسكه عندئذ العزيز صاحب مصر وولاه حجبته وعاد الى مصر .

١٢ – شرف الدولة يستولي على بغداد : سنة خمسة وسبعين وثلاث مايـة خرج شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة الى مقاتلة اخيه صمصام الدولة . فاستولى على الاهواز ومنها الى واسط والبصره ، واسر صمصام وحبس وسمل عينيه في بعض القلاع التي بفارس ، واستقرّ ملكا على بغداد . ولم تطل الايام حتى مات شرف الدولة مستسقياً ، وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية اشهر وكان عمره (سنة ٣٧٩ هج.) ثمانية وعشرين سنة . وولي الامر

بعده اخوه بهاء الدولة ابو نصر . واما ابنه ابو علي فكان قد سيّره الى بلاد فارس واصحبه بالخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك.

١٣ – **بدروس الفقّاس يهاجم ابا الفضائل** : وفي هذه السنة يقول جرجس بن العميد ان امتنع سعيد الدولة ابو الفضائل عن حمل المال الذي قرّره عليه الروم في كل سنة . فسار بدروس الفقّاس الى داره وقاتلها وفتحها بالسيف وسبى اهلها في شهر صفر من هذه السنة (٣٧٥ هج.) ثم نزل الى افامية وحاصرها .

وسار سعيد الدولة الى دير سمعان في عمل انطاكية ، فحاصره الفقّاس في ثلاثة ايام وفتحه بالسيف يوم الاربعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ٣٧٥ للهجرة ، وقتل جماعةً من الرهبان المقيمين فيه ، وكان ديراً عامراً ، وسبى خلقاً كانوا فيه قد التجوا عليه من بلاد انطاكية ، ودخل بهم الى حلب اسرى . واتصل بالملك باسيل بما جرى على دير سمعان ، وكتب الى بدراس الفقّاس بالانصراف عن افامية ثم خلعه من الدمستقية ، وجعله دوقس على المشرق وولاه انطاكية . فصنع بدروس الفقاس الهدنة مع سعيد الدولة ابن حمدان على ان يحمل الى الملك في كل سنة اربعة آلاف درهم ، (وهنا انتهت الصفحة الاولى من الورقة العشرين) .

١٤ – **انكسار الفقّاس وانتصار الملك باسيل الرومي وزواج اخته من ملك الروس** : وسنة ستة وسبعين وثلاث ماية هج. أطلق صمصام الدولة السقلارس وابنه وجماعته من الحبس ونجده بالرجال والسلاح ، وفي شوال وصلوا الى ملطيه وقبض السقلارس على كليب البطريق الذي كان باسليق (Basilicus) على ملطية وعلى امواله وبوشه (حيواناته) وكسوته . فعظم امره ودعى لنفسه بالملك .

واجتمع اليه من الارمن والعرب العقيليين والنمريين وجمع كثير ، وارسل له نبار الكردي صاحب ديار بكر عسكراً كثيراً ، ففزع منه الملك باسيل .

وفي ذي الحجة اشار بدراس الفقاس الى الدمستقية ورسم له ان يلتقي بالعساكر السقلارس . فكاتب الفقاس للسقلارس بالاتفاق على باسيل الملك واخذ مملكته ، وتعاهدوا على سنة شعز (اي عام ٣٧٧ هج.) كون مدينة القسطنطينية للفقاس . وجميع البلاد معبران للسقلارس . فاجتمعا الاثنان وتعاهدوا على ذلك مرة ، وفي المرة الثانية قبض الفقاس على السقلارس واعتقله . وفي جمادى الآخرة دعى لنفسه بالملك، وملك سائر بلاد الروم الى البر واستفحل امره. فاضطرب من ذلك باسيل الملك اضطراباً عظيم ، وكانت قد نفدت امواله وفرغت ، فالتزم يلتمس المعذرة والعون من ملك الروس ، وكان ملك الروس عدواً وغير مؤمن ، فأجابه الى ذلك بل طلب منه المصاهرة اي ان يزوّجه اخته . فارسل باسيل مطارنة الى ملك الروس فنصّروه (اي جعلوه مسيحياً نصرانياً) ولجميع بلاده، وصار الوفق والعهد بين الفريقين في الامانة والمساعدة (والمصاهرة).

حينئذ توجّه ملك الروس بجميع عساكره الى خدمة ملك الروم، وتوجهوا معاً الى لقاء الفقاس براً وبحراً . وفي ثالث المحرّم سنة شعط (اي سنة ٣٧٩ هج.) قبضوا على الفقاس فقتلوه ونصبوا رأسه في القسطنطينية واستولى باسيل على جميع مملكته .

ولما بلغ ذلك الي زوجة الفقاس اطلقت سبيل السقلارس واجتمع اليه جميع خواص الفقاس وتوابعه ، ولبس الخف الاحمر ، ودعى لنفسه بالملك . ثم انه كتب الي قسطنطين اخي الملك باسيل

انــه يصلح امره عند اخيه فيعود الي طاعته ، فاجابه الي ذلـك . وفي مستهل رجب خلـع نفسه واحضره قسطنطين على اخيه الملك ووطى بساطه وعفى عن ذنبه وجعله قربلاطا[1].

١٥ – وقوع زلازل وحدوث عواصف في مصر والشام الخ :

سنـة ثمان وسبعين وثلاث ماية ، ليلة السبت السابع والعشرون من ذي الحجة ، صار رعد شديد وعواصف لم تزل الي الليل ، في مصر وسواها . وسودي (وساد) المدينة سواد عظـيم لم يرى مثـله الي وجه الصبح ، فخرج من السماء كعامود نار ، فاحمرّت منه الدنيا احمراراً شديد ، وظهر في الجو جبار عظيم ثبت الي الساعة الرابعة بعد الظهر من النهار ، وتغـيّر لون الشمس الي يوم الخميس ، كما يذكر جرجس ابن العميد .

وفي سنة تسعة وسبعين وثلاث ماية ليلة الاحـد والعشرون من ربيـع الآخر ظهر في المغرب كوكب بذنب ، وثبت عشرين يوماً يظهر كل ليلة .

وفيها (= السنة المذكورة) حدث بالقسطنطينية زلازل عظيمة ، فوقع ثلاث كنائس : اجيا صوفيا . . . وخسفت دور كثيرة في نيقومديه .

وفيها توفي شرف الدولة وقام بعده اخوه بهاء الدولة [كما رأينا اعلاه] .

وسنة احده (احدى) وثمانين وثلاث ماية ، ليلة السبت السابع

١) ونقرأ الكلمة باللاتينية بعدها هكذا: Cyropolath وهنا تنتهي الورقة العشرون من المخطوطة التي بيدنا الآن .

عشر من محرّم حدثت زلزلة عظيمة بدمشق ، سقط فيها نحو الف دار ، وخسفت في تلك الليلة قرية من قرى بعلبك ، ومات خلق عظيم تحت الردم ، ولم تظل (تزل) الزلازل متتابعة الي الرابع عشر من صفر نهار الجمعة ، وخرج الناس من دورهم الى الصحارى.

١٦ – **خلافة القادر ثم وفاة سعد الدولة** : [لما قُبض على الطائع ، ذكر بهاء الدولة من يصلح للخليفة ، واتفقوا على القادر بالله ابي العباس احمد بن اسحق المقتدر وكان بالبطيحة .. فبويع له يوم حادي عشر من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثماية][1].

وفي هذه السنة (٣٨١) كانت وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بالقولنج ، وذلك في الخامس وعشرين سنة من ملكه ، وانتقل الملك بحلب بعده ولده سعيد الدولة ابو الفضائل. ولان سعيداً كان صغيراً ، صارت الامور جميعها الى لؤلؤ الخراجي.

١٧ – **الجيش المصري في حلب** : فلما بلغ العزيز بالله صاحب مصر ارسل جيشاً كثيفاً لقتاله ، فقدموا المصريون الى حلب وحاربوها ، فاستنجد لؤلؤ بملك الروم فنجده بجمع كبير ، فتواقعوا الفريقين وانتصر منجوبكين مقدم المصريين من الروم وقتلوا منهم خلقاً كثير . وبعدما طال مقام المصريين على حلب ، قلّت عليهم العلوفة ، وانصرفوا عنها .

فلما بلغ انصرافهم الي العزيز صاحب مصر غضب غضباً شديداً وامرهم بالعودة الى حلب فرجعوا واقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً ، وبنـوا في ظاهرها الحمامات والفنادق والاسواق . فاستنجد لؤلؤ

---

١) هذا المقطع اخذناه من تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، لعدم وجوده في مخطوطة الدويهي التي نحن بصددها ، ص ٣٠٩ فيلزم الانتباه .

بملك الروم وحرّضه على نصرته ، ودفع المصريين بسبب ان حلب هي دهليز بلاد الروم ، ومتى اخذت حلب اخذت بلاد الروم . فقدم ملك الروم في عدد لا يحصى ، وخرج اليه ابو الفضائل فاكرمه وحمل اليه من الالطاف والهدايا والتحف شيئاً كثيراً . اما منجوبكين مقدم المصريين فانهزم بالعسكر ورحل الى دمشق . (انتهت الصفحة ٢١ الاولى).

فلما ورد خبر ذلك الى العزيز صاحب مصر تجهّز وخرج بالعساكر الى بلبيس . وفي مدينة بلبيس عرض الصلح عليه ، ومات فيها سنة ستة وثمانين وثلاث مايةⁱ⁽¹⁾ ، واتخلف بعده ولده الحاكم بامر الله منصور ، وهو الثالث من الملوك الفواطم بالديار المصرية . وكانت مدة الملك العزيز احد وعشرين سنة وستة اشهر وخمسة عشر يوم ، وبويع بالخلافة ولده منصور يوم الثلاثاء وهو الثامن وعشرين من شهر رمضان وتلقب بالحاكم بامر الله ، المنتقم بسيف الله من اعداء الله.

١٨ً — بهاء الدولة يخلع الطاعة لصاحب مصر كما ذكرنا تحت رقم ١٦ : وفيها (اي السنة المذكورة) وثب الملك بهاء الدولة ، وخلع الطاعة من الملك العزيز وتسلّم سنّة الامر الى القادر ابو الفضائل احمد ابن اسحق بن المقتدر ، لاحدى عشر ليلة خلت من شهر رمضان ، وهو السادس والاربعون من الخلفاء ، والخامس والعشرون من العباسيين .

وقال المؤرخ ان مدة خلافة الطائع سبعة عشر سنة وتسع اشهر وستة ايام لتتمة ثلاثماية وثمانين سنة وسبعة اشهر وتسعة عشر يوم للهجرة ، ولتمام ستة آلاف واربعمائة وثلاث وثمانين سنة وشهرين وثلاثة ايام للعالم شمسية .

---

١) توفي العزيز بالله العلوي صاحب مصر وعمره اثنتن واربعون سنة وثمانية اشهر بمدينة بلبيس ، وكان العزيز يحب العفو ويستعمله (انظر ابن العبري ، ص ٣١٠) .

١٩ – الحاكم بامر الله ملك مصر في حمص من جديد : وفيها (اي السنة المذكورة) بعد وفاة العزيز بالله ملك مصر ، دخل ملك مصر الجديد (الحاكم بامر الله بن العزيز) حمص ، ففتحها ونهبها وقتل وسبى . ثم اتى الى طرابلس فأقام عليها نحو اربعين يوماً ، فلم يقدر عليها فرجع عندئذ الى بلاده .

٢٠ – الحاكم المغربي يتولى دمشق الشام : وفي سنة تسعين وثلاث مائة (٣٩٠ هج.) ولي دمشق الحاكم الامير ابو الفتح حسن الكتامي المغربي ، وكان جباراً سفاكاً للدماء ، فاهلكه الله بالجزام.

٢١ – وفاة ابي الفضائل : وسنة احد وتسعين وثلاث مائة توفي ابو الفضائل بن سعد الدولة صاحب حلب ، وخلف ولدين فاخرجهما لؤلؤ ومضيا الى مصر واستقرّ الملك الى لؤلؤ الخارجي ولولده منصور . ثبت لؤلؤ ثمان سنين وتوفي ، فملك بعده ولده مرتضى الدولة ابو نصر من مصر .

٢٢ – ولاية كتكين في دمشق : سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة ولي الحكم صاحب مصر على دمشق كتكين... ولكنه اخذ اموال الناس وظلمهم فعزله الحاكم وولّا بدله طرمله بن بكارا، ففعل اقبح من الاول فعزله واعاد كتكين الى ولاية دمشق وكان الحاكم جواداً بالمال ولكن سفاكاً لليهود[1]....

---

١) هنا انتهت ورقة ٢١ من المخطوطة ، وبدأت الصفحة الاولى من ورقة ٢٢ ، حيث تقرأ على الهامش بعض كلمات وارقام تاريخية متقطعة هي التالية : « ١ هج ية = ١٠٤٢ ، تنو = ٤٥٦ للهجرة المستنصر بالله ، خليفة مصر ، سار على اللاذقية وطمع النصارى في بيت المقدس ، انظر في آخر الكتاب المسودة » .

الفصل السادس

في الحروب الصليبية[1]

١ – **حرب الافضل الجمالي وسقمان كربوغا في القدس** : سنة تسعة وثمانين واربعمائة للهجرة ، الموافقة لسنة الف وخمسة وتسعين مسيحية ، سار الافضل بن امير الجيوش الجمالي الى القدس ، وفيها سكمان (او سقمان) بن ارتُق ، فحاصرها ونصب عليها المناجنيق وقاتلهم اربعين يوماً . ثم طلبوا منــــه الامان فأمّنهم وفتحوا له الباب وخرّج سكمان من باب آخر ومضى الى الرها .

٢ – **حرب الفرنجـــة والعرب لتحرير الارض المقدسة** : وفي هذه السنة المذكورة كان جالساً على كرسي رومية اوربانوس الثاني (١٠٨٨ – ١٠٩٩) فجمع مجمع في موضع يقال له كلارمونت، بسبب

---

١) هنا يقفز علامتنا الدويهي من سنة ثلاثماية واثنتين وتسعين هج. الى اربعمائة وتسعة وثمانين هج، راضعاً بعدها ما يوافقها بالتواريخ المسيحية، الامر الذي لم يكن قبلاً متمسكاً به ، كما سنرى في الفصول التابعة .

اما الخلفاء الذين تخطى علامتنا الدويهي عليهم في هــذه الفترة من الزمن فهم بعد القادر بن اسحق المقتدر ، الخليفة القائم بالله سنة ٤٢٢ هج ، والمقتدي بامر الله سنة ٤٦٧ هج، والمستظهر بالله سنة ٤٨٧ هج. (راجع عنهم ابن العبري في كتابه « مختصر تاريخ الدول » ص ٣١٨ – ٣٤١) . وهنا يبدأ كتاب الدويهي الذي نشره الاب توتل اليسوعي ١٩٥٠ .

استفكاك بلاد القدس وارض الميعاد من يد الاسلام . فطاعه الى ذلك قوم لم يحصى لهم عـــدد من بلاد فرنسا ، ومن النمسا وغيرهما من عال ودون . فوضعوا اشارة الصليب على اكتافهم قاصدين السفر .

وسنة الستة وتسعين بعد الالف كان الفرنج في السفر . فشتّى البعض منهم في بلدانهم ، والبعض قصد البلغر ، والبعض وصلوا الى القسطنطينية . وقصد الفرنج طريق القسطنطينية بسبب انه اسهل واقرب عليهم من غــيره . لكن احتملوا اهانةً عظيمة من مشقة البلدان الغريبة ، ومن اهوية الازمنة ، ومن العطش والجوع ، ومـن محسدة قوم الاشرار حتى ان قبل مـا يبلغوا بلاد الاسلام ، هلـك منهم ما ينوف عن ثلاثين الف رجـل ، وكثيرون قصدوا الرجوع الى مواطنهم .

واما المتكلمين على العساكر الفرنجة وقوادهم فكانوا اوغون اخو ملك فرنسا فيليفوس الاول ، وجوفريد أمير لورينه ، واخوه بَلدوين ، وبواموند مقدّم طارَنت ، وروبرتوس امير فلندرا ، وادمار اسقف فوجوس ، ورايموندوس أمـــير تولوصا ، وروبرتوس امـير نورمنديا والحبيس بطرس من بلـد فرنسا الذي حرّك اولاً هـــذا السفر . فالمذكورون قـــادوا الجيوش في دروب مختلفة واجتازوا معهم الى القسطنطينية الى عند هاليكوس الذي كان متقلد سلطنة الروم . فاستقبلهم في فرح وبشاشة .

فالملك المذكور ولو انه ما كان خالي من المكر والدجل ، فمـا اظهر لهم الاّ محبة وطيبان الخاطر واعطاهم هدايا جزيلة من الذهب والجواهر والاقمشة كثيرة الثمن ، وصار العهد بينه وبين الفرنج ان مهما استملكوا من بـــلاد الروم قبل دخولهم الى الشامات الخمس يكون لهم ، واما الضياع والمدن فتكون له .

٣ – **الفرنجة في انطاكية** : سنة سبعة وتسعين ربانية بعـــد الالف ، الموافقة لسنة اربعمائة وواحـــدة وتسعين للهجرة ، تودّع الفرنج من ملك الروم ، وكان عدده ينوف عن ست كرات مشاة. والركاب كرّة واحدة ، حال دخولهم بلاد البثينيه خرج الى لقاهم من الاسلام سليمان سلطان الروم الذي استخدم التركمان وجيش كثير. فحاصر الفرنج اولاً مدينة نيقية حيث صار مجمع الآباء الثلاث ماية وثمانية عشر ، وفي العاشر من شهر حزيران استملكوها .

فانهزم من قدامهم السلطان سليمان هزيمةً قبيحة ، ونهب الفرنج المدينة وبرها وسبوا وقتلوا جمعاً كثير من جمعه اي ان السلطان سليمان جمع نحو ماية وخمسين الف ركاب فاستفرد عسكر الفرنج وهم مقسومين وغير مستعدين ونزل عليهم بغتةً وقتل منهم في القيس (بالسهام) مقتلةً كبيرة . بعد ذلك تجمعت الفرنج وضَربوا حوقته فكسروه وقتلوا جمعه واضعفوه وغنموا جميع امتعته ، وكانت الوقيعة في الاول مـــن شهر تموز . ومن هناك سارت عساكر الفرنج الى جهة انطاكية . وامـــا تنكريد المركيس اخذ معه جماعته وسبق العسكر . فتملك طرسوس المدينة وبلاد قيليقيه باسرها . وكذلك بلدوين أخو جوفريد توجّه بقومه الى بـين النهرين فاستمال البــه النصارى الذين كانوا في الرها وقتلوا حاكمهم وسلموه المدينة وشميشاط وصورورجه ، فقوي عزمه واستكمل امره في تلك البلدان . وامـا عسكر الفرنج فقد وصل نهر الفرات والعاصي وقطعوها بامان حتى وصلوا الى مدينة الله انطاكية . وهذه المدينة...[1].

١) هنـا مقطوع الكلام ، وباق من المخطوطة بياضاً نصف الصفحة ، اعني ما يقرب من عشرين سطر فقط ما عدا المكتوب منها وقدره ٢٠ سطراً تماماً، وبهذا انتهت الورقة المزدوجة الثانية والعشرون من الكتاب. طالع فصلاً في تاريخ ابن العبري ص ٣٤١ حيث يذكر ان المصريين تملكوا بيت المقدس قبل الافرنج اي في سنة ٤٨٩ هج.

وفي شهر تشرين الاول أحاطت عساكر الفرنج بمدينة انطاكية واشتدّ عليها الحصار بشدة تسع شهور ، وكان صاحبها يومئذ باجي سنان . فلما سمع هذا بقدوم الفرنج اخرج النصارى من المدينة لئلا يعملوا بها كما عملوا نصارى الرها بحاكمهم ومدينتهم ، ونهب اموالهم وكنائسهم وامتعتهم ، وارسل استنجد في اهل حلب وحماه وحمص وغيرهم .

٤ – **معركة ضارية في قلب المدينة انطاكية :** سنة ثمانية وتسعين مسيحية بعد الالف الموافقة لسنة اربعمائة واثنين وتسعين للهجرة ، اجتمعت عساكر المسلمين الى قلعـة حارين لينجدوا اهل انطاكية ، وكان عددهم نحو ثمانية وعشرين الف فارس ، فصعد اليهم الفرنج ليلاً وفي سبعة خلت من شهر شباط عند طلوع الضوء ، فكبسوا المسلمين وشتّتوا شملهم وقتلوا منهم نحو الفين نفس ، وغنموا بمالهم وخيلهم ، واخذوا منهم خمسمائة راس من القتلى فعلقوها على الرماح قبال اهل انطاكية ، فازدادوا خوفاً ورعبة .

واما الفرنج فعندما استطولوا مدة الحصار ، وكلّت قلوبهم من قلة المئه (المياه) وجور الشتويه ، أيسوا (يئسوا) من اخـــذ المدينة ، فهرب كثير من العسكر وسافروا في البحر . وقتل منهم المسلمون الذين كانوا يخرجوا من المدينة ويسلبوهم ، وازدادوا خوفـاً (من المسلمين) بسبب قدوم الجيوش الموصولية ، فان انطاكية كانت يومئذ تحت طاعة سلطان بغداد ، وارسل لهم كربوغا (او كربوقا) صاحب الموصل حتى ينجد المسلمين اهل انطاكية . فنزل كربوغا صاحب الموصل في مرج دابق ، واجتمع بهـــا عساكر الشام عربها وتركها ، وقدم اليها ايضاً سليمان صاحب نيقية بجيش الروم وصاروا جمعاً كبيراً جداً .

وكان الفرنج في شدة عظيمة من الجوع والعطش والعازة وفي خوف شديد من النجدة . ولكنّ الله نظر اليهم بعين الرحمة ، وذلك ان واحداً مقدم على برج من ابراج المدينة ، وقيل انه كان نصرانياً، كاتب لبيومند الفرنساوي في المحبة واوعده في تسليم البرج ليلاً . فجمع بيومند قواد العسكر واظهر لهم السر المخفي الذي كان بينه وبين صاحب البرج ، ففرحوا بذلك الخبر ، وعاهدوا بيومند ان مدينة انطاكية تكون له وحده اذا صحّ معهم هذا الامر . وعندما دنا الليل ، طلع بيومند من كوة الى البرج المذكور وأدخل العسكر حتى ملكوه وملكوا جميع ما كان بقربه .

وعند السحر ضربوا بالبوق وعلّقوا راياتهم على البرج في الثالث عشر من شهر حزيران وتملكوا قهراً المدينة وجميع ما فيها . وكان فرح عظيم على الفرنج وحزن وزل على اهل انطاكية (هنا انتهت صفحة ٢٣ الاولى) . واما باجي سنان فلما نظر الفرنج قد دخلوا المدينة هرب بثلاثين فارس الى حماه وترك اهله وحريمه ، ثم ندم باجي سنان على ذلك وتأسف اذ لم يقاتل ، عن حريمه حتى قتل وغارت قوّته ولم يستطع ان يثبت على الفرس، فتركه اصحابه ونجوا.

فجاً ارمني واحتزّ رأسه وجابه الى الفرنج . وكان الفرنج في شدة عظيمة من الجوع ، لانهم وجدوا المدينة من المغل والمؤونة . ولكن بين قليل وصلت اليهم المراكب البحريه في المغل ، وارسل لهم بلدوينوس صاحب الرها ايضاً من المؤونة بعض الشيء ونصارة (نصارى) البر ايضاً . فشكروا الله وحمدوه . واما كربوقا صاحب الموصل لما بلغه الخبر وهو في مرج دابق ، ارسل قوم من العسكر تسبقه الى انطاكية . ثم في اليوم الثالث وصل هو ايضاً بجيشه الى انطاكية وشدّ الحصار على الفرنج ومنع عنهم الطريق براً وبحراً ،

فصاروا في شدةٍ عظيمة حتى انهم اكلوا الدواب والجيفات المايتة ، وهلك كثير من الدواب وهرب قوم من الفرنج في البحر[1].

ثم تضمحلت قواتهم حتى في اليوم الثالث عشر من دخولهم الى المدينة ، اتّفقوا على الخروج لمقاتلة كربوغا . فانقسموا اثنتا عشرة قسمة ، وعندما اعترفوا وتناولوا جسد الرب والقوا رجاهم عليه ، خرجوا من المدينة ليقاتلوا العدو ، وخاونوه (اي وقاتلوه) من الغد الى المساء فكسروا المسلمين وقتلوا جوعهم واهزموا الباقين وكبسوا جميع ما كان معهم ، وكانت الوقيعة في كج (= ٢٣) من شهر حزيران ، وانهزم كربوغا حتى قطع الفراة (الفرات) .

وبعد هذه النصرة صار ان عرض الوباء على الفرنج ، وكانت كل يوم تخرج منهم نحو اربعين جنازة . وطالت مدته نحو ثلاث سنين . فبلغ عدد الموتى الى اربعين الف . ولاجل الوباء ، إلتزموا يبطلوا السفر عن القدس . لكن سلام الله ان بايام الحصار قيل انه تباين اندراوس الرسول الى واحد من العسكر ، ويدعا بطرس ، ثلاث دفعات ، وقال له ان في كنيسة مار بطرس الرسول كانت مطمورة في موضع فلان الحربة التي بها انطعن جانب الرب ، وانه يفتّش عليها باجتهاد . فاظهر بطرس تلك الرؤيا على فوجوس الاسقف (هنا انتهت ورقة ٢٣) .

وحفروا عليها (اي الحربة) واخرجوها بفرح عظيم . فابتهجت قلوب الجميع بذلك الكنز كثير الثمن وعاهدوا الله انهم ما يفارقوا بعضهم بعضاً حتى ان قدّرهم الله يملكوا بيت المقدس .

---

١) وهنا نلاحظ سبعة اسطر مشطوبا عليها بالحبر الاسود الذي كتب بـه المخطوط نفسه ، ولم نطالع بدلاً عنها على الهامش شيئاً .

وفي مدة وقوف الفرنج في انطاكية ، استملكوا البيره وساموا لهـــا اسقف . اي انتقلوا الى معرة النعمان وكانت مدينة قوية ، وأهلها شديدين البأس ، فحاصرهم الفرنج ثلاث ايام ، وفي سحر اليوم الرابع ، دخلوها ولم يجدوا فيها احداً لانهم كانوا قد اختفوا في المغر (جمع مغارة) تحت الارض ، فعملوا عليهم الدخان وملكوهم وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف واسروا كثيرين وتولوا على ارزاقهم .

وسنة تسعة وتسعين بعد الالف مسيحية همّ قواد العساكر بالمسيرة الى جهة بيت المقدس . فالبعض قصدوا طريق البحر فملكوا جبلة وترتوس ، واستفكّوا الاسرى الذين كانوا في اللاذقية . وآخرون ساروا في البر . واجتمع الفريقان في ارض عرقه ، وقيل ان عرقه وإرواد تسمّوا كذلك على اسامي ولاد كنعان ولد حام . وعيّدوا الفرنج عيد الكبير في سبعة خلت من نيسان بارض عرقه ، وثبت الحصار على المدينة انوف (اكثر) من شهرين .

ثم ان صاحب طرابلس أرسل لهم خمسة عشر الف دينار غير الخيل والبغال والاقمشة والهدايا بدل عن طرابلس وعرقه وجبيل ، وارسل معهم ناس تكفيهم من الميرة وترشدهم في الطريق من غير تنكيد على احد . ونزل عندهم ناس كثيرين بهدايا من نصارى لبنان وجبل سير يتأهلوا بقدومهم وكانوا من اهل الذكاء والفراسة كما يذكر غليلموس اهل صور(1) .

٥ ـ المسلمون يخرّبون هيكل مار جرجس في اللد قبل وصول الصليبيين : وصـــل العسكر بامان الى قيسارية سطراتون التي هي

١) وهنا نقرأ على الهامش الكتاب السابع من المجلد الاول والفصل الحادي والعشرين من تاريخ هذا الاسقف اللاتيني على صور ، باللغة اللاتينية طبعاً .

رأس بلد فلسطين الثاني ، وهناك عيّدوا النصارى . ثم انتقلوا الى الله ، فوجدوا ان المسلمين كانوا قـــد أخربوا هيكل مار جرجس الذي كان ابتناه يوستنيانوس ملك الروم لئلا الفرنج تجمل خشبه منجنيقات ، وتملكوا الرملة في الأمان . فان اهلها لما سمعوا وشاهدوا قوة الفرنج اخلوها وهربوا .

واما صاحب بيت المقدس الذي كان من خليفة مصر ، (فقد) جمع العساكر وشيّد المدينة بآلات الحرب والميّة (اي المياه) ورمرم اسوارها ، ورفع المظالم عن اهلهـــا وجعلهم على النصارى ، فوزّع عليهم اربعة عشر الف (انتهت الصفحة الاولى من الورقة الرابعة والعشرين) ، وبعدما نهبوا دورهم وكنائسهم طردوهم خارج المدينة لئلا يغدروا باهلها وبالفقراء والعاجزين منهم ، والزموهم في الشقاء والسخرة.

في سبعـة من حزيران نزل العسكر حول المدينة . ويقول بن الحريري ان كان مع الفرنج الف الف مقاتل ، وامـا اسقف صور فيقول ان جملة عددهم كان اربعين الف (من) رجال ونساء ، وان المقاتلين كانوا عشرين الف راجل والف وخمساية فارس والباقي نزاح وضعفاء . واما عدد المسلمين الذين كانوا داخل المدينة يقـال انهم كانوا نحو اربعين الف مقاتل . فتأمل الفرنج جيداً سور المدينة ، وفي اليوم الخامس من وصولهم رادوا يكبسون السور فما امكنهم لعدم (وجود) السلالم وآلات الحصار ، فكفّوا عنـــه وفي مدة شهرين ولفوا برجين من الخشب (لكي) يطلعوا على سور المدينة ، وعملوا منجنيقات وعرادات وما كان يحتاج اليه .

ثم في ليلة الخامس عشر من تموز زحفوا بالبرج الواحد مـــن ناحية الوادي بين باب العامود وباب سباط وهو برج الزاوية ، ونصبوا

الآخر بباب صهيون والصقوهما في السور . فأحرقوا المسلمين البرج الذي بباب صهيون وقتلوا من فيه . وحكم الفرنج على البلد من البرج الذي بباب العامود وبباب سباط . وبعد قتال شديد هجم الفرنج على المسلمين وحكموا عليهم ونزلوا البلد . فانهزم المسلمين وهربوا الى الاقصى والصخرة واحتموا بها فهجموا بهم . فحكى أنهم قتلوا من المسلمين في الحرم مائة الف ، وسبوا مثلهم ، وقتلوا الشيوخ والعجائز ، وسبوا النساء واخذوا قناديل الحرم نيّف واربعين قنديل فضة ، وثلاث آلاف وستماية درهم ، واخذوا تنور من فضة اربعين رطل شامي ، ونيف وعشرين قنديل ذهب ، واخذوا من الاموال ما لا يحصى كما يقول ابن الحريري في تواريخه . ولم يزل بيت المقدس في يد المسلمين اربعمائة وستة وثلاثين سنة منذ فتحه عمرو ابن الخطاب في سنة ستة عشرة للهجرة ، الى هذه السنة . وثبت في يد الفرنج ثمانية وثمانين سنة الى ان استنقذه منهم الملك صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اقفز (اي وسنة ١١٨٧ مسيحية) .

٦ ـ وصول جيوش الافضل المصري الى بيت المقدس وعسقلان :

واما الافضل ابن امير الجيوش ، فلما بلغه حصار بيت المقدس ، سار من مصر في عشرين الف (مقاتل) وجدّ في السير فوصل ثاني يوم ، وتجمعت اليه من الشام والعربان انوف من عشرة الاف (رجل) فقصد الفرنج (انتهت هنا ورقة ٢٤ من المخطوطة) ، فولاها هارباً الى عسقلان ، فتبعوه الفرنج وقتلوا من اصحابه خلقاً كثير ، واحرق الفرنج ما حول عسقلان وقطعوا اشجارها وعادوا الى القدس .

ويذكر ابن الحريري ان هرب من دمشق خلقاً كثير وان يقال ان الفرنج لما ملكوا القدس جمعوا اليهود الى كنيستهم واحرقوها

عليهم . وكان استيلان (اي استيلاء) الفرنج على بيت المقدس في يوم الجمعة ثاني وعشرين شعبان وهو السادس عشر من تموز .

٧ً – اقامة جوفريد ملكاً على القدس : واجتمعوا امراء الفرنج واقاموا جوفريد ملكاً على بيت المقدس ، وكان بطلاً شجيعاً اهلاً لهذه الكرامة ولم يضع على رأسه تاجاً اكراماً للرب الذي بتلك المدينة البسوه اكليلاً من الشوك . ثم ان الملك جوفريد اكرم لتنكراد عظيم الفرسان ووهبه مينة (ميناء) يافا وما يليها وايضاً طبريه التي فوق بحيرة جناشر وكل بلاد الجليل . فرتّب امورهم وابتنى جملة كنائس في الناصرة وطبريه وسير وتور طابور وغيرهم واكفاهم بالوقوفات والاموال لخدمة الله تعالى[١].

٨ً – اول بطريرك لاتيني على القدس : سنة اربعمائة وخمسة وتسعين للهجرة التي توافق لسنين المسيح الف ومائة ، اجتمعوا امراء الفرنج واساقفتهم وانتخبوا دابرتوس (والاصح كما هو على الهامش : برندوس بطرك على انطاكية) ليكون بطريركاً على بيت المقدس وهو دهن جوفريد ملكاً على اورشليم ، وبوامند اميراً على انطاكية . وعندما ترتّبت جميع امورهم سار بوامند الى انطاكية وبلدوين الى الرها على طريق البقاع ، وبقية الاماري (الامراء) الى مواطنهم . [وعلى الهامش نقرأ هذا المقطع][٢] :

---

١) هنا نجد سطرين من المخطوطة مشطوباً عليها بخط اسود من ذات الحبر الاسود ، وبعد قليل نقرأ على الهامش مقطعاً عن القصاد الذين توجهوا الى روما لتبليغ البابا بسكاليس بالوضع الراهن كما سنرى .

٢) هذه الحاشية التي ذكرها علامتنا الدويهي عن قصاد الموارنة الى روما للاعراب عن خضوعهم وطاعتهم للكرسي الروماني وقداسة الحبر الاعظم لها اهمية كبرى في تاريخ الموارنة ، كما لا يخفى .

« وارسلوا بذلك قصاداً ومكاتيب الي البابا بسقاليس (١٠٩٩ — ١١١٨) يعلموه بجميع ما صار ويطلبوا منه تدبير الامور ، وان لا يخليهم من عنايته ، وكذلك يذكر ابن القلاعي في رسالته الى البطرك شمعون ان مع قصاد الملك جوفريد الذي خلص القدس من يد الاسلام ، وقد وصلت قصاد البطرك يوسف الجرجسي الى رومية واقتبل تاج وعصاة » .

فثبت من الابطال في ارض القدس جوفريد الملك ، والمير تنكراد ، وكانت جملة عسكرهم نحـــو الفين راجل ومايتين فارس ، فضعفت قوتهم لقلة الرجال وقويت شوكة الاعداء الذين حولهم . وفيها سار جوفريد صاحب القدس الى سواحل البحر فوضع اولاً الحصار على اسوار المدينة المقدسة ، ثم على عكا ، فوجدهم مستعدين للقتال ومكتفين من الميه (المياه) ومن الرجال وآلات الحصار ، فتركهم وقصد البلاد التي خارج الاردن فظفر بهم وقتل منهم ونهب ورجع الى بيت المقدس برزق كثير .

٩ – وفاة الملك جوفريد في القدس وحضور اخيه بلدوين : ثم عرضت عليه حمّة شديدة ، وفي الخامس عشر من شهر حزيران انتقل بالوفاة الى رحمة خالقه ، فحزنوا عليه حزناً شديداً واخذوه ودفنوه تحت جبل الجمجمة في كنيسة القيامة .

وفي ثلاثة من شهر تشرين الاول وصل خبره الى اخيه الامير بلدوين وهو في الرها . فتوجّه بالف رجـل الي مدينة انطاكية . ومن هنـا ارسل زوجته في البحر الى يافا وسار هـــو في طريق السواحل . ولما وصل الى نهر الكلب (بلبنان) كمنوا له المسلمون فوق النهر ، فقاوموهم وظفر بهم ، ثم توجّه الى يافا ومن هناك الى بيت المقدس ، فدهنه البطريرك ملكاً وتوجّه بتاج الملك .

١٠ – الملــك بلدوين يزحف الى خارج الاردن : سنة الف ومــاية سنة مسيحية الموافقة لسنة تصو (اي ٤٩٦ هج) للهجرة ، اجتمعوا العربان في نواحي اللد وقطعوا الطرقات وكانوا يقتلون من يستفردوه . فقدم اليهم الملك الجديد بلدوين وقتــل منهم مقتلة كبيرة ، ثم زحف عليهم بالعسكر الى خارج الاردن ، فانهزموا منه ونهب العسكر وسلب جميع ما كان في تلك الناحية (انتهت الصفحة).

١١ – وفــاة المستعلي بالله : [وفي سنــة خمس وتسعين توفي المستعلي بالله الخليفة العلوي المصري ، وكانت خلافته سبع سنــين ، اذ كان مولده في سنة سبع وستين واربعمائة ، وولي بعده ابنه ابو علي المنصور وعمره خمس سنين ، ولقّب الآمر باحكام الله ولم يقدر يركب وحــده على الفرس لصغر سنه ، وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ، وقد سبق ذكره اعلاه][١].

١٢ – الحرب في الشام بين الغرب والشرق وفي نهر الكلب : وفي سنة ستة وتسعين واربعمائة للهجرة قدم من بلاد النصارى جملة مناصب ، ومــع كل واحــد منهم عسكر ، وبعدما وصلوا الى القسطنطينية قصدوا دخول بلاد الشام في دروب مختلفة . ولما علم بذلك صاحب دمشق السلطان دقّاق، جمع العساكر الشامية والعربان ونهض هو وصاحب حمــاة جناح الدولة كمنوا للفرنج في الطريق، وقتلوا منهم مــا ينوف عن خمسين الــف ، فانهزم البواقي وتشتّتوا لانهم غرباء في البلد ، وما وصلوا الى انطاكية الا (وهم) حفايا وعرايا.

ثم انهم اجتمعوا وخرجوا من انطاكية ، وعنــد وصولهم الى

---

١) هذا الكلام اخذناه من تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ٣٤٣ ، ليكون الموضوع الذي نحن فيه كاملاً من الناحية التاريخية الاسلامية .

طرصوس وضموا عليها الحصار وجاهدوا بشدة ، فملكوها ، وكان قائد العسكر امير طولوصه ، ثم قصدوا المسير الى بيت المقدس ، وسمعوا ان اهل السواحل اي بيروت وصيدا وصور وعكا كانوا ماسكين عليهم الدرب عند نهر الكلب ، فاستنجدوا في بلدوين الملك. فسار هذا بجيشه الى نهر الكلب وقطع العسكر بامان ورافقهم حتى الى القدس وعيّدوا عيد القيامة .

١٣ – الجنويون النصارى في يافا : وفي السنة المذكورة قدم الجنويّون الى مدينة يافا بجملة من مراكب وبعدما عيدوا في القدس، تعاهدوا مع بلدوين الملك بان جميع ما يملكون يكون لهم منه الثلث ، والثلثين لصاحب القدس . فتوجّهوا بقلب واحد الى حيفا وجاهدوا على حصارها في البر والبحر فملكوها بالامان . ثم سافروا الى قيسارية سطراتون ، فنصبوا لها ابرجة من خشب وحاصروها مدة خمسة عشر يوماً وفتحوها بالسيف وقتلوا ونهبوا جميع ما وجدوا فيها ، وامروا قاضيها ، وساموا لها مطراناً يدبرها ، وساروا بعد ذلك الى الرملة فوجدوها خاليةً من الناس .

١٤ – الجيوش المصرية تقاتل الفرنج في الرملة : وفي السنة المذكورة أتت الجيوش من الديار المصرية الى مقاتلة الفرنج وكان عدد المشاة عشرين الف والخيالة احد عشر الف ، فشجّ بلدوين الملك جماعته لينظروا الى معونة الله فقط ولا يخافوا من كثرة الاعداء ، لان جميع ما كان معه من المقاتلين هو مايتين وستين فارس وتسعماية رجل . فاجتمع العسكران في ارض الرمله والتحم الكون بينهم ، فقتل مقدّم عسكر المصريين ، فحمل عليهم الفرنج وقتلوا من المسلمين خمسة آلاف ، ومن الفرنج قتل نحو ماية وخمسين لا غير .

سنة الف وماية وسنتين مسيحية اجتمعوا اهل عسقلان مع

عسكر المصريين ، وجملتهم عشرين الف وساروا الى ناحية الرملة . فلما بلغ ذلك الى صاحب القدس ، ركب حصانه على غفلةٍ ومع بعض ناس قلائل الذين لحقوه على ظهور الخيل ، قصد يمنع اهل عسقلان عن التنكيد ، فوجدهم بكثرة فوق امله ، فراد يرجع الى الوراء ، فما طاوعته الشهامة ، فقاومهم مدةً وقتل كثير من الفريقين ، ثم انه انهزم مع الذين برفقته ودخل قلعة الرملة ، وصاروا تحت خطر عظيم .

[واذ هم على هذه الحالة] فوصل الى عندهم ليلا رجل غني من العرب ، واخبر الملك بلدوين بان المسلمين كانوا مسادين (= مستعدين) على حصار البرج وقتل جميع من فيه . فخرج الملك ليلا برفقة ذلك الرجل[1] حتى نزل به الى سروج ، ومن هناك سار في المركب الى يافا . ففرحوا بـه جماعته فرحاً عظيماً وارسل جمع العسكر ومضوا الى لقاء العدو . فكسروهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ورجعوا منصورين الى يافا .

ويذكر مطران صور (وهو غليلموس الصوري) ان ذلك الرجل العربي الذي عمل الخير مع الملك وخلصه من يد الاعداء (قد عمله) مكافاةً الى ما كان تفضّل به (الملك) سابقاً على زوجته . وذلك ان الملك لما كان في الكونه خارج الاردن وكسر الاعداء كانت امرأة الرجل المذكور مع جماعتها في الكون ، ولما انكسروا صدف ان دنت ساعتها لتولد . فأمر بلدوين حينئذ الاّ احد يؤذيها بل

١) راجع عن هذه الوقعة في عسقلان المؤرخين : الكامل مج ١٠ ص ١٢٢ ، المختصر مج ٢ ص ٢٢٥ ، غليلموس الصوري اللاتيني ص ٤٢٤ و ٤٠١ ، وتاريخ الازمنة المطبوع ، ص ١٤ - ١٠ حيث يذكر حروب الملك دقاق ودخوله الى حمص ، ورجوع الفرنج عنها بعد ان كانوا وصلوا بفتوحاتهم الى حماة واللاذقية وجهات انطاكية ، كما سنرى بعيده .

ان يعطوهـا فرشة ً من النهيبة واكل وقربتين ماء وناقتين مرضعات وخادمة تخدمها . فلما سمع بذلك بعلها ربح جميله كثيراً ، فكافأه على جميله في هذه الوقيعة .

١٥ ً – **الفرنج يحتلون حماه واللاذقية** : وفيها (اي في هـذه السنة المذكورة) دخل تنكريده امـير طبريّه بجماعته الى جهــة انطاكية ، فحاصر حماة ولاذقيه وملكها بالسيف والقوة .

١٦ ً – **برج الغرباء** : سنة الف وماية وثلاثة مسيحية رايموندوس امير طولوصه الذي كان سابقاً قـد فتح طرتوصه حتى يقطع سلوك الدروب على الاعداء ، عمّر برجاً وهو المدعو برج الغرباء على الجبل بوجه طرابلوس[1].

١٧ ً – **عكا واحتلال الصليبيين لها** : سنة الف ومـاية واربعة مسيحية الموافقة لسنة تصح (اي سنة ٤٩٨ هج .) هاجرية ، قدم من مدينة جنوا (الايطاليه) سبعين غُراب (سفينة فارغــة) ، فتماهدوا مـع بلدوين صاحب القدس على الثلث ، وقصدوا مدينة طولومايد (= عكا) فجاهدوا عليها بالحصار من جهة البر والبحر ، وقتلوا من اهلها نفراً كثير ، وفي اكمال العشرين يوم تسلّموها بالأمان.

١٨ ً – **اسر الملك بلدوين بعد احتلاله الرها** : وفيها (اي في السنة المذكورة اعـلاه وهي ١١٠٤ للميلاد) اجتمع فرسان الفرنج

---

١) بعد هذا الكلام نجد في المخطوطة اربعة اسطر بيضاء ، وعلى الهامش كلمتين : « توما الكفرطابي » مما يدل على ان الدويهي كان بفكره ان يعطينا رأيه بشأن هـــذا الاسقف الذي شغل عقول المفكرين والمؤرخين وما برح شاغلهم لغموض حياته وفقدان المستندات حوله ، عـلى ان البطرك الدويهي سيذكره فيما بعـــد باقتضاب في تاريخ الازمنة المطبوع ، ص ١٥ – ١٦ – إقرأ حاشية ٤٢ ً في آخر هذا الكتاب عن هذا الموضوع .

وبطاركتها اعني الملك بلدوين والامير بوطند[1] والامير انكريد وبطرك انطاكية وبطرك بيت المقدس وغيرهم الى محاصرة حاران التي بقرب الرها ، فسارت اليهـا الجيوش ، واشتدّ عليها الحصار فاضطر اهلها يسلموها بالأمان ، لاجل عدم المؤن والميّه . وبعد ما خرج أهـل المدينة منها ، صار الخلف (اي الخلاف) بين بولمند والملك ، مريداً كل احـد منهما ان المدينة تكون لخاصته ، فانقسم العسكر حوفين . فاجتمع اليهم اهـل المدينة بعدما كانوا خرجوا منهـا ووثبوا عليهم ، فشتّتوا شملهم ، واهزموا عسكرهم هزيمةً قبيحة لم يكن اقبح منها ، وقتلوا منهم نفراً كثير ، وغنموا بامتعتهم ، واسروا بلدوين الملك وأخرين من القوّاد معه ورجعوا الباقي مخزيين الى الرها ، (انتهت الصفحة الاولى من ورقة ٢٦) .

١٩ – رجوع بيومند الى فرنسا والبطريرك الى روما : وفي هذه السنة بولمند صاحب انطاكية قصد العودة الى بلاد النصارى ، فدخل الى فرنسا وتزوج قونسطنصا بنت فيليبوس ملك فرنسا ؛ وفيهـا ايضاً دابرتوس بطرك بيت المقدس دخل الى روميه الكبرى ليوضح قدام صاحب كرسيه الاحترام والمكاره التي احتملها من ارنولفوس ومن بلدوين الملك .

وفيهـا بلدوين الملك حنق على الست الملكة وطلقها ، بخلاف الشريعة المسيحية . فاضطرت (هـذه) الملكة (ان) تنزع ثياب العزّ وتلبس اسكيم الرهبنة في دير من ديورة القدس . ثم انه بعد

١) والاصوب « بيومند » صاحب انطاكية ، راجع غليلموس الصوري الاسقف في تواريخه الصليبية المعروفة ، ص ٤٤٣ . ويذكر الكامل لابن الاثير في تواريخه ، مج ١٠ ص ١٣٩ إن الوالي في عكا هاتيك الاعصر كان « زمن الدولة الجيوشي نسبةً الى ملـك الجيوش الافضل » او امير الجيوش كما رأينا مراراً .

قليل ارتكبها الشيطان وقصدت السفر الى القسطنطينية لتزور اهلها، فنزعت عنها السواد واسلمت نفسها للقبائح والافعال السمجة ضد ناموس الله وضد ناموس الملوك .

٢٠ – **توما الكفرطابي** : وفي هذه السنة كان دخول توما الكفرطابي مطران كفرطاب الى جبل لبنان ، فثبت اربع سنين في يانوح وسنتين في جبة بشراي ، وقصد انه يزرع تعليمه الفاسد في تلك الجهات ، فما احد اقتبله الا خوري فرشع كما هو واضح من الشرح الذي يتقدم العشر مقالات[١].

٢١ – **وفاة الملك رايمند الصليبي في شرقي طرابلس ومواصلة الحرب** : سنة الف ومائة وخمسة مسيحية التي توافق لسنة الهجرة اربعمائة وتسعة وتسعين ، كانت وفاة رايمند امير تولوصه ، وكان رجلاً شهماً ، سجيعاً في الحرب ، ودفن عند جبل الغرب بشرق طرابلوس. حينئذٍ رضوان ملك حلب جمع جيشاً كثيراً ونزل بجيشه الى ارض انطاكية ، فقتل وحرق وهدم ضياعاً كثيرة ، ثم خرج عليه تنكريد الفرنجي وكسره كسرةً عظيمة ، وغنم بخيله وجميع امتعته .

وفيها (اي في السنة المذكورة) ارسل خليفة مصر نحو خمسة عشر الف رجل الى مقاومة الفرنج ، وخرج بلدوين ملك القدس بنحو الفين مشاة وخمسمائة فارس على لقائهم ، وكان بطريرك المقدس يتقدم العسكر وهو حامل عود الصليب ويشجّعهم . فتلاقوا العسكران بين الرملة ويافا ، وكانت الكسيرة على المسلمين وقيل انه قتل في هذه الوقعة من النصارى نحو ستين نفس ، ومن المسلمين قتل

١) وهنا أيضاً نجد نصف الصفحة السادسة والعشرين من المخطوطة ابيض ، غير مكتوب عليه اي شيء البتة . انظر الحاشية السابقة عن هذا الاسقف الماروني .

حاكم عسقلان مع نحو اربعة آلاف نفس ، ومسكوا الفرنج حاكم عكّه وغنموا باموال المصريين جمالهم وخيلهم وحميتهم . ثم انهم فيما بعـــد استفكوا حاكم عكّه وعشرين الف . واما المهزومون من العسكر ، هربوا الى يافا وقصدوا العودة لمصر في المراكب . فثارت عليهم الارياح واضطروا بالرجوع الى ارض النصارى ، فمسكوا منهم عشرين مركب ونحو ألفين نوتيه غير الذين قتلوا .

٢٢ – السلطان محمد ينتقم من الاسماعيليين : سنة خمسمائة للهجرة ، انتزع السلطان محمد ابن ملكشاه[١] قلعـــة اصبهان من الاسماعيلية وقتل ابن غطاش راس الاسماعيلية وسلخه حياً واخرب القلعة .

وفي سنة احدى وخمسمائة للهجرة ، يقول ابن الحريري (ص ٥٨) ان بلدوين الفرنجي حاصر صور وبنا (وبنى) قبالها حصناً ، فبذل له متوليها سبعـة آلاف دينار ، فرحل عنهـــا ونزل الى صيدا ، فكشف عنها عسكر دمشق . ثم عطف عسكر دمشق ونزل الى طبريه وهي في يد الفرنج ، فخرج اليهم صاحبها جرمانوس فأسره المسلمون.

٢٣ – طغدكين وانكسار الفرنج في طبريه : وفي هــذه السنة غزا طغتكين[٢] طبريه ، وكانت بيد الفرنج ، هجم عليها بعسكر دمشق . فخرج ابن اخت بلدوين على طبريه ، فانكسر الفرنج وأسر مقدمهم . فبذل في فداء نفسه اطلاق خمسماية اسير وثلاثين الـــف

---

١) كان محمد بن ملكشاه واخوه بركيارق سلطانين في بغداد احدهما في اصفهان والآخر في ديار بكر والجزيرة والموصل والشام ، وقد تصالحا بعد قتال مرير ، وكان ذلك في سنـــة ٤٩٨ للهجرة (راجع عنهما تاريخ ابن العبري ، ص ٣٤٣ ، والكامل عـن ابن غطاش في ص ١٧٢) .

٢) ويروى كغدكين بالدال ، أو طغركين بالراء ، وهكذا طغتكين بالغين والتاء وهو تصحيف لا غير .

دينار . فاباﺑ (= فأبى) طغتكين وذبحه . ثم هادن طغتكين بلدوين اربـــع سنوات . ثم تجمع قوم كبير وسار من دمشق الى مصر فاخذتهم الفرنج وانقطعت السبل .

٢٤ً – **نهاية الاسماعيلية** : وفيها (أي السنة) قتلت الاسماعيلية قاضي أصبهان وقاضي نشاكور يوم العيد ، وكانت طائفـة منهم في مدينة شيراز يحلجون القطن ، فوثبوا على شيزر وملكوها . فخرج اليهم اولاد منقذ واصعدتهم النساء بالحبال من الطاقات ، فاقتتلوا هم والاسمعيلية بالخناجر ، ولم ينجو من الاسماعيلية أحـــد . (انتهت صفحة ٢٧) .

٢٥ً – **المصالحة بين ابن راعندوس والامير بوردان** : سنة الف وماية وثمانية مسيحية قصـد رايمندوس امـــير طولوصه العودة الى فرنسا وخلف موضعه ابن اخيه بوردان ليكون متواليا على المواضع الذين كان قد اكتسبهم في بلاد السام . وفي حال وصوله الى فرنسا تأهل (تزوج) مع بنت فرديننوس ملك فرنسا[1] ، فثبت معهـا مدة يسيرة وتوفا (وتوفى) . عند ذلك ولده بيلترانوس اتفق مـع اهـل جنوى وتوجـّه معهم بسبعين ُجراب (اي سفينة) الى بلاد الشام قاصداً ان يتولى على متخلفات ابيه .

فوجد ابن عمه بوردان محاصراً لمدينة طرابلس . فصارت خصومة شديدة بين بيلترانوس وبين ابن عمـه الذي كان تسلّم تلك المواضع من ابيه . فدخل بينهم فرسان الفرنج واصلحوا بينهم على ان عرقا وطرطوس وما يليها يكونوا لبوردان، واما طرابلس وجبيل وجبل

---

١) والارجح « احـد امراء فرنسا » ، لانـه في ذلك العصر لم يكن للدولة الفرنسية ملك اسمه فرديننوس كما ورد في المتن .

الغرباء وما يليهم يكونوا بتصريف بالترانوس ، وان بوردان يكون خاضع لملك انطاكية وابن عمه لملك القدس .

٢٦ - **الفرنج في مدينة طرابلس** : سنة الف ومائة وتسعة للمسيح، واثني وخمسماية للهجرة تملكوا الفرنج مدينة طرابلوس ، وذلك ان كان لهم خمس سنين ، وقبل سبع سنين ، مدايقين (مضايقين) عليها بالحصار، ونصبوا قريباً منها حصناً، فخرج صاحب طرابلس ابن عمّار فهجم على الحصن وقتل كل من كان فيه واخربه . وارسل في البحر يطلب النجدة من مصر، فقدم اليهم شرف الدولة ومعه غلال كثيرة.

واما في هذه السنة (فقد) جدّد الحصار على المدينة بيلتران ابن الامير رايندوس ومعه الجنويون وقدم الى نجدتهم ايضاً بلدوين الفرنجي ملك القدس ، فقوت (فقويت) عبرة الفرنج ، وصعّفوا قلوب المسلمين ، وعملوا الفرنج ابراج من خشب وحديد على عجل والصقوها بصور (بسور) المدينة ، وملكوها وقتلوا منها خلقاً كثير بعد ان فني مَن كان فيها من شدة الضايقة والجوع والقتل، وكانت المدينة ممتليئة من المسلمين والعلماء ، وكان فتح مدينة طرابلس في عشرة من شهر حزيران .

٢٧ - **وايضاً في بانياس وجبيل** : وفي دخول سنة ثلاثة وخمسمائة للهجرة زحف الفرنج الى جهة بانياس فملكوها ، واخذوا ايضاً جبيل بالامان لعدم الاقوات. وكان في جبيل ابن عمّار صاحب طرابلس، فهرب منها الى دمشق ، فاكرمه طغتكين السالف الذكر واقطعه الزبداني[١] .

---

١) وجاء في تاريخ ابن العبري في هذا الصدد ص ٣٤٦ ما يلي : « وفي سنة خمسمائة وثلاث للهجرة سار تنكري الفرنجي صاحب انطاكية الى الثغور الشامية فملك طرسوس وادنة ، ونزل على حصن الاكراد مسلمه اهله اليه . وملك الفرنج مدينة بيروت وكانت بيد نواب الخليفة العلوي ابو علي المنصور المصري » .

٢٨ – وايضاً في حصون عكار والمنيطرة : وفيها (اي السنة المذكورة) استولى الفرنج على حصن عكار وحصن المنيطرة ، وتقرّر ان يحمل اهل حصن مصياف وحصن الاكراد للفرنج قطيعةً مقررة معينة في كل سنة . ويقول ابن الحريري (ص ٥٩) ان اقامة الفرنج على هذا العهد كانت مدةً ثم نكثوا وغدروا . وفيها (اي السنة) توفا قراغا صاحب حمص فملكها بعده ولده صمصام حرحان .

٢٩ – وايضاً في بيروت : وفي سنة الق (اي الف ومائة وعشر) مسيحية الموافقة لسنة خمسمائة واربعة للهجرة ، جمع ملك القدس جيوشه وقصد مدينة بيروت ، فحاصرها مدة شهرين براً وبحراً ، وفي ٢٣ من نيسان اخذها بالسيف وقتل نفراً كثيراً من اهلها ، (هنا انتهت الصفحة ٢٧ قفا) .

٣٠ – وكذلك في صيدا ، وقصة المسلم المتنصر : وفي هذه السنة وردت جملة مراكب من بلاد الغرب قاصدين زيارة المواضع المقدسة ، فارسوا مراسيهم في مدينة يافا . فتوامر معهم بلدوين الملك على اخذ صيدا ، فشدوا الحصار عليها من جهة البر والبحر . فسلّموها اهلهـا بالامان . وقرّرت عليهم الفرنج عشرين الف سنة (والاصح دينار) . لان كان فيها اكثر عونة للمسلمين .

ويذكر مطران صور[1] ان كان في استخدام بلدوين الملك رجل كان في الاصل مسلم ثم انه قصد النصرانية وتعمّد ، وكان عرابه بلدوين الملك فسمّوه بلدوين ايضاً على اسم الملك . وكان الملك يعزّه

١) انما هو غليلموس اللاتيني اسقف صور على الصليبيين ، وقد كتب عن هذه الحملات الصليبية ٢٢ مجلداً ضخماً ومات قبل ان يكمّل المجلد الثالث والعشرين ، وقد حضر المجمع اللاتراني سنة ١١٧٩ ، وقد اسهبنا بالكلام عليه في المجلد الأول من تاريخ الدويهي ، ص ٢٣٣ – ٢٤٠ ، فنحيل القاريء الكريم الى هناك لزيادة الايضاح .

كثيراً ولم يزل دايم بصحبته . فلما صار الحصار على صيدا تؤامروا المسلمون مع بلدوين (المسلم اصلا) المعمود وتوعدوه في ميل كثير ان قتل الملك عرابه . فارتضى بذلك بلدوين المعمود ، وكان يطلب فرصةً ، ولكن الله اراد ان هذه المؤامرة يعرف بها بعض نصارى كانوا جوا (داخل) المدينة فكتبوا الخبر على قطعة ورقـه وفي النشّاب ارموها الى عسكر الفرنج . فلما عرف بذلك الملك ، استدعى بلدوين المعمود وقرّره واستقرّ ، وصار الشور على ان يميتوه على الخازوق ، وملكت الفرنج مدينة صيدا في ١٩ من كانون الاول .

٣١ً – **وفاة بطرك اللاتين في القدس** : وفي سنة اقيا (اي سنة ١١١٠ مسيحية) التي في نصفها تكتمل سنة ستماية واربعة للهجرة ، كانت وفاة جالينوس بطرك بيت المقدس ، وتخلف بعده ارنلفوس ، وكان رديء مسيرة . (وبعد هذا الخبر نجد سطرين مشطوباً عليهما بالحبر الاسود) .

٣٢ً – **الفرنج يحاربون الجيوش الوافدة عليهم من الشام وبغداد والعجم ويحتلون الثغور ويعقدون الهدنة** : وفيها (اي السنة المذكورة) يقول مطران صور اللاتيني (ص ٤٨٠) ان قدمت الجيوش من بلاد بغداد والعجم الى جهـة الشامات بخيول كثيرة كالجراد ، وقطعوا الفرات ، وحاصروا مدة شهر حصن دير سمعان ، ثم دخلوا حلب ولم يعفوا عن شيء ، فارسل الله عليهم اهـل المسكب وهم اكبر أعدائهم . ثم ان المير تنكرادي الفرنجي صاحب انطاكية استنجد ببلدوين الملك ، وفي ولتران صاحب طرابلس ، وبغيرهما من الفرنج وزحفوا الى مقاومتهم . وتجمع العسكران بقرب شيزر .

فلما نظر العجّام كثرة العساكر رجعوا الى مواطنهم هاربين من

غير مقاومة . ويقول ابن الحريري ان الفرنج اخذت حصن الاتراك وحصن روديا بالسيف وهما من اعمال حلب ، وان اهل منبج واهل بالس اخلوا بلاديهما ، وأيقنت المسلمون باستيلاء الفرنج على اقليم الشام (كله) ، وطلبوا الهدنة ، وصالحهم رضوان صاحب حلب على قطيعة ثلاثين الف دينار وثياب وخيل ، وصالحهم صاحب شيزر على قطيعة عشرة آلاف دينار ، وصالحهم صاحب حماة على الف دينار ، وصالحهم صاحب صور على اربعة آلاف دينار . واستفحل امر الفرنج في بلاد الشام وصارت جميع سواحله بايديهم . ولاجل ذلك سار المسلمون من الشام الى بغداد واستفاقوا وكسروا... السلطان ، وكثر الضجيج والبكاء والعويل ، واستنجدوا بالخليفة والسلطان غياث الدين محمد[1] وبطلت الجمعة ، واخذوا الخليفة في الاهبة وتهيأ السلطان للغزاة . ولكن لم يتم شيء من ذلك لضعف عساكر العراق ، وأيسوا اهل الشام من انفسهم واموالهم ولم تنجدهم عساكر العراق وشرعوا في مصالحة الفرنج .

٣٣ — الفرنج في صور ، وارسال قصادهم الى رومية : وفي سنة اقيب (اي سنة ١١١٢) لميلاد المسيح تجمّعوا الفرنج ونزلوا على مدينة صور ، وكانت صور مموّنة ومكتفية من جميع المياه وآلات الكون ، ونزل عسكر دمشق لنجدته ، فطال الحصار عليها نحو اربعة اشهر ، فعملت الفرنج برجاً من خشب علوه سبعون ذراع وشيّنوه وجرّوه على المجل وألصقوه بصور (بسور) المدينة .

---

١) كان السلطان محمد على حد قول ابن العبري ص ٢٤٧ ، عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً واول ما دعي له بالسلطنة ببغداد سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات ، وكان عمره ٣٧ سنة واربعة اشهر . فلما توفي اخوه بركيارق اجتمع الناس عليه ١٢ سنة . وفي سنة ٥١٢ هج ١٦ ربيع الآخر توفي الامام المستظهر بالله وكان عمره ٤١ سنة ونصفاً وخلافته ٢٤ سنة . ومضى في ايامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة...»

فأحرقوه المسلمون بالنفط وقاتلوا على صور قتـال الموت . وخافت الفرنج من ان طغتكين يحرق الغلات فاخذوا من اهـل صور مالاً ورحلوا عنهم ، (انتهت الصفحة ٢٨) .

وفيها (اي السنة المذكورة) كانت وفـــاة تنكردي واحد من فرسان الفرنج وكان ذي شهامة عظيمة واكتسب مواضع كثيرة من المسلمين في بلادهم ، فدفنوه في انطاكية . وبعد وفاته تملك انطاكية روجاروس واحـد من نسيبات المائت ، بشرط ان رجع بوامند تكون انطاكية له .

وفيها ايضاً ارسل ملك القدس قصاده الى رومية بمكاتيب يعـلم بهـــا بسقاليس البابا بظفر النصارى . وبعث معهم ايضـاً بطرس الموارنة مكاتيب[١] وايضاً الملكة قوسطنسا ارسلت مكاتيب الى البابا المذكور بسبب الكنائس الذين (التي) اشترتهم في القدس بثمانين الف دينار من مالها (وقد ذكرهم العلامة الدويهي في كتابه الذي نشرناه) ، ووهبت لطائفة الموارنة هيكل هيلانه ومغارة الصليب اللذان داخل هيكل القيامة ، كما يذكر ابن القلاعي في الرسالة المذكورة[٢] .

وفي هذا الزمان انتشر دين النصرانية في بلاد الشرق ، وصاروا ينادوا بـه جهراً . واخذوا جماعتنا يدقّون في اجراس من نحاس للصلاة والقداس الالهي . والذين فاضت نعمة الله بين ايديهم صاروا يبنون ديورة وكنائس ، وتقصد الناس خدمة الله وعمل الخير . وكان

---

١) نقرأ هنا على الهامش ما يتعلق بالموارنة ومـا كتبه ابن القلاعي للحقدي في كتابه المشهور عن الطوباوي مارون ، طالع عنه كتابنا عن الدويهي ، مجلد اول ص ١٠٧ ومـا بعـدهـا .

٢) ونقرأ على الهامش العنوان : « وفي كتابه الثاني المذكور عن القديس مارون ، ثبات الصدق عن اعتقاد شعب مارون يذكر به ، انظر سنة (قداي ١١٠٤) ... »

لخوري باسيل البشراني ثلاث بنات : مريم وتقلا وسالومي : فالبنت مريم بَنَتْ هيكل مار سابا في قرية بشراي في جبل لبنان ، والبنت سالومي هيكل مار دانيال في الحدث ، واما تقلا فبنت هيكل مار جرجس في بقرقاشا وكنيستين في بشنين من ارض الكورة (وهنا نجد ثلاثة اسطر بيضاء ، وبعدها يتابع الدويهي قائلاً) :

٣٤ــ الحرب سجال بين الفريقين : سنة سبعة وخمساية للهجرة التي بدؤها شهر حزيران من شهور سنة المسيح (اي ١١١٣ م) مسيحية ، قدمت جيوش الموصل الى عون المسلمين وكان عددهم كثيراً بزيادة يشبه النبع الخافق ، وكان مودود صاحب الموصل قائد العسكر ، فدخلوا الفرات واجتازوا على درب البقاع حتى وصلوا لنواحي طباريس[١]. فارسل بلدوين الملك يطلب النجدة من صاحب انطاكية وصاحب طرابلس ، وخرج بجماعته الى مقاومة المسلمين .

وفي شهر محرّم التقا الفريقان على الاردن ، وكان المسلمون وضعوا للفرنج الكمين في الطريق واخذوهم في الوسط وضربوهم بالسيف . ويقول مطران صور (في تواريخه ص ٤٨٤) انه قتل من الفرنج نحو الف وثلاث ماية نفس ، واسر المسلمون كثيراً من الفرنج . ويذكر ابن الحريري (ص ٦٠) ان واحداً من العسكر أسر بلدوين الملك ، واذ لم يعرف انه هو الملك سلبه والقاه جريحاً فنجا ، وجمعوا اهل الموصل في اوطانه وكبرت عبرتهم . (وبينما هم على هذه الحالة) الا وهوذا وصلت النجدة من طرابلس ومن انطاكية

---

١) الارجح انها طبريه ، كما يقول ابن العبري في ص٢٤٦ بما حرفيته : « في سنة ٥٠٧ هج اجتمع المسلمون ورئيسهم الامير مودود بن التون تكش صاحب الموصل ودخلوا بلاد الفرنج والتقوا عند طبريه واشتدّ القتال وصبر الفريقان ، ثم ان الفرنج انهزموا... انما في المرة المقبلة كما سنرى انتصروا واستولوا على طبريه بقيادة بلدوين الملك.. »

(الى الفرنج) فقويت قلوب الفرنج ، ولم يزل الحرب بين الفريقين مدة وهم يقتتلون ، وقد عدمت الاقوات ، فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا وسبوا وقتلوا وعلقوا النار في ضياع الفرنج من القدس الى عكا ، وأسطت السابلة في الطرق حتى ان لا في القرى ولا في المدن كان يجاسر الانسان (ان) يطلع من داره .

وفي الزايد انه عندما كانت العساكر في طبريه ، اجتمعت رجال عسقلان وقصدوا القدس فوضعوا عليه الحصار ، وحرقوا البيادر ، وقتلوا كل من لقوه خارج السور ، ثم اشتملهم الخوف والذعر من قدوم الملك بلدوين ، فرجعوا ناكصين على اعقابهم .

كذلك اهل الموصل لما بلغهم الخبر ان مراكب الفرنج كانت وصلت الى يافا ، هربوا الى دمشق ونزلوا على مرج الصفر ، لان طغتكين صاحب دمشق لم اذن لهم بالدخول الى المدينة من الكوفة[1] لئلا يتقووا عليه ويأخذوها منه فاحرقهم وامرهم بالعودة والاجتماع في زمان الربيع .

ويوم الجمعة دخل طغتكين الى الجامع ليصلي فيه ، وكانت يده بيد مودود صاحب الموصل ، فوثب على مودود رجل اسماعيلي (كأنه يدعو له ويتصدق منه فضربه بسكين) فجرحه اربع جراحات فقتل من يومه . ثم مسكوا الاسماعيلي وقتل واخذوا رأسه فلم يعرفه احد فاحرقوه بالنار . ويقال ان ذلك كله كان بتدبير طغتكين لئلا يملك دمشق بجيشه ، (وهنا انتهت الورقة ٢٨

---

١) اما تاريخ ابن العبري ص ٣٤٦ ، فقد وردت فيه هذه العبارة كالآتي : « اجتمع المسلمون... ودخلوا بلاد الفرنج... ثم ان الفرنج انهزموا فأذن الامير مودود للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع ، ودخل دمشق ليقيم عند طغتكين صاحب دمشق الى الربيع ودخل الجامع....»

من المخطوطة. وكتب وارسل ملك الفرنج الى دمشق مكتوباً يقول به ان امة قتلت عبدها يوم عيدها في بيت معبودها لتحقيق على ان الله يبيدها .

٣٥ – **زواج الملك بلدوين من الاميرة :** وفيها (السنة المذكورة) قدمت في البحر على ميناء عكا اميرة سقالية لتتأهل من بلدوين الملك وذلك لان بلدوين كان قد طلق زوجته الاوله (الاولى) وطلب الزواج من المذكورة لاجل كثرة غناها . وقدمت الى بلاد الشام باموال غزيرة وسلاحات كثيرة ، وانعقد بينهما الزواج على يد ارنلفوس بطرك القدس .

٣٦ – **وفاة فخر الملوك السلجوقي وتملك اخيه تاج الدولة :** وفيها ايضاً توفي صاحب حلب الملك فخر الملوك رضوان ابن[1] تتش السلجوقي ، وملك بعده اخوه تاج الدولة ارسلان وكان اخرس . وقتل ارسلان اخوين له . وقتل ابا طاهر الصائغ الاسماعيلية من حلب . ثم ان قتل ارسلان وتسلم قلعة حلب والمدينة لؤلؤ خادم تاج الدولة بن الجلال . ثم ان لؤلؤ قصد قلعة جعفر فقتل قريب من بالس، وتولا قلعة حلب من بعده كاتب الجيش ابو المعالي ابن الملي .

وفي سنة احد عشر وخمسائة للهجرة سلمت حلب للمير بلغازي ابن اريق فقام متملكاً لها خمس سنين (كما جاء في الكامل مج ١٠ ص ١٩٢) .

٣٧ – **زلازل في بلاد حلب والشام وقيليقية :** سنة اقيد (اي ١١١٤ م) مسيحية ، يقول مطران صور اللاتيني ان صارت رجفة

١) جاء في مختصر الدول ص ٣٤٠ ، أنّ تتش هو « تُتُش بن آلب ارسلان » وعمّ تُتُش هو السلطان بن كيارق السالف الذكر .

وزلازل عظيمة في بـــلاد قيليقيا وحلب وبلدان الشام ، وهبطت ضياع كثيرة وحصون ومدن من الاسواق ، فدفنت ، اصحابهم تحت الردم ، والذين قصـــدوا السحارى (الصحراء) والبراري اخذتهم القشعريرة من شدة الرجفة والرؤيا[1].

٣٨ – انهزام سنقر البرسقي نائب الموصل : سنــة اقيه (اي سنة ١١١٥م) قدم الى بلاد الشام آق سنقر البرسقي نائباً الى الموصل ومعه خمسة عشر الف فارس لغزو الفرنج ، ووطأ بلاد انطاكية ونزل عند شيزر . فلما بلغ خبَر ذلك الى طغتكين صاحب دمشق، داخله الخوف من ان الركبة عليه هي بسبب مودود صاحب الموصل الذي قتـــل في دمشق ، فارسل مكاتيب وهدايا جزيلة الى بلدوين ملك القدس ، والى صاحب انطاكية بسبب الكوفة . فاصطلحوا جيماً ، واستنجد صاحب انطاكية في ملك القدس وصاحب طرابلس وفي طغتكين ملك دمشق . فأجابوه الى ذلـــك بسرعة وزحف بالعساكر الى جهة شيزر . فانهزم البرسقي من قدامهم وعاود (عاد) كل واحد الى موطنه .

٣٩ – انهزام المسلمين في عسقلان : وفيها (اي السنة المذكورة) ان أهل عسقلان عندما تحققوا عن سفر الفرنج ناحية انطاكية ، استنجدوا في ملك مصر وقصدوا محاصرة يافا . وجاءهم من الديار المصرية سبعين مركب في طريق البحر ، فاحتاطوا المينة (الميناء) من كل جهة براً وبحراً ، وكان اهل يافا ناساً قلال ، وقاموا بوجه

١) وفي هذه السنة خرج الكرُج وهم الخَزَر الى بلاد الاسلام ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم ، فاجتمع ضدهم الامير ايلغازي ودُبَيس بن صدقـــه والملك طغرل... فانهزم المسلمون حكيا في ابن العبري ، ص ٣٥٠ ، راجع حاشية رقم ٦٦" في آخر هـذا الكتاب لايضاح هولاء الشعوب .

المسلمين بغاية الشجاعة حتى ان بعد جهد جهيد اضطروا ان يفكوا الحصار ويرجعوا لمصر ، خوفاً من الفرنج لئلا تأتيهم النجدة .

وبعـــد عشرة ايام خرجت اهل المدينة وكبسوا العساقلي ليلاً فوجدوهم منتبهين ، وقتلوا منهم نفراً كثير ، وبعد محاربة سبع ساعات انهزموا المسلمون ورجعوا ناكصين لعسقلان . واما البرسقي، فعندما سمع ان عسكر الفرنج والشوام كانوا قد فلّوا (غادروا) ورجع كل واحد الى موطنه ، اخذه الطمع وعاود بالعسكر الموصلي الى نواحي انطاكية ، فقتل ونهب وسبى واحرق جميع ما امكنه . فارسل صاحب انطاكية يطلب العون من بلدوين صاحب الرها، وفي يب (اي ١٢) من ايلول اتكل صاحب انطاكية على الله وخرج بجماعته من المدينة ، فاجتمع مـــع امير الرها الذي اسرع لنجدته وزحفا معاً (انتهت ص ٢٩) اثنينهما الى مقاتله الموصليين فاعطاهما الله النصرة عليهم وقتلا منهم مـــا ينوف على ثلاثة آلاف ، وغنما باثقالهم وبكل ما اتوا به من بلادهم ، وبما نهبوه من ارض الشام . وفكّوا المرابيط ودخل بهم صاحب انطاكيه بعزّ عظيم الى مدينته وقسم المغانم بين الشرط بالاسواء (بالتساوي) . واما النصرة فكان جالبها من بلدوين امير الرها الذي في شهامة عظيمة ومن غير فزع دخل في وسط الاعداء وشتّت العسكر عن بعضه بعضاً (وانتصرنا).

٤٠ ـ حصن في الاردن ، وانتقال النصارى الى القدس ، وهجر بلدوين لزوجته الاميرة بعد مرضه : سنة اقيو (اي سنة ١١١٦م) مسيحية قطع بلدوين ملك المقدس بالجيش نهر الاردن ، ووصل الى الشوبك فابتنا (فابتنى) هناك برجاً رفيع على راس جبل ، وشيّده في الخنادق والمرامي واكفاه من آلات الكون والميّة (= المياه) حتى اذا حدثت للفرنج وقعـة (كسرة) في تلك النواحي يكون لهم

بيت ملجأ . وكان في بلاد العرب ناس كثيرين من السريان ساكنين هناك في الاهانة والضنك فاشار اليهم الملك ان ينتقلوا الى بيت المقدس الذي كان خـالي من السكان فانتقلوا بسابقتهم واعيالهم ، وصارت المنفعة للمدينة وللنصارى معاً .

وفي عودة الملك من الشوبك ، توجّه الى جهـة البحر الاحمر ليكشف تلك النواحي ، فهرب الناس من قدام العسكر . ثم انـه عرض عليه مرض شديد ، وكان ذلك افتقاداً من الباري حتى انه عاجل في العودة الى المدينة المقدسة وأمر ان الاميرة ، اميرة سقالية التي كان قـد تزوجها بخلاف الشريعة الانجيلية ، ترجع الى موطنها والى بيت ابيها . ومن ذلك الوقت صارت الوحشه بين ابيها ملك سقالية (صقلية) وبين ملك القدس .

وعندما توجه الملك الى العافية (اي عندما تعافى) ، سار الى عكا وشرع ببنيان حصن على شاطيء البحر في الموضع الذي اسكندر اليوناني كان قد ابتنا القلعة المعروفة باسمه ، وهو في البعد عن مدينة صور نحو بريد ، لأن جميع سواحل البحر مـا كان تبقا (تبقى) بيد المسلمين الاّ صور وحدها .

٤١ – **وفاة بلدوين الملك واعماله الجليلة** : سنة اقيز (اي سنة ١١١٧ م) مسيحية التي في ايار منهـا تبدأ السنة الهجرية احدى عشرة وخمسماية ، قصد بلدوين الملك السفر الى جهة مصر ليستوفي من المصريين بدل ما كانوا اسلفوه بتجريدهم على بلاده ، واخذ معه جيشاً كثيراً ، فوصل الى فارام التي على نهر النيل بالقرب من رمسيس التي صنع بها العجائب موسى النبي . فتملك بلدوين فارام بالسيف ، وسمح للعسكر (ان) ينهبوا جميع ما فيها .

ثم انه عرضت على الملك حمّة شديدة من مشقة الدرب وقصده العودة الى بيت المقدس . وعند وصوله الى العريش ، سلّم الروح بيد الخالق ، وفي حزن عظيم اتوا بجسده الى القدس الشريف ، فبكا عليه كل الشعب ، وفي سنة وعشرين من شهر اذار الذي كان يوم عيد الشمانين دفنوه في هيكل القيامة على اخيه الملك جوفريد . وكان بلدوين الملك ذو شهامة عظيمة ، ملك بيت المقدس سنة عشر سنة ونصف الاخرى ، واستخلص من يد المسلمين طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وقيسارية وعكا وحيفا والرمله وبانياس وحصن عكا وحصن المنيطرة وحصن الاكراد وحصن روديا ، فارض حلب وحاران من نهر الرها ، وفارام من بلاد مصر ، وكسر دفوعاً شتّى عساكر الشوام والمصريين والموصليين وغيرهم ، وابتنى حصناً في الشوبك وحصناً بقرب صور ، وفي ايامه انجهر دين النصرانية في بلاد الشام ، وصارت الناس تبني كنائس وديورة ، وتدقّ للصلاة في نواقيس من نحاس ، وهو الاول بين ملوك القدس الذي تزوّج باكليل الملك وتسمّى ملكاً على بيت المقدس[1].

ويذكر ابن الحريري ان في هذه السنة خمسمائة واحدى عشرة للهجرة ، جاء سيل عظيم على سنجار ، فهدم شوارعها وغرّق خلقاً كثير ، وحمل باب البلد مسيرة نصف يوم ، فطمره السيل الجارف ، وحمل السيل ايضاً سريراً فيه طفل صغير فتعلق بزيتونة وعاش الطفل وكبر (وهنا انتهت الورقة ٢٩) .

٤٢ – اعلان بلدوين الثالث ملكاً بدل المتوفى : سنة اقيح

١) ويزيد ابن العبري في ص ٣٠٥ قائلا : « ان بلدوين وصّى ببلاده للقمص (رتبة كنسية عند الاقباط) صاحب الرها ، وهو الذي كان اسره جكرميش واطلقه سقاور جاولي . »

(اي سنة ١١١٨ م) مسيحية في عيد القيامة الذي حدث في الثاني من نيسان ، برضا بطرك بيت المقدس وقواد الجيش جلّسوا (اي نصّبوا) على تخت السلطنة بلدوين امير الرها الذي كان من اقرباء الملك المتوفى في النسبة ، ودهنه السيد البطريرك ، وكلّله على بيت المقدس وتسمّا بلدوين الثاني[1] .

٤٣ً – **هجوم فاشل من جميع الاطراف** : وفي هذه السنة الآمر باحكام الله خليفة مصر ، عندما سمع بموته بلدوين الملك ، كاتب الى طغتكين صاحب دمشق (ان) يلاقيه الى عسقلان بعسكر الشام لاستفكاك ارض القدس من ايادي الفرنج ، وخرجت الجيوش من الديار المصرية والشامية في البحر والبر . فالمراكب قدمت الى صيدا ، والمشاة الى ارض عسقلان . فامر بلدوين ملك القدس باجتماع الفرنج من انطاكية وطرابلس والقدس وخرجوا معاً الى لقاء المسلمين في ارض فلسطين . ولم يكون بين الفريقين الا سفر يوم واحد ، فلبثوا ستة اشهر احدهما بازاء الآخر ، ولم يجاسر احـــد (ان) يطحم (يهجم) على خصمه . اخيراً عاودت الجيوش المصرية الى مصر والشامية الى الشام ، وعاود الفرنج لأرضهم .

٤٤ً – **وفاة ملك اسطنبول ، والبابا بسكال ثم بطرك بيت المقدس:** وفي هـــذه السنة توفا ألكس ملك اسطنبول ، فتخلف بعده ولده الملك حنا . وفي رومية توفا البابا بسقاليس الثاني (سنة ١١١٨م) ، فتولى على كرسي رومية جيلاسيوس (الثاني من ١١١٨ – الى سنة ١١١٩) . وفي بيت المقدس ، توفا ارنلفوس البطريرك وانتخب بدله جرمنّد وهو رجل سادج وتقي لله .

---

١) على اننا نقرأ عـلى الهامش بالخط نفسه : بلدوين الثاني ، وبقربها حرف سرياني : ج (اي الثالث) بعكس المكتوب في المتن ، وهذا هو الصواب .

٤٥ً - **مهام فرسان القدس وعددهم** : وفي هذه السنة كان مبتدأ الكوليارية فرسان القدس (اي Chevaliers de S. Sépulcre) الذين نذروا على نفوسهم نذورات الرهبنة وهون (= وهي) الطهارة والتمسكن والطاعة حتى يراكبوا الزوار من البحر الى بيت المقدس، ويقطعوهم الدروب الخطرة ، وجعلوا على ثيابهم البيض صلبان بلون احمر ، فصارت لهم العزازة والمدحة من كل احد ، والذين في البدي ما كانوا الا تسعة انفس ، زادوا بمدة يسيرة على عدد ثلاث ماية ، وصار لهم من المؤمنين وقوفات وارزاق كثيرة لم توصف[1] .

٤٦ً - **هجوم المسلمين على انطاكية وحلب ثم ارتدادهم عنها** : سنة الف وماية وتسعة عشر مسيحية ، طغتكين ملك دمشق اتفق على الفرنج مــع غازي امير الترك وبيوّيه امير العرب ، وزحفوا بجيش لم يحصا (يحصَ) عــدده من الاشوام والترك والعربان الى نواحي حلب متقصدين الفرنج الذين في انطاكية . فأرسل روجيار صاحب انطاكية . بطلب النجدة من بلدوين ملــك القدس ، ومن فنطيوس امير طرابلس ، وقبل انهما يقدمان اليه ، خرج هو بجماعته الى لقاء الاعداء ، فاحتاطوا به المسلمون واهلكوا له ولكل من كان بصحبته لموضع كثرة لجاجته وقلة جماعته . ونقلوا ان عسكر المسلمين كان يحوي ستين الف خيال ، وامير انطاكية ما كان معه الا ثلاثة آلاف مشاة وستماية فارس معدّين للقتــال . فداست عساكر المسلمين جميع ما كان بيد الفرنج في ارض حلب وانطاكية .

ثم شاع الخــبر بقدوم بلدوين الملك الى الجبل الاسود ، فشيّع الامير غازي عشرة آلاف خيّال ، وقسمهم ثلاثــة قسمات ليمنعوا

---

١) وهنا نجد اربعة اسطر بياضاً في المخطوطة ، انمـا لا نرى ان ذلك يدلّ على نقص في التاريخ ابداً .

الفرنج عن الدخول الى انطاكية . فوقعت القسمة الواحدة بدرب عسكر الفرنج ، فوثبوا عليها وقتلوا له البعض واسروا البعض ، ولم ينجوا الا القليل منها . ثم دخل ملك القدس وامير طرابلس الى مدينة انطاكية في عزّ عظيم . واجتمعت اليها الذين كانوا تبقّوا في مدينة انطاكية ، وكان جملة العسكر ثمانية آلاف . فخرجوا من المدينة في آب ورتّبوا فوق الجبل عسكر طرابلس من الميمنة ، وعسكر انطاكية من الميسرة ، وهجمت عليهم عساكر (انتهت الصفحة الثلاثون) المسلمين في طبول وزمور وصياح عال . فالتقت العسكران ببعضها بعضاً واشتدّ القتال وكانت الوقيعة على المسلمين. فقتل من الفرنج سبعمائة نفس ، واما من المسلمين اربعة آلاف غير الامراء والمجروحين ، وهرب الباقي مهزومين الى بلدانهم . وكانت الوقيعة في الرابع عشر من شهر آب قبل نياحة السيدة بيوم واحد.

ورجع بلدوين الملك وارفاقه منصورين الى انطاكية ، ومعهم صليب الرب ، وقبلوهم اهل المدينة بكل فرح وكرامة . فاتخذ بلدوين مدينة انطاكية تحت طاعته ، وبعدما مهّد امورها عاود (عاد) الى المدينة المقدسة بسلامة .

وكانت هذه السنة كثير صعبة بسبب الجراد والفار اللذين بمدة اربع سنين لم يألوا يهلكوا بقول الارض وزروعها. وفي اثر الجراد، عرض الغلاء ثم الوباء .

٤٧ً – **بطرك الموارنة ورهبان قبرص** : سنة اقلك (اي سنة ١١١٠ م) مسيحية كان بطرك الموارنة قاطن في بلاد البترون ، فأرسل رهباناً الى جزيرة قبرص ليكونوا قاطنين بدير مار يوحنا كوزبندي . ثم جاء ايضاً للمذكور مكتوب من البابا قاليسطوس الثاني

(١١١٩ - ١١٢٤) يفتقده به ويخصه باسم بطرك انطاكية كما يثبت ذلك الاسقف جبرايل القلاعي في كتابه الثاني المدعو ثبات الصدق عن اعتقاد شعب مارون وثباتهم في حجر الكنيسة (وقد سلف ذكره اعلاه) .

٤٨ - **وفاة غازي التركي في هجومه على انطاكية**[١]. سنة اقكا (اي سنة ١١٢١ م) مسيحية التي في شهر اذار منها تبدأ سنة ٥١٥ هج ، قدم من بلاد الترك المير غازي بعزم شديد . فلم يخشا بلدوين الملك من جيوشه ولا من كثرة خيوله ، لكن اخذ صليب الرب قدامه وتوجه الى نواحي انطاكية متكلا على العون الالهي ، ولا على قلة رجاله . فقدّر الله ان عرض على غازي عارض شديد فجأة ، وقبل ان تتواقع العساكر مع بعضها بعض ، مات (غازي) فاخذوا دفنوه في مدينة حلب ، وتفرّقت عسكره ، وعاود كل واحد منهم الى موطنه .

واما بلدوين في حال وصوله الى بيت المقدس ، أمر ان تتوسّع (تتوزّع) اكيال الحنطة وسائر الاوزان ، وترتفع المظلمة التي كانت على التجّار وعلى الحنطة ، (وهنا ثلاثة اسطر بياض) .

٤٩ - **الحرب في طبريه الفلسطينية** : سنة اقكب (اي سنة

---

١) ان الامير غازي او ايل غازي كما يلقّبه ابن العبري ورد عنه ما يلي في مختصر الدول ص ٣٠١ : « الامير ايلغازي استناب بحلب ابن اخيه سليمان ابن ارتق ولقّبه بدر الدولة وعاد الى ماردين . وفي سنة ٥١٥ هج اقطع السلطان مدينة ميافرقين للامير ايلغازي . وفي سنة ٥١٦ هج توفي الامير ايلغازي بميافرقين وملك ابنه حسام الدين قلعة ماردين وملك ابنه الاخر سليمان ميافرقين ، وكان بدر الدولة بحلب . وفي سنة ٥١٧ هج لما راى بلك بن بهرام بن ارتق ضعف بدر الدولة عن حوط بلاده من الفرنج سار الى حلب وتسلّمها بالامان . وفي سنة ٥١٨ هج سار بلك المذكور الى منبج وتملكها وحاصر القلعة حيث مات وتفرّق عسكره وملك حلب وقلعتها آق سنقر البرسقي الذي قتله الاسماعيليون سنة ٥٢٠ هج » .

١١٢٢ م) مسيحية التي في شهر اذار منها بدؤ سنة نيوهج (اعني ٥١٨) للهجرة اتفق (ان) طغتكين صاحب دمشق مع امير العرب سيّروا الجيوش الى جهة طيباريه ليسترجعوها من الفرنج . فخرج بلدوين الملك في شهامةٍ عظيمة الى مقاتلتهم ، واذ لم يستفيدوا من ذلك ، رجعوا على قفاهم من غير مقاتلة .

واما بلدوين ، لئلا يرجع فارغ (اليدين) ، توجّه الى ناحية قبله وحاصر شيروصه (وهي) واحدة من المدن العشرة بقرب نهر الاردن ، واستملك الحصن التي قبل بسنة كان ابتناه طغتكين لاجل محافضة تلك النواحي ودكّه بلدوين الى الارض .

وفي هذه السنة توفي توفيق ابن دريق النحوي الطرابلسي ، وكان شاعراً ، ودفن في دمشق ، (وهنا تنتهي الورقة الثلاثون من المخطوطة) .

٥٠ – خصومة الملكين جلبت عليهما الانكسار والاسر معاً :

وفي هذه السنة يقول مطران صور المؤرج ان كانت بين بلدوين الملك وبين بنطوس صاحب طرابلس الوحقة[١] ، حتى ان بنطوس نكث العهد والطاعة . ولاجل ذلك امير الترك اخذه الطمع وصار يغزي في نواحي انطاكية ، وينهب ويقتل . فصدف ان وقع بين يديه جوسلين صاحب الرها وارسله مغلولاً الى حصن خارج الفرات .

فلما سمع بذلك بلدوين ، توّجه الي طرابلس فأعاد صاحبها الى

---

١) والصواب الوقيمة ، اي الخصام والخلاف . واما جوسلين فقال عنه ابن العبري ص ٣٤٦ مــا نصه : « في سنة ٥٠٦ هج سار الامير مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل الى سروج وفعل فيها كذلك ولم يحترز من الفرنج ... فدهمه جوسلين صاحب تل باشر وكبسهم واخذ من الدواب المنتشرة في المرعى كثيراً وقتل من الجند كثيراً وعاد الى تل باشر بقرب الرها . »

الطاعة من غير قتال. ثم سار الى انطاكية فانهزم الترك من قدامه. وعندما قصد السفر الي الرها ليصلح امورها ويستفك جوسلين وهو في طمأنينة الخاطر (من الاعداء) ، ولا معه الا خاصته لا غير ، صدف انه وقع ليلا في يد الترك ، واخذوه مغلولاً الى عند جوسلين .

فلم اخلاهما من حسن عنايته ، بل ادخل الى الحصن خمسين رجل ارمني من سكان تلك النواحي ، فقتلوا الحراس ، وهمّوا في خروج الاسرى . ولكن للوقت شاع الخبر في الضياع القريبة وكانوا كلهم مسلمين ، فاخبروا امير الترك واسرعوا في القدوم الى الحصن ، واحتاطوا به . فلم يفلت من الفرنج الا جوسلين برفقة اثنين . فلما وصلوا الى الفراة (ت) قطعوه سباحة طرفين ، وارسلوا الى انطاكية والى بيت المقدس ليأتوهم بالنجدة . وقبل ان تقدم الفرنج ، شدّدوا المسلمون في الحصار على الحصن وامروا الملدون (أن) يثقبوا حيطانه ، فالتزموا بسلّموا الحصن. عند ذلك قبضوا على الارمن فسلخوا بعضهم ونشروا بعضهم ، ووضعوا بعضهم اشارة للقيس ، وقبروا بعضهم وهم باقين في الحياة ، فأبادوهم عن آخرهم . وبلدوين الملك نقلوه مغلولاً الى مدينة حاران التي بقرب الرها .

٥١ – وتلا ذلك هجوم المصريين فكان وبالاً عليهم : واما خليفة مصر فلما تحقق عن قضية الملك بلدوين ، جهّز العساكر في البر وارسل سبعين غُراب في البحر ليستخلص من يد الفرنج بلاد القدس . واما الفرنج فاختاروا لهم أوسطات صاحب صيدا وقيسارية ليكون هو حافظ الملك في غيبة بلدوين الملك ، وجمع هو والبطرك نحو سبعة آلاف (مقاتل) ، ومن قيسارية توجّهوا الى يافا التي في

الحصار من المصريين الذين قدموا في البحر . فلما تحققوا المصريين عن قدوم الفرنج ، دخلوا الأجربة وهربوا[1].

ثم وصل عسكر البر وكانت جملتهم ستة عشر الف مقاتل ، فرفعو عليهم الفرنج راية الصليب وقحموا على المصريين كالأسود الكاسرة ، فقتلوا منهم نحو سبعة آلاف ، كما يذكر مطران صور اللاتيني ، وغنموا بجميع ما وجدوا معهم ، رجعوا الباقي مهزومين الى مصر .

٥٢ — وفاة ارسطاط الحافظ ونجدة اهل البندقية : وفي هذه السنة كانت وفاة اوسطات الحافظ فاختاروا بدله جوليلموس صاحب طيباريه .

وفي هذه السنة خرج من البندقية مخايل أمير البندقية باربعين جراب وثمانية وعشرين مركب ، قاصدين معضدة النصارى الذين في بلاد القدس . فقدموا الى جزيرة قبرس ورسوا فيها . فلما بلغهم مجيء اجربة مصر الى سواحل الشام استعدوا على قتالهم ، ووجهوا اليهم اولاً المراكب وهم راسيين في مينة (ميناء) عسقلان . فظنوا اصحاب اجربة مصر انهم مراكب الوسق . ولذلك قطعوا مراكب الاجربة واسرعوا الى تشليحهم (اي سلبهم) . فأدركتهم للوقت اجربة البندقية واحاطت بهم ، فقتلوا منهم نفراً لم يحصى لهم عدد ، وقيل ان احمرّت مياه البحر من دم القتلا (القتلى) مدا (مدى)

---

١) قال ابن العبري بهذا الصدد ص ٣٥٢ ما حرفيته : « في سنة ٤٢٤ ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو علي بل المستعلي العلوي صاحب مصر بعد ٢٩ سنة ونصف خلافة ، خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه ولم يكن له ولد ، فولي بعده بن عمه ابو الميمون عبد المجيد بن ابي القاسم بن المستنصر العلوي صاحب مصر ولقب بالحافظ لدين الله ، ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة ... » .

ميلين ، وان نشح الفضاء من جيَف القتلا . فاخذوا منهم اهل البندقية اربعة أجربة ، وخمس برشات ثم اقتفوا بأثر المهزومين حتى وصلوا الى عريش مصر فصدفوا عشر مراكب موسوقين مـن تحف الشرق ، واقمشة وبهارات فغنموا بهم ، وقتلوا من قتلوا من النوتية ، وامروا الباقي وعاودوا بهم مسرورين الى جهة عكا .

فوصلت اليهم المكاتيب من البطرك ومن الحافظ وقواد الشعب يهنؤهم بالنصرة ويدعونهم الي زيارة بيت المقدس . فعيّدوا عيـد ميـلاد الرب بفرح وسرور . ثم ضربوا الديوان الى استفكاك صور وعسقلان اللذان بعدهما كانا بيـد المسلمين . وصار الشرط ان جميع ما يستخلصوه يكون ثلاثة لاهل البندقية ، والباقي لملك القدس . وان اهل البندقية يقدروا يعمّروا في القدس وفي غيره كنيسة وفرن وخان وحمام من غـير بسق ولا كمرك ولا ضيق . وان في مدينة يكون اهل البندقية معافين يدخلوا ويخرجوا يبيعوا ويشتروا ويرتبوا لهم كيل واوزان مثل ما يكونوا في نفس البندقية (وهنا انتهت الصفحة الـ ٣١) .

٥٣ ـــ استيلاء الفرنج على مدينة صور المنيعـــة : سنة اقكج (اي سنة الف ومائة وخمـسة وعشرين) مسيحية الموافقة لسنة نيح (اي ٥١٧) للهجرة سارت الجيوش الفرنجية الى اخذ مدينة صور ، وكانت مدينةً منيعة ومكفية من آلات الحصار والميّه ، وكان فيها عسكر ومتجر جميع سواحل بلاد بسره (البصرى) كان مودوع ، وهي في قلب البحر ، ولم تحكها الارض الا من جهة الشرق . وفي ١٥ من شهر شباط ، احاطت بها الفرنج براً وبحراً ، ونصبوا لهـا الحصون من الخشب ، وفي علوهم كانوا يكشفوا المدينة وابرجتها الشامخة ، واداموا الفرنج ضرب النفط والحجار والمنجنيقات وآلات

الحصار عليها ليلاً ونهاراً ، وكانت اهل صور يقاوموا عن نفوسهم وعن حريمهم واولادهم . فاستنجدوا في خليفة مصر ، وفي ملك دمشق ، فما استفادوا شيئاً من ذلك .

لان الفرنج من حين وضعوا الحصار على المدينة ، ولفّوا ان امر البندقية يكون يحافظ (على) طريق البحر لئلا تجيئهم النجدة من مصر . وان صاحب طرابلس مع نفر من اهل البندقية يحفظوا طريق البر . فقدم مرتين طغتكين مع عساكر الشام ولم يدعهم الفرنج يقطعوا النهر . فأيسوا اهل صور من النجدة ، وامتلت قلوبهم رعبةً من الجوع ومن شدة الحصار ، فسلموها في الامان . وفي سبعة وعشرين من سنة افكد (اي سنة ١١٢٤ م) امتلكتها الفرنج بفرح عظيم ، وغنموا بجميع ما كان فيها ، وقويت عبرتهم ، وقسموا الاهل لأهل البندقية الثلث كما صار الشرط بينهم قبلاً .

٥٤ً – **جوسلين يقتل امير الترك :** وعندما كانوا الفرنج محاصرين صور ، غارت اهل عسقلان مرتين على بيت المقدس ، فلم ينالوا غرضهم البتة . سار بلدق امير الترك الى أخذ هيرابوليس المدينة فقتل صاحبها وتأمل اخذها عن قريب ، فوثب عليه جوسلين صاحب الرها فقتله وارسل ناساً برأسه الى انطاكية ، ومن هناك الى العسكر الذي كان محاصراً صور (لتشجيعه) فانسرّ قلب جميعهم .

٥٥ً – **استفكاك بلدوين من الاسر ، وانكسار البرسقي : وفي** كز (اي ٢٧) من شهر عاب (آب) استفكّ بلدوين نفسه بمال وعاود الى القدس متعافياً .

وفي سنة افكه مسيحية (اي ١١٢٥) الموافقة لسنة خمساية وعشرين للهجرة قدم من خارج الفرات ، البرسقي امير الموصليين

بجيش كثير وغار على بـــلاد انطاكية ، ثم انضاف اليه طغتكين التركي ملك دمشق فتملكوا حصن الفرات بالامان . وساروا الى حصن صردان فحاصروه مدة ايام ورحلوا عنه . ثم ساروا الى حصن حصرت ، وفيما هم ينصبوا عليه آلات الحصار ، قدم بلدوين ملك القدس ، وكان بصحبته صاحب طرابلس وصاحب الرها ، وتنازلت العسكران معاً ، وكانت الكسيرة على المسلمين . فقتل منهم الفين ، ومن الفرنج اربعة وعشرين نفس لا غير كما يذكر مطران صور ، وقيل انه كان عسكر المسلمين خمسة عشر الف خيّال في العدد . واما عدد الفرنج الفين زلمة والف وماية خيال لا غير . فرجع البرسقي حزيناً على بلاده ، وبلدوين كان فرحان شاكراً لله على زيادة نعمة الله عليه ، (وهنا ثلاثة اسطر بيضاء في المخطوطة) .

٥٦ – **معركة طبرية التي انتصر بها الفرنج وقتل سنقر** : سنة اقكو (اي سنة ١١٢٦ م) مسيحية الموافقة للسنة الهجرية نكا (اي سنة ٥٢١ هج) كانت وقعة طبرية ، وذلك انه في شهر كانون الثاني جمع بلدوين جميع قواده ، وسار بهم الى جهة طبرية . فسمع بخبره طغتكين ملك دمشق وخرج الى لقاه بعسكر كبير ، فغاروا على بعضهم بعضاً ، وثبت بينهم القتال نحـو سبع ساعات ، فقتل من الفرنج نحو ماية نفس ، وقتل من الشوام نحو الفين وانهزم الباقي منهم .

وفي هذه السنة سار صاحب طرابلس بجماعته الى نواحي حماة ، وقدم الى معاضدته الملك بلدوين ، فحاصروا رافانه مدة ثمانية عشر يوماً ، وملكوها بالامان في اليوم الآخر من شهر اذار . ثم ان الملك عاود الى القدس فعيّد عيد القيامة ، وتوجّه الى جهة (انتهت الورقة ٣١) صور . فوردت اليـــه مكاتيب من انطاكية ان آق سنقر البرسقي قطع الفرات وقدم الى بلاد انطاكية بجيوش الموصل ،

ولم يعفي عن شر . بالوقت الملك قاد العسكر الى مقاتلته . فرحل البرسقي من قدام الملك ، فوثب عليه واحد من خاصته فقتله[١] .

٥٧ً – **زواج ابنة بيومند ، ثم وفاة طغتكين البطل** : وفي هذه السنة قدم الى بلاد الشام بيومند بن بيومند صاحب انطاكية فانسرّ الملك بقدومه فزوّجه بنته واعطاه في صداقها مدينة جبلة اللاذقية ، وردّ بيومند مدينة انطاكية التي كانت لأبيه ، فاستراح باله من انطاكية ، كانت كثيراً بعيدة عليه وفي اطاريف حكم الفرنج ، وجعل كل عنايته في توسيع ملك القدس . وفيها اخذ بيومند جماعته وجاز على قرية كفَرت فاستخلصها من المسلمين .

وفيها يقول ابن الحريري انه توفي تغتكين ملك دمشق ، وكان بطلاً شجاعاً ، كثير الجهاد ، وتملك بعده ابنه تاج الملوك بوري (كما روى ابن الحريري ، ص ٦٤) .

٥٨ً – **وفاة بطرك القدس ، وزواج ابنة بلدوين** : سنة اقكح (اي سنة ١١٢٨ م) مسيحية الموافقة لسنة ثلاثة وعشرين وخمسمائة ، توفي جيارمند بطرك بيت المقدس وتخلفه بعده اسطفانوس ، ثبت سنتين ومات ، واقاموا بعده جوليلموس .

وفيها (اي السنة المذكورة) بلدوين الملك زوّج بنته الكبيرة لفولقان التوارانيين وقدّم لها صداقها مدينة عكا وصور .

وفيها قُتل بدمشق ستة آلاف رجل اتّهموا بمذهب الاسماعيلية.

---

١) يقول ابن العبري ص ٣٠٢ ، « ان الباطنية قتلوا قسيم الدولة آق سنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل ، يوم الجمعة بالجامع ، وملك ابنه عز الدين مسعود الموصل ولم يختلف عليه احد » .

٥٩ - هجوم فاشل على دمشق من قبل الفرنج : وفي هذه السنة ، كما يذكر ابن الحريري (ص ٦٤) قصدوا الفرنج (ان) يتملكوا دمشق . فلما تحقق بلدوين ملك القدس ان طغتكين مات، جمع صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وقوّاد العساكر الفرنجية وساروا بجيش كثير الى محاصرة مدينة دمشق راس بندر الشام كله . فاجتمع عسكر دمشق والتركمان والعرب فكسروا الفرنج وهزموهم وقتلوا واسروا من اطارف العسكر خلقاً عظيم ، وقيل ان حدث على الفرنج مطر غزير من السماء وسيلان ماء وعواصف شديدة، فالتزموا (ان) يرجعوا باثرهم محزيين . ويقول مطران صور (اللاتيني) ان هذه الركبة كانت في سنة اقلا (اي ١١٣١ م) مسيحية في اول شهر كانون الاول .

٦٠ - وفاة خليفة مصر الآمر باحكام الله وخلفه الحافظ : سنة اقكط (اي سنة ١١٢٩ م) مسيحية[١] الموافقة لسنة نكد ٥٢٤ هج مات الآمر باحكام الله المنصور خليفة مصر ، وكانت خلافته ٢٩ سنة ، وكان ظالماً وقاسياً ، وقيل ان وفاته كانت بعد هذا التحرير بسنة . وكان وزيره شاه نشاه ابن برد الجالي الارمني حسن الاخلاق وجميل السيرة . فدسّ عليه الآمر من قتله واستولى على خزائنه وحواصله ، لم يسمع بمثلها كما يذكر ابن الحريري ص ٦٥ . فكان ثمن دوابه يب (اي ١٢) الف دينار ، وكان يغلّ لبن مواشيه في السنة ثلاثين الف دينار ، واخذ الآمر من داره ماية حمل دراهم ، وست آلاف دينار ، وسبعين الف ثوب ديباج . وولّي الوزارة بعده البطايح ولقبه المأمون ثم صلبه بعد اربع سنين .

---

١) راجع مما قلناه في الحاشية عن هذا الخليفة ، في العدد السابق عنوان ٥١ من هذا الكتاب .

وتخلف بعد الآمر بالله ابن عمه عبد المجيد ، وكنيته ابو الميمون ، ولقبه الحافظ لدين الله ، وهـــو الحادي عشر من الخلفاء العلويين الفاطميين[1] .

٦١ – حرب رضوان وبيومند ثم بلدوين في قيليقيه : سنـــة الف ومائة وثلاثين مسيحية التي توافق لسنة نكه (اي ٥٢٥ هج) هاجرية ، توجه رضوان صاحب حلب الى قيليقيه بجيش كثير ، فخرج بيومند صاحب انطاكية ليطرده . فوثب عليه رضوان وقتله وكان بيومند بعده شاباً جاهلاً فمات ولم يخلّف الا بنتاً من بنت بلدوين ودعا اسمها قوسطنصا . وحزن عليه جميع اهل انطاكية ، وبالزيادة بلدوين الملك بسبب ترمّل بنته وعدم (وجود) من يدبّر امر انطاكية .

واما زوجته فمن خوفها لا يعدموها الحكم ، استنجدت في عماد الدين زنكي[2] قائـد عسكر الاسلام . لاجل ذلـــك سار بلدوين (والدها) الى انطاكية ليرتّب امورها . فقصدت بنته ان تمنعه عن دخول انطاكية ، وعندما خاب املها ، طلعت الى القلعة وتحصّنت بهـا . فطلع الى عندها اكابر انطاكية فطيّبوا خاطرها وحظروها على ابوها ، ولكن .. اعطا... جبلة ولاذقية اللذان كان قدمها

١) اما ابن العبري فيقول عن الحافظ هذا انه هو العاشر من الخلفاء العلويين من اولاد المهدي . — وهنا تنتهي صفحة ٣٢ من المخطوطة التي نحن بصددها .

٢) ان عماد الدين زنكي بن آق سنقر شحنكية تولى بغداد ، كما قال ابن العبري في سنة احدى وعشرين بعد الخمساية للهجرة ، اسندها اليه السلطان محمود . وفي السنة المذكورة توفي عز الدين مسعود بن آق سنقر وتولى اخوه المذكور اعلاه عمـــاد الدين زنكي الموصل واعمالها . وفي السنة التالية ملك عماد الدين هذا مدينة حلب وقلعتها ثم مدينة حماة كما سنرى بعيده ، طالع ابن العبري ، ص ٣٥٢ .

لزوجها في صداقها واعطى محافظة انطاكية لناس امناء ، ثم رجع الى بيت المقدس .

٦٢ – **وفاة بلدوين الملك** : وفي حال رجوعه ووصوله وقع في حمه (حمّى) شديدة ، وللوقت خرج من القصر ودخل الى عنـــد البطرك الذي كان ساكن بقرب هيكل القيامة ، فارسل استحضر فولقان زوج بنته الكبيرة ورؤساء البيعة واعيان الجماعة فوصّاهم بولده بلدوين الذي كان له من العمر سنتين ، وسلّم تاج الملك بيـد البطرك ، والروح بيد الرب الكريم ومضى ليقبل مجازات تعبه في ٢١ من شهر عاب (آب) . فحزن عليــه كل من كــان يعرفه ، واخذوا دفنوه بعز في مقبرة الملوك تحت الجلجلة . وكان بلدوين الملك بطلاً سجيعاً ، ملك ٢٢ سنةً ونصف ، وكسر عساكر المسلمين دفوعاً شتّى واستفكّ من شرم مدينة صور الحصينة .

٦٣ – **تكليـــل فولقان ملكاً على القدس ومواصلة الحروب** : وفي الرابع من شهر ايلول تكلّل فولقان ملكاً على بيت المقدس شرطاً البطريرك وروساء البيعة والامراء ، فدخل الى طرابلس ثم الى انطاكية ، فرتّب امورها واصلح بينهم وعزل زنكي عن التخضخض في ارض الفرنج وعاد الى القدس[1].

وفي حال وصوله بلغــه الخبر ان عسكر الموصل دخل الفرات ووصل الي قنّسرين لطرد الفرنج من هناك . فاسرع فولقان بالعودة اليهم وقتل منهم انوف من ثلاثة آلاف نفس وغنم العسكر بخيلهم وخيامهم واموالهم ، وعادوا مسرورين الى مواطنهم .

---

١) نقرأ على الهامش بذات الخط : فولقان ملك القدس ، وفوق هذه الكلمات حرف الدال السريانية وعليها خط (ومعناها الرابع عدداً) .

٦٤ً – **وفاة تاج الملوك وخلفه شمس الملوك** : سنة اقلا (اعني سنة ١١٣١ م) مسيحية الموافقة لسنة نكو (اي سنة ٥٢٦ هج) للهجرة ، يقول ابن الحريري ان في كا (اي ٢١) من رجب توفي تاج الملوك بوري ابن طغتكين ملك دمشق ، وذلك ان وثب عليه اسمعيلي فجرحه ومات من تلك الجراح . وملك بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل ووصّى بمملكه واعمالها لولده شمس الدولة محمد .

وفيها يقول ابن الحريري ايضاً (ص ٦٧) ان عسكر حلب غزا اللاذقية واسروا من الفرنج سبعة آلاف واخربوا اللاذقية .

٦٥ً – **استيلاء شمس الملوك على بانياس وحصنها** : سنة اقلب (اي ١١٣٢ م) مسيحية الموافقة لسنة نكز (اعني سنة ٥٢٤ هج) هجرية صارت الوحشة بين الفرنج مع بعضهم بعضاً بسبب صاحب يافا. فسار اليهم فولقان الملك على بيت المقدس لاجل الصلح وحفظ الطاعة.

فسار شمس الملوك صاحب دمشق على غفلة من الفرنج الى حصن بانياس . فملك المدينة بالسيف ، وتسلّم القلعة بالامان وغنم بامتعتهم وأسر كثيرين منهم ، (انتهت ورقة ٣٢) .

٦٦ً – **زواج رايمندوس وتملكه انطاكية** : وفي هذه السنة زوّج بطريرك انطاكية قونسطنسه بنت بيومند صاحب انطاكية الى الامير رايمندوس برضـــا الملك وامراء الفرنج ، وتملك رايمندوس انطاكية لاجل زوجته . وكان المذكور شاباً جميل المنظر ، محباً لاهل العلم ، وبطلاً في الكون قنوعاً بنفسه وكريماً لغيره .

٦٧ً – **فولقان يبني الحصون جهات عسقلان** : وفي هذه السنة بنا فولقان حصناً منيعاً في بيت جبريل وقيل انها بيت شباع ليمنع اهل عسقلان عن التخضخض في ارض الفرنج .

وامر الخليفة صاحب مصر ان كل ثلاثة اشهر تتجهّز النجدة الى عسقلان من الرجال والميّه وآلات الحرب ليضعفوا قوة الفرنج هناك.

٦٨ – **اسمعيل ملك دمشق يستولي على حماة** : وفي هذه السنة تملّك اسماعيل ملك دمشق مدينة حماة بعد ان طرد منها زنكي الذي كان اخذهـا من سروج بالغدر ، وانتقل اسماعيل بالجيش الى شيزر فنهب بلدها ، وحاصر القلعة وقطع عنها المياه لاجل المـال الذي على صاحبها وسار الى دمشق .

٦٩ - **سقوط طرابلس وصاحبها في يد المسلمين** : وفي هـذه السنة جمع عماد الدين زنكي ابن آقسنقر قاصدين طرابلس، فخرج اليهم صاحب طرابلس بجماعته وتواقعوا معـاً فوق المدينة . وكانت الهزيمة للفرنج . فأخذا بنطوس صاحب طرابلس الى الجبل وقتلوه. وحـاصر التركمان الفرنج في حصن بعرين . ثم ان رايمندوس ابن بنطوس تكلف بدله على طرابلس وجمع عسكر الفرنج وخرجوا الى لقاء التركمان ، فرحّلوهم عن حصن بعرين ، وضبط على الذين تؤامروا على قتل أبيــه فأخذهم ولاولادهم ونسائهم الى طرابلس واهلـك جميعهم بانواع مختلفة .

٧٠ – **هجوم الروم على انطاكية ومـا حولها من المدن** : وفي هذه السنة قام ملك الروم ، لما سمع ان الامير رايمندوس تزوّج بنت بيومند من غير معرفة وتملك انطاكية ، وجمع جيوش كثيرة من كل قبيلة ومن جماعته ، وسار الى بـلاد الشام بخيول وعربانات واموال جزيلة لم تحصى . وفي حال وصوله الى قيليقية اخـــذ ترصوص ثم ادامه ومامیستره وهي المصيصه ، وبمدة يسيرة تولّى على كل قيليقيه وعلى مدنها وحصونها وكان قد تولّى عليها الفرنج منذ اربعين سنة.

ثم انه قصد انطاكية واحاطت بها الروم من كل جانب واشتد عليهـا الحصار من جانب زنكي ابن آق سنقر ، ودخل المسلمون والعربان على معاملة طرابلس، ونصب الحصار على منفرنة الذي فوق رافانه . فوصلت هذه الاخبار الى فولقان ملك القدس فسار بفرسان الفرنج الى جهـة طرابلس . فرفع زنكي الحصار عن الحصن وخرج الى لقاهم ، فكسر عساكر الفرنج في موضع ضيّق وضربهم بالسيف، وقبض على القمص (اي الكاهن) صاحب[1] طرابلس واخـذ خيم العسكر وخيلهم والسابقة التي كانت معهم . واما فولقان الملـك فالتجا الى الحصن مع ناس قلايل .

ثم ان زنكي رجع الى محاصرة الحصن ، فقتل كثيرين وخرج كثيرين ، ولم يزل يضايق الحصن ليـلا ونهاراً حتى ان من عدم الاقوات والايس (اي اليأس) من العون التزموا (ان) يسلّموا الحصن لعماد الدين زنكي بشرط انه يطلق سبيل القمص ولا يضرّ باحد من ارفاقه . فارتضى بذلك زنكي بسبب ان جاه خبر بقدوم عساكر الفرنج من بلدان بعيدة لينجدوا ملكهم بقوة .

وفي حال وصول الفرنج الى وطا عرقا اجتمعوا صاحب الرهـا وصاحب أنطاكية الذين تركوا بلدانها بيـد الاعداء واسرعوا الى معضدة ملك الفرنج ، فربح الملك جميلهم وعاود الى القدس . واما البرانس صاحب انطاكية وصاحب الرها سارا الى انطاكية . واذ لم يكن لها قوة لمقاومة ملك الروم وجيوشه ادخلوه بالامان ووضعوا رايته فوق القلعة ، بشرط ان ملك الروم يستخلص من يد المسلمين حلب وسنجر وحماة فيكونوا هولاء وما يليهم للبرنس ، وتكون

---

١) طالع هـذه الاخبار الحربية في تواريخ غليلموس الصوري اللاتيني ، ص ٦٤٠ و٦٤٢ و٦٥٢ وتاريخ الكامل عن ابن الاثير مج ١٠ ص ٢٦١ .

انطاكية لملك الروم وحده . فارتضوا بذلك الملك الرومي حنا والاخرون واكرم على البرانس بخلع شريفة واعطاه المينه وثم عاد الى ترصوص، وبعدما مهّد امور قيليقية عاود (عاد) الى القسطنطينية، (وهنا تنتهي ص ٣٣) .

٧١ – **اسماعيل ملك الشام وزنكي سنقر يواصلان الحروب على الفرنج** : سنة اقلج (اي سنة ١١٣٣ م) مسيحية الموافقة لسنة نكح (اعني ٥٢٨ هج) للهجرة ، يقول الحريري ان سار اسمعيل ملك دمشق الشام الى حصن الشقيف الذي كان قد تغلب عليه وامتنع عنه ، فاخذه من الضحاك ابن جندل رئيس وادي التيم . فعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلد حوران ، فناوشهم بجمع كثير، ثم غار على بلادهم من جهة طبريه .

وفي هذه السنة استولا عماد الدين زنكي على جميع قلاع الاكراد الحميدية وعلى قبايل الهكارية ولواسي .

٧٢ – **هجوم الاسماعيليين** : سنة اقلد (اي سنة ١١٣٤ م) مسيحية التي توافق لسنة نكط (اي ٥٢٩ هج) هاجرية ، وثب الاسمعيلية على الملك سمعيل ابن بوري صاحب دمشق فقتلوه ، وكانت مدة دولته ثلاث سنين ، وتملك دمشق بعده اخوه محمود وتلقب شهاب الدين واتابكه معين الدين أنُر .

٧٣ – **البطريرك الماروني غريغوريوس من حالات** : وفي هذه السنة كان البطريرك على الملة المارونية غريغوريوس من حالات ، وكان قاطن في سيدة ميفوق . وفي ايامه يقول ابن القلاعي في رسالته الى البطريرك شمعون ان على يد الكردينال جوليلموس قاصد بابا رومية الي شعبكم واليكم اجتمعوا في طرابلس روساء كهنتكم وعلمات (اي

علماء) شعبكم ، وكان بطرككم يدعى غريغوريوس من حالات، وهناك خطوط اياديهم ، كبير وصغير ، وحلفوا انهم يكونوا طايعين بابا رومية ، وثابتين في ايمانه... وكان البابا في ذلك الزمان زخيا الثاني.

٧٤ – مواصلة الحرب الصليبية بين فولقان والمسلمين وزنكي...

وفي سنة اقله (اي سنة ١١٣٥ م) مسيحية الموافقة لسنة نلا (اعني ٥٣١ هج) للهجرة تسلم شهاب الدين محمود بن بوري حمص وقلعتها.

وفي سنة اقلو (اي سنة ١١٣٦ م) مسيحية الموافقة لسنة نلا (اعني سنة ٥٣١ هج) هاجرية ، سار فولقان ملك القدس خارج نهر الاردن ليأخذ الحصن الذي على راس الجبل الذي قبل جبل جلعاد، وكان معه نفر كثير من الذين قدموا لزيارة القدس الشريف ، فأخذ الملك الحصن لان كانت تجتمع فيه المسلمون من كل البلدان ويصيروا يخضخضوا في ارض القدس....

وفي هذه السنة كانت الوقيعة عند حبرون بين الفرنج وجيش عسقلان ، وكانت الكسرة على الفرنج.

وفيها (اي السنة المذكورة) سار عماد الدين زنكي صاحب الموصل ففتح المعرة وكفرطاب (كورة حلب) واخذهما من الفرنج. ثم سار الى بعرين ، فجمع الفرنج جيوشهم وملوكهم وجرى بينهم (اي الاطراف المتحاربة) قتال شديد جداً ، فانهزم الفرنج الى حصن بعرين . وعاود زنكي الى حصار الحصن وضيّق عليهم حتى طلبوا الامان ، فقرّر عليهم الحصن وخمسين الف دينار .

٧٥ – ودخل في الحرب ايضاً ملك الروم : وفي هذه السنة ايضاً سار ملك الروم حنا الي بلاد الشام ثاني مرة وكان معه اولاده

وجيش عظيم . وفي حال وصوله لانطاكية ، مات له ولدان. فوكّل بها اخوهما اسحاق حتى اخذ دفنهما في القسطنطينية . ثم سار الى طور بسيل[1] الذي بقرب الفرات ، فخرج الى لقاه جرسلين امير الرها ، فطلب منه رهناً لاجل حفظ الطاعة ، فازوجه جوسلين بنته اذ لم يقدر يقاوم قوته . ومن هناك في دخول تشرين انتقل الى جهة انطاكية ، فارسل قصاده الى البرانس حتى يدخل اولاده داخل المدينة كما سبق العهد .

فضجّت اهل انطاكية كلها بصوت واحد ان هذا الشيء لم يكون ، وان الزموه في الدخول فيخلونها كلهم ام انهم يبذلون نفوسهم دونها . فحنق الملك لكلامهم وابقى فتح المدينة لوقت آخر وعاود الى قيليقيه حتى يشتّي جيشه فيها .

٧٦ – قدوم بطرك الارمن الى القدس، ثم وفاة بطرك انطاكية:

وفي هذه السنة قدم الى بيت المقدس مكسيموس بطريرك الارمن فاستقرّ بالايمان المستقيم ، واخضع نفسه لطاعة الكنيسة الرومانية ، وجحد الزرايا والبدايع (اي البدع) التي تتمسك بها طائفة الارمن، واوعد على نفسه انه يقدّم كل سعيه حتى ايضاً طائفته ترجع الى الايمان القويم[2] .

وفي هذه السنة كانت وفاة برنردوس الفرنجي بطريرك انطاكية،

---

١) يقول ابن العبري ص ٣٠٤ : « ان باسيل الارمني صاحب دروب بلاد ابن لاون وهو المسمّى كوغ باسيل اي اللص باسيل ، مات سنة ٥٠٣ هج ، وسمّي باللص لانه سرق عدة قلاع من الثغور وتملكها الارمن الى الآن . »

٢) راجع عن الارمن وبطريركهم ورجوعهم الى الدين القويم ، تواريخ غليلموس الصوري المعروفة ، ص ٦٨٧ حيث ذكر حادثة سنة ١١٤٢ مسيحية . (انظر تاريخ الازمنة المطبوع للدويهي نفسه ، ص ٤٣ في الحاشية) .

وفي البراطيل تغلّب على ذلك الكرسي رودلفوس من غير رضا الكهنة والاساقفة ، فنودي على البيعة في الطاعة قائلاً انه مساوي لبابا رومية في المرتبة والدرجة والسلطان ، وان الكرسي الانطاكي اجلّ من الروماني بسبب الاقدمية . ثم انه بعد مدة استفاق ودخل الى رومية الكبرى واستقرّ بخطيئته وقدم الطاعة لصاحب الكرسي الروماني .

٧٧ – الحرب في حلب وشيزر وباب مراغه يقوم بها ملك الروم ، اما فولقان فيبني الحصون حول القدس للحفاظ على آمنها :
سنة افلز (اي سنة ١١٣٧م) مسيحية الموافقة لسنة نلب (اعني ٥٣٢ هج) للهجرة ، سار ملك الروم حنا الى مدينة براغه[1] وهي على ست فراسخ من حلب ، فملكها بالامان في شهر رجب ، ثم غدر باهلها وقتل منهم واسر وسبى . ويقول ابن الحريري ان تنصّر قاضيها ومعه قدر اربعمائة نفس ثم رحل عنها بن معه الى حلب فنزل على قوَيق ، وزحف على حلب ، وجرى بينهم قتال كثير فكسروا الفرنج وقتل منهم بطريق عظيم القدر .

ثم رحلوا الى الاتارب فملكوها وتركوا فيها سبايا براغه ، وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم . ثم سار ملك الروم على شيزر ونصّب عليها ثمانية عشر منجنيق ، فخرج اليه نائب زنكي بحلب بن معه واوقع بن في اتارب ، فقتّل الروم وخلّص اسرى براغه وسباياها . وارسل صاحب شيزر الى زنكي يستنجده . فركب

١) اما في تاريخ مختصر الدول لابن العبري فهي باب مراغة ، حيث يذكرها ص ٣٥٥ ويزيد قائلاً ان فيها دخل ٢٤ رجلاً من الباطنية دخلوا على الخليفة الحافظ لدين الله وهو عائد الى بغداد وقتلوه بعد ان اثخنوه جراحاً ومثّلوا به وتركوه عرياناً يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة على باب مراغه، وبقي حتى دفنه اهل مراغه وكان عمره ٤٣ سنة وخلافته ١٧ سنة ونصف السنة .

زنكي عسكره ونزل على العاصي بين حماة وشيزر حتى ان رحل ملك الروم عنها . وارسل ملك الروم مكاتيب محبّبة الى فولقان ملك القدس ويعلمه بان في خاطره (ان) يزور المدينة المقدسة . فتفزّع منه فولقان . واذ لم يتجاسر (ان) ينهيه عن ذلك ، جاوبه بان البلاد مقحط (= ذو قحط) والاسعار غالية ، ولا يرى ان مدينة القدس تقدر ان تقوم بكل جيشه ، بل اذا قصد الزيارة ليأتي بعشرة آلاف نفس حتى يخرج هو بنفسه الى لقاه ويقتبله بكافة الكرامة التي تليق لسيده . فاقتنع بذلك ملك الروم واكرم على قصاده بخيرات كثيرة .

وعندما عاود ملك الروم الى طرسوس وخرج الى الصيد ، حدث انه جُرح يده بنشّاب مسمّ فمات منه . وحزن عليه كل الجيش . ثم ان ابنه امنوال الذي تخلف بعده في الملك حمل جسده ودفنه في اواخر شهر عاب (آب) من شهور سنة اقلح اى سنة ١١٣٨ مسيحية . واما الفرنج تطمّنت خواطرهم من كل جهة ، ولم تبقى لهم ضوّ في كل بلاد القدس الا مدينة عسقلان . فابتنا فولقان الملك برجاً منيع في قرب اللّد وحصناً آخر في حدود الفلسطانيين بقرب عسقلان . وبعد مدة عمّر غزّة وشيّدها بالاسوار والابرجة ، فضعفت قوة الاعداء وآمن البلاد من نقّهم .

وايضاً الست زوجة فولقان ابتنت لاختها ديراً في بيت عنيا واقامت له حصناً منيع ليصونه من الامم الغريبة ، وانعمت على ذلك الدير بوقوفات وعطايا جزيلة .

٧٨ – حرب المماليك على ملك الشام ، وحدوث زلازل فيها :

سنة اقلح (اعني سنة ١١٣٨ م) مسيحية الموافقة لسنة نلج (٥٣٣

هج) للهجرة يقول ابن الحريري ان وثب جيش المماليك على شهاب الدين محمود ملك الشام فقتلوه . وقدم اخوه جمال الدين محمد من بعلبك فتسلّم دمشق واعطى مدينة بعلبك لمعين الدين اتز .

فلما راى ذلك عماد الدين زنكي سار على بعلبك فملكها بالامان، وعصت عليه القلعة اياماً ، فأمّنهم وسلّموه القلعة ، فلما ملكها غدر بهم وصلبهم عن آخرهم[1].

وفي هذه السنة يقول المؤرخ ان توّالت (توالت) الزلازل في الشام ، وأخربت كثيراً من البلاد ، سيا حلب حتى فارقت اهل حلب بيوتهم وخرجوا الى الصحرى، ولم تزل من رابع صفر الموافق لتشرين الاول من سنة اقلز (اي ١١٣٧) الى التاسع عشر منه (وهنا انتهت الصفحة ٣٤) .

٧٩ – هجوم زنكي على الشام ، وفاة فولقان ، هرب جوسلين :
سنة اقلط (اي سنة ١١٣٩ م) الموافقة لسنة نلد (اعني سنة ٥٣٤ هج) للهجرة ، اشتدّت عبراة (قوات) عماد الدين زنكي وتوجّه الى محاصرة دمشق ، فخرج عليه صاحبها محمد السالف الذكر وتواقعا (في المعارك) . فانهزم عسكر دمشق وقتل منهم خلقاً كثير ، وزحف زنكي الى المصلّي وكاد ان يأخذ البلاد . ثم ارسل الى صاحبها محمد ابن بوري وبذل له حمص وبعلبك . وثبت نازل على داريّا حتى مرض محمد صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان . وتولى على دمشق ولده مغير الدين اتق .

---

١) وقتل عماد الدين هذا غيلةً ، وهو يحاصر قلعة جعبر بجهات العراق ، قتله جماعة من مماليكه وهربوا الى قلعة جعبر ، وصاح من بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاظهروا الفرح، ومات لوقته وكان شديد الهيبة وعظيم السياسة ، قاسياً في احكامه ، لكنه يحب العمران (طالع ابن العبري ، ص ٣٠٩) .

فطمع زنكي بالزايد على اخذ المدينة وزحف اليها واشتدّ القتال فاستنجد مغير الدين صاحب دمشق بفولقان ملك القدس ، واوعد بالخروج على عسكر الفرنج كل شهر عشرين دوكات ذهب ، وان متى يرتحل زنكي عن حصار المدينة تكون بانياس لفولقان ملك القدس ، ولاجل تصديق القول ارسل له اولاد امراء دمشق ليكونوا عنده في الرهن . فرضي بذلك ملك القدس وجمع امراء العساكر عند طبريه وزحفوا على زنكي . فانهزم من قدامهم وهرب ، ثم انهم طلبوا ينتقلوا الى بانياس ، فاختبروا ان الذي كان حافظها من قبل مغير الدين سلّمها بيد زنكي (التركاني) .

ولاجل ذلك في اول شهر ايار أحاطته الفرنج ببانياس ونصبوا عليها حصناً من الخشب وشدّوا عليها الحصار فملكوها بالامان . واما زنكي فعاد الى محاصرة دمشق في سادس شوّال ، فأحرق عدةّ من قرى المرج وارتحل عنها . وفي هذه السنة ملك زنكي شهرزور واعمالها ، واخذها من صاحبها ابن البرسلان التركاني . وفيها اخذت الاسمعيلية حصن مصياف وجبله . وفيها مات البديع الاسطولابي هبة الله ابن الحسين وكان له اليد الطولى في عمل الاسطولاب والآلات الفلكية .

وفي هذا الزمان كان ساكن في العراق القس ابو فرج عبدالله ابن الطيب[1] .

٨٠ ـ البطريرك المازوني يعقوب من رامات : سنة اقمب (اعني سنة ١١٤٢ م) مسيحية الموافقة لسنة نلو (اي سنة ٥٣٦ هج) هاجرية كان متولى بطريركية انطاكية يعقوب من رامات من عمل البترون بالشمال .

---

١) طالع ما شرحناه عنه في تاريخ الدويهي المجلد الاول ، ص ١٨٣ – ١٨٦ .

٨١ ــ وفاة فولقان ــ اختلاف بين صاحب انطاكية والرها :

سنة اقب (اي سنة ١١٤٢ م) مسيحية الموافقة لسنة تلز التي هي ٥٣٧ هاجرية . في عشرة من كانون الثاني خرج الملك فولقان ليتنزه في البساتين ، وكانت الملكة بصحبته ، وصار انه طرد ارنبة من قدامه فقنطر به الحصان . وفي اليوم الثالث مات . وكان فولقان الملك رجلا اشقراني، جميل المنظر، وسامي النسب ، وحسن الاخلاق، وكثير الرحمة والفهم ، وسجيع في الحرب وغيوراً في الدين . صلّح ودبّر مملكة بيت المقدس مدة احد عشر سنة وثلاثة اشهر ، وخلف ولدين : الاول اسمه بلدوين الذي تولا المملكة وهو ابن يج (١٣) سنة ، وفي عشرة من تشرين الثاني اندهن ملكا من يد البطريرك وتكلل هو ووالدته في اكاليل الملك ، واسم اخيه الصغير الماركيس الذي عند وفاة ابيه كان عمره سبع سنين .

وفي هذه السنة كانت الوحشة بين جوسلين صاحب الرها والبرنس صاحب انطاكية . فطمع بهما زنكي صاحب الموصل وقصد فتح الرها. وكان جوسلين يومئذ في طور بل[١] بعيداً عن الرها سفر يوم . فارسل يستعطف خاطر رايمندوس البرنس صاحب انطاكية ، ويطلب منه ومن الملك الجديد النجدة . فتأخر عنه البرانس بسبب الوشمنه (اي الخصام) التي كانت بينه وبين جوسلين . فحاصر زنكي الرها ثمانية وعشرين يوماً وشدّ عليها الحصار ، وملكها بالسيف وضرب اهلها بالسيف ايضاً قبل ان يوصل من النجدة بلدوين الملك (انتهت الورقه ٣٤) .

---

١) والاصح « تلّ باشر » كما يذكر المؤرخ المعروف ابن العبري في مختصر الدول ، ص ٢٤٦ حيث يقول : وسار المسلمون من الموصل الى الرها فنزلوا عليها ورعى عسكرهم زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك ولم يحترز من الفرنج بل أهملهم فلم يشعر الاّ وجوسلين صاحب تل باشر قد دهمهم وكبسهم واخذ كثيراً منهم وقتل كثيراً... »

٨٢ً – زنكي يعاود الحرب في كل جهات العراق على الفرنج :
سنة اقمج (اي سنة ١١٤٣ م) الموافقة لسنة نلح هجرية (أي سنة ٥٣٨ هج) اصطلح عماد الدين زنكي مــع السلطان مسعود وسار زنكي في عسكره الى ديار بكر فتملّك طمزه واسطوت وجيزان وحصن الروم وحصن بطليس وحصن باسا وحصن ذو القرنين . واخذ من بلاد ماردين مما هو بيد الفرنج حمّلين والموزر وتل موزر وحصون شبّ جناز . وفي هذه السنة ملك آتابك زنكي صاحب الموصل عانه من اعمال الفرات[1].

وفيها (اي السنة المذكورة) اخذ المسلمون الحصن الذي في وادي موسى حيث النبي ضرب الصخرة واخرج منها للشعب المطشان ، وهو في بلاد الشوبك ، وكان بيد الفرنج . فسار الى ذلك الحصن بلدوين الملك وشدّ عليه الحصار . فلم قدر يسترجعه . عند ذلك قصد الفرنج حصن الزيتون لاجل فكّ ذلك الوادي وقطعه ، فاضطر اهل البلاد ان يسلّموا الحصن بالامان ، وان لا يحصروا المعاش الذي يأتيهم كل سنة من الزيتون .

٨٣ً – زنكي ايضاً يتسلم سروج والرها وبعض الحصون الاخرى:
وسنة اقمد مسيحية (اي ١١٤٤ م) الموافقة لسنة نلط (اعني ٥٣٩ هج) للهجرة تسلّم زنكي سروج وسائر الاماكن التي كانوا بيد الفرنج بشرقي الفرات . ونزل على البيرة وحاصرها (وهي من امنع الحصون)

---

١) ان آتابك هذا لما وصل سنة ٥٣٢ هج الى حماة ، ارسل الى صاحب دمشق شهاب الدين يخطب اليه امه ليتزوّجها (كما يقول ابن العبري ص ٣٥٨) واسمها زمرّد خاتون ابنة جاولي وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق على نهر بردى . فتزوجها وتسلّم حمص مع قلعتها. وانما حمله على التزوج منها ما رآه من تحكمها في دمشق ، فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها. فلما تزوّجها خاب امله ، فاعرض عنها .

وقارب ان يفتحها وسمع ان نائبه نصير الدين في الموصل قتل فرحل عنها . فخاف من في البيرة من الفرنج ان يعود اليها زنكي فأرسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها اليه فملكها المسلمون .

وفيها (اي السنة المذكورة) قدم صاحب حوص[1] التي في بلاد العرب الى عند بلدوين الملك وطلب منه نعمة ليسلمه بوري . فرضي بذلك بلدوين وزحف في العسكر الى بلاد الشوبك فاحتمل مشقة عظيمة من الشوام ومن اهل البلاد لاسيما من زيادة الشوب وعدم وجود المـــاء في الطريق . وعندما وصلوا ، لقيوا ان زوجة الرجل صاحب بوري سلمت المدينة بيـــد المسلمين . فرجعوا الى القـــدس مهزومين . واما قائد الجيش على المسلمين فانه مسك الرجل صاحب المدينة وسمل عينيه وقبض جميع امواله . وفي هـــذه السنة زحف الجراد في بلاد الشام .

٨٤ – وفاة زنكي غيلةً ، ومواصلة الحرب مع نور الدين :

سنة اقمه (اي سنة ١١٤٥ م) الموافقة لسنة خمسمائة واربعين هجرية ، حاصر عماد الدين زنكي قلعة جعبر ، وكان صاحبها علي ابن مالك العقيلي ، وطالت المدة وكان نازلاً عليها ، فوثب عليه جماعة من مماليكه ليلاً فقتلوه وهو سكران في خامس الربيع الاول . وكان عماد الدين زنكي ابن اق سنقر صاحب الموصل رجلاً شجاع مهيب ، حكم على مدائن كثيرة . ولمـا قتل اخذ ابنه نور الدين محمود خاتم والده وسار الى حلب فملكها . وكان ابنه سيف الدين غازي في

---

١) وجاء في تاريخ الازمنة المطبوع ص ٤٩ بهذا الخصوص مـا يلي : « وفيها صاحب بوصرى التي في بـلاد العرب أوعـد لبلدوين الملك ان يسلمه المدينة . . . » (انظر تاريخ الكامل ، مج ١١ ، ص ٤٠) .

مدينة شهرزور (وهي اقطاعـــه) . فسار الى الموصل[1] واستقرّ على ملكها .

وفيها (= السنة المذكورة) سمع مغير الدين سلطان دمشق بمقتل زنكي ، فحاصر حصن بعلبك وتسلّمها بالامان ، واعطى لنجم الدين ايوب حافظها اقطاعاً وعدة قرى من بلاد دمشق ، (وهنـا تنتهي صفحة ٣٥) .

٨٥ً – **نور الدين يقاتل جوسلين في الرها** : في سنة ا٥٤ه (اي سنة ١١٤٥ م) مسيحية جمـع نور الدين ابن زنكي السالف الذكر الجيوش الحلبية والشامية وتوجّه الى نواحي الموصل لمقاتلة اخيـــه سيف الدين . فارسل قصاده للرها يعلموا جوسلين بان الرها كانت خالية من المسلمين . فقطع هذا جوسلين الفرات بجماعته ووصل الى الرها ليلاً فأدخلوه النصارى من السور وتملك المدينة ووضع الحصار على القلعة التي كانت بيـــد المسلمين . فجمع نور الدين الرجال من داخل الفرات ومن خارجه ونصب المنجنيقات والحصار على المدينة . واما الفرنج فمن عدم آلات الحصار والميّه طلبوا الرحيل ، وخرج معهم نصارى المدينة بنسائهم وأولادهم .

فوثب عليهم نور الدين واهل القلعة المحصنة واخذوهم في الوسط... فقتلوا منهم خلقاً كثير وغنموا بما معهم ، ولم يفرّ الاّ جوسلين ونفر قليـل من جماعته ودخلوا شميشاط والآخرون في مواضع اخرى .

---

١) بناءً على استدعائه من قبل زين الدين عـلي كوجك نائب ابيه عمـــاد الدين زنـكي في الموصل ، فحضر هو حالاً واستقرّ ملكاً على البلاد ، وبقي اخوه نور الدين في حلب وهي له (راجع ابن العبري ، ص ٣٥٩ ، والكامل ص ٤٤ وما بعدها) .

ثم دخل بلاد الفرنج وفتح مدينة ارتاح بالسيف ، وحصن مامولة وبصرفوت وكفرلاثا[١] .

وفيها توفي في شهر ايلول جوليلموس بطرك بيت المقدس وصيّر بعده فولقار الذي كان مطران صور .

٨٦ – امراء بحتر في بيروت : وفي هذه السنة ، كتب مغير الدين ملك دمشق الى المير بحتر ابن شرف الدولة ابن تنوخ المشهورين بامراء الغرب في ثغر بيروت ، انه يتصرف في القرى الذين بجبل بيروت كما كانوا تصرّفوا والديه بالضياع الذين بالقرب .

٨٧ – تدخل البابا اوجانيوس لدى ملوك اوروبا لتخليص الاراضي المقدسة وهزيمة الصليبيين في الاناضول : سنة اقمو (اي سنة ١١٤٦م) مسيحية الموافقة لسنة ثمـا للهجرة (اي سنة ٥٤١ هج) ، عندما ضعفت احوال الفرنج في بلاد الشام وحصروا الرها ، ارسلوا مكاتيب ومراسيل الى قدس البابا اوجانيوس الثالث يطلبوا منه النجدة . فبعث البابا مكاتيب وقصاداً الى بلدان النصارى وملوكهم يحثّهم على معضدة المؤمنين الذين في بلاد الشرق .

فكثيرون قصدوا السفر ، وكان الامام فيهم الامبرادور (الامبراطور) كونرادو ملك الالمان ، ولويس ملك فرنسا وجملة امارة ومقدمين من بلدان مختلفة . والاول الذي قدم الى القسطنطينية كونرادو وكان برفقته انوف عن سبع كرات مقاتل غير النّزاح والنساء والاولاد ، فترحّب بهم منوال ملك الروم ، وارسل معهم ناساً تدلّهم على الطريق فاجتاز بهم القلاوز بلاد بيطينية ، وبلاد ليقاونيه في طريق

---

١) كما ذكر غليلوس الاسقف الصوري في تواريخه ، ص ٧٣١ والكامل ، ص ٤٦ من الجزء الحادي عشر .

البرية . ثم غدر بهم ليلاً وعاود الى الوراء مراً . فشاع خبرهم ان خيولهم غطّت الارض ، وجيوشهم نشّفت النهورة . فاضطرب من اجلهم بلاد الشرق .

فارسل سلطان ايقونية يطلب النجدة من بلدان الاسلام ويوعدهم في كثرة الاموال والخدم . فوردت اليـــه الناس من بلدان الارمن والقبادوق وايصوريه وقيليقية ومادية والموصلية ، وعندما عاين جيش الفرنج في موضع قفر مهانين من قلة المياه ومشقة الطريق ، وثبـوا عليهم في غفلة وغنموا بجميـع اموالهم وذخائرهم وخيولهم ، واسروا منهم كثيرين الذين من قلة معرفتهم المسالك كانوا رغماً عنهم يسلموا نفوسهم في يد الاعداء ، ولم يخلص من الرجال عشرهم . فرجعوا مع الامبرادور مهزومين الى نيقية[1] .

ثم قدم الى القسطنطينية لويس ملك فرنسا بسبعين الف جندي فترحّب فيه ملك الروم... ثم اجتمع كونرادو الامبرادور وتوجهوا معاً من نيقية الى ازمير ومن هناك الى افسس . ثم ان كونرادو اخذ خاصته وعاود بهم الى القسطنطينية واعزه ملك الروم كثيراً لانه كان سلفه .

وفيها (اي السنة المذكورة) توفا جوليلموس بطرك بيت المقدس وتخلّف في الكرسي بطرس القسيس رئيس قبر الخاص ، (وهنـــا انتهت الورقة ٣٥) .

٨٨ - تقهقر الجيوش الفرنجية امام اسوار دمشق وقوات العرب وصولهم الى نهر العاصي : في دخول سنة اقمز (اي سنة ١١٤٧م)

---

١) هنا نقرأ على الهامش بالعربية هذه الكلمات : « ما هنا لم يصح لك قول بل لموضع آخر » .

مسيحية ، انتقل لويس ملك فرنسا بجيشه الى جهة لاذقية ، وعندما وصلوا للنهر وقف عسكر المسلمين باذاءهم ليمنعهم عـــن الدخول ، فاهتدوا بمعونة الى المخاضة وقطعوا النهر ، وزحفوا عـــلى الاعداء فكسروهم وغنموا بمالهم . وبعدما اجتازوا اللاذقية قصدوا طلوع جبل عال عند العصر ، وهم متعوبين من شقاء الدرب وجفاء الظلمة ، فقدم في هوام عسكر الاعداء فشتّت شملهم وكسرهم كسرةً عظيمة .

ثم بعد جهدٍ جهيد من عدم الاقوات وجفاء الطرقات ، دخلوا بـــلاد الشام . وفي وصولهم الى العاصي ، خرج البرانس صاحـب انطاكية ودولته فاقتبلوهم بكافة العز والكرامة ، واكرم عليهم بالتحف والعطايا ، وفي الخاصة لان حرمة الملك لويس كانت ابنة ابو البرانس وكانت برفقته . ثم ان ملك فرنسا سار في طريق البر من انطاكية ، واما كوتراد ففي طريق البحر من القسطنطينيةً ، ووصلوا الى زيارة القدس الشريف . فاقتبلهم البطريرك وملك القدس بفرح لا يوصف .

وفي ٢٥ من ايار الذي به تبدأ سنة نمج (اي ٥٤٣ هج) للهجرة ، اجتمع ملوك الفرنج ثلاثتهم مع مطارنتهم وامراءهم وجيوشهم واتفقوا على استخلاص مدينة دمشق . فساروا الى طبرية والى بانياس حتّى الى داريّا التي هي ببعد البريد عن دمشق . ويذكر ابن سباط ان كان عددهم ستين الف رجل وستة الاف فارس . واما عسكر دمشق فلا يحصى عددهم . والتقى الفريقان بالقتال وقتـل مـــن المسلمين نحو ميئتي رجل . ثم تبارزوا في الغـــد وعملوا المصاف فقتل من المسلمين ومن الفرنج خلق كثير بـــل خلائق كثيرة . وفي اليوم الخامس من وصول الفرنج الى دمشق ، وصل في نجدة المدينة صاحب الموصل سيف الدين وكان معه عشرين الف راجل ، ووصل اخوه

نور الدين محمود من حلب ومعه نحو عشرة آلاف مقاتل ، وكان اهل دمشق قد فرشوا الرماد ، وحطوا المصحف في الجوامع وضجّ الناس وبكوا واستغاثوا بالله ، وكانت البنات والصبيان مكشوفين الرؤوس يتضرعون الى الله .

فلما وصلت النجدة للمسلمين ، اشتدّوا للقتال . واما الفرنج فاختلفت اراؤهم مع بعضهم بعض وذلّت قلوبهم ، لكثرة جيوش الاعداء وآلاتهم . فانهزموا عن دمشق بعد ان قتل منهم الوف كثيرة ، وقتل ايضاً من المسلمين ، وبجملتهم قتل شاه نشاه ابن نجم الدين ايوب . ومن هذه الوقعة (= المعركة الرهيبة) ذلّت الفرنج وطمع فيهم المسلمون .

ثم ان كونراد الامبرادور رجع في البحر الى المانيا بلاده . وفي حال وصوله ، توفي وتخلف بعده ابن اخيه فادريك امير صابويا الذي هو ايضاً كان برفقته في زيارة القدس . كذلك ملك فرنسا بعدما عيّد في القدس ، عاود مع زوجته الى مملكته فرنسا . «وقبل القديس برنردوس وَحْياً من الله بان خطيئة الزنا هي التي كانت سبباً لان الله تخلّى عن الفرنج حيث ما استملكوا مدينة دمشق ، وان الذين ماتوا في الحرب ، خلصوا لاصل غيرتهم وسفك دمائهم في سبيل انتشار النصرانية »[1].

وكان البابا اوجون الثالث ولويس السابع ملك فرنسا ، وكان

---

١) هـذا المقطع نقرأة على الهامش ، كما اننا نقرأ على الهامش المقطع التالي نصه في المتن . والمعنى من هذا القول المنسوب الى القديس برنردوس «ان الله تخلّى عن الناس لكثرة خطاياهم وخاصة خطايا الزنى كما قال القديس برنردوس بوحي من السماء » . (طالع تاريخ غليلموس الصوري ص ٧٦١ - ٨٧٠ ، والكامل ص ٥٣ من الجزء الحادي عشر من تواريخه) .

المكد ّ في هذا السفر القديس برنودوس في فرنسا . فانه استمال الى وعظه الملك لويس والست زوجته وغالب امراء المملكة واكابرها وشعباً لا يحصى عديده حتى ان كانت انشلت بالرجال بلاد فرنسا. وكان مع الملك سبعين الف فارس والمشاة بلا عدد . كما قصد ايضاً كونرادو الامبراطور ومعه ايضاً جيش لا يحصى . ولكن هذا بسبب انه اراد يسبق ملك فرنسا ، عند وصوله الى القسطنطينية غدروا به الروم وابادوا جيشه من بغضهم لكرلوس الامبرادور الذي كان سابقاً واراد (ان) يتملك بلدانهم . فاضطر الامبرادور المذكور يعاود الى جيش سلطان فرنسا فاستقبله هذا بكل بشاشة وغدروا بجيشهم على عسكر الاعداء فشتّت شماهم وكسرهم وغنم بامتعتهم عند النهر المعروف باسم ميهندروس (Miondros) .] وهنا انتهت صفحة ٣٦ من المخطوطة] .

٨٩ً - القتال حول انطاكية بين نور الدين وجوسلين وريمندوس :

سنة اقمح (اي سنة ١١٤٨ م) الموافقة لسنة ثمـد هاجرية (اعني ٥٤٤ هج) ، يقول مطران صور اللاتيني ان نور الدين جمع من بلاد الشرق جيشاً كثير وسار الي محاصرة قلعة نيبه (Nipa) التي بيد رايمندوس البرانس صاحب انطاكية[1]. فجمع البرنس خاصته وخرج اليه . فتخوّف منه نور الدين وارتحل الى القلعة . فطمع البرنس في نور الدين وقصد طرده بجمع قليل . على ان نور الدين احاط بـه بجيشه الكثير فقتل البرنس وريندوس صهر جوسلين صاحب الرها والذين كانوا معهما واخذ جميع مـا كان معهما . وقطع نور الدين رأس البرنس ويمينه وارسلها الي الخليفة وارسل نور الدين جماعته تقتل وتحرق وتنهب جميع ما في بلادهم . وقويت شوكة نور الدين

١) هذا البرنس هو ريموند الاول الذي قتله نور الدين ، وملك بعده ابنـه بيمند وهو طفل فتزوجت امه ببرنس آخر ليدبّر البلد الى ان يكبر ابنها .

حتى انه نزل اغتسل في مياه البحر الذي تحت انطاكية. فضعف كل مُلك انطاكية ولم يكثر فيه الا البكاء وقطع الأمل .

وفي العودة قصــد نور الدين قلعة حارم فحاصرها وتملكها . وكان رايندوس امير انطاكية شجيعاً شديد البأس ، مهيباً ولكن قليل الحظ . فقـد قتل في كز (اي ٢٧) من شهر حزيران من تلك السنة بين حماه وحصن الكوغ ، حيث كانت المعركة ، فاهتدوا النصارى الى جثته واخذوا دفنوها في انطاكية في هيكل الرسل. ثم ان ملك القدس سار الي انطاكية فهدّ أمورها وشدّد قلوب الناس وطلع الى محاصرة قلعة حارم ثم رحل عنها .

وفي هذه السنة ، اقدم سلطان ايقونية الى بلاد انطاكية بجيش كثير ، فأخذ حصون كثيرة وحاصر طور بـل[1] وكان فيه اسيراً جوسلين صاحب الرها مع زوجته واولاده . فردّ الله عن الحصن ردةّ جميع الاسرى وسلاحات وافرة تكفي اثنيعشر فارس، فرحل عنه وتركه .

وفي هـذه السنة توفي صاحب الموصل ابن آق سنقر اخـو نور الدين محمود ، كما توفي اتابك دمشق معين الدين المدين ، وهو صاحب المعينيّة بدمشق ، وبنته خاتون صاحبة الخاتونية .

٩٠ ــ وفاة الخليفة بمصر ومبايعة ابنه الظافر : وفي هذه السنة توفي ايضاً في جمادى الآخر الحافظ لدين الله صاحب مصر ، وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة اشهر ، وعمره نحواً من سبع وسبعين

---

١) لقد سبق شرح ذلك ، والكلمة هي تلّ باشر او باسيل ، ومعنى طور = تل ، كما هو معلوم ، اما كلمة كوغ السالفة الذكر فمعناها « اللص » كما يقول ابن العبري في تاريخه المذكور ص ٣٤٦ . (طالع ابن الحريري ، ص ٦٩) .

سنة ، وبويع بعده ولده الظافر بامر الله ابو المنصور اسمعيل ، وهو الثاني عشر من الخلفاء الفاطميين بمصر . وفي هـذه السنة ، تزلزلت الارض زلزلة عظيمة وشديدة جداً . وفي هذه السنة ايضاً جاء في بلاد اليمن مطر احمر فبقي اثره في الارض وفي ثياب الناس ، وعلى الدواب .

٩١ — انتصار جوسلين على نور الدين قبل الغدر به : في سنة الف ومائة وخمسين الموافقة لسنة نحو الهجرية (اي ٥٤٦ هج) ، كما يقول ابن سباط[١] ، جمع جوسلين عسكراً فتلاقى هو ونور الديـن الذي كان قاصد بلاده فكسره جوسلين وقتل واسر من ارفاقه جمعاً كثير ، ومن جملتهم السلحدار الذي كان حامل سلاح نور الدين . فهجر البلاد نور الدين لاجـل الكسرة ، وجمع التركان واوعدهم باموال كثيرة ان ظفروا بجوسلين .

فطلع جوسلين الى الصيد فكبسه التركان واحضروه الى نـــور الدين اسيراً . فانعم عليهم نور الدين وقتل جوسلين الذي كان اعظم فرسان الفرنج ، وركب على بلاد جوسلين وقلاعه وحصونـه فملكها كلها وهي تل باشر ، وعـين تاب ، ودلوك وعزاز ، وال خالد ، وقورش ، والراونداني ، ونهر الجوز ، وبرج الرصاص ومرعش

١) ومثله ابن العبري في ص ٣٦١ يذكر ان نور الدين محمد جمع عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب ، وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأي ، فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم واسر جمع كثير وكان في جملتهم سلاح دار نور الدين... فعظم ذلـك على نور الدين ، واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثأره من جوسلين فأحضر جماعةً من التركمان وبذل لهم الرغائب انـ هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركمان عليـه العيون ، واذ كان في الصيد اخذوه اسيراً الى نور الدين الذي استولى على حصونه كافةً..»

وغير ذلك من اعماله في مدة يسيرة . وكان نور الدين كل ما فتح منها موضعاً ، حصّنه بما يحتاج اليه من الرجال والذخائر . فذلت الفرنج في بلاد الرها وانطاكية بسبب المداوة التي كانت بين امرائها.

وعندما قتلوا الامراء اصحابهم (اي اصحاب القلاع والحصون) صار الحكم تحت تدبير النساء . فاختبر بذلك ملك الروم وارسل عسكراً عظيم لاستخلاص تلك المدن من يد الفرنج ، واجتمع في طور بسل ملك القدس وصاحب انطاكية وطرابلس وجماعة انطاكية فتأملوا خراب تلك النواحي بعد ازدهارها ، وبعدها عن القدس نحو خمسة عشر يوماً فاضمروا الاصلح لهم ان يسلموها للروم ، بدلاً من المسلمين ، بشرط ان لا تأخذهم العساكر المسلمة بالسيف . فاخلوا عندئذ طور بسال وجميع ما كان للفرنج في تلك الجهات ووضعوها في يد قائد جيش الروم . وخرجت زوجة جوسلين واولادها وجميع الشعب ونصارى البلد وطلبوا رفقتهم وتركوا مواطنهم في البكاء والنحيب ، وساروا الى بلدان لم يدخلوها بعد قط . فلما سمع بلدوين ان الفرنج سلموا القلاع بيد الروم زحف عليهم واخذهم كلهم حتى وصل الى ابواب انطاكية .

٩٢ – فتنة بين الفرنج وقتل صاحب طرابلس : وفي هذه السنة كانت الفتنة بين بلدوين ملك القدس وبين والدته حتى انقسمت المملكة بينهما . فاخذت الملكة والدته بيت المقدس ونابلس اللذين من ابيها . واخذ الملك صور وعكا مع سواحل البحر . ثم ان بلدوين جمع العسكر وتملك نابلس بالسيف وزحف الى بيت المقدس فهربت والدته الى برج داود . وتسلّم بلدوين المدينة من اعيان المدينة . ثم انه وضع الحصار على برج داود فدخل بينهما البطرك مع الاعيان وصار الوفق بان تكون نابلس للوالدة ، والبواقي في يد الملك.

وسنة اقنب (اعني سنة ١١٥٢ م) مسيحية قتـــل رايمندوس صاحب طرابلس ، وكان مقتله داخل باب المدينة . وكان في تلك الايام حاضراً في طرابلس بلدوين الملك وزوجته واختها حرمـــة جوسلين وحزنوا عليه حزناً شديد ، وتحققوا عن قلة سعدهم في ارض الشام . فرتب بلدوين الملك امور طرابلس وسلم تدبيرها بيد زوجة رايمندوس وبيد ابنها رايمندوس وله من العمر ١٢ سنة .

وفيها (اي السنة المذكورة) صار ان بعض المسلمين الذين كانوا سابقاً اصحاب بيت المقدس توحّوا من والدتهم الى استفكاك المدينة التي كانت بيد الفرنج . فجمعوا عسكراً عظيم وقطعوا نهر الاردن ونزلوا في جبـل الزيتون شرقي المدينة ، وكان يومئذ بلدوين الملك في نابلس . فخرج عسكر الفرنج من القدس وحشروا المسلمين في طريق إريحا وكسروهم ، وقتـل من المسلمين نفراً كثير لاجل شدة الموضع والمشقة من الطريق . والذين فرّوا وقعوا بيد بلدوين الملك فأهلك اكثرهم بالسيف . وقيل ان كان عدد القتلا نحو خمسة آلاف . فغنم الفرنج بخيولهم واموالهم وكانت هذه الوقعة في اثنين وعشرين من تشرين الثاني من هذه السنة[1].

٩٣ – **استيلاء الفرنج على عسقلان ، وزواج رينلدوس** : سنة نمح للهجرة (اعني سنة ٥٤٨ هج) التي تنتهي في شهر نيسان من شهور (سنة ١١٥٤ م) اقند مسيحية ، قتـــل العادل وزير الظافر صاحب مصر ، وكانت الوزارة في مصر لمن غلب . فقصـد الفرنج

(١) ويروي العلامة الدويهي في تاريخ الازمنة الذي طبعه الاب توتل اليسوعي سنة ١٩٥١ ، ص ٥٦ ، وفاة السلطان مسعود السلجوقي في هذه السنة ايضاً فيقول ما حرفيته « وفي هذه السنة (١١٥٢ م) كانت وفاة السلطان مسعود السلجوقي وماتت معه سعادة البيت السلجوقي ، فلم يقم لهم بعده راية يعتدّ بها وتقمّد في السلطنة ابن اخيه ملكشاه ابن محمود » (طالع غليلموس ص ٧٩٢ والكامل ص ٦٥ من الجزء الحادي عشر) .

مدينة عسقلان التي كانت لخلفاء مصر . وفي كج (اي ٢٣) من شهر تشرين الآخر احتاط بها الجيش براً وبحراً وشدّوا عليها الحصار ، لانها مكفيّة من الميّه وآلات الحرب .

وفي الشهر الخامس أتتها النجدة من مصر بسبعين غُراب وجملة مراكب كبار موسوقين من المؤن والسلاح ، فرحلت من قدامهم مراكب الفرنج بسبب قلتهم . واستنجد الفرنج في الزوّار الذين قدموا من بلاد النصارى واكرموا عليهم بالعطاء ، وآيسوا اهل عسقلان ، فسلّموها للفرنج بالامان ، بشرط انهم يخرجوا منها بسلامة م ونساؤهم واولادهم واموالهم . وفي الثاني عشر من آب صنعوا الفرنج زياحاً شريف ودخلوا عسقلان ووضعوا رايات الملك على سوارها . واما بلدوين الملك اكرم على فرسان العسكر في المال واكرم على البعض منهم بعطىً ابرجة وحصون ، وولّا (وَلّى) اخوه الميريكوس على تدبير عسقلان (طالع غليلموس ص ٤٩٧) .

وفي هذه السنة حاصر نور الدين بانياس مدةً ثم رحل عنها .

وفيها تزوج رينلدوس قسطنسه زوجة البرنس (المقتول) صاحب انطاكية وتولى على ملكه . ولان بطرك انطاكية ألمارينوس كان مضاداً له في هذه الزيجة بسبب افعاله الرديئة واحتقار نسبه ، فوضع رينلدوس يده على البطريرك فسلب رزقه وحبسه ودهن راسه بالعسل واوقفه عريان في الشمس لتأكله الدبان... وقد غضب الله على[1] رينلدوس وارسله بيد اعدائه . واما البطرك فارسل بلدوين الملك

---

١) هذا المقطع هنا طمسه الحبر واكله ولذا صار من الصعب جداً قراءته ، فرجعت الى النسخة المطبوعة فوجدت الكلام التالي : « فحنق على البطرك فحبسه وسلب ماله ثم دهن راسه بالعسل واوقفه عرياناً في الشمس لتلسعه الزنابير والدبان فارسل الملك خلفه فترك البطرك انطاكية واخذ السكنى ببيت المقدس واما البرنس فقد حل الله به حق وقع بيد اعدائه... »

فلّته وامر البرنس يردّ له جميع رزقــــه . فترك البطرك انطاكية وانتقل الى بيت المقدس (بعيداً عن انطاكية) .

٩٤ – **مقتل الخليفة الظافر ومبايعة ابنه الفائز بنصر الله ، واحتلال دمشق من قبل نور الدين ثم بعلبك** : سنة ثمط للهجرة (اي سنة ٥٤٩ هج) كان مقتل الظافر خليفة مصر في المحرّم قتله وزيره نصر ابن عباس ، وضبط امواله وذخائره وهرب بها الى الشام ، فوقع في الطريق بيد الفرنج فقتلوه واخذوا منه ما معه من الاموال وكان الظافر بن الحافظ العلوي صاحب مصر كثير اللعب والتفرّد بالنساء واستماع الاغاني ، وبنى الظافر في القاهرة ، الجامع المعروف بالظافري وكانت مدة خلافته نحو خمسة سنين . فولّى بعده ولده الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى ، وهــــو الثالث عشر من الخلفاء الفاطميين ، والعاشر بالديار المصرية وكان وزيره عباس...ابن رزيك الملقب بالصالح.

وفي هذه السنة سار المقتفي خليفة بغداد وحاصر تكريت مدة ثم رحل عنها .

وفيها (اي السنة المذكورة) يقول ابن سباط ان خشي نور الدين محمود لا يملك الفرنج دمشق بعدما تحكموا على عسقلان ،فكاتب اهل دمشق واستمالهم اليه ، ثم سار اليها وحاصرها ، ففتح له الباب الشرقي فدخل منه ، وملك المدينة ، وحصر مغير الدين ابق صاحبها في القلعة[1]. ثم ارسل له اشخاصاً وتسلّم القلعة وتلقب بالملك العادل نور الدين (وهنا انتهت الورقة ٣٧) .

---

١) ان مغير الدين هذا انما هو مجير الدين كما يسمّيه ابن العبري في تاريخه ص ٣٦٢ ، وهكذا في المرات التي ذكر فيها اسمه . وقال في هذا الصدد المؤرخ ابن العبري وفقاً لابن سباط « ان نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر ملك دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمــد بن بوري بن طغتكين اتابك ، في سنة ٥٤٩ هج حيث حدثت زلازل كثيرة قوية في الشام خربت منهـــا حمص وحماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وافامية وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية الخ... »

ووفي سنة اقنه (١١٥٥ م) الموافقة لسنة ننا (اي ٥٥١ هج) للهجرة تسلّم الملك العادل نور الدين محمود بعلبك وابا قبيس فملكها.

٩٥ - جيوش الروم والارمن تتقاتلان فيتدخّل رينلدوس ويستولى على قبرس ، ثم بلدوين في بانياس يهاجمه نور الدين : سنة افنو مسيحية (اي سنة ١١٥٦ م) الموافقة لسنة ننب هجرية (اي ٥٥٢ هج) يقول مطران صور ان قدم ملك الارمن بجيش كثير الى بلاد قيليقيه وهي من مُلك الروم فجعلوا يقتلون وينهبون ، فكتب ملك الروم الى رينلدوس البرنس ليركب على جيش الارمن ويطردهم من البلاد ، واوعده بخيرات كثيرة ، فزحف ملك الروم على العسكر وهزمه . وعندما طلب الجازاة من ملك الروم فلم راد يعطيه شيئاً. لاجل ذلك جمع البرنس جماعته ودخل بهـم الى جزيرة قبرص وصاروا ينهبوا ويفسدوا حق الراهبات ولم يعفّوا عن شر ، وهم راجعين الى انطاكية هلكت اكثر مكاسبهم في البحر .

وفي هذه السنة فتح صاحب مصر غزّة واستعادها من الفرنج .

وفي هـــذه السنة ، بلدوين ملكُ القدس زحف على التركمان والعربان الذين يرعون مواشيهم في حولة بانياس ، فنهبوا وسلبوا وأسروا منهم بخلاف العهد الذي كان بينهم . وعندما ساروا بهـم الى بانياس ، وثب عليهم نور الدين وخطف جميع سباياهم واموالهم وحصر مدينة بانياس . فقدم بلدوين الملك بعسكره الى بانياس ، فرحل نور الدين عن المدينة .

عندئذ تطمّنت خواطر الفرنج وسرّحوا الازلام الى مواطنهم ، وعندما هم سائرين الى طبريه نزل عليهم نور الدين بعسكره غفلةً عند مخاضة يعقوب على نهر الاردن ، فقتل واسر شيخين من فرسان الفرنج . واما الملك فانه فرّ مع بعض ناس واحتموا في قلعة صفد. وكانت الوقعة في يز (١٧) من شهر حزيران من هذه السنة .

ثم قصد نور الدين ثاني مرة بانياس وحاصرها بالمنجنيقات وآلات الحرب ورحل عنها، خوفاً من البرنس صاحب انطاكية ومن صاحب طرابلس اللذين سارا اليه بجيش كثير جداً .

وفي هـــذه السنة ، يقول ابن سباط ، ان كانت في بلاد الشام الزلزلة العظيمة ، فخربت بها حماة وحلب وشيزر وكفرطاب وافاميه وحمص وحصن الاكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية . الا ان تأثيرها في حماة كان اشد ، ولم يفضل من اهلهـــا الا القليل ، وهدمت الاسوار والقلاع ، ولذلك تسمّت زلزلة حماة ، وهلك تحت الردم ما لا يحصى من الخلق ، ويكفي من ذلك ان معلم صبيان فارق المدرسة لفرض مهمّ عرض له ، فجأت الزلزلة فخرّبت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، فـــلم يحضر أحد من الاهل يسأل عن صبي كان له في المكتب[1] .

كذلك شيزر كانت لبني منقـذ يتوارثونها من ايام الصـالح بن مرداش صاحب حلب سنة تيد (اي من سنة ٤١٤) الى هذا الزمان. فصدف ان يوم الزلزلة كان احدهم ختن ابنه وعزم جميع بني منقذ في داره ، فجاءت الزلزلة وهلكوا جميعهم في فسحة الدار والقلمة. فمضى نور الدين الى شيزر فعمّرها وتولّي عليها . (بعد هذا الكلام تسعة اسطر باقية بيضاء ، وهنا تنتهي الصفحة ٣٨) .

٩٦ — **احتلال الفرنج لمدينة شيزر واختلافهم عليها** : سنة اقنز مسيحية (اي سنة ١١٥٧ م) الموافقة لسنة ننج للهجرة (اي ٥٥٣ هج) قصد زيارة المدينة المقدسة تاودوريكوس امير فلندرا ومعـه زوجته ، وهي اخت بلدوين الملك فترحب بهما بلدوين الملك ، وسارا

١) هـــذا الخبر نقـله علامتنا الدويهي حرفياً عـن ابن العبري ، ص ٢٦٢ ، فنحيل القارىء الى ذلك الموضع للوقوف عليه من ينبوعه .

اثنينهما الى عنــد القومس صاحب طرابلس واجتمع عندهما البرنس صاحب انطاكية وامراء الفرنج وقصدوا فتح شيزر التي على العاصي. وقـــدم الى معونتهم ايضاً ملك الارمن فوضعوا الحصار على شيزر وفتحوها بالسيف. واما صاحب شيزر فانه تحصّن في القلعة. وكان استملاك القلعة سهلاً عليهم. ولكن صار ان اختلفوا مع بعضهم على شيزر لمن تكون، هل تكون لتاودوريكوس أمـــير فلندرا ام لصاحب انطاكية. واذ لم يتفقوا على رأي نهبـوا المدينة ورحلوا عنها. ثم انتقلوا الى قلعة حارم فملكوها بالسيف وقتلوا الذي كان متولياً عليها.

وفي هذه السنة سار جيش القدس الى قلعة المغارة التي في حدود جلعاد، وكانوا المسلمون قد تملكوها على غفلة، فاسترجعوها الفرنج.

وفيها (السنة المذكورة) توفي فولقار بطرك بيت المقدس، وتخلف بعده هيمريكوس، وهو التاسع بين بطاركة الفرنج على بيت المقدس[1].

٩٧ – مواصلة الحرب مع نور الدين، وزواج بلدوين الملك مع تاودوره : سنة افنح (١١٥٨ م) مسيحية الموافقة لسنة هجرية نغز (اي سنة ٥٥٧ هج) سار الملك نور الدين بالجيوش الشامية الى قلعة المعرة وجاهد عليها وشدّ الحصار، لكن لما عرف بقدوم بلدوين الملك رحل عنها. وفي التاسع من تموز كان المصاف بين بلدوين الملك وبين نور الدين وكانت الهزيمة على المسلمين.

وفي شهر ايلول تزوّج بلدوين الملك مع تاودوره بنت اسحاق اخو ملك الروم، جهّزها بما ينوف عن اربعين الف دينار واقمشة

---

١) راجع الكامل ١١ ص ٨٨، وغليلموس ص ٨٥١.

وتحف ، وفي حـال وصولها الى بيت المقدس ، كللها البطريرك بتاج الملك (المصدر نفسه ص ٨٥٧) .

٩٨ – انتصار ملك الروم إمنوال واحتقاره للبرنس المكسور :

سنة اقنط (اي ١١٥٩ م) مسيحية الموافقة لسنة نقد (اي ٥٥٦ هج) سار منوال ملك الروم بعساكره الى بلاد الشام بسبب الشكايات التي انعرضت عليه ضد نور الدين الذي كان زحف على صاحب انطاكية في جزيرة قبرس ، وبسبب استيلاء صاحب الارمن على بلاد قيليقية. وخشي بلاد الشام لاجل قدوم ملك الروم على غفلة ولم يشعر بـه احد منهم في بلاد الشام . فان البرنس ناظراً انه ما كان حملته خرج الى عنده.. [1] وجثا امـام قدميه براس مكشوف منكس ، وهو حافي الرجلين ، ولابس ثوب قطن قصير الكمال ، فوضع حبلاً في رقبته وقدّم له سيفاً مسلول وهو ضابطه عند رأسه . فانسرّ امنوال الملك بذلك الاحتقار ورضي عليه واطال المعاتبة مدةً طويلة حتى ان استخفّ به كل من نظره ام سمع بخبره .

وقصد بلدوين الملك الاجتماع مع ملك الروم ، فارسل له امنوال اولاد ابيه مع ناس من خاصته يلاقونه ، وادخلوه في كرامة وعراضة (= اطلاق النار) الى الخيمة التي كان نازلاً بها ملك الروم . فاستقبله بكافة الفرح واحتضنه واجلسه عن جانبه في موضع ادنى منـــه . فاداموا في المخاطبة نحو عشرة ايام ، واستعطف بلدوين خاطر ملك

١) ليس الكلام هنا واضحاً في المخطوطة فرجعت الى الكتاب المطبوع فوجدت هذا القول : « فالبرنس متأملاً انه كان عاجزاً عـلى مقاومته ، خرج الى لقاه ماشياً حافياً ، لابساً ثوب قطن قصير الكمال ، فجثا امام قدميه منكسّ الراس وبرقبته حبل ، وقـــدم سيفاً مسلولاً وهو ماسكه عند طرفه ، فانسرّ امانول الملك بذلك الازدرى...» (راجع غليلموس ، ص ٨٦٠) .

الروم لاجل ملك الارمن واحضره قدامه وردّ له جميع ما كان تملك من بلاد قيليقية وحلف له انه يكون تحت امره .

ثم دخل ملك الروم الى انطاكية بعز عظيم من طبول وزمور وفي تراتيل وتسابيح ، وكان[1] مجلل في ثياب الملك ، ورأسه متوج باكليل من الغار ، وخرج البطريرك واكابر المدينة الى لقاه في زياح عظيم . فعيّد عيد الصعود في انطاكية . ثم عاود ملك الروم الى القسطنطينية ، وملك الفرنج الى بيت المقدس .

وفي هذه السنة نور الدين لما بلغه ان ملك الروم رجع الى القسطنطينية ، جمع عسكر الشام وزحف الى جهة ايقونية ، فتملك مواضع كثيرة ، ونهب وقتل ، وفي النـــار والسيف اخرب تلك النواحي . وكان سلطان ايقونية يومئذاً في السفر ، بعيداً عن بلاده .

وفي غيبة نور الدين طاف بلدوين الملك بلاد الشام كله حتى وصل الى ابواب دمشق . فقدم له نجم الدين حافظ دمشق دراهم كثيرة حملها اليه حتى يكفّ عن الخضخض في بلاد الشام الى مدة ثلاثة اشهر . فاخذ الدراهم بلدوين الملك ، وبعد الثلاثة اشهر تملّك عدة حصون ، فشتّت الناس واخرب ضياعهم .

وفي هـــذه السنة ايضاً غزى راينلدوس البرنس بلاد الرها ، فنهب وخطف سايقةً كثيرة ، وكانت كلها للنصارى من السريان والارمن القاطنين في تلك النواحي فتخلا (فتخلى) الله عنه حتى ان صاحب حلب وضع له الكمين في الطريق . وفي واحد وعشرين من تشرين الاول قتل كثير من جماعته واخذه اسيراً الى نفس حلب.

---

[1] هنا انتهت الورقة الثامنة والثلاثون من هذا المخطوط .

وفيها (اي السنة المذكورة) كانت وفاة الفائز بنصر الله خليفة مصر[١] في شهر رجب ، وكانت مدة خلافته ست سنين وشهرين ، ولم يكن له عقب ، فبّويع بعده لابن عمه العاضد اسمه عبدالله ابن محمد ابن يوسف ابن الحافظ ، وكنيته ابو محمد ، وهو الرابع عشر من الخلفاء الفاطميين العبيديين بمصر وفيه انقرضت الدولة الفاطمية ، وكان طفلاً صغيراً ، فقام بأموره طلال ابن زايك .

٩٩ – **هجوم نور الدين على قلعة حارم ، وزواج ملك الروم واختلافه مع القمص :** سنة اقنو (اي سنة ١١٥٦ م) مسيحية الموافقة لسنة نثز هجرية (اي ٥٥٧ هج) حَصَرَ نور الدين قلعة حارم في العراق التي كانت بيد الفرنج ورحل عنها ولم يملكها . ثم سار الى حصن الاكراد بالعسكر ونزل في البقعة قاصداً حصار طرابلس . فكبسه الفرنج ولم يشعر نوَر الدين وعسكره الا وقد طلعت عليهم صلبان الفرنج وقتلوا واسروا اكثر عسكره ، فقصدوا عند ذلك خيمة نور الدين بالذات ، فخلص بفرسه . فنزل الى بحيرة حمص ، وحلف بالله ان لا يظلله سقف حتى يأخذ بالثأر .

وفي هذه السنة توفيت زوجة ملك الروم . فأرسل يطلب من بلدوين الملك وصاحب القدس (ان) يخطب له بنتاً فرنجية ، فجهّزوا له اولاً اخت القمص صاحب طرابلس واخرجوا عليها اموالاً كثيرة ، وجهّزوا لها يب (اي ١٢) جُراب لسفر البحر .

ثم ان القصاد ذوي ملك الروم لم يرضوا بها ، فتكلموا في بنت البرنس صاحب انطاكية ، ثم توجهوا بها الى القسطنطينية بعز عظيم .

١) وهو ابن الظافر الخليفة ابن الحافظ العلوي صاحب مصر الذي قتل ابوه وله من العمر خمس سنوات فقط ، فحمله وزيره عباس على كتفه واجلسه على تخت الملك في مصر ، (راجع ابن العبري ، ص ٢٦٣ ، وابن الحريري ، ص ٧١) .

فخنق القمص بسبب الدراهم التي كان جمعوها لتجهيز اخته، وارسل الاثني عشر جراب في بـــلاد الروم . فأخربوا الكنائس، وسلبوا الزرار، ونهبوا المواضع الذين في سواحل البحر ولم يعفوا عن شر[1].

١٠٠ ـ وفاة بلدوين وخلفه ألميريكوس وحروبه في مصر وغيرها:

سنة اقسب (اي ١١٦٢ م) مسيحية الموافقة لسنة ننح (اي عام ٥٥٨ هج) هاجرية، توجه بلدوين الى انطاكية، فعرضت عليه حمة (حمّى) شديدة، فحملوه الى طرابلس ثم الى بيروت، وهناك في الثالث عشر من شباط توفا (توفي). وكان بلدوين الملك في جمال البدن وطلعة القامة يفوق الوصف. وكان في اخلاقه كريماً طاهراً منكراً للسكر، سالكاً في الشريعة، سجيعاً في الحرب، وصبوراً على التعب، يكرّم اولاد البيعة ويحب منادمتهم. فحملوا جسده الى بيت المقدس، وفي حزن عام دفنوه في تربة سلفائه الملوك. وتخلف بعده ألماريكوس اخوه. لكن لان كان ألماريكوس تزوّج اغنيس في الاوجاه (الوجوه) المحرّمة، اعني في الثامن وجه (من وجوه القرابة)، اذ امهات اجدادهم كانوا اخوة، ولم يفسح لهما بذلك فولقار البطريرك، ورزق منهما صبي وبنت وهمـــا بلدوين وسيبيلله. لاجل ذلك قبل انـه يتكلل ملكاً، ألزمه ألماريكوس البطريرك وبطرس الكردينال قاصد الكرسي الروماني انـه يسرّح أغنيس التي كانت معه بخلاف ناموس الكنيسـة، بل ان اولاده منها لم يمتنعوا عن ورثة ابيهم.

وفي هـــذه السنة كانت المقاتلة بمصر بين درغان وبين شاور

---

[1] هنا باقٍ عشرة اسطر بياضاً بدون كتابة عليها، وفي غالب الاحيان يترك المؤلف او الناسخ بياضاً بـــين اخبار سنة وغيرها، بسبب تغيير الموضوع والتاريخ كما لا يخفى. وهنا ايضاً تنتهي صفحة ٣٩.

البدوي بسبب الوزارة[١]. فانهزم شاور وسار الى الشام ليستنجد في نور الدين صاحب دمشق . فألماريكوس ملك القدس لما نظر الفتنة في مصر مشتعلة، وان الخليفة لم يرسل له المال الذي تعاهدوا فيها، زحف بجيوشه الى مصر، وتقاتل العسكران بقرية بلبيس، وكانت الكسرة على المصريين . فغنمت الفرنج باموالهم واسروا وقتلوا مقتلة كبيرة من المصريين، وعاود ألمريكوس منصوراً الى القدس.

واما شاوُر البدوي فقد استعطف خاطر نور الدين[٢]. فارسل معه العساكر الشامية مع اسد الدين شيركوه وعدة امراء توجهوا معه الى مصر. فدرغان لما تحقق عن قدوم العساكر الشامية استنجد بملك القدس واوعده بازيد عما كان يعطى لاخيه بلدوين . وقبل ان تأتيه النجدة ، صار انه تواقع مع شاور ومع شيركوه . فظفر بها درغان . ولما كان مهماً الى قتالهم لثاني مرة، وثب عليه واحد من جماعته فقتله وتولى الوزارة شاور .

١٠١ – غدر شاور، ومحالفته مع الفرنج، ثم تركهم لعقد الصلح مع صاحب الشام : سنة افسج مسيحية (اي عام ١١٦٣م) الموافقة لسنة ننط هاجرية (اي ٥٥٩ هج) ، اسد الدين شيركوه تداخله الطمع على وزارة مصر فأقام الحصار على بلبيس وجاهد عليها كثيراً حتى ملكها، بسبب ذلك شاور البدوي بعث مكاتيب ومراسيل الى ملك القدس المريكوس وعاهده بالف دينار وحملها اليه

---

١) ويُكتب ايضاً درغان ، بصورة اخرى ، كما في ابن العبري (ص ٣٦٨) ضرغام الذي قتل في الحروب مع منازعه شاور ، وقتل اخوه ايضاً الذي خرج بالعسكر ليحارب شاور وزير الدولة العاضد بالله صاحب مصر .

٢) « ملتجئاً اليه ومستجيراً بـه ليعود الى منصبه في وزارة الخليفة المصري العاضد بالله ويكون له ثلث دخل البلاد ، فاستجاب سؤله واتى الى نجدته...»

اذ يعضده على اسد الدين شيركوه . فسار الملك أميريكوس بالجيش الى الديار المصرية واقتبله شاور بكافة الكرامة والفرح ، وحاصروا بلبيس وتسلموها بالامان . ثم وضع الملك ميريكوس الحصار على القاهرة (التي كان مقيماً بظاهرها اسد الدين شيركوه) ، وعلّق فيها شاور النار ، فلم تزل توقد فيها اربعة وخمسين يوم . فخشي المسلمون على مصر لا تحكها النصارى[1].

١٠٢ – نور الدين يغدر بالفرنج في جهات طرابلس وانطاكية :
سنة اقسد (١١٦٦ م) مسيحية الموافقة لسنة خمسمائة وستين للهجرة نزل نور الدين الى طرابلس ، عندما كان الفرنج في مصر قاصداً يتملكها . فخرجت اليه الفرنج من المدينة فكسروا عسكره وغنموا بالذي كان معه وهرب مهزوماً نور الدين بلا سيف .

ثم انه جمع رجال المدن وعربان البر وسار بهم الى قلعة حارم، وجاهد على فتحها ، وكان وقتئذاً في انطاكية مع البرنس القومس صاحب طرابلس وقولمان حافظ قيليقية وطور قائد جيش الارمن . فطلعوا بجملتهم الى مقاتلة نور الدين، فرحل نور الدين عن حارم وترفع.

فلما رأوه هارباً ، اخذهم الطمع ليلحقوه . ثم وضع لهم نور الدين الكمين في وادي . واذ هم متفرقين عن بعضهم بعض ، رجع اليهم على غفلة ، فقتل منهم مقتلةً كبيرة ، وحصل منهم على نحو عشرة الاف اسيراً ، واسر البرنس صاحب انطاكية ، والقومس صاحب طرابلس ، وقولمان مقدم جيش الروم ، وسار بهم مسروراً

---

١) ويتابع ابن العبري كلامه بهذا الصدد ص ٣٦٩ فيقول: « فلما قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهراً يتحصن به.فحصره بها العساكر المصرية والفرنج مدة ثلاثة اشهر وهو يفاديهم القتال ويراوحهم . فلم يبلغوا منه غرضاً . فراسل الفرنج اسد الدين في الصلح والعودة الى الشام ، فاجابهم الى ذلك وصار الى الشام . »

الى مدينة حلب ، وكانت الوقعـة في تاسع آب . ثم ان نور الدين رجع الى قلعة حارم فملكها في السيف .

وفي هـذه السنة يوم الاضحى ولدت امرأة ببغداد اربع بنات في بطن واحد[١].

١٠٣ – وفي مدينة بانياس : سنـة اقسه مسيحية (اي عـام ١١٦٥ م) التي توافق سنة نسا للهجرة (اعني سنة ٥٦١ هج) سار نور الدين الى فتح بانياس التي في جبل لبنان ، فنصب عليهـا المنجنيقات ووضع لها اللغوم تحت الارض . وفي اول يوم دخل من تشرين الثاني تسلمها نور الدين ، وكان صاحبها في مصر برفقة الملك ألمريكوس .

وفيها (اي السنة المذكورة) قال ابن الحريري ان فتح نور الدين حصن المنيطرة ، وهو في بلاد الجرد قريباً من كسروان .

وفيهـا (اي السنة) احترق باب الساعاتي واللباديين بدمشق حريقاً عظيماً وذهبت اموال الناس ، وطلعت النار من دكان هراس.

١٠٤ – ألميريكوس يرتّب الامور في مصر ويعود بتحف كثيرة: سنة اقسو مسيحية (اي ١١٦٦ م) الموافقة لسنة هاجرية نسب (اي ٥٦٢ هج) يقول مطران صور ان دخل ملك القدس ألميريكوس الى مصر ، فهزم اسد الدين شيركوه ورتّب امور شاور في الوزارة على أتمّ المراد . ثم ان ألميريكوس رجع الي القدس باموال كثيرة ، وبادر في استفكاك البرنس صاحب انطاكية . ثم ان البرنس دخل الى

---

١) راجـع ابن الحريري ، ص ٧٥ ، والاسقف غليلموس الصوري ، ص ٨٩٥ ، والكامل ص ١٢٢ من الجزء الحادي عشر .

القسطنطينية ليزور ملك الروم الذي كان قد تزوّج اخته، فاستقبل بكرامات جزيلة، ورجع الى انطاكية مع هدايا وتحف كثيرة (كما ذكر غليلموس ص ٩٨٣).

وفي هذه السنة تملك قلعة حبرون بالمكر فقتل صاحبها واطلق الذين كانوا فيها، ثم سار الى تملك حصن آخر.

١٠٥ - حروب بين نور الدين وخليفة مصر والفرنج: سنة افسز مسيحية (اي عام ١١٦٧ م) في تشرين الاول وهو يكون دخول سنة نسج للهجرة (اعني عام ٥٦٣ هج.) وهب نور الدين لاسد الدين شيركوه حمص فصارت في يد اولاده الى ايام الملك الظاهر بيبرس.

وفي هذه السنة يقول مطران صور ان دخل شيركوه بنفسه الى بغداد بكاتيب نور الدين واخبر الخليفة في احوال مصر وقوتها وغناها، وانهم قد اصطلحوا مع الفرنج وحملوا اليهم المال، فسيّر الخليفة معه عساكر بغداد وجمع شيركوه العساكر النورية وسار بهم من الشام الى مصر في طريق القفر. وسار ايضاً أماريكوس في ٢٨ من كانون الآخر بجيوش الى معضدة شاوُر الوزير. وصار الشرط ان العاضد خليفة مصر يحمل الى ملك الفرنج كل عام اربعمائة الف دينار، وان نصف هذا المبلغ يعطى بمصر، والنصف الآخر يرسل الى القدس. وعندما صار هذا الوفق بين الخليفة وملك الفرنج، اجتمع جيش الفرنج مع جيش مصر، وصار القتال بينهم وبين شيركوه اسد الدين وابن اخته صلاح الدين (الايوبي). فجرى بينهم

وقعات (معارك) كثيرة ، آخرها ان شيركوه طلب الامان ، وطلع بمن معه بلا ضرر[1] .

فانوضعت رايات ملك الفرنج على قلعة الاسكندرية لانهم استخلصوها من يد اسد الدين شيركوه . فعاود شيركوه الى بلاد الشام حينئذ، وعاود (اي عاد) الميريكوس في الثامن عشر من عاب (آب) الى عسقلان بعز وكرامة .

١٠٦ – زواج الملك أميريكوس وابنة اخي ملك الروم وحروبهم مع مصر : وفي هذه السنة انعقد الزواج بين أميريكوس ملك القدس ومريم بنت اخو عمانويل ملك الروم . وفيهـا قدمت قصّاد ملك الروم بسبب الركبة على استفكاك مصر من يد المسلمين ، وصار بين الملكين وفقٌ وشروطٌ معلومة . فانتقل ملك القدس بجيش الفرنج الى مصر . وفي كح (اي ٢٨) من تشرين الثاني الموافق المحرّم من سنة نسد هاجرية (اي عام ٥٦٣ هج.) ملكوا بلبيس في السيوف في اليوم الثالث من حصارها ، وضربوا اهـل بلبيس بالسيف ، ولم يعفوا الفرنج عـــن قتل النساء والدراري بخـلاف شروط الهدنـة والحرب والعهد الذي صار بين خليفة مصر وبين ملك الروم .

ثم زحف العسكر الى القاهرة واشتدّ عليهـا الحصار : يقول مطران صور في هذا الصدد: ان تعاهد الخليفة لملك الفرنج بكرتين من الدراهم وقدّم له كرة واحدة ، وطلب منهم ان يرحلوا عن القاهرة ليجمع لهم الباقي ، فلم يرحلوا . ثم وصلت الى مصر عمارة

---

١) هنا بعض كلمات لم نتمكن من قراءتها في مخطوطتنا فأخذناها عن التاريخ المطبوع (ص ٦٨) وهي التالية : « وطلع بمن معه من الاسكندرية بلا ضرر ، ورجع بحزن الى الشام ، واما شاور فتولى الاسكندرية ونصب رايات ملك القدس على قلعتها... ».

الفرنج في البحر فتملكوا تابيس التي على شاطيء النيل وقتل النوتية شعباً كثير . عند ذلك ارسل العاضد خليفة مصر يستنجد بالملك العادل نور الدين ابن زنكي وسوّد الكتاب وجعل فيه ضفاير النساء. فأدركه نور الدين الحمية وجهز شيركوه ابن مغـــير السعدي في عسكر نحو عشرة آلاف فارس وخمسين الف راجل . ولما اقبلت العساكر النورية مع اسد الدين شيركوه وعدة امراء ، رحل الفرنج الى بلادهم .

وشيركوه قبل ان يدخل مصر ، قتل شاور الوزير بالغدر . ثم دخل الى القاهرة بعساكره، فخلع عليه الخليفة خلع الوزارة ولقّبه باسم الملك المنصور وامير الجيوش وادخله الى دار الوزارة التي كانت لشاور البدوي . فثبت الملـــك المنصور في الوزارة شهرين وخمسة ايام ومات .

وفي رضا الامراء النورية ولّى الخليفة العاضد صلاح الدين يوسف ابن ايوب الوزارة ولقّبه الملك الناصر ، وصـــار نائباً لنور الدين بالديار المصرية . وكان نور الدين يسمّيه الاسفه سلاحدار ، ومن ذلك الحين ارسل يوسف اخذ اباه ايوب واهله فأعطاهم الاقطاعات بمصر ، فتمكن من البلاد وضعف امر العاضد . وفي هذه السنة توفي شاروق التركماني واليه تُنسب الطائفة الشاروقية ، فسكنوا بظاهر حلب وبنوا عمائر كثيرة تعرف بالشاروقية ايضاً على شاطيء نهر قويق.

١٠٧ ـ الفرنج يحاصرون دمياط ثم يتراجعون منهزمين عنهـــا وعن الكرك وعن الموصل : سنة اقسط مسيحية (اي عام ١١٦٩م) الموافقة لسنة نسه هاجرية (اعني ٥٦٥ هج.) في التاسع من تشرين الاول سارت جيوش الفرنج في البحر الى جهـــة دمياط ، وقدمت اليهم

النجدة من ملك الروم بماية وخمسين جراب للعسكر وستين جراباً موسوقين خيل ، واثنين وعشرين للمية (للمياه) وآلات الحرب . وفي الخامس والعشرين من الشهر ونصبوا الحصار على دمياط التي على شط النيل . وكان صلاح الدين الوزير قد شحنها بالرجال وآلات الخون . فثبت الحصار على دمياط نحو خمسين يوم . ثم رحلوا عنها الى مواطنهم ووصلوا الى عسقلان في الثامن عشر من كانون الاول.

ثم انه وقع على الاجربة والمراكب في البحر ريح عاصف ، فأهلك اكثرهم ، لاجل البيان ان النصارى كانوا متعديّين بتلك الركبة وبعدما تعاهدوا مع اهل مصر وكانوا كل سنة يجرّون منهم اموال كثيرة ، فاهانوا انفسهم وخسروا المال ، حتى انه فيما بعد تولّت على مصر القوات النورية وزحفوا عليهم واخذوا بلادهم . واما نور الدين فأرسل الف الف دينار واقمشة كثيرة لينجد بها اهل مصر وجاز على سواحل بلادهم حتى عاودوا اليها .

وفي هذه السنة حاصر نور الدين الكرك مدةً ونصب عليها المنجنيقات ، فاشغلته الفرنج عن اخذها بأمور أخرى .

وفي سنة اقـــع مسيحية (اي سنة ١١٧٠ م) كانت الزلزلة العظيمة في الشام ولم يسمع بمثلها قط ، فقال ابن الجوزي ان هلك في هـذه الزلزلة بحلب ثمانون الف نفس . وقال مطران صور ان الزلزلة دامت نحو اربعة اشهر ، ولم تزل الناس تشاهد الرجفة من شدة الريح الذي كان في باطن الارض . وخربت انطاكية وجبلة ولاذقية وحلب وشيزر وحماة وحمص . واما طرابلس (فقد) صدفها زلزلة عظيمة حتى ان في سبعة وعشرين من حزيران ما ثبت فيها بيت عامر ، ولا خلص منها رجل حتى يحكمها ، إما من الموت وإما

من الضرر من الردم ، وصارت كلها بشبه المقبرة . واما صور (فقد) حكها قليل من الرجفة وكانت على سلامة . وخربت اماكن وكنائس معظمة في الشام تعب القدماء كثيراً على بنائم ، وأيسوا الخلفاء بعد هذه الرجفة عن ترمرمهم . وكان الخراب في نواحي الفرنج ونواحي نور الدين ، واشتمل الرعب قلوب الكل ، واشتغل كل واحد منهم عن قصد الآخر بعمارة ما خرب من بلاده .

وفي هــذه السنة ملك نور الدين ابن زنكي الموصل وقرّر امره واطلق المكوس منها .

وفيها (اي السنة المذكورة) سار صلاح الدين يوسف عن مصر بنحو اربعين الف مقاتل واكثرهم خيالة ، فغزى بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة . ووضع الحصار على قلعة تيرون ، وهي في حدود فلسطين . وقيل انها كانت منذ القديم ديراً .

فخرج عند ذلك أليريكوس ملك الفرنج من عسقلان في السابع عشر من كانون الاول الى لقاء صلاح الدين ، وكان مع ملك القدس اليريكوس الفين راجل ومايتين وخمسين فارس ، فرحل صلاح الدين عن قلعة تيرون الى ايله[1] وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي ، فحصرها براً وبحراً وفتحها في ربيع الآخر ، واستباح اهلها ومــا كان فيها ثم عاود الى مصر .

١٠٨ – ملك القدس وملك الروم يصطلحان ، ترجمة آل ايوب ، واقامة الخطبة العباسية بمصر بعد انقراض الدولة الفاطمية : سنة اقما مسيحية (١١٧١ م.) الموافقة لسنة نسز للهجرة (اي ٥٦٧ هج.)

---

١) والارجح هي إربل بقرب الموصل، كما يذكر ذلك ابن العبري في تاريخه، ص٣٦٩.

توجّه الملك الميريكوس الى عنـــد امنوال ملك الروم فاقتبله مثل الاهل بكافة العز والكرامة، وصار الوفق بين الملكين على استخلاص مصر من يد المسلمين بعهود وشروط، ورجع الملك الميريكوس بالخلع الشريفة ، وفي الرابع والعشرين من كانون دخل مدينة صيدا .

وفي هذه السنة يقول ابن سباط ان الملك العادل نور الدين ، لما بلغه أن صلاح الدين تمكّن من مصر ، فارسل امره حتماً وجزماً بقطع الخطبة العلوية ، واقامة الخطبة العباسية . فراجعه بذلك صلاح الدين خوف الفتنة ، فلم يلتزم نور الدين الى ذلك ، واصرّ عليه . وكان العاضد خليفة مصر قد مرض ، فامر صلاح الدين للخطباء ان يخطبوا للمستضيء خليفة بغداد ، ويقطعوا خطبة العاضد ، فامتثلوا له ذلك . وقال العماد : استفتح صلاح الدين سبع ، اقامت الخطبة في جامع مصر لبني العبّاس، واقيمت الجمعة الثانية كذلك بالقاهرة. وبعـــد يومين مات العاضد جبناً يوم عاشور المحرّم[1] . وقال ابن الجوزي انه لمـــا وصل الخبر الى بغداد بان المستضيء بن المستنجد خطب له بمصر . فغلقت اسواق بغداد للهناء وعلت الحمامة ، وكانت قد انقطعت دعوى بني العباس من مصر نحو مايتين وعشر سنين .

وقال ابن الحريري (ص ٨٦) انه لمـــا بلغ ذلك خليفة بغداد جهّز قاصده الى نور الدين والى صلاح الدين ، فلبس نـــور الدين خلعةً وهي فرجنة وعباء وطوق بالف دينار وحصان وسيفان الخ، وخلع على صلاح الدين دون ذلك يسيراً ومعهما اعلام للخطباء عليهم اسم (الخليفة) المستضيء بالله ، وكانت مدة خلافة العاضد اثنتـــا عشرة سنـــة ونصف ، ولم يخلّف ولداً . وفي موت العاضد خليفة

١) وجاء في تاريخ الدويهي المطبوع ص ٧١ ، «ان الخليفة مات ولم يخلف ولداً، وان بموته انقرضت دولة خلفاء الفاطميين الذين بعد الاخشيديين تولّوا تدبير الديار المصرية...»

مصر ، انقرضت ولايته ، لان صلاح الدين الايوبي تملك النصر ، واعتقل كل من كان من اقارب العاضد ومنعهم من النساء لئلا يتناسلوا ، واصطفى صلاح الدين ماسلك دفاتره... وكان في القصر ازيد من مايتي الف مجلد ، وكان عدد الخلفاء الفاطميين الذين تولّوا على تدبير الديار المصرية والشامية بعد الاخشيديين احد عشر خليفة ، ومدة ولايتهم مايتين وسبع سنين ثم زالت ، والله وحده هو الدائم الذي لن يزول حكمه ابداً[1] .

---

[1] وبعد هذا تسعة اسطر متروكة بيضاء ، لكون الفصل انتهى عن الدولة الفاطمية ، وسيبدأ الفصل الجديد عن الدولة الايوبية، التي يتزعمها كما رأينا صلاح الدين الايوبي العظيم، ولاجل ذلك نقرأ في الصفحة الحادية والاربعين من مخطوطة الدويهي هذا العنوان : « الباب في الدولة الايوبية السنّية اصحاب الفتوحات » كما سنرى بعيده .

الفصل السابع

في الدولة الايوبية اصحاب الفتوحات

ولايتهم في الديار المصرية والشامية واحـد وثمانون سنة ، وعدد خلفائهم تسعـة ، اولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وآخرهم المعظم تورنشاس يوسف .

---

١ – الملك صلاح الدين وعلاقته مـع نور الدين في الشـام :

عندما توفي العاضد خليفة مصر ارسل الملك العادل نور الدين نواب الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين بن شادي ابن مروان ابن حسن ايوب . وكان مقام شادي بتكريت بالعراق وبها توفي وله ولدان : اسد الدين شيركوه ونجم الدين ايوب . فتولى نجم الدين ايوب قلعة تكريت مدة ثم عزل عنها وسار باهله الى الموصل . ولما فضت المملكة السامية من نور الدين ابن زنكي قصد ابن نجم الدين واخوه شيركوه واهـل بيتهما فاكرمهما نور الدين وجعلهما من عساكر اصحابه .

ولما جاء لنجم الدين ، صلاح الدين يوسف كان نور الدين ينزله بمنزلة الولد ويعضده في المهمات . ثم انه جهز شيركوه على مصر مع

الجيوش الشامية فصار وزيراً بدل شاور البدوي . وبعد مدة شيركوه ولّى العاضد في الوزارة بمصر صلاح الدين يوسف . وعندما مات العاضد نوّبه نور الدين بالديار المصرية ، فجدّد صلاح الدين الدعوة في مصر واعمالها واخذ اموال العاضد، وملك قصره، ودياره وقبض على اهل بيته ، واستفحل امره[1] . وبعث نور الدين الى صلاح الدين ان يسير لعنده فلم يمضي، بل ارسل له من يعتذر عنه، فغضب عليه نور الدين وهمّ في الدخول الى مصر ، فخضع له صلاح الدين وقتئذ ، فسكت عنه .

٣ – نور الدين في الموصل ، وطورس امير الأرمن يخون الفرنج، وغزوة الميريكوس لبلاد قيليقية : سنة اقصب مسيحية (اي ١١٧٢م.) الموافقة لسنة نسح (اي ٥٦٨ هج.) سار نور الدين الى الموصل وصلى بجامعها . ثم فتح مرعش والرقة وخابور ومرزبان وسنجار . وفيها مات طورس امير الارمن وكان محباً للفرنج ، فتخلف بعده ميلون ، فكان يشنا (يبغض) الفرنج ، فارتضى على نور الدين واستنجد به حتى يهزمهم (اي الفرنج) ويستولي على كل الاماكن التي كانت بيدهم ، فهجم وأحرق وتملك على جميع ما كان قد تبقى بيد فرسان هيكل القدس في بلاد قيليقية .

١) وهنا يؤيد ابن العبري ما سبق الكلام عليه بشأن مهام صلاح الدين، فقال ص٣٧٠ ما نصه: « ولما توفي اسد الدين شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية ولاية الوزارة للعاضد العلوي صاحب مصر ، فأرسل العاضد الى صلاح الدين بن ايوب بن شادي واحضره عنده وخلع عليه وولّاه الوزارة بعد عمه ، ولقّبه بالملك الناصر وكان اسمه يوسف... فثبت قدم صلاح الدين يوسف ومع هذا فهو نائب عن نور الدين في الشام... واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبّوه وضعف امر العاضد ، ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله ، فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته... وتوفي الامام المستنجد بالله بن المقتفي وكانت خلافته ١١ سنة وكان من احسن الخلفاء سيرة... وجاء بعده ابنه المستضيء بالله... » كما سنرى .

ولاجل ذلك انتقل ملك القدس الميريكوس الى ناحية انطاكية وارسل دفعتين يؤنّب ميلون الارمني بسبب انه كان نصراني وكان يساعد نور الدين على هلاك النصارى . فلم يمتثل بذلك ميلون الارمني. عند ذلك غزا الميريكوس بلاد قيليقية وتملّك مواضع كثيرة هناك وضرب فيهم السيف .

٣ - صلاح الدين في الكرك ثم انكفأ عنها خوفاً من نور الدين، صاحب طرابلس افتدى نفسه من الاسر ، طائفة النصيرية... سنة افمج مسيحية (اي ١١٧٣ م) التي في شهر آب منها تبدأ سنة نسط هاجرية (اعني عام ٥٦٩ هج.) سار صلاح الدين الى الكرك في الكوانين وغزى جميع ما هو للفرنج خارج الاردن وسبى وقتل وقطع الشجر والكروم . وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم بقرب الكرك . فخاف صلاح الدين من الاجتماع به ، فرحل عن الكرك وعاد الى مصر كاتباً الى نور الدين ان أباه ايوب مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر، وقبل عذره في الظاهر.

وفي هذه السنة يقول مطران صور، ان القومّس صاحب طرابلس كان له ثمان سنين مأسور في حلب ، فبذل عن نفسه الف وخمسماية درهم وعاد الى طرابلس[1]. وقال ابن الحريري ان القومس اعطى لنور الدين ثلاث كرات دينار وخمسمائة زردية ، ومثلها اسرى واحصنة (انتهت هنا الورقة ٤١ من المخطوطة) .

وفي هذه السنة يذكر مطران صور ان اقتبلوا المعمودية المقدسة طائفة النصيريّة القاطنين في القرية والحصون الذين بقرب طرطوس،

---

١) راجع غليلوس ص ٩٩٥ حيث يذكر باللاتينية ارقام الدرام وهي : « Aureorum milibus octaginta » التي معناها : ثمانية آلاف ذهبية في سنة ١١٧٣ م. ، وابن الحريري في صفحات ٨٢ وما بعدها .

وكان عددهم نحو ستين الف ، وكل سنة يحملون الى فريسان الهيكل الفين درهم . وعنما تنصّروا (اي تعمّدوا) ، أمر الملك ألميريكوس ان تدفع عنهم الدراهم المحرّرة عليهم ، فصعب ذلك على فرسان الهيكل ، وقتلوا فوق طرابلس ابو عبدالله المرسال الذي بعثه الملك بمكاتيب المودة الى شيخ النصيريّة . فأمر ألميريكوس الملك امراء الفرنج ان الذي قتله يجب ان يوضع في الحبس ، فحبسوه ومات بعد مدة قليلة .

وفي هذه السنة ذكر الذهبي في تواريخ الاسلام ان وقع بَرَد عظيم فوزنت الواحدة سبعة ارطال في بغداد . وكان غالب البرد على شبه النارنج ، فقتل كثيراً من الناس والمواشي . وفيها نزلت امطار غزيرة دامت اربعة اشهر في الموصل، فتهدّم فيها الفين بيت، وغرقت بغداد بالزيادة ، وهرب الخلق واستغاثوا بالله ، واقاموا الخطبة في الصحراء ، وهلكت ضياع ، وهدمت دور كثيرة .

٤ ــ صلاح الدين في اليمن . نور الدين يطالب صلاح بالحساب. وفاة الملك العادل وفتوحاته وصفاته الحميدة : وفي هذه السنة جهّز صلاح الدين اخاه شوران شاه الى اليمن فملكها بعد حروب كثيرة، واستولى صلاح الدين على اليمن واموالها العظيمة .

وفيها (اي السنة المذكورة) بعث نور الدين يطالب صلاح الدين بحساب ارتفاع مصر ، فصعب عليه وهمّ بشقّ الطاعة . ثم سكت وامر بعمل الحساب وبعث لنور الدين تقادم نفيسة : منها قطعة ياقوت وزنها سبع مثاقيل ومائة وعشر جوهرة، ومائة ثوب اطلس، فلم تصل حتى مات نور الدين (ملك الشام) .

وفي هذه السنة كانت وفاة الملك العادل[١] نور الدين محمود ابن زنكي ابن آق سنقر صاحب الشام وديار الجزيرة، وكنيته ابو القاسم في احد عشر من شوال يوم الاربعه بعلة الخوانيق في قلعة دمشق. وكانت مدة ولايته ثمانية وعشرين سنه. وكان ملكاً جليل ومجاهد عفيف البطن والفرج، لم يسمع منه كلمة فاحش قط، لا في رضاه ولا في غضبه، وكان كثير الصدقات ومليح الحظ، وفي الحرب كان ثابت القدم، حسن الرمي، شديد العزم. ففتح نيفاً وخمسين حصناً منهـــا تل باشر وعزاز ومرعش وبهسنا وتل خالد وحارم والمرزبان والرها، قتل ابرنس انطاكية وثلاثة آلاف مقاتل معه، اخذ من قومّس طرابلس ثلاث ماية الف دينار، وخمساية زرديّة، وخمساية حصان، واتسع ملكه: ففتح الموصل والجزيرة وديار بكر ودمشق والعواصم وبعلبك وبانياس ومصر واليمن. وخطب له في الدنيا. وبنا (وبنى) في الشام اسوار المدن الذين هدموا بالزلازل مثل دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها.

ومع الشجاعة جمع الخشوع لله، مواظباً للصلوات، حافظاً على تلاوة المصحف، ولم يلبس حريراً قط ولا ذهباً ولا فضـــة، ولا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا من ملك اشتراه (هو نفسه) ومن خاص مالهِ ومن عمل السكاكر والكوافي التي كان يخيطها بيده. وبنا المرستان والمكتب لليتامى، ودار العدل بدمشق واوقف الوقوفات لجامع الموصل، وعلى سكان الحرمين وعلى المرضى والمجانين، وعلى جامع الموصـل وغيرهم. واقطع امراء العرب لئـلا يعترضوا للحاج (للحج)، وامر باكمال سور مكة واجرى اليها الميّه (المياه)، التي تأخذ من عند قبر حمزه. وبنا جسر كامد بالبقاع وجدّد كثيراً من

١) طالع حاشية عنه في آخر هذا الكتاب رقم ٢٣.

الجسور والخانات، وقفي السبيل في دمشق وغيرها ، واسقط المكوس، وما كان يؤخذ من دار البطيخ وسوق الخيل والغنم والحبّالة . ومنع من يبيع الخمر والمنكرات من جميع ممالكه . وكان مبلغ ارتفاع ذلك في السنة بنحو ست مرات ، ومن ذلك على دمشق في كل سنة اكثر من خمسين الف ، فاته امر الرب الذي ما مردّ له .

وولّى مكانه ولده الملك الصالح اسمعيل وكان بعده طفلاً[1]. فلما مات نور الدين، استقل صلاح الدين بمملكة الديار المصرية والشامية، فاخذها ونزعها منه واتخذ اكثر بلاده وقهره واساء صلاح الدين الصحبة والعشرة في ذلك (وهنا انتهت الصفحة ٤٢ من المخطوطه).

ەّ ــ وفاة ملك القدس وقيام خليفة بعده بلدوين ابنه : وفي هـــذه السنة (١١٧٣) سار ملك القدس الى بانياس ووضع عليها الحصار ، فارسلت له زوجة نور الدين زنكي (المتوفى) جملة دراهم وعشرين اسيراً ، فرحل عن بانياس وعاود الى بيت المقدس . وفي حال وصوله عرض عليه سيلان دم بحمّة ، فمات في الثامن من شهر تموز ودفن بقرب ابيه تحت الجلجلة . وكان الملك أمليريكوس ملكاً جليلاً عابداً صبوراً في الخون (الحرب) قنوعّ في الأكل والشرب . وكانت مدة ملكه ١٢ سنة وخمسة اشهر . وفي الثالث عشر من تموز تكلل ابنه بلدوين ملكاً على بيت المقدس (مكان والده) وله من العمر ثلاثة عشر سنة . واعطوا بمحافظة المملكة الى رجل يدعا (يدعى) ميلون . وكان ميلون هذا متكبراً في نفسه ، قاصداً

---

١) وكان عمره احدى عشرة سنة ، واطاعه الناس بالشام كما يروي ابن العبري (ص ٣٧٥) وصلاح الدين في مصر ، وخطب له بها وضرب السكة باسمه .

وانظر حاشية في آخر هذا الكتاب عن والده نور الدين واستقامته وقصته مع زوجته، رقم ٢٢ّ .

التعظيم على جميع امراء الفرنج، فكرهوه الجميع، وفي الزيادة القومّس صاحب طرابلس الذي في النسبة الى الملك الصغير، وفي كثرة المال، وقوة الرجال وشدة العزم، كان الافضل بين جميع امراء الفرنج.

ولما اسروه في حلب ارسل سلّم بيد الملك طرابلس وجميع ما يملك في حياته وبعد مماته. ولاجل ذلك كان يتغلب القومّس على كفالة بلدوين الملك لانه كان ابن خالته، وعلى محافظة كل مملكته. وحدث ان في دخول التشارين وثب على ميلون قوم، وهو في عكا، وقتلوه في الجرد ليـــلا. فاخــذ المحافظة رايمندوس القومس ابن رايمندوس ابن فنطيوس بن بيلتران بن رايمندوس الكبير الذي قدم الى بلاد الشام بصحبة جوفريد الملك وتوّلى على طرابلس الشام اولاً.

٦ – **صلاح الدين في الشام وحماة وحلب**: سنة افعد مسيحية (اي ١١٧٤ م.) التي تبدأ في شهر آب الموافقة الى سنــــة سبعين وخمسماية للهجرة، سلخ ربيع الاول، سار صلاح الدين بخمسماية فارس الى دمشق. وقيل ان اهل دمشق كاتبوه قبلاً ليقوم الى اخذها. فخرج كل من كان بدمشق والتقوه واكرموه، واخذ القلعة وتولى على جميع اموالها. وعندما ثبت قدمه، قرّر بها اخاه طغتكين ابن ايوب. وامــا الملك الصالح بن نور الدين انتقــل الى مدينة حلب[1] وارسل الى ابن عمـــه سيف الدين غازي صاحب الموصل يطلب منه النجدة على صلاح الدين.

---

١) يقول ابن العبري ص ٣٧٥ ان الملك الصالح ذهب مع العساكر الى حلب ليصدّ سيف الدين عن العبور الى الشام. فلما خلت دمشق عن السلطان والعساكر، سار اليهـــا صلاح الدين فملكها وملك بعدها حمص وحماة وبعلبك، وسار الى حلب فحاصرها. فركب الصالح وهو صبي وجمع اهل حلب وقال لهم: قـــد عرفتم احسان ابي عليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان ابي ليأخذ بلدي ولا يراقب الله

وسار صلاح الدين في مستهل جمادى الاول الى حمص ، وكانت حمص وحماه وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة في قطاع فخر الدين مسعود الزعفراني ، وكان رديء السيرة ، فاخذ صلاح الدين حمص في احد عشر جمادى الاول ، وترك مَن يضيّق على القلعة . ونزل الى حماة فملك المدينة في مستهل جمادى الآخر. ومضى الى حلب وشدّ عليها الحصار . فخرج ملك القدس الى جهة بانياس وكانت ايام البيادر ، فاحرق الزروع والبيادر وسار حتى وصل الى داره التي هي قريبة من دمشق وغزى وادي الجنة التي في ذيل جبل لبنان ، ونهبوا وكسبوا ارزاق كثيرة ، وقصدوا حمص ، فرحل صلاح الدين عن حلب واعطى للفرنج المرابيط والكفلا الذين كان اسرهم نور الدين ، فرحلوا عنه سنة اقمة (اي ١١٧٥ م) مسيحية الموافقة لسنة نم حتى الى آب ، وقدم سيف الدين غازي في العساكر الحلبية والموصلية الى مقاتلة صلاح الدين بقرب حماة ، فظفر بهم صلاح الدين وغنم اموالهم . ثم صار الصلح بين الملك الصالح ابن نور الدين وبين صلاح الدين نفسه ، واستمرّ لصلاح الدين ما كان قد تملكه من الشام ، وللملك الصالح ما بقا بيده ، ورحل صلاح الدين عن حلب في آخر شوال ، وانعم بحمص على ابن عمه محمد بن شيركوه ، واستناب بدمشق اخوه (اخاه) سيف الاسلام طغتكين ، وبعصر اخوه العادل ، ثم بعث الى المستضيء خليفة بغداد يطلب منه تقليد السلطنة الكبرى ، وهي مملكة مصر والشام واليمن والحجاز وكل ما يفتحه ، وتقرّر له الملك .

ولا الخالق. وقال من هذا كثيراً وبكى واستبكى واتفق الناس على القتال فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنها . وفي المرة الثانية التي حاصر صلاح الدين حلب ، اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة طفلة، فاكرمها صلاح الدين واعطاها قلعة عزاز ، ورحل عنها... » . وجدير بالذكر هنا ان « مرابيط » تعني « الامرى » .

وفي هذه السنة مات أخو القاسم علي ابن الحسن ابن العساكر صاحب التواريخ الكبيرة ، وكان فريد عصره[1].

٧ - الفرنج في بانياس وجبيل وصلاح الدين في حلب ، وزواج جليلموس : وفي هذه السنة سار صاحب طرابلس على بلد جبيل وحصون المنيطرة ، وخرج عليه شمس الدولة اخو صلاح الدين من دمشق ، وتواقع الجمعان . وكانت الوقيعة على شمس الدولة ، فانهزم بنفر قليـــل ، وتولوا الفرنج على خيولهم وامتعتهم وغزوا نواحي البقاع ، وعاودوا بسابقة كثيرة (كما ذكر غليلموس ص ١٠٢٢) .

وفي سنة نعا للهجرة (اي عام ٥٧١ هج.) يقول ابن سباط ان كان المصاف بين صلاح الدين وغازي صاحب الموصل بتل السلطان. فانهزم غازي مع عساكره . ثم فتح صلاح الدين عزاز في الاحد عشر ذي الحجة ، وسار الى حلب واخذها بالصلح . وقيل ان اخرجوا اليه ابنةً صغيرة لنور الدين ، فاكرمها الملك صلاح الدين واعطاها شيئاً كثير ، وقال لها ما تريدين . وقالت اني أريد قلعة عزاز ، فسلمها صلاح الدين القلعة .

وفي هذه السنة في شهر التشارين ازوج بلدوين الملك اخته مع جوليلموس مركوس ، وكان جليلموس منسوباً في الاهلية الى فيلبوس ملك فرنسا ، والى كونراد ملك الرومانيين ، وكان شاباً فضيل وشديد العزم في الحرب ، فمات في الشهر الثالث وزوجته حامل.

٨ ـ صلاح الدين يحارب الاسماعيليين ثم يرحل عنهم لبناء السور: وفي سنة نعب للهجرة (اي عام ٥٧٢ هج.) نازل صلاح الدين بلاد

١) كما يذكر ابن الحريري ص ٨٩ ، والكامل ص ١٧٧ من تاريخ ابن الاثير في المجلد الحادي عشر .

الاسماعيلية وخرّب وحرق ، فتضرعوا اليه ، فرحل عنهم اكراماً لخاله صاحب حماة . ثم رجع الى مصر وامر ببناء السور الاعظم المحيط بمصر والقاهرة ، وعمّر بالقاهرة مرستان وانشأ قلعة الجبل ، وكان متوليا على العمارة قراقوش ابن عبدالله[1] .

٩ً – امير فلندره للمرة الثانية في القدس مع الفرنج ، وصلاح الدين يغزو السواحل : في سنة اقعو مسيحية (اي ١١٧٦ م) الموافقة لسنة نعج للهجرة (اي عـــام ٥٧٣ هج.) عاود الى زيارة القدس فيلبس امير فلندرا ، واتفق مع القومّس صاحب طرابلس ومـــع البرانس صاحب انطاكية على محاصرة قلعة حماة وداموا عشرة اشهر. ثم قـدم صلاح الدين الى دمشق فرحلوا عن حماة . ثم نزل صلاح الدين الى بعلبك محاصراً اياهـــا واستلمها صلاح الدين واعطاها الى اخيه شمس الدولة .

وفي هذه السنة نزل صلاح الدين لغزو الفرنج في الساحل وكان معه ستة وعشرين الف مقاتل ، فأحرق الرملة ، ونهب اللد ، وامر وقتل جمعا كثير . وقصد الجبال ، فارتعبت منه كل الناس وقصدوا المواضع المنيعة ، وصعد جبال القدس الى برج داود .

ثم ان الملك بلدوين اخـذ يصلي مستغيثاً بالله ، ثم خرج من عسقلان في ثلاثة مائة وخمسة وسبعين جالية من فرسان الهيكل ، وكان عسكر المسلمين في مشقة من السفر ومن السهر ، فوثب عليهم بلدوين الملك فشتّت شملهم... وحدث عليهم في تلـــك الليلة برد شديد ومطر دام عـــدة ايام فهلك البعض وقتـل البعض بالسيف

---

١) وهو خصي من اعيان الامراء الاسدية وكلهم يرجعون اليه ، كما يروي ابن العبري في تاريخه المعروف ، ص ٣٧٣ ، وهو الذي عزم على قطع خطبة العاضد الخليفة .

والبعض مع شمس الدين فرّوا ، وصلاح الدين رجع الى مصر في طريق البرية حيث هلك اكثر العسكر والدواب من العطش . اما الفرنج فسلبوا جميع ما كان معهم واخذوا الذين كانوا تفرّقوا في الادغال والاسراء وعادوا منصورين الى القدس .

١٠ً – مطران صور في روما ، وبلدوين يبني برجاً على الاردن، وهناك وباء وغلاء وفناء : وفي سنة اقعح مسيحية (اي عام ١١٧٨م) الموافقة لسنة نعد للهجرة (اي ٥٧٤ هج .) من حزيران وطالع ، سار مطران صور غليلموس مع اساقفة طرابلس وعكا وقيسارية وبيت لحم وغيرهم في شهر تشرين الاول الى رومية ليحضروا المجمع في مقره برومية الذي عقده البابا اسكندر[١] .

وفي آواخر تشرين الاول بنا (بنى) بلدوين الملك برجاً على شط الاردن ببيت يعقوب في وادي قادش وقيل ان الاب يعقوب قطع الاردن . واحتمل الملك مشقة عظيمة من اهل الجبل زابلون والعربان الذين قصدوا اذاهم ، وقد قتل منهم نفر كثير .

وفي هذه السنة كان بالبلاد غلاء عام ، ثم تبعه فناء ووباء شديد (وهنا انتهت الصفحة الثالثة والاربعين من المخطوطة) .

١١ً – قتال شديد حول برج يعقوب ثم انكسار الفرنج... : سنة اقعط مسيحية (اي سنة ١١٧٩ م) في ١٨ من اذار ، نزلوا اهل زابلون قاصدين خراب البرج الجديد الذي بناه الملك في بيت يعقوب ، فوقعوا في كمين الفرنج وقتل منه تسعة وسبعين رجال .

---

١) هو الحبر الاعظم اسكندر الثالث الذي تولى عرش البابابوية عام ١١٥٩ لغاية سنة ١١٨١ ، والمجمع الذي عقده هو اللاتراني الرابع الذي حضره البطريرك الماروني ارميا العمشيتي فيما بعد في عهد البابا اينوشنسيوس الثالث المعروف (١١٩٨ – ١٢١٦) .

وفي عشرين من نيسان صعد معهم بلدوين الملك ليلاً فوقع في كمينهم فقتل صلحدار الملك وكثير من جماعته. وفي دخول ايار سار صلاح الدين الى فتح البرج، وجاهد على حصاره فقتل واحد من امرائـه ورحل عنه.

وفي هذه السنة كانت وقعة مرج عيون، فتقاتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الفرنج واسروا منهم مايتين وسبعين اسـيراً، ومنهم اودون مقدم الديوانية، فمات في السجن، وبلدوين ما رام ليستفكه بعدما بذل عن نفسه الف اسـير ودراهم كثيرة. وكان صاحب طبرية وصاحب جبيل وابن صاحب مراقيه فحملوا الى قلعة دمشق واعتقلوا بها. ويذكر مطران صور ان الوقعة كانت على غفلة، وعندما كانوا نائمين على شاطي النهر ليستريحوا من شقـــاء الطريق، وثب عليهم صلاح الدين. ثم سار صلاح الدين الى برج يعقوب الذي بالقرب من بانياس، فملكه وقتل جميع من فيه ودكّه الى الارض.

واما بلدوين ملك الفرنج، توهّم عليه من المملكة بسبب البرص الذي كان يألمه، فزوّج اخته التي كانت ترمّلت من جوليلموس المركيس، على رجل دولتلي يدعا جوبرون ابن اوجوس الاسمر من طائفةلوسينيان حتى يكون حافظاً لبلدوين ولده، واعطاه يافـــا وعـقلان[1]. وكان العرس في الايام المحرّمة من الكنيسة. وزوّج اخته الثانية ايضاً هيزا بلله وعمرها ثمان سنين الى هنفريد صلحدار الملك ولكن مات ولم يعرفها.

١٢ – صلاح الدين في طبرية وفي طراباص، عقد الهدنة، زواج

١) وكانتا « صداقا » لها كما جاء في المخطوط الثاني الذي وضعه العلامة الدويهي، فطبعه الاب توتل اليسوعي سنة ١٩٥١، انظر صفحة ٨١.

صاحب انطاكية بالحرام، وفاة الملك الصالح ، والملك عمانويل ايضاً :

وفيها (اي في هذه السنة المذكورة) حاصر صلاح الدين طبرية ثم رحل عنها وقصد بانياس بسبب النجدة التي قدمت اليها من مصر بخمسين جراب غير المراكب . فكان في بلاد الشام غلاء عظيم بسبب طولة القحطة وقلة الامطار حتى ان الناس والخيل أيسوا عن القوات (الاقوات) . فارسل بلدوين الملك يطلب الهدنة والصلح من صلاح الدين ، فأجابه الى ذلك .

ثم ان صلاح الدين رتّب امور دمشق وبوصرى وزحف بجمع كثير الى جهة طرابلس، فنزل في عرقا بين القومس وبين فرسان الديوانية الذين كانوا متوليين على الحصون الشمالية لئلا يقدر احدهم ينجد رفيقه ، وغارت جماعته على ايالة طرابلس في ايام الحصاد ، فقتلوا ونهبوا واحرقوا وامر ان اجربة مصر تسير الى محاصرة رواد . فلما نظر ذلك صاحب طرابلس طلب الهدنة واجابه صلاح الدين الى طلبه وعاود الى مصر .

وفي هذه السنة بيومند صاحب انطاكية اطلق زوجته تودوره بنت ملك الروم ، واصطحب امرأة سايبة ، فوبّخه على هذا الفعل الرديء بطرك انطاكية ورؤساء الكهنة . فحنق عليهم ووضع يده على وقوفات الكنائس والديورة وخطف الاواني المقدسة . ثم ان الرؤساء اذ لم يعتبر، تركوا المدينة وطعنوه بالحرم ووضعوا الحرومات على المخالفين . فخربت انطاكية ولم بقا يصير فيها صلاة ولا قداس الا من العماد لا غير .

وفيها توفا ألمريكوس بطرك القدس، وصيّر هرقل الذي كان مطران قيسارية . وتوفي ايضاً الملك الصالح بن نور الدين صاحب

حلب ، واوصى بملكه لابن عمه سيف الدولة غازي صاحب الموصل، فقدم للوقت غازي وملك حلب .

وفيها ايضاً توفى عمانويل ملك الروم ، وكان ملكاً جليل شجاع كثير الكرم ، يمين الفرنج . وتخلف بعده ابنه الملك ألكس وعمره ثلاثة عشرة سنة . وحفظ ألكس المودة لنحو الفرنج ، ولاجـل ذلك حنق عليه امراء الروم ، وفي الزيادة ابن عمه ألكس ، وخاله اندرونوقس ، فشملوا (اي سملوا) عيني الملك وقطعوا مذاكيره ، وضربوا السيف في الفرنج، ولم يعفوا عن كاهن ولا عن راهب ولا عن امرأة ولا عن ولد ، بـل باعوا منهم نحو اربعة آلاف للعجام وللمسلمين ، والباقي قتلوهم بكفر عظيم فاحرقوا بيوتهم[1] وكنائسهم وديورتهم ، وقتلوا الكردينال يوحنا وعلقوا رأسه على دنب كلب ، وفتحوا القبور ، وجرجروا امواتهم في شوارع المدينة ، ودخـلوا تكية مار يوحنا ، وقتلوا جميع المرضى ، وضبطوا ارزاقهم ، ومـا قدروا على شر وعفوا عنه ولم ينجا من الفرنج الا" الذين هربوا في البحر فدخلوا هؤلاء في اربعـة واربعين جراب عندما صارت المؤامرة من اندرونيقوس (خال ملك الروم) على الفرنج .

ولما تحققوا بالشرور التي عملتها الروم مع جماعتهم ، جمعوا (اي الفرنج) اليهم جملة مراكب فرنجية ، وغزوا جميع المـدن والحصون والقرى الذين في سواحل البحر ، فعلقوا فيهم النار والسبي والقتل،

١) وهنا انتهت الورقة ٤٣ من المخطوطة وتتبعها الورقة الرابعة والاربعين ، ولكن مكتوب منهـا نصف صفحة وامـا الصفحة الباقية والنصف الآخر فباقيان بياضاً ، لان المؤلف بنيته كما يظهر ان يستفيض بشرح المسألة الاخيرة التي ألمح اليهـا في هذه الصفحة ، وهي عن « قدوم الموارنة الى طاعة الكنيسة الرومانية » وهي تمثل الخضوع الذي يقدمه الافرنج عنـد تغيير البابارات وتنصيب البابا الشرعي عنـد تعددهم ، كما حصل مراراً وتكراراً في تاريخ الكنيسة عبر الزمان ، وفقاً لما شرحنا سابقاً .

ولم يعفوا عن النساء ولا عن الدراري ولا عن الكهنة ولا عن الرهبان . واما الذين كانوا يتقوا الله ، اخذوا عيالهم وتوجهوا بهم الى بلاد الشام . فانقطعت الفرنج عن بلاد الروم وبلاد قيليقية ، وضعفت امورهم بسبب كثرة خطاياهم كما يذكر عنهم مطران صور في الكتاب كا (اي ٢١) من تواريخه . فان ابّهاتهم واجدادهم كانوا بجيش قليل يقهروا عساكر كثيرة لموضع كثرة غيرتهم لعمل الخير وسلوكهم في الطهارة وحفظ وصاياه الالهية ، فلما فسدت قلوب بنيهم ارسل الله لهم اولاً زنكي ، فتملك الرها واهلك من كان فيها وفي كل جيرتها . ثم ابنه نور الدين فاخذ مصر وطردهم منها بعدما كانوا قاربوا لتملكها كلها . ثم صبيّه صلاح الدين فتولّى على الديار المصرية والشامية وحده وجمع عليهم جميع الجيوش الذين كانوا متغلبين على مواضع مواضع فأهلكهم وشتّت شملهم . ثم اندرونيقوس في القسطنطينية حتى ان بعد ما كانوا قد تأهلوا مع ملوك الروم وامتلئت منهم المدينة المتملكة ، استأصلهم منها عن آخرهم .

وفي هذه السنة عندما اجتمعت الجيوش في بلاد النصارى ليأتوا الى نجدة بلاد القدس وكانوا مسافرين قريباً من الجزر الذين في بلاد هسبانيا ، خالف الله بعلمه الخفي عليهم الريح فاهلك منهم عشرين الف وانوف فبطلت النجدة ، ورجع الباقي كل واحد منهم الى موطنه .

وفي هذه المدة ، عندما كان الصلح والهدنة بين صلاح الدين والفرنج ، يقول مطران صور ، ان قدمت الى طاعت الكنيسة الرومانية ملة الموارنة[١] (وهنا انتهت الصفحة ٤٤ وبقي منها قسم

١) ويعني بهذا تقديم الخضوع البنوي للبابا الشرعي تمييزاً له عن البابا غير الشرعي ، شان كل ملة او بلاد من بلدان اوروبا كما هو معروف ، راجع عن ذلك الدر المنظوم للعلامة البطريرك بولس مسعد ، ص ١١٣ - ٢٨١ .

بياضاً كما قلنا ، وكذلك الصفحة الثانية التابعة لهـا متروكة بيض. اما الصفحة الخامسة والاربعون فقد شطحها المؤلف كلها وكتب على الهامش بدلاً منها كما يلي :)

١٣ – صلاح الدين ينقض الهدنـة ويهجم على الجليل ومغارة الشقيف ثم يرجع مقهوراً عن طبرية : سنة اقف مسيحية (اي سنة ١١٨٠ م) الموافقة لسنة نعو للهجرة (اي عام ٥٧٦ هج) قدم الى دمياط مركب فرنجي ، وفيه نحو الف وخمسمائة رجل كانوا قاصدين زيارة القدس ، فأخذهم الريح الى جهـة مصر . فمسكهم السلطان صلاح الدين بخلاف العهد والهدنة ، وسار بالجيوش الى الكرك لمكاونة (لقتال) الفرنج وقدمت اليه العساكر الشامية من دمشق وبوصرى وبعلبك وحمص وغيرها . فغزوا بلاد الجليل في ايام الحصاد وتملكوا دبوريه التي بقرب تاثين ، وقتلوا اهلها وجيرتها ، واسروا منهـا نحو خمسائة نفس . ثم غزوا بـــلاد طبريه مثـل بيسان وجنين والغور فغنموا وقتلوا .

وفيها (= السنة المذكورة) سار صلاح الدين الى دمشق وعاود الى طبريه بنحو عشرين الـف فارس . وخرج عليهم بلدوين بنحو سبعمائة لا غير نزلوا عند صفوريه . ثم صار المصاف (اي القتال) بين الفريقين بين طبريه والجليل . وكانت الكسيرة على المسلمين ، فقتل منهم نحو الفين نفس ، وخرج الباقي مهذومين الى دمشق .

١٤ – غزوات صلاح الدين وبلدوين في جهات بيروت والموصل : سنة اقفا مسيحية (اعني ١١٨١ م) الموافقة لسنة نعز للهجرة (اي ٥٧٧ هج) كتب صلاح الدين الى اخوه (= اخيه) في مصر ليرسل له العساكر لاخذ بيروت . وفي اول آب وصل الى مدينة بيروت

ثلاثين جراب مصرية ، وسار اخو صلاح الدين في عمارة البر وغزى نواحي داره وعسقلان وغزه الذين في حدود مصر . وحاصر صلاح الدين بيروت وجاهد على اخذها .

وفي اليوم الثالث نزل بلدوين بجيشه ، فغزى صلاح الدين بر بيروت وقطع كرومها ثم رحل عنها وعاود بالجيش الى مصر . ثم سار صلاح الدين الى البلاد الجزرية وعبر الفرات من البيرة لمقاونة (لقتال) الموصل . وكان صاحب الموصل شجيع العطا بحق جماعته. فاشتدّ عليه صلاح الدين وملك الرها وحرّان ومـا يليها ، وديّق (ضيّق) على الموصل فلم يأخذها[1] .

واما بلدوين (فقد) حاصر مغارة الشقيف نحو عشرين يوم ، ففتحها بالامان في دخول التشارين ، ثم غزى بلاد الشام ، واخذ بالسيف الغور وداريا . فحرقها وقطع شجريتها ونهبوا واسروا .

١٥ – وفاة ملك القدس بلدوين الرابع ، وقيام بلدوين الخامس مكانه

: سنة اققد (١١٨٤ م) مسيحية الموافقة لسنة نف هجرية (اي سنة ٥٨٠ هج التي بدؤها ١٤ نيسان) كانت وفاة بلدوين الرابع ملك الفرنج في بيت المقدس ، وكان رجلا شجيع يحب اهل العلم ، ملك يا (اي ١١) سنة ، ومات في وجع البرص . وتخلف في الملك ابن اخته بلدوين الخامس وكان عمره ست سنين ، وتولى محافظة المملكة جويدون صاحب يافا .

---

١) ويقول ابن العبري ان « صلاح الدين (ص ٣٨٠) عبر الفرات الى الديار الجزرية وملك الرها وحرّان والرقة وقرقيسياء وماكسين وعربان (وهما مدينتان في الجزيره) ونصيبين ، وسار الى الموصل ، وبها عز الدين صاحبها ونائبه مجاهد الدين قد جمعا بها العساكر الكثيرة واظهروا من السلاح وآلات الحرب والحصار ما حارت له الابصار... »

فلما عرف ذلك صلاح الدين ، خرج من دمشق وجمع العساكر المصرية ، ونصب المنجنيقات على الكرك ، وحاصرها ، وتملك ربط الكرك وبقية القلعة ، وتجمّعت عليه الفرنج : فارسها وركبها ، وطردوه منها ، فسار الى نابلوس فأحرقها ونهب وقتل واسر مـا بتلك النواحي .

واما بلدوين ، عزل جويدون عن محافظة البلاد واعطاها لصاحب طرابلس ففرحوا الكل به .

١٦ ــ فتوحات صلاح الدين ، وفاة بلدوين ، الخلاف بين الفرنج:
سنة واحد وثمانين وخمساية[1] مضى (صلاح الدين) الى ناحية المشرق ، فاخذ ميافرقين ، وحاصر لثاني مرة الموصل ، ولم يقدر عليها . ثم صار الصلح على ان يأخذ صلاح الدين شهر زور واعمالها وولاية القرالي وجميع ما وراء الزاب ، وان يخطب للملك صلاح الدين على جميع منابر الموصل ، ويضرب اسمـه على الدراهم والدنانير . فتسلّم الملك ذلك واستقرّ الصلح .

وفيها (اي هذه السنة) كانت وفاة بلدوين الخامس ملك الفرنج في الشهر الثامن من ملكه ، فاخفت امـــه موته ، وفي البراطيل والمواعيد استمالت خاطر البطرك وأكابر الفرنج فجعلها زوجهـــا جويدون ملكاً بعـد ابنها . فلما وصل الخبر الى القومس صاحب طرابلس الذي كان في تلك الايام في طرابلس ، وكان (قد) كفل بلدوين للصلح خمس دفعات ، اغتاظ غيظاً شديد ولم راد يكون تحت طاعته ، بل كاتب الى صلاح الدين واستنجد به ، وكان بيد القومس طرابلس طبريه وبلاد الجليل (انتهت الصفحة ٤٥) .

١) هجرية ، وهي توافق سنة ١١٨٥ مسيحية ، وبدؤها في الرابع من نيسان كما لا يخفى .

[واما جويدون[1] الملك فقد بعث مكاتيب باسمه وباسم البطرك وسائر الرؤساء واراكنة الفرنج الى البابا نوهرا والى ملوك النصارى بطلب النجدة. وعندما هنريك ملك الانكليزك جمع العساكر لينجدوهم حدث أن مات البابا الذي كان ساعياً بتلك القضية وبطل السفر، بل ان غليلموس ملك سقالية جهّز العمارة بالبحر الى بلاد الروم فتملكوا تسالونيقية ونهبوا واسروا وقتلوا كثيراً من الروم. ثم ان قومـــاً من الروم قبضوا على اندرونيقوس الملك فوثقوه بالسلاسل ونتفوا ذقنه وقلعوا عينيه واسنانه وقطعوا يديه، وطافوا بـه في شوارع المدينة وهو محمول على جمل، ثم انهم علقوه برجليه وقطعوا مذاكره واماتوه شر موت واقاموا بدله ملكاً اسحق الذي كان عدوه].

٦٧ – نواب صلاح الدين في مصر، وهو يغزو عكا والكرك وطبريه ويصطدم بالفرنج في وقعـــة حطّين ويمتلك بلاداً واسعة :

سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ) قال ابن سباط[2] : أقام صلاح الدين ابنه عثمان نائباً بمصر ومعه اخوه العادل الذي كان بحلب .

وفي هذه السنة، البرنس صاحب الكرك اخذ قافلةً عظيمة من المسلمين واسرهم، فصعب ذلك على صلاح الدين. فارسل عسكراً يغزي بلاد عكا، ومضى هو بعسكره الى الكرك. ثم انه أخذ طبريه التي كان صاحبها قومس طرابلس، وكان القومس قد دخل تحت طاعته. فارسل القسوس والبطرك ينهوه عن مرافقـة صلاح الدين

---

١) هذا المقطع اخذناه عن تاريخ الازمنة للبطرك الدويهي المطبوع سنة ١٩٥١، ص ٨٦، تكلةً للموضوع الذي نحن فيه كما ترى، لكونه غير مكتوب في المخطوطة التي بيدنا وقد وضعناه بين معكفين كما نبّهنا الى ذلك.

٢) وهذه السنة توافق السنة المسيحية ١١٨٦ م، كما جاء في تاريخ الازمنة المطبوع، ص ٨٧ .

ويوبّخوه ، فصـــار معهم ، واجتمعت الفرنج لملتقى صـلاح الدين بفارسهم وراجلهم .

ونزل صلاح الدين الى الكرك والشوبك واحرق كرومها وضياعها، وقام هناك الى ان اجتمعت اليه العساكر براس الماء ، وجهّز الغارة على طبريه . فقدم على العساكر الشرقية مظفر الدين كوكي (والصواب: كوخي) بن كوجي ، وعلى عسكر حلب زين الدين داروم ، وعلى عسكر دمشق قيماز النجمي ، فساروا مدلجين صبحوا بصفّورية . فخرج الفرنج الى لقاهم، فظفروا بالفرنج ، فقتلوا واسروا خلقاً كثيراً.

ثم سار السلطان صلاح الدين من الكرك ، فنزل على الاقحوانة، والفرنج نزلوا بصفّورية . فرتّب (صلاح الدين) بعض عساكر لقتالهم ، ومضى هو بنفسه لطبريه فتسلّمها عنوةً . فصعب ذلك على الفرنج وتهيّئوا لصده . ويوم السبت لخمس بقين من ربيع الثاني ، إلتقى الجمعان (اي الجيشان) واشتدّ الحرب، والتحم الطعن والضرب، فانخذل عسكر الفرنج وانهزموا . فلما نظر القومس صاحب طرابلس، التجأ الى تقي الدين صاحب حماة ، فأفرج عليه ومضى الى طرابلس مات جبنا . واما بقية الفرنج التجوا الى جبل حطّين ، فاحاط بهم المسلمين من كل الجهات، وكانت الدائرة على الفرنج وصاروا في قبضة المسلمين واخذوا باليد .

وكان بجملتهم ملكهم جويدون وأخوه ملك جبيل والبرنس. • صاحب الكرك ومقدم الزاوية... ولم يصيب الفرنج مصيبة مثل هذه الوقعة من حين ساروا الى الشام سنة اربعمائة وواحد وتسعين الى هذا الآن . ويقال ان جمعهم كان ينوف عن ثمانين الف فارس وراجل ، وكانت المسلمين (المسلمون) اثني عشر الف فارس سوى

(ما عدا) الرجالة . ولم يخلص من الفرنج الا القليل . واخذ منهم السلطان خشبة صليب الصلبوت ، وقتل بينهم ارباط فانه كان فارس الفرنج وهو الذي[1] قرع السلطان يوم الرملة ، وكان غدره باخذ القفل ، وكان قصده التوجه الى جزء مدينة النبي . واما بقية الفرنج اعتقلوهم (المسلمون) وحملوهم الى الحصون الاسمعيلية .

فلما فرغ السلطان من هذه الوقعة سار الى طبرية وتسلّم قلعتها بالامان . وبادر الى عكا فحاصرها وفتحها بالامان . وجاء اخوه العادل بالجيوش المصرية على مجدل يابا ويافا ففتحها عنوةً . ثم فرّق السلطان عسكره (الى كل الجهات) . ففتح الناصرة وصفوريّة وقيسارية وحيفا ومعلتا والفولة ونابلس وتبنين وعسقلان وغيرها من البلاد المجاورة لعكا بالسيف ، وغنموا واسروا وقتلوا اهل هذه الاماكن . وارسل فرقة وملكوا قلعة نابلس وتبنين بالامان في احد وعشرين من جمادى الاول ، وساروا الى صيدا فاخلوها اصحابها وتسلّمها ساعة الوصول .

ثم سار الى بيروت ، فحصرها ثمانية ايام وتسلّمها في كز (اي في ١٧) من جمادى الاول ، وكتب للمغير جمال الدين حجّي قطاع بلاد الغرب بثغر بيروت الذي كان بيد ابيه كرامة قبل ان تملكه الفرنج ، وكان صاحب جبيل مستيسراً فتسلّما منه واطلق سراحه، فأجيب الى ذلك . فارسل السلطان تسلّم جبيل واطلق صاحبها

---

١) اما في التاريخ المطبوع ص ٨٨ فقد جاء ما حرفيته بهذا الصدد : « واخذ منهم السلطان صلاح الدين خشبة الصليب ، وقتله بيده ارناط صاحب الكرك ، لأنه هو غدر بأخذ القفل ، وهذا الذي كسر عسكر السلطان يوم الرملة. » نقلاً عن تاريخ هرقل الملك مج ٢ً ص ٦٨ ، والكامل مج ١١ً ، ص ٢١٩ – وهنا تنتهي الورقة ٤٥ من مخطوطة الدويهي .

الذي كان من اعظم رجال الفرنج واشدهم عداوة ، واعطاه مكاتيب ان الذي ينعم عليه السلطان بالامان (يجب ان) يمضوا الى صور. فمضى المركيس. واما المسلمون (فانهم) تسلّموا حصن الجيوش وحصن لبنان والمنيطرة وعدلون ، ونازل كل بلد فرقة من الجيش وفتحوا الرملة والداروم وغزّة وبيت لحم وبيت جبريل وليطرون، وتسلّموا اغلب الحصون الذين ببلاد صيدا[1]. ثم مضى السلطان حاصر عسقلان ، وبعد حصار اربعة عشر يوم امر جويدون ملك الفرنج انهم يسلّموه عسقلان ويفك يسره (اي اسره وسجنه). فاطلق سبيله صلاح الدين وتسلّم عسقلان بالامان في عشرين جمادي الاخره. فمضى جويدون الى صور واتفق مع المركيس ومع الفرنج سكان البلاد ومع الغرب الى محاصرة عكا ، فملكوها وصار للفرنج مشقة عظيمة من الجوع وجفاء الشوب حتى ان ماتت الملكة زوجة جويدون واولادها الاربعة .

٦٨ ـ صلاح الدين يفتح بيت المقدس ويحاصر صور : سنة ثلاثة وثمانون وخمسمائة (هجرية اي سنة ١١٨٧ مسيحية) قصد السلطان بيت المقدس، وكان فيه ستين الف مقاتل من الفرنج ، ويوم الاحد منتصف رجب نزل عليه اولاً من الجانب الغربي . وبعد قتالات شديدة انتقل الى الشمالي من باب العامود ، ومن هذا الجانب اخذته الفرنج ، ونصب عليه المناجنيق والة القتال . فطلب الفرنج الامان فلم يجيبهم ودايق (اي ضايق) السور بالنقابين ، وقاتل الفرنج قتالاً شديداً ، فعاودوه بالامان وعرّفوه ما هم عليه من

---

١) ان المقطع التالي نصه مكتوب على الهامش في مخطوطة علامتنا الدويهي ، بدلاً عن خمسة اسطر في المتن مشطوب عليها بالحبر الاسود ذاته ، علامة التصحيح الذي يستعمله المؤلف مراراً وتكراراً ، كما سبق القول ، (طالع عن هذه الاخبار البيروتية تاريخ صالح بن يحيى ، ص ٧٣ وما بعدها) .

الكثرة ، وانهم ان آيسوا منـه قاتلوا خلاف ذلك . فأجابهم الى ذلك بشرط ان يخرجوا بانفسهم واموالهم واولادهم سوى الخيل الحربية والسلاح ، وان يؤدي كل رجل منهم عشرة دنانير ، وعن الامراة خمسة دنانير ، وعن الصبي والبنت اربعة دنانير ، وعن الطفل دينار واحد . ومن عجز منهم عن ذلك بعد اربعين يوم ضرب عليه الرق(١) ، ومن اراد من النصارى الاقامة فليقم وتؤخذ منه الجزية . فأجابت الفرنج الى ذلك واقرّ بايديهم النصارى القهامة (اي القيام) وعيّنوا اماكن يزورونها ، وتسلم السلطان بيت المقدس يوم الجمعة سابع وعشرين رجب ليلة المعراج . فكانت مدة استيلاء الفرنج لى بيت المقدس اثنين وثمانين سنة ، منذ سنة احد وتسعين واربعماية ، وراد المسلمون نهب دار البطرك الكبير ، فمنعهم السلطان وقال : الوفاء افيد . وكان في القدس ملك الرملة ، فأدّى عن نفسه ثمانية عشر الف درهم . وصعد المسلمون على رأس قبة الصخرة ، فرموا الصليب الذهبي . فضجّ المسلمون ضجةً لم يسمع بمثلها ، ودخل السلطان الصخرة وغسلها بالماء ، ومسحها بلحيته وهو يبكي ، ومحا الصور وكسّر الصلبان واخذ دار الزاوية وعمّرها والمسجد الاقصى ، وفرّق الاموال التي اخذها من الفرنج ، فكانت سبعماية الف دينار على العلماء والفقهاء والصوفية ، وكان قد حضر معه هذا الفتح زهاء عن عشرة الاف مقاتل ، ومحيت التصاوير من الحرم ، وعلقوا القناديل ، وعطا السلطان الخطابة لابن زكي قاضي القضاة بدمشق ، لانه كان قال له عندما فتح حلب :

وفتحه حلباً بالسيف في صفر ، مبشراً بفتوح القدس في رجب .

١) انتهت هنا الصفحة ٤٦ ، وجدير بالملاحظة والتنبيه هاهنا ان الصفحات التي مرّت وما يلتبها يصعب جداً قراءتها ، بل يستحيل ، لان الحبر طمس اكثرها ، وقد استعنت بالمخطوطات والمطبوعات للوقوف على حقيقة الكلام كما لا يخفى .

وبعدما رتّب السلطان امور القدس ، قاتل صور ونصب عليها المناجيق في تاسع شهر رمضان ، وبعد ما حاصرها نحو اربعة اشهر وضايقها... وقد طال الحصار عليها ، فرحل عنها في آخر شوال ، وهو اول كانون الاول ، واقام بعكا شهرين الى ان انفصل الشتاء .

١٩ — **فتوحات صلاح الدين في الساحل وعلى الجبال** : سنة اربعة وثمانين وخمسمائة هجرية (الموافقة لسنة ١١٨٨ مسيحية) ارسل السلطان صلاح الدين الى هونين ، ففتحها ، والى كوكب من يحاصرها ، وهو صعد الى دمشق الشام ، ومنها نزل الى بحيرة قدس غربي حمص فاجتمعت اليه العساكر فمضى الى انطرسوس والى مرقية والى تحت المرقب ، وهمّ للاسبتار والى جبلة ، فوجد ان الفرنج كانوا اخلوهم . ثم مضى الى حصار اللاذقية وكان بها قلعتين . فبعد الحصار اخذها بالامان . وتسلّم صهيون على امان بيت المقدس في ما يؤدونه . ثم فرّق عساكره في تلك الجبال فملكوا حصن بلاطنوس الذي كان للفرنج فاخلوه ، وملكوا حصن العيد ، وحصن الجواهرين ، وفي ثالث جمادى الثاني سار السلطان الى قلعة بكّاس فاخلوها اهلها وتحصّنوا بقلعة الشجر فحاصرها واخذها بالامان (صفحة ٤٦ انتهت) .

ثم ارسل ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، فملك صرمّانية واخرب الحصن ؛ ثم زحف السلطان الى بلاد برزيّة فملكها بالسيف ؛ وقتل ونهب وسبى . ثم سار السلطان الى جسر الحديد الذي على العاصي بالقرب من انطاكية ، فتسلّم دير بسّال في ثامن رجب . وحاصر بغراس وتسلّمها بالامان . وعزم على قصد انطاكية فطلب صاحبها بيمند الهدنة والصلح وبذل اطلاق كل اسير عنده ، فأجابه السلطان وهادنه ، وثبت الصلح ثمانية اشهر . وكان بيمند صاحب

انطاكية اعظم ملوك الفرنج في هذا الجانب . وبعد موت القومس صاحب طرابلس ارسل ابنه يتولى على طرابلس .

ثم ان السلطان دخل الى حلب ومنها ردّ الى دمشق ، وكان أخوه العادل الملك تسلّم الكرك لشدة القحط ، ثم تسلّم الشوبك وما بتلك الجهات من البلاد بالامان . وسار السلطان من دمشق الى صفد وحاصرها ووصل اليه أخوه العادل فاخذها بالامان لفرط الغلاء . ثم سار على كَوكَبَ وكان قيماز النجمي يحاصرها فتسلّمها بالامان في منتصف ذي القعدة ؛ ومضى يعمل عيد الاضحى في بيت المقدس . ثم سار الى عسقلان فرتّب مصالحها . ثم بعث اخاه العادل الى مصر وتوجّه (هو) الى عكا فجدّد عليها الحصار حتى انسلخت هذه السنة .

وفيها (اي السنة المذكورة) توفي مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكناني ، بطل اكبر امراء صلاح الدين ، وهو الذي بنا حصن عجلون .

٢٠ – الفرنج في عكا يقاتلون المسلمين وينتصرون ثم ينكسرون في عسقلان ويافا : سنة خمسة وثمانين وخمساية هجرية (الموافقة لسنة الف ومايه وتسع وثمانين مسيحية) سار السلطان ونزل في مرج عيون ، فحضر اليه صاحب شقيف ارنون ، وكان بيد ارناط صاحب صيدا ، وسأله مدة ثلاثة اشهر لينقل اهله وذخائره . فاجابه السلطان واكرمه وخلع عليه لاجل طاعته . ثم بلغه انه يرمم الحصن ، فاعتقله وسيره الى دمشق .

وفيها (اي في تلك السنة ايضاً) اجتمع الفرنج وتقوّوا في بلاد عكا . فالتقاهم صلاح الدين فكسروه وقتل من المسلمين خلائق

كثيرة ، وحدث على السلطان قولنج ، فرحل عن عكا في رابع عشر من رمضان الى الخرّوبة وانهزمت ارفاقه . فتمكن الفرنج وتشدّدوا في تلك الارض واقاموا ثلاثة ابراج من الخشب قرب صور عكا ، وحصل بين الفريقين من الحروب على عكا مـا لا يوصف... فدام الحصار عليها عشرين شهراً والفرنج يقاتلون ، وقد وصل الخبر ان السلطان فاداريكو جمـع ماية وخمسين الف مقاتل وكلهم ابطال ، فسيّر بعضهم في البر وبعضهم في البحر ، فظفروا بالروم وبالترك بوقعات مختلفة ، في جهـات القسطنطينية وهم آتون الى استفكاك القدس بعددهم وعديدهم وجيشهم وجيوشهم[١] ودخـل البحر منهم ماية الف مقاتل .

فلما بلغ خبر ذلك المسلمين آيسوا من الشام بالكلية ، وارسل صلاح الدين يستمدّ في الخليفة ويستنصربه . فصار ان وقع الغلاء والوباء في عسكر الالمان فاهلك اكثرهم في الطريق . ولما وصل ملكهم بلاد الارمن ، نزل يغتسل في النهر فغرق . فاقاموا ابنه مقامه . فرجع من عسكره طائفة الى بلادهم ، ولم يصل الى عكا الا القليل . فصارت حروب كثيرة بينهم وتقتل خلقاً (خلق) كثير . وآخر الامر ان النصارى استقرّوا في عكا في رجب سنة نفو (اي سنة خمسمائة وست وثمانين هجرية) .

ثم رحلت الفرنج في اول شعبان الى قصد عسقلان . فالتقاهم السلطان (صلاح الدين) بنهر القصب ، فانكسرت الفرنج ، ووصل السلطان الى عسقلان فأخذها وهدمها في رمضان ، وهـدم حصن

١) في هذا المقطع السالف الذكر صعب علينا قراءة بعض كلماته لطمسها بالحبر الاسود ، وهنا تنتهي الصفحة السابعة والاربعون الاولى وتتبعها الثانية حيث تقرأ في وسطها حاشية كبيرة سنأتي على ذكرها في موضعها ليطلع عليها القاري ، الباحث الخبير .

الرملة وكنيسة اللد . وسار الفرنج الى عسقلان وشرعوا في حصارها[1]

وسار الفرنج من القيسارية الى ارسون ، فكانت وقعة ارسون ، وكانت الكسيرة على الفرنج . ثم سار الفرنج الى يافا وكان قد اخلاها المسلمون ، فملكوها (الفرنج) . ثم تراسلوا الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت الملك الانكتار ويكون القدس للملك العادل ، ولامراته عكا . فحضر القسيسون وانكروا ذلك عليهما الا ان يتنصر الملك العادل اخو السلطان . فلم يتفق بينهم حال . وفي الثالث (من) ذي القعدة ، رحل الفرنج من يافا الى الرملة . والسلطان سار الى القدس ، لان كان اقبل الشتاء ، وبادر في تعميرها . وكان السلطان بنفسه ينقل الحجارة على فرسه ، والعساكر اقتدت بـه (وهنا انتهت الحاشية على الهامش) .

٢١ – وفاة ابو سعد عبدالموصلي ، وايضاً تقي الدين صاحب حماة ؛ وابو محمد عبدالله ، وفتيان الشاغوري : وفيها (اي في هذه السنة المذكورة) توفي ابو سعد عبدالله ابن عصرون الموصلي ، وله مصنفات كثيرة في مذهب الاسلام ومعرفة الشريعة ، وبنا له نور الدين صاحب الشام المدارس بحلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، وتولا القضاوة بسنجار ونصيبين وحرّان ودمشق . وفيها توفي ودفن سنة نفه (اي عام ٥٨٥ هج اي ١١٨٩ م) .

وفيها توفي فتيان بن علي بن فتيان الشاغوري ، فضيل في الشعر

١) وهنا نقرأ على الهامش المقطعين التالتين عن زحف الفرنج الى ارسون ثم الى يافا ثم تركهم اياها وعقدهم الصلح مع السلطان صلاح الدين وابنه الملك العادل كما سنرى .

وخدمة الملوك ، اقام مدة في الزبداني ، وتوفي في الشاغور ، وهي عمارة بظاهر دمشق[1].

وسنة سبعة وثمانون وخمسمائة توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاه نشاه الايوبي صاحب حماة ، وكانت له اخت تسمّى عذراء بنت المدرسة العذراوية داخل دمشق .

وفيها توفي ابو محمد عبدالله البرّي المقدسي ، (وهو) مشهور في علم النحو واللغة والراوية والدراية . وله على كتاب الصحاح الجوهري حواكي فايقة .

٧٢ – في مقتل المركيس صاحب صور ، وعقد الهدنة مع الفرنج : سنة ثمانية وثمانون وخمسمائة للهجرة[2] قتل المركيس صاحب صور ، وكان ذلك ان دخل اليه... ناس من الباطنية وقتلوه ، وصار ملكاً بعده ملك الانكتار ، للفرنج ، وطلع عليه البيكار ، فكاتب السلطان في الصلح واستقرّ امر الهدنة والصلح الى ثلاث سنين وثلاثة شهور (اولها رأس ايلول الموافق لاحد وعشرين شعبان). وكان الصلح عموماً في البر والبحر ، جعلوا اولها راس ايلول الموافق لاحد وعشرين شعبان . وكانت الهدنة ان تستقرّ بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسون وحيفا وعكا واعمالهم كلها ، وان تكون عسكلان خراباً . واشرط السلطان دخول بلاد الاسمعيلية (أن) يكون بشروط هدنة . وصاحب انطاكية وطرابلس (استقروا) بعقد هدنة

---

١) راجع ابن الحريري ، ص ٩٩ – ١٠١ ، والكتاب المطبوع للاب توتل ص ٩٢ وما بعدها .

٢) وهي توافق سنة ١١٩٢ مسيحية وقد حدثت فيها الاخبار التالية التي وضعها علامتنا في المتن ، آخذاً اياها عن المجلد الثاني من تاريخ هرقل ص ١٩٢ – ١٩٨ ، ومن تاريخ الكامل ج ١٣ ، ص ٣٣ و ٣٦ و ٣٧ ، نقلاً عن تاريخ الازمنة المطبوع .

السلطان والفرنج ، وان تكون (مدينتي) اللد والرملة مناصفة بينهم (وهذا تنتهي الورقة المزدوجة ٤٧ من المخطوطة التي نحن بصددها) ، واستقرت القاعدة على ذلك . ثم ان السلطان ارسل ماية حجّار لتخرّب عسقلان وتخرج الفرنج منها ، وحينئذ عاود السلطان الى دمشق .

٢٣ – **وفاة صلاح الدين ومقدم الاسمعيلية** : سنة تسعة وثمانين وخمسماية (هجرية الموافقة لسنة ١١٩٣ م) توفي السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي . وذلك صار فانه خرج الى شرقي دمشق متصيّداً ، فغاب خمسة عشر يوم وبصحبته اخوه الملك العادل ، ثم انه رجع فلحقته حمّى صفراوية ورعشة ، فتوفي في ليلة الاربعاء في كز (اي ٢٧) من صفر ، وغشي اهل دمشق يوم موته من البكاء والعويل والضجيج ما لا يمكن وصفه . وكان ملكه في الديار المصرية نحو اربعة وعشرين سنة ، وافتتح بسيفه وباخوته من اليمن الى الموصل الى طرابلس الغرب ، الى اصوان ، وانفق الاموال في الغزاة ، ولم يخلف داراً ولا عقاراً الا سبعة واربعين درهماً ، على فرط كرمه . وقال عنه العماد الكاتب ان مات بموت السلطان الرجال ، وفات بفواته الافضال ، وغاضت الايادي وفاضت الاعادي ، وانقطعت الارزاق ، وادهمت الآفاق ، وفجع الزمان بواحده ووحيد اركانه ، وخلف سبعة عشر ولداً : منهم ولده الكبير الملك الفاضل نور الدين الملك المظفر بدمشق وبلادها ، وفي البلاد المصرية ابنه الثاني الملك العزيز عثمان وهو الثاني من الملوك الايوبية في الديار المصرية . وتقرّر بحلب الملك الظاهر غازي وهو الاصغر بين اخوته . وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية اخوه الملك العادل سيف الدين ابو بكر . وفي حماة وسليمة والمعرة ومنبج ابن اخوه صلاح الدين الملك ناصر الدين محمد . وفي بعلبك الملك مجد الدين بهرام شاه الايوبي .

وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه (بن محمد) ، وبيد الملك خضر ابن السلطان صلاح الدين خضر ، وباقية الحصون مفرّقة بيد الامراء .

وفيها قال ابن الحريري[1] : ملك سنان بن سلمان البصري مقدم الاسمعيلية وصاحب الدعوة ، وكان داهية مكاراً خبثاً زنديقاً ، له مشاركة قوية في العلوم ، قدم الشام وطلع الى الحصون ، ولاّه اياها صاحب الالمّوت بغتةً والياً فاظهر الزهد والتأله ، وكان يعلم علم السيمياء ويريهم من يقتل منهم حياً في نعيم وجنة ، فاستغوى خلائق من الجبلية واباح الزناة والمحرمات ، حكم عليهم مدة طويلة .

٢٤ ـ الملك عثمان يفتتح دمشق : سنة احدى وتسعين وخمسماية (هجرية الموافقة لسنة ١١٩٤ مسيحية) سار العزيز عثمان بن صلاح الدين ومعه عمه العادل من مصر ، فنازل دمشق وحاصر اخوه (اخاه) الملك الافضل . فخامر (معهم) عسكر دمشق وفتحوها ودخل العزيز وعمه معه ، واستناب على دمشق عمه العادل ، رعوّض الافضل عن دمشق صرخد ، وتوجّه العزيز الى مصر ، فأخرج العادل اولاد اخيه صلاح الدين من دمشق (انتهت ص ٤٨) .

٢٥ ـ العادل في يافا ، والفرنج في بيروت : سنة ثلاثة وتسعين وخمسماية (هجرية الموافقة لسنة ١١٩٥ م) ، اخذ الملك العادل يافا بالسيف من الفرنج وهدمها . فنزلت الفرنج على بيروت وحاصرتها ، وكان نائبه عز الدين اسامة الكناني فترك بيروت وهرب الى صيدا ، فملكوها الفرنج بغير قتال[2] .

---

١) في الموضع المذكور ، ص ١٠٢ وما بعدها .

٢) طالع صالح بن يحيى مؤرخ بيروت ، ص ٣٨ ، عن سنة ٥٩٣ هج .

٢٦ – الفرنج في تبنين ثم الهدنة ، وفـاة العزيز ، قتـال على دمشق بين الامراء ، بعد وفاة زنكي مودود : سنـة اربعة وتسعين وخمسماية (الموافقة لسنة ١١٩٦م) هاجت الفرنج وحاصروا تبنين وانتشروا في السواحل . ثم وقعت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة خمس سنين ونصف .

وفيهـا توفي الملك العزيز عثمان ، وله ست سنين الاّ شهر بالديار المصرية ، واقاموا بعده ولده محمـد وتلقّب بالملك المنصور ، وهـو الثالث من ملوك بني ايوب بالديار المصرية . ولان الملك المنصور كان صغيراً سار عمه الفاضل نور الدين الى مصر واظهر انـه يريد يربّي ابن اخيه . فاستولى على المملكة وصار الرابع من ملوك بني ايوب بالديار المصرية ، وتلقّب الملك الافضل ولم يبقَ لابن اخيـه معه الا مجرّد الاسم .

ثم ان الافضل ملك مصر أخذ الجيوش وقصد المسير الى أخذ دمشق . فورد الخبر الى صاحبها الملك العادل وهو محاصر ماردين، فترك ولده الكامل (يحاصر القلعة بماردين) وسار الى دمشق فدخلها قبل وصول العساكر المصرية بيومين ، في احد عشر خلت من شعبان. فجرت بينهم قتالات شديدة، وبالغ الافضل بالاذى واحرق الحواضر، وفعل كل قبيح . ثم دخل دمشق حتى وصل اصحابه الى باب البريد، فحمل عليهم اصحاب الملك العادل واخرجوهم .

ثم ان ضعف الافضل ، فثبت هو واخوه الظاهر غازي (صاحب حلب) بعساكرهم يحاصروا على دمشق ، وحفروا عليهم خنـدق من ارض اللوان الى خَلَدَا وعظم الغلاء بدمشق ، ونفدت خزائن العادل على جنده ودخـل الشتاء وهم في اشد حصار . ثم ان وقع الخلف

بين الأخين الافضل صاحب مصر والظاهر صاحب حلب ، فتأخروا عن دمشق وأقاموا بمرج الصفراء .

٢٧ ـ الملك العادل يقتحم مصر ويستولي عليها ويملّك اولاده على البلاد العربية : سنة ستة وتسعين وخمسماية (هجرية الموافقة لسنة ١١٩٨ م) رحل الملك الظاهر الى حلب ، والملك الافضل الى مصر[١]. فارسل الملك العادل وتبعه (الى مصر) ولحقه عند الغرابي. فهرب منه الافضل ، لان في وصوله الى البلاد تفرقت عساكره في البلاد لاجل الربيع . فدخل الملك العادل الى القاهرة وملكها . وعوّض عنها لعمه الافضل ميافرقين وغاني وشميشاط . وكان دخول الملك العادل الى القاهرة في ثامن عشر خلا من ربيع الثاني ، وصار الخامس بين ملوك بني ايوب بالديار المصرية ، وخطب له في بلاد مصر والشام .

فاستناب ابنه الملك المعظّم عيسى على دمشق ، وابنه الملك الاشرف موسى على الرها وحرّان ، وفي مصر ابنه الملك الكامل محمد[٢]. وكاتب ابن اخيه الملك الظاهر صاحب حلب وصالحه وخطب له بحلب وبلادها ، وضرب السكة باسمه . وعطى (اي أعطى) الملك العادل الشرق لابنه الملك الفائز ابراهيم ، ولابنه الملك الاوحد نجم الدين ميافرقين .

وفي ايام العادل ، يقول ابن الحريري (ص ١٠٧) : « ان اشتدّ

١) وحين وصوله فرّق العساكر في البلاد لاجل الربيع ، دون اخذ الحيطة من الغزو فجأة . (راجع الكامل ١٢ ص ٦٥ ، سنة ٥٩٦ هج.) .

٢) هنا انتهت الورقة ٨ ؛ ، وجدير بالذكر ان الكلام الذي ورد هنا والكلام الذي سطّره المؤلف في التاريخ المعروف بالازمنة المطبوع لا يختلفان الا في التنظيم والترتيب ، وقد قابلناها بكل تدقيق وخلصنا الى هذه النتيجة المذكورة .

الغلاء بمصر والشام ، ونقص النيل واقبل القيظ والوباء المؤلم،وخربت ديار مصر واكلوا اهلها لحوم الادميين، وهلك خلق عظيم من الاغنياء والفقراء . ثم وقع بعـد ذلك فناء عظيم ووباء كثير ، حتى ان الملك العادل بمدة يسيرة في هـذه السنة كفّن من ماله نحو مايتين وعشرين الف مايت .

وفيها الكلاب اكلت الاموات لعدم من يدفنها . واكل من الاطفال خلقاً كثير ، يشوي الصغير والداه ويأكلانه . وكثر ذلك في الناس حتي لا ينكر بينهم ، ثم صاروا يحتالوا على بعضهم بعض ويستدعون الاطباء الى المريض فيقووا عليهم ويأكلونهم ، واشياء كثيرة تبعد عن العقل اخبارها . وعظم الغلاء في دمشق ، ونفدت خزائن الملك العادل ، واكثر قرى مصر لم يبق بها آدمي من(كثرة) الموت . وكان في اليوم يخرج من القاهرة نحو الف وخمسماية جنازة. ودخل تحت قلم الحشريّة بهـا في هذا الفناء ماية الف واحد عشر الف مايت الا شيئاً يسيراً . واما الذين ماتوا في ظاهر القاهرة فلا عدداً لهم ، وكان في بلد من بلدان مصر اربعماية نول للحياكة فـلم يبق بها احداً .

ثم كانت بالشام زلزلة عظيمة حتى ظنّوا الناس ان القيامة قامت ودامت مقدار ساعة ، ومات اهل صفد ولم يسلم منهم الا رجـل واحـــد . وفي نابلس لم يبقا حائطاً الا سقـط ومات تحت الردم خلقاً كثير .

وتوفي في الغـــلا المذكور ابو علي المنصور عبـد الرحيم القاضي العسقلاني... وزير الملك صلاح الدين . وقد ترّبي في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين . وقيل ان مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن

مائة مجلدة . وله في النظم والذكاة والفراسة اشياء حسنة حتى ان لقّبوه رب القلم والبيان والكسر واللسان[1].

٢٨ – الملك الظاهر يتعاون مع اخيه الافضل لغزو منبج والمعرة وكفرطاب ودمشق ، حدوث زلازل في عام ١١٩٧م : وفي سنة سبعة وتسعين وخمسمائة ، الملك الظافر صاحب حلب حاصر منبج واخذها ولبلادها . ثم سار على المعرّة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب ، وحاصر حماة مدةً ولم يوصل الى غرضه . ثم رحل الى دمشق قاصداً اخذها ، وانضمّ اليـه اخوه الافضل وصاحب نابلس وبعض أمراء من الصلاحية ، فحاصروها حتى فرغت السنة . ثم وقع الخلف بين الاخوين الفاضل والظاهر وارتحلا عنها .

وفي هـــذه السنة كانت الزلزلة العظيمة في الشام والسواحل ، فهدمت مدناً كثيرة حسبما ذكرنا اعلاه .

٢٩ – مصالحة الملكين ، وزوال الوباء ورخص الاسعار : سنة ثمانية وتسعين وخمساية (التي توافق ١٢٠١ م) سار الملك العادل الى دمشق ، ومنها الى حماة قاصد (وهو يقصد) الظاهر صاحب حلب . فلما علم بذلك الظاهر كتب له جملة مراسلات حتى وقع (مجدداً) الصلـــح ، وانتظمت الى العادل المالك الشامية والشرقيـة والديار المصرية كلها[2].

---

١) وقد ذكره ابن العبري في ص ٣٥٦ فقال عنه انه كان في مصر قيماً بعلم الهندسة، وكان فاضلاً فيه وفي الادب وله شعر يلوح عليه الهندسة وذكر بعض الاشعار للوقوف عليها ، فلتراجع هناك .

٢) وزاد العلامة الدويهي في التاريخ المطبوع على ذلك بما يلي : « وكان للملك الظاهر منبج والمعرة وحماة وكفرطاب ، وللملك الافضل سميساط وقلعة نجم وسروج وراس عين وحلين . »

وفيها (اي السنة المذكورة) كمل النيل ، وتناقص الغلا ، وخف الغــلا (والاصح : الوباء) والموت بمصر ، وذهب اكثر الناس من الموت ، فلهذا رخست (رخصت) الاسعار .

٣٠ ـ هزيمة الفرنج : سنة تسعة وتسعين وخمسماية اجتمع الفرنج من حصــن الكراد وطرابلس والمرقب ، ومن السواحل ، وتوافقـوا مرتين مـــع الملك المنصور صاحب حماة ، وانهزموا هزيمة قبيحة . [وزاد ابن الحريري ص ١١٢ على ذلك بانه بعد ذلك تمّت الهدنة بين الفرنج والملك المنصور] .

الفصل الثامن

في حوادث الجيل التاسع[1]

٦ ـ الحرب بين الفرنج والملك العادل في القدس : سنة ستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٠٣ م) اجتمع الفرنج لقصد (قاصدين) بيت المقدس ، فخرج السلطان العادل من دمشق وجمع العساكر على الطور في قبالة الفرنج ، ودام القتال الى آخر السنة (بينهما) .

(على الهامش :) واما الفرنج فاغاروا على النواحي واغاروا على حمص وحماة واسروا وسبوا فيها ، وطمعت الفرنج في البلاد . ثم جزاهم الملك العادل فيما بعد وصالحهم . ثم انه بعد مدة نازل عكا وحاصرها ، فصالحه صاحبها ، وبذل له مالاً واطلق الاسرى . ثم اغار على عمال طرابلس ثم نازل بجيوشه سنجار وضربها بالمناجنيق فاخذها . وارسل الملك المعظم عيسى ومعه عساكر دمشق الى قتال الفرنج ونزل على الطور وبنا (وبنى) هناك قلعةً منيعة ، غرّم عليها اموالاً لا تحصى ، وكملت في سنة ونصف ، وكان ذلك في سنة سبع وستماية (للهجرة) .

---

١) هذا العنوان هو للمؤلف ، ومكتوب بحرف كبير في وسط الصفحة ، وعلى الهامش عشرة اسطر عن الفرنج وهجومهم على النواحي وحمص وحماه. الصحيح : السادس .

٢ – **الحرب سجال بين الفرنج والروم والعرب المسلمين ، وبعدها الهدنة** : وفيها (اي سنة ستمائة واحدى للهجرة) استولت الفرنج على القسطنطينية وكانت بيد ملك الروم ، ولم تزل بيد ملك الفرنج الى سنة ستماية . ثم قصدها الروم واستعادوها من الفرنج[١].

وفي هذه السنة خرج اسطول الفرنج واستولوا على مدينة شوّه من الديار المصرية .

وفي هذه السنة (ايضاً) كانت زلزلة عظيمة عمّت بلاد الشام وبلاد الروم والجزيرة وصقلية وقبرس والعراق وغيرها ، وخرّبت اسوار مدينة صور .

وسنة احد وستماية (اي ١٢٠٥ – ١٢٠٦ م) كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج ، وسلمهم يافا ونزل عن مناصفات اللد والرملة ، وعاد الى مصر . واما الفرنج فغاروا على حماة ونهبوا واسروا وقتلوا كثيراً .

٣ – **غارات الملك العادل على عكا وبرج الاكراد وطرابلس ، وعمار قلعة دمشق** : وفي سنة ثلاثة وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٠٦م) جمع الملك العادل العساكر ونازل برج الكراد ، وفتح برج اعناز ، ثم نازل طرابلوس ونصب عليها المناجنيق وجاز العسكر في بلادها وقطع قناتها . ثم رجع الى بحيرة قدس في ظاهر حمص .

وفي سنة اربعة وستماية اهتمّ الملك العادل بعمارة قلعة دمشق

---

١) في تاريخ الدويهي المطبوع ١٩٥٠ ، ص ١٠٠ نجد شرحاً مفصلاً لانتصار الفرنج على الروم ، ومطابقاً لما كتبه ابن العبري في تاريخه ص ٣٩٦ ، ذاكراً اسماء الفرق او الطوائف الثلاث الذين كانوا يؤلفون الحملة الصليبية ضد الروم (راجع حاشية رقم ٢٥ في آخر هذا الكتاب عن هذا الموضوع) .

وتكاملت سنة ثلاثة عشر وستماية على يد الملك المعظم عيسى، وعملت العوام في خندقها مدةً ، وهي من القلاع العظيمة واسمها « الاسد الرابض » .

٤ً ـ الهدنة بين الفرنج والملك العادل ، والخليفه يخلع على العادل:
وفي سنة اربعة وستماية (الموافقة لسنة الف ومايتين وثمان مسيحية) كانت الهدنة بين الفرنج والملك العادل ، وقد ارسل الخليفة ناصر الدين العباس الخلع على الملك العادل ، وخطب فيه بشاهنشاه ملك الملوك.

٥ً ـ قناة حيلان الى حلب ، وفاة البطرك ارميا العمشيتي بعد حضوره المجمع اللاتراني بروما : وفي سنة ثمانية وستماية (الموافقة لسنة ١٢٠٩ م) أمر الملك الظاهر باجرى القناة من حيلان الى حلب ، وغرّم على ذلك اموال كثيرة .

(على الهامش) : سنة الـف ومايتين وتسعة مسيحية الموافقة لستماية وستة هجرية تقلد كرسي انطاكية البطرك ارميا من عمشيت ، وكان ساكن في دير سيدة يانوح ، ودخل الى رومية ليحضر المجمع الذي انعقد في لاتران في مدينة رومية .

وفي سنة اربه (اي ١٢١٥ م) البابا زخيا الثالث عقد مجمع في لاتران بسبب استفقاد ارض الميعاد واصطلاح بعض امور تخصّ البيعة . وحضر في ذلك المجمع البطرك ارميا من عمشيت ويقال انه ثبت في رومية من بدو المجمع ثلاث شهور ، وكتب له البابا مكتوب تحرير ثاني يوم من كانون الثاني من تلك السنة . وفي الثالث يوم تودّع من قدس البابا وسافر (الى لبنان) . ومن خصوص دخوله الى رومية ، الاسقف داود ابن جوسلين يقول انه كان في سنة اربع

(اي ١٢١٣ م) . ولكن ابن قلاعي يقول انه ثبت برومية خمس سنين وستة اشهر .

ومن زمان البطرك ارميا صاروا جماعتنا يقدّسوا الميرون بزيت الزيتون ودهن البلسم لا غير كما اوصاهم الكردينال بطرس(داملفي) سفير البابا . ب : تحـلّلات الزيجة على ستة وجوه وعلى خمسة كما سنّها المجمع المذكور في الفصل نن (مئة) بعدما كانت الى سبعـــة وثمانية . ج : صارت تنذكر اسماء باباوات رومية في قداديسنا .

واما بخصوص التثبيت ولبس الدرع ما صار برومية . كتب له البابا ان بطرك انطاكية الفرنجي يعطيه اياه من غير مانع . وامـا ابن القلاعي في رسالته للبطرك شمعون الحدثي يقول انه بعث معه قاصد حتى وقف على يمين (اي القسم) جماعته وان عندما وعد من اعلان (؟) الطاعة حلفوا انهم يكونوا متحدين مع كنيسة رومية اسلمه الخاتم والدرع . وربما ذلك صار على هذا الوجه : ان البطرك بعث طلب التثبيت على يد الكردينال بطرس (داملفي المذكور) وان قبل ما يصل ، دخل البطرك الى رومية ، فوصل بعدما كانوا رسلوه ، ولذلك ما امكن انه يلبسه في روميه . فلما عاود القاصد المذكور اخذه ولبّسه للبطرك قدام شعبه (انتهى كلام الهامش) .

٦ً ـ معركة عين جالوب وجزين وعكا ، والفرنج في دمياط: سنة الف ومايتين وستة عشر (مسيحية) يقول ابن الحريري ان اقبلـت الفرنج بفارسهم وراجلهم من البحـــار وخرجوا الى عـين خالوت[1] ليأخذوا القدس ، فخاف الملك العادل ، وعجز وتأخر ،

---

١) ان خالوت هـذه وردت في تاريخ ابن الحريري ص ١١٣ وما بعدها « جالوت » (بالجيم) ، ولا نعلم كيف حصل ذلك مع ان العلامة الدويهي اخذ هذا المقطع بكامله عن ابن الحريري كما يبدو ظاهراً من المقارنة .

وتهيأ اهـل دمشق للحصار وتحصنوا واختبط الناس ، وبعث الملك العادل يستحث عساكر البلد ، وتأخر الى مرج الصفر وضجّ الخلق الى الله ، ثم تأخر الفرنج الى ناحية عكا بعد ان حاصروا الطور اياماً . ثم امر العادل بتخريب الطور . وسارت خمسماية من الفرنج ليأخذوا جزين ومـا حولها من القرى ، ونزلوا الى مرج العواميد وهو وادي تحت جزين فاخلاها اهلها .

ثم تجمعت المسلمون من تلك البلد فكبسوا الفرنج وقتلوا اكثرهم واسروا مقدمهم وفرّقوهم وأبادوهم عن آخرهم . فلما بلـغ (ذلك) صاحب عكا غضب وشنّ الغارات على جزين وما حولها . فسار اليهم الملك المعظم عيسى بعساكر دمشق فتأخرت الفرنج الى عـكا . ثم ساروا في البحر الى مصر لخلوها من العساكر ونزلت الفرنج على دمياط ، فجهّز العادل العساكر الى ابنه الكامل ليكشف عنها فأقبل ونزل (هنا انتهت صفحة ٥٠ قفا) تجـاه دمياط ، ودام الحصار والقتال اربعة أشهر واخذت الفرنج دمياط . واول ما اخذوا برج السلسلة من دمياط وهو برج شاهق في وسط النيل ، ودمياط من شرقيه ، والجيزة بحذائه من غربيه ، وعلى جانب البرج سلسلتان عظيمتان تمتد هـذه الى سور دمياط ، والاخرى الى سور الجيزه فتمنع المراكب من العبور الى ديار مصر في النيل .

٧ – وفاة الملكين الظاهر والعادل وتقسيم المملكة : الفرنج في دمياط والكامل في المنصورة . ظهور التتر ومهاجمة الفرنج : في سنة خمسة عشر وستماية (الموفقة لسنة ١٢١٨ م) ، توفي الملك الظاهر ابن صلاح الدين يوسف صاحب حلب ، وتوّلى بعده عليهـا ولده العزيز محمد . فلموضع صغره طمع فيه صاحب بلاد الروم كيكاوس واستنجد في الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب شميشاط ، ففتح رعبات وتل

باشر ومنبج وتسلمهم ، ثم اختلف عليه الافضل وعساكر العرب .

وفيها (اي السنة نفسها) كانت وفاة الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد ابن ايوب ابن شادي، وكان ملكاً حليماً صفوحاً مجاهداً ناهياً عن المنكر ، أبطل المظالم والمكوس والسمر بدمشق وجميع البلاد ، وكان يتحصّل من دمشق خاصةً ماية الف دينار فابطل الجميع . وقيل ان وفاته كانت في بعقلين ، وهي بلد بالقرب من صيدا في بلاد الشوف . وحمل في محفة الى دمشق ودفن في تربته المنسوبة اليه . وكانت مدة مملكته بالديار المصرية تسعة عشر سنة. واقاموا بعده ابنه الملك الكامل محمد ، وهو السادس من ملوك بني ايوب بالديار المصرية .

فولّى اخاه الملك المعظم عيسى على دمشق ، والملك الاشرف على خلاط وحران والرها والجزيرة ، والملك المظفر غازي على ميافرقين وغامي وجبل غوري وما والاها ، والملك الحافظ استولى على قلعة جعبر ، والملك الفائز ابراهيم على قوص واعمالها ، والملك الافضل على الفيّوم . وهم (وهولاءِ) اولاد الملك الكامل محمد .

واما الملك الكامل كان بقتالات عظيمة مع الفرنج بدمياط . فأرسل استنجد باخوته . فلما ملك الفرنج برّ دمياط رحل الملك الكامل ونزل قريباً منهم وجرت بينهم وقائع عظيمة . ثم ان الكامل ظفر بهم فقتل وأسر جماعةً كثيرة منهم ، وارسل اليسرى مكبّلين بالحديد الى القاهرة . فاجتمعوا عساكر الفرنج على دمياط واحدقوا بها براً وبحراً ومنعوا الميّرة عنها ، فهلك اكثر اهلها بالجوع والخوف والوباء ولم يسلم من المقاتلة الا القليل منهم ، فملكوها الفرنج بالسيف وقتلوا وامروا جميع اهلها ومن بها في شهر شعبان وجهّزوا

الأسرى الى عـكا (صفحة ٥١) . وكانت مدة الحصار ستة عشر شهراً وثنتين وعشرين يوماً ، وعملوا جامعها كنيسة ، وبعثوا بالمصاحف وروس القتلا الى بلاد الفرنج .

واما الكامل فرحل الى اشموم، وخيّم وبنا الناس الدور والفنادق والحامات والاسواق عند مفرق النيل وتسمّت هذه المنزلة « المنصورة » فحصّنها وسكنها بجيشه ، وكان ذلك سنة ستة عشر وستماية . (وعلى الهامش) : وفي هذه السنة الملك المعظم صاحب دمشق خرّب قلعة الطور وقلعة تبنين وبانياس خوفاً من استيلاء الفرنج عليهم ، وادار الخمر والمكوس بدمشق واعتذر بقلة المال .

وفي هذه السنة كان ظهور التتر ونكثهم في المسلمين ، فسفكوا دماهم وسبوا حريمهم وتملكوا اكثر بلدان المسلمين من حد العراق الى تركستان . وايضاً بلاد غانه وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض بـلاد فارس . وتوفق (اي توافق) الملك المعظم صاحب دمشق مـع جمال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان واران وبعض بـــلاد الكرك وعراق العجم وغـيرهم على اخويه الكامل صاحب دصر والاشرف صاحب الرها وصاحب حلب . فخاف من ذلـــك الملك الكامل وكاتب الامبردرر ملك الفرنج ليقدم الى عكا ويشغل اخاه المعظم عن مـا هو فيه ، ووعد الامبرور أن يعطيه القدس . وعند وصول الامبرور الى عكا توفي المعظم بدمشق ووثب في مملكته بعـــده ولده داود وتسمّى الملك الناصر صلاح الدين ، وقـام بتربيته الامير عز الدين أيبك الذي كان على صرخد واعمالها .

٨ً — هرب اهالى القدس مذعورين ، الغلاء . توجّه الكامل من مصر الى الشام . وفاة المظفر : سنة ستة عشر وستماية ، (يقول ابن

الحريري ص ١١٧) انه كان خراب القدس وذلك ان الملك المعظم بلغه ان طائفة من الفرنج قد عزموا على التوجه الى بيت المقدس ، فكتب الى العزيز عثمان وآيبك الاستدار اللذان كانا بالقدس بان يهدما سور بيت المقدس (لئلا تأخذه الفرنج) فتوقفا وقالا لا ... فكتب اليهما المعظم (قائلاً) : لو اخذوه الفرنج لقتلوا كل من فيه وحكموا على دمشق وبلاد الاسلام . فقاموا على خراب السور ، وكان ذلك في اول محرّم من هذه السنة (= ٦١٦ هج = ١٢١٩ م) .

ووقع في البلد صيحة عظيمة ، وخرجن النساء المخدرات والبنات والشيوخ والعجايز والشباب والصبيان الى الصخرة والاقصى وقطعوا شعورهم ، ومزّقوا ثيابهم ، وخرجوا هاربـين ، وتركوا اموالهم واهاليهم ، وهرب بعضهم الى مصر ، وبعضهم الى الكرك ، وبعضهم الى دمشق ، وجعل النساء يتركن ثيابهن ويربطن على ارجلهن... ومات خلق كثير من الجوع والعطش والحفـاة ، ونهبت اموالهم في القدس ، وبلغ قنطار الزيت الى عشرة دراهم ، ورطل النحاس الى نصف درهم (ص ٥١ وجه) .

وفيها (اي هـــذه السنة) سار الملك الكامل من مصر بشهر رمضان الى الشام ونزل تل العجول بظاهر غزة ، وولى على نابلس والقدس وغيرها من البلاد ابن اخيه الناصر داود ، واستنجد الناصر بعمه الاشرف والملك المجاهد شيركوه ، ومضوا الى غزة لمقاتلة الكامل. واما الاشرف فكان متفقاً في الباطن مـع الكامل على اخذ دمشق من ابن اخيهما لانه كان مشتغل باللهو والطرب عن مصالح الرعية ، ولكن صار ان حدثت وفاة الملك المظفّر .

٩ – ظهور التتر ثانية ، وقدوم ملك صقلية الى عـــكا : وفي

هذه السنة (٦١٦هج = ١٢١٩ م) عاود التتر قاصدين البلاد الذي بيد جمال الدين محمد خوارزم شاه وجرت بينهم حروب كثيرة ، وكان في آخرها الظفر للتتر . واما الانمرطون صاحب جزيرة صقلية عندما قدم الى عكا بجموع كثيرة استولى على صيدا وكان سورها خراب فعمّره الفرنج ، وكان الانمرطون ملك الامراء وصاحب جزيرة صقلية .

٦٠ - الملك المعظم يفتح قيسارية وعتليت ، وفاة الملك المنصور :
سنة سبعة عشر وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٢٠ م) ، فتح الملك المعظم صاحب دمشق قيسارية وهدمها وسار الى عتليت ونازلها ، وتوجّه الى دمياط ليساعد الملك الكامل .

وفيها توفي الملك المنصور وكان محباً للعلماء ، وكان في خدمته قريب من مايتي متعمم من النحاة والفقهاء .

٦١ ـ زحف الفرنج الى مصر وتسليمهم بقبول الهدنة لثمان سنين واطلاق الأسرى : سنة ثمانية عشر وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٢١ م) ، قوى طمع الفرنج المتملكين دمياط واخذوا عنها الى جهة مصر ووصلوا للمنصورة ، واشتدّ القتال براً وبحراً (بين الفرنج والمسلمين) . فاستنجد الملك الكامل باخوته واهل بيته ، فسار اليه صاحب دمشق الملك الناصر داود ، واخوه الملك الاشرف موسى صاحب حلب ، والملك الناصر صاحب حماة ، والملك الامجد صاحب بعلبك ، والملك المجاهد شيركوه مع عساكرهم وتوابعهم .

فلما شاهدوا كثرة العساكر (ذلّت نفوس الفرنج) وقويت نفوس المسلمين وهجموا على الفرنج واشتدّ القتال والتحمت الحروب العظيمة بينهم . فكاتبهم المسلمون للصلح ، وبذلوا لهم تسليم القدس وطبريه

واللاذقية وجبلة وجميع مـا فتحه السلطان صلاح الدين يوسف ابن ايوب الكبير ، مـا عدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط للمسلمين . فلم يرضى الفرنج بذلك وقالوا لا بدّ من تسليم الكرك والشوبك (ص ٥٢) وان يعطوا ثلاث مايةِ الف دينار عوض عن تخريب اسوار القدس .

ثم انه عبر جماعة من المسلمين ، وفجروا فجرة عظيمة من النيل على الفرنج . والفرنج لم يكن لهم خبرة بأمر النيل . فصـار الماء حايل بين الفرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميّه والمدد ، فهلكوا جوعاً . فبعث الفرنج بطلب الامان . فاختلف الامر بالاجابة . عند ذلـك عزموا بالرجوع الي دمياط فاحرقوا اثقالهم وهربوا ليلاً ، وكانت ليلة عيد مار يوحنا المعمدان ، وهو اول يوم من توت[1].

فلما بلغ ذلك السلطان امر بقطع الجسور ، واحاط بهم النيل من كل جانب فالتجأوا الي تل كبير واحاط بهم العسكر من كل جانب وايقنوا بالفناء ، وطلبوا الهدنة وتقدموا الى الامان لان العساكر كان لهم ثلاثـة سنين وشهور بالقتال وضجرت نفوسهم . فطلب الفرنج من الملك الكامل رهينة ، فبعث ابنه الصالح نجم الدين ، وحضر من الفرنج رهينة عن ذلك ملك عكا ، ونائب البابا صاحب روميـة الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك ، وكان ذلك في سابع رجب . واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين واخوته واهل بيته ، وجلسوا في خيمة واحدة ومدّ لهم سماطا ، وتقرّرت الهدنة بينهم ثمانية سنين ، وان تطلع الاسرى من الجهتين ، وحلفوا على ذلـك الفريقان يوم الاربعاء لاحـد عشر ليلة بقيت من رجب ، وتسلّم

---

١) وتوت هو اول شهر من السنة القبطية، يبتدي في ايلول وينتهي في تشرين الاول. راجع ابن الحريري عن هذا الوصف صفحة ١١٧ — ١١٨ .

السلطان دمياط . وكانت مدة ملك الفرنج دمياط سنة وعشرة شهور واربعة وعشرين يوماً ، وزحف الفرنج الى بلادهم والسلطان الى مصر .

٦٢ ـ وفاة الملوك الناصر والعادل والظاهر . وانتصار الاشرف : سنة اثنين وعشرين وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٢٥ م) ، في سلخ رمضان مات الملك الناصر لدين الله اخو العباس خليفة بغداد ، وكانت مدة خلافته سبعة واربعين سنة ، وعمي في آخر عمره . وبويع بالخلافة ابنه الظاهر بالله محمد ، وهو الخامس والثلاثون من الخلفاء العباسيين .

وفيها (اي السنة المذكورة) توفي الملك العادل سيف الدين ابو بكر اخو السلطان صلاح الدين ، وكانت مدة ملكه لمصر نحو تسعة عشر سنة وسبعة ايام للهجرة ، وذلك لتمام سنة ستة الاف وسبعماية وعشرة سنين للعالم شمسية .

وفيها (اي في هذه السنة نفسها) ركب الملك الاشرف صاحب حلب على كيكاوس (صاحب بلاد الروم) فاخذ منه كثير اسرى ارسلهم الى حلب واسترجع تل باشر ورعبان (ص ٥٢ قفا) .

وفي سنة ثلاثة وعشرين وستماية (هج اي ١٢٢٤ م) كانت وفاة الملك الظاهر بامر الله محمد بن الناصر خليفة بغداد . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر وتسعة ايام ، وبويع لابنه الكبير المستبصر بالله ، ابو جعفر المنصور ، وهو السادس وثلاثون من خلفاء بني العباس .

وفيها توفي ابو السعادات سعد السنجاري... الا انه غلب عليه الشعر واجاد فيه .

٦٣ – غزوة الملك الاشرف لحماة ثم لدمشق ثم تمّ توقيع الصلح . تسليم بعلبك للاشرف مع قلعتها بعد عجز الملك الامجد عن القتال . رجوع العادل الى مصر . امطار غزيرة مثل الرمل الاحمر . وفاة البطريرك العمشيتي : سنة اربعة وعشرين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٢٦ م) ، سار الملك الاشرف صاحب حلب الى دمشق بامر الملك الكامل ليحاصر الملك الناصر داود صاحب حماة الذي دخلها. وكانت مراسلات بين الملك الكامل والامبراطور (ملك الفرنج) . ولما طالت المدة ، اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه ، على ان يستمر اسواره خراباً ولا يعمّرها الفرنج ، ولا يتعارضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى ، ويكون الحكم في الرسا تيق الى والي المسلمين ، ويكون لهم من القرايا ما على الطريق من عكا الى القدس فقط . ووقع الامر على ذلك وتحالفوا عليه ، وتسلّم الامبراطور القدس .

وسار الملك الكامل الى دمشق وشدّ الحصار على الناصر داود واستولى وقطع عنها بانياس والقنوات ، ونهبوا البساتين واحرقوا ما حول البلد ، وتمّ بين المسلمين وقعات كثيرة واشتدّ القتال ثم انبرم الصلح . وفي اول شعبان سنة ستة وعشرين وستماية دخل الملك الكامل الى القلعة وتسلطن عليها واعطى اخاه عوضها حران والرها وراس عين والرقه والبلاد الشرقية . ثم ان الملك الكامل سار الى هذه البلاد ليتسلّمها ، وتوجّه الأشرف الى بعلبك وحاصرها ، وعجز الامجد عن القتال ، فتسلم الملك الاشرف بعلبك وقلعتها ثم انه رجع الى دمشق واقام بها والملك العادل بعدما قرّر البلدان ، عاد الى مصر .

وفي هذه السنة امطر بمدينة حلب رمل احمر شبيه بالبرد ، وفيه تراب يشبه الطباشير .

بقرب سنة اسل (اي ١٢٣٠ م) كانت وفاة البطرك ارميا من عمشيت ، وتخلف بعده دانيال من شامات الذي سكن فوق اكفيفان، وفي كفرحي ، وبدير مـــار جرجس كفرا ، كما وجدنا في فنقيت بشري، وفي تاريخ حنا ابن يعقوب بشراني في سنة اثمز (اي ١٥٤٧) اليونان (وهي تقابل سنة ١٢٣٦ مسيحية)[1] ص ٥٢ قفا .

١٥ - الاشرف يهب اخاه الصالح بعلبك، والمظفّر يهزم الفرنج: سنة سبعة وعشرين وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٢٩ مسيحية) اعطى الملك الاشرف اخاه الملك الصالح اسمعيل بعلبك وتسلمها وسكنها .

وفيها (اي السنة) اجتمعت الفرنج من برج الاكراد قاصدين حماة ، فالتقام الملك المظفّر صاحب حماة بين حماة وبارين وكسرهم كسرة عظيمة[2] .

١٥ - دخول التتر ديار بكر والجزيرة ، نهايـــة الكامل وقتل جلال الدين خوارزم : سنة ثمانية وعشرين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٣٠ مسيحية) ركبوا التتر على الاسلام وعلى جلال الدين خوارزم (شاه ملك اذربيجان) حتى وصلوا الى الفرات ، وشنّوا الغارات في ديار بكر والجزيرة ، وقتلوا وخرّبوا شيء لم يوصــف ، وسبوا الذراري وقتلوا الزهاد ، ونكبوا الجوامع وحرقوا المصاحف ما لم يسمع بمثله . وكانوا قد صنعوا كذلك في الغزوة الاولى سنة ثمانية

---

١) هذا المقطع نجده على هامش المخطوطة التي نحن بصددها . راجع هـذا التاريخ عن البطركين ارميـا العمشيتي ودانيال الشاماتي في السلسلة التاريخية التي وضعها البحاثة الاباتي طوبيا العنيسي المطبوعة بالعربية في روما سنة ١٩٢٧ ، ص ١٩ - ٢٢ ، وقـــد سبق ذكرهما اعلاه .

٢) ونقرأ على الهامش العـــدد « ١٢٢٩ » وهـو رقم السنين المسيحية الموافقة للسنين الهجرية . ثم نقرأ هذه العبارة : « وسنة ١٥٤٠ تسلك راهب يوحنا من قنات » .

عشر وستماية للهجرة ، وهــذه ثاني غزوتهم على الخوارزم والمسلمين. واما جلال الدين خوارزم (فقد) قتل بقرب ميافرقين .

وفي هذه السنة انتهى التاريخ المسمّا (المسمى) الكامل من هبوط ادم الى هذه سنة ثمانية وعشرين وستماية . وفي سنة ثلاثين وستماية كانت وفاة صاحبه عزّ الدين عليّ بن الاثير الجزري (كما قال ابن الحريري ص ١٢٢) .

١٦ً – الملك الكامل يغلب الاتابكي على آمد . وفاة الملك عزيز عثمان : سنة ثلاثين وستماية هـج (الموافقة لسنة ١٢٣٢ م) حاصر الملك الكامل صاحب دمشق آمـد بالمناجنيق واخذها من صاحبها الملك مسعود مودود الاتابكي وكان فاسقاً . وشهد الاشرف بان انوجد في قصره خمساية حرة للفراش من بنات الناس أخذهن قهراً . واخذ منه حصن كيفا ، واستناب الملك الكامل على ذلـــك ولده الملك الصالح نجم الدين ايوب .

وفيها (اي في هــــذه السنة) توفي الملك العزيز عثمان بن الملك العادل سيف الدين ، وهو شقيق الملك المعظم عيسى ، وهــو الذي بنى قلعة الصبيبة ، وكانت معه الصبيبة وبانياس وتبنين، واليه تنسب المدرسة العزيزية بدمشق بجوار الكنائس .

١٧ً – فشل الكامل على ملك الروم ثم فوزه . وفـــاة سيف الدين الآمدي : سنة احد وثلاثين وستماية (للهجرة اي ١٢٣٣ م) صارت حروب بين الملك الكامل وملك الروم حتى ان ظفر بـــه ملك الروم واستيسر له ولملك حماة ، ثم انه اطلقهما ، واستولى على حران والرها . وان الملك الكامل بعـد قتالات كثيرة استرجعهما واسر من الروم نحـــو ثلاثة آلاف ارسلهم للديار المصرية ، وعمّر

بدمشق جامع التوبة وسمّاه كذلك لانه كان اولاً للفواحش والمنكرات.

وفي هذه السنة توفي سيف الدين الآمدي الذي صنّف كتباً كثيرة (ص ٥٢ وجهاً) .

(على الهامش) : في سنة ارلد (١٢٣٤ م) كان نيقيطا الماروني الذي صنّف (كتاباً) عن انبثاق روح القدس من الاب والابن[1].

٦١٨ ــ وفــاة الملك العزيز غياث الدين محمد صاحب حلب :
سنة اربعة وثلاثين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٣٦ م كما هـو مرقوم على الهامش بالعدد الفرنجي) توفي صاحب حلب الملك العزيز غياث الدين محمـد بن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ، وكان ولي سلطنة حلب من ابيه وهو صبي صغير لمكان والدته ابنة الملك العادل، وتملك بعده ولده الملك الناصر يوسف وهو صبي ايضاً.

٦١٩ ــ وفاة الملكين الاشرف ثم الكامل ، وملك الجواد يونس، وتحرك التتر على بغـداد : سنــة خمسة وثلاثين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٣٧ م) ، كانت وفـاة السلطان الملك الاشرف ابو الكمال موسى في اول هذه السنة . فاقام مدة في الرها وحران اللذان اخذهما من ابيه . ثم (انه) تملك خلاط وهي قصبة ارمينية، ثم تملك دمشق نحو تسع سنين وكان جزيل الكرم ويحب العلماء شجاعاً وشديد البأس .

وتولا (تولى) دمشق بعده اخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل. فلمـا بلغ خبر ذلك الى الملك الكامل سـار من مصر الى الشام

١) ان نيقيطا (اي Nicétas) كان لاهوتيا بيزنطيا ورئيس أساقفة تسالونيقية من بلاد يوونه (راجع عنــه القاموس اللاهوتي الفرنسي في مادة نيقيطا في الجزء ١١ عمود ٤٧٦ وما بعده) .

وحاصر الملك الصالح بدمشق حصار شديد ، فكاتب الصالح الى ملك الروم والى الملك اهل بيته واتفقوا معه ، فاخذ الملك الكامل دمشق من الصالح وعوّضه بعلبك والبقاع الى بصرى ، وشنق بين البساتين جماعةً كثيرة الذين من حمص... وملك الكامل دمشق شهرين ومات ، لانه دخلها لاحد عشر بقيت من جمادى الاول لتسعة بقين من رجب . وكانت وفاة الكامل بقلعة دمشق بالسعال والاسهال ، (وكانت) مدة ملكه لمصر من حين مات ابوه عشرين سنة ، وقبل ذلك كان له عشرين سنة نائباً بها . وعمّر في القاهرة دار الحديث والقبة على ضريح الشافعي ، وهي من اعظم البنيان في العمارة والاحكام.

ولما مات وقع الخلف بين الامراء في من يسلطنوا واتفق الرأي بان الملك الجوّاد يونس بن الكامل بن شمس الدين مودود بن الملك العادل يكون على دمشق ، ويكون على مصر الملك العادل بن الملك الكامل ، وهو السابع من ملوك بني ايوب في الديار المصرية .

وفي هذه السنة عسكر حلب ملك المعرة وكانت لصاحب حماة (الملك المظفر) . ثم سار الى حماة فنهبوا بلادهـا وحاصروا الملك المظفر بحماة . وفيها صارت حروب بين الناصر داود صاحب الكرك وبين الجواد يونس نائب دمشق مصاف بين جنين ونابلس فانتصر الجواد ، وانهزم الناصر هزيمةً قبيحة .

وفيها (اي السنة) صاحب حمص تسلّم سلمية من المظفر صاحب حماة ، وتحرّكت ايضاً عساكر التتر على بغداد (ص ٥٤) .

٢٠ــ ضعف الجوّاد فاستولى الملك الصالح ايوب على دمشق:
سنة ستة وثلاثين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٣٨ م) ضعفت همة يونس الجواد صاحب دمشق ، فاستولى عليها وعلى اعمالها الملك

الصالح ايوب ابن الكامل صاحب مصر ، وعوّض للجواد يوسف عنها سنجر والرقه وعانه[1] .

٢١ — فتنة بين الامراء ، وفاة صاحب حمص شيركوه ، خلع العادل ، وفاة صاحب ماردين : سنة سبعة وثلاثين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٣٩ م) سار صاحب بعلبك الملك الصالح اسمعيل وشيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا (على) دمشق ، اذ كان الملك الصالح ايوب في نابلس ، قاصد الاستيلاء على مصر ، وكان ابوه فتح الدين متولي دمشق، فهجموا دمشق واخذوا القلعة واعتقلوا المغيث ، ومالت الى اسمعيل عساكر المغيث وعساكر ابيه ، واما الناصر داود فانتقل من مصر الى الشام وقبض على الصالح ايوب وارسله الى الكرك معتقلاً . ثم سار الى القدس فوجد (ان) الفرنج قد عمّروها بعد موتة الملك الكامل ، فحاصرها وخرّبها وخرّب القلعة وكذلك برج داود الذي كان بعده عامر .

وفيها (اي السنة) الملك الجوّاد اساء السيرة بسنجر ، فكاتب اهلها صاحب الموصل (لؤلؤ) ، ولما خرج الجوّاد ليتصيد ، اسرع لؤلؤ صاحب الموصل ففتحوا له البلد ، فتملكها ومضى الجوّاد الى عانه فأوى اليها .

وفيها (اي السنة) توفي صاحب حمص الملك المجاهد اسد الدين شيركوه ، وكانت مدة ملكه نحو ستة وخمسين سنة ، وملك بعده المنصور ابراهيم بن شيركوه .

وفيها ظهر الملك الصالح ايوب من الكرك واتفق مع الملك الناصر داود على اخذ مصر من العادل ، ومالت اليها العساكر

---

١) نقلاً عن ابن الحريري ، في الموضع نفسه ، ص ١٢٧ .

والامراء في ثمانية ذي القعدة . فقبضوا على الملك العادل وخلعوه من السلطنة ، وكانت مده ولايته نحو سنتين ، واقاموا اخاه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ، وهو الثامن من ملوك بني ايوب بالديار المصرية ، وعاد الناصر الى الكرك .

وفيها توفي ناصر الدين ارتق ارسلان بن الغازي صاحب ماردين، وملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازي .

٢٢ – اتفاق صاحب دمشق مع الفرنج . حروب بين الخوارزم والحلبيين وخراب الدير في الرها : سنة ثمانية وثلاثين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٤٠ م) سلّم (الملك) الصالح اسمعيل صاحب دمشق صفد والشقيف للفرنج ليعضدوه ويكونوا معه ضد ابن اخيه الصالح ايوب صاحب مصر .

وفيها صارت الوقايع بين الخوارزمية والحلبيين (ص ٥٤)، ففسدوا ونهبوا وخربوا الخوارزمية بلاد حلب وحماة اشدّ من التتر. فاتفق الحلبيين مع صاحب حمص وركبوا عليهم وكسروهم واخذوا المكاسب والاسرى منهم والمدن الذين كانوا معهم وطردوهم حتى رجعوا الى عانة . واستولا صاحب حلب على حاران ، وصاحب حمص على الخابور اللذان كانا بيد الخوارزمية[1] .

٢٣ – المؤامرة على صاحب مصر . وفاة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله . امطار غزيرة بالشام . وقتل التنوخي : سنة

---

١) ويزيد الدويهي في كتابه المختصر بان الخوارزم خرّبوا دير مار يعقوب في جبل الرها عند دخولهم لبلاد الشام . وهنا نقرأ على هامش المخطوطة ما يتبع في المتن عن سلطان دمشق واتفاقه مع الفرنج لاخذ الديار المصرية ، بعد كشط كلام المتن الاصلي نفسه وتصحيحه بما يتبع .

سم (للهجرة اي سنة ستماية واربعين الموافقة لسنة ١٢٤٢ م) ، سلطان دمشق الملك الصالح اسمعيل قاصد (قصد) مقاتلة سلطان مصر ، فكاتب ابراهيم صاحب حمص والناصر داود صاحب الكرك والافرنج اذ يوعدهم بجزء من بلاد المسلمين حتى يكونوا (معه) نجدة ضد عمه.

وفيها (اي السنة) توفي المستبصر بالله خليفة بغداد لعشر خلون من جمادى الثاني ، وكانت خلافته ستة عشر سنة الا ستة اشهر. وكان حسن السيرة ، عادلاً في الرعية . واتفق ارباب الدولة على تقليد الخلافة لولده عبدالله المستعصم بالله ، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين وآخرهم في العراق .

وفي هذه السنة امطرت بدمشق مطراً عظيماً وجاءت الشكاوى الكبرى التي لم يعهد بمثلها في ما تقدم ، وكانت (الامطار) عظيمة جداً . وذكروا ان الماء وصل الى حائط جامع التوبة بالعقيبة .

وفيها (اي السنة المذكورة) قتل الامير بن نجم الدين محمد واخوه شرف الدين علي ولدي الامير جمال الدين التنوخي بثغر بيروت في مكان يقال له ثغرة الجوزات في بلاد كسروان . واولاد هذا جمال الدين حجّي بن كرامه بن بحتر هما اول من سكن قرية عابَيه الغرب من بني التنوخ . فكانوا اولاً قاطنين في طرذلا ثم انتقلا الى عابَيه[١] .

٢٤ً – اتفاق الملك الصالح اسمعيل مع الفرنج : سنة واحد واربعين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٤٣ م) سلم الصالح اسمعيل

١) راجع صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ، تحقيق الاب شيخو ، ص ١٨٤ . ويلزم الانتباه في اول المقطع الى تصحيح اسم المستبصر بالله الخليفة باسم المستنصر (بالنون بدل الباء) بالله كما جاء في كتب التاريخ .

صاحب دمشق للفرنج طبريه وعسقلان ليكونوا نجدةً (له)، فعمّر قلعتها الفرنج. واعطاهم ايضاً القدس بما فيه من المصارات (= المزارات) حتى ان قدّسوا على الصخرة (ص ٥٤ قفا).

٢٥ً – انتصار الخوارزمية والمصريين واستيلاء الصالح على غزة والقدس، وعقد مجمع ليون وتعين الملك لويس التاسع على الجيش: سنة اثنين واربعين وستماية (للهجرة اي سنة ١٢٤٤ م) توجّه الخوارزمية الذين داخل نهر الفرات الى غزة باستدعاء الملك الصالح ايوب صاحب مصر، واجتمعوا بالعساكر المصرية قاصدين دمشق. فاستنجد الصالح اسمعيل صاحب دمشق بالفرنج وبابراهيم صاحب حمص وبالناصر داود صاحب الكرك، والتقت الفريقان بظاهر غزة، وانتصرت الخوارزمية والمصريون باهل الشام وقتلوا منهم خلقاً كثير واستولى الملك الصالح ايوب على غزة وسواحلها وعلى القدس.

(وعلى الهامش): في سنة ارمه ام ارمو (اي في سنة ١٢٤٥م او ١٢٤٦م) امر البابا زخيا الثالث في عقد مجمع في لوغدون (اعني ليون) في بلاد فرنسا ضد افترى فريدريكو الامبرادور فنزّلوه (عن) الملك، وصار الواقف على تجهيز النجدة لملك القدس، واقاموا الملك لويس سلطان فرنسا ليتخلف على الجيش[١].

٢٦ً – اسماعيل يحالف الفرنج، ظهور رسول التتر، زحف المصريين والخوارزمية الى دمشق وحصارها وغلاء عظيم: سنة ثلاثة واربعين وستماية (للهجرة وهي توافق سنة ١٢٤٥ م) وهب الملك الصالح اسمعيل صاحب دمشق قلعة الشقيف للفرنج ليؤازروه، فانكر عليه ابن عبد السلام خطيب دمشق واخو عمر ابن الحاجب المالكي، فعزلها وحبسها بالقلعة.

---

١) طالع حاشيةً رقم ٤٤ً في آخر هذا الكتاب عن الملك لويس التاسع القديس.

وفيها (اي السنة المذكورة) قدم رسول التتر الى المظفّر غازي صاحب ميافرقين ، ومعه فرمان ومن مضمونه (ما نصه) : من رب السماء ، ماسح وجه الارض ، ملك الشرق والغرب ، بامر ملوك البلاد والسهل في طاعة الشأن الاعظم سلحداره وامرك ان تقدّم اسوار بلادك.

وفيهـا زحف المصريون والخوارزمية[1] لاخذ دمشق من الصالح اسمعيل ، فحاصروها مدة خمس شهور حصاراً شديد ، وقاست اهلها شدةً شديدة عظيمة لم يعهد مثلها ، واحترقت العقيبة وهلكت العوام موتاً وجوعاً ، لان (لانها) كانت سنة غلاء ، وبلغت غرارة القمح الف وستماية درهم ، وبويع الخبز كل وقيتين بدرهم ، واكلت المايتة ، وابيعت الاملاك والامتعة بالشيء اليسير ، ورطل اللحم بتسع دراهم ، وأنتنت البلاد بالموتى .

وبعد حصار خمس شهور فتحوا مصر[2] بالأمان ، وتولى عليهـا الملك الصالح ايوب وعوّض عنهـــا للملك اسمعيل بعلبك والبصرى والسودى ، ولان الملك الصالح ايوب مـا اذن للخوارزمية بنهب دمشق ، خرجوا من طاعة صاحب مصر ، ومنعوهم نواب مصر من الدخول الى دمشق ، فنهبوا القرى (والمدن والسواحل والجبال) وقاس اهـل البرّ شدةً عظيمة . فيذكر الناس من بعد ان ركب الخوارزمية على سكان بلاد الشام ونهبوا وسبوا المدن والقرى والبلدان ووصل حريهم على مدخل مصر وقتلوا نفراً لم يحصى من النصارى والمسلمين ، مضوا الى القدس والى عسقـلان ، فظفروا بجنود الفرنج وقتلوا منهم (ص ٥٥ قفـــا) ومن سكان القدس مقتلةً عظيمة ، وكانت عساكرهم نازلةً على نهر الاردن ، وتجتاز في كل بلاد الشام ،

١) راجع حاشية رقم ٢٤ و ٢٦ في اخر هذا الكتاب عن هذا الموضوع .
٢) والصواب ، « دمشق » وليس مصر .

ساحل وجبل ، حتى الى انطاكية ، وكل من وجدوه من نصارى ومسلمين يقتلوه . وكان في هذه السنة غير الحروب والنهب والسبي ايضاً قحطة وغلاء عظيم خاصةً في الكوانين الى البيدر مع ثقل ونقص لم يوصف في الناس حتى ان بيوت كثيرة تغلّقت .

٢٧ً – **البطريرك سمعان الماروني ، والغلاء بكل انواعه البشعة مع القتل والنهب والخراب**[1] : وكذلك مذكور في كتاب الحاش الذي انكتب بخط اصطرنجالى بقرية معاد في هذه سنة انو (اي ١٥٥٦) يونانية ان بعهد ساداتنا البطرك سمعان صاحب الكرسي الممدوح مدينة الله انطاكية ، والمطران سمعان بجبل لبنان طلع من الشرق شعب اشرار تسمّا كورج غتميه وسبوا مدينة قورش وبلدان كثيرة ، وبلغوا ودخلوا مصر واهلكوا امم كثيرة بغير عدد من النصارى والمسلمين ومن جميع الامم وخرّبوا القدس وقتلوا كل من فيها ، وتقاونوا هم وعساكر الفرنج عند مدينة عسقلان وخسروا الفرنج وسبوا منهم كثيراً وقتلوا شيء كثيراً .

وكانت رعبةً وخوف عظيم في نواحي يهوذا وفلسطين ودمشق وبعلبك وطرابلوس وحمص حتى الى انطاكية . وفي السنة الثانية صارت عازة عظيمة في هذه البلدان ، وثقل الغلاء في الحنطة وسبي وضيق كثير حتى وصل رطل الخبز لثمانية دراهم ، ومرزبان الحنطة الى ست دنانير ، وناس كثيرين كانوا ينطلقون من بلد الى بلد من اجل عازة قوتهم ومن الخوف الصاير من الكرج لانهم كانوا محيطين

---

١) ان هذا العنوان « البطريرك سمعان » هو من وضع المؤلف نفسه ، انما وضعه على جانب الكلام ، وفي آخر الصفحة لكن تابع كلامه عن البطرك والغلاء والخراب اللاحق بسبب الحروب والقتل والسبي والجوع ، في رأس الصفحة التالية ، في الجهة الموازية لنصّ المخطوط ، مما يلاحظ انه مزاد على المخطوطة المذكورة .

بنهر الاردن وواصلين لحدود انطاكية ، وكانوا كل من وجدوه من النصارى او المسلمين يقتلونه .

وكان خوف عظيم في دمشق اوقات مدة اذ يشتروا مرزبان الحنطة بدينار ، وكل أوقية خبز بدرهم ، حتى ناحية البحر كانوا يشترون الخبز كل رطل بدينارين ، وكان ديق (ضيق) وجوع من كانون الى شهر اذار . حينئذ من بلد هـذا جاء موت كثير حتى تغلّقوا ابواب كثيرة ولا تطلب ساكن فيهم .

٢٨ – انكسار الخوارزمية على القصب وقتل مقدمهم، واستيلاء الصالح ايوب على بعلبك والكرك . وفاة عبد المحسن حمود : سنة اربعـة واربعين وستمايه (هجرية الموافقة لسنـة ١٢٤٦ م) اتفقوا الخوارزمية مع الملك الصالح اسمعيل والناصر داود صاحب الكرك وقصدوا دمشق ، واستنجد الملـك الصالح ايوب بعسكر الحلبيين وبالملك المنصور ابراهيم صاحب حمص واجتمعت العساكر على الخوارزمية فرحلوا عـن دمشق ، والتقوا العسكران على القصب ، فانهزمت الخوارزمية هزيمةً عظيمة تشتّت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان ، وحمل رأسه الى حلب ، وانقطع البعض منهم مع مقدمهم خشلوا خان الخوارزمي ، والبعض تفرّقوا بالشام وخـدموا وكفى الله شرهم .

واما الملك الصالح ايوب (فقد) فرح فرحاً عظيماً وسلّم دمشق الى حسام الدين ابن ابي علي الهزباني ليحفظها الى مصر ، وفي ذي القعدة دخل دمشق وكان يوماً مشهوراً ، فاقام بدمشق اياماً ورجع فاخذ بصرى وصرخد والصبيبة ، وعمّر سور القدس وتسلّم الصلت ثم رجع الى مصر .

والملك الصالح اسمعيل استجار بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وسار الى عنده . ثم ان حسام الدين حافظ دمشق نزل الى بعلبك فحاصرها وملك اولاد الصالح اسمعيل وحملهم الى مصر لعند الملك الصالح ايوب فاعتقلوا هناك .

وفيها (اي السنة) ارسل الملك الصالح ايوب عسكراً من مصر الى اخذ الكرك ، فحاصرها العسكر واخرب كل ضياعها ، وضعف الناصر داود ضعفاً بالغاً ولم يبقا معه الا الكرك وحدها .

وفيها المستنصر خليفة بغداد أرسل مع ابن الجوزي خلع السلطنة الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وهي عمامة سوداء ، وفرجية مذهبة ، وثوبان ذهب ، وسيف بسقط ذهب ، وطوق ذهب وترس ذهب وحصان . ثم انــه اشتد الغلاء شديداً حتى بدمشق بيعت غرارة القمح... بماية دينار وخبز الشعير الوقيتين ونصف منه بدرهم.

وفيها توفي عبدالمحسن ابن حمود الحلبي حسن الخط وله تصانيف كثيرة واشعار حسنة ، ودفن بدمشق (انتهت صفحة ٥٥ قفا) .

٣٩ — فتــح عسقلان وطبرية ، صاحب حلب يتسلّم حمص ، والامجد السلطنة واسيوط ، وفاة صاحب صرخد والمظفر بن العادل:

سنة خمسة واربعين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٤٧ مسيحية) فتح عسكر الصالح ايوب عسقلان وطبرية من الفرنج على يد فخر الدين بن الشيخ .

وفيهــا توفي الامير عز الدين صاحب صرخد ونقل بتابوت الى دمشق ودفن على الميدان . وتوفي ايضــاً المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافرقين وخلاط ، وتملك بعده ابنه الملك الكامل محمد (كما قال الحريري ص ١٣٠) .

وسنة ستة واربعين وستماية هج (= ١٢٤٨ م) ارسل صاحب حلب حاصر الملك الاشرف بحمص مدة شهرين ، فسلّم اليهم حمص وتعوّض عنها بتل باشر مضافاً الى ما بيده من تدمر والرحبة .

وسنة سبعة واربعين وستمايه هج (١٢٤٩ م) قدم الملك الامجد على السلطنة بمفاتيح الكرك واعطاه خمسين الف ديناراً وقلده اسيوط وخبز ومابة فارس .

٣٠ ـ ملك فرنسا بدمياط والمنصورة ، وفـاة الملك الصالح ايوب ، كتمان موته واستدعاء ولده من ديار بكر ليحكم مع والدته، معركة بين صاحب الموصل والملك الناصر : وفي هذه السنة (٦٤٧ هج = ١٢٤٩ م) سار ملك فرنسا باسم لويس من اعظم ملوك الفرنج من بلاده الى جزيرة قبرس ، ومعه نحو خمسين الف مقاتل فشتّى في الجزيرة وتوجّه الى نحو دمياط ، وكان قد شحنها الملك الصالح (نجم الدين ايوب) بالات عظيمة وذخائر وافرة ، وجعل فيها بني كنانة ، وهم مشهورين بالشجاعـة . فوصل الفرنج الى برّ دمياط الغربي في صفر، فهرب بنو كنانة من دمياط واخلوها اهلها ، فملكتها الفرنج من غير قتال وبلا طعنة ، واستولوا على جميع ما فيها .

وكان السلطان الصالح ايوب نازلاً في المنصورة ، وهي على بريد من دمياط ، فمسك بني كنانة وامر بشنق جميعهم وكانوا نحو ستين رجل ، وانتقل الى المنصورة ونزل بها لخمس بقيت من صفر ، وكان قد اشتدّ عليه مرض السل والشرحه فتوفي لاربعة عشر مضت من شعبان . وكانت مملكته في الديار المصرية تسعة سنين وثمانية اشهر وعشرين يوماً . وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد عفيفاً طاهر اللسان والذيل، جباراً وسفاكاً للدماء، أباد الاشرفية

واخيه العادل وغيرهم ، ولم يكن له ولد الا الملك المعظم تورنشاه، وهو في حصن كيفا (من ديار بكر) ولما مات الملك الصالح كتموا الحجّابون موته خوفاً من الفرنج. وكانت زوجته ام خليل تعلم علامته وتكتب خطه (تبدأ صفحة ٥٦ قفا) ، او خطاً يشبه خطه ولا ينكر عليه واخرجوا باسمه امراً ان العسكر والامراء يحلفوا لابنه بعد منه ، فحلفوا ولم يعرف احد بموته ، وارسلوا يستدعوا ابنه من حصن كيفا مع اقطاي الاكبر (خادمه) ، وكان من مماليك ابيه. فسلك البرية واسرع بـه الى دمشق ، فدخلهـا في آخر رمضان في دست السلطنة ، واخذ اموال السلطنة وانفقها على الامراء واقـام بدمشق شهراً ثم قلّد امور الكرك من هناك ،وتوجّه الى المنصورة وجلس على التخت واقـام عزاء والده وحمـل في تابوته ودفن في تربته ، وارتضوا به ارباب الدولة واستقرّ امره في المملكة ، وهو التاسع من ملوك بني ايوب في الديار المصرية .

وكانت في هـذه الايام الحروب بـين الفرنج والمسلمين على برّ المنصورة ، فملكوها الفرنج وقتلوا منهم نفراً جزيل ، وقتـل من الفرنج اخو الملك .

وفي هـذه السنة وقعت الحروب بين صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف. فانهزم صاحب الموصل واستولى الحلبيون على أثقاله وخيمه وتسلّموا نصيبين. ثم ساروا الى دارا وحاصروها ثلاثة شهور فتسلّموها واخربوها ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب .

٣١ – هزيمة الفرنج واسر الملك القديس لويس التاسع . مقتل الملك المعظم ، سلطنة شجر الدر وآيبك التركماني ومظفر الدين... :

سنة ثمان واربعين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٥٠ م) صارت وقعات كثيرة بين المسلمين والفرنج . فانقطعت المدد من دمياط عن الفرنج وهم بالمنصورة . واذ لم يبقا لهم صـــبر على المقام ، قصدوا الرجوع الى دمياط لثلاثة مضين من المحرّم ، فركبت المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف . ويقال ان بلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين الف . واسروا الفرنسيس الملك الاعظم للفرنج ومن معه بالامان . ويقال ايضاً في بعض التواريخ ان مسكوا من الفرنج ما يناهز ماية الف ، ورتّب لهم راتباً يحمل منهم ثلاث ماية نفر فيقتلوهم ويرموهم في البحر الى ان افناهم جميعهم .

وفي هذه السنة ، في آخر شهر المحرّم بعد هذه الوقعة بثمان وعشرين يوم كان مقتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب ومعه انقرضت الدولة الايوبية من المملكة : وسبب قتله قال ابن الحريري : لان كان فيه نوع خفة وكثير الاحتجاب عن الناس ، وناقص السياسة ، وكان يسمّي مماليك ابيه باسمائهم واهانهم وقدّم الاراذل الذين قدموا معه من حصن كيفا ، وأهان الاماثل ووعد أقطاي (عبده) ان يؤمّره فلم يفعل ذلك (انتهت ص ٥٦ قفا وبدأت ص ٥٧) فاستحوش منه ، وتهدّد ام خليل زوجة ابيه وطلب منها مالاً كثيراً ، فخافت منه وكاتبت فيه .

فلما كان يوم الاثنين سابع وعشرين من المحرّم ، جلس على الصماط فضربه بعض المماليك البحرية بالسيف فتلقاه بيده ، فقطع بعض اصابعه فقام ودخل البرج . ثم دخلوا اليه فأمروا نفطياً باحراق البرج ، وكان البرج من خشب فامتنع فطيّروا رأسه . ثم أمروا آخر فرماه بالنفط . ثم جعل يتوعّدهم وقال بعضهم لبعض موّتوه والاّ ابادكم . فدخلوا عليه ، فانهزم الى اعلى البرج ، فاوقدوا

النيران حول البرج ورموه بالنشاب ، فرمى بنفسه وهرب نحو البحر وهو يقول : ما اريد مُلك يا مسلمين ، ردّوني الى حصن كيفا ، ما فيكم من يجيرني ، والعساكر كلها واقفة ، فما اجابه احد والنشاب يأخـذه . ثم تعلق بذيل أقطاي فـا اجاره . ثم هرب الى النيل ودخل فيه وسبح الى قبته ، فدخلوا وراءه وقطّعوه قطعاً ، وبقي الى جانب البحر ثلاثة ايام ميتاً منتفخاً ، وما احد يدفنه حتى شفع فيه رسول الخليفة فحمل الى ذلك الجانب ودفن ، وجمـع في قتله ثلاثة اشياء : السيف والنار والماء ، وكان ملكه احد وسبعين يوماً ، وهو آخر ملوك بني ايوب بالديار المصرية .

واجتمعت الامراء على ان يقيموا ام خليل شجر الدر زوجة الملك الصالح ايوب ، وقيل انها جاريته وانها كانت جارية تركية ، وان يكون عز الدين ايبك التركماني اتابك العسكر ، فحلفوا لهـا وخطبوا لهـا على المنابر ، وضربت السكّة باسمها بالديار المصرية . فكانت تعلّم على المناشير والتواقيع وغيرها ، واستقرت على السلطنة ثلاث شهور ، وخلعت على الامراء ، وانفقت الاموال وزادت بالعطاء ، وكثر الدعاء لهـا واظهرت العدل . وكان حافظ دمشق الامراء القيمرية ، فكتب الامراء المصريون الى امراء دمشق يخبروهم في الفتح الذي صار بمصر ، وان كان اطلق ري يد فرنس[1] ، فلم يجيبوا لذلك بل كتبوا للملك الناصر يوسف صاحب حلب بن الملك العزيز محمـد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ، فسار اليهم ملك دمشق . فلما استقرّ ملكه خلع الامراء القيمرية واحسن اليهم ، وكانت عصت عليه بعلبك ثم سلمت اليه جميعها.

١) هذه الكلمة هي روي دي فرنس اي ملك فرنسا ، سطرها المؤلف بلفظها الفرنسي دون تعريبها .

واما الملك فرنسيس ملك الفرنج فكان ماسوراً . فدخل الامير حسام الدين في قضيته ، على ان يسلّم دمياط ، ويحمل خمساية الف دينار . فأجابت شجر الدر والامراء الى ذلك . فركّبوه بغلةً (انتهت صفحة ٥٧ وجه) وساق حوله الجيش الى باب دمياط ، وعند وصوله بدوا المسلمون على اعلاها بالتكبير والتهليل ، واخلت الفرنج دمياط ودخلوا المراكب بعد اربعة ايام من قتل الملك المعظم. وسار الملك فرنسيس الى عكا .

ومذكور في نسخة قديمة موجودة عند اخونا المطران جرجس بن حبقوق من قرية بشملة ، ان في هذا الزمان كان شعب مارون في عزه ، وكان رانك ملك فرنسا . ولما جاء لاخذ مصر ومسكه المسلمين فاشترى ذاته وترك بيته وعسكره في جبل لبنان وحق الى الآن .

واما شجر الدر فاقامت في السلطنة اربعة اشهر ، وتزوجت المعزّ ايبك التركاني الجاشنكير الصالح ، وجعلته نايبها في السلطنة واحتجبت عن الناس وخلعت نفسها . فاتفقت الامراء عليه ايضاً وسلطنوه في آواخر شهر ربيع الآخر من هذه سنة خمح (٦٤٨هج) . فركب في السناجق السلطانية وحملت الجاشية بين يديه وصار الاول بين ملوك الترك .

وبعد اقامته باربعة ايام اجتمعت الامراء والبحرية واتفقوا على انه لا بدّ من اقامة شخص في المُلك من بني ايوب تجتمع الكل على طاعته ، فوقع اتفاقهم على مظفر الدين موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك المسعود ابن الملك الكامل ، وكان متولي على اليمن باقسس ، وعمره نحو عشر سنين ، فاحضروه وسلطنوه ولقّبوه الملك

الاشرف ، وخطبوا له وجعلوا له ايبك التركاني آتابكه ، وذلك لخمس مضين من جمادى الاول ، وكانت التواقيع والمناشير هذه صورتها : رسم بالامر العالي المولوي السلطاني الملكي الاشرفي الملكي المعزي .

واما صاحب حلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب لما بلغه قتل الملك المعظم توران شاه بمصر ، سار من حلب الى دمشق ونازلها فكسر اقفال الباب الصغير وباب الجابية . فدخل الى دمشق ونهبوا دارها لاجل ابن يغمور ، وحصل في دمشق خطبة . وكان بدمشق بن الملك العزيز ، فذهب من دمشق الى الصبيبة . واخذ الملك الناصر قلعة دمشق وبعلبك وحماة وحمص وصرخد ، واخذ العساكر حاصر الديار المصرية .

فخرج من مصر ركن الدين قاض في العساكر المصرية ، الى لقاه ، فالتقيا في غزه الفريقان . وكان القتال شديداً بينهما ، فانكسرت العساكر المصرية ، وخطب للملك الناصر بقلعة الجبل والقاهرة وفي مصر وغيرها من اعمال مصر ، وانهزم عسكر المصريين الى الصعيد ، والشاميون ساروا في عقبهم لاجل المكاسب . وثبت صاحب دمشق مع نفر قليل فوجدته شرذمة من الهاربين فهزموه حتى طلب جهة الشام بنفر قليل ، وكانت وقعة لم يسمع بمثلها ولا كان اغرب منها . وكان كل واحد منهم ينهب الذين ينكسرون قدامه . وبعدما كانت (ص ٥٨ بدؤها) الخطبة للملك الناصر رجعت العساكر المصرية واتفقت كلمة الجميع على مكاتبة الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل بن الملك الكامل صاحب الكرك والشوبك وخطبوا له بصالحية مصر يوم الجمعة رابع جمادى الآخر .

فلما نظر هذه الامور الملك المعز آيبك أمر (ان) ينادوا بالقاهرة

ومصر بان البلاد للخليفة المستعصم بالله ، وللملك المعز نائبه بهـــا ، وذلك يوم السبت خامس جمادى الآخره من هذه السنة سمح (٦٤٨ هج = ١٢٥٠ م) . ووقع الحثّ في العساكر وجدّدت الايمان للملك الاشرف بالسلطنة وللمعز ايبك الاتابكيه ، ورسخ قدم المعزّ وعظم شأنه . [ان ما حدث في هذه السنين لهو من الغرائب التي لم يسمع بها يقول الدويهي في كتابه المطبوع في هذا الصدد ، لانه « بعد وفاة الصالح ايوب تسلطن المعظم تورنشاه ثم شجر الـدر ام خليل ثم المعز آيبك ثم مظفر الدين ثم الناصر يوسف ثم المغيث عمـر ثم خليفة بغـــداد المستعصم بالله فخطبوا للجميع ونادوا بأساميهم في الجوامع المصرية][1] .

٣٢ ـ **الصلح بين الملكين المعزّ والناصر** : سنة تسعة واربعين وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٥١ م) رجـــع الملك الناصر يوسف بتأهيب العساكر لأخذ مصر . ووصل رسول الخليفة (من بغداد) بالصلح بين الملك الناصر وبين المعزّ آيبك ، على ان يكون المعزّ الديار المصرية ، وللملك الناصر غزة والقدس والبلاد الشامية والفراتية . ووقّع الصلح على ذلك ، ولم يفعل المعزّ آيبك امراً من الامور الا برأي الملك الناصر .

٣٣ ـ **كتب الملك الناصر الى جمال الدين الكبير البحتري يولّيه على القرى الغربية** : سنة خمسون وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٥٢م) مهّد الملك الناصر يوسف امور بلاد الشام وقرّر مقاطعته ، ومن جملة مطالعاته كتب الى جمال الدين الكبير حجّي بن محمد بن حجّي بن كرامه بن بحتر التنوخي في ثغر بيروت وولاه على القرى منهـا

---

١) ان الكلام الموضوع بين مكنفين اخذناه عن تاريخ الازمنة المطبوع كما لا يخفى .

عرامون الغرب وعندرافيل (اي عين درافيل) وطَردَلا وسرحور وعيناب وعين عنوب والدوّير . (صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ص ٧٦) .

٣٤ – مقتل اقطاي المملوك وخلع الاشرف الايوبي وانقراض الدولة الايوبية في مصر ، وتقرير الصلح بين الملكين الناصر والمعز والفرنج: سنة اثنين وخمسون وستماية هجرية (الموافقة لعام ١٢٥٤م) خلع الملك المعزّ آيبك خلع الملك الاشرف موسى وانزله من قلعة الجَبَل الى عند عماته القبطيات واستقلّ به . وكان الملك الاشرف موسى هو الآخر من خطب له من بيت ايوب بالسلطنة في مصر ، وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية .

وفيها (اي السنة المذكورة) الملك المعزّ آيبك قتل رأس الامراء اقطاي ، وهرب سيف الدين بلبان الرشيدي ، وركن الدين بيبرس البندقداري وساروا الى عند الملك الناصر صاحب دمشق وقوّوا عزمه على النهوض ليأخذ مصر . فجهّز جيشاً عليهم الملك توران شاه بن صلاح الدين الكبير وتوجّهوا الى غزة (تبتدي ص ٥٨ بالوجه الأول) .

وخرج من مصر الملك المعز آيبك ، ومن غير قتال تقرّر الصلح بين الملكين بان يكون الشام جميعه للملك الناصر ، وللملك المعزّ ديار مصر ، والحد ما بينهما بير القاضي وهو بين الواردة والعريش . واتفق ايضاً الصلح بين الناصر صاحب دمشق وبين الفرنج الذين بعكا والساحل مدة عشر سنين وستة اشهر واربعين يوم ، اولها مستهل المحرّم على ان يكون للفرنج من الماء ومغرّب وحلف الجميع على ذلك .

٣٥ – مقتل الملك المعزّ آيبك التركماني وشجر الدرّ ، واقامة

الملك المنصور التركي : سنة خمسة وخمسين وستماية هجرية (الموافقة لسنة ١٢٥٧ م) كان مقتل الملك المعز آيبك بن عبدالله التركماني في ثلاثة وعشرين من ربيع الاول ، وسبب ذلك انه قد لزم ان يتزوج بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . فلما بلغ ذلك زوجته شجر الدر (المصرية) قصدت قتله . فدخل الى حمام الدار ليغتسل فوثب عليه الخدام فالقوه الى الارض وخنقوه عشية الثلاثة . وكانت مدة ملكه سبع سنين الا ثلاثة وثلاثين يوم .

واتفقت الكلمة على اقامة ابنه نور الدين علـــي فلقبوه الملك المنصور ، وهـو الثاني من ملوك الترك في الديار المصرية ، وخطب بمصر والقاهرة اولاً للخليفة المعتصم وبعده للملك المنصور نور الدين، وبعدهما للأتابك علم الدين سنجر الحلبي ، وامر الملك المنصور ان يصلبوا كل الخدام الذين قتلوا اباه حتى ماتوا في حادي وعشرين ربيع الاخره ، ووجدت شجر الدر مقتولة ومسلوبة خارج القلعة قتلها مماليك المعز[1] . (وهنا تنتهي ص ٥٨ قفا وتبدأ ص ٥٩) :

٣٦ ـ حاشيه من الناشر عــن البطريرك سمعان والبابا اسكندر الرابع (١٢٥٤ ـ ١٢٦١ م) والباليوم : [كتب العلامة الدويهي في تاريخه المطبوع سنة ١٩٥١ في هذا الصدد ما حرفيته : « وفي سنة الـف ومايتين وخمس وخمسين مسيحية كاتب البطرك سمعان البابا اسكندر السادس (والاصح : الرابع) يبارك له في ارتقاه للرئاسة المقدسة وحلف له بالخضوع والطاعة وسأله (ان) يرسل له درع اكتمال الرئاسة . وفي ارنو (اي ١٢٥٦ م) في اول يوم خلى من

١) وزاد ابن الحريري على ذلـك قائلا ص ١٤٤ : « فحملت الى تربتها بقرب مشهد السيدة نفيسة فدفنت بها » .

شباط ارسل له الدرع المقدس ومكتوب جميل وهـــو الى الآن منصان في دير سيدة قنوبين[1]] .

---

١) وجاء في كتاب الآباتي طوبيا العنيسي اللاتيني «مجموعة البيّنات المارونية عدد ٢٥» نقلاً عن المؤرخ اللاتيني بياجو طرزي في مؤلفه التاريخي « سوريه المقدسة » قوله : « في ايام البطريرك اللاتيني الانطاكي ايليا فتح سلطان مصر انطاكية،ومن ذاك الحين(١٢٤٦م) مـــا جلس على كرسي انطاكية لا فرنجي ولا لاتيني ولم يبقى منهم الا بقية من الشعب والاكليروس يرثى لهم ، فهولاء التجأوا الى الموارنـة الكاثوليك القاطنين في لبنان ، فقبلهم البطرك سمعان بترحيب وكتب الى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالهم وقبولهم . فـأتاه الجواب من البابا يمتدحه ويمنحه لقب بطريرك انطاكية كما كان قبلاً قد منحه اياه البابا زخيا الثالث ». (راجع حاشية رقم ٣٨" في آخر هذا الكتاب عن حماية الدولة الفرنسية للموارنة في لبنان) .

الفصل التاسع

في انقراض الدولة العباسية في بغداد وظهور التتر والاتراك

١ – اغتيال المستعصم بالله واستيلاء الملك هولاكوخان التتري على بغداد ، وفاة الملك الناصر داود ، مقتل الملك الكامل غازي ، الوباء بدمشق : سنة ستة وخمسين وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٥٨ م) في اولها ، قدمت التتر الى بغداد ، واسم ملكهم هَلاكُوخان بن جنكزخان ، وهم في عدد لا يحصيهم الا الله ، وكان بنجدهم (اي ينجدهم) عساكر الروم والاكراد والموصل ، فظفروا بعسكر بغداد ودخلوها وبذلوا السيف فيها ولم يعفوا عن خراب البلاد ، وسفك الدماء ، وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال .

قتلوا الخليفة المستعصم بالله في الرفس وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ، ولم يسلم الا من كان صغيراً . ودام القتل والنهب في بغداد اربعين يوماً ، والقتلا الذين انعدّوا (كانوا) ما ينوف عن الف الف وثمانماية الف ، وهربوا بني عباس منها ، وانقطعت الخلافة عن بغداد . وبعد الاربعين يوم نودي بالامان . وكانت مدة خلافة المستعصم عبدالله بن المستنصر نحو ستة عشر سنة تقريباً ، وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ، وكانت مــدة ملكهم اربعة وعشرين

وخمسماية سنة ، وعدة خلفائهم سبعة وثلاثين خليفة ، اولهم ابو عباس السفاح عبدالله الذي تخلف بعد سنة اثنين وثلاثين وماية ، وهي السنة التي قتل فيها مروان حمار الجزيرة آخر خلفاء بني امية .

وظن الناس ان جرى للخليفة المستعصم ما ذكرناه ، لان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى كان اودع عنده وديعة من الجواهر وغيرها ، فطمع عليها الخليفة . ولما عاود الخليفة من الحج، توجّه الملك الناصر داود الى بغداد بسببها . فاحتجّ الخليفة بحجج لا معنى لهـا وشرهت نفسه اليها ولم يردّ اليه الوديعة الاّ دون العشر ، وانصرف الملك الناصر ساخطاً . وعابت الناس الخليفة على ذلك ورموه بالألسنه لما رفسوه التتر حتى مات، وبعد موتة الخليفة حدث ايضاً موت الملك الناصر داود المذكور .

وفيها (اي السنة المذكورة) الملك الناصر صاحب دمشق لما بلغه قدوم التتر وما صنعوا ببغداد ارسل ولده بتحف وتقادم الى الملك هولاكو ، (وحال ذلك) عن ملتقا التتر .

وفي هذه السنة اشتدّ الوباء بالشام ، وخاصةً في دمشق حتى لم يوجد مغسل للموتى .

وفيها قصـد التتر ميافرقين فحاصرها ابن هولاكو (بشموت) قريب من سنتين ، ثم فتحها بالسيف وقتل صاحبها الملك الكامل بن شهاب الدين غازي، ونهب ميافرقين وقتل من فيها (انتهت ص ٥٩).

٢ً ـ المملوك قطز يتولى الحكم بمصر بعد قتل الملك المنصور ويرسل العساكر لنجدة دمشق الشام ، قصد هولاكو الشام : سنة سبعة وخمسين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٥٨ م) سيف الدين

قطز الذي كان سابقاً مملوك الملك المعزّ آيبك قبض على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين علي ، فخلعه من السلطنة واستقرّ هو بالديار المصرية ، وتلقب بالملك المظفّر ، وهو الثالث من ملوك الترك .

وفيها الناصر يوسف ملك دمشق ارسل الى مصر يستنجد بالملك المنصور على التتر الذين كانوا قاصدين بلاد الشام ، واتفق خلع المنصور وولاية الملك المظفر قطز بوصول القاصد، فاعاد قطز بالجواب انه ينجده ولا يقعد عن نصرته .

وفي هذه السنة قدم هولاكو الى شرقي الفرات ، فملك حران والبلاد الجزرية (بلاد الجزيرة) ، وارسل ابنه بشموط الى الشام ، وفي العشر الاخير وصل الى ظاهر حلب وكان الحاكم بحلب الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين يوسف عن ابن اخيه الملك الناصر وراسله هولاكو قائلاً : انكم تضعفون عنا ونحن قصدنا سلطانكم الملك الناصر ، فاجعلوا لنا عندكم شحنة بالقلعة واخرى بالبلد . فان انتصر سلطانكم فاقتلوا الشحنتين ، وان انتصرنا فحلب والشام كله . فابا (فأبى) عليه تورنشاه وخرج عسكر حلب والمصري الى القتال عند بانقوسا ، فاندفع بعض من التتر قدامهم ، والبعض اكمنوا لهم حتى خرج العسكر من البلد ، ثم عادوا عليهم ، فهربوا طالبين المدينة ، والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق في الابواب من المنهزمين جماعة . ثم عاودوا التتر الى عزاز فملكوها بالأمان.

فلما بلغ ذلك الملك الناصر، خرج من دمشق الى برزه . فاجتمع اليه الملك المنصور صاحب حماة وامم عظيمة من العساكر . وعندما همّوا بالركوب قصدوا بعضُ المماليك قتل الناصر ليملّكوا عوضه اخاه الملك الظاهر غازي لشهامته ، بسبب ذلك كثر الفزع بينهم

وقلة الاتفاق فملك هولاكو البيره ووجد فيها معتقلاً الملك السعيد بن العزيز بن العادل قد اعتقله الناصر مدة تسع سنين . فاخرجه هولاكو من الحبس واحسن اليه واوعده ببنياس وقلعتها المعروفة بالصبيبة وجميع البلاد الذي كان له ولابيه بالشام (هنا انتهت ص ٥٩ قفا).

٣ – فظائع هولاكو في حلب بعد الاستيلاء عليها ، هزيمة التتر في الغور ومقتل كتبوغا ، ونورانشاه ، والناصر ، وسلطنة بيبرس ، عمار قلعة دمشق وسلطنة سنجر ، حبس الملك السعيد : سنة ثمانية[1] وخمسين وستمائة نزل هولاكو الى حلب فلم يطلع الضوء الا وقد حفروا على نفوسهم خندقاً عمقه قامة وعرضه اربعة اذرع ، وبنوا سوراً على خمسة اذرع . ثم نصبوا عشرين منجنيقاً وجدّوا في النقوب ، في اليوم الثامن اخذوا حلب . وركبوا السور ونزلوا فوضعوا السيف يومين وابادوا من اهل حلب وبلادها ما لا يحصى باكثر مما صنع ببغداد والبلاد الاخرى حتى ان خيول التتر لم (تعد) تمشي بالاسواق الا على القتلى ، ولا ينوجد موضع خالي منهم ، واسروا من النساء والصبيان ما يزيد عن مايه الف فيهم من بنات الملوك والامراء واعيان الناس الحلبيين المتنعمين ، وابيعوا في بلاد الفرنج والارمن والجزائر الجوانية .

واستولت عساكر التتر على نعمتهم واولادهم وذخائرهم وغنموا غنائم عظيمة ، وبقي القتل والسبي والحريق خمسة ايام ، ثم نودي بالامان واقيمت الجمعة بجماعة قليلة . ثم احاطوا بالقلعة وحاصروها اشدّ حصار ، وفي عشرين من صفر فتحوها بالامان واخذوا جميع

---

١) كانت قبلاً تسعة واربعين وشطب عليها وكتبت عوضها سنة ٦٥٨ مع التي توافق سنة ١٢٥٨ مسيحية وبدؤها في ٢٩ ك الاول . ومضامين هذا الرقم مأخوذ عن ابن الحريري ص١٥٢ وتاريخ هرقل ص٤٥٥ وكتاب العزر الحسان ص ٤٣٥ والمختصر الخ.

ما فيها من الذخائر واسروا كل من بهـــا من اولاد الملك الناصر وامهاتهم وجواره واقاربه واهله واخربوا القلعة واسوار المدينة. واما الملك توران شاه امّنه على نفسه لانه كان شيخاً كبيراً ومات بعد ايام يسيرة .

واما الملك الناصر صاحب دمشق لما بلغته هذه الاخبار وكان يظن ان حلب بعشرة سنين ما تتآخذ (تؤخذ) ، داقت (ضاقت به) حيلته ، وخرج من دمشق وهم (وهو) وجميع الاسراء وارسلوا ذخايرهم ونسوانهم الى الديار المصرية في ايام الشتي والبرد . بسبب ذلك وصل كري الجمل لسبعماية درهم ، ومن كثرة الاحوال تخسرت الجمال عن الزلف ، ودخلوا الفلاحين على النسوان ، وجرت على اهل البلاد خطف ونهب وصعوبات كثيرة شديدة ، وكان يوم خروج الملك الناصر ليلة الجمعة منتصف صفر . وفي ذلك النهار يقوك المؤرخ ان انقضت مملكة الناصر صاحب دمشق وحلب والجزيرة .

وايضاً في تـــلك الليلة مضى الملك الاشرف مظفر الدين موسى صاحب حماة بحريمه واولاده وامواله ، ووصلت مفاتيح حمــــاة الى هولاكو وهو في حلب فلم راد (يرد) يتملك لها . وايضاً اكابر دمشق واعيانها اتفقوا على تسليم دمشق، فسيّر هولاكو نائبه وجماعة من التتر اليهم واوصاهم ان يحسنوا الى اهلها ولا يعترضوا لأحد من اهلها في مـــا هو قيمته درهم الفرد ، وتلقاهم اكابر دمشق ومعهم مفاتيح دمشق فارسلوها الى هولاكو . وامـــا قلعة دمشق فعصت فحاصرتها (انتهت ص ٦٠ وجه) التتر والّجوا عليها ورموها بعشرين منجنيق على برج الطارمة ، فتشقق البرج ، فطلبوا اهلها الامان ونزلوا وسكنها نائب التتر .

ثم انه بلغ هولاكو ان اخواه قيلاي واربيكا تقاتلا بالقانية في بعضهم بعض ، وان قيلاي كان كسر اخاه الصغير ، فعاد هولاكو من حلب الى العجم وارسل كتبوغا ومعه جيش الى دمشق والشام ؛ فملك كتبوغا قلعـــة بعلبك واخذوا نابلس وغيرها بالسيف وقتلوا العاصيين . فلما بلغ ذلك الملك الناصر والامراء الذين كانوا معه بغزة ينتظرون النجدة من مصر ، فحملهم الخوف الى ان دخلوا الرمل ووصلوا الى قطيا، ومن هناك بعث الناصر زوجته واولاده وجواريه ومن معهم الى مصر . فلـــا سمع قطز صاحب مصر بدخول الملك الناصر وعسكره الى الرمل ، توهّم انهـا مكيدة وحيلة ليملك على مصر . وخاف الملك الناصر ان يمسكه قطز ، فسار مع اخيه الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركوه وغيرهم الى جهة تيه بني اسرائيل. فاستولوا التتر على غزة وسائر بلاد الشام واخربوا قلعة بعلبك وقلعة عجلون ، واستقرت شحاينهم في هذه البلاد باسرها مـــا خلا بلاد الفرنج فلم يعترضوا لهم بشيء ، لانهم كانوا بعثوا لهولاكو تحفاً وخدم وغيرها ، فأمّنهم وامرهم بهدم جميع السوار والقلعات الذين بيدهم . فلم يهدموا شيئاً وانتشر دين النصرانية ببلاد الشام، ورفعوا الصليب بدمشق ، والزموا الناس بالقيام للصليب من... ونقضوا العهد ونادوا: ظهر الدين الصحيح ، دين السيد المسيح .

واما الملك الناصر (فقد) عرف بموضعه كتبوغا ، فأرسل قبض عليه وارسله الي هولاكو ملك التتر ، فقبله هولاكو واكرمه واوعده بالردة الى مملكته . ثم ان السلطان المظفر قطز صاحب مصر جمع العساكر المصرية وممن وصل اليه من عساكر الشام وما اجتمع اليه من التراكمين والشهرزورية لقتـــال التتر ، فساروا بهـم من مصر في اوايل رمضان . وخرج الى لقاه كتبوغا بعسكره وتقارب الجمعان

في الغور على عين جالوت من ارض كنعان ، قريباً من بيسان . فتقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم التتر هزيمةً قبيحة ، وقتل كتبوغا وعساكره واستأسر ابنه ، وتعلق (اي صعد) الذي سلم من التتر بروس الجبال فتبعهم العسكر وافنوهم ، والذين هربوا الى الشرق تبعهم بيبرس البندقداري ، فقتل الذي قتل ، والباقي اسرهم ، ولم يجري على التتر من حين خرجوا من بلاد الشرق الجواني نوبة مثلها[1] ويقال انه كان مع عسكرهم نحو ثلاث ماية طبلجانة ، فلم يسمع لها حسّ لعظم حسّ الضرب بالسلاح وصرخات الرجال وصهيل الخيل .

ومسك الملك قطز الملك سعيد عن العزيز صاحب الصبيبة وبانياس وقتل توارنشاه الذي كان نايب حلب وهو آخر أولاد الملك الناصر وامر بضرب عنقه ، ثم مسك الملك الاشرف موسى صاحب حماة فاكرمه وانعم عليه واقرّه على حمص ومصافاتها ، واحسن الى صاحب حماة واقرّه ايضاً على حماة وبارين والمعرة ، ثم سار إلى دمشق فقتل من كان التمّ على التتر ، وثار العوام على النصارى بدمشق فقتلوا منهم جماعة كثيرة ونهبوا دورهم وذخائرهم ، وخرّبوا الفدارات ، وأحرقوا كنيسة السيدة مريم وخربوا بقيــة الكنائس في أواخر رمضان . وكانت مدة استيلاء التتر على دمشق وبلاد الشام نحو ثمانية اشهر ، وملك جميع الشامات من الفرات إلى حدود مصر .

ولما بلغ ذلك هولاكو ، أمر بقتل الملك الناصر ، فربطوا بالحبال اربعة أشجار عوالي حتى التقت رؤوسهم الى بعضها بعض ، وعلّقوا الناصر بأربعة اطرافه في اعلا الاشجار الاربعة ، وقطعوا الحبال فطارت كل شجرة بقطعة منه ، ومات الملك الناصر الذي بشجاعته

---

١) هنا انتهت ص ٦٠ قفا ، ونقرأ على الهامش يدل هذه الاسطر العشرة المكتوبة في متن الكتاب ، ١٢ سطراً مشطوباً عليها بخطوط عمودية للدلالة على تركها وعدم صوابيتها.

وحلمه وكرمه وعدله حكم دمشق والجزيرة وبلدانهم ، وكانت مـدة ملكته بحلب والشام ثلاثة وعشرين سنة وسبعة اشهر ، ومن جملتها على دمشق نحو عشر سنين ودالت بعده مملكة الايوبيين ودولتهم من مصر والشام .

وقيل أن سبب كل هذه الامور ودخول التتر هو الخليفة المستعصم بالله . لأنه كانت تصدر منه امور لا تناسب منصب الخلافة ولا تتخلق بها الخلفاء قباله . وذلك ان هولاكو ملك التتر كان طلب أن يزوّج ابنته لابن المستعصم فلم يشأ الخليفة بذلك . ومن الاتفاقات العجيبة ان بني أمية اولهم معاوية وآخرهم معاوية ، وآل ابي العاص

أولهم مروان وآخرهم مروان ، وخلفاء بني العباس في العراق أولهم وآخرهم اسمه عبدالله . وكذلك الفاطميون أولهم وآخرهم أيضاً عبدالله . واول ملوك بني ايوب تسمّى صلاح الدين يوسف وآخرهم صلاح الدين يوسف .

واما الملك المظفر قطز ، لما ظفر بالتتر الذي كان انتصر من ملوك الترك والصقالبة ، وملوك خوارزم وكيلان ، ومـــلوك فارس وخراسان وملوك الروم وأصبهان وملوك الجبال وسلطان العراقـين وبغداد ، وملوك الجزيرة والموصل وحلب ، مهّد امور الشام ، فرتّب بدمشق واعمالها الامير عـلم الدين سنجر الحلبي الصالحي وسيّر الى حلب بن صاحب الموصل نايب المملكة وولّا في البلاد الولاة والنواب والمشيرين ، فعاد إلى الديار المصرية . ولما كان بالغرابي وثب عليـه بكتوت الجوكنداري المغربي فضربه بسيف حلّ كتفه ورماه بهادر المعزي بسهم فقضى عليه ، وكان الملك المظفّر قطز شاباً اشقر بطلاً شجاعاً محباً الى الرعية ، فطل (قتـل) في سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة ، وكانت مـدة مملكته أحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوم (ص ٦١ وجه) ، وتسلطن بعده ركن الدين بيبرس البندقداري

الصالح ، فتلقب اولاً بالقاهر ثم بالملك الظاهر ، وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية في ذي القعدة .

وفي هـــذه السنة في العشر الآخر من ذي القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبي نايب السلطنة بدمشق في عمارة قلعة دمشق وعمل بها الصنّاع وخبراء الدولة والناس حتى النساء ايضاً . وكان عنـــدهم بذلك سرور عظيم . وجمع سنجر الناس وحلّفهم لنفسه بالسلطنة وتلقّب بالملك المجاهد وخطب له بدمشق وضربت باسمـه السكة . واما صاحب حمـــاة فلم يجيبه بذلك قائلاً : انا مع من تملك بمصر .

وفي هذه السنة ايضاً قبض العسكر على الملك السعيد الذي كان اقرّه قطز نايباً بحلب لموضع فساده حتى ملكت التتر حلب .

٤ً ــ هزيمة التتر ، ومبايعة المستنصر بالخلافة ، ولقبه الزرانيني ، الحاكم بامر الله : سنة تسعة وخمسين وستماية (للهجرة الموافقة لسنة ١٢٦٠م) اجتمعت عساكر التتر ووصلت حتى الى قرب حماة فخرج اليهم صاحب حماة والاشرف صاحب حمص بعزايم شديدة وظفروا بهم وقتلوا منهم واسروا . وفي هذه السنة جهّز الملك الظاهر بيبرس عسكراً مع علاي الدين البندقداري وهو كان استــاذ الملك الظاهر لقتال سنجر الحلبي صاحب دمشق ، فتواقعوا بظاهر دمشق في ثالث عشر صفر وحاصروه ، فهرب الى قلعة بعلبك وعصي بها ، فحاصروه فيها عسكر الظاهر واخذوه معتقلاً الى مصر مدة زمان ثم أطلقه. واستقرّت دمشق للملك الظاهر ، واقيمت له الخطبة بدمشق وحماة وحلب وحمص وغيرهـــا ، واستقرّ ايدكين البندقداري الصالح في دمشق لتدبير امورها .

وفي ثامن شهر رجب من هذه السنة قدم الى مصر عرب العراق برجل اسود اللون اسمه احمد ، وشهدوا له انه ابن الظاهر لدين الله محمد بن الناصر ، فيكون عم المستعصم بالله ، وكان محبوساً ببغداد مع جماعته من بني العباس . فلما ملكت التتر بغداد اطلقوه وسار الى مصر مع جماعته من بني مهراش وهم عشرة امراء ، فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والامراء والوزير والشهود والرؤساء والقرّاء والمؤذنين والاعيان واليهود بالتوراة والنصارى بالانجيل . ويوم الاثنين ثالث عشر الشهر جلس الخليفة والسلطان في الايوان بقلعة الجبل وقرىء نسب الخليفة على قاضي القضاة وتاج دين الاسلام وشهد عنه واسجل عليه بذلك وبويع بحضرة السلطان والقضاة والامراء والناس على طبقاتهم ، وركب[1] من يومه وشق القاهرة في وجوه الدولة واعيانها ، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني عباس ، وأول من بايعه قاضي القضاة عبد الوهّاب بعدما ثبت نسبه عنده . ثم بايعه الملك الظاهر ، ثم الوزراء والامراء والاعيان واهل الحلّ والعهد . وثبت المسلمون ثلاث سنين ونصف بغير خليفة من حين قتل ابن اخيه المستعصم وتلقّب المستنصر باسم اخيه المستنصر ابو جعفر المنصور ، وكانت العامة تلقّبه الزرانيفي .

وفي مستهل شعبان نصب خيمة ظاهر القاهرة وقدم الخليفة بتفصيل خلعه : سورة وطوق وقيد من ذهب وقلّد بالسلطنة الملك الظاهر في حضرة الوزراء والقضاء والامراء ووجوه الدولة والشهود ، وقرأ التقليد فخر الدين ابراهيم بن لقمان على منبر نصّب له ، ثم دخلوا من باب النصر وكان يوماً مشهوداً . ثم ان الخليفة قصد التوجه الى

---

١) انتهت ورقة ٦١ وابتدأت صفحة ٦٢ وجهاً . انظر عن هذه التواريخ ابن الحريري ، والعزر الحسان ، وتاريخ هرتل في المواضع المذكورة اعلاه .

بغداد ، فرتّب له السلطان حاشيةً تليق به ومماليك وامراء وعسكر وخزانة كأعظم ملكاً يكون من دوادار واستاذدار ووزير وكاتب وخدم ومؤذن وسلاحاً وخيلاً وبغالاً وجمالاً ، وتوجّه معه السلطان الى الشام ، ومن هناك قصد الخليفة بغداد ومعه اولاد صاحب الموصل وعسكراً ليتولي عليها ، فاستولى على الرحبة وعانه والحديثة وبايعوه. ولما قرب الى بغداد خرج قرابغا مقدم عسكر بغداد وبهارد الخوارزمي بخمسة آلاف من المغل فانكسر بهارد . ثم وصل اليه التتر فقتلوه وقتلوا غالب اصحابه ونهبوا ما معهم . وكانت مدة خلافته خمسة اشهر وعشرون يوماً . وسنة سس بويع بالخلافة بعده الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد من نسابة المسترشد[1] .

ه‍ّ ــ خلافة الحاكم بأمر الله . تملك الظاهر بلاد البيره والكرك، مولود عجيب . وفاة مؤلف تاريخ حلب ، سنـــة ستين وستماية

(هج الموافقة لسنة ١٢٦١) في السابع والعشرين من ربيع الاخرى قدم الى مصر ابو العباس احمد ، واحتفل الملك الظاهر بلقائه وانزله بالبرج الكبير داخل القلعة ، وبويع له بالخلافة وتكنّى بالحاكم بأمر الله بحضرة السلطان واعيان الناس . وقيـل ان المبايعة كانت يوم الخميس تاسع المحرّم ، سنة احد وستين وستماية ، واقام بمصر مـــدة حياته وهو الثاني من الخلفاء بالديار المصرية ، والتاسع والثلاثين من الخلفاء العباسيين .

وفيها (اي السنة المذكورة) ملـك الملك الظاهر البيره وتسلّم

---

[1]) هنا هـذه العبارة الأخيرة مشوهة المعنى والتركيب ، ولذا شطبها مؤلفها الدرعي واعادها بالحال التالية في المقطع الجديد ، نقلاً عن ابن الحريري وغيره كما سنرى . وسنة سس هي ٦٦٠ هج.

الكرك من الملك المغيث واعطاه عوضها خــبز ماية فارس بمصر ثم بعد مدة اعدمه .

وفيها (السنة) أقدم بين يدي الملك الظاهر مولود من العجايب وهو مايت وله رأسان واربعة اعين واربعة ايادي واربعة ارجل ، فأمر بدفنه .

وفيهـــا (السنة المذكورة) توفي كمال الدين المعروف بابن العديم (الذي) ألّف تاريخ حلب (وهنا انتهت ص ٦٢ وجه) .

٦ – هدم كنيسة الناصرة ، فتح قيسارية وارسوف ، تنصيب الملك السعيد سلطاناً على مصر : سنة واحد وستين وستماية (هج الموافقة لسنة ١٢٦٢ م) هدم الملك الظاهر كنيسة الناصرة ، واغار على عكا وبلادها ، فاخربوا البرج الذي كان خارج البلد فغنم [غنائم كثيرة] وعاد .

وفي سنة ثلاثة وستين وستماية (الموافقة لعام ١٢٦٤ م) سار الملك الظاهر من الديار المصرية الى جهاد الفرنج بالساحل ، فنازل قيسارية الشام وفتحها وهدمها في تاسع جمادى الاول ، ونازل ارسوف وفتحها في جمادى الثاني – وفيهـا سلطن الملك الظاهر ولده الملك السعيد واركبه بابهة .

٧ – غزوة الملك الظاهر للشام وتوابعها ثم لبــــلاد الروم ، وسقوطه عن الفرس . وفاة صاحب المغل ، نكبة قارا[١] : سنة أربعة وستين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٦٥ م) خرج الملـــك

١) انظر ابن الحريري في الموضع نفسه ، ص ١٦١ .

الظاهر بعساكره إلى الشام ، وجهّز عسكراً الى ساحل طرابلوس ففتحوا القليعات وعرقا ، ونزل الملك على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ، وكان اكثر القتل والجراح في المسلمين ، ففتحها في تاسع عشر شعبان وقتل اهلها عن آخرهم . وكانت مدة حصاره الفرنج بها اربعين يوماً .

(ونقرأ على الهامش) : في اده من بلاد البترون في هذه السنة انمج لليونان (اي سنة ١٢٦٢م) بعدما تعمّرت كنيسة مار سابا، كانوا يصوّروا في حيطانها وبطّلوا من جور العساكر (انتهى الهامش).

ثم جرّد العساكر الى بلاد الارمن ، وكان مقدماً عليهم الملك المنصور صاحب حماة ، فداست العساكر الاسلامية بلاد سيس ، وعادوا بغنائم كثيرة . ولما همّ الملك الظاهر بالرجوع الى مصر على الكرك ، قنطر به فرسه وانكسرت فخذه عند بركة زيزا وعرج منها . ثم انه أمر الملك بنهب قارا واستباحها العسكر وهي بين دمشق وحمص ، لأنهم كانوا نصارى وكانوا يسرقوا المسلمين ، وفي الخفية يبيعونهم للفرنج ، فقتل منهم جماعةً ، وأخذت صبيانهم مماليك، وتربوا بين الترك في مصر ، وصار منهم اجناد وامراء ، وكان عدد المسبيين الف نفس .

وفيها (أي السنة) توفي صاحب المغل هولاكو بن جنكزخان، وهو الذي اباد الامم بفارس وخراسان والريّ واصبهان وقمّ وقاشان والعراق وبغداد والموصل والجزيرة وديار بكر وحلب ، وكان نصراني ذا صطوة (أي سطوة) شديدة وهيبةٍ عظيمة وحزم وخبرة بالحروب ومات بمدينة مراغه بعلة الصرع ، وقام في الملك بعده ابنه إبغا (بالغيم) .

٨ً – وفاة شهاب الدين احمد ابو شامه المقدمي : سنـــة خمسة وستين وستماية (للهجرة التي توافق سنة ١٢٦٥ م) توفي الشيخ شهاب الدين احمـد ابو شامه المقدمي ، وكان عالم دمشق وشيخها ، وله جملة تصانيف . (وهنا انتهت صفحة ٦٢ قفا) .

٩ً – فتح الملك الظاهر يافا وحصن الشقيف وطرابلس وانطاكية وقطع الماء عن المدينة : سنة ستة وستين وستماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٢٦٧ م) فتح الملك الظاهر يافا (في سبعة من اذار) وهدمها وهدم قلعتها ، وملك الباشوره بالسيف ، وفي ثامن عشر رجب ، ثم سار قاصداً قلعة الشقيف ونزل تحتها بوادي العواميد وحاصرها فوجدها منيعةً حصينةً جداً ، ثم رحل إلى اعلاها فلم يقدر عليها. ويقول ابن الحريري انه كشف على مائها . فلما كان الليل وأهـل القلعة نيام ، ذبح في المـاء عدة من الغنم والبقر ورما الكروب في الماء وقطعه (حتى انتن) . فلما اصبح وجدوا ماءهم منتن وهو دم غبيط ، فسلّموا بعد حصار عشرة ايام .

ويقول ابن سباط ان بعد حصار عشرة ايام ظفر الملك الظاهر بكتاب من الفرنج الذين بعكا متوجه الى النواب في الشقيف يعلمهم وينبهم على اماكن يخاف على الحصن منها ، فكتب فيه الى الكندور ويأمره ان احتاج الى دراهم يأخذ من فلان ، وسمّا شخصاً كان اسمه في الكتاب ، وتحيّل في وصول الكتابين اليهما . فلما وقفوا عـلى الكتابين اختلفوا ، وألجام الخلق الى ان كتبوا للملك الظاهر بتسليم الحصن ولا يقتل احداً منهم ، فتسلما يوم الاحد وهو تاسع وعشرين شهر رجب . فوجد فيه اربعماية وثمانين رجلا واثنين وعشرين اخاً. فاركبهم الجمال الى صور وأرسل معهم من يحفظهم خوفاً ممن يؤذيهم.

ثم ارسل اثقال الحصن الى دمشق ورتّب عليها بعض ناس وتسمّى هذا الحصن الشقيف تيرون وهو اسم الرجل الذي بنـــاه ، وهي شرقي صيدا بينها وبـين دمشق ، بعضها عماره وبعضها في الشقيف وهي حصينة جداً ، وبنا برجاً على باب القلعة ، وبالقرب منها على بعد خمس فراسخ قلعة أرنون وهي ايضاً حصينة جداً .

ثم اغار السلطان على بلاد طرابلس ، شنّ عليها الغارات وقطع اشجارها وغوّر انهارها واخرب قراها . وحاصر حصن الاكراد ، وسار إلى انطاكية بغتةً ونازلها في مستهل رمضان ، وزحفت العساكر على انطاكية وافتتحها في اربعـة أيام يوم السبت بالسيف . فقتلوا اهلها وسبوا دراريهم وغنموا منها اموال جليلة ، وكانت انطاكية البرنس بيمند ابن بيمند وله معها طرابلس . وكان البرنس مقيم في طرابلس لما فتحت أنطاكية وحصّر من قتل بانطاكية هذه المرة اربعين الف وانيف واطلق الاسرى الذين كانوا بها . ثم أخذ بغراس بالامان (١) .

١٠ – فتح الملك الظاهر حصون الاسماعيلية وعسقلان ودمشق وغيرها وانكسر في قبرص ، سنة ثمانية وستين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٦٩م) فتح الملك الظاهر الحصون الاسمعيلية ، وهي الكهف والقدموس والمنيفة والقليمـة ، وأمّر على الاسمعيلية نجم الدين حسن ابن المشعراني (حرف غ) وقرّر عليه (ان) يحمل في كل عـام

١) كما جـاء في تاريخ ابن الحريري في الموضع المذكور . وذكر المعلم رشيد الشرتوني في تاريخ الازمنة ص ١١٢ بالحاشية عن حصن الاكراد السالف الذكر ما يلي : «هو حصن منيع على الجبل الذي مقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص ، وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الاكراد طليعةً بينه وبـين الفرنج واجرى لهم ارزاقاً فتدبروها وجعلوا يحصنونه الى ان صار قلعةً حصينة ، فباعوه من الافرنج ورجعوا الى بلادهم وملكه الافرنج . »

ماية الف درهم . والمشغراني نسبة الى مشغرة وهي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه ، وهي بسفح جبل لبنان بين صيدا ودمشق (كما قال الحريري ص ١٦٢) .

وفي سنة تسعة وستين وستماية (هج) اخذ الملك الظاهر حصون الاكراد بالسيف . وفيها جهّز المراكب لفتح قبرس ، فتكرست في مرسى اللامسون واسر الفرنج من كان في المراكب .

وفيها (اي السنة) وجّه إلى عسقلان في شهر صفر ، فهـدم سورها ووجد فيها كوزان ملآنان ذهب . وملك حصون عكار . ونزل الى طرابلس وصالحه صاحبها على اشياء تقرّرت بينهما ، وعقد الصلح عشر سنين .

وفيها ايضاً يوم الاحد اثنيعشر شوال وصل الى دمشق سيـل عظيم أخرب كثيراً من العمائر . فغلق البلد هذا السيل واخذ البيوت والدواب والاموال وارتفع حتى بلغ احد عشر ذراع ، ودخل من بلاد الفراديس ، وكان ذلك في ايام التوت وشدة الحر ، والشمس طالعة .

١١ – **السلطان يخيّم في الشام ويهادن الفرنج** : سنة سبعون وستماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٢٧١م) جاء السلطان (بيبرس) بالعساكر الى الشام وخيّم بين قيسارية وارسوف . فخرجت اليه الرسل يطلبون منه الموادعة والصلح . وتقرّرت الهدنة مدة عشر سنين وعشر شهور وعشرة ايام وعشر ساعات . وعادوا الى مصر بستة ايام ثبت فيها خمسة ايام ورجع الى دمشق في خمسة أيام[١] .

١) طالع ابن العبري في الموضع نفسه ، ص ٥٠٠ .

١٢ – السلطان بيبرس يهزم التتر ويفتح الحصون والمدن . والبابا غريغوريوس يعقد الجمع في فرنسا لأجل النجدة المقدسة :

سنة ثلاثة وسبعين وستماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٢٧٤ م) دفوع كثيره (من) التتر يخضخضوا ببلاد الشام ويكاتبوا الملك ليكون تحت طاعتهم . وعندما كانوا نزلوا في هذه السنة للبيره ، توجّه السلطان الى جهة البيره قاتل التتر وكسرهم وغزا سيس ، وفتح اياس وادنه والمصّيصه ، وفتح حصن القصير ، وهو بين حارم وأنطاكية .

(وعلى الهامش) : في سنة ارعد (التي توافق سنة ١٢٧٤ م) ، امر البابا غريغوريوس العاشر بعقد الجمع الثاني في مدينة لوغدون (ليون) من بلاد فرنسا لأجل نجدة ارض القدس . وكان البابا المذكور من جملة الذين سكنوا في بلاد الشام :

V. Historia del Conc. 2, Lugdunensi sub gregorio X. (1)

١٣ – دخول الظاهر الى بلاد الروم ، وظهور كوكب عظيم في السماء ليلاً :

سنة اربعة وسبعين وقيل عه (٧٥) وستماية (الموافقة لعام ١٢٧٦ م) دخل السلطان الملك الظاهر الى بلاد الروم وقاتل التتر وكسرهم وقتل وامر منهم . ثم فتح قيسارية وخُطب له فيها ، وفتح قلونية وانتقل منها . ثم جـاء التتر الى قيسارية فنهبوها ، وقيل ان قتل منها نحو خمساية الف .

وفي سنـة خمسة وسبعين وستماية ظهر كوكب عظيم في ربيع الاول ، الرابعة من الليل ، وكان له شعاع وشرار يتبعه ثلاثة شهاب ، وكان يضيء مثل النهار ،

١) وهنا تنتهي الصفحة ٦٣ قفا ، وينتهي الكلام المكتوب على الهامش مع اسم المرجع.

١٤ – وفاة السلطان الملك الظاهر بيبرس ، وخلفه الملك سعيد بركة : سنة ستة وسبعين وستماية (١٢٧٧م) يقول ابن سباط ان كانت وفاة الملك الظاهر ، وذلك انه بهذه السنة انكسف القمر كسوفاً كلياً، وشاع بين الناس ان ذلك لموت رجل عظيم جليل القدر . فليوزع الملك الظاهر تأويل ذلك الى غيره ، استدعا (فاستدعى) بواحد من اولاد الملوك الايوبيه يقال له الملك القاهر واحضر خمراً مسموماً وامر الساقية وأسقاه للملك القاهر . ثم ان شرب للملك الظاهر ناسياً بذلك المنـــاد من اثر شرب الملك الظاهر فمـات الملك القاهر عقيب ذلك ، وبعد بعض ايام (وذلـك) في تسعة وعشرين من محرّم توفي الملك الظاهر ابو الفتح ركن الدين بيبرس لصالحي النجمي التركي القفجاقي البنداقداري بدمشق بالقصر الابلق جوار الميدان الاخضر يوم الجمعة . وكانت مدة ملكه سبعة عشر سنة وشهرين وعشرة ايام . واخفوا امره واخذوا بالمحفة من دمشق الى القاهرة ووراها السلحدارية وغيرهم من ارباب وظايف الخدمة ومقدم العسكر الامير بدر الدين الخزندار في صدر الموكب وتوهّم ان السلطان مريض فصعدوا المحفة الى القلعة من باب السر ليلاً ، وعند دخولها قبّل الارض الخزندار بدر الدين وطرح عمامته قدام الملك السعيد بن الملك الظاهر وعزّاه في والده ، وبعد العزاء جمع الامراء والمقدمين والجند وحلفوهم للملك السعيد محمد ابو المعالي بركة ، وهو الخامس في الديار المصرية .

وكان الملك الظاهر جليلاً شجاعاً ملـك الديار المصرية والشامية واستولي على النوبة ، وفتح الفتوحات الجليلة بعد استيلاء الفرنج عليها ، ومن ذلك قيسارية وارسوف وصفد وطبريه ويافا والشقيف وانطاكية وبيراس والقصير وحصن الاكراد وحصن عكار والقُرين وصافيتا ومرقية وحلبا . وناصف الافرنج على المرقب وبانياس وانطرسوس وعلى سائر

البلاد ودركوش وبلميش وكفردين ورعبان والمرزبان . والذي صار اليه من ايدي المسلمين : دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصّلت وحمص وتدمر وتل باشر وصهيون وبَلاَطنس وبرزيه وحصون الاسمعيلية وهي الكهوف والقدموس والمنيقه والعليقة والخوابي والرصافة ومصيات والقليعة والكرك والشويك وحلب وشيزر (هنا تنتهي ص ٦٤ وجه) ، والبيره . وكانت حدود مملكته من اقاصي بلاد النوبة الى قاطع الفرات . وبنى في ايام الشامات ما لا يُبنى في ايام الخلفاء المصريين ولا الملوك الايوبيين وغيرهم من الابنية والرباع والخانات والقياسير والدور والاساطيل والمساجد والحمامات وحياض السبيل والاجة والسوار والحصن وفي الخاصة من كان اخربه التتر . وجدّد قبر نوح في الكرك . وموضع كنيسة باشوره وكنيسة انطاكية واقام الجوامع . وقد جمع شمس الدين الذهبي سيرته التي الفّها ابن عبد الظاهر وابن شداد في مجلدين .

(وعلى الهامش نقرأ هذا المقطع :) وفي هذه السنة ارعز ربانية وانفخ يونانية (اعني سنة ١٥٨٨ للاسكندر او سنة ١٢٧٧ للميلاد) كان بنيان دير سيدة ميفوق في ارض ايليج من بلاد البترون . كما هو محرّر فوق عتبة الكنيسة (بالسريانية ومعناها الحرفي) : باسم الله الحي الى الابد انه في سنة ١٥٨٨ من السنين اليونانية تمّ بناء(١) هذا هيكل والدة الله ، صلاتها معنا على ايدي الناس الخطأة داود القسيس ومرقس ويوحنا . وبنيانه شريف وكثير الماء وطيب الهواء وارضه مخصبة ...

---

١) اخذنا هذه الكلمة عن بعض النسخ الاخرى وهي « ܒܢܝܢܐ » ومعناها المسكن او البنيان) وليست هي كما في هذه المخطوطة « ܒܢܝܢܐ » ثم ان النقط في المتن ... تدل على ان الكلمات في النص الاصلي مفقودة بسبب تمزيق الصفحة واعادة اصلاحها بقدر الامكان ، فيجب التنبيه . طالع ابن الحريري ص ١٦٤ وما بعدها ، وانظر تاريخ الازمنة تحقيق المعلم الشرتوني ص ١١٤ .

عليه مقام بطاركة انطاكية وكرسيها ... في يانوح التي في جبة المنيطرة ... نحو ثلاث ماية وثمانية وثلاثين سنة ... في دير ميفوق على يد البطرك ... كما نستدل من التواريخ المذكورة اعلاه .

١٥ً – نكبة بلاد الغرب . الافراج عن المعتقلين ، وغزو سيس من قبل السلطان سعيد : في سنة سبعة وسبعين وستماية (اي ١٢٧٨) أحرق عسكر الشام بلاد الغرب وجبل بيروت ، وذلك ان العساكر والعربان من ولاية بعلبك والبقاعين وصيدا وبيروت توجّهوا الى الغرب من جهة قطب الدين السعدي ، وكان قد استقطع قرية كفرعمّية من امراء الغرب آل تنوخ ، وقُتل في تلك القرية . وذكروا ان الذي قتله هو نجم الدين محمد بن حجي وكان ابوه وقرايبه في السجن من كلام المفسدين عليهم انهم كانوا كاتبوا البرنس الافرنجي صاحب طرابلس لموضع ان غضب عليهم الملك الظاهر وأخذ جمال الدين وزين الدين وسعد الدين امراء تنوخ واعتقلهم بحبس مصر ، وانتهبت ارزاقهم وخطفت حريمهم واولادهم وبقيرهم ، وفي هذه السنة احترقت بلادهم . ثم ان الملك السعيد أمر بخروجهم ورجوع حريمهم واولادهم وفلاحينهم .

وفي ذي الحجة من هذه السنة قدم السلطان الملك السعيد الى دمشق ، وعملت قبات الزينة وجهّز الامير قلاوون بنصف الجيش لغزو سيس .

١٦ً – سنة الاختلافات : خلع السعيد وجلوس سلامش ، خلع أيدمر وجلوس سنقر ، خلع سلامش وجلوس قلاوون . الملك المسعود والملك الكامل : في سنة ثمان وسبعين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٨٩) كانت سنة اختلاف بين طوائف الفرنج ، بين التتر ، بين العرب ، بين الفلاحين وبين الفرنج الذين داخل البحر وبين صاحب طرابلس

وصاحب جبيل والداوية (والاصح : الزاوية) اختلاف عظيم ، وغار بعضهم على بلد بعض في شهر ربيع الاول والآخر وجمادى الاول من هذه السنة . وقتل بينهم جماعة كثيرة . واختلف أيضاً عسكرا الملك السعيد عليه حتى انهم اخلعوه فحصروه في قلعة مصر اياماً وقطعوا المياه عنه ، وعملوا فيه محضراً ثم نزل على حكمهم ، وذلك في ربيع الاول (هنا انتهت ص ٦٤ قفا) وأعطوا الكرك عوض عن الديار المصرية والشامية واستمرّ في الكرك الى ان توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

ثم اقاموا بعد الملك السعيد اخوه الملك العادل بدر الدين سلامش ، وعمره سبع سنين ، وهو السادس من ملوك الترك في الديار المصرية ، وآتابك العسكر الامير سيف الدين قلاوون الصالحي وخطب لهما معاً وضربت السكة باسمها . ثم ان امراء دمشق قبضوا على نائبها عز الدين ايدمر الظاهري (وخلعوه) واقاموا (بدلاً) عنه الامير شمس الدين سنقر الاشقر بنيابة دمشق ، والامير اقوش الشمس نايب حلب .

وبعد ذلك بخمسة اشهر اجتمعت الامراء وخلعوا الملك العادل سلامش من السلطنة في شهر رجب من هـذه السنة ، وسلطنوا عوضه الملك المنصور قلاوون الصالحي الآتابكي ، ودقت الكوسات وزيّنت البلاد ، فاقام بتدبير السلطنه احسن قيام ، وهو السابع من ملوك الترك بالديار المصرية .

وفيها (اي السنة المذكورة) تقرّر على الكرك نجم الدين قضز (اي قطز) بن الملك الظاهر ، ولقّبوه الملك المسعود . واما سنقر الاشقر نايب دمشق (فقد) ركب في ذي الحجة وفي خدمته الامراء وساق من دار السعادة وهجم على القلعة وكان نايبها لاجين المنصوري وجلس

عـــلى تخت الملك ، وحلفوا له الامراء ، وتلقب بالملك الكامل ، ودقّت له البشاير وخطب له بدمشق .

١٧ – انهزام سنقر الاشقر ، وبالرغم عن العفو استنجد بالتتر بقصد الانتقام . البطرك دانيال الحدشيتي ؛ في سنة تسعة وسبعين وستماية هج (الموافقة لعام ١٢٨٠م) السلطان قلاوون جهّز جيشاً من مصر لمحاربــة سنقر الاشقر ومقدمهم علم الدين سنجر ، وجمع سنقر الاشقر اهل البلاد والمسلمين والعربان وقطع ما حول دمشق من الجسور ، وكانوا جمعا كثير ، الا ان اجتمع الفريقان خارج دمشق عند الجسورة ، فانكسر عسكر الشام وانهزم سنقر الاشقر الى حمص ، ومعه امراء العرب ابن مينا وعيسى بن مهنا الحياري . وامــــا عسكر مصر (فقد) دخل القلعة واطمأن الناس ، وقبض على الذين اطاعوا سنقر الاشقر . وجاء مرسوم من السلطان بالصفح عن الكل ، وناب بدمشق بكتوت العلاي ، وبعد شهر جاء التقليد بنيابة دمشق لحسام الدين لاجين .

واستقرّ سنقر الاشقر بقلعة صهيون وما جاورها . ووقع الصلح بينه وبين السلطان قلاوون (على) ان يكون له كفرطاب وانطاكية وفاميه والشغر وبقاس وصهيون وبلاطنس وبرزية وجبــلة واللادقية والسويدية ودركوش ، وان يقيم عليهم ست ماية فارس ، وانتضم (وانبرم) الصلح على ذلك ، ودخل سنقر تحت الطاعة وعفى عنه السلطان . واما سنقر الاشقر (فقد) ارسل (هنا تنتهي ص ٦٥) يستنجد بالتتر وملكهم ابغا . فوردت الاخبار ان التتر قد قصدوا الشام ، فهربت أهل حلب وحماه وحمص والبلدان الشامية الى جهة دمشق وبعلبك ، ولم يتخلّف الا من عجز عن السفر .

(وعلى الهامش) : في سنة انفا رباني (اي ١٥٨١) كان البطريرك دانيال من قرية حدشيت كما يذكر القس حنا الراهب من قرية حجولا في الكتاب عن تكريس الميرون ، وهو مصور في كنيسة مار سركيس حدشيت ، داخل الحائط » .

١٨ – الوقعة العظيمة مع التتر ، ثم توحيد كلمة المسلمين : وفي هذه السنة قدمت التتر الى حلب مع بايدوين بن طوغاي بن هولاكو فقتلوا ونهبوا وسبوا وحرقوا جامع حلب وأفسدوا فساداً كثيراً ، والذين تخلّفوا قصد اكثرهم المغاير والكهوف ، واقاموا التتر بحلب يومين . ولما بلغهم ان الملك قلاوون قد وصل إلى غزة بالعساكر ، عادوا بالغنايم التي كسبوها ، وارتحل السلطان إلى الديار المصرية . ثم انه كتب إلى سنقر الاشقر بالهدنة والاجتماع ضد التتر لئلا تهلك الاسلام ، ويدهموا العدو ، فاتفقوا الى اجتماع الكلمة ، ورُفع العدو عن الشام في يومين[1] .

١٩ – الوقعة العظمى بين ملوك الاسلام والتتر ومقتل ابغا ابن هولاكو التتري . وامطار غزيرة : سنة ثمانون وستماية (للهجرة الموافقة لعام ١٢٨١ م) قدم ابن هولاكو (ابغا) بعسكر ينوف عن ثمانين الف من التتر والكرج والارمن والعجم ، وعدّوا الفرات وتجفّل الخلق . وخرج السلطان قلاوون من الديار المصرية الى روحا من عمل الساحل قبال عكا ، واجتمعت اليه العساكر المصرية والشامية

١) كما ذكر في الدرر الحسان ص ٤٤٩ ، وقد ذكر العلامة الدويهي في مخطوطته الاخرى هنا عن البطريرك دانيال الحدشيتي انه اذ كان في جبة بشراي استمدّ درع التثبيت من البابا نقولا الثالث بمكتوب وان الميرون المقدس يصير من زيت الزيتون ودهن البلسم لا غير .

الى مقاتلة التتر . فجدّد السلطان اولاً الهدنة مع الفرنج ، وانتقل بالعساكر الى شيزر والتقت الجمان بظاهر حمص من جهة الشمال نهار الخميس رابع عشر رجب من هذه السنة . وكان عسكر السلطان يقارب خمسين الف وعسكر التتر ثمانين الف ، وكثر القتل والضرب بين الفريقين ، ودام الحرب إلى بعـد العصر . فطعن حسام الدين لاجين نايب دمشق لابن ملك التـتر (مونيكاتمور) وجرحه فانهزم وانهزمت عساكره وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأهلكوا غالبهم ورجع السلطان منصوراً الى دمشق ، وعاشت العباد بهذا النصر لأنهم كانوا ذاقوا سكرات الموت ، ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وعسكر حلب اليها . والسلطان ولـّى مملوكه شمس الدين قراسنقر نيابة حلب وعادوا الى الديار المصرية .

واما ابغا ابن هولاكو (فقد) مات بهمزان بعد شهرين ، وكان نصراني ، وتملك بعده الملك احمد وكان مسلماً وهو واحد من فرسانه.

(وهنا نقرأ على الهامش هذا المقطع) : « سنة ارفب رباني (اي سنة ١٢٨٢) وانصبح لليونان صارت في جزيرة قبرس امطار زائدة ورجفة حتى تشققوا بعض الجبـال . وثغرت حدود الاراضي . وصارت هوات عميقة وظهرت نبوعا جديدة لم كانت ترى اولاً . ومن زيادة السيل غرق الزرع وهلك كثير من المعاز » .

٢٠ – **حريق في دمشق ، وفاة خلكان** : سنة واحد وثمانون وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٨٢ م) وقع بدمشق حريقـاً عظيم احرق (سوق) اللباديين والكتبين والزجاجين والخواتيين والمرجانيين والقياسير وجميع ما فوق ذلك وتحته وذهبت اموالاً لا تحصى .

وفيهـا توفي شمس الدين احمد بن خلكان البرمكي (وقد) صنـّف

تاريخاً كبير ، وكتاب وفيات الاعيان (كما ذكر ابن الحريري في تاريخه صفحة ١٧٣) .

٢١ - نقرأ على الهامش مـــا يتبع في هذا الصدد عن هجوم العساكر الاسلامية على بلاد بشراي واهدن والحدث وامعان القتل والتخريب والسبي والنهب : سنة ارفج (١٢٨٣ م) مسيحية وانصز (١٥٩٧) يونانية انه في شهر حزيران سارت العساكر الاسلامية إلى فتح جبة بشري ، فصعدوا في وادي حيرونا الى جهة اهدن كما هو محرّر في الشحيمة التي بدير مار آبون وانكتبت بهذه السنة بنفسها في قطين الرواديف التي تحت مزرعة الحدث . فحاصر العسكر اهدن حصاراً شديد في نهار الاربعين بشهر حزيران ، فملكوها ونهبوا وقتلوا وسبوا ، ثم دكّوا الى الارض القلعة التي كانت على الجبل الذي في وسط اهدن . وهدموا الحصن الذي كان على الجبل العالي . ثم انتقلوا الى بقوفا ففتحوها في شهر تموز وقبضوا على اعيانها واحرقوهم كلهم بالبيوت ، وبعد ما نهبوها وسبوا اهلها دكّوها الى الارض[1] .

وفي اثنين وعشرين من شهر عــاب (آب) انتقلوا الى الحدث فدخلوا اهلها الى العاصي وهي مغارة جبلة منيعة ، فثبت عليهـــا الحصار مدة سبع سنين ، ثم في الامان تسلّموا اهلها فأحرقوا امارتها بالنـــار وقتلوا من قتلوا وسبوا النساء والدراري . وذلك كما هو مؤرخ في الشحيمة التي انكتبت في هذه السنة ، وكان قاطن بدير مار يوحنا المعروف بمار آبون المطران ابراهيم الحدثي . وفي الشحيمة

١) راجع كتاب الغرر الحسان في تاريخ هذه السنة ، فقد ذكر المؤلف هذه الواقعة ولكنه لم يذكر شيئاً عن بناء ابن الصبحا لدير حوق ، امـــا صاحب كتاب الاخبار عن الاعيان فقــد ذكر اسباب هــذه الحرب على النصارى في لبنان لانهم انجدوا الفرنج في السواحل ، واكمل الخبر بعد ذلك كما هو هنا .

التي انتسخت من المذكورة اعلاه سنة افيه (١٨١٥) يونانية (اي سنة ١٥٠٤ م) بايام المطران داود الحدثي القاطن بدير سيدة قنوبين . والشحيمتين بعدهما محفوظتان في دير مار آبون المذكور .

وقيل ان البرج الذي كان في حوقا عجز الجيش عن اخذه فاشار اليهم ابن الصبحا من كفرسغاب بجر نبع بشراي وتركيبه عليه ، فملكوه بقوة الماء ودكوه الى الارض . ولأجل ذلك اذنوا لابن الصبحا بلبس باش يانس[1] ابيض وبقية العبيد لخدمته وكان مقوي جداً . ثم انه تاب عن سوء فعله ورجع وعمّر دير حوقا في قرب البرج لسكنة الرهبان . وساقية المـاء صارت من ذلك الوقت الى وقتنا هذا استخدام الديورة في الدور ، أعني نهار الاحد والاثنين والثلاثة لدير قنوبين ، والاربعا لدير حوقا بلوزا ، وبقية الايام لقرية حدشيت ووقوفاتها .

٢٣ – سيول عظيمة في دمشق . وفاة الملك المنصور . وفاة اولاد هولاكو التتري : سنة اثنين وثمانين وستماية (اي ١٢٨٣ م) كان بدمشق سيل عظيم في العشر الاول من شعبان ، طلع الى جسر توما وارتفع على جسر باب الفرج قامة ، واخرب مساكن كثيرة وامات خلقاً كثير من الناس والدواب والجمال ، وذهب اموال كثيرة ، واقتلع الاشجار ، وكان عسكر السلطان سيف الدين قلاوون نازلين بالقرى من بردا ، فهلك من العسكر والخيل والخيم ما لا يحصى .

وسنة ثلاثة وثمانون وستماية هجرية (اي سنة ١٢٨٤م) توفي الملك

١) وجاء في تاريخ الازمنة الذي طبعه الشرتوني ص ، ١١٥ ، ان اذنوا لابن الصبحا بان « يلبس عمامة بيضاء وان تقوم العبيد بخدمته » . نقلاً عن الغرر الحسان في ذكر هذه السنة .

المنصور محمد بن المظفر الايوبي صاحب حماة ، وكانت دولته على حماة اثنين واربعين سنة ، وتملك بعده حماة ابنه الملك المظفر .

وفي هذه السنة توفي احمد بن هولاكو بن تولي بن جنكزخان وكان صاحب خراسان واذربيجان والروم والعراق ، وكان قد اسلم وهو صبي . ولما تسلطن بعد وفاة ابغا ومنكوتمر ولدي هولاكو ، راسل السلطان قلاوون في الصلح . وهو اول من اسلم من التتر ، فقتله ابو غازان بن ارغون ابن ابغا وتملك الملك بعده .

٢٣ – فتح الحصون اللبنانية في المرقب والكرك وفي بلاد حماة :
سنة أربعة وثمانون وستماية (١٢٨٥ م) قدم السلطان قلاوون الى دمشق وجمع العساكر المصرية والشامية وقصد المرقب (في لبنان) وهو في يد الاسبتار الفرنجي في غاية العلو والحصانة (والتحصين). فنصب عليه المناجنيق وأمر الحجارين بنقبه . فطلب اهله الامان ، فأمنهم لئلا يخرّب الحصن ان يتوجهوا بما يقدرون عليه وعلى حمله غير السلاح . وفي تاسع عشر ربيع الاول يوم الجمعة طلعت عليه سناجق السلطان .

وفيها (أي السنة المذكورة) ركب الملك المظفر صاحب حماة بالقلعة والفاشية من السلطان قلاوون ، وحمل الفاشية بين يديه نايب المملكة حُسام الدين طرنطاي[1] (انتهت ص ٦٦ وجه) .

وفي سنة خمسة وثمانين وستماية (اي ١٢٨٦ م) جهّز السلطان عسكراً مع الامير حسام الدين لمنازلة الكرك ، فحاصروها وتسلّموها

---

١) طالع كل هذا الوصف في ابن الحريري (ص ١٧٦) الذي اخذه العلامة الدويهي اساساً لوضع تاريخه هـذا المفصل ، فضـلاً عن الكتب التاريخية الاخرى ، كما قرّرنا في المقدمة والحواشي .

بالامان من صاحبها جمال الدين خضر وبدر الدين سلامه ولدَي الملك الظاهر بيبرس واحسن اليهما . ثم بلغه بعد مدة طويلة عنهما مـا كرهه ، فأمر بحبسهما حتى توفي (توفيا) .

٢٤ – فتح صهيون وبرج البرزّية بالأمان ، وسفر سنقر مكرماً الى مصر . وحسام الدين في اللاذقية : سنة ستة وثمانون وستماية (١٢٨٧ م) قدم حسام الدين طرنطاي الى دمشق نائباً بها ، ثم توجّه لقتال سنقر الاشقر واخذ معـه المناجنيق وآلة الحصار ، وتسلّم حصن برزّية بلا قتال ، وتسلّم صهيون بالأمان واكرم الى صاحبها سنقر الاشقر غاية الاكرام واخذ منه صهيون على شروط التزم بها له طرنطاي وحلف له ودخل مع طرنطاي مكرماً الى مصر واعطاه السلطان بمصر خبز مايه فارس وثبت فيها إلى بعد وفاة مولاه .

واما حسام الدين قبل انه يرجع إلى مصر نازل اللاذقية وحاط بها برجاً كان للفرنج في البحر فتسلّمه بالامان وهدمه .

٢٥ – الهجوم البربري على طرابلس ونزول اهالي كسروان والجرديين الى معاونة اخوانهم : سنة سبعة وثمانين وستماية (١٢٨٧ م) توفي شيخ الاطباء علاء الدين بن النفيس الدمشقي (وقد) اخرج كتاب الموجز في الطب ، وله تصانيف غيره ، توفي في مصر .

وفيها (اي السنة) مات البرنس صاحب طرابلس ، وخرج السلطان قلاوون بالجيوش المصرية واجتمعت اليـه العساكر الشامية ، ونازل طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول ، فنصب عليها المناجنيق الكبار والصغار من جهة الشرق ، واشتدّ عليها الحصار والقتال نحو ثلاثة وثلاثين يوماً حتى فتحها بالسيف ، وقتل عليها خلقاً كثير من

المسلمين ، وقتل السلطان غالب رجاليها ، وسبيت دراريهم ، وغنم العسكر غنائم عظيمة ، ولم ينجوا من الفرنج الا قليل ، فقصدوا الميناء[1] . وبعد ما نهبوا العسكر ، امر السلطان بحريقها وهدمها ودكّها الى الارض ، وهربت الناس من الميناء الى الجزيرة التي عمّر فيها كنيسة سنطماس .

(وعلى الهامش هذه العبارة) : وكان فتح طرابلس نهار الثلاثة في كو (٢٦) من نيسان من شهور سنة ارفط مسيحية (أي عام ١٢٥٩ م) . [وهنا ينتهي الكلام على الهامش] .

ويقول صاحب التاريخ المختصر ابن ايوب كالذي كان حاضراً ، ان اقتحم عسكر الاسلام البحر . عبروا بخيولهم سباحة إلى الجزيرة ، فقتلوا جميع من بها من الرجال ، وغنموا بالمال والنساء والصغار . وكان لطرابلس في ايدي الفرنج مايسة وخمسة وثمانون سنة استولوا عليها سنة ثلاثة وخمسماية في أحد عشر ذي الحجة (تنتهي ص ٦٦ قفا) بعد حصار خمس سنين ، وبقيت في ايديهم الى أوايل هذه السنة ، وبعدما احرقها السلطان وهزمت بُنيت على نصف فرسخ منها وسكنها المسلمون .

(وعلى الهامش) : « ولان الكساروه (اهل كسروان) والجرديين نزلوا الى نجدة الفرنج ، امر حسام الدين لاجين نائب دمشق ان قراسنقر يجمع العساكر الشامية ويزحف بهم الى استئصالهم . ويقول المؤرخ ابن سباط : من جملة المطالعات كتب الى امراء غرب ببيروت الامير جمال الدين حجّي بن محمد التنوخي والى زين الدين ابن علي

---

١) ان السلطان قلاوون كما سترى هو السلطان المنصور سيف الدين ابو المعالي الصالحي النجمي ، وهو السابع من ملوك الترك في الديار المصرية .

انه اذا بلغهما توجّه المقرّ الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرديين يتوجهوا اليه بجموعهما واهويتهما ، وان من نهب امرأة منهم كانت له بجارية ، او صبي كان له مملوكاً ، ومن أحضر منهم راساً فله ديناراً . وان سنقر توجّه لاستئصال شأفتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم وانفسهم » .

٣٦ – الهجوم على عكا . وفاة السلطان قلاوون وتعداد صفاته وفتوحاته . اولاده . جلوس الاشرف على السلطنة : وفي سنة سفح (اي ٦٨٨ هج الموافقة لسنة ١٢٨٩ م) قدم (السلطان) الى عكا وهي في ايدي الفرنج وهم غرباء ، فثاروا بهـا وقتلوا من كان بها من تجار المسلمين . فلما بلغ ذلك السلطان فغضب وتأهب لغزو عكا . وفي سنة تسعة وثمانين وستماية (اي ١٢٩٠ م) خرج السلطان من الديار المصرية بالعساكر المتوافرة الى عزم غزو عـــكا ، فبرز الى مسجد التبر(١) ، فمرض ومات يوم السبت سادس ذي القعدة . وكانت مدة ملكه نحو احد عشر سنة وثلاثة اشهر واياماً ، وخلف ولدين : الملك الاشرف صلاح الدين خليل والملك المنصور سيف الدين قلاوون ابو المعالي الصالحي النجمي ملكاً مهيباً شجاعاً كثير العفو وقليل سفك الدماء ، فتح الفتوحات الجليلة : المرقب وطرابلس ، وكسر جيش التتر على حمص . وجلس في الملك بعده ولده السلطان الملك الاشرف خليل ، وهو الثامن من ملوك الترك بالديار المصرية . وكان جلوسه في سابع ذي القعدة ، وقد فوّض بنيابة السلطنة الى بدر الدين بيدر عوض حسام الدين طرنطاي الذي اهلكه ... وترك اموالاً عظيمة من الذهب الف الف ديناراً ، وستماية الف دينـــار اخذها

---

١) اما في تاريخ الحويري ص ١٧٧ فمكتوب « مسجد النبرز » والمعنى واحد .

السلطان ، وتولى الوزارة شمس الدين محمد بن السلعوس ، وكان قايم بنيابة السلطنة بدمشق حسام الدين لاجين ، وفي حلب قراسنقر .

٢٧ — فتح المسلمون عكا بعد انجلاء الفرنج عنها خوفاً ، فتح صور وصيدا وبيروت وعتليت وانطرسوس وجبيل وكل السواحل ، ثم هجوم المقدمين اللبنانيين على الاسلام وتولي المقدم نقولا على جهات بشراي : سنــــة تسعون وستماية (اي ١٢٩١ م) يقول ابن الحريري (ص ١٧٧) تجهّز الملك الاشرف خليل لغزو عكا ونازلها رابع شهر ربيع الاول بجيوش الاسلام ، وبامم لا يحصى عددهم ، وجدّوا في الحصار واعانهم عسكر قبرس . ثم ايقنوا بالغلبة وشرعوا في الهرب في البحر ، وثبت عليها الفرنج ثباتاً كلياً .

فجاء الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وجابوا معهم من حصن الاكراد المنجنيق العظيم الملقب بالمنصوري ، حمل على ماية عجلة ، ولان كان الامر في اواخر الشتاي قاسوا كثيراً من الامطار والثلوج ، وثبتوا شهراً (انتهت ص ٦٧ وجه) في جرّ العجل من حصن الاكراد الى عكا ، والبعد سفر ثمانية ايام . واجتمعت باقية آلات الحصار والمناجنيق الكبار والصغار ما لم يجتمع إلى غيرها ، وعمل السلطان كوسات عظيمة فكانت ثلاث ماية حمل ، لأن الفرنج كانوا قد تقووا ولم يغلقوا غالب الابواب . وزحف الجيش على عكا سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاول . فانقلبت الارض بضرب الكوسات ، واشتدّ عليها الحصار .

وحين لازق السور المسلمون ، هربت الفرنج إلى البحر ، وطلعت رايات الاسلام ، ونكّست الفرنج ، وبذل السيف مع طلوع الشمس ، وهدمت ابراج عكا واصوارها (وأسوارها) ، وغنمت العساكر

غنائم كثيرة ، وقتلوا الفرنج الذين مسكوهم عن آخرهم ، ولم يفلت الا الذين هربوا بالمراكب . وامر السلطان بهدم المدينة الى الارض ، فدكّت دكاً ، وكان هذا الفتح في تاسع عشر جمادى الآخر . وقد كانت عكا اخذت اولاً سنة سبعة وثمانين واربعمائة . ثم اخذتها الفرنج بالسيف سنة ستة وتسعين واربعمائة . ثم اخذها منهم صلاح الدين يوسف سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة . ثم اخذتها الفرنج ودامت في أيديهم إلى هذه السنة .

فلما بلغت أخبار عكا الى الفرنج الذين في السواحل أخلوا البلد وهربوا ، وكانت البلد حصينة مانعة الى الغاية . فأقبل عليهم الرعب ، وقدمت البشائر على السلطان بأن خرج الفرنج من صور ، فأمر باخلائها وهدمها ، وكان بصور خلقاً كثير من عوام المسلمين ، فلم يقبلوا وأقاموا بها . وكان لصور في الفرنج مدةماية وسبعين سنة . ثم توجّه السلطان الى دمشق مؤيداً منصوراً ، فقبض السلطان عندئذ على حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق ، وولا موضعه علم الدين سنجر الشجاعي ، وقبض ايضاً على ابن جرص فحبسهما .

ثم سارت فرقة من الجيش الى صيدا ، وكان لها قلعتين عظيمتين ، احدهما قبلية والاخره شمالية . وكان لها جزيرة في البحر بالقرب منها ، فدخلتها الاسلام واخربوا المدينة والجزيرة والقلعتين ودكّوهم للارض . ثم اخذ الجيش علم الدين سنجر الشجاعي وتوجّه الى جهة بيروت . فكانوا اهل بيروت متمسكين بهدنة وعملوا حيلة على أمراء الغرب الذين هم ساكنين بالقرب منهم حتى اوقعوهم وقتلوا اكثرهم غدراً ، لموضع ذلك لما قدم سنجر الشجاعي واخذها في آخر رجب ،

وامر أهلهـا مكافأة عمـــا فعلوا بالأمراء المغاورين لهم ، وهدمت اسوارها ودكّت قلعتها ، وكانت حصينة ملمعة جداً[1] .

ثم ان الشجاعي سار الى جبيل وكانت تحت الطاعة فأخرج منها الفرنج وهدمها ودكّ قلعتها (هنا تنتهي ص ٦٨ قفا) . وايضاً اهل عتليت لما نظروا بما صار بعكا وصور ، حملوا الذي يقدروا على حمله وهربوا بالبحر ، وعلقوا النار فيها ، وكان ذلك في مستهل شعبان .

وفي خمسة عشر منه نازل الشجاعي انطرسوس فسلموها الفرنج بالأمان . وفي دولة هذا السلطان خليت بلدان السواحل التي كانت بيد الفرنج ، وخربت عن آخرها من غير قتال ولا تعب ، وكانت حصينة جداً ، وانهزمت الفرنج منها بعدما كانوا أشرفوا على ملك الشام والدار المصرية ، والفرنج البعض منهم لجأوا الى جبل لبنان ، والباقية عادوا إلى بلادهم في المراكب . وفي هذه السنة يقول صاحب التواريخ ابن ... اما جبيل (فقـد) كانت تحت الطاعة فأتاها ابن الشجاعي وطرد منها الفرنج وهدمها ودكّ قلعتها .

واما الاسقف ابن القلاعي يقول في قصة كسروان انه كان متولي عليها الامير حنا الماروني ، فلما نظر الملك حنا انـه قويت قلوب المسلمين بفتح طرابلس ، ومـــات البرنس ، وضعفت الفرنج ، طلب الهدنة من المسلمين ودخلت تحت الطاعة وعملوا عليهم اقطاعاً . ثم انه في هذه السنة هيأ مراكب في الليل واوسقهم من الناس والبهايم الى جزيرة قبرس وبلاد النصارى ، وقبل ما يدخل البحر علق النار في اربعة اقطار جبيل . ثم انه جاء في هذه السنة في اثره العسكر

١) هنا نقرأ على الهامش هـــذه الملاحظة من الدويهي نفسه وهي : « انظر سنة سصه (اي سنة ٦٩٥ للميلاد) عما صار ببيروت » . وقـــد حولوا كنيسة مار يوحنا جامعاً وطرشوا على صورها طيناً بقصد اخفائها وطمس معالمها تماماً .

الاسلامي الى جبيل على غفـلة ، فوجدوا ابواب الصور (السور) منقفلة ، والنـار تتقد في البيوت . فنزل العسكر في اوج المدينـة باطومان (بالاطمئنان) .

فدقّوا اهل الجبال النواقيس وارموا الصوت ورفعوا الصلبان عريانة ، فاجتمعوا ثلاثين مقدم ، ومن جملتهم كان المقدم خالد مقدم مشمش ، وسنان وسليمان أخوه مقدمي ايلج ، وسعاده وسركيس مقدمي لحفد ، وعنتر مقدم العاقوره ، وبنيامين مقدم حردين ورفقتهم المقدمين الاخرين . فأقاموا الفين مقاتل حتى يمسكوا الدرب عند الفيدار ، والفين آخرين عند المدفون ، ونزلوا المقدمين مع ثلاثين الف فوجدوا حميدان قائد عسكر المسلمين في الطريق منفرداً فقتلوه ثم هجموا على العسكر فقتلوهم عن آخرهم ، لأن الذين هربوا وقعوا في يد الذين كانوا مكمنين (كامنين على) الطريق ، وكانت (قد) جاءت المسلمين النجدة من الاكراد فالتقوهم الذين كانوا في الفيدار[1] وقتلوهم ولم يخلص منهم احد ، وقتل في هذه الوقعة بنيامين مقدم حردين فدفنوه عند باب الاركان ، وحزن لأجله العسكر حزناً عظيم ، ولم يدقوا طبول ولا يزعقوا بالبوقات ولا يرفعوا سنجق لفقده . ثم انهم غنموا غنايم عظيمة واخذوا سلاحات القتلى وامتعتهم ، واربعة آلاف فرس ، وعاودوا ليـلا الى البترون ، ومن هناك صعدوا الى معـاد ليقتسموا المغانم على عدد المقدمين . فصار ان عنتر العاقوري اخذه الطمع وشره على اجزاء ارفاقه . واذ لم يعتبر ، فقدّمت به الشكايات الى قدس البطريرك الذي كان ساكن في بلاد البترون ، بدير مـار مارون كفرحي ، واذ لم يطيع ولا يعتبر ، حرمه السيد البطريرك ، وفي اليوم الثالث مات .

---

١) هنا تنتهي ص ٦٨ وجهاً من المخطوطة، وهذه الصفحات كما لا يخفى صعبة القراءة جداً جداً لان الحبر طمث الحروف فما عادت تتميّز اصلاً .

وفي هذه الايام صار أن نقولا مقدم بشري وجد في عقبة يحرونا قوم ... المسلمين ينهبون ويخضخضون الضياع الذين على نهر رشعين ، فنزل اليهم وحده وقتل منهم عشرين نفس ، واذ هو نائماً يقول بن القلاعي ان ظهر له ملاك الرب وامره ينتقم من الذين يزرعون الفساد في جبل لبنان ويهلك نسل سالم المقدم الذي لأجل الطمع اعطى السكنة (اي السكنى) في جبل لبنان للامم الغريبة . فانتبه نقولا المختار واخذ معه أربعة رؤس خيل . . . وتوجّه إلى كفرحي (في البترون) حيث كان السيد البطرك وشعباً كثير مجتمع عنده طالبين منه ان يقيم لهم مقدماً بدل عنتر المحروم[1] . وقبل ان يصل المقدم ، كان الحّ الشعب على السيد البطريرك ان يقيم مقدم راحوط ، طفل مرضع ، قال في السرياني : « عبد نقولا مقدمونونا » ، اعني : اصنع لهم نقولا مقدماً ، واذ يطلب الشعب ويفحص من يكون هذا نقولا ومن اين اصله ، فجاوبهم الطفل الذي انتخبوه كان يعلم من هو وما هو اصله . ولما اصبح ثاني يوم وصول نقولا ومعه المغانم واخبر السيد البطريرك بما كان جرا له وبما قال له ملاك الرب ليلاً ، فرسمه مقدماً وولاّه على جبة بشراي ليكون حافظاً (عليها) من كهف ايطو الى كهف حردين . وجمع المقدم نقولا ليلا اربعين خيال وتوجّه الى جبة بشراي . فلما شاع خبره (انه قاصد بشراي) انهزم الاراطقة من طريقه ، وأدّب الغير الطايعين وهابته المسلمين (المسلمون) ، واهل جبل لبنان تطمّنوا (تنتهي هنا

---

[1]) وجاء هذا الشرح مختصراً في كتاب الدويهي الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني سنة ١٨٩٠ ، ص ١٢٤ كما يلي : « اما عنتر فقصد الطمع على رفقائه ، واذ لم يعتبر ويتعظ حرمه البطريرك فمات في اليوم الثالث ، ثم اجتمعوا ليختاروا مقدماً عوض بنيامين ، فنطق طفل رضيع قائلاً : اقيموا نقولا مقدماً ، فاتفقوا على نقولا المذكور وعهدوا اليه من كهف حردين الى كهف ايطو » .

ص ٦٨ قفا) ، واتخذوا الطاعة والعبادة وعمّرت الديورة والكنايس مدة اربعين سنة التي عاش بها المقدم نقولا .

٢٨ – عمار قلعة حلب والشام بأمر الشجاعي ، اطلاق الاسرى وامر الخليفة الحاكم بغزو بغداد : وفي سنـــة تسعين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٩١ م) عمّر الشجاعي نائب الشام دار قلعة دمشق المظيمة وزخرفها واكملها بسبعة اشهر . وفيها اكمل عمارة قلعـــة حلب التي أخربها الملك هولاكو ملك التتر ، واستمرت خراب نحو ثلاثة وثلاثين سنة . وفيها (اي السنة) أمر الشجاعي نائب دمشق بالتهديد على كل امرأة تلبس طاقية طويلة ام صباغات ، وتخرج بها الى المقابر ، وهكذا كل من اكل حشيشه .

وفيها اطلق السلطان الأشرف خليل أسرى بيروت وكانوا ستماية اسير ، واطلق لاجين وسنقر الاشقر والبيسري وسنقر الطويل وتقصو ، واذن الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي بالركوب على أخذ بغداد من ايادي التتر .

٢٩ – دخول الاشرف الى الشام فحلب وفتحه قلعة الروم بالسيف ، طرد رهبان الفرنج من صهيون ورجوعهم : سنة احد وتسعين وستماية هج (اي ١٢٩١ م) دخل الملك الاشرف خليل الى دمشق ومنها سار الى حلب فدخلها في جمادى الاول . ثم نازل في جمادى الآخره قلعة الروم وجدّ في حصارها شهر وثلاثة أيام وفتحها بالسيف ، واستناب بقلعـة الروم عز الدين الطباغي . ثم عاود الى دمشق وأمر بهدم قلعة الشوبك ، وبعد شهرين رجع الى مصر .

(وعلى الهامش نقرأ) : في سنـة ارصا (أي سنة ١٢٩١ م)

طرد المسلمين رهبان الفرنج من جبل صهيون ، ثم بعد كب (أي ٢٢) يوماً رجعوا اليه[١].

٣٠ – جسر نهر الكلب وسبب تسميته ، والرصد في راس الكلب : سنة اثنين وتسعين (اي ١٢٩٣ م) توفي الامير عزّ الدين سنجر الحلبي وكان من الموصوفين بالشجاعة ، وكان كبير الدولة ، وتسلطن بعد هولاكو ، وتلقب بالملك المجاهد ، وحُبِس دهراً ، ثم اخرجه الملك الاشرف وأنعم عليه .

وفيها (أي السنة) انشأ الجسر على نهر الكلب سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري الناصري كفيل السلطنة بالمملكة الطرابلسية ، وكان الفراغ منه في دخول ربيع الاول وايام الملك المنصور بكر بن السلطان الملك محمد بن قلاوون بالقرب من الجسر الذي اقامه في الوطا منذ الف سنة وانوف دومتيانوس ملك رومية ، وهو الذي قطع الصخورة ونهج الطريق التي تؤدي الى بيروت ، كما هو واضح من التاريخ المنقور على الصخر . وعندما قصد العودة إلى رومية قطع الصخر الذي في الجبل شرقي العاقورة من ناحية قبلة وسلك الدرب الى البقاع الى الدرجة . وتلقَّب النهر بالكلب ، لكون في دولة الكفار كانت اهل الغرب تزحف في المراكب الى سواحل الشام وتغزيها ، فنصبوا قائمة من حجر على هيئة الكلب فوق الجبل القبلي . فمتى كانت تستعد المراكب الى الغزو كان ينبح الرصد ويخبر اهل الساحل بقدومهم . فما زال ذلك مستمراً حتى حكمت بها أهل العرب وزجّوه في البحر[٢] .

١) انظر عن هذه الحوادث ابن الحريري ص ١٧٧ ، وتاريخ بارونيوس ف ٢٣ ص ١١٥ .

٢) راجع حاشية رقم ٢٧ في آخر هذا الكتاب عن هذا المقطع البلبل في بعض معانيه.

ثم انه في سنة اسع (اي ١٦٧٠ للاسكندر ، اعني ١٣٨٩ م) ناس من تجار الفرنج قطعوا راس الكلب وحملوه الى البندقية . (وعلى الهامش : البطرك جبريل من حجولا) . (وهنا تنتهي ص ٦٩) .

٣١ – مقتل الملك الاشرف بن قلاوون وخلفه بيدرا الملك القاهر . بناء جسر نهر الكلب . نواب الملك : سنة ثلاثة وتسعين وستماية (أي ١٢٩٣ م) خرج الى الصيد الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون وليس معه سلاح ولا معه احد سوى امير سكار . فتعامل عليه بَيدرا ولاجين وقتلاه . ثم سمّوا بيدرا الملك القاهر واقبلوا به ليملّكوه ، فحمل عليه كُتبغا بالخاصيّة فقتلوه من الغد ، واختفى لاجين . وكانت مدة دولة السلطان خليل ثلاثة سنين وشهرين . وكان ملكاً مهيباً . . . وجلس على سرير السلطنة بعده أخوه السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد قلاوون في العشر الاوسط من المحرّم .

(وعلى الهامش) : « وفي ايام الملك الناصر محمد ابن قلاوون نشأ الملك سيف الدين ابن الحاج ارقطى كافل السلطنة الجسر الذي كان على نهر الكلب كما هو واضح من تاريخه على صخر » .

وجعل نايبه زين الدين كتبغا ثم ركب في دست السلطنة وزينت البعثة ، وهو التاسع من ملوك التتر بالديار المصرية . وكان الأشرف قد قبض على الذين كانوا سبب قتل الملك العادل . وقتل منهم بهادر رأس النوبة واقوش الموصلي وطرنطاي الساقي واخــذ السلحداريه وغيرهم . وكان بجملتهم لاجين الذي عزله الاشرف عن نيابة دمشق ، وقراسنقر الذي كان نايب حلب . فلمـا نظروا ان قتلوا رفاقهم ، استترا ولم يطلع لهما خبر حتى تسلطن الناصر وولى النيابة كتبغا . فأخذ لهما كتبغا الامان من الناصر وقرّر عليهما القطاعات الجليلة .

٣٢ – خلع الناصر وتسلطن كتبغا . نقص النيل . ملك التتر يدخل في دين الاسلام . البريد الى دمشق وطرائق ايصاله : سنة اربعة وتسعين وستماية (الموافقة ١٢٩٤م) خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة نهار الاربعة تاسع المحرم وجهّزوه الى الكرك ، وتسلطن بدله زين الدين كتبغا التركي المجلي المنصوري وتلقب بالملك العادل وتزيّنت البلاد وخطب له بمصر والشام ونقشت السكة باسمه ، وهو العاشر بالديار المصرية من ملوك الترك الناصر محمد بن قلاوون في قلعة الجبل وحجب الناس عنه .

وفي هذه السنة نقص النيل نقصةً عظيمة وخاف الناس ، وتبعه غلاء واعقبه وباء وفناء عظيم .

وفيها قال ابن الحريري ان دخل دين الاسلام ملك التتر غازان بن ارغون وتلفظ بالشهادتين ، ونثر الذهب واللؤلؤ على رأسه ، وكان يوماً مشهوداً ، وتفشّى الاسلام بالتتر (هنا انتهت ص ٦٩ قفا) .

٣٣ – الغلاء في مصر . كتبغـــا في دمشق فأقيمت له الزين والافراح . البريد بين بيروت ودمشق . ظهور التتر من جديد: وفيها اي سنة سصه هج (اي سنة ٦٩٥ هج) كان القحط المفرط بمصر فبلغ الاردب مايـــة وستين درهماً ، واكلوا الجيف ، وعظم الوباء ، ومـات الخلق في الطريق من الجوع ، وبلغ الخبز بمصر كل خمس واق بالدمشقي بدرهم . وصار الغـلاء بدمشق فبلغت الغرارةماية وخمسين درهماً . ويقال انه أحصي من مات في مصر في شهر صفر مـــا يذوف عن ماية الف . ثم وقع الرخص في جمادى من هذه السنة .

وفيها في ذي القعدة قـــدم السلطان كتبغا إلى دمشق وزينت المدينة لقدومه . وسار جهة حمص فاشترى قرية جوسيّه وهي خراب على درب بعلبك من حمص وعمّرها . ثم عزل نايب الشام آيبـك الحموي وولّى موضعه مملوكه سيف الدين عزلو عزلو .

وقبل هذه السنين ، بأيام ناصر الدين الحسين بن خضر ، استقروا امراء الغرب تسعين فارساً وانقسموا ثلاثة ابدال ، كل شهر بدلاً ثلاثون فارساً يقيم ببيروت يزيك ، وفي انقضاء الشهر يحضر غيرهم . ثم لما فتحت بيروت بأيام الاشرف تجددت له قواعد . ولما خرجت الفرنج من بيروت استقرّت كنيسة مار يوحنا جامعاً ، وطرشوا على صورها طيناً . وجعلوا على بيروت مناظرة البحر ورهجية وحمـام بطاقة مدرج الى دمشق وخيل بريد .

وأما ارباب الايزاك فكانت اجناد حلقة بعلبك تنحدر الى بيروت ابدال ، كل بدل شهراً . ثم جعلوا درب دمشق اربع برد الى الحصين ، والى قريه زبدل والى خان ميسنون ، ومنـه إلى دمشق بريد . ثم قرّروا ايضاً ناراً تصال (تصل) الى دمشق في ليلة واحدة : فجعلوا من ظاهر بيروت ناراً يشعلونها في مكان معلوم فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة ، ومنه الى جبل بوارش ، ومنه الى جبل الصالحية ، ومنه الى قلعة دمشق . فكانت النار للحوادث في الليل ، وحمـــام البطاقة للحوادث في النهار ، والبريد للاخبار وما يتجدّد ، وذلك بسبب فزعهم من الفرنج ان يرجعوا (هنا تنتهي ص ٧٠ الاولى) .

٣٤ — مقتل بتخاص وبكتوت . خلع كتبغا . سلطنة حسام الدين لاجين . المماليك قبجق ومنكوتمر : سنة ستة وتسعين وستماية هج (الموافقة لسنة ١٢٩٦ م) بعدما رجع السلطان كتبغا من حمص الى

دمشق وجلس بدار العدل اخـــذ السفر الى مصر مع حسام الدين لاجين النايب ومعها العسكر ، ولما كانوا سائرين بوادي فحمه ، ركب (وثب) حسام الدين لاجين وقتل بتخاص وبكتوت وكانا جناحي العادل كتبغا . فخاف السلطان على نفسه ولأجل هذا رجع هارباً الى دمشق ومعه خمس مماليك فقط ، وخرج عزلو مملوكه الذي كان نايبه في دمشق الى لقاه وادخله الى قلعة دمشق في آخر المحرّم .

واما حسام الدين لاجين (فقـد) ساق الجيش والخزائن وركب تحت العصايب في دست السلطنـة ، وبايعوه كلهم ودخل الى مصر وزيّنت له ، وبعد ثلاثة عشر يوم وردت الاخبار الى دمشق بسلطنة حسام الدين لاجين . فجمل ذاته العادل كتبغا عن السلطنة . وكتب إلى لاجين طالباً منه الامان وموضعاً شاوي فيه ، فأعطاه صرخد ، فسار اليها الملك العادل كتبغا المنصوري واستقرّ فيها . وأما لاجين فلما هزم الملك العادل كتبغا نزل بدهقلية فاجتمعوا اليـــه الامراء وشرطوا عليـه شروطاً وحلف لهم وبايعوه بالسلطنة وتلقب الملك المنصور ، وهو الاحد عشر من ملوك الترك بالديار المصرية في المحرّم .

فجعل نايبه في دمشق سيف الدين قبجق المنصوري ، وفي مصر مملوكه منكوتمر الحسامي ، وفي حلب مملوكه ايدغدى شقير ، واما الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي كان في قلعة الجبل (فقد) ارسله إلى الكرك .

٣٥ – مقتل الملك المنصور لاجين ، وعودة الملك الناصر محمد قلاوون . وفاة الملك المظفر الايوبي ، ظهور التتر ايضاً : سنـة ثمانية وتسعين وستماية (١٢٩٨ م) وثب جماعـة من المماليك الصغار وقتلوا الملك المنصور حسام الدين لاجين في احـد عشر ربيع الثاني

وهو يلعب بالشطرنج . وقتلوا نايبــه منكوتمر ، وجلس طبجق الاشرف مقدم المماليك بموضع النيابة ، وكانت مدة مملكة لاجين سنتين وثلاثة اشهر . ثم اجتمعت الامراء وقتــلوا طبجق النايب واعادوا الى المـُلك الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي كان بالكرك واستقرّ على ملكه في يوم السبت رابع عشر جمادى الاول . فاتفق مع الامراء على ان يكون سيف الدين سلار نايب السلطنة بمصر ، وفوّض نيابة دمشق إلى جمــال الدين اقوش الافرم ، (كما في الغرر الحسان ص ٤٧٥) . وقلّد الملك المظفّر محمود صاحب حماة ببلاده على عادته .

وصار أن في هذه السنة توفي الملك المظفّر محمود بن المنصور محمد بن المظفر محمود بن المنصور محمد ، بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . وخرجت حماة حين اذلن (اي ذلّ) بيت ايوب ، واعطا السلطان حماة لقراسنقر ، فسار اليهــا من الصبيبة (انتهت ص ٧٠ قفا) . وفي هذه السنة سار الملك الناصر إلى بلاد غزه واقام بها حتى خرجت السنة ، وكان سلار والجاشنكير استاذ الدوران يتغلبان على المملكة . وفيها هرب قبجق وبكتمر السلحدار ولحقــا بقازان ملك التتر ، فأكرمها واعلماه بقتل الســلطان ونايبه واضطراب الامور ، فعوّل على المسير الى بلاد الشام .

٣٦ – قازان يستولي على حلب والشام بعد وقعة الخازندار . هزيمة السلطان قلاوون . التتر في بلاد الشام كلها ثم جلاؤهم عنها :
سنة تسعة وتسعين وستماية (١٢٩٩ م) لمــا سمع قازان ابن ارغون ابن ابغا ملك التتر باختلاف الامراء والعسكر سار بجموع عظيمــة من المغل والكرج والمرتدة وعبر الفرات ، وداس بجموعه بلاد حلب

وحماة ووادي مجمع المروج . وخرج اليه السلطان محمد قلاوون في عساكر مصر والشام والعرب والتركمان . وفي سابع وعشرين من ربيع الاول من هذه السنة ، كان المصاف بوادي الخازندار ، وهي شرقي حمص على ثلاثة فراسخ ، واحاطت بعسكر السلطان التتر وهزموه هزيمة عظيمة ، وتبعهم التتر ايضاً الى ناحية البقاع حتى الى الديار المصرية واستولى قازان ودخلت التتر الى دمشق وغزة والقدس وبلاد الكرك وحكموا على كل الشام ما خلا قلعة دمشق التي حاصروها اشد حصار فقط .

اما الامير سيف الدين ارغواش المنصوري (فقد) اقام بحفظها (اي القلعة) اتم قيام ولم يسلّمها ، ومن حين دخلت التتر دمشق داموا في المصادرة والعسف والظلم ، ونهبوا الصالحية وسبوا أهلها واحرقوا جامع العقبة وما حوله واسروا من الصالحية نحو أربعة آلاف نسمة ، واخذوا من دمشق اموالاً لا تحصى ، وقتلوا من اهلها خلقاً كثير ، وجرى على دمشق ما تعجز الاقلام عن حصره والالسن عن وصفه ، وغلت الاسعار وافتقر الكل ، ودامت التتر اربعة اشهر بالشام . وكان قازان قد رحل من دمشق بالمكاسب والسبي إلى المرج ، وترك قبجق نايباً بها .

واما السلطان محمد قلاوون (فقد) دخل الى مصر مكسوراً ومعه بعض الجيوش المصرية والشامية ، وقد ذهبت اموالهم ومواشيهم وسلاحاتهم وزكتهم واثقالهم ، وتلفت اكثر خيلهم وتضعضعوا وتفرّقوا . ثم ان السلطان فتح بيوت المال وأنفق على الجيش نفقة ما سمع بمثلها قط ، واشتروا خيلاً وسلاحاً وتجمّعت العساكر وخرجوا الى العريش مع السلطان . وكانت الناس بحال شديد وأغلقت

دمشق ، وازدحم الخلق[1] بالقلعة واقتسموها بالشبر ، وهلك خلق كثير من الثلج والغلاء بدمشق وحلب وغيرهما وابيع رطل اللحم بتسع دراهم . ثم انه صار الصلح بين الملك الناصر وبين سلار والجاشنكير . فلما بلغ ذلك التتر أخلوا الشام وساروا الى بلاد الشرقية ، ووصل قبجق وبكتمر والالبكي الى الابواب السلطانية فأحسن عليهم . وولّا سلار على العساكر الشامية حتى أنه قرر أمور الشام ورتّب النواب بدمشق وحلب وغيرهما ، ورتبوا في نيابة حماة كتبغا المنصوري . وعاد سلار والجاشنكير بالعساكر الى الديار المصرية .

---

١) هنا تنتهي ص ٧١ وجهاً وتقرأ في الصفحة التالية وهي ٧١ قفا في مطلعها تقريباً بحرف كبير هذا العنوان ، وقبله وبعده بياض للدلالة على اهميته وهو : « في ذكر الحوادث الكائنة في سنين السبعماية » . وستجعلها فصلاً جديداً هنا كما سترى بعيده .

الفصل التاسع

في ذكر الحوادث الكائنة في سنين السبعماية

١ ــ عودة التتر الى بلاد الشام وعلامات الخراب . النقمة على النصارى واليهود من قبل بعض امراء المغاربة الذاهبين الى مصر : سنة سبعماية هج (١٣٠٠ م) عادت التتر نحو بلاد الشام وعبروا الفرات[١] ، فجفلت عساكر المسلمين ، وخلت بلاد حلب الى حماة ، وداست التتر بلاد سرمين والمعرة وتحزين (او تيزين) والعمق وغيرها ينهبون . فسار السلطان بالعساكر من مصر والشام ووصلت الى العوجا ، واشتدت عليهم الامطار والوحول إلى الغاية ، وعجزت العساكر عن المقام على ذلك الحال فعادوا الى مصر . واما التتر (فقد) ثبتوا نحو ثلاثة اشهر يتنقلون في بلاد حلب ينهبون ويقتلون ويسبون ، ثم عادوا لبلادهم بغنائم كثيرة ، في شهر جمادى الآخر الموافق لآذار من شهور الروم .

---

١ هذا الاسم مكتوب ابداً بالتاء المربوطة ، وقد اصلحناه لانه اسم علم معروف وشائع ولا يحتاج الى اجهاد فكر . اما بلدة سرمين فراجع عنها كلاماً مسهباً في الحواشي المطبوعة في آخر المجلدين السابقين للعلامة الدويهي اللذين نشرناهما في خلال السنة الماضية .

وفي هذه السنة يذكر ابن الحريري (ص ١٩٠) ان قدم الى القاهرة وزير من المغرب بسبب الحجّ ، فاكرموه واحترموه . فتحدّث معهم بسبب اليهود والنصارى ، وقال إنهم في بلادنا هم في غايـــة الذلة ، وانتم نصارى بلادكم ويهودها يلبسون افخر الملابس ويركبون البغلات والخيول المسوّمة ، ويستخدمون في الديوان وأجل المناصب، ويحكمون على رقاب المسلمين ، وان عهد ذمتكم قد انتقص من أول سنة سمّاية للهجرة ، وذكر كلاماً كثيراً بما يشبه ذلك . فأثّر كلامه عند السلطان وارباب الدولة (هنا تنتهي ص ٧١ قفا) .

فلما كان يوم الخميس الكبير ، جمعوا (اي المسلمون) النصارى واليهود ورسموا أن لا يستديموا في الجهات السلطانية ، ولا عنـــد الامراء الاّ ان يسلّموا وان يغيّروا عمائمهم ، فيلبسوا النصارى عمايم زرق ، واليهود عمايم صفر ، والسمرة عمايم حمر ، وعيّدوا النصارى عيداً حزيناً . وكان القايم بذلك الامير ركن الدين الجاشنكير ، ثم أمر بغلق الكنايس بمصر والقاهرة ، وضربوا على ابوابهـا الخشب ، فأسلم منهم جماعة كثيرة . ثم رسم السلطان ان يكتب ذلك في جهة بلاده من دنقلة الى الفرات . واما اهل الاسكندرية فلما وصلهم المرسوم أخربوا عندهم كنيسةً وقيل إنهـــا كانت مستجدة في عهد الاسلام ، وهدموا فيها دوراً كثيرة للنصارى واليهود ، وكانت اعلى من دور المسلمين . ووصل المرسوم الى دمشق وغيرها فقرأوه عليهم ومنعوهم من ركب الخيل والبغال ومن الخدمة والبسوهم الغيار من ذلك اليوم[1] .

٢ – وفاة الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله . سقوط البرد والجراد :

١) طالع ابن الحريري ص ١٩٠ والغرر الحسان في الموضع نفسه .

سنة واحد وسبعمائة هج (١٣٠١ م) توفي الخليفة ابو العباس احمد الملقب الحاكم بأمر الله ، وتدبّر بالولاية بعده ولده **المستكفي بالله** ابو الربيع سليمان ، وهو تمـام الاربعين خليفة من بني عباس ، والثالث منهم بالديار المصرية . وكانت مدة خلافة الحاكم (بأمر الله) اربعين سنة وشهراً . وخطّب لابنه في جمادى الاول .

وفي هذه السنة سقط بماردين برَد على صورة حيـات وعقارب وطيور ورجال وسباع ، وكتب بذلك محضراً ، وثبّت على قاضي ماردين ، ونقل ثبوته الى قاضي حماة . وفيها جاء الجراد الى دمشق ولم يسمع بمثله ، وترك غالب الغوطه عصياً (عصى) مجرّدة ويبست الاشجار الخضراء التي لا تحصى (كما ذكر ابن الحريري في ص ١٩٢) .

٣ ـ فتح ارواد ونزول الفرنج في الدامور . الحملة عـلى كسروان وهزيمة التتر والاعداء على الجرد وكسروان : سنة اثنين وسبعمائة هج (١٣٠٢م) فتحت جزيرة ارواد وهي بقرب انطرشوس وحوصرت يوماً فقتل فيهـا من الفرنج نحو الفين واسروا منهم نحو خمسماية أسير أخذوهم الى دمشق .

وفيها كان نزول الفرنج على الدامور بين صيدا وبيروت ليـلة الاربعاء من جمادى الاول من السنة المذكورة ، وهناك قتل فخرالدين عبد الحميد ابن جمال الدين (هنا انتهت ص ٧٢ وجهاً) حجيّ التنوخي من أمراء الغرب واسروا اخاه شمس‌الدين عبدالله ، فاشتراه ناصر الدين الحسين ابن خضر بثلاثة آلاف دينار صورية (سورية) .

وفيها اجتمعت النواب جمـال الدين اقوش الافرم نايب دمشق ، وسيف الدين أسندمر نايب طرابلس ، وشمس‌الدين سنقر المنصوري ،

وجمعوا جيش الشام الى مقاتلة الجرديين وأهل كسروان . فاجتمعوا مقدمين الجبال وتوابعهم واحاطوا بهم من كل جهـة فهزموهم وقتلوا منهم نفراً كثير وغنموا بأمتعتهم[١] .

وفي هـذه السنة في ثلاثة وعشرين في ذي الحجة زلزلت الارض زلزلةً عظيمة ، وكان لها تأثير زايد بمصر والاسكندرية ، وفي صفد والشام ، وسقطت عمـاير ومـوآذن جوامع ، وثبتت ببعض مواضع بمصر عشرين يوم ، وخرج السلطان من قلعة الجبل ، وطلع البحر الى نصف الاسكندرية ، واخذ كثير من الرجال والجمـال ، وجرفت (المياه) المراكب وسقّطت بمصر دوراً لا تحصى . وثبتت الرجفة في بعض المواضع بالديار المصرية عشر في يوم ، بعدها جاء سبع ليالي...

٤ – الامير سلاح المصري في الشام . وفـاة سلطان العراق وخلافة اخيه محمد . عودة التتر وانكسارهم . وفاة نواب حمص وحماة : سنة ثلاثة وسبعاية هج (١٣٠٣ م) قـدم امير سلاح (من مصر) في ثلاثة آلاف من مصر وسار معه عسكر دمشق وقبجق في عسكر حماة وسندمر في عسكر الساحل ونزلوا على تل حمدون واخذوا منها خلقاً كثير .

وفيها في شهر شوال توفي سلطان العراق قازان ابن أرغون ابن ابغا ابن هولاكو ، وكانت وفاته بقرب همذان مسموماً ، وتملك بعده أخوه كرنبا محمد . وفيها (اي السنة) خرج جراد عظيم وكان قليل الاذى ، الا أن فرخه ارتعى الكرم والصيفي .

---

١) وذكر الدويهي فيما سبق معركة المقدمين مـع العسكر الاسلامي واحسن وصفها وكان المقدمون ثلاثين عداً نزلوا من الجبال الى الساحل وهزموا الاعداء شر هزيمة كما مر، فلا حاجة للاعادة . طالع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، ص ٤٩ وابن الحريري ص١٩٣.

وفي هذه السنة اثنين وسبعماية ، يقول ابن سباط ، عاودت التتر سايرين الى الشام فعبروا الفرات ، والتقوا بعساكر الشام بقرب حماة وصارت قتالات عظيمة بينهم ، وقتل خلق كثير من الفريقين . وكان اكثر الهزيمة على التتر . ثم دخلوا دمشق واشتد القتال عليهم، وبقي البلاد بلا متولي فيه ، والناس رعاع ، وغلي السفر ، وانحصر الناس ، وخرج اللصوص والشلوح ، وانقطعت الدروب ، ومن خرج (كان) يرجع مشلح ام مجروح ، وبقيت الناس في الحيرة . وطلعت على المؤآذن فأخذوا يقولون رأينا سواد من جهـــة المرج وانقطعت الاموال (هنا انتهت ص ٧٢ قفا) وطلع الناس الى الاسطحة ، وضجّ الناس ضجة" عظيمة" ، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم في وجوه التتر ، وصارت وقعـــة عظيمة شديدة عند شقحب خارج دمشق والسيوف تعمل في الارقاب ليلا ونهاراً من عصر السبت إلى الاحد الى الثانية من النهار . فانتقل خلق كثير من الفريقين ، وانهزم التتر فقصدوا التلال والجبال التي هناك بطرق مرج الصفر ، وأحاطت بهم المسلمون وقتلوا منهم مقتلة" عظيمـــة قايدهم والذين قصدوا الهرب وقعوا في الوحل وأسروا ، والذين فرّوا من التتر تبعهم المسلمين الى الفرات ، فغرق البعض في عبور الفرات ، وهلك البعض تعباً وجوعاً ، والذين ساروا الى جهة بغداد اخذ منهم العرب جماعة" كثيرة .

وكانت هذه الوقعة من اعظم الحروب بعد وقعة عـين جالوت (التي اصيب التتر بأعظم المصائب) . ويقال ان في هذه وقعـــة شقحب بظاهر دمشق كان مع العسكر ما ينوف عن ثلاث ماية طبلخانة ... في هذه الوقعة كان مقدم التتر خطلوشاه نايب قازان بحلب ، وكان قازان بحلب ، ولم يرجع اليه من عسكره الا دون الثلث من الحفـاء والجوع والذل الذي لا يوصف . ثم رجع قازان من حلب الى بغداد ، والسلطان وصل الى دمشق ومعـــه الخليفة

مؤيداً منصوراً ردّ السبايا والاموال الى اربابها . ثم عاود إلى مصر ودخل قلعة الجبل في آخر شوال . وفي هذه السنة توفي زين الدين كتبغا نايب حماة ، وايضاً فارس الدين البكتّا نايب السلطنة بحمص (كما جاء في تاريخ ابن الحريري ص ١٩٣) .

٥ – الخلاف بين نائب دمشق والتنوخيين واهل الجرد وكسروان:
سنة أربعة وسبعماية (الموافقة لسنة ١٣٠٤ مسيحية) أرسل أقوش الافرم نايب دمشق الشريف زين الدين بن عدنان الى الجبليين والكسروانيين بسبب الاصلاح (مع التنوخية) ، وانهم يرجعوا الى الطاعة ، ثم ارسل تقي الدين بن التيمية وبصحبته الامير بهاء الدين قراقوش ، فلم يحصل اتفاق . فافتا (فأفتى) العلماء بنهبهم لأنهم فتكوا بجيش الاسلام ولم يرجعوا الى الطاعة ، عند ذلك جرّدت العساكر ، ثم اجتمعت الرجالة من كل بلاد الشام ولم تزل تزتاد (تتزايد) الجموع من كل ناحية إلى سلخ هذه السنة (وهنا انتهت ص ٧٣ الاولى) .

٦ – وقعة الكسروانيين واهل الجرود مع الامير اقوش الافرم نايب دمشق في عين صوفر . اقوال ابن سباط وابن القلاعي وغيرهم :
سنة سبعة وسبعماية (أي سنة ١٣٠٧ م) يقول ابن الحريري وابن سباط (ص ٥٠ لسنة ٧١٠) ان نازل نايب دمشق جمال الدين الافرم بعساكره جبل الجرد وكسروان وفرّقهم وقتلهم واذلهم ونهب أموالهم ، وحرق قرايا كثيرة من كسروان والجرد وشتّت شملهم، وكانوا قد فتكوا بالجيش قبل ذلك ، وافتى العلماء بنهبهم ، لأنهم جهلة وقد فعلوا كل قبيح[1] .

---

١) يقول صاحب الدر المنظوم العلامة مسعد ص٥٢٤ ان اقوش المذكور فتح كسروان من جهتها الشمالية ولذلك دعيت فتوحاً . وانظر عن هذه الفتوحات الدر المنظوم في الموضع نفسه ، واخبار الاعيان ص ٢١١ و ٦٦٩ ، والغرر الحسان في تاريخ هذه السنة.

وحكي ان جماعة منهم هربوا معهم عشرة امراء بحريمهم وأموالهم واولادهم ، واحتموا هناك في مغارة غربي كسروان ، وكانوا اكثر من ثلاث مائة نفر ، فحاموا عن انفسهم بالقتال . فلم يقدر الجيش عليهم ، فبذلوا لهم الامان . فأمر نايب دمشق أن يُبنا (يبنى) على الغار سداً من الحجر والجير ، ففعلوا ذلك وهدموا على باب الغار تلا عظيم من التراب والحجر ، وجعلوا عليهم الامير قطلوبك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً ، فهلكوا داخل الردم وهم فيه على ما قيل الى الآن – قلت وحكى لي مَن أثق بقوله أن في زماننا هـذا الذي كان به بن الحريري : جماعة اجتمعوا واتفقوا على ان يكشفوا الغار ويأخذوا ما فيه ، واتوا الى القرب من الباب للغار فلم يهتدوا اليه لكثرة الاشجار ولم يقدروا على ذلك . والى هذا القول يوافق ايضاً مـا كتب ابن سباط (سنة ٧١٠) في تاريخ هذه السنة : « اعني انه سار أقوش الافرم نايب دمشق بعساكر الشام وغيرها يوم الاثنين ثاني المحرّم الى جبال كسروان وكانوا سكانها عصاة مارقين من الدين . فأحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجّلوا عن خيولهم وصعدوا في تلك الجبال من كل الجهات ، وقيل ان العساكر كانوا نحو خمسين الف فارس وراجل » .

(على الهامش) : ويقال ان امراء البلاد جمعوا عشرة آلاف نفراً ولاقوا العسكر عند عين صوفر وصارت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الكسيرة على الامراء وانهم هربوا بثلاث مائة نفس واحتموا في الغار الذي غربي نيبيه » .

ووصل نايب دمشق اقوش الافرم الى جبـال جرد كسروان ووطئ العسكر ارضاً لم يكن اهلها يظنون ان احداً من خلق الله تعالى يصلي اليها ، فاحتووا على جبالهم واخربوا القرايا وقطعوا كرومها

فتمزّقوا كل ممزّق ، وقتلوا واسروا جميع من بهـــا من الدرزية والكسروانيين وغيرهم من المارقين ، وتطهّرت تلك الجبال منهم ، وهي جبال شاهقة بين دمشق وطرابلس ، وامنت الطريق بعد ذلك وانهم كانوا يقطعوا الطريق ويختطفون المسلمين ويبيعونهم للفرنج ولم يسلم منهم الا القليل (كما ذكر أعلاه) .

ثم يذكر ابن سباط (في الموضع نفسه) ان في هذا الفتوح كانوا حاضرين أمراء الغرب برجالهم ، وقتل منهم الامير نجم الدين محمد ، واخوه الامير شهاب الدين احمد ولديّ الامير جمال الدين محمـــد بن حجيّ بن كرمه بن بحتر التنوخي بقرية نيبيه من كسروان (هنا تنتهي ص ٧٣ قفا) بجاور الغار المذكور ويُعرف بمغارة نيبيه ، وهو فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلانة ، وكانوا الكسروانيين احموا حدودهم من انطلياس إلى قب الياس في حصون وقلع مانعة ، وكان الوسواس بينهم وبين امراء الغرب لأجل الايمان ومجاورة البلدان .

ولموضع ذلك كانوا امراء الغرب ثابتين في الحرب ضد الجرديين ، وقُتل منهم الامير نجم الدين محمد واخوه الامير شهاب الدين احمـــد ولديّ الامير جمال الدين حجيّ ، وغزوا الكساروه بلادهم فأحرقوا منها عين صوفر وشليخ وعين زوينه وبحطوش وغيرهم من بلاد الجرد ، ومن ذلك الزمان خربت بلاد كسروان ، وكان ذو سطوة عظيمة .

ويقول ابن القلاعي ان ثبتت محاصرة المسلمـــين سبع سنين على بلاد كسروان والسيوف والاسهام تلعب من الفريقين ولا احد ينهان . واذ لم يقدروا يتملكوا المسلمين البلاد علقوا فيه النار في أول يوم من شهر حزيران ، ولم تزل النار تلعب فيه مدة اربعة اشهر حتى هلك جميع من فيه اما من حرارة النار وشدة الدخان ، وإمـــا بالسيف لمن يريد يهرب كقوله :

برقوق الملك الطاهر : كتب للنايب والعساكر : جملة تركب
وتحاصر : وتنفق من مـال السلطان . من يقطع من كسروان
شجرة : يأخذ من ماله عشرة . سبع سنين ثبتوا الكفرا : حتى
دخلوا في اطمأن . ولعب السيف بين الفرسان : ولا احد مع رفيقه
ينهان . لأن الغرض كان من الشيطان : ام الحروم اروت برهان .
قريبه لم تساعد اوكار : ولا فارس يخرج من دار . الى ما يصل
اليه العسكر : بذاته يلتقي الفرسان . وطلع الحرب ثمانية شهور :
والدم في الاسواق يوغر . ولا مكسور ولا منصور : قلّت عساكر
السلطان . فزعوا الاسلام من الكسره : نصراني يقتـــل عشرة .
وقبـــل أن تجيهم العشرة : اعطوا بالحرق النيران . ملكت النار
وهبّت الارياح : ثبات مثلله كذلك تصبح : اربعـة اشهر لم تزل
تقدح . من اول يوم في حزيران : بلاد يجنون عشب يابس . سبع
سنين لحيوان ما اندراس ، ولا كان فلاولا دراس . يكدن ابداله
فدان . وقطعوا الاثمار وشجر الغاب . وأعطوا النـار من الاربعة
اجناب . خلصوا الذين في حصن معراب لحم مشوي وأعيان عميان
(انتهت ص ٧٤ قفا) .

وفي ١٨ جمادى الاخرة منها مرّوا بدمشق جمّاله وأقطعوهم جبال الجرديين والكسروانيين ، وهم علاي الدين البعلبكي وسيف الدين بكتمر ، وبدر الدين بكتاش ، وحسام الدين لاجين ، وعز الدين خطاب العراقي وركبوا بالشرابيش ثم توجهوا لأجل عمارة الجبال وحفظ ميناء البحر من جهة بيروت وتلك النواحي .

وفي هذه السنة خمسة وسبعماية هج (أي ١٣٠٥ م) ارسل قراسنقر نايب حلب العساكر إلى بلاد سيس مع قشتمر مملوكه . فدخلهـا وجمع اليه صاحب سيس جموع كثيرة من التتر انضمت اليهم الارمن

والفرنج . فانهزم قشتمر والامراء الذين معه هزيمةً قبيحة ولم يصل الى حلب من العسكر إلا القليل ، والذين وصلوا كانوا عرايا بلا خيل.

وفي هـــذه السنة توقف المطر في الربيع ، ثم وقع ثلج وبرَد وتلف الفواكه ، وتلف دود القز غالبه .

٧ – استقرار التركمان آل عساف في السواحل وذكر حدودهم وجسر المعاملتين . قحط وانحباس المطر حتى يبس مرج بن عامر :

وفي سنة ستة وسبعماية هج (أي مسيحية ١٣٠٦) استقرّوا التركمان في ساحل كسروان[١] ويدركوه ثلاثماية فارس ، وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى مغـارة الاسد والى جسر المعاملتين ، التي تحت أغزير (غزير) على حدود معاملة طرابلس . وكان (وكانوا) يمنعوا من يستنكروه من التعدي في دربند نهر الكلب الا بورقة طريق من المتولي أو من امراء الغرب ، كما يفعلوا على درب مصر . وجعلوا التركمان المذكورين ثلاثة ابدال ، كل بدل شهراً يقيم في الدرك .

(على الهامش) : واما التركمان هم آل عساف الذين اتخذوا السكنة في سواحل كسروان وهم الذين عمّروا في عينطوره واغزير وغيرهم ، وكانت ارزاقهم بقرب نهر الكلب وهم المعروفين بيومنا هذا بالعامرة وزوق الخراب ومصبح ومكايل على اسامي مقدميهم : عامر وخربان ومصبح ومكايل ، وعمّروا عند عين شقيق برجاً ونشوا (انشأوا) بساتين وجنينات عند الجوزات ، وكانوا اهل عساف يطلعوا يصيّفوا هنـــاك » .

---

١) وهم من آل عساف وكان دركهم يبلغ ٣٠٠ فارس وحدودهم من انطلياس الى جسر المعاملتين تحت غزير ، (طالع اخبار الاعيان ص ٢١١ و ٣٤٦ والدر المنظوم ص ٣٤٥ وما بعدها) .

وأما جسر المعاملتين ويتسمّا جسر الدخلة ، قيل ان عمّره سليمان ابن عراب ، وهو الذي عمّر حصن معراب . وفيها (أي السنة) توقف المطر في رمضان واستمرّ الى رمضان الآتي سنة سبعة وسبعماية هج (اي ١٣٠٧ م). فما خرج مطر ولا نبعت عيون ، ولا امطرت في الكوانين ... وخلت حوران ومرج ابن عامر من المطر . ثم بعد ذلك استمر المطر شهرين وخرج الينبوع . ومع ذلك كان الرخص كثير ، وسقع الزرع (اي اصابه الصقيع) بعد خصبه خصباً ولم يعهد مثله ، وسقع دود القز ولم يحصل منه في بعض الاماكن شيء.

٨ — وفاة الامير الغني سيف الدين سلار تاركاً الاموال والجواهر والذخائر ، ومات جوعاً . سنة سبعة وسبعماية يقول ابن الحريري (ص ١٩٤) : توفي الامير سيف الدين سلار بن عبـــدالله الصالحي المنصوري بقلعة الجبل ، وخلّف من الاموال والجواهر ما لم يتركه أحد قبله ، واستخلص السلطان امواله وذخائره ، وقيل انها كانت ثلاث ماية الف الف دينار ، وشيء كثير من الجواهر والحلي والسلاح وغير ذلك . وهذا كان اولاً مملوكاً للملك الصالح بن قلاوون . ولما مات (هنا تنتهي ص ٧٤ قفا) استقر بخدمة والده الملك المنصور قلاوون. ولما مات قلاوون استقر بخدمـة الملك الاشرف كجك واعطاه الله من الاموال ما لا تحصره الاقلام . وذكروا انه كان يدخل له كل يوم من ملكه الف دينـــار ، ومن الضمانات والاقطاعات والحمايات تكملة ماية الف كل يوم ، وكان السلطان أعطاه الكرك والشوبك ونقل اليها ذخاير كثيرة .

فلما عـــاد السلطان الى الملك استحوش من الكرك وحضر الى السلطان بنفسه في جماعة قليلة ، فعاتبه السلطان بسبب حضوره من

غير مرسومه ، ورسم السلطان انه ينزل في بعض الدور وجهزوا له طعاماً . فأبى الاكل واظهر الحرد . فلما عرف السلطان امر بأخذه الى قلعة الجبل وان لا يعودوا يحضروا له شيء من المأكول . فبقي ايام ومات جوعاً بعدما اكل قطعةً من سرموجته ، وفي حواصله فوق الثلاثماية الف اردب . وقال المصنّف : ورأيت بخط الشيخ علم الدين البرزالي ورقة فيها بعض اموال سلار وقت الحوطة على داره في ايام متفرقة : يوم الاحد : زمرد ريحاني وذبياني ١٩ رطلاً ، بلخش رطل ونصف ، صناديق ضمنها جواهر ستة ، لؤلؤ مدور كبار من مثقال الى درهم الف ومايه وخمسون حبة ، ذهب عين مايتين واربعة واربعون الف دينار ، دراهم فضة اربعماية الف وواحد وسبعون الف درهم . يوم الاثنين : ذهب مصري خمسة وخمسون الف دينار ، دراهم فضة الف الف وعشرين الف درهم ، فصوص رطلين ونصف ، مصاغ وعقود واساور وزنود ومراسل وحلق ودمالج ذهب اربعة قناطير ، فضيات وصدوره وطاسات واطباق وطشوط ستة قناطير . يوم الثلاثة : ذهب مصري خمسة واربعون الف دينار ، دراهم فضة ثلاثماية الف وثلاثون الف درهم ، طرقات وبراجم واهلّة وسناجق ثلاث قناطير . يوم الاربعاء : أقبية بفرو قاقم ثلاثماية قبًا ، سروج زركش بذهب ماية سرج ، ووصل صحبته من الشوبك ذهب مصري خمسون الف دينار ، دراهم اربعماية الف ، خلع ملونة ثلاث ماية ، خيل حجوره ثلاثماية ، خيل فحولة خمسماية فحل ، بغال ماية وعشرون قطار ، جمال ماية وعشرين قطار . هذا خارج عن ما وجد له من البغال والخيل والبغال والجمال والاغنام والاملاك والماليك والعبيد والجواري ، ومع هذا كله مات بالجوع .

٩ — سلطنة بيبرس الجاشنكيري المنصوري ومسير محمد قلاوون

الى الكرك ؛ سنة ثمانية وسبعماية هج (الموافقة لسنة ١٣٠٨ م) في رمضان خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز . ولما وصل الى الكرك ، قال لدولته أن سبيله (قصده) على المقام بالكرك وذلك بسبب استيلاء الامراء على المملكة وتجاوزوها الى الحد ، ولم يتركا للسلطان غير الاسم مع ما كان منهم من محاصرة القلعة . وعند دخوله لقلعة الكرك انكسر جسرها فوقع من مماليكه نحو خمسين مملوكاً الى الوادي فمات بعضهم وتهشّم الباقي . واقام السلطان (هنا انتهت ص ٧٥ وجهاً) بالكرك ، وأمر نايبها اشوش (او اقوش) والامراء الذين جاؤوا معه بالمسير الى الديار المصرية ، وجهّز مرسوماً الى مصر يأمرهم باجتماع الكلمة والطاعة .

وبعد ايام جلس الجاشنكير بيبرس على سرير الملك يوم السبت وهو ٢٣ من شوال ، وتلقّب بالملك المظفّر ركن الدين بيبرس الجاشنكيري المنصوري ، وهو الثاني عشر من ملوك الترك بالديار المصرية ، وقلّد الملك الناصر بالكرك ، وخطب له بالقاهرة ومصر وارسل الامراء الى البلاد الشامية لتحلف له .

١٠ ـ السلطان محمد قلاوون في الشام وهرب نايبها الافرم ثم عودته ، وذهاب السلطان الى مصر ، وتعيين النواب وهياج القيسية واليمانيّة ؛ سنة تسعة وسبعماية هج (الموافقة لسنة ١٣٠٩ م) في رجب خرَج السلطان محمد بن قلاوون من الكرك وقصد دمشق ليعود الى السلطنة (اي يستردّها) لما بلغه سلطنة بيبرس . فلما قرب من دمشق هرب نايبها جمال الدين الافرم إلى قلعة شقيف تيرون خوفاً . فتلقاه الامير سيف الدين قَطلوبَك وبهادر وبيبرس العلائي

وبيبرس المجنون وشرعوا في اصلاح العصايب . ثم جـــاء الامان للافرم ، وتسارع الامراء لملاقاة السلطان محمــد بن قلاوون وزيّنت دمشق ، وحصل لأهلها من السرور امراً عظيم ، فدخل الى دمشق قبل الظهر وكان له يوماً عظيم لا يُعبَّر عنه ، ونزل بالقصر الابلق .

وبعد اربعة ايام حضر الافرم فأكرمه السلطان واقرّه على نيابة دمشق ، وقدم نايب حماة قبجاق ، ونايب طرابلس اسن تمر ، ونايب حلب قراسنقر ، فتلقاهم السلطان وخلع عليهم الخلع وردّ جميع من عزله بيبرس الجاشنكير ، وخطب له بجميع مدن الشام ولم يتخلف احــد ، وخرج السلطان من دمشق يوم الثلاثة ثالث رمضان ومعــه القضاة والاكابر والنواب وقصد الديار المصريـــة . فهرب بيبرس الجاشنكير ، وفي عيد الفطر ، وجلس على تخت السلطنة لثالث مرة وضربت البشاير ببلاد السلطان . ثم بعث الافرم الى صرخـــد ، واستنــاب بمصر بكتمر الجوكندار (والاصح : الجاشنكيري) ، وبدمشق قراسنقر المنصوري ، والسلطان بيبرس بصهيون . وكانت مدة سلطنة بيبرس بمصر احـــد عشر شهر . وكان النايب بحلب سيف الدين قبجق المنصوري ، ونايب طرابلس علي تمر الساقي .

وفي هذه السنة هاجت اليمانيّة والقيسيّة بحوران وحشدوا ، وقُتل من الفريقين خلقاً[1] كثير . (وعلى الهامش نقرأ هذه العباره) : « في سنة الف وستماية وواحد وعشرين يونانية (اي ١٣١٠ مسيحية) نزل السكر (اي مصب المياه) قليل ، قبل التاريخ على حد بشراي ، فأضرّ القرية بشراي وجميع بلادها .

١) طالع كتاب الغرر الحسان في تاريخ سنة ٧٠٩ الهجرة ، وفي كتاب مختصر تاريخ لبنان ورد ما يلي : « سنة ١٣٠٩ نزل عسكر في قرية حدشيت وصار منه ضرر عظيم على قرية بشراي وجميع بلادها » (انظر المعلم الشرتوني في تاريخ الازمنة ، ص ١٢٦) .

١١ – المؤيد بحماة . والافرم في طرابلس ، والمنصوري بدمشق ثم اقوش الاشرفي عوضه : سنة عشرة وسبعماية (أي ١٣١٠ م) ناب بحماة عماد الدين اسمعيل الملقب بالمؤيد . وتحوّل الافرم من صرخد الى ناحية طرابلس ، (وهنا انتهت ص ٧٥ قفا). وفي سنة احد عشر وسبعماية (اي ١٣١١ م) تولّى نيابة دمشق كراي المنصوري (بدل: قراسنقر) وفي جمادى الاول تحوّل عنها واستناب فيها جمال الدين اقوش الاشرفي ، وهو الذي كان نايبا بالكرك .

١٢ – نفي الافرم . زحف التتر الى الشام ايضاً ثم تركهم اياها . وصول السلطان الى دمشق وعودته الى مصر : سنة اثني عشر وسبعماية (اي سنة ١٣١٢ م) نفا السلطان جمال الدين الافرم نايب دمشق وجهّزه الى الكرك ومعه عدة امراء من دمشق وحُبسوا بالكرك[1]. وفي ربيع الآخر قدم سيف الدين تنكز على نيابة دمشق وحضر يوم الجمعة الى الجامع الاموي ، فاحبه اهـل دمشق واوقد له الشمع وكثر دعاء الرعيـــة له . وولّى بنيابة مصر سيف الدين ارغون الناصري الدوادار .

وفي اول هـــذه السنة توجّهوا ثلاثة امراء بمماليكهم الى نايب طرابلس ثم إلى قراسنقر نايب حلب وتوجّه معهم مهـــنا الحياري البدوي ، وعدوا (عبروا) الفرات ومضوا الى خدمة كرنبدا (او خربندا) ملك التتر فاحترمهم واكرمهم . وفي اوايل رمضان زحفت التتر الى جهة بلاد الشام وانجفل الناس ودخل أهل الحواضر واهل الغوطه وداريا وبلاس إلى داخل البلد . واما خربندا ملك التتر

---

١) وجاء في تاريخ الازمنة المطبوع ، ص ١٦٧ ، هذا المقطع مكتوباً هكذا : «امر السلطان بحبس جمال الدين الافرم في الكرك ومعه عدة امراء من دمشق» .

(فقد) نازل رحبة وحاصرها خمسة ايام بالمناجنيق وملكها . وفي آخر رمضان جاءت البشاير برحيل التتر ففرح الناس ودقّت البشاير . واما السلطان (فقد) عيّـد في مصر وخرج الى الشام فوصل الى دمشق في ثالث عشر من شوال ، ثم توجّه الى الحجاز (كما ورد في تاريخ ابن سباط ص ٢٣٢) .

١٣ – السلطان في الشام ثم بمصر . رهبان مار فرنسيس . الاخباز . حفر النهر . غيضة الجسر . عمارة المادنة . المهرة . حيضة الامير . وفاة كربندا : سنـــة ثلاثة عشرة وسبعماية هج (الموافقة لسنة ١٣١٣ م) في حادي عشر المحرّم قدم السلطان محمد من الحجاز الى دمشق ثم سافر الى مصر (انظر سيرة ابن الحريري ٣٢) . (ونقرأ على الهامش ما يلي) : « في سنة اشيج (أي سنة ١٣١٣ م) أخذ الملك روبرتوس الصقلي إذن من ملك مصر بأن رهبان مار فرنسيس يأخذوا السكنة في جبل صهيون » .

وفيها (أي السنة) تعين دور الاخباز[١] والاقطاعات بمصر والشام للامراء والمقدمين والجيوش ، وحضر كل واحد منهم اخذ تقليده ، فقبّله ووضعه على رأسه وانصرف الى داره ، وكان ذلك بدمشق على يد قطب الدين والامير تنكز نايبها .

وفيها يقول ابن الحريري ، وصل الخبر ان ملك الروم جهّز الى كونبدا ملك التتر شخصاً طوله خمسة عشر ذراع ، وان المذكور لم

---

١) الاخباز : جمع خبز المعدّ للاكل والاعاشة . وجاء في الدر المنظوم ص ١٥٧ عن الملك الوبرتوس الصقلي وزوجته الملكة سانسية قسطنسيا انها ملت الموارنة مغارة الصليب في القدس مع اربعة مذابح في اربع كنائس ، كما اخبر جبرايل القلاعي ، والعلامة الدويهي ، (انظر تاريخ الموارنة الذي طبعه الشرتوني ، سنة ١٨٩٠ ، ص ١٢٦ وما بعدها).

ينفهم له لغات وليس يتكلم ، فاذا جاع بكى واذا شبع ضحك ، والله أعـــلم .

وفيها وصلت الاخبار الى دمشق بحفر النهر الذي سعى فيـــه سودون نايب حلب ، وطوله من نهر الساجور إلى نهر قويق سبعون الف ذراع ، وانه أنفق عليه ثمان ماية الف درهم ، النصف من مال النايب المذكور ، والنصف الآخر من مال السلطان (وهنا تنتهي ص ٧٦ وجهاً) .

وفيها خرج نايب دمشق تنكز لعمل غيضة جسرين المعروف بغيضة السلطان ، واجمعوا جميع الامراء والمقدمين والجند والعساكر ، واستعملوا فيها اهل تلك القرايا التي حولهـا ، واقاموا هناك خمسة ايام يقلعوا القرامي العتيقة وينزحوا العليق منها .

وفيها انتهت عمارة المأذنة التي بميدان الحصا غربية . وفيهـــا (اي السنة) تنكز نايب دمشق سار بالعسكر إلى فتح مليطه ، وبعد حصار شديد ملكها . وعاود الى دمشق ومعه ثلاثماية اسير .

وفي آواخر رجب منها (السنة) وصل عثمان النجّاب من عند الامير مهنا الحياري ومعه المهرة بنت الكرد المسما الكسوب وكان طلبها السلطان منه ، ثم ارسلها بعد ما ارسل له السلطان ثمنها وهو ستماية الف درهم وقرية بحماة . وهذه قيمة عظيمة ما سمعوا بمثلها .

وفيها التجأ حميضه ابن ابي الحسيني المكيّ الى كرنبدا ملك التتر وطلب منه جيشاً ليغزي به مكة ، فعاين (فعيّن) له اربعة آلاف فارس ، وكان مقدمهم الدلقندي وساعده جماعة من الروافض بشرط انهم ينتقوا أبو بكر وعمر ، فاغتمّ لذلك اهل السنّة غماً شديداً ، ولما كانوا في السفر وثب عليهم الامير محمد بن عيسى بن مهنّا الحياري

بجمع كثير من العربان فكسرهم ونهبهم وشتّت شملهم . ولان محمد المذكور كان خرج عن طاعة السلطان ومضى الى بلاد التتر ، لمـــا طلب الحضور أجيب ، فأكرمه نايب الشام وجهزه إلى باب السلطان مكرماً . وفي هذه السنة توفي كرنبدا ملك التتر بن ارغون بن ابغا ، وكان قبل موته قد اظهر الرفض وامر ببذل السيف في اهل باب الازغ لامتناعهم عن إقامــة الخطبة على شعار الشيعة . وملك بعده ولده ابو سعيد واظهر السنّة (كما ذكر كتاب الغرر الحسان ص ٤٢٤ وما بعدها) .

١٤ – بناء الجامع المنسوب الى تنكز . سحابة مطر ورعد خرّبت الاراضي والمساجد والمدارس كانت في اولها مثل عامود نار . ظهور النصيرية ، غلاء وبلاء واضطراب : سنة سبعة عشر وسبعماية (اي ١٣١٧ م) بنا (بنى) تنكز بدمشق الجامع المنسوب اليه وهو كبير مليحاً الى الغاية ، واجرى في وسطه نهر بانياس ، وعزم (اي غرّم) عليه مالاً جزيل .

وفيها (السنة) في السابع وعشرين من صفر استقرّت بعد الظهر سحابة عظيمة ذات رعد وبرق ومطر غزير وبرد سالت منها الاودية شرقي بعلبك ، وانقسمت فرقتين ، الواحدة من ناحية الشرقية بقبلة سالت حتى انتهت الى النهر ، وبحّرت بحيرةً عظيمة على السور حتى كادت تلج شرافاته ارتفاعاً وتزايدت في طريقها عظمـــاً وافراعاً (وارتفاعاً) (وهنــا انتهت ص ٧٦ قفا) ، وتضاعفت مع جريان النهر من غير فساد كثير . والفرقة الثانية ركبت البلد شرقي البلد بشمال بـــين باب دمشق وباب نحله ، وانزجرت هناك على السور ، فخرقت من سور البلد مساحته في الطول اربعون ذراع معها انه

محكم البنيان ، شايد (شديد) الاركان . وسمكه خمسة اذرع . فأخذت برجاً على التمام والكمال ، ودرع البرج من كل جانب خمسة عشر ذراع ، فحملته الماء وهو على حاله ، ولم ينقض حتى مرّ فسحة عظيمة من الارض نحو خمسماية ذراع ، وحمل السيل واخرب جميع ما كان بطريقه من جهة الغرب ، فجعله خاوياً للارض مساوياً ، وغرّق الاموال واذهب بالرجال والحريم والاطفال ولم يزل حتى دخل الجامع الاعظم والمدرسة التي تليه .

فاجتمع وطلع روس العمد ، واتلف المصاحف والربعات وانفجر بالجدار الغربي من الجامع فهدمه ، واخذ يجمع مـا عليه من البنيان والعمران والاسواق حتى بلغ خندق القلعة ، وهدم سور البلد الغربي الملازم لها ومقداره خمسة وعشرون ذراعاً ، وتهدّمت المساجد ، وهلكت الطواحين والحمامات ، وثقلت المرستان ، وخرج من البلد إلى البساتين فقلع وخرّب . ولتوجّه من دمشق بدر الدين بن معبد الى بعلبك لرؤية الحال وكشف الامور ، وتحرّر بخطه وشهادة من حضر أنه آخذ السيل من البيوت ثمان ماية وخمسة وتسعون . من الخراب اربعماية وخمسون . من المشعّثة اربعماية واربعة عشر ، من الحوانيت ماية وعشرين ، ومنها خراب اربعة وخمسين ، ومنها مشعّثة اربعماية وسبعة ، من البساتين اربعة واربعين ، من الجوامع والمساجد والمدارس ثلاثة عشر ، من الافرنة سبعة عشر ، وعدد الناس غير الذين عدموا في الجامع والطرقات نحو مايتين ادمي ، وقد جرا من الغرائب ما لا يُعدّ ، ومن البلاء ما لا يُحدّ .

واخبر الثقاة انهم رأوا في اوايل السيل عاموداً عظيم من نار ودخان نازلاً من السماء وسمعوا من الصرخات في الالوان ما يضعف ،

الابدان ، وكثر الصراخ في الناس حتى ظنوا انها القيامة وليس الخبر كالاعيان .

وفيها (السنة) ثار ريح عظيم بين الركيل وتل زبيد بقرب طرابلس ، وعاصف من جهة البحر ، وقويت على بيوت التراكمين وكسرتها وتكوّنت عامداً اغبر متصلاً بالسحاب صورة تنّين وبقيت على بيوتهم ساعة زمانية تروح عنها يميناً وشمالاً . فما تركت شيئاً من البيوت ولا من الاثاث ولا من اهل الذوق غير ثلاثة عشر نفراً ، وتجرّح منهم ثلاثة من ملاقات الاخشاب والحجارة ، وخطفت الريح جملين وارتفعت بهما في الجو مقدار عشرة ارماح وغابت بهما عن العيون . وذهبت سدود النحاس والصاجات . والى جانب الذوق عرب خطفت الريح منهم اربعة جمال ، وارتفعت بهم والقتهم في البحر . ثم وقع بعد ذلك مطر وبرد تقدير البردة (هنا تنتهي ص ٧٧ وجهاً) ثلاث اواق على هيئة اشطاف الحجارة منها مثلث ومربّع ، فاهلكت الزرع والغلات وتحرّر ذلك بخط قاضي طرابلس .

وفي هذه السنة ظهر النصيرية بناحية اللاذقية ، رجل زعم أنه المهدي وتبعه نحو ثلاثة آلاف نفس ، البعض يقول أنه المنتظر ، وآخرون محمد ، وآخرون علي ابن أبي طالب ، فاضلُ الناس وانتدب له عسكر ، فقتل منهم مايـة وعشرون نصيري ، وجرت أمور شرحها ، ثم قتل هو ايضاً وكان خبيثاً جاهلاً .

وفيها (اي السنة) ابيع الورد بدمشق ، كل عشرة ارطال بدرهم . وفيها أيضاً طلعت مراسيم سلطانية بتبطيل الخمور ببيروت وصيدا وجميع السواحل ، (كما حرر في الغرر الحسان ص ٤٨٥) .

١٥ – جراد وغلاء ومجاعات ، وسيول عارمة ، في الموصل

والشام : سنة ثمانيـة عشر وسبعمائة ، (اي ١٣١٨ م) يقول ابن الحريري ، زحف جراد عظيم وتبعه الغلاء والقيظ المفرط بالموصل ، واربل والجزيرة وديار بكر وميافرقين ومات خلق كثير ، واكلوا الجيف حتى ان رجل باع ولده برغيف فأكله ثم مات ، وجرى ما لا يوصف ، وكانت تبـاع جزرة خبـّز بدرهم ، وابيعت الاولاد كل صغير بعشرة دراهم اشتراهم التتر . وحدّث فقيه أن الغلاء بقي في الموصل نحو من اربع سنين ، واكل هو وزوجته بنهار واحد بثمانية عشر درهم ، لموضع ذلك خلت إربل ودثرت القرايا من سكانها .

وفيها (اي السنة) جاء سيلاً كثير العكر بدمشق والشمس طالعة ، ولم يرا احداً سيلا اشد عكراً منه ، وكان الماء شبيه الطحينة ، وكان السفرجل ممبّا تحت الشجر فغسلوه ، وقيـل ان الرطل من الماء يصفي ثلثه طيناً شديداً ، وكان وقوع هذا السيل بارض آبل السوق . وكان برَد في مرج شعبان من ثلاثة اشهر ليس فيه قطره[1] .

١٦ ـ خلع على صاحب حماة ولقـّب بالمؤيد . التوراة والانجيل :
سنة عشرين وسبعماية (اي ١٣٢٠ م) خلع السلطان محمد ابن قلاوون على صاحب عماد الدين اسمعيل وسلطنه ولقـّبه بالمؤيد .

(وعلى الهامش) : في سنة اسلج لليونان (اي سنة ١٦٣٣ م) ، الموافقة لسنة اشكب للميلاد (أي سنة ١٣٢٢ م) يذكر الشماس سابا بن سليمان بن الخوري جرجس من قنات في تحرير الانجيل بخـط اصطرنغالي على رق وهو بدير مار ميخايل شاريا انه نجز بايام البطريرك شمعون وبطرس مطران بشراي .

---

١) طالع الغرر الحسان ص ٤٨٦ ، وابن شباط لسنة ٧١٧ ص ٢٥٦ ، واخبـار الاعيان ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

١٨ – وفاة صاحب التصانيف التاريخية كمال الدين القوطي :
سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة هج (الموافقة لسنة ١٣٢٣ م) ، توفي كمال الدين بن الرازق بن القوطي صاحب التصانيف وتاريخ العراق (وهنا انتهت ص ٧٧ قفا) .

١٨ – فيضان النهر في بغداد . والحكم على عماد الدين كثير بسبب الانجيل والتوراة : سنة خمسة وعشرين وسبعماية هج (الموافقة لسنة ١٣٢٥ م) زاد زيادة عظيمة الشط الذي بقرب بغداد وغرّق داير البلد جميعه ، وبقيت بغداد جميعها جزيرة والحصر الناس ، ولم يبقا لأحد من الناس خروج من البلد ، وخربت اماكن كثيرة والبساتين والمقابر . وفيها توفي بلك بَرس الكتاني صاحب التواريخ .

وسنة ستة وعشرين وسبعماية (الموافقة لسنة ١٣٢٦ م) يوم الجمعة في الرابع وعشرين من شعبان ادعى قاضي دمشق على عماد الدين بن كثير أنه قال ان التوراة والانجيل ما بدلتا وانهما بحالهما كما انزلت ، وشهدوا عليه حماة الشيخ تقي الدين بن التيميّه وثبت ذلك في وجهه ، فعزّر بالردّة في المجلس واخرج وطيّف به ونودي عليه هذا جزاء من قال ان التوراة والانجيل ما بدلتا (كما جاء في الغرر الحسان ص ٤٨٧) .

١٩ – امر الملك تنكز بقتل الكلاب وبناء خندقين لوضعها فيهما :
سنة تسعة وعشرين وسبعماية (أي ١٣٢٨ م) رسم ملك الامراء تنكز نايب دمشق بقتل الكلاب فقتل جماً كثيراً . ورسم لوالي البلد ان يبني لهم خندقين احدهما للذكور والآخر للاناث بين باب الصغير وباب كيسان . ثم الزم مشايخ الحارات وعرفاء الاسواق بنقل الكلاب للخندقين ، وصاروا نحو الفين كلب وصاروا يشتروا الخبز ويرموه اليهم .

٢٠ – سيل عرموم في حمص . وفاة الملك المؤيد . عماد الدين اسمعيل يتولى حماة : سنة اثنين وثلاثين وسبعماية (اي سنة ١٣٣١ م) كان سيل عظيم بحمص هلك فيه خلقاً كثير ، ومات في حمّام ملك الامراء نحو مايتين امرأة وصبيان ، ودخل جماعة رجال ليخلصوا النساء فهلكوا .

وفيها (اي السنة) في عشرين المحرّم توفي الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل بن الافضل بن علي الايوبي صاحب حماة ، وكان فيه مكارم وفضيلة من فقه وطب وحكمة وأدب ، وله كتاب تقويم البلدان ، وتاريخ المختصر في اخبار البشر من آدم إلى سنة ٧١٦ (٧١٦ م) وله مجلدات كثيرة غيرها .

وسنة ٧١٣ (٧١٣ هج) لما السلطان الناصر مضى الى الحج كان برفقته عماد الدين اسمعيل ، وعندما رجعوا الى القاهرة ولّاه السلطان سلطنة حماة على قاعدة آبائه واجداده ، وان يخطب له بحماة ولا يرد عليه توقيع ولا منشور من القاهرة ، وأركبه بشعار السلطنة والفاشية والشبابة ، ومشى في خدمته ارغون نايب السلطنة ، وسنة عشرين وسبعماية نهــار الخميس سابع عشر محرّم توجّه الى حماة ، ورسم السلطان لتنكز نايب دمشق وساير النواب ان يكتبوا له ان يقبّل الارض ، وتلقّب بالملك المؤيد ، (وهنا انتهت ص ٧٨ وجهاً) .

٢١ – حمزه التركاني وما اصابه نتيجة اعماله الشريرة . حريق في حماة . العساكر في سيس وطرسوس وغيرها : سنــة خمسة وثلاثون وسبعماية (اي سنة ١٣٣٤م) خدم نايب الشام تنكز رجل يقال له حمزه التركاني من تركان الشرق وحضر عنـد النايب بمنزلة عالية ، فعمل على قتل جماعة من خواص تدبر النايب ، وعزل جماعة

من اعيـان دمشق ، فتحرّر وتجبّر وطغا وبغا وكثرت الشكاية عليه ، فقبض عليـه تنكز وقطع لسانه من اصله ، وقطع اربعته فهلك ، وكانوا الجماعة يسمّوه رُستم لاجل معرفته بأخبار رستم .

وفي جمادى الآخرة علّق سترا على خزانة المصحف الثاني بمقصورة الخطابة بجامع دمشق ، وقيل أن صانعه عمل فيـه سنة ونصف ، وانفق عليه اربعة آلاف درهم وخمسماية . وفيها (اي السنة) دخلت عساكر حلب الى بلاد ادنه وطرسوس واياس ونهبوا واسروا نفراً كثير . وفيهـا (السنة) وقع حريق بجهاة احترق فيه نحو ثلاثماية حانوت .

٢٢ – القرصان في ثغر بيروت آتون من جنوى : سنة اربعة وثلاثون وسبعماية (١٣٣٣ م) قدمت مراكب فرنج جنوية قاصدين أخذ مركب كيتلان في ولاية عز الدين البيسري من قبـــل ملك الامراء تنكز نايب الشام ، وقصد المسلمون موقع الجنوية من أخذ المراكب فقاتلوا قتالاً شديداً ، وبذل جماعتهم الجنـــد والرجال ، وتجرّح بعض الامراء ... وأخـــذوا المركب ودخلوا الفرنج عليهم واخذوا الاعلام السلطانية من البرج ، وقتـل جماعة في البر وانهزم المسلمون ، وقاتلوهم في الازقة ، واستمرّ القتال يومين بينهم ، ثم بعد ذلـك طلبوا امراء الغرب وتركمان كسروان الى دمشق وحصل لهم اهانة واذية (وذلك لاهمالهم مؤازرة العساكر في المحافظة على البلاد)[1] .

---

١) كما ذكر في تواريخ صالح بن يحيى والغرر الحسان (ص ١٣٨ ، وص ٤٨٨) . ونقرأ على الهامش عبارة سريانية معناها « انـه في سنة ١٣٥١ للميلاد كان يوحنا بطريرك انطاكية وجبل لبنان المبارك وشواطيء البحر ، ويوحنا اسقف بجزيرة قبرس ، في كتاب بحدشيت » . وهذا تعريب حرفي لهذه العبارة السريانية .

٢٣ – نار في الشام نسبت الى النصارى فنكـّل بهم . منع النصارى عن العمل في الدواوين . وفاة تنكز والخليفة المستكفي:

سنة اربعين وسبعماية للهجرة (الموافقة سنة ١٣٣٩ مسيحية) ، يقول ابن سباط ، ان في شهر شعبان وقع في دمشق نار بالدهشة شرقي الجامع واحرقت الورّاقين واللبادين من حد جسر الكتب الى باب الجامع ، وعلقت في درابزين المأذنـة الشرقية فاحترقت . ثم وقعت النار في سوق السيوف وقيسارية الرماح وقيسارية القوّاسين في مستهل شهر القعدة ومات خلقاً كثير . فتهموا النصارى انهم فعلوا (ذلك) بسبب ما جرا من خراب كنايسهم ، وان جاء راهبان من القسطنطينية اجتمعا ببعض كتبهم بأرض جوبر وصنعا بعض كعبات نفط والقوهم بالمدينة . لموضع ذلك جمعوا روساء النصارى وأسلوهم لوالي البلد ، ورسم تنكز النايب أن لا تستخدم المسلمون النصارى في شيء من الدواوين ، وافقا فقهاء المذاهب الاربعة بانتقاض العهد منهم ، وامر بتسمير اربعة عشر نفراً من رؤساء النصارى الذين قيل ان (انهم) ساعدوا الرهابين ، في ٢٢ ذي القعدة ، على هذا الحريق (وهنـــا انتهت ص ٧٨ قفا) . وهم كتّاب غالب الامراء فطيّفوا على الجمال وسطوا عن آخرهم . واخذوا من بقيـة النصارى مالاً جزيل . واخذوا من الذين ُقتلوا ذهباً وجواهراً ما ينيف عن الف الف درهم .

وفي هذه السنة ، في ذي الحجة ، جاء نايب صفد المعروف بالحمّص الاخضر ومعه مرسوم السلطان محمد بن قلاوون بطلب النايب تنكز ، فقيّده واخذه إلى القاهرة ، بعدما احتيط بحواصله ، ومن القاهرة وجّهه إلى الاسكندرية ، واقام في الحبوس دون الشهر وقضى فيه امر الله تعالى عن ما كان صنع بنصارى دمشق .

وفيها (اي السنة) توفي الخليفة المستكفي بن الحاكم بشهر شعبان ،

وكانت خلافته خمسة وثلاثين سنة ، وتخلف بعده بالخلافة الواثق بالله ابرهيم بن محمد بن الحاكم بأمر الله ، وهو الاحد والاربعون من خلفاء بني عباس ، والرابع منهم في الديار المصرية .

وفيها نزلت نار سماوية بأعمال طرابلس الشام فأحرقت كثيراً من الشجر والزرع ، واحرقت بعين الفيجة ثلاث بيوت وكثيراً من الخشب ، وكثر المرض والوباء بالشام فكانت انه[1] .

٢٤ – طنبغا نايب في الشام وتنكيله بتنكز . وفاة السلطان الناصر بن قلاوون . وتملك بعده ابنه المنصور ابو بكر : سنة احد واربعين وسبعماية (اي سنة ١٣٤٠ م) ارسل السلطان الملك الناصر في سادس المحرّم علاء الدين طنبجا الى دمشق نايباً بها ، فأمر بحضور مماليك تنكز وتوسيطهم وتعليقهم على الخشب ، واتّاخذ (اي ضبطت امواله) جميع جهات تنكز الى الديار المصرية ثلاث كرات وثلاثين الف دينار مصرية . وعشر كرات وخمسماية الف غيرها الجواهر والبلخش المثمّنة ، واللؤلؤ غريب الحب والطرز المزركشة، وخوايص الذهب والجامات المرصّعة والاطالس وتحف القماش حُملت على ثماني ماية جمل ، واخذت مماليكه وجواريه وخيله المثمنة الى مصر . واما حواصله رفعت الى قلعة دمشق من الامير صاروجا .

وفي تاسع عشر ذي الحجة مات السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون ، وكان ملكاً عظيماً دانت له البلاد وطاعته العباد،

---

١) وانقطع الكلام فجأة هكذا ولا يوجد بياض الا لتحرير ثلاثة اسطر فقط ، فعدتُ الى كتاب الاب توتل المطبوع في ص ١٧٤ ، فوجدتُ تكلة العبارة على المنوال التالي : « وكان ذلك برئاسة بطرس اسقف اهدن والقس مركيس رئيس دير مرت مورا باهدن » آخذاً ذلك عن كتاب الغرر الحسان ، ص ٤٨٩ . فوجب التنبيه .

وما رأت الناس مثل سعادة مملكته ومسالمة الايام له وعدم حركة الاعادي في البر والبحر في هذه المدة الطويلة من بعد وقعة شكحب الى ان مات . وملك ثلاث مرات : اول توليته سنة سصج (اي ٦٩٣ هج اي ١٢٩٤ م) وكانوا نوابه بدمشق الامير عز الدين آيبك الحموي ، وجمال الدين ايوب الافرم ، وشمس الدين قراسنقر ، وسيف الدين كراي ، وجمال الدين اقوش . وقبل ان يموت بثلاثة ايام جلس على تخت السلطنة ابنه الملك منصور ابو بكر ، وضربت له البشاير في مصر ، وهو الثالث عشر من ملوك التتر بالديار المصرية . (وهنا انتهت ص ٧٩ وجهاً) .

٢٥ — خلع الواثق بالله ، وخلع المنصور ابو بكر ، ولاية قوصون ثم مقتله . مبايعة الملك الناصر احمد . مقتل المماليك المذكورين اعلاه : سنة اثنين واربعين وسبعماية (اي ١٣٤١ مسيحية) امر السلطان المنصور بخلع الواثق من الخلافة وامر بمبايعة الحاكم بأمر الله احمد بن المستكفي ، وهو الثاني والاربعون من خلفاء بني عباس ، والخامس منهم ملك بالديار المصرية .

وفي شهر صفر منها اجتمع كبار الامراء وخلعوا الملك المنصور ابو بكر من السلطنة لأنه تعاطى شرب الخمور والمجامعات مع زوجات والده . فارسل الى قوص ثم قتل بها . وجلس على تخت السلطنة اخوه الملك الاشرف كجك وعمره يومئذاً ثمان سنين ، وهو الرابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية ، وتولى القيام بأمور السلطنة الامير قوصون .

فاما سيف الدين طشتمر نايب حلب لما سمع بسلطنة الملك الاشرف كجك ابن محمد بن قلاوون قام بنصرة اخيه السلطان احمد بن قلاوون

الذي في الكرك وخرج عن طاعة السلطان كجك . عند ذلك نايب السلطنة قوصون سيّر الامير قطلوبغا الفخري ومعه ثمان ماية مملوك لحصار السلطان احمد بالكرك وسيّر طنبغا نايب الشام مع عشرة آلاف الى مقاتلة طشتمر نايب حلب . فهرب طشتمر من حلب الى درنده من اعمال الروم ، فدخل الطنبغا الى المدينـــة حلب ونهب حواصل طشتمر وامواله .

ثم وصل الخبر إلى الشام بأن قوصون كان قتل بني السلطان ورام السلطنة لنفسه ، حينئـــذ اتفق قواد الشام قطلوبغا الفخري وطنبغا نايب دمشق ونايب حماة ونايب صفد وغيرهم ، فبايعوا بالسلطنة للملك الناصر احمد بن محمد بن قلاوون الذي كان بالكرك وبايعه الجيش جميعه ايضاً . وفي نهـار الاثنين عاشر شهر شوال خلع من السلطنة الملك الاشرف كجـك ، وجلس على كرسي السلطنة اخوه الملك الناصر احمد وهو الخامس عشر من ملوك التتر بمصر . فولّى شمس الدين طشتمر نيابة السلطنة بالقاهرة ، وقطلوبغا الفخري نيابة دمشق ، وايدغمش نيابـة حلب . ودقّت البشاير وزيّنت البـلد ، وكانت مدة سلطنة الملك المنصور ابو بكر ثمانية أشهر .

واما طلوبغا الفخري فهو الاول الذي بايع السلطان احمد لما كان محاصره في الكرك وبايعوه الجيوش جميعهم والذين معـه ، ثم انـه رجع الى دمشق . ولمـا رجع طنبغا من حلب وقصد الدخول إلى دمشق الشام منعه الفخري عن الدخول اليها ، فجمع الجيش وحاصر دمشق وجرى بينهم من الامور ما لا يوصف . ثم يقول ابن الحريري أن الفخري استعان بأهل كسروان والجرديين (وهنا تنتهي صفحة ٧٩ قفا) واهل الجبال والفلاحين ، وتهيأ كل من الفريقين للقتال ، فخذل جيش طنبغا ، وتفرّقوا عنـه . فاضطر الفخري يسير إلى

مصر وارسل يعلم السلطان بالنصر وكان السلطان بعده في الكرك. وكتب السلطان من الكرك الى ايدغمش امير اخور (اصطبل) السلطنة أن يقبض على قوصون . فقبض عليه وارسله الى الاسكندرية بعد ان نهب دياره ، ومسك الطنبغا فقيّده بمصر .

ثم توجّه السلطان من الكرك الى الديار المصرية فخطب له بمصر ، فأمر بقتلهما . وبعد مدة رجع طشتمر من درّنده وامر السلطان بتوسيطه وتوسيط الفخري ، وبئس الجازاة جازاهما .

٣٦ ـ خلع احمد وحصار الكرك وحدوث الغلاء والوباء في الكرك : سنة ثلاثة واربعين وسبعماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٣٤٢م) في المحرّم توجّه السلطان أحمد الى الكرك وتحجّب عن الناس ونسبت اليه اشياء لا تليق بالملوك . فلما نظر عسكر الشام تقريب السلطان الى النصارى وقتله طشتمر الفخري ، كاتبوا الى مصر فخلعوه من السلطنة وسلطنوا أخاه الملك الصالح اسمعيل بن محمد بن قلاوون في كي (اي ٢٢) من المحرّم ، وهو السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية .

وبعدما ضربت البشاير بدمشق واقامة الزينة سبعة ايام جهّز جيشاً لمحاصرة اخيه السلطان أحمد ، ونصب على الكرك المناجنيق وحاصروها حصاراً شديد ، فقتل بوقعة واحدة من الكرك قريب الخمساية نفر ، ومن عسكر مصر والشام نحو المايتين ، واستمر الحصار الى ثاني سنة ووقع الغلاء والوباء بالكرك وفي دمشق .

وفي هذه السنة احضر رجل من اهل الجبل الى بين يدي النايب بدمشق ابنه وكان له رأسان واربعة ايادي ، وقيل ان احدهما ذكر والآخر انثه (انثى) ، وقالوا ان الواحد مات قبل الآخر بيومين .

٢٧ - تاريخ الشيخ شمس الدين الذهبي . وقعة بين اهل البقاع واهل التيم وقتل كثيرين من الطرفين : سنة اربعة واربعين وسبعماية هج (الموافقة لسنة ١٣٤٣ م) اليهــا انتهى تاريخ الشيخ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي المسمّا تاريخ الاسلام في تاسع عشر مجلد ، وعن العلمـــاء والنبلاء بعشرين مجلد ، وفي الدول الاسلامية وطبقات الحفاظ مجلدين ، واختصر تاريخ ابن عساكر في عشرة أسفار ، وتقويم البلدان لصاحب حماة وغير ذلك . وكانت وفاته سنة سبعماية وثمان واربعين .

وفي سنة خمسة وأربعين وسبعماية هج (الموافقة لعام ١٣٤٤ م) كانت الوقعة بين اهل البقاع واهل وادي التيم في شهر صفر ، وقتل من الفريقين جماعة كثيرة ، واحرق بن صبحي من وادي التيم ثلاثة عشر قرية ، وانقطعت الدروب ودرب الزبداني ايضاً ، (وهنـــا انتهت ص ٨٠ وجهاً) .

٢٨ - وفاة الملك الصالح اسمعيل ، وخلفه اخوه سيف الدين الكامل ، والنواب : سنة ستة وسبعماية هج (وهي سنة ١٣٤٥ م) في رابع ربيع الثاني توفي السلطان الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ، وتولى السلطان بعده اخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد (بن قلاوون) وهو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية . وولّى السلطان الحج أرقطاي نيابة حلب ، وسيف الدين يلبغا انتقل من نيابة حلب الى نيابة الشام .

٢٩ - وفاة السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ، واضطهاد النصارى في الشام : سنة سبعة واربعين وسبعماية (اي ١٣٤٦ م)

توفي السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان في الخامس عشر من جمادى الاول ، وكانت مدة مملكته سنة وسبعة عشر يوم ، وتولا السلطنة بعده ولده الملك المظفر امير حاج جاجي وهو الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصرية . فقرّر السلطان شمس الدين يلبغا في نيابة الشام ، وبنا (وبنى) المجمع (الجامع) المنسوب اليه تحت قلعة دمشق ، وارسل سيف الدين بيدمر البدري الى نيابة حلب ، وارقطاي في الديار المصرية في نيابة السلطنة .

(ونقرأ على الهامش ما يلي) : سنة اسعد (اي سنة ١٦٧٣ للاسكندر اعني ١٣٦١ للميلاد) يذكر[1] المطران يعقوب الدويهي ان خرج ملك قبرس على الاسكندرية فنهبها وقتل رجالها واسر صغارهم ، لموضع ذلك غضب السلطان على النصارى الذين بمملكته وارسل قبض على رؤساء الكنيسة وسجنهم بدمشق ، وكان من جملتهم يعقوب المذكور مطران اهدن . فاعانه الله وهرب من السجن ونسخ الانجيل السرياني والكرشوني وهو راهباً ، وهذا الانجيل الى يومنا هذا موجود في دير قنوبين . ويذكر ابن سباط ان فزع الناس بالسواحل من ملك مصر (وتصحح : قبرس) وانسلّ الامير الكبير الآتابكي يلبغا الى بيروت بيدمر الخوارزمي وأمر ان يشرعوا في عمارة شواني وحمامات ومراكب بعدة كثيرة ، واقامت العساكر الشامية ببيروت . وايضاً امراء الغرب التزموا يسكنوا ببيروت ويركبوا ليلا ونهاراً ، وكانوا ايضاً براكان كسروان ببيروت وطلبوا من بيدمر بالدخول الف رجل الى قبرس . وكان في هذا الزمان ظلم وضنك

١) جاء في تاريخ الازمنة الذي نشره الشرتوني ، ص ١٢٨ عن هذه الحوادث انها حصلت سنة ١٣٤٥ حيث قال : « في سنة ٧٤٦ هج اي ١٣٤٥ م ذكر ابن سباط انه جفل الناس في السواحل من ملك قبرس فأرسل الامير الكبير يلبغا الاتابكي الى بيروت بيدمر الخوارزمي لكي يحصن المدينة ببناء الشونات والحملات والمراكب ... »

عظيم على النصارى وخاصةً عـــلى الاساقفة ، فسك البعض منهم ، والبعض هربوا لقبرس مثل الاسقف حنين والبعض اختفوا حتى زال الاضطهاد » (انتهى كلام الهامش . وهــذا الكلام مضروب عليـه بخط واحد عمودي من الاول حتى آخر سطر منه) .

٣٠ – عزل الامير يلبغا وقتله . مقتل السلطان حاجي ومبايعة اخيه الناصر احمد قلاوون : سنــة ثمانية واربعين وسبعماية (أي عـــام ١٣٤٧ م) في الثامن من جمادى الاول ، وصل مرسوم من السلطان حاجي بعزل ملك الامراء يلبغا عن نيابة الشام وطلبه اليه . فخرج من البلد وتجمع اليه نفر كثير طالبين الحرب فدخل إلى البرية قاصداً الدخول لمصر ، فجرّدت عليه عساكر دمشق وصفد وطرابلس وحماة ومسك عند حماة ، فأمر السلطان بقتله ، وقتل بين قاقون وغزة . وأقام السلطان بنيابة الشام سيف الدين ارغون شاه ، وامر بمسك كثيرين من الامراء فقتلهم . فنفرت القلوب وتوحّشت الناس منه ، فركبوا عليه وقتلوه . واقام الامراء المبايعة لأخيــه الناصر حسن ابن محمد بن قلاوون في ثالث عشر رمضان ، وهو التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية (وهنا تنتهي الصفحة ٨٠ قفا) .

٣١ – الطاعون في البلاد الشامية والحلبية وغالب الاماكن ، والغلاء والامطار : سنة تسعة واربعين وسبعماية (الموافقة لعـــام ١٣٤٨ م) كان الطاعون الذي عمّ البلاد الشامية والحلبية وغالب الاماكن ، وكان ثقيل جداً حارت به الافكار ولم يعهد مثله في البلاد الشامية حتى ان بعض الاوقات صلوا بالجوامع على ثلاثون وستون وأكثر من مايتين جنازة جملة ، خلاف ما يكون الصلاة بغيره في

دمشق كما وصف صلاح الدين الصفدي . وخلت الدور والضياع من سكانها ويقول الصفدي[1] .

قد اقبل الطاعون بغتةً فخرج من قطية الى بيروت ، واخليت ارض الشام من سكانها ، وحكت يا طاعون ويا طاغوت . وكانت قوة الطاعون من شدة الغلاء فابيعت غرارة القمح الشاميـــة بألف وستماية درهم ، ورطل الزيت الشامي بأربعة وعشرين درهم ، وكذلك السيرج ، والرطـل من اللحم بعشرين درهم وغلت سائر البضايع . ثم بعد زيادة الموت رخصت الاسعار حتى ابيعت الغرارة القمح الشامية بماية وسبعين وما دونها . والشعير الى ماية وما دونها .

وفي ثاني عشر رجب بعد الظهر حصل بدمشق وما حولها ريحاً شديد اثارت غباراً عظيماً اصفرّ الجو منه ، ثم احمرّ ثم اسودّ حتى اظلمت الدنيا والناس يبكون ويصرخون ويستغفرون ليكن ذلك ختام الطاعون ولم يزداد الا شدة . وفي الرابع عشر منه وقع مطراً عظيماً وجرت الميازيب وأوحلت الارض وتباشرت الناس به لرفع الوباء ، فلم يرتفع بل ازداد . وصلى الخطيب يوم الجمعة سابع شعبان على ماية وثلاثة وستين جنازة .

٣٢ - نايب طرابلس الجيبغا يزوّر المرسوم ويقتل ارغون فصدر الامر بقتله وجاء امير مصري بدله على الشام : سنة خمسون وسبعماية هجرية (اي سنة ١٣٤٩ م) سار إلى دمشق نايب طرابلس الامير سيف الدين الجيبغا ، ومعه طائفة من الامراء ومرسوماً على يده ، فأحاط بنايب دمشق ارغون شاه ليلا وهو نايم في كج (اي

١) طالع الغرر الحسان ص ٤٩٤ ، وهنا في المتن بعض كلمات مشطوب عليها بخط عريض اسود ، ويوجد بياض يتسع لثلاثة اسطر .

٢٣) من ربيع الاول وقبضوا عليه وعلى حواصله وامواله واخذوا من خيوله ، ومضوا به الى طرابلس . فكتب امراء الشام يعلمون السلطان بصورة الحال . فجاء الجواب مع البريد ان لم يكن عند السلطان علماً بما وقع كله ، وان المرسوم الذي بيده مزوراً ، فجمع نايب صفد العساكر (هنا انتهت ص ٨١ وجهاً) ، في طلب الجيبغا ، فمسكوه في مدينة طرابلس واخذوه الى دمشق ، فوسط في حضرة الجيش وعلقت جثته ومن كان معه على الخشب . وقدم من مصر الامير ايتمش الناصري نايباً عليها (اي على دمشق) .

٣٣ – فصل ناصر الدين عن المملكة ، ومبايعة اخيه صلاح الدين ، ونايبه ارغون : سنة اثنين وخمسين وسبعماية للهجرة (أي ١٣٥١ م) اختلفت الامراء على السلطان الناصر ناصر الدين الحسن ، وفي رابع رجب انفصل عن السلطنة واتفقوا على اقامة اخيه الملك الصالح صلاح الدين بن محمد ، وركب بخلعة الخليفة ، وبايعه القضاة والامراء وهو العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، (وعلى الهامش نقرأ) : وارسلوا الى بيغا يجيء به (الملك الصالح) من الكرك حيث كان مسجوناً . وفي شهر شعبان قدم الامير سيف الدين ارغون الكاملي نايب حلب الى دمشق متولياً عليها فدخلها دخلةً عظيمة .

٣٤ – وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله ، وبويع المعتضد ابو بكر . حريق عظيم بدمشق . مقتل النواب ، وصول السلطان الى الشام واعدامه النواب واقامة بدلهم : سنة ثلاثة وخمسون وسبعماية (أي ١٣٥٢ م) توفي الخليفة الحاكم بأمر الله بمصر وكانت خلافته عشر سنين ونصف ، وبويع المعتضد بالله ابو بكر بن المستكفي بالله وهو الثالث والاربعون من خلفاء بني عباس ، والسادس منهم بالديار المصرية.

وفيها يقول ابن سباط وقع حريق عظيم عند باب جيرون بدمشق، فوقع الحريق بباب الاصفر النحاس فبادر ديوان الجامع عليه فكشفوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه الى خزانـة الحاصل ثم جدوا عليه فكسروا خشبــه ، وكان من خشب الصنوبر ، وهو في غاية القوة والثبات ، وتأسف عليـه الناس لكونه كان من محاسن البـلد ومعالمها ، وله في الوجود ما ينوف عن اربعة آلاف سنة ، ولم يرى باب اوسع منه ولا اعلا في ما يعرف في الابنية ، وكان له مسامير نحاس كبار بارزة من عجايب الزمان ولم يرى مثله في شدة الاماكن، وعلو البنيان ، وقد ذكرته الشعراء في اشعارها والعرب في امثالها ، وهو منسوب الى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح الذي بناه . وكان بناه قبل ابراهيم الخليل... وهو على ما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم وقصر منيف كما يقال بـل هو منسوب الى اسم المارد الذي بناه لسليمان بن داود وكان اسمه جيرون (هنا تنتهي ص ٨١ قفا) ، والاول اشهر واظهر . وعلى القول الاول يكون لهذا الباب من المداد (جمع المدة) المتطاولة ما قارب خمسة آلاف سنة ، ولكل اجل كتاب .

وذكر الحافظ بن عساكر في الجزء الاول من تاريخه وقال انه لما فتح عبدالله بن علي دمشق بعد حصارها وانتزاعها من أيادي بني أمية ، هدم صور (سور) دمشق فوجد صخرة مكتوب عليهـــا باليونانية ، فجاؤا براهب يقرأه لهم ، فاذا مكتوب عليه : ويل ادم الجباره من رامك بشر قسمــه الله تعالى اذا وهي منك جيرون . ويلك من خمسة اعين نقص سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً ، فاداوه ، منك جيرون الشرقي ، ازيل لك من تعرّض لك . قال فوجدنا الخمسة اعـين عبدالله بن علي بن عبدالله . بن

عباس . بن عبد المطلب . بن عين . بن عين . بن عين . بن عين .
بن عين . فهذا قد اقتضى انه قد كان لسورها الى حين خرابه على
يدي عبدالله بن علي اربعة آلاف . ذلك في ماية وثلاثة وثلاثون .
فعلى هذا يكون لهـذا الباب الى يوم خرب من هذه السنة سبعماية
وثلاثة وخمسين : اي اربعة آلاف وست ماية وواحد وعشرون
سنة والله اعلم .

وقد ذكر ابن عساكر ان نوح عس (عليه السلام) هو الذي
أسس دمشق بعد حاران وذلك بعد مضي الطوفان . وقيل بناها
دمشق ... ذو القرنين بامرته . وقيـل عازار الملقب بدمشق وهو
غلام الخليل عس (عليه السلام) . وقيـــل غير ذلك من الاحوال
واظهرها انها من بناء اليونانية لأن ... معابدها كانت .. الى الشط
اليوناني . وذكر ابن عسكر وغيره ان ابوابها كانوا سبعة : فالقمر
باب السلامة وكانوا يسمونه باب الفراديس الصغير . ولعطارد باب
الفراديس الكبير . وللزهرة باب توما . وللشمس باب الشرقي .
وللمرّيخ باب الجابية الصغير . وللمشتري باب الجابية الكبير . ولزحل
باب نيسان وهو الآن مسدود وباب النصر وباب الفرج متجدداً .
وقـــد اقتضى أخبـار دمشق تاج الدين نصرالله بن حواري الحنفي
التنوخي في كتاب سماه إيقاظ الوسنان وافضل ما يسكن من البلدان
وهو في ثلاث مجلدات كبار .

وفي هذه السنة اتفق بيبغا اروس نايب حلب مع تكلمش نايب
طرابلس ، واحمد المشدّ نايب حماة ، وطيبغا نايب صفد ، وابن ابي
النادر التركاني ، وحيار بن مهنا أمير العرب على العصيان والخروج
من طاعة السلطان حتى يمسكوا شيخون وطاز وهما اعيان الدولة
المصرية . وكملوا الى ارغون الكاملي نايب دمشق ليتفق معهم . فلم

يجيبهم بل كتب الى الديار المصرية بما صدر من الامراء . فانزعج الناس وتفزّعوا (وهنا انتهت ص ٨٢ وجهاً) . ولما كان يوم الاثنين ثامن رجب ، جمع ارغون جميع الامراء بالقصر الابلق واستحلفهم بطاعة السلطان ، فحلفوا على ذلك . وفي يوم السبت عشرين رجب جمع ارغون جميع الجند وسار بهم قاصداً الكسوة ، اذ لم يقدر على قتال النواب ، ولم يبقا بدمشق احد سوى النايب النجفي .

تجفلت الناس وانتقلوا من الصالحية والبساتين الى داخل البلد ، ونقل الامراء حريمهم وحواصلهم الى القلعة . وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، دخل نايب حلب ومعه نواب طرابلس وحماة وصفد والتراكمين والعربان وجميع العساكر وكان معهم من امراء الطبلخانات نحو ستين امير ، فدخلوا في تجمل عظيم ، وعاينوا الناس من كثرة العساكر والجنود ما لا يعاينوه في زمان قازان ملك التتر. وعاث العسكر (فساداً) في ما جاورهم من القرايا والبساتين والمزارع والكروم ، ونهبوا ما قدروا عليه ، وفتكوا بالنساء والبنات وكل يوم (كان) يزداد اذاهم . واما نايب القلعة (فقد) حصّنها وارصد فيها الرجال والرماة وفي دمشق يسكّن جاش الناس ويقوّي عزمهم ويبشّرهم بخروج السلطان من مصر واجتماعه بالجيش الدمشقي ، وطالت المدة ، وفي نصف شعبان ارتحل بيبغا مع العسكر عن دمشق وتخلف عنه جماعة بدمشق . فصار فرح عظيم عند اهل المدينة ، وامر نايب القلعة بتكريم الحلبيين وبقتل التراكمين وسلبهم .

وفي شهر شعبان دقت البشاير بالقلعة بوصول السلطان الى الغور ، فتباشر الناس ، ولما كانت اوائل رمضان خرج اهل دمشق برّا البلد وملأوا الطرقات وكانوا فرحين على الطرقات والاصطحة . وعند طلوع الفجر خرج الناس واهل الذمة بالشموع والتوراة والانجيل .

ولما طلعت الشمس اقبلت الاطلاب على راياتها والعساكر على عاداتها وترتيبها ، خلق بعد خلق ، وفوج بعـــد فوج ، في تجمّل عظيم ، بهيئاتٍ حسنة ، ثم جاء السلطان . فترجّل الامراء بين يديه وبسطوا له الشقاق الحرير من عند مسجد الدبان الى باب القلعة ، وهو لابس قبا (عباءة) احمر بفرو قاقم (قاتم) ، وتحته فرس عظيمة ، وهو حسن الصورة ، مقبول الطلعة ، ونزل بالقلعة مع الخليفة ابو بكر الذي قدم معه . وفي آخر النهار ساروا الامراء : ارغون ، وطاز ، وشيخون الى مسك بيبغـــا ومن معه من البغاة . فقبضوا عليهم وقيّدوهم واتوا بهم إلى قدام السلطان .

وفي ثالث شوال ركب السلطان الى الطارمه وعلى رأسه القبّة والطير يحملها بدر الدين بن الخطير . فجلس في الطارمـة ووقف الجيش تحت القلعة واحضر الامراء الحلبيين المأسورين ، فأمر بقتـل نواب حلب وطرابلس وحماة وصفد ، وستة من مقدمين الطبلخانة . ثم اقام السلطان (وهنا انتهت ص ٨٢ قفا) ارغون نايباً على حلب ، ورجع الى مصر مؤيداً منصوراً .

٣٥ – الزام النصارى واهل الذمة بالشروط العمرية . وظهور رجل من الرافضة يسبّ الصحابة فاعدم امـام الجميع واحرق :

سنة خمسة وخمسين وسبعماية (١٣٥٤ م) قرىء بجامع دمشق مرسوم السلطان بملازمة اهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات آخر ، منها ان لا يستخدموا بشيء من الدواوين السلطانية ولا في شيء من الاشياء . وان لا يزيد عمامة احـــد منهم عن عشرة اذرع ، ولا يركبوا البغال ، ولكن الحمير عوضاً . وان يدخلوا الحمامات بعلامات من جرس او خاتم نحاس او رصاص . ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات

ولكن لهن حمامات يختصصن بها . وان يكون آزار النصارى كتاناً ازرقاً ، واليهودية اصفراً ، والسامرية احمراً ، وان يكون احد خفيها اسود والآخر ابيض . وان يحمل حكم مواريثهم الى الاحكام الشرعية .

وفي هذه السنة نهار الاثنين ثاني شوال اتفق جمهور الامراء على خلع الملك واعادوا اخاه الملك الناصر حسن ، وهي توليته الثانية . وصار نايباً على طرابلس الامير منجك ، وعلى دمشق الامير علي المارداني ، وعلى حلب الامير طاز ، واما سيف الدين ارغون (فقد) أرسل الى الاسكندرية معتقلاً .

وفيها (اي السنة) رجل من الرافضة سبّ ولعن ابا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد واعاد ذلك كم مرة في دمشق . فاجتمعت القضاة الاربع وحكموا بقتله . فأخذ سريعاً وضرب عنقه تحت القلعة واحرقته العامة ، وطافوا برأسه ونادوا عليه : هذا جزاء من يسبّ الصحابة !

٣٦ – وفاة المؤرخ السبكي ، وقد قريء كتابه في الجامع :
سنة ستة وخمسين وسبعماية (اي عام ١٣٥٥ م) ، توفي تقي الدين السّبكي ، وله تصنيفات كثيرة بالغاية ، ومن جملتها في كشف الغمّة في ميراث اهل الذمّة ، ولأجل ذلك صار الامر ان يُحمل حكم مواريث أهل الذمة الى الاحكام الشرعية ، وقريء بجامع دمشق بالمقصورة ، بعد صلاة الجمعة ، بحضرة النايب والقضاة والامراء امراء العرب واهل الحل والعقد .

٣٧ – مراكب الفرنج في صيدا . دفع الغرائم لأجل فك الأسرى : سنة سبعة وخمسين وسبعماية يقول ابن سباط ان ظهرت

الفرنج على مدينة صيدا وقتلوا طائفة من اهلها واسروا جماعة ، وقتل منهم ايضاً خلقاً كثير ، وخسروا مركباً من مراكبهم وبرزوا بما غنموا الى جزيرة تلقاء صيدا في البحر ، ووصل الصريخ الى دمشق واجتمعت العساكر من صفد ودمشق وراسلوهم في افكاك (فكة) الاسرى على كل راس خمساية درهم ، فأخذ من ديوان الاسرى مبلغ ثلاثين الف ولم يبقا معهم من المسلمين ولا احد . (وهنا انتهت الصفحة رقم ٨٣ وجهاً) .

٣٨ – شراء الامير سيف الدين لبلاد في عمان من بيت المال ، ذكرها ياقوت الحموي . البطرك الانطاكي يوحنا . مؤلفات الكتبي التاريخية : سنة ثمانية وخمسين وسبعماية (اي سنة ١٣٥٧ م) اشترى الامير سيف الدين صرغت من بلاد عمّان ، وله مدة سنين متطاولة خراباً ، من بيت المال بمبلغ ، ونقلت الولاية والملكية من حسبان اليها وعادت أمن البلاد كما كانت أولاً . وذكر ياقوت الحموي ان هذا البلاد كان مدينة دقيانوس الذي خرج منه أهل اصحاب الكهوف ، وهناك مكان يقال له الرقيم مشهوراً عند اهل تلك الناحية . والله اعلم . وذكر انها بُنيت بعد هولاء قوم لوط وان الذي بناه هو ابن اخي لوط .

(ونقرأ على الهامش ما نصه) : « في سنة اشنز (اعني سنة ١٣٥٧) ربانية مذكور في كتاب بقرية حدشيت أن كان البطرك الانطاكي وعلى جبل لبنان وسواحل البحر يوحنا ، وحنين الاسقف على جزيرة قبرس » . (وقد ذكرنا هذا الخبر في هذا الفصل وفقاً لما جاء في هذه المخطوطة) .

وفي هذه السنة (اي ١٣٥٧ م) انتهى الجزء العاشر من تاريخ

صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي ، والى هنا آخر الجزء العاشر من عيون التواريخ . وابن الحريري وابن سباط بعد ذلك اقتصرا على ذكر الخلفاء والملوك ونوادر الاخبار[1] .

٣٩ ـ وفاة الملك الناري بن عثمان وخلفه ولده السلطان مراد . وفاة الخليفة المعتضد ثم الحاكم بأمر الله : سنة احد وستون وسبعماية (اي ١٣٥٩ م) توفي اورغان الغازي بن عثمان ، وكانت مدة مملكته خمسة وثلاثين سنة ، حارب النصارى وافتتح بروسا ، وتولّى بعده ولده السلطان مراد .

وفي سنة ثلاثة وستين وسبعماية توفي الخليفة المعتضد بالله ، وبويع بعده اخوه الحاكم بأمر الله ابو محمد عبدالله وهو الرابع والاربعون من خلفاء بني عباس ، والتاسع منهم بالديار المصرية (كما ورد في كتاب الغرر الحسان ص ٤٩٩) .

وفيها (اي السنة المذكورة) في شهر جمادى الاول توفي الملك الحاكم بأمر الله ، ثم بويع بعده ولده المتوكل على الله أبو عبدالله محمد وهو الخامس والاربعون من خلفاء بني العباس ، وهو الثامن منهم بمصر .

٤٠ ـ وفاة السلطان ناصر الدين ، والملك المنصور ، وصلاح الدين ، وغزو الاسكندرية : سنة اثنين وستين وسبعماية (اي عام ١٣٦٠م) توفي تاسع شهر جمادى الاولى السلطان الملك الناصر ناصر الدين الحسن

---

١) جـاء في التاريخ المطبوع للعلامة الدويهي ، ص ١٨٤ عن هـذا التاريخ النادر المفقـودة بعض اجزائه « ان يوسف العش وضع فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وذكر التاريخ هـذا وملحقاته ، ص ٤ ـ ٧ ، وطبعه سنة ١٣٦٦ هج بمطبعة دمشق سنة ١٩٤٧ » .

ابن محمد بن قلاوون ودفن بالقاهرة بالمدرسة المنسوبة اليه . ثم تولى السلطنة بعده ولده الملك المنصور صلاح الدين محمد وهو الواحد وعشرين من ملوك الترك بمصر . وفي هذه السنة في شهر شعبان خلع وقيل توفي الملك المنصور صلاح الدين ، ومدة سلطنته دون أربعة اشهر . ثم تسلطن مدة ابوه الملك الاشرف شعبان بن الملك الناصر يوم الثلاثة حادي عشر شعبان وهو الاثنين وعشرين من ملوك الترك بالديار المصرية .

وفي سنة عسه (٧٦٥ هج الموافقة لسنة ١٣٦٣ م) توجّه ملك قبرس الى غزو الاسكندرية ، فنهب وقتل واسر .

٤١ – وفاة الامير منجك . حبس المطران يعقوب الماروني بسبب القرصان في الاسكندرية وقصة الانجيل : سنة سبعة وستين وسبعماية (اي ١٣٦٥ م) توفي الامير منجك ابن عبدالله الناصري الذي تولا اولاً نيابة صفد ثم نيابة طرابلس ، ثم سنة تسعة وخمسين وسبعماية (اي ١٣٥٨ م) انتقل الى نيابة حلب . ثم تولى دمشق ، وتوفي بمصر نايباً بها ، وكان قد عمّر خانات كثيرة وعظيمة بالطرق المخوفة[1] .

(ونقرأ على الهامش) : « في سنة اسعز لليونان (اي سنة ١٦٧٧ الموافقة لسنة ١٣٦٦ مسيحية) يذكر يعقوب مطران اهدن بأن خرج ملك قبرس قاصداً الاسكندرية فنهبها وقتل رجالها واسر صغارها . فغضب السلطان على النصارى الذين بمملكته وامر بمسك

١) نقرأ هنا على هامش المخطوطة هذه الملاحظة وهي : « هاهنا حبس الاساقفة ، وقصة المطران يعقوب ذكرناها سابقاً في سنة عمز (اي عام ٧٤٧ هج) . » وبعدها وردت الملاحظة الطويلة التي ذكرنا في المتن كما نقرأ على الهامش :

اساقفتهم وان يسجنوا بدمشق ، فالبعض منهم استتروا ، والبعض منهم هربوا ، مثل الاسقف حنين (اي يوحنا) الى قبرس ، والبعض قبضوا عليهم وحبسوهم ، وكان بجملتهم يعقوب مطران اهدن ، ولكن عانه الرب وهرب من الحبس ونسخ الانجيل الذي (المحفوظ) بقنوبين وهو هارباً .

« ويذكر ابن سباط ان عندما كثر الفزع في السواحل من ملك قبرس ، ارسل الامير الكبير الآتابكي يلبغا الى بيروت بيدمر الخوارزمي لأجل اقامة العساكر الشامية في بيروت ، وان امراء الغرب يلتزموا في السكنة بها وأن يركبوا ليلاً ونهاراً ، وامر بعمارة شواني وحامات ومراكب بعدة كثيرة ، وكانوا ايضاً في بيروت تراكمين كسروان ، وطلبوا من بيدمر بالدخول منهم الف رجل الى قبرس[1] » .

٤٢ – بيدمر الامير في دمشق يقصد العصيان واليه ينسب الحمام :

سنة اثنين وسبعين وسبعماية هج (اي ١٣٧٠ م) قدم الى نيابة دمشق بيدمر ، وذلك في المرة الخامسة ، ودخل في تجمع عظيم ، ثم انه قصد العصيان على السلطان وغزا من الامير ما لا يمكن شرحه ، وجمع مقدمين البلاد والعشران وحضر بن اكلش ومعه سبعة آلاف رجل ومقدم الزبداني والف رجل ، ثم انه هلك ، واليه ينسب حمام بيدمر بدمشق .

٤٣ – في مقتل الاشرف ، وخلافة ابنه الملك المنصور نور الدين

---

١) ان الكلام الوارد في هذا المقطع هنا قد سبق ذكره في العدد التاسع والعشرين من هذا الفصل ، فيمكن مراجعته هناك ، وهو لا يختلف كثيراً عما ورد هنا ، وقد أشار المؤلف نفسه الى اعادة ذكره ، كما مرّ اعلاه في الحاشية .

علي : سنة ثمانية وسبعين وسبعماية (اي ١٣٧٦ م) قصد السلطان الاشرف الحج ، وخرج من مصر في تجمل عظيم وخرج معه خلقاً عظيم . وفي العودة قتل عند عقبة آيلا في اواخر شوال . وقيل انه لم يصل الى عكه بل انه رجع من طريقه الى أن وصل العقبة المذكورة فقتل بها . ثم تولى بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي في اول ذي القعدة ، وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية (كما ورد في الغرر الحسان ص ٥٠١) .

٤٤ – وفاة السلطان نور الدين علي ، خلافة محمد ولده ثم خلعه وجلوس حاجي مكانه على السلطنة : سنة ثلاثة وثمانين وسبعماية (اي ١٣٨١ م) توفي السلطان الملك المنصور نور الدين علي في شهر صفر ، وكان ظالماً محباً للمال وسفاكاً للدماء ، وتولا السلطنة بعده ولده الملك المنصور محمد ، وذلك في رابع وعشرين صفر من هذه السنة ، وهو الرابع وعشرين من ملوك الترك بمصر .

وفي هذه السنة وثب الامراء على المنصور محمد بن نور الدين علي واخلعوه من السلطنة ، وتولى بعده أخوه الملك الصالح حاجي وهو الخامس وعشرين بالديار المصرية . (وهنا انتهت الصفحة ٨٤ وجهاً).

٤٥ – خلع حاجي الملك الصالح ، وجلوس برقوق مكانه ، وخلع الخليفة المتوكل ، وخلافة ابي حفص (بالفاء) : سنة اربعة وثمانين وسبعماية (١٣٨٢ م) خلع من السلطنة الملك الصالح حاجي بن علي بن شعبان في ٢٩ رمضان وحبس بالكرك . وتولى السلطنة بعده الملك الطاهر برقوق ابن آنس بن برديك ، وهو اول ملوك الجراكسة بمصر . وفي هذه السنة تولا بيدمر الخوارزمي نيابة الشام (كما ورد في كتاب الغرر الحسان في الموضع نفسه) .

وفي سنة خمسة وثمانين وسبعماية في رجب قبض الملك الظاهر برقوق على الخليفة المتوكل واخلعه من الخلافة وحبسه ، واقام بدله بالخلافة أبا حفص عمر بن الواثق بالله ابراهيم ، وهو السادس والاربعين من خلفاء بني العباس ، والتاسع منهم بالديار المصرية .

٤٦ – وفاة ابي حفص وخلافة ابيه المعتصم ، ومقتل نائب الشام بيدمر ، وموارنة قبرس : سنة ثمانية وثمانين وسبعماية (اي ١٣٨٥ م) توفي الخليفة ابو حفص عمر يوم الثلاثـــة سادس جمادى الآخرة . وتولا الخلافة بعده ابوه المعتصم بالله ابو يحيى زكريا ، وهو السابع والاربعين من خلفاء العباس والعاشر منهم بالديار المصرية .

وفيها قبض[1] السلطان برقوق على بيدمر نايب الشام فقتله وولّا في نيابة دمشق الطنبغا الجوباني (وكان مترأساً على موارنة قبرص الاسقف يعقوب المتريتي كما ورد في الغرر الحسان ص ٥٠٢).

٤٧ – عصيان يلبغا وتمربغا النائبان عـــلى اوامر السلطان ، وخلع السلطان برقوق واعادة الملك حاجي الملقّب بالمنصور : سنة تسعين وسبعماية عصى يلبغـــا نايب حلب ، وتمربغا منطاش الافضل نايب ملطيه ، وجعلوا خروجهم عن الطاعة للسلطان بسبب قتلة بيدمر نايب الشام (وهنا انتهت ص ٨٤ قفا ، انظر الغرر الحسان صفحة ٥٠٢) .

وسنة احد وتسعين وسبعماية ، قال بن سباط (ص ٣١٥) جهّز الملك برقوق الجيوش المصرية بكثرة وافرة ، وكان مقدم العساكر

---

١) بسبب عصيان يلبغا الناصري وخروجه عن طاعـــة السلطان برقوق كما جاء في تاريخ ابن سباط في الموضع المشار اليه اعلاه .

جركس الخليلي امير ياخور لمقاتلة الناصري يلبغا وتمربغا منطاش . فجمعا هاذان عساكر الشام والعربان والتراكمين واهل كسروان والجرديين وجرت بينهم حروب كثيرة . فانتصر تمربغا والناصري على عساكر مصر ، وقتلوا جركس الخليلي قايد الجيش ، واستولوا على الممالك واعطوا نيابة الشام الى جنتمر أخو طاز ودخلوا بالعساكر الى الديار المصرية . وخامرت عساكر مصر على الملك الظاهر بسبب إهلاكه الناس وتوجّهوا الى الناصري ومنطاش فخلعوا الملك الظاهر الذي كان قد اختفا ، واعادوا الى السلطنة الملك الصالح حاجي ولقّبوه بالملك المنصور حاجي ، وكان ذلك في الشهر الاول من جمادى الثاني . وكانت مدة ولاية الملك الظاهر برقوق ست سنسين وثمانية اشهر وستة عشر يوماً .

٤٨ – القتال بين الامراء . برقوق يعود الى الملك . وفاة الملك مراد بن عثمان . الشدياق مقدم بشراي . دير قنوبين : وكان في هذا الزمان الحرب والقتال بين تركان كسروان وامراء الغرب . فأهل كسروان واولاد الاعما كانوا مع ارغون نايب تمربغا منطاش ببيروت ، وامراء الغرب (التنوخية) كانوا مع الملك الظاهر . وصارت بينهم الحروب في الساحل ، فاستظهروا ، في جورة منطاش التي عند زوق مكايل ، جماعةُ منطاش الكساروه على امراء الغرب وقتلوا منهم نحو تسعين نفر ، ومسكوا جماعة فسمّروا منهم البعض ، ووسّطوا البعض ، ونهبوا ما وجدوا ببيروت لامراء الغرب ، وحرقوا عدة قرايا من الغرب ، وهم (قريـة) عيناب وعين عنوب وشملال (أي شملان) وعيتاب وغيرهم .

ثم ان الملك الظاهر تباين على يد الطنبغا[1] الجوباني نايب الشام بأمانٍ ويمين . وأما الناصري لم يوافق على نكث العهود والمواثيق التي اعطوها للملك الصالح ، قصد قتل الملك برقوق ، فجهّزوه الى سجن الكرك واقاموا حسن الكشكلي نايباً على الكرك . واما منطاش فتغيّر على الجوباني وعلى الناصري فمسكهما واعتقلهما وارسلهما الى الاسكندرية . وجهز المنطاش الى الكشكلي نايب الكرك بقتل الملك الظاهر . واما النايب الكشكلي ، لما سمع بما صار بالناصري الذي كان ولاّه على الكرك ، لم يوثر بقتل برقوق (وهنا انتهت ص ٨٥ وجها) ، بل افرج عنه واخرجه (بزي درويش) ، وجمع اليه مماليكه وعسكر الكرك . فخرج الملك برقوق تقاتل اولاً مع باكيش نايب غزة فقتله وغنم مـــا كان معه . ثم سار الى الشام فواقعه جنتمر نايب الشام فظفر به برقوق واستمرّ على حصار دمشق . ثم حضر اليه كمش بغا الحموي نايب حلب ومعه جموع وخيام واثقال فقوي الظاهر برقوق عليهم . ثم ان تمربغا منطاش خرج من مصر بالسلطان حاجي والعساكر المصرية وجرى بـين الفريقين حرباً شديد آخرها ان انتصر الملك الظاهر برقوق وامسك منطاش والملك الصالح بشقحب.

وفي هذه السنة توفي السلطان مراد بن غـازه بن اورغـان بن عثمان . افتتح ادرنه ، وقتله واحد نصراني كان حامل الخنجر بكمه ، ومن ذلك لم عاد يدخل احد على السلطان اذ لم يفتّشوه . وكانت مدة سلطنته احد وثلاثون سنة ، وتولى بعده السلطان بعدَ ر ابا يزيد خان بن السلطان مراد .

---

١) ويقول الشرتوني في تاريـــخ الازمنة ، ص ١٣٠ بالحاشية : « وفي رواية الغرر الحسان : عند الطنبغا ، بدلاً من « على يده » كما في المتن ، وابرز هناك عـدة فروقات في النسخ فلتراجع هناك .

(ونقرأ على الهامش) : «ولما تدروش الملك الظاهر يقال انه قدم إلى قرية بشراي شرقي طرابلس، فأقام الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً، وكتب له بذلك صفيحة من نحاس، ثم نزل الى دير قنوبين[1] فبات هناك وعجب من سيرة الرهبان فكتب لهم صفيحة بذلك من نحاس يكونوا معافين ويكون ديرهم له الرئاسة على ديورة تلك الجهات» .

٤٩ – خلع حاجي والمعتصم، وخروج الناصري والجوباني من الحبس . ومقتل بني الاعمى : سنة اثنين وتسعين وسبعماية (أي ١٣٨٩ م) جلس الملك الظاهر ثاني مرة على تخت السلطنة، وخلع عليه الخليفة والقضاة . وخلع عن السلطنة الملك المنصور حاجي . وكانت مدة ولايته الثانية سبع شهور وايام، واعتقل السلطان برقوق حاجي في مصر وامر بخروج الناصري الجوباني من حبس الاسكندرية، واعطى الناصري نيابة حلب واعطى الجوماني نيابة الشام . وكانت فتن كثيرة وحروب سنة عص (أي ٧٩٠ هج) في بلاد الشام بين منطاش وبين متولي دمشق من جملتها ان جردوا العساكر الظاهرية الى تركمان كسروان عشران البر وتواقعوا فقتل الامير علي وأخوه الامير عمر بني الاعما، وقتلوا منهم جماعة كثيرة ونهبوا زوق تركمانه ومتاعه .

وفيها (اي السنة) خلع المعتصم بالله من الخلافة، واعيدت الخلافة ثاني مرة للمتوكل على الله (وهنا انتهت ص ٨٥ قفا) .

---

١) يقول البطوريرك الدويهي عن هذا الدير الذي يسمّيه دير المايتين راهب، ان ملك الروم ثاودوسيوس بناه منذ١٠١٣ سنة في تاريخ الطائفة الذي نشره الشرتوني ص ١٣٢، واخبار الاعيان ص ٢١٣ و ٢٤٠ و ٦٧١ .

٥٠ – **الامير التركاني قرا يوسف يفتتح مدينة تبريز . البطريرك داود الجاجي وقصته** : سنة اربعة وتسعين وسبعماية (اي ١٣٩١م) أخذ قرا يوسف بن قرا محمد امير التركان بالشرق مدينة تبريز ، وارسل مفاتيحها الى الملك الظاهر برقوق ، فارسل اليه تشريفة فلبسه واستمرّ نايباً بها .

(ونقرأ على الهامش) : « سنة اعد (اي عام ١٧٠٤ للاسكندر) الموافقة الى سنة اشصح ربان (اعني ١٣٩٣ م) كان جالس على كرسي انطاكية البطرك الجاجي داود ، وفي دير سيدة قنوبين المطران بطرس . (والكلام الذي يتبع على الهامش هنا مشطوب عليه) فصار أن اليعاقبة خدعوا البطرك حتى تمسك ببعض عوايدهم وكان القس ... الحدثي مستحبس في مار سركيس فوق مار ابون فانخدع هو ايضاً وصار يوضع في القربان زيت ، لأجل ذلك اجتمعوا روساء الكهنة وعزلوا البطرك داود الذي تسمّى من اليعاقبة حنا واقاموا عوضه البطرك حنا الجاجي رجل فضيل مشهور ، ... ادركه غضب الله وتهور من الحبسة ومات » .

٥١ – **ظهر ملك التتر تمرلنك** : سنة خمسة وتسعين وسبعماية (اي ١٣٩٢ م) قدم الى مصر السلطان احمد ابن أويس سلطان بغداد هارباً من تمرلنك ملك التتر ، واخبر ان تمرلنك اخذ ساير بلاد العجم والعراق وتبريز ، والديلم طالباً النجدة من الملك الظاهر . وخرج السلطان برفقة الامراء لملاقاته وامراء الامراء في خدمته واكرامه .

٥٢ – **برقوق يناصر سلطان بغداد ويخلع عليه الخلع** : وفي سنة

سنة وتسعين وسبعماية هج (اي ١٣٩٣ م) خرج السلطان برقوق الى جهة حلب بسبب تمرلنك ومعه احمد سلطان بغداد . ولما وصل الى دمشق خلع عليه وجهّزه بشعار الملك على بغداد واخذها وضرب السكه بسم السلطان برقوق .

٥٣ – ابا يزيد يتوّج سلطان الروم ويفتتح سيواس وغيرها :

سنة سبعة وتسعين وسبعماية (اي ١٣٩٤ م) وصل رسول السلطان ابا يزيد بن عثمان في طلب تشريف من الخليفة بأن يكون سلطان الروم ، فجهّز له السلطان ذلك .

وفي سنة ثمانيــة وتسعين وسبعماية (اي سنة ١٣٩٥ م) حاصر السلطان ابا يزيد سيواس واخذها واخذ بلاد قرمان[١] .

١) هنا تنتهي الصفحة والفصل ، وباق بياض عـــدة اسطر ، بسبب الابتداء بفصل جديد كما سنرى ، وعنوانه هو من المؤلف نفسه . طالع الغرر الحسان عن المقطع السابق ، ص ٥٠٥ .

الفصل العاشر

الباب في ذكر الحوادث الكائنة في سنين المائة والتاسعة للهجرة

١ - البطريرك الانطاكي الماروني الحاجي ومطارنته ومقدم بشراي يعقوب . موافقة السنين . وفاة الملك برقوق . وجلوس اخيه فرج . عصيان تنم وهزيمته . سودون ملك على دمشق : (على الهامش نقرأ) : « سنة الف واربعماية وواحد كان البطرك يوحنا الجاجي ، ومطران قورللوس الجاجي ، وداود بن جوسلين الحدشيتي ، وكان مقدماً على بشراي وبلادها الشدياق يعقوب البشراني ، والاسقف داود الحدشيتي من بيت جوسلين ارتسم . وسنة الف واربعماية لميلاد السيد المخلص توافق لسنة ست آلاف وتسعماية وثمان لكون العالم ، ولسنة الف وسبعماية وحادي عشر لليونانية » .

سنة احــد وثمانماية هج (الموافقة لسنة ١٣٩٩ م) توفي الملك الظاهر برقوق بن عبدالله ثالث عشر شوال ، وتولى بعده ولده الملك المنصور عبد العزيز ، وهو الثاني من ملوك الجراكسة بمصر ، ولم تطول ولايته فخلع واتفقوا على ولاية اخيه الملك الناصر زين الدين فرج

بن الملك الظاهر ، وهو ابن اثنا عشر سنة ، وهو الثالث من الملوك الجراكسة بمصر .

وسنة اثنين وثمانمايـة (اي سنة ١٣٩٩ — ١٤٠٠) خلع طاعـة السلطان تنّم نايب الشام وتوجّه اليه اعيان امراء مصر الى الشام واجتمعوا معه نواب المماليك ايضاً وصاروا ايداً واحدة الى مقاتلة المصرية . فتوجّه الملك الناصر بعساكر الى الشام وتواقع الفريقان في ثالث وعشرين من رجب على الرملة ، وكانت النصرة للملك الناصر ، وقتل غالب الامراء العصاة . ثم ولّى الملك الناصر على دمشق سودون ابن اخت برقوق ورجع هو الى الديار المصرية .

٢ — فتوحات تمرلنك في العجم والفرس والعراقين والجزيرة وغيرها . هديته للسلطان . كتابه للسلطان والجواب عليه . وصف رائع للمعارك الضارية . ظهور الجراد والغلاء والوباء : سنـة ثلاثة وثمان مايـة (أي سنـة ١٤٠٠ م) تملّك تمرلنك العجم والفرس والديـلم والعراقين وطبرستان وارمينيه والموصل والجزيرة ، وجمع عساكرهم وزحف الى اخذ بلاد الشام . وقال بعض اصحاب التواريخ، لما بلغ تمرلنك من بعض الدهر ّما دار ارسل الى السلطان رسلا ومعهم هدية ً وكتاب . فلما وصلوا إلى رحبة مالك بن طوق ، وثب عليهم كمش بغا النايب وقتلهم وأرسل الى السلطان بالهدية والكتاب ، وهذه نسخته كما يذكر ابن الحريري في تحريكه : (هنا تنتهي ص ٨٦ قفا) :

بسم الله الرحمان الرحيم . القوة لله . قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة . أنت تحكم بين عبادك في مـا كانوا فيه مختلفون . اعلموا اننا جند خالقنا الله من سخطه ، وسلطنا على من حلّ عليه غضبه ، لا نرقّ لشاك ولا نرحم عبرة باك ، قد نزع

الله الرحمة من قلوبنا ، فالويل كل الويل لمن لم يكن من حزبنا . قد خرّبنا البلد وايتمنا بها الولات واطلقنا فيهـا الفساد ، وخيولنا سوابق ورماحنا خوارق وسهامنا موارق وعساكرنا زواعق . وعددنا كالرمال وقلوبنا كالجبال . فمن نال حربنـا ندم ، فكنّنا الا يراق وجاء زمان لا يطاق ... فلا تلوموا الا انفسكم . فالحصون من يدنا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا ترد ولا تنفع ، ودعاكم علينا لا يستجاب ولا يُسمع ، لأنكم اكلتم الحرام وارتكبتم الآثام ، وضيّعتم الجمـــع وعزقتم في بحر الطمع ، وسلكتم طريق البغي والعداوات فابشروا بالمذلة والهوان . واليوم تجزون عذاب الهون ، بمعاصيكم تستكبرون في الارض بغير الحق ، وكما كنتم تفسقون . وقـد ثبت عندكم اننا كفرا وقد ثبت عندنا أنكم فجراة . وقد سلّطنا عليكم الاله بيده أمور مقدّرة ، واحـكام مدبّرة ، فعزيزكم لدينا ذليل ووفركم عندنا قليل . فاننا ملوك الارض شرقاً وغرباً . واخذون كل سفينة غصباً . وقد وضّحنا لكم طريق الصواب فأسرعنا الينـا برد الجواب ، من قبل أن ينكشف الغطاء ويقع الحرب والسطاء ، وتوقد الحرب نارها وتوري عليكم شرارها ، ولم تبقا لكم قلمة وينادي عليكم مناد . . . لقد انصفناكم ازاء العاقبة ونثرنا عليكم جواهر هذا الكلام والسلام.

فاجابه السلطان بكتاب من انشاء بعض الكتّاب وهو : بسم الله الرحمان الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم ، لن ينالوا خيراً ، واكفا (كفى) الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . وصل الكتاب المخبّر عن الحضرة الايخانية والشدة العظيمة القنبيّة — تقولون انكم مخلوقين من سخطه مساطون من حل عليه غضبه . لا ترقّون لشاكٍ ولا ترحمون عبرة باكٍ وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم . فذلك

من أكبر عيوبكم ، وهذه من صفات الشياطين ولا من صفات السلاطين، وكفي بهذه الشهادة عليكم واعظاً . وبما وصفتم به انفسكم ناهياً وآمراً — قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الصورة ، ففي كل كتاب لُعنتم وبكل قبيح وُصفتم ، وعلى لسان كل رسول ذكرتم . وعندنا كفرتم من حين خلقتم وزعمتم انكم كفراة الا لعنة الله على الكافرين، مَن يتمسك بالاصول فلا يبالي بالفروع ، فنحن المؤمنون حقاً والقائلون صدقاً لا يداخلنا عيب ولا يصدّنا ريب . القرآن علينا نزل (هنا تنتهي ص ٨٧ وجهاً) وهو رحيم بنا لم يزل ، وتحققنا تنزيله وعلمنا تأويله ، انما النار لكم خلقت ولجلودكم اضرمت ، والجحيم لكم سعرت، اذا السماء انفطرت ، ومن اعجب العجب تهديـــد الرثوث باللتوت والسباع بالضباع والكماة بالكراب . فنحن خيولنا رقيّــة وسيوفنا ايمانية ورماحنا خطية ، وسهامنا كلنجية ولثوثنا مصرية ، وكتافنا شديدة المضارب وصفها في المشارق والمغارب ، فلا بدّ ما نأتيكم بخيل جاد وسيوف جداد ورماح مداد وابطال شداد . واذا هجموا على البحر مزّقوا امواجه ، وعلى البر الاقفر خرّبوا افجاجه . قوام بالليل صوّام بالنهار . لا تهولهم السباسب ولا بعد الديار . قد انشوا على الحروب والقراع ، والقوا الفروسية من عهـد الرضاع . فليس بيننا وبينكم سوى نظرة العين ونعقة غراب البين . فان قتلناكم فنعم البضاعة وان قُتلنا فبيننا وبين المجيء ساعة ، ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل الاحيا عند ربهم يرزقون . واما قولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقباص لا يبالي بكثرة الغنم ، وان كثيراً من الحطب يكفيه قليل من الضرم ، وكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . الفرار من الرزايا لا من المنايا . فنحن المنية عندنا غاية الامنية ، ان عشنا سعداء وان متنا شهداء . الا ان حزب الله هم الغالبون ، أبعد امير المؤمنين وخليفة

رب العالمين تريدون منا الطاعة ، فليس لكم ولا طاعة ، وطلبتم أن يثبتكم امرنا قبل أن ينكشف الغطاء ويقع الضرب والسطا . هذا كلام في نظمه تركيك وفي سلخه تفكيك ، لو كشف الغطاء لبان انقص بعد تبيان اكفر بعد ايمان . . . لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السماوات تنفطر منه ، وتنشقّ الارض وتخرّ الجبال هدّاً . قل لكاتبكم الذي وصف رسالته ورصف مقالته ان وصل كتابه فكان كصرير باب أو كطنين رباب ، سنكتب له ما يقول ، ونمدّ له من العتاب مداً ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والسلام . (وهنا انتهت ص ٨٧ قفا ، وقد تُرك منها بياضاً بضعة أسطر) .

فلما تواترت الاخبار بقدوم تمرلنك والجيوش التترية إلى جهات المصاير الحلبية ، كثرت الارجاف والضنك ، فخرج سنبغا بالعساكر المصرية ، وجمع سودون جند الشام وخرج بهم من دمشق في اول شهر صفر ، فاقاموا على برده مدة جمعة وانتقل الى حمص . فاجتمعوا النواب اليه من صفد وبيروت وطرابلس وغيرهم . ثم خرجوا من حمص ودخل حلب في اول شهر ربيع الاول ، ونزل تمرلنك بجيوش التتر الى مرج دابق وكانوا كالجراد الذين ما عليهم مزاد . فأرسل تمرلنك الى نايب حلب تقليداً وتاجاً مرصع وسيف محلا وترخاش وهدية من مفاخر القماش . فلما وصلوا الرسل اليه قتلهم النايب ولم يردّ لتمرلنك جواباً . وارسل الهدية والكتاب الى السلطان . فلما بلغ ذلك تمرلنك شمل به الغضب وجرّد العساكر إلى ناحية حلب . فتلاقى الجمعان خارج المدينة وكثر الضرب بينهم ، فانكشفت عساكر الشام وانهزمت الى المدينة . فقتل منهم تمرلنك وأسر شيء لا يعدّ ، وتفرّقت جماعته فغنموا ونهبوا ما يفوت الحدّ .

ثم نصب المجانيق والنفط والنار على حلب وحاصرها اشدّ حصار. فذلّت قلوبهم ونكّست رؤوسهم وحالت أحوالهم وذهبت نفوسهم واموالهم ، فقويت شوكة التتر والعجام وانضمّت اليهم المغل والعساكر والاعلام فتملكوا المدينة وتغيّرت بها الزينة ، وعظمت بها الاهوال وخطفت الاموال وهدر دماؤها ودرست اسماؤها ، ولم يرا بها الا الفتك والنهب والقتل والصياح والصرخات من أربعة اركانها . فصعد الامراء والنواب الى القلعة وتحصّنوا بها ، ورحل تمرلنك الى المعظم فحاصر المدينة اشد حصار . وفي يوم الاربعاء نصف الشهر طلبوا الامان ونزل الى عنده كيتم التركاني وسنبغا الدوادار ، فسلّماه القلعة ومفاتيحها . فخلع عليهم وردّهم الى القلعـة بالامان . ثم نزل الى عنده النواب والامراء واسرهم فاودعهم بالقيود ، وصعد الى القلعـة بنفسه واستخرج منها الاموال وقتل ونهب واسر شيء لم يوصف .

ثم خرج تمرلنك بالعساكر الى دمشق فوصل الى المعرّة فانجفلت أهل دمشق من سمع ذلك جفلةً شديدة ، وكثر صياح النساء وصراخ الصبيان ، وخملت قلوب الناس ، وتشتت الاعيان والعساكر ، وقصدوا البعض قلعة ارنون ، والبعض قلعة شقيف تيرون ، وآخرون المواضع الحصينة . واخذ الناس اعيالهم وجعلوا تحت الردم اموالهم . وكان كري البغل الى بيروت بماية وإلى الرملة بثلاث ماية ، وحارت الناس بأمرها . ثم اجتمع الاعيان بدار السعادة (انتهت ص ٨٨ وجهاً) وشرعوا بالقتال واستنجد بالعساكر المصرية ، واخـذوا الاموال من التجار واشتروا آلات الحصار ونصبوا المدافع على الاسوار ، واجروا الامياه في جنادق كالانهار ، ونادوا بمنع السفر ، وان من هرب تنهب ارزاقه ، وكثر بينهم النهب والضرب بالقسي والنشاب .

ثم ان وصلت الاسرى من جهة الشمال وأخبروهم بما شاهدوا من

القتال والفسق والمنكرات فامتلأت قلوب الناس خوفاً وانهزموا بشبه السيل الدافق ، وتركت الناس اموالهم ونعمتهم وتشتّتوا في اماكن مختلفة . ثم ان هرب سنبغا الدوادار ونواب صفد وطرابلس وبيروت وهم لابسون الخلقان ينادوا في العـــالم : الفرار ، الفرار ، ويعلموهم بكثرة التتر وكفرهم وبما صنعوا بحلب واهلها . عند ذلك امر الحاجب ان ترمي الشرط السلاح ولا يحمل أحداً قوساً ولا نشاباً . ولمـــا تحققت الناس بهلاك عساكر الشام وعدم خروج المصريين ، فضاقت بهم الدنيا وزادت بقلوبهم الرعب . ولما شاهدوا النواب والامراء لم يرجعوا الاّ بطوب (بثوب) العباء او في لبّاد او في الخلقان ، وفرّ ناظر الجيش وكاتب السر وباقية الاعيان والاماثل ، ولم يتبقا الا المساكين والارازل .

ثم ان تمرلنك ارسل ولديه مهران شاه وماردين شاه الى فتح حماة . فلما دنوا منها تلقاهم اهلها بالضيافة . فرضيوا منهم واستنابوا عليهم نايباً واخذوا الهدية التي قدّمها لهم ورحلوا عنها . ثم ان وثب اهل حماة على النايب فقتلوه . فلمـــا بلغ ذلك مهران شاه وماردين شاه ، اولاد تمرلنك ، فرجعا بالجيش فقتلوا ونهبوا واحرقوا غالب البلد وحاصروا القلعة حصاراً شديد ، واستنجدا بتمرلنك فارسل لهم عشرين الف مقاتل . فملكوا القلعة وألقوا من تحصّن فيها في المهالك وضربوا وعلقوا وقتلوا واحرقوا . فدرست محاسنها وانبدلت معالمها ، وازتاد الجفل والرعب بأهل الشام فخرج نصفهم من البـــلد .

(ونقرأ على الهامش ملاحظة طويلة هي التالية) : «ويقول المطران يعقوب من قنيا في كتاب الناموس الذي كتبه في دير السيدة بأرض لحفد باسم المطران داوود ابن جوسلين الحدشيتي في سنة الف وسبعماية

وثلاثة عشر يونانية (أي سنة ١٤٠٢ مسيحية) ، ان بتلك السنة جاء فناء حتى وقف ناس كثيرة بلا دفن ، وجاء غلاء حتى مات ناس كثيرة من الجوع وابصرت الناس ديقه (ضيقة) وشدة وهم وجوع وحزن وبلاء لم يكن مثله من ابتدى الخليقة . وان قبل ذلك بسنة خرج من المشرق تمرلنك من مدينة سمرقند بعساكر متوافرة وأسبي واحرق واضرب واستأسر ناس كثيرة ، ولم احد اشهر بوجهه سيف وعاد لبلاده بغنايم جزيلة . وفي سنته ظهر الجراد في كط (٢٩) من اذار واكل الزريعة وبقيت الارض كما كانت في الكوانين ، ثم اكل الزرع ، وحملت الكروم حملاً زائد ، وفي كب (١٢) من أيار طلع الزحاف فارتعى الزروع والعروق والاثمار والاشجار حتى الحرش والغابات ، وعرّى الارض بالكلية . وغلت الاسعار حتى ان شنبل القمح زاد عن الخمسين والدكن عن الثلاثين . وفنيت اكثر الماشية ، وجاء على الشام ضيقة شديدة » .

ثم تواترت الاخبار بخروج السلطان من مصر وقدومه الى بلاد الشام ، فتطمن الناس وتهيّوا للحصار واجروا في الخنادق الامياه وجمعوا العساكر وفتحوا الحواصل ، ونادوا بالجهاد وتمسكوا الناس بعضهم ببعض ، ودخل السلطان الى دمشق وقبلته اهلها وفرحوا شديد الفرح . فنزل بالقلعة وحصّنها وفرّق على الناس السلاح والغلال واستعدوا كلهم للقتال . وحصل من ذلك على تمرلنك خوفاً شديد وعزم على الهرب والرجوع لبلاده في وصول السلطان . ولكن صار ان دخل على السلطان شخص من خواصه وخوّفه من الاعداء وشدّتهم (هنا انتهت ص ٨٨ قفا) وقال له : لا بدّ ان تمرلنك سيملك الشام فتفوتك مصر فلا تتأخر ولا تنام . فحصل ذلك الرأي على السلطان (اي أثّر به كلامه) وقام على مصر وخرج من قلعة دمشق ليلا تاركاً الشام وراءه ، وطلب الرجوع إلى الديار

المصرية ، وذهب على طريق البقاع العزيزي ، وجعل دربه على الجبال، فبات ثاني ليلة بسفح جبل لبنان ، الى جهة الغرب ، بمكان يقال له الصفصاف بين قريتي نيحا وجباع الحلاوة لئلا يعلم به احد ، وتوجّه على طريق الساحل ودخل الى مصر .

فلما بلغ تمرلنك ذهاب السلطان ، داخله الطمع واحتاط المدينة بالعساكر ، ونصب خيامه من قبة يلبغا الى ميسنون . ويقول ابن الحريري ان اشتدّ الحصار والقتال ورأت اهل دمشق من المصايب والاهوال مـــا لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال . وجرا من الحروب ما لا جرى بين الملوك الاكاسرة ، والعرب العرباء والقياصرة وخلفاء الاسلام وسلاطين العراق ومصر والشام ، ولا صابور مع قيصر ، ولا الاخشيد مع القايد جوهر ، ولا لبني اميّة مع ابا مسلّم الخراساني ، ولا النعمان بن خالد مع جبله الغسّاني ، ولا الشام مع بيداد ، ولا الأمين مع المأمون ببغداد ، ولا لبني بويه الديلمي ، ولا للمستعصم مع وزيره العلقمي ، ولا لنور الدين وصلاح الدين مع بني الاصفر ، ولا لقلاوون مع سنقر الاشقر ، ولا لبني تكش مع جنكزخان ، ولا للملك الناصر مع غازان ، ولا لبيبغا ولا ليلبغا ولا للفخري ولا للطنبغا ولا لأيبك وطشتمر ، ولا ادركته بسمعي وناظري في وقعة الظاهر برقوق مع الناصري ما حدث على الاسلام من الضنك في وقعة الطاغي تمرلنك .

وقاتلت اهل دمشق قتالاً شديداً لا يعهد ، وباتت دمعة من يخاف الله لا ترقا ولا تخمد ، واشتدّ القتال وكثرت الاهوال وزاد الوبال، وراحت الارواح والاموال ، فانّا لله وانّا اليه راجعون . فيا لها من مصيبة ما اعظمها ومن محنة ما اولها ! ثم دخل تمرلنك المخدوع الاعرج المشلول إلى دمشق ووطّاها واسقط تماليمها ، وأهان زمانها

وازلْ اعيانها ، ونهب وفتك وفضح ومتك وشتّت وفرّق ، ومزّق الاحشاء وحرق واسر اهلها وخرّبها عن اصلها ، وقتل اعيانها وهتك نسوانها واحرقها من اربعة اركانها ، واحرق الجامع الاموي وسائر المساجد والمدارس والمعابد ، وتركها أطلالاً بلاقع ، لا اسواق فيها ولا جوامع ، وقطع اشجارها وأباد اثمارها ، وهدم قلعتها ودرست نعمتها ، وتغيّرت محاسنها وذهبت أماكنها . وبالجملة فانه يضيق هذا المختصر عن ذكر تمرلنك ومـا فعل ببلاد الشام من القتل والاسر والحريق والنهب والفسق بالحريم والبنات والاولاد وقتـل الاطفال واخذ الاموال . وقيل عنه انـه كان يأمر بجمع الأطفال ويرميهم في بئر حتى يكاد ان يمتليء البير من الاطفال ، ثم يرمي عليهم الأحجار العظيمة فتسمع لهم صراخاً عظيماً ، وكان يجمع الأولاد ويضعهم في الخنادق ثم تدوسهم الخيل والبقر ، وكان ذلك في سنة ثلاث وثمانماية هجرية (اي ١٤٠٠ للميلاد) .

ولم يخرج تمرلنك من دمشق حتى جاءهـا الجراد العظيم فغطّـا السماء وملأ السهل والوعر ، فأكل النبات والثمار والاقوات ، ويبست الاشجار ، وامتلأت منه العيون والأنهار ، وتبعه الجفاء العظيم والغلاء الوسيم ، وعدم القوت اصلاً ، واكلت الناس اولادهم وعبيدهم وجواريهم ، ولم توجد القوت بمال ولا بحال من ساير الاحوال . فلما نظر ذلك تمرلنك الاعرج رحل عن دمشق ولم يبقا فيها ساكن ولا مقيم عن عظمتها ، وجميع ذلك كان بعدل الله واحكامـه لأجل كثرة خطايا اهلها وارتـكابهم الفواحش مع الاناث والذكور[1] .

---

١) انظر هذا الوصف ايضاً في الغرر الحسان ، ص ٥٠٧ ـ ٥١٥ ، وذكر كل ذلك ايضاً العلامة الدويهي في تاريخ الازمنة الذي طبعه الاب توتل اليسوعي ، ص ١٩٤ ومـا بعدها .

(وعلى الهامش نقرأ ما يلي) : « يذكر المطران يعقوب القاطن في لحفد في دير السيدة المسمّا دير المرج أن ظهور الجرد كان في ٢٩ من اذار فأكل جميع الزرّيعة حتى ترك الارض عريانة كما كانت في الكوانين . ثم في كب (اي ٢٢) من ايار طلع الزحاف من سواحل البحر وعرّى الكروم والاشجار حتى الحرش والغابات من جميع الخضورة ، وغلت الأسعار حتى ان القمح زاد شنبله على خمسين، وشنبل الدكن ثلاثين . وجاء على الناس ديق (ضيق) عظيم جداً ، وكان ذلك سنة اعيج لليونان (سنة ١٧١٣ للاسكندر التي توافق لسنة ١٤٠٢) [1] » .

٣ - **العمل على تعمير دمشق وحلب** : سنة أربعة وثمان ماية استقر في نيابة دمشق الامير اقبغا الجالي وشرع في عمارتها . وبعد منه نقلوا الشيخ محمود الخاصكي من نيابة طرابلس الى دمشق وكان كفوءًا للنيابة والعمارة . واستقرّ في نيابة حلب الامير دقماق الخاصكي وشرع في نيابة حلب . وقيل ان ذلك كان سنة خمسة وثمانماية .

٤ - **وفاة القاضي بن الشحنة ومصالحة الملك التتري تمرلنك مع السلطان المصري وتوقيع الصلح** : وفي سنة خمسة وثمان ماية هج (اي ١٤٠٢م) انتهى تاريخ القاضي شمس الدين محمد ابن الشحنة الحلبي، ثم عاش قليلا ومات .

١) هنا انتهت ص ٨٩ وجهاً . وتجدر الملاحظة الى ان المؤلف العلامة الدويهي قد اشبع الاسطر هذه بالكلمات وجملها طويلة ومشحونة ، وذكر على الهوامش تعليقات المؤرخ الماروني المطران يعقوب الحدثي الذي كان قاطناً في دير السيدة في يانوح . وانظر ما قال الدويهي سابقاً عن هذا المطران يعقوب الذي اشار اليه مراراً وتكراراً في هذا الفصل لاهميته وعن المطران داود ابن جوسلين مؤلف كتاب الناموس ، الذي توفي كما قال الدويهي في ١٦ شباط سنة ١٤١٩ .

وفيها (اي هذه السنة) وصلت رسالة تمرلنك الى مصر مع هدايا عظيمة للسلطان فرج واعتذر بما صدر منه ووقع الصلح بينه وبين السلطان .

٥ – وفاة السلطان كلدر ابا يزيد وخلفه اولاده الاربعة : سنة سبعة وثماني ماية توفي السلطان كلدر ابا يزيد ، وكانت مدة سلطنته ستة عشر سنة ، وتخلفوا بعده اولاده وهم (اربعة) عيسى وموسى وسليان وقاسم ، وكان القتال بينهم ثابت مدة سنة [وليس مدة اثنتي عشرة سنة كما ذكر البعض غلطاً] .

٦ – وفاة الخليفة وجلوس المستعين ابو الفضل العباس ، وطرد الامير نعير البدوي من دمشق ، وانهزام يلبغا : سنة ثمانية وثمانماية هج (اي ١٤٠٤ م) توفي الخليفة المتوكل على الله محمد في رجب وبويع بعده ولده المستعين بالله أبو الفضل عباس . وهو الثامن والاربعين من خلفاء بني العباس والحادي عشر منهم بالديار المصرية.

وفي هذه السنة في الشهر المحرّم خرج نعير بن مهنّا الحياري البدوي على الاعمال الشامية ، فملكها وقسمها واستولى عليها ، وكان معه من العربان خلقاً عظيم ، ومضى قاصداً دمشق فخرج عليه يلبغا الناصري نايبها وتواقعوا على قرية عذرا خارج دمشق ، فانهزم يلبغا الناصري واستولى نمير البدوي على دمشق فأخذ الاموال (هنا انتهت ص ٨٩ قفا) ، وظلم وعسف وجار على الرعية وتضرّرت الناس من كثرة عساكره ، والمثل يقول : جور الترك ولا عدل العرب .

فلما سمع بذلك السلطان فرج خرج بالعساكر المصرية إلى دمشق فنزح العربان عنها وعن الامصار الشامية ، ومهّد وعمّر الجامع الاموي

الذي كان قـــد حرقه تمرلنك الحيوان ، وشرع في عمارة دمشق ومعالمها وتصريف امور الناس ومهد لارجاع محاسن البلاد الى دمشق وساس العباد .

٧ – السلطان محمد بن بلدر . حروب وحوادث كثيرة . نيروز يقصد الشام فيأتي ملك مصر لمحاربته وعمار الشام : سنة عشرة وثمانماية هج (الموافقة لسنة ١٤٠٥ م) تولى السلطنة في ناحية الشمال ، السلطان محمد بن بلدر ، وتطمن البلاد من القتال الذي كان صاير بين اخوته وبينه نحو اثنا عشر سنة . وفي هذه السنين جرت حوادث وحروب كثيرة بين الشيخ الخاصكي وبين أمراء دمشق . وكانت قصة جركس المصارع (عن يد نوروز على كروم بعلبك) .

وسنة اربعـــة عشر وثمانماية (أي ١٣١٠ م) قدم نيروز بجيوش كثيرة قاصد الشام فقتل اعيانها بأخبار يطول شرحها . ثم انــــه خرج الملك الناصر فرج من مصر بالعساكر ودخل الى دمشق ونزل بالقلعة واقام بها مدة وامر بالعمار في ما تأخر .

٨ – مقتل السلطان فرج . خلافـــة المستعين بالله . مؤامرة الخاصكي وادعاؤه بالسلطنة : سنـــة خمسة عشر وثمان ماية (توافق ١٤١٢ م) كان مقتل السلطان فرج بن برقوق في قلعـــة دمشق في سادس عشر صفر ، واختبطت دمشق والمماليك بعد موتة السلطان. فاجتمعوا الامراء في سادس عشر صفر يوم السبت وبايعوا الخليفـــة المستعين بالله بالخلافة والسلطنة وأجلسوه عـــلى تخت الملك بدمشق وولّا نوروز نيابة السلطنة بدمشق . والشيخ الخاصكي امير كبير اتابك العساكر المصرية بالقاهرة . ثم ان السلطان المستعين في تاسع

عشر ربيع الاول توجّه من دمشق الى مصر وجلس على كرسي الملك بقلعة الجبل . ثم تؤامر عليه شيخ الخاصكي ، وفي ثالث شعبان من هذه السنة (هنا تنتهي ص ٩٠) أخلعه من السلطنة وتلقب بالملك المؤيد[١] شيخ الخاصكي بن عبدالله ، وهو التاسع وعشرين من ملوك الترك والرابع من الجراكسة بالديار المصرية .

واما بالخلافة (فقد) بايع المعتضد بالله ابو الفتوح داوود ابن المتوكل واخو المستعين ، وهو التاسع والأربعين في خلفاء بني العباس والاثنا عشر منهم بالديار المصرية . وكانت مدة ملك المستعين وخلافته نحو سبع سنين ومدة سلطنته نحو من ستة اشهر .

٩ – مقتل نيروز وجلوس السلطان داود على مصر والشام . وفاة الاسقف داود . وحرب المؤيد للفرنج : سنة ستة عشر وثمان ماية (اي ١٤١٣ م) خرج الملك المؤيد من مصر الى اخذ الشام من نوروز وجرى بينهما حروب بظاهر دمشق ، فقبض السلطان داوود على نوروز وقتله وصفت له المملكة بمصر ودمشق وقهر اعداءه ، وكان حسن السياسة والبلاغة ، وعمّر بدمشق المدرسة المؤيّدية والسوق المنسوب اليه .

(وعلى الهامش نقرأ مـا يلي) : سنة اعل (١٧٣٠ اي سنة ١٤٢٩ م) توفي الاسقف داوود ابن جوسلين من حدشيت في ١٦ من سباط كما كتب الخوري ابراهيم بن الخوري اسطفان من بقعكفرا ».

واما الملك المؤيد (فقد) قدم الى دمشق مرات ، وخرجت

---

١) طالع اخبار الاعيان ص ٩٤ و٦٧٣ وكتاب الغرر الحسان في تاريخ سنة ٨١٧ للهجرة (نقلاً عن الشرتوني ، ص ١٣٤) .

الفرنج بايامه وقاتلهم على نهر الدامور بين صيدا وبيروت ، فظفر بهم وأبادهم ورجع من طريقه فبات علـى راس ماء نهر الباروك وهو الفريديس بواديها بسفح جبل لبنان ، وله وقايع كثيرة ، (حسب تواريخ الغرر الحسان ص ٥١٩) .

١٠ ــ وفاة الملك المؤيد وخلفه ابنه المظفر احمد ثم خلعه وجلوس الظاهر ططر ثم وفاته صغيراً : سنة أربعة وعشرين وثمان ماية (اي ١٤٢٠ م) ثامن من شهر المحرّم كانت وفاة الملك المؤيد شيخ الخاصكي بالشهادة وكانت مدة سلطنته ثمان سنين ونصف وتولى بعده ولده الملك المظفر أحمد وعمره سنة وسبع شهور وهو الثلاثون من ملوك الترك والخامس من الجراكسة . وبعد سبعة اشهر من سلطنته أخلعه من السلطنة الامير َططر في ٢٨ من شعبان ودعى لنفسه وتلقب بالملك الظاهر طَطر بن عبدالله وبايعه الخليفة (وهنا تنتهي ص ٩٠ قفا) والامراء لصغر الملك المظفر . وجلس على تخت السلطنة بدمشق في ٢٨ من شعبان من هذه السنة . ثم إنه توجّه الى مصر من دمشق ومات في الرابع ذي الحجة ، وكانت مدة سلطنته نحو ثلاثة اشهر . وتسلّم المملكة بعده ولده الملك الصالح محمد وهو الثاني والثلاثون من ملوك الترك والسابع من الجراكسة بمصر ، وكان المتكلم عنه في المملكة ابو السعادات برسباي .

١١ ــ وفاة السلطان محمد بلدر . خلع محمد َططر . جلوس الملك الاشرف . نواب كثيرون . تاريخ شمس الدين الزملكاني : سنة اربعة وعشرين وثمان ماية (أي سنة ١٤٢١ م) توفي السلطان محمد ابن بلدار في بلاد الروم ، وكانت مدة ملكه تسع سنين ، وتولا بعده ولده السلطان مراد .

وفي هذه السنة يوم الاربعاء ثامن ربيع الاول خلع من السلطنة الملك محمد بن ططر وجلس على كرسي المملكة الملك الاشرف ابو السعادات، وثامن الجراكسة بالديار المصرية، فأحسن السيرة واصلح السريرة. وكان في ايامه نايب دمشق بها تانبيك ميق، ثم بعده تولا النيابة تانبيك البجاسي وعصى. وتولا عوضه سودون عبد الرحمان. ثم تولى جار قطلي، ثم قيصروه، ثم تولى النيابة اينلك الجكمي الذي كان أولاً متولي نيابة حلب، واستقرّ هذا الجكمي في نيابة الشام إلى سنة اربعين وثمان مابة.

وفي هذه السنة انتهى تاريخ شمس الدين محمد الزملكاني وسمّاه عمدة الظرفاء في اخبار الخلفاء.

١٢ – دخول المراكب الفرنجية الى مصر. خروج الامراء لمهاجمة قبرس، وامتلاك الحصن في لامسّون : سنة ثمانية وعشرين وثمان مابة (اي عام ١٤٢٤ م) دخلت مراكب الفرنج الى ناحية مصر واخذوا مركباً كبير، فرسم السلطان الاشرف بشدّ التعميرة (في ميناء طرابلس) وارسل ثلاثة امراء من مصر وامير الشام وامير طرابلس وامير حلب وامير صفد، فخرجوا من طرابلس اربعين قلعاً كبار وصغار وتوجّهوا اولاً الى جهة الماغوصه (بقبرس) ثم الى جهة الملاحة براس العجوز، ثم ساروا من هناك فالتقوا بعمارة قبرس اثنا عشر جراب ومركب كبير.

وجاء اخو ملك قبرس (تبتدي ص ٩١ قفا هنا) البرنس كندس طابيل ومعه نحو خمسماية خيال وثمانية الف راجل. فبعد قتال شديد انهزموا القبارسة ونهبوا المسلمين واسروا نحو سبعماية أسير، وأخذوا خمس عجلات تجرّها البقر وعليها مدافع وسلاح. ثم توجهوا

الى جهة اللامّسون فملكوا الحصن ونهبوه واسروا من فيه وهدموه ورجعوا الى الطيّنة .

١٣ – ملك قبرس يقع اسيراً في ايدى المسلمين ثم يفرج عنه بشروط ويخلع عليه السلطان خلعاً : سنة تسعة وعشرين وثماني مائة (اي ١٤٢٥م) تجدّدت عمارة مصر على قبرس فأخذوا حصن اللامّسون ثانياً ، وصار الوقيعة وقتل كثير من الفريقين . ثم ان المسلمين ظفروا بأهل قبرس ، فقتلوا أخا الملك كندسطابيل واسروا الملك واخربوا قرايا كثيرة حتى وصلوا الى الافقسية ، وهي كرسي مملكة قبرس ، فأحرقوا دار الملك وبعض أماكن من دورها واسروا ونهبوا ، ثم عادوا بالملك والمكاسب الى الديار المصرية . فرتّبوا جند مصر صفين امام باب القلعة وركبوا ملك قبرس بغلا ودخّلوه بين الصفين والنهب والأسرى تساق قدامه .

ولما اشطروه (احضروه على السلطـــــان قبّلوه الارض مراراً شتّى ثم امر السلطان بسجنـه وانقطعت مصلحته بمايتي الف دينـــار تحمل الى الحرَمين ، ثم خلع عليه خلعـة عظيمة وانعم عليه بفرس وسنجق ذهب وخنبوش ذهب ، وامر ان يدور على الامراء الكتّاب ويسلّم عليهم . وعند سفره خلع عليه ايضاً ، وتوجّه الى الاسكندرية ومن هناك الى قبرس[1] . (هنا تنتهي ص ٩١ قفا) .

---

١) وهنا نقرأ على الهامش حاشية باللغـة اللاتينية عن البابا اوجانيوس الرابع ولكنها غير مقروءة تماماً انمـا يستنتج منها ان البابا اوجان الرابـع الذي اعتلى العرش البابوي سنة ١٤٣١ وانتقـل الى الاخدار العلوية سنة ١٤٤٧ هو الذي امر بعقد المجمع الفلورنتي سنة ١٤٣٨ اولاً في فورادي ثم فلورنسه ومنها اخذ الاسم الفلورنسي .

١٤ – البابا اوجانيوس الرابع والجمع المسكوني . رسالة البطرك يوحنا الجاجي الماروني الى البابا . حبس الموفد البابوي والسعي البطريركي للافراج عنه : سنة امار مسيحية (أي ١٤٣٥ م) (الموافقة للسنة الهجرية ٨٤٠) لما جلس على الكرسي الروماني البابا اوجان الرابع وكان كثير الغبطة وجزيل الغيرة ، فألهمه الله انه يعقد مجمعاً عاماً في مدينة فلورنسا ، وأرسل مكاتيب وقصاد الى ملك اسطمبول والى الكراسي المعظمة وساير طوايف الشرق ليحضروا إلى ذلـــك الجمع ويصير الاتفاق بين الكنيستين الشرقية والغربية . فلما حضروا فرا جوان ورفاقه إلى مدينة طرابلس (وعلى الهامش) : « والبطرك يوحنا الجاجي أرسل البادري فرا جوان رئيس (دير) بيروت الى ذلك رمي الطاعة وليأتيه بالتثبيت ودرع الرئاسة ، فبلغ الخبر إلى السنجق فأرسل قبض عليهم ، وبعد عذابات ألقاهم في السجون . فصعب ذلك جداً على السيد البطريرك يوحنا الجاجي ، فأرسل ناس تُسلّم بسببهم وأخرجوهم تحت الكفالة . ولما رآهم في برّ السلامة امرهم بالعودة ليلا الى بلادهم ، والقى نفسه وشعبه تحت الخطر والموت ليخلّص قصاد الكرسي الروماني ، اشارةً واضحة الى خضوعه وطاعة كل شعبه الى سن الكنيسة الرومانية ايضاً من غير مجمع . فعندما شاع الخبر صار اضطهاد عظيم على الملة المارونية ، فحبسوا كثيرين منهم وعذّبوهم وقتلوهم وحرقوا بيوتهم » .

ثم ان البطريرك يوحنا كتب مكاتيب جميلة الى قدس (البابا) اوجان الفافا وأرسل فرا جوان رئيس بيروت قاصداً الى الجمع باسمه واسم كل طائفته . (وعـــلى الهامش نقرأ هذه العبارة) : « وقيل ان قبو خليل بن مقلد مقدم العاقوري الذي هو فوق العين قد بني في هذا الزمان قبل قبو الشدياق الذي في العاقورة بثلاثين سنة » .

١٥ – وفاة الملك برسباي وجلوس ابنه ثم خلعه وجلوس الملك جقمق الاينالي : سنة احد واربعين وثماني ماية كانت وفـاة الملك الاشرف برسباي ثالث عشرين ذي الحجة بعلة الاستسقاء . ثم ملك بعـده ولده الملك العزيز يوسف ، وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك ، وهو التاسع من الجراكسة . ثم قبضوا عليـه وخلعوه من السلطنة وحبسوه بقلعـــة الجبل وكانت مدة لبثه في المملكة اربع وتسعين يوماً .

وفي سنة اثنين واربعين وثماني ماية (أي ١٤٣٨ م) في سابع عشر ربيع الاول جلس على تخت السلطنة الملـك الظاهر جقمق الاينالي بن عبدالله بالقاهرة . وفي ابتداء ولايته اضطربت المملكة من حلب الى القاهرة وخرج من طاعتـه الامير قرقماس من أعيان القاهرة ، وتغري وارمش نايب حلب ، واينال الجكمي نايب دمشق . فقبض عليهم السلطان فقتلهم كل واحد منهم في بلده ، وقبض على خواص الملك الاشرف فقتلوهم . واقام على نيابة الشام جلبان فعدل في الرعية (وهنا تنتهي ص ٩٢ وجهاً) .

١٦ – وفاة البطريرك يوحنا الجاجي وانتخاب يعقوب الحدثي مكانه . هل يتوسطها بطرك آخر ؟ مكاتيب البطرك الى البابا لطلب الدرع المقدس وتقديم الخضوع . محاصرة القسطنطينية : سنة اتمه رباني (اي سنة ١٤٤٥ م) انتقل البطرك يوحنا الجاجي الى راحة الصالحين ليقبل مجازاة ربه وفضايله ومات في شيخوخة صالحة ، فاجتمعوا الاساقفة ورؤساء الديورة مع بقية الشعب وانتخبوا بطركاً المطران يعقوب الحدثي وبعثوا جابوا له التثبيت من البابا أوجان الرابع ، وهذا يوحنا الجاجي هو الاول الذي جاء سكن بقنوبين ،

ولذلك كثير من القدماء يدعونه الاول بدير قنوبين ، وآخرون قالوا ان يعقوب هو الاول بسبب ان ما احد ارتسم بطرك بقنوبين قبل منه .

وفي سنة اتمز (اي ١٤٤٧ م) ارسل البابا نقولا الخامس وبعث مكتوباً جميلاً الى البطريرك يعقوب اذ ينذره انه يكون سالكاً في الفضائل وطاعة الكرسي الروماني على شبه البطرك الذي سلف قبل منه . ويذكر له انـه يبقا يستشير من اندراوس مطران الافقسية (بقبرس) اذا حدث عليه صعوبة في امور الدين .

(ونقرأ على الهامش ما يلي) : « وربما أن بين يحنا الجاجي ويعقوب الحدثي تواسط بطرك آخر غير الذي نقـــل الكرسي الى قنوبين . وبيان ذلك أن البطرك مخايل في الرسالة التي سنة انسط (اي عام ١٥٦٩) كتبها للكردينال كرفتا هكذا حرّر اسمـه : الحقير بطرس البطريرك الخامس في الكرسي الانطاكي في جبل لبنان المقدس . والبطرك شمعون الحدثي الذي سلف قبل منه يدعوه ابن القلاعي الرابع في الكتاب الذي لقبه : مارون الطوباني ، وعلى شبه ذلك يبان من مكاتيب ابن القلاعي ومن مكتوب فرنسيس سوريانوس وغيرهم . فيجب ان نقول اما ان البطرك حنا الجاجي هو جاء أولاً الى دير قنوبين وبعده البطرك يعقوب الحدثي ثم بطرس ثم حسان ثم ابن اخوه شمعون ، واما ان بين حنا اللجاجي ويعقوب تواسط بطرك آخر وقيل ان كان اسمه جبرايل الا انّا ما وجدنا له خبراً اصـــلاً [1] » .

---

١) وهنا نعود الى المتن فنجد ان المؤلف شطب خمسة اسطر وتابع بعدها كما جاء في المتن . وهذه هي الاسطر المشطوب عليها بخط اسود من ذات الحبر: « اما البطرك يعقوب الحدثي سلك مستقيماً ونقل الكرسي والسكنة الى دير قنوبين في جبة بشراي تحت حماية



دير قنوبين مركز بطاركة الطائفة المارونية

المقدمين لان كما ان الانسان مركباً من روح وجسد ولم يمكن الروح ان تسكن في هـــذا العالم بغـــير جسد ، كذلك يعجز السلطان الروحاني انه يثبت بغير الذراع الجسماني » . راجع عن هـــذا الموضوع تاريخ البطريرك مسعد ، الدر المنظوم ، ص ١٦٤ ، وكتاب اخبار الاعيان ص ٢١٤ ، وبخصوص البطريرك راجع سلسلة البطاركة للآباتي العنيسي ، ص ٢٨ وما بعدها .

وارسل البطريرك مكاتيب مع القس ابراهيم في سنة اتنه (اي عام ١٤٥٥ م) للقاصد إلى البابا قالسطوس (كاليستوس الثالث عام ١٤٥٥ – ١٤٥٨) سلف نقولا الخامس (١٤٤٧ – ١٤٥٥) في ولاية الكرسي الروماني فاقتبله قدسه في غاية الابتهاج ، وراجعه في مكتوب مختصر محرّر في سنـــة اتنه (أي سنة ١٤٥٥) ربانية في ١٣ من حزيران ، وحذّره إلى الثبات في الايمان وانه يزداد غيرة في عمل الصالحات وتدبير الرعية .

(وعلى الهامش نقرأ هذه القصة) : « في سنة اتنب (اعني سنة ١٤٥٢ م) ، وهي سنة ثمانماية وستة وخمسين للهجرة السلطان محمــد حاصر القسطنطينية ، فملكها في كح (٢٨) من ايار بعد العنصرة وقطل (وقتل) لقسطنطين ملك الروم » .

١٧ – وفاة الملك الظاهر جقمق الاينالي ، وخلفه ولده الملك المنصور . حصار القسطنطينية : سنة سبعة وخمسين وثماني ماية هج (الموافقة لسنة ١٤٥٢م) كانت وفاة الملك الظاهر جقمق الاينالي في الاحد وعشرين من محرّم ، وتولّى السلطنة بعـــده ولده الملك المنصور عثمان ، وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك ، والاحد عشر من الجراكسة بالديار المصرية . فاستمرّ في السلطنة الى اوايل شهر ربيع الاول . ثم خلع وجلس بدله عـــلى كرسي السلطنة الملـك الاشرف اينال الاجرود الناصري الكجكي . وفي دولته تخرّب نظام الملك وطمع المماليـك بالعرش حتى انهم كانوا يخطفوا القماش والنساء من الطرقات ويأخذوا اموال الناس غصباً ، وكان ذلك اول صناعتهم واكثر نظامهم .

وفي هذه السنة ، السلطان محمد بن السلطان مراد العثماني حاصر

المدينة القسطنطينية براً وبحراً ، وفي الرابع والعشرين من جمادى الآخره تملكها بعد حصار خمسين يوم . وكان افتتاحها يوم عيد العنصرة فانحطّت دولة الروم وانكسرت شوكتهم في هذا الفتوح ، وانقطعت ايضاً الطريق للتتر والخوارزمية والمغل من بلاد الشام ، فصار في امان واطمئنان منهم . (وقد سبق ذكر هذه الموقعة باختصار اعلاه) . (وهنا تنتهي ص ٩٣ وجهاً) .

١٨ ــ المقدم عبد المنعم وجحده الدين الكاثوليكي وميله الى اليعقوبية ودفاعه عنها . ظهور الجراد في الشام وحدوث الغلاء والفناء . البابا كلليستوس يجمع العساكر لاسترجاع الارض المقدسة :
بعد وفاة المقدم بدر الماروني رزق الله تخلف بعده[١] المقدم عبد المنعم ابن اخيه عساف وكان شاباً جاهلاً . فلموضع صغر سنه راد الشيطان (ان) يزرع الزوان في حقلة الرب ، ويخرب البنيان الذي بنوه الآباء على الصخرة الثابتة الغير متزعزعة . وصار من ذلك اضطراب عظيم على بيعة الله في جبل لبنان حتى انه لو ما كان الله سندها في يمينه وعنايته لكانت هدمت الى الابد .

واما تدبير الشيطان (فقد) كان هكذا مبتداه : فلما نظر ان الايمان انتشر في جهة بشري ، وكانت قلوب الناس غاوية في خدمة الله ، فارسل الى تلك الجهة ديوسقوروس ابن ضو اسقف اليعاقبة في القدس الشريف ليرمي في آذان الناس السذج بـذار الارطقة . فاستمال اليه نوح البقوفاني ، وكان نوح بعد شاباً جاهلاً قاصر العلم والمدحة ، فتبع لابن ضو كما هو بنفسه يشهد على ذاته في كتاب الانجيل الذي

١) تقرأ على الهامش هذه الملاحظة الهامة وهي للمؤلف نفسه : « هذه القصة انقلها الى سنة اتعب » (اعني سنة ١٤٧٢ م) . فيلزم الانتباه .

نسخه سنة اعصد (أي ١٧٩٤) يونانية التي توافق لسنة اتقح (اعني سنة ١٤٨٨) ربانية . وهو يومئذاً موجود في جزيرة قبرص في قرية تدعى الكاليبيني . ومن ابن ضو تعلّم نوح القراءة والكتابة . وبعد ذلك أخذ من يده اسكيم الرهبنة ودرجة الكهنوت وقواعد الارطقة . فصار بشبه الافعى لا ينخّ الاّ سماً . ولا فسد هو وحده من ضمير الارطقة الذي اخذه من ابن ضو ، بل افسد كل من أراد يصير له تلميذاً . فانضمّ اليه ابن شعبان الذي أولاً كان رومي ثم صار ماروني واستحبس في الفراديس الذين بوادي قنوبين والمطران عيسى ، اثنينهما من حردين ، وتلميذه هو القس موسى واخوه قس حنا اولاد براهيم بن الحاج موسى البقوفاني ، وقس سميا وابنه القس جرجس من لحفد ، وقس آخر باسم موسى هؤلاء جميعهم وغـيرهم كانوا شباب جاهلـين غاويين العلم ، فتتلمذوا لقس نوح البقوفاني ورفقاته ، لست (ليس) فقط في القراءة والرهبنة بـل وفي الاطرقة . فأخذوا السكنة في الفراديس واقاموا مدارس للصبيان والبنات وصاروا كالأفاعي يسرحوا في بستان الرب

وفي الزائد ان نوح انسام اسقفاً على بلد فونيقي من اليعاقبة وتكنا (وتكنىّ باسم) قورللوس وسام المذكورين كهنة وارسلهم بشبه ثعالب شمعون ليحرقوا زرع الايمان المهذب رايس (رائج) في كل بلاد مارونيا . فنمى الشر ومال اليه المقدم عبدالمنعم وصار يكرمهم ويصغي لأقوالهم . واما البطريرك يعقوب فكان مع هولاء بحرب دايماً ، والتزم يحتملهم لان كان معهم سيف المقدم ، ولكن بقوة الله وبمعضدة (تنتهي ص ٩٣ قفا) اهـل البلاد انطردوا من جبة بشراي . فأخذوا السكنة في حردين التي من بلاد البترون في حدود الجبة . وتبعهم اهل تلك القرية وبعدهم الى يومنا هذا ثابتين على نفاقهم . واما نوح الملعون (فقد) اطال الله بعمره حتى انــه يستفيق ويرجع للتوبة ، فطمع في امهال

الله اياه وهلك قرب سنة خمساية مسيحية ، بعدما ارتسم بطركا ايضاً وثبت في البطركية نحو عشر سنين

وفي سنة اثنو (هج الموافقة لسنة ١٤٥٦م) يذكر القس الياس من معاد ان ارتعى الجراد بلاد الشام من مصر الى الفرات ، ثم تبعه الغلاء ، فوصل مكوك الحنطة الى اربعماية درهم[١]

وفي سنة اتنز هج (اي سنة ١٤٥٧ م) أمر البابا قاليسطوس (المذكور اعلاه) بجمع العساكر لاستفكاك أرض الميعاد . وكان يحنا ملكاً على قبره .

١٩ – وفاة البطريرك يعقوب وجلوس خلفه البطرك بطرس بن حسّان . وتعداد الفلاحين واصحاب بعض الحرف ، وسيامة مطارين : سنة اتنح (اي ١٤٥٨ م) كانت وفاة البطرك يعقوب بدير سيدة قنوبين[٢] وكانت نياحته في ثامن شباط نهار الاربعاء . وفي رضا الشعب تخلف بعده البطرك بطرس بن يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسّان من قرية الحدث . وكان له مساعداً في تدبير الكرسي والرعية المطران يعقوب ، ثم المطران شمعون من الحدث . وكانت قرية الحدث وكل البلاد في عز وضمان . حتى ان في يوم خميس الاسرار لما اندقّ الناقوس لسماع القداس الطاهر ومناولة الاسرار الالهية انضبطوا خمساية مسّاس للفلاحة على باب هيكل مار

١) اما على الهامش فنجد الرقم اللاتيني 862, 863 الذي يوافق السنة الهجرية لتاريخ هذين المقطعين ، وهذه الطريقة يستعملها غالباً علامتنا المؤرخ الصادق في ذكر السنين التي توافق الهجرية .

٢) ونقرأ هذه العبارة التالية المشطوب عليها هنا وهي : « وهو الاول الذي نقل الكرسي البطريركي اليها » .

دانيال من الذين كانوا يحرثوا ارض الحدث . وانعدّوا في اهدن في الحارة الفوقه سبعين بغـل الذين كانوا يسافروا الى مدينة دمشق . وكان فيها خمسة عشر قواس يأكلوا علوفة من مدينة طرابلس يحفروا القفول ويقطعوم قضيب المسقية . وكان مدبراً لبشراي المطران يعقوب بن المقـــدم . ورسم البطرك بطرس الخوري ملكا الحبيس مطراناً . [وهنا كلمات مشطوب عليها وهي : « ورسم على الزاوية او مكان نهـــر رعشين الاسقف داوود بن يحنا (أي يوحنا) بن المطران الحدشيتي] » .

٢٠ – دير الاحباش ومار ماما . وفاة الملك الاشرف الاجرود ، وتسلطن ولده الملك المؤيد وخلع المؤيد : سنة افمد (اي عـــام ١٨٧٤ لليونان الموافقة لعـــام ١٥٦٣ م) ديون وهي اتسج (اعني ١٤٦٣ م وهذا هو الاصح) كان المطران قورياقوس بمـــار يعقوب الحباش (الاحباش) ، والمطران موسى بدير مار مامـــا بشري والمطران داوود والمطران جرجس . [وهنا تنتهي ص ٩٤] .

سنة خمسة وستين وثماني ماية (اي سنة ١٤٦٠ م) مات الملك الاشرف اينال الاجرود ، وتسلطن بعده ولده الملك المؤيد احمد في رابـع عشر جمادي الاوله ، وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة بمصر . وفي تاسع عشر رمضان من هـذه السنة خلع الملك المؤيد ، وله في السلطنة اربعة اشهر ونصف ، وجعـــل على تخت السلطنة الملك الظاهر أخشقدم بن عبدالله ، وهو الرابـــع عشر من مـلوك الجراكسة بمصر ، والتاسع والثلاثون من ملوك التتر . فقبض على الملك المؤيـد ابن اينال وأرسله الى سجن الاسكندرية ، ونقل بدر بـك البشمقدار من حلب الى نيابة الشام .

٢١ – الملك خشقدم وعهده المليء بالمصائب ، ظهور رجل تركاني حارب العساكر الاسلامية وانتصر عليها : سنة السج (اي سنة ١٤٦٣ م) بايام الملك الظاهر خشقدم يذكر المطران داوود بن يحنا (يوحنا) المقدسي من حدشيت ابن الاسقف داوود ابن جوسلين ان تبان (ظهر) نجم في الشرق بذنب ، فلحقته شوبة عظيمة ، على السواحل ، فمحلت الزروع والحبوب جميعها ، فبلغ شنبل القمح الى السبعين ، والدرا والدبن[1] والشعر الى الخمسين ، والعدس للستين ، ورطل الدبس الى اربعة عشر . فهلك كثير من الناس والكلاب والبهايم بالسواحل من شدة الجوع وطالت الشوبة مدة سنتين ، والغلاء ثلاثة وأربعة سنين ، والناس يقتاتوا من العشب .

وفي هذه السنة يقول الاسقف المذكور ان خرج من الشرق رجل تركاني يُعرف بشاه صوار ابن ابو القادري . فنافق وخرج عن طاعة السلطان . فرسم السلطان بإيراد العساكر الشامية والحلبية إلى مقاتلته . فجرّد الامراء العساكر من مصر ودمشق وصفد والرملة والقدس وطرابلس وحماه وحمص وحلب ، والمقدمين والفلاحين ، وكان مقدمهم بدر بك نائب الشام وساروا اليه إلى نحو حلب ، فكسرهم شاه صوار وغنم خيولهم وسلاحهم وأموالهم واضعفهم حتى ان الذين سلموا من القتل والسبي ما عادوا الاّ مسلوبين عراة ، وجرد في جيوشه حتى الى نهر الاردن .

وكان (هذا الرجل) يخرج كل يوم في أربعة وعشرين الف

---

١) ولعلها التبن ، وقد وردت قبل الآن وكتبناها « الدكن » كما هي في المخطوط ، او « الدخن » حسب النقطة التي عليها او تحتها .

وهنا ايضاً المؤلف شطب اربعة وعشرين سطراً واختصرها في مطلع الصفحة التالية ٩٥ ، كما نشرناها بعد رقم الحاشية المذكورة هذه ، فيلزم الانتباه .

مقاتل ، فوطيء بلاد الشام ثلاث مرات ، ونهب وقتل وسبى ما لم يُحصر . وكانت الناس في شدة عظيمة وخاصة النصارى . ولو ما بارك الله في مغـلّ الجبال لكانت هلكت الخلائق كلهـا . فكنت ترى كل يوم عند الصباح ماية واربعون وماية وخمسون على الابواب ، البعض (منهم) يستعطفون والبعض يشترون .

٢٣ – وفاة المقدم عبد المنعم ابن سيفا وخلفه اخوه جمال الدين أو ابن أخيه[١] : وفي هذا الزمان كانت وفاة المقدم عبد المنعم بن سيفا وشهد عنه ابن القلاعي انه مات لا يقين له ولا دين ، وذلك بسبب معضدته (اي مساندته للهرطقة) للمعاقبة . وتخلف بعـده المقدم رزق الله وأولاده عساف وجبرايل .

وفي آواخر سنة اتسط (اي سنة ١٤٦٩) مسيحية انتقل الى رحمة الله المقدم عبد المنعم ابن سيفا بن المقدم يعقوب ، وتولى بعده على المقدمية اخوه جمـال الدين وحـده وخلف عساف ورزق الله . وأما اولاد عمه ايوب ابن قمر وعز الدين ابن جمعه فكانوا مشايخ . وفي هذه السنة ابن عثمان تملك بجربنت (Negropont) . (وهنا تنتهي صفحة ٩٥) .

٢٤ – وفاة الملك خشقدم ، وتسلطن بعـده يلباي ثم تمربغا ثم خير بك ثم قيتباي ثم هزيمة الغادري ومقتله : سنة اثنتين وسبعين وثماني مـــا (اي عام ١٤٦٧ م) في عاشر شهر ربيـع الاول توفي

---

١) وهنا نقرأ القطع الاول المكتوب في المتن ، وقـد شطبه مؤلفنا الجليـل ، وكتب غيره القطع الثاني بخط مختلف ومنمق كما سنرى ومصحح ايضاً . (انظر حاشية رقم ٢٨ في آخر هذا الكتاب عن نجربنت الجزيرة اليونانية) .

الملك الظاهر خشقدم ، وكانت مـــدة مملكته نحو من ست سنين ونصف . تولا بعده السلطنة الملك الظاهر يلباي بن عبدالله ، وهو الخامس عشر من الملوك الجراكسة ، والاربعين بالعـــدد من الملوك بالديار المصرية .

وفيها خرج شاه صوار الغادري بالجيش على اعمال حلب ، فملك ادنه ومصيصه ومرعش وعين تاب وغيرها ، ووصل الى عمق حارم فقتل ونهب وسفك الدماء واستأسر النساء والبنات والاولاد وكثير من الاكراد والتراكمين ، وخرّب كثير من القرايا والبلدان وقرب من مدينة حلب . وكانت مدة سلطنة الملك الظاهر ستة وخمسون يوم وخلع .

وجلس بعده على سرير المملكة الملك الظاهر تمربغا في سابع من جمادى الاول من السنة المذكورة ، وكانت مدة ملكه شهرين وخمسة ايام . ثم قويت عليه الخشقدمية فخلعوه في الليل ، وأقاموا عوضه الملك خير بـك بن عبدالله ، وهو الثاني والاربعون من ملوك الترك بالديار المصرية . وبعد شهرين من ملكه عزلوه وكان ذلك في السادس من رجب من هـــذه السنة ، وبايعوا الامير الكبير الملك الاشرف قيت باي ، وهو الثالث والاربعين من ملوك الترك والثامن عشر من الجراكسة بمصر . فاستقامت الامور وجهّز العساكر المصرية والشامية وكان القائد صاحب اتابك لمقاتلة شاه صوار الغادري[1] . فقوي عليهم صوار شاه وكسر العساكر السلطانية ، ونهب الاموال وقرب من مدينة حلب وملك كثير من البلاد .

ثم ان السلطان الاشرف قيت باي شيّد العساكر وجهّـزهم مرة

١) ان المخطوط هنا مشوش بعض الشيء بسبب قلة خبرة الناسخ الذي نعتقد انه نقل شيئاً بدل شيء وقفز من مكان الى مكان مما جعل المعنى مضطرباً كما لا يخفى .

ثانية وكان القائد امير دوادار واسمه يشبك الصغير ، وارسل أيضاً صاحب دمشق ملك الامراء برقوق ، فوقعوا (فواقعوا اي قاتلوا) صوار شاه وكسروه ومسكوا عليه (اي قبضوا عليه) ومضوا به الى نحو مصر . فأمر السلطان قيت باي بهلاكه ، وقتل مشنكلا على باب زَويله . ثم ولّى على مملكة صوار شاه احد اقاربه (وهنا تنتهي ص ٩٥ قفا) . وكان هذا في هذه السنة اثنين وسبعين وثماني ماية للغلاء العميم ببلاد الشام فأصاب الناس (منه) شدة عظيمة .

٢٥ – الوباء في الشام ، بناء كنيسة وقبو في العاقورة ، حريق في دمشق . السلطان ابن عثمان ، سنة ثلاثة وسبعين وثمان ماية[1] (الموافقة لسنة ١٤٦٨ م) كان الوباء العظيم بمملكة الشام فهلك خلقاً كثير . وكان في اليوم يخرج من دمشق الف جنازة وأزيد من ذلك .

(وعلى الهامش) : « سنة الف وسبعماية وتسعين لليونان (الموافقة لسنة ١٤٧٩ مسيحية) الشدياق قسطنطين بن الريس سركيس بن الياس بن فارس بن الخوري داوود بنا (بنى) في نصف قرية العاقورة القبو المعروف بقبو الشدياق . وقبل هذا الزمان اجداد الشدياق قسطنطين عمّروا كنيسة مار جرجس في نصف العاقوره جملون كما هو معروف ، ومرقوم على عتبة بابها بأن عمّرها الراهب الياس بن سركيس بن الريس حنا » .

١) نقرأ هنا على الهامش في هذه الصفحة الارقام العددية باللغة الفرنجية ، وبالحروف الابجدية السريانية معاً . والحبر واحد والخط كذلك ، مما يدل على ان الناسخ لهذا المخطوط هو اصيل وكان اميناً في عمل النقل كما لا يخفى . وجاء في تاريخ الازمنة الذي طبعه الشرتوني (ص ١٤٠) ان الخط الاسترنكالي المربع اهمل في هذا الوقت « وتمسكوا بالخط السرياني المدور » .

وسنة ثلاثة وثمانين وثمان ماية (اي عام ١٤٧٧ م) توفي صاحب دمشق وتوجّه اليها قانصوه الليحياوي نايب عليها .

(وعلى الهامش تقرأ) : « سنة اتمح مسيحية (اي عام ١٤٧٨ م) فيها السلطان ابن عثمان اخذ بروبا ومدينة شكوتري » .

وسنة اربعة وثمانين وثمان ماية (اي ١٤٧٩ م) في شهر رجب وقعت النار بمدينة دمشق ، فأحرقت الجامع الاموي بكماله ومـــا حوله من الاسواق ، ثمانية اسواق ، والمأذنة الغربية وغيرها .

٢٦ – وفاة السلطان محمد مراد . وفاة المقدم رزق‌الله . قصة موسى بن عطشى اليعقوبي الذي ارسل هدايا ومرسلين لعند المقدم عبد المنعم . ابن حسن الحاج الذي تبع المرطقة .. وفاة مطران اهدن . وفاة يعقوب مطران بشري . سيامة مطران : سنة ستة وثمانين وثمان مايـة الموافقة لسنة اتفا رباني (اي ١٤٨١ م) توفي السلطان محمد بن سلطان مراد من ملوك العثمان ، وكانت مدة سلطنته واحد وثلاثين سنة ، وتولّى المملكة بعده ولده السلطان بايزيد في ١٨ ربيع الاول[١] .

سنة نحو اتعب مسيحية [اي ١٤٧٢ ، والموافقة لعام ٨٧٧ هج ، وعلى الهامش بالفرنجي : a. 877] كانت وفاة المقدم رزق‌الله البشراني وتخلف بعده ابن اخوه عساف ابن المقدم عبد المنعم ايوب من سلالة سيفا (وعلى الهامش : « هـا هنا اوضع قصة عبد المنعم المتسبقة في سنة فنز ، اي ٨٥٧ ») .

١) وبعد هذا الكلام ، مقطع مؤلف من ستة اسطر في المتن ضرب عليها المؤرخ خطاً اسود بقصد الغائها وعدم الاقرار بهـــا . وفي نهاية هذا المقطع الصغير تنتهي الصفحة ٩٠٦ من المخطوطة .

وفي زمان هـــذا موسى ابن عطشه اليعقوبي سامعاً بالفتنة التي انزرعت في جبل لبنان ، ارسل بعض رهبان هراطقة ومعهم هدايا وكتاب سرياني وكرشوني ملآن كله من البراهين الفاسدة والتعاليم المزوّرة ان السيد المسيح المخلص ذو طبيعة واحدة ولا ذو طبيعتين كما حدّدوا الآباء الاطهار الذين بأيام لاوون البار بابا رومية والملك مرقيان المظفر في المجمع العام الذي انعقد في مدينة خلقيدونية ، فحضروا هولاء الى المقــدم عبد المنعم وقدّموا له الهــدايا والكتاب وحضروا في يوم عرسه ونقّطوه (أعطوه نقوط اي هدايا) وأوعدوه بخيرات كثيرة . فاقتبلهم عبد المنعم وعمّر لهم بقرب حارته كنيسة باسم برصوما الارتوقي ، وآثر بسكنتهم في جبة بشراي . لكن قام عليه كل الشعب فاضطرّ (أن) يرسلهم الى حردين . ولأن البطرك والروساء امروا بنفيهم ووضعوا أن لا احــد يقتبلهم ، صار المقدم الجاهــل يعضدهم وامر ان كل راهب أم كاهن اعترض لهم ، يُنفى وتسلب ارزاقه .

لموضع ذلـــك كبرت شوكتهم وصاروا يتباينوا جهراً في جبة بشراي وتبعهم كثيرون من بقوفا وقرية موسى[1] وغيرهم ، وجاءت بعض اعيال من بلاد الشرق صددية أخذوا السكنة في الجبة ، مثل بيت شاهــين في حصرون ، وبيت الحج حسن في حدشيت وغيرهم الذين كانوا قــد بقوا في الشمال ، وكان محوّل معهم المقدم الجاهل ، فأدخلوا ضرراً عظيم على بيعة الله . وفي الخاصة بيت الحاج حسن الذين منهم خرج الخوري حنا وكان حسن الخط في السرياني ، فصار يغيّر في الكتب المقدسة ، ويزرع بهم الزوان كقول ابن القلاعي .

(وعلى الهامش نقرأ) : « وفي هـــذه سنة اعفص [والمكتوب

١) هنا يوجد سطران شطبهما المؤلف والناسخ لانهما متكرران .

فوقها بالفرنجي : 1472] كان القس جرجس الهدتاني والقس تادروس المنتاري ساكنين في محبسة قزحيا كما هو واضح من كتابه الذي في دير راس النهر ، حوى معرفة القوانين وامور مختلفة . ثم انه انسام خوري بردوط وترأس على دير قزحيا » .

وابن حسن كان من حدشيت واطفى لأهل كفرياشيت ، كتب وغيّر البواعيث بدستور حاكم علماني ، وأيضاً اخوته القس اليا الذي فيما بعـد صار اسقفاً ، والشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وكان المقـدم لم يخرج من بيته ولا يعمل شيء الا بشوره الفاسد . (وهنا تنتهي ص ٩٦ قفا) .

وسنة اتعج (أي ١٤٧٣ م ، فوقها بالحرف الفرنجي 878) ، توفي مطران اهدن فاجتمعوا أهلها واختاروا الخوري يعقوب بن خوري سمعان بن ريس اهدن ، فرسمه لهم السيد البطريرك بطرس مطراناً واخذ السكنة في دير مار سركيس اهدن .

وسنة اتمد (أي ١٤٧٤ م) توفي يعقوب مطران بشري فاختاروا اهلها الخوري حزقيال الذي كان ريس دير حوقا ، وكان رجل فهيم وتقي ، وجاءه مكتوبين (مكتوبان) من حضرة البابا كسوسطوس الرابع انه يكون مطران على بشراي ويسكن في دير سيدة (نهرا الدر) الرويسه .

وسنة اتسف مسيحية (أي ١٤٨٠) سام البطريرك بطرس ابن اخوه شمعون مطراناً واخذ السكنة بدير قنوبين وكانت رسامته على الماقورة واليمّونة من بلاد بعلبك[1] .

---

[1]) وهنا نجـد ثلاثة اسطر مشطوباً عليها بحبر اسود من نفس الحبر المكتوب به هذا المخطوط ، وعلى الهامش نقرأ بدل ذلك هذه العبارات : « المستراحية تشيخوا على المنيطرة بدل اولاد قصاص وتقـلوا عليهم الظالم حتى ان المطران ابن ظريفه طفر (اي هجر) من المنيطرة الى الماقوره » . انظر في آخر هذا الكتاب حاشية رقم ٢٩ في هذا الموضوع .

٢٧ – هجوم اهالي الضنية على الجبة فاندحروا في اهدن تحت حصن العذراء . وفاة السلطان محمد فاتح القسطنطينية : وفي سنة اتفق مسيحية (١٤٨٩ م) في هـــذا العصر تأملوا مقدمين الضنية جبة بشراي ، فوجدوهم مفتونين مـــع مقدمهم (عبد المنعم) بسبب الاديان ، فجمعوا رجالهم وزحفوا بهم الى نحـــو الجبة ليحكوهـــا ويدوّروها للاسلام . فان الضنية من بـــديء الفتح (الاسلامي) يحكمها السنيّة فخرّبوا ديورتها وكنايسها وطردوا منهـــا النصارى ، واخذوا السكنة بها واثروا بعمل ذلك أيضاً بجبة بشراي التي اهلها منذ بديء النصرانية لم زالوا حافظين على سر الإيمان .

فلما راموا ذلك مقدمين الضنية لم اختفى امرهم ، فجمع المطران يعقوب المشايخ وكشف لهم قصد الضنانوه (سكان الضنية) ، فاتتفقوا كلهم بكلمةٍ واحدة الى القتال والمقاومة . ولو الزم الامر أن يبذلوا بأجمعهم نفوسهم في استحباب دين المسيح . فاستنجدوا في المقدم . فلم راد ينجدهم ، عند ذلـــك انضمَّ اليهم بعض من الضياع القريبة وصعدوا في السلاح الى سيدة الحصن ، فقدموا الطلب لله ولوالدتـــه وانقسموا اربع قسمات : فوقفوا الواحدة عند البويب وأمروها بالهزيمة امام العدو ، وأكمنوا في القسمة الاخره تحت سيدة الحصن بـــين الشرق والقبلة . والقسمتين اكمنوا وراء (هنا تنتهي ص ٩٧ وجهاً) الثلاثة التي بين اهدن ومرجة تولا .

فلما جردوا الضنانوه العسكر على افقا ووصلوا الى حدود اهدن قاتلهم العسكر الذي كان في طريقهم عند البويب ، وبعد قتال يسير انهزموا الى وراء حتى وصلوا للمرجة ، والعـــدو قاحم بأثرهم بشبه الفراعنة ضد الاسرائيليين . فلما وصلوا الى المرجة عند ذلك قامت عليهم الرجال من الجبلين وقتلوهم كلهم في وسط المرجة ، ولم يخلص

منهم الا اثنين الذين عطيوا الخبر في طرابلس والضنية . عند ذلك اجتمعوا النصارى وألقوا القتـــلى وخيلهم واثرهم في مغارة قريبة وطمّوا (أي سدّوا) بابها ونقلوا الفين من مرجة تولا الى الطريق السالك ثم حرّروا المرجة وقلبوها عن آخرها ، فلم يبقا للقتلى اثراً واضحاً . ولما كان اليوم الثالث صعدت الكشافة من طرابلس ، وإذ لم يوجدوا لهم أثراً ، ارتضوا منهم بالمال وعاودوا الى طرابلس لأن التهديد والتعدي كان من الضنانوه .

(وعلى الهامش نقرأ هذا الخبر : « سنة ثمان ماية وستة وثمانين للهجرة الموافقة لسنة اتفا (اي ١٤٨١) كانت وفـاة السلطان محمد الذي افتتح القسطنطينية ، وكانت مدة سلطنته واحد وثلاثين سنة . وتولـّى بعده ولده السلطان بايزيد في ثامن عشر الربيـع الاول من هذه السنة . ثم في سنة اتفح (اي ١٤٨٨) يقول ابن القلاعي انه كمّل كتابـة يوحنا الدمشقي ، وكان ذلك في أيام البطرك يعقوب الحدثي ، وقيت بيه (= باي) سلطان مصر ، بعدما ابن عثمان فتح القسطنطينية في ٤١ سنة ») .

٢٨ — رسامة المطران ابراهيم الاهدني . طرد اليعاقبة من الشمال . وفاة المطران حزقيال البشراني . كتاب المزامير . الخوري جرجس المدناني . فناء وغـــلاء في مصر والشام : سنة اتفح (اي سنة ١٤٨٨ م) كانت رسامة المطران ابراهيم المدناني ، وأخذ السكنة بدير مار يعقوب الحباش (أي الاحباش) ، وتـسمّا هذا الدير بالحباش لأن كان سكنه رجل قس حبشي باسم يعقوب وثبت فيــه بعض سنين . ثم لمـــا انكشف امره وخبره انه كان في الاعتقاد يعقوبي طردوه أهــل اهدن وطردوا رفقاته . فمضى الى دير مار جرجس

حدشيت الذي بوادي قنوبين ، وتكنّا ايضاً ذلك الدير بالحباش . ثم بعد زمان طردوه اهل حدشيت فارتحل الى البرية[1] .

وفيها (وعلى الهامش : انفط = ١٤٨٩ م) كانت وفاة حزقيال مطران بشري ، فانسام بدله الخوري يوسف على بشري . وانسام أيضاً المطران شمعون على العاقوره واليمونة ، (وقد سبق ذكر هذا الاخير) .

ويذكر القس يوسف البقوفاني في كتاب المزامير الذي نسخه سنة افب لليونان (اعني سنة ١٥٩١ م) في مسكن مار نقولا وهو الى الآن محفوظ بقرية بقوفا أن الخوري جرجس الهدناني الذي كان مستحبس بدير قوزحيا لما علم ان كان دنا أجله ارسل جاب لعنده تلميذه القس يوحنا ابن القس موسى المتريتي الذي كان مترهب بدير مار يعقوب على جانب متريت . وحين اسلم روحه الطاهرة بيد الخالق ، اجتمعت كل الرهبان مع المطران شمعون إلى دير مار انطونيوس وعملوا مناحة عظيمة لأجله . وبعدما دفنوه ادخلوا عليه في رئاسة المحبسة القس يونان المتريتي . وكان الخوري جرجس حسن الخط ، وفضيل بالحياة الملائكية (وهنا تنتهي ص ٩٧ قفا) ونسخ الكتب الكنائسية .

وسنة سبعة وتسعين وثمان مائة التي تبدأ في تشرين الثاني من شهور سنة اتصا رباني (١٤٩١ م) كان الفناء العظيم في الديار المصرية ، ومات فيها خلق عظيم من العلماء والاعيان ، وبلغت مصر على ما نقل الى عدد الف وثلاثة وعشرين جنازة في يوم واحد . وزادت دمشق على الالف جنازة في اليوم ، والقرايا الصغار الذين عدد سكانهم دون عشرين رجال خرج منهم بيوم واحد تسع جنازة .

---

١) راجع تاريخ الازمنة الذي طبعه الشرتوني ، عن دير الاحباش وقصة عبد المنعم ، ص ١٤١ وما بعدها .

٢٩ – وفاة البطرك بطرس حسان وخلفه شمعون حسان . رجوع الراهب حنا من ايطاليا وغرقـــه في البحر . الراهب جبرايل القلاعي وقصته : في الثاني عشر من تشرين الاول سنة اتعب (اي ١٤٩٢ م) رباني انتقل بالوفاة الى رحمـــة الله البطرك بطرس ابن حسان الحدثي . وفي نهار تاسعه تقلد البطركية الانطاكية البطريرك شمعون ايضاً ابن حسان من حدث الجبة . وكانوا قايمين بعضدته المطران يعقوب الحدثي ، والمطران جرجس صدقني من مزرعة الحـدث ، ومتخوّل على دير قنوبين القس الياس بن زرزور الحدثي رجل فضيل . ومترأس على موارنة قبرس الاسقف يوسف من الخيزفانة .

وسنة اتصج مسيحية (اي ١٤٩٣ م) الموافقة لسنة ٨٩٩ هج ، رجع من بلاد النصارى الراهب جبرايل ولد (ابن) بطرس ابن غوريا المعروف بالقلاعي من لحفد . وكانا اثنينهما دخلا بلاد النصارى ولبسا اسكيم ماري فرنسيس في رومية بدير القدس . وبعدما تأدبا بالعلوم الطبية والالهية عاودوا الى بلادهما . فالراهب حنا الذي في العلوم واللغات والطهارة بلغ مرتبةً عالية أنسام قسيساً ودخل الى عنـــد حضرة السيد البطريرك ليرمي له طاعة فاستقبله البطرك شمعون بكافة العزازة واوعده بدرجة المطرنية . ثم صار انه دخل الى زيارة القدس الشريف وبرفقته يب (١٢) راهب من رهبان ماري فرنسيس . فحدث عليهم هيجان في البحر وغرق المركب ، ولم يغرق إلا القس حنا الذي تولاه ربه ليعطيه مجازاة تعبه ، فحزن لأجله السيد البطريرك وكل الطائفة وتلميذه الراهب جبرايل بن القلاعي وصنّف له مرثاي يمدح بها فضايله وعلومه وقداسته .

واما المقدّم عبد المنعم بن سيفا البشراني استمال من جهله في معرفة الاديان الى قول موسى ابن عطشه اليعقوبي ، وتمسك في اليعقوبية ،

وامر ان تبنى له كنيسة باسم برصوما ، وان في تذكار الآباء اركان البيعة يبطل تذكار الجمع الخلقيدوني ، وان حردين تكون لليعاقبة . فاعترضوا له كثيرون من رؤساء الكنيسة ، والراهب جبرايل ابن القلاعي صار يكاتبه ان لا يزيغ عن امانة آبهاته الموارنة اصحاب الاعتقاد المستقيم (هنا انتهت ص ٩٨ وجهاً) .

٣٠ – الاب سريانو الفرنسيسكاني يرسل جوابه الى البطرك الماروني مع ابن القلاعي الذي كان يجادل ويكتب رسائل في الدين وكتابه معروف : سنة اتصد مسيحية (اي سنة ١٤٩٣ م) في ثالث وعشرين من شهر تشرين الثاني البادري فرنسيس سوريانو ورديان (اي حافظ) جبل صهيون المكرّم ، كتب رسالةً الى حضرة السيد البطريرك يحثّه ويوعظه ليسرع في طلب التثبيت من بابا رومية ، كما جرت العادة من الذين سلفوا قبل منه الى كرسي انطاكية ، واذا عجز عن الدخول بنفسه الى رومية وعن ارتسال القاصد ، فليرسل له مكتوب بذلك في شهادة اعيان الطائفة حتى يرسل الخبر الى قدس بابا رومية ويجيب له التثبيت والبركة (البابوية) لجميع من يطيعه ، والحرم والقطع عن شركة الكنيسة لكل من يخالف .

وكذلك ان كان بلغه خبر أن بعض ناس كانوا غيّروا امانة آبهاتهم واجدادهم المثبوتة في كنيسة رومية ، وارسل المكتوب لحضرة البطرك مع الراهب جبرايل القلاعي ، المكتوب من رئيسه ، وجاء به الى جبل لبنان . فوجد النار مشعلةً فيه والأراطقة ينهشوا بيعة الله كالذئاب الخاطفة . فبعد ما قبّل يد السيد البطريرك وانكتبت رسائل الطاعة الى رومية ، صار يجادل العنودين ويبكتهم على افترائهم ونكران أمانة آبهاتهم المهذّب رأيها . وفي الرسالة التي كتبها من

دير قنوبين الى ابن عمه القس جرجس الذي كان من جملة الضالين ، يذكر انه كتب تنو (أي ٤٥٦) رسالة للمخالفين[1] .

ثم أن ابن القلاعي نظر ان أصل المرض كله من عبد المنعم المقدم ، وان هو زرع الزوان بين الموارنة ، وكان بالسيف يحامي للاراطقة وينتقم من الذين يطاردوهم . ولأن ابن القلاعي كان كثيراً يلدعهم ويوبّخهم في رسايله ، عزم (عبد المنعم) على قتله ، وهذا البار من شدة غيرته وشدة امانته اعتبر تهديد المقدم وتوعيده (مكافأة) فطلع الى عنده هو بنفسه وصار ينذره في براهين الايمان حتى ان المقدم استقرّ أن ذلك الاعتقاد ما كان منه بل من الكتاب الذي ارسله ابن عطشه الى عمه المقدم رزق‌الله ، وانه هو كان عامي غير فاحص ولا فاهم امور الاديان حتى يجادله عنهم . فطلب منه ابن القلاعي الكتاب ليقشعه (ليراه) ، فأتاه بالكتاب وكان سرياني وكرشوني ملأت كله من زور وبهتان . ثم ان اتاه بالغداة ، فأرحب فيه واخذ الكتاب فخبأه داخل البيت (في الخزانة) . فبعد الغداة طلبه منه ثانياً حتى يأخذ يقرأه ويكتب ضد البدايع والارطقات الكاينة فيه . فما امكنه ، عند ذلك ازداد ابن القلاعي غيرة وصار يكتب رسايل ومصنفات مختلفات عن الايمان القويم . وولّف الكتاب الذي كنّاه « مارون الطوباني » حتى يبرهن ان الموارنة من الزمان القديم متتحدين مع كنيسة الله المقدسة الرومانية وارسله الى الخوري ابراهيم مارون الحصروني ، والخوري ابراهيم (هنا انتهت ص ٩٨ قفا) هو ابن الذي كان تعلم منه اللغة السريانية . والخوري ابراهيم بن الخريطة الباني ليقرأوا الكتاب ويفحصوه ويحرروه بخطوطهم ان

---

١) وهنا نقرأ بين القطع السابق والذي يتبع في الوسط ، هاتين الكلمتين ، وهما منقطعتان عن غيرهما تماماً : « أرضع نسختها »، اي ضع النسخة هنا ليطلع عليها القاري، ولكن الناسخ لم يلبّ الامر ، وبقي الموضع شاغراً ، بياضاً .

كان قوله عن اعتقاد الموارنة المستقيم صادق ام كاذب ، ومثل ابن الطاعة السالك مستوياً أخضع ذاته وجعل ان كتابه يكون موضوع تحت اقدام السيد البطريرك شمعون بن حسان الرابع ومشهور بأمره وامر المطران جرجس صدقني ، والمطران ابراهيم الهـدناني والمطران يوسف البشراني والمطران يحنا المكنّى بالافرنجي على العاقوره والمطران داوود الحدشيتي والمطران تادروس المنتاري والاسقف يوسف القبرسي وباقية رؤساء الملة المارونية وعلماتها (اي علمائها) ليفحصوه وينادوا به امام المخالفين .

٣١ – وقعة دمشق بين داريا والجاورين لهم . ثم وقعة العرب وثلج كثير : وفي هذه السنة (أي ١٤٩٤م و٩٠٠ هج) كانت الوقعة بين اهل داريا ومجاوريها بظاهر دمشق فتملكوها ، وركب عسكر دمشق وقتل فيهـا ناس من الاشرفية وجماعة تزيد عن ماية قتيـل (كما في الغرر الحسان ص ٥٥٢) . وفيها العرب أخذوا الحاج جميعه وقتلوا منهم قتلاً جزيل ، ونهبوا جميع متاعهم واباعوهم . وفيهـا (اي السنة) في سنة افه لليونان في كانون الثاني جاء ثلج كثير لحق ثمان اشبار ، فمات فيها ناس ودواب كثيرين .

٣٢ – وفاة الملك الاشرف قيتباي وتولى بعده ابنـه محمد ابو السعادات . عمار محبسة مار ميخايل . وفاة المقدم عبد المنعم قبل الاوان محروماً : سنة احدى وتسعماية للهجرة (اي ١٤٩٥ م) التي توافق سنة اتصه مسيحية (١٤٩٥) يذكر ابن سباط ان كانت وفاة الملك الاشرف قـيت بَاي بن عبدالله في ٢٥ ذي الحجة ، وهو آخر الملوك العادلة الذي قبض على صوّار شاه وشنكله ، ودفعتين كسر عساكر الروم . وتولى بعده ولده الملك الناصر محمـد قانصوه ابو

السعادات ، وهو التاسع عشر من الملوك الجراكسة بمصر . وفي ايامه اضطربت المملكة اضطراباً عظيم من حلب الى القاهرة وصارت خواوين وحروب بين الاتراك ، وقتل نفر كثير من الخاصكي واكابر القوّاد ، وفني العسكر .

وفيها القس بركه البقوفاني عمّر محبسة مار ميخايل فوق قزحيا ، فانها كانت اولاً قطّين للمعزة وصارت مسكناً للآباء الروحانيين . وبها استحبس القس بركة الى نهاية حياته . بعده سكن القس موسى من ... وبعده الخوري يعقوب من برناسا ، وبعده تروس القس ميخايل من اهدن ، وبعده القس حنا من اهدن ، وبعده الخوري ميخايل منها ، ثم الخوري مخايل من اهدن مات في سنة اسيز (اي ١٦١٧ م) وخلي الدير .

وفيها (السنة اعلاه) كانت وفاة المقدم عبد المنعم ايوب البشراني الذي بسبب انه زاغ عن استقامة اعتقاد آبهاته وتبع اليعقوبية وعضدهم وعطاهم السكنة بجردين اشتمله غضب الله وقصف حياته قبل اوانها ، وقبل انه يموت وصّا (وصّى) فيهم ابنه جمال الدين يوسف الذي تخلف عليه في المقدمية وهكذا ذكر ابن القلاعي (في زجليته المشهورة) :

سقط تحت حروم الجمع	ولم راد لمقله يرجع .
قبل ان يصل لعمر مزمع	قتله العلي الفوقاني .
ولا تذكار صار له معنا	لأنه انكر بجمعنا
وكيانا ليس يرفعنا	فسكّن يعقوب وسطاني .
وصّا فيه لجمال الدين	وعطاه الكنايس مع حرضين
وصاروا في زي الشياطين	يطغوا لمن هو روحاني .

(وهنا تنتهي ص ٩٩ وجهاً) .

٣٣ – سيامة ابن القلاعي قساً في قبرس ، زوجة المقدم يوسف تصلح كنيسة حوشب : سنة اتصو مسيحية (اي ١٤٩٦ م) الراهب جبرايل ابن القلاعي انسام قسيس فرنجي وأخذ السكنة في الافقسية بدير الصليب في جزيرة قبرس[1]. واخذ المقدمية بعد وفاة عبدالمنعم ولده جمـــال الدين يوسف وكان مستقيم الديانة ، وزوجته بكتبية جدّدت كنيسة ماري حوشب (في بقاعكفرا) الذي كانت وقعت حنيّتهـــا .

٣٤ – وفاة قانصوه . قدوم كرتباي وانقسام الحكام وحدوث حروب بينهم وانهزام المصريين : سنـــة اثنين وتسعماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٤٩٦ م) التي تبدأ في شهر ايلول يذكر ابن سباط الغربي ان كانت وفاة قانصوه اليحياوي (اللحياني) صاحب دمشق، وخلت دمشق من الحكام وجرى بها نهب وقتل ، وحرب بين اليمانية والقيسية الى أن قدم اينال الفقيه من حلب الى دمشق نايباً بها . فمانعـــه آق بردي الدوادار عن الدخول الى دمشق وجرى بينهم حروب كثيرة .

ثم قدم كرُتباي الاحمر نايباً عليها وقدم الى حلب جان بلاط الناظر نايباً عليها ايضاً . وبعد حصار شديد دخل كرتباي دمشق وانقسمت الترك جزوين : فرقة مع آق بردي وفرقـة مع قانصوه خمساية . وجرت بينهما حروب كثيرة . ثم ان اتتفقوا آق بردي

---

١) وجاء في كتاب التاريخ المطبوع للعلامة الدويهي ص ١٤٥ (للشرتوني) ان الاسقف جبرايـل القلاعي تولـّى كرمي الابرشية في قبرس ، بعد وفاة مطرانها يوسف من الكيزفانة ، فأقام اولاً بالمدينة في دير القديس نهرا ثم في القديس انطونيوس كرمي الموارنة، ثم انتقل الى دير القديس جرجس طالا ، وساس رعيته احسن سياسة ، وكان ذلك في سنة ١٥٠٧ للميلاد ، كما سبق القول اعلاه .

الدوادار وأنيـال الاعور نايب طرابلس واقباي نايب غزّة وغيرهم وخرجوا من طرابلس قاصدين الديار المصرية . وخرج قانصوه خمساية بالعساكر من مصر ، وتلاقت العساكر عند خان يونس وهو مرحلة عن غزة ، وتحاربوا حرباً شديد ، وكانت الهزيمة على المصريين وقتلوا ولم يخلص منهم الا القليل اليسير ، وقتـل ايضاً بجملتهم قانصوه خمساية الذي كان مقدم الجيش المصري ، وكان يتغلب على السلطنة . وفنت الامراء وآتابك الديار المصرية في هذا الحرب .

٣٥ - كرتباي في دمشق ثم وفاته فيها . القس سمعان بنهران في دير قوزما ودميان : سنة ثلاثة وتسعماية للهجرة التي بدؤها في ايلول من شهور سنة اتصا (اعني ١٤٩١) مسيحية ، في العشر الاول من شعبان دخل كُرتباي الاحمر الى مدينة دمشق ، فغار على الرعية وأخذ اموالها . وتوفي في ثاني سنة في العشر الثاني من الربيع الاول ، فتولّى دمشق بعـده جان بلاط الناظر وتوجّه الى حلب فصيّروه نايباً بها .

(ونقرأ على الهامش مـا يلي) : « وفي قرب هذا الزمان القس سمعان ابن الحاج يوحنا من بنهران ، في رضا الخوري ابراهيم ابن المريبه وابن اخوه الخوري وهبه وجميع قرية البنهرانيين دخل الى دير مار قوزما ودميان في جبة بشري وعمّره بعد ما كان دثر » . (وهنا تنتهي ص ٩٩ قفا) .

٣٦ - الوباء في بيروت . مقتل الملك الناصر محمد . وجلوس قانصوه بحلب . ثم حبس وتولى جنبلاط مكانه . طومان قائد الجيش . اعتقال الامراء المصريين وخلع طومان ومقتل جنبلاط

وجلوس الغوري . سنة اربعة وتسعماية للهجرة (اي ١٤٩٨م و١٨٠٩ للاسكندر) كان الوباء في بلد بيروت وتوفي فيه خلقاً كثير[1] .

وفيها (اي السنة المذكورة) الدوادار الثاني طومان باي خامر على الملك الناصر محمد فقتله وجلس على سرير السلطنة الملك الظاهر قانصوه بجلب بن عبدالله خال الملك قيتباي ، وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك ، والعشرون من الجراكسة بالديار المصرية . فجعل طومان باي دوادار كبير .

وفي سنة خمس وتسعماية توجّه جان جنبلاط صاحب دمشق الى مصر . فخامر العسكر علـــى الملك الظاهر قانصوه فقبضوا عليه واخـذوا حبسوه في الاسكندرية . وتولّى المملكة الملك الاشرف جان بلاط . وتولّى حلب دولة باي الذي كان أولاً نايب قلعة دمشق ثم صار نايبـاً على طرابلس . وتوجّه قصروه من حلب الى دمشق نايباً بهـــا فأظهر قصروه العصيان لأوامر السلطان وتجاهر بذلك . فجهّز السلطان الاشرف جـــان بلاط لطومان باي الدوادار ليقاتل قصروه واخذ معـــه جميع الامراء الذين من عرض جان بلاط . وفزعت الناس من العساكر المصرية لأجل النهب والقتل .

ولما قرب طومان باي الى دمشق خرج قصروه نايبها الى لقايه ونزّله في القصر الابلق ونزّل العسكر في المرجة والميدان الأخضر . ثم ان توجّه قصروه وناس قلايل الى عنـــد طومان باي ، فجأت جميع الامراء المصريين الذين من عرض جان بلاط ليقبضوا على قصروه. فأمر طومان باي بالقبض على الامراء . فـمسكوهم ووضعوهم بالسلاسل.

---

١) ونقرأ على الهامش هـذا الكلام : « في سنة اخط (اي سنة ١٦٠٩) للاسكندر نسك القس كرمه بدير مار دوميط ... دريا » . (كلمة واحدة غير مقروءة) .

حينئذ حضرت عساكر قصروه نايب دمشق نهبوا وناق المصريين وبايعوا طومان باي الدوادار بالسلطنة . فركب بالاعلام السلطانية من القاعة الى القلعة فتسلّمها وسجن بهـا امراء مصر ، وتلقّب بالملك العادل الطومان باي بن عبدالله .

ثم ان طومان باي ولّى نيابة دمشق لدولة باي نايب دمشق الذي كان نايب حلب ، وأخذ معه العساكر الشامية والمصرية وتوجّه الى مصر وقصروه في ركابه ، فلما وصلوا جرت حروب كثيرة بين جان بلاط وطومان باي آخرهـــا ان طامان باي قبض على جان بلاط فأهلكه وجلس على تخت السلطنة ، وهو الاحد والعشرون من الملوك الجراكسية بالديار المصرية ، واعطى لقصروه الأمرية الكبرى . ثم انه اهلك ايضاً قصروه وقتل كثيراً من اعيان الامراء بالديار المصرية وولّى قانصوه الغوري دوادار كبير (وهنا انتهت ص ١٠٠) .

ثم ان نفرت قلوب الناس من طومان باي ، فاجتمعت آتابك العساكر وخلعوه واقاموا الملك الاشرف قانصوه الغوري بن عبدالله ، وهو الثامن والاربعون من ملوك الترك بالديار المصرية فساس الرعية ومهّد امورها .

وفي سنة الف واربعماية وتسعة وتسعين مسيحية التي هي سنة خمسة وثماني ماية هجرية ظهر في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ، وكان ظهوره عجيب واستولى على ملوك العجم ، (كما في الغرر الحسان ص ٥٥٣) .

الفصل الحادي عشر

في ذكر الحوادث الكائنة في سنين الالف وخمساية من سنين المسيحية[1]

١ – نيابة حلب سيباي ، وفتنـــة في الشام ، وفاة الاسقف بعينتورين : سنة تسعماية وثمانية للهجرة الموافقة لسنة انب (١٥٠٢م) تولى نيابة حلب سيباي ، ونيابة دمشق قانصوه المحمدي ، فظهر الى البقاع وهرب منه ناصر الدين بن محمد بن حنش مقدم البقاع وجرت بينهم أمور عديدة .

وفيها (أي السنة) وقعت الفتنة بين اهل الشام ونايبها ، فأحرق الشاغور ، وجرت خواوين ومحن كثيرة . وفيها توفي الاسقف تادروس

١) هذا العنوان هو من وضع المؤلف ، ولذا تركناه كما هو دون تصحيح ، اما ذكر الفصول فهو من وضعنا الخـــاص ، ويجدر ان نلاحظ هنا ان سنة ١٥٠٠ م توافق لسنة آدم ٧٠٠٨ ، ولسنة الاسكندر ١٨١١ ، وللشهداء ١٢١٦ وللهجرة كما ذكر الدويهي ٩٠٦ هج . وكان في هذا التاريخ بطريركاً للطائفة المارونية شمعون الحدثي ، وللسريان المشارقة البطرك نوح البقوفاني . (راجع سابقاً سنة ١٤٧٠ مسيحية) . ونقرأ على الهامش هنا ما يلي : « ان البطرك نوح البقوفاني اليعقوبي دام في الحياة الى هـذا الزمان كما حرّر القس يوحنا بن حسن الحدشيتي في آخر كتاب الناقور الذي نسخه سنة افيب اليونان (اعني سنة ١٨١٢ وهي ١٥٠١ م) .

الذي كان ساكن في سيدة عينتورين ، وكانت وفاته في ٢٩ من أيار نهار الثلاثة وتسلّم الدير بعده تلميذه القس وهبه الراهب .

٢ - رجل ذو عين واحدة ظهر في بيروت . النيّرات الاربعة . سيل عظيم وانخساف القمر والشمس وفيضان العاصي والليطاني والأولي والكلب وطرابلس . مقدم البقاع حنش يهاجم عبدالساتر :
سنة تسعماية وتسعة للهجرة التي توافق لسنة الف وخمسماية وثلاثة مسيحية يذكر ابن سباط (ص ٤١٨) ان قدم الى دمشق رجل في وجهه فم وانف وله عين واحدة ودقن وعليها شعراً ونازل الى وجهه لحم يشبه شختور الغنم نازل من اعلا رأسه الى صدره . واذا راد ياكل ام ينظر رفع اللحم النازل على وجهه . وقدم إلى بيروت من ناحية بلاد الشمال رجلاً له في اليد ثمان اصابع كاملة منهم اربعة في مكان الابهام سبحان الرب القادر .

وفيها (اي السنة) في ربيع الآخر اقترنت النيران الاربعة : زحل والمشتري ، والمريخ والقمر في برج السرطان وذلك من العجائب النادرة (؟!) .

وفيها جاء سيلاً عظيم ومطر عمّ الاقطار واستقرّت الامطار نحو من ٢٧ يوم ومن ذلك خمسة أيام بلياليها لم يرا فيها شمس ولا قمر . وزادت الانهار زيادة عظيمة حتى نهر بردا في دمشق أخذ كثيراً من الدواب والبيوت والحوانيت . والنهر العاصي أخرب كثير من العماير والبساتين بحماة . ونهر البقاع الليطاني أنـه اهلك كثير من الدواب وحمل كثير من العماير وذهب بجسر القرعون الذي كان عالي ومن الحجر المتين (هنـــا تنتهي ص ١٠٠ قفا) ، ونهر صيدا المعروف بالفريديس ذهب بكثير من الاشجار واخرب ما عليه من المقاطع

والجسور والخشب[١] . ونهر الصفا ارتفع فوق الجسر ما ينوف عن قامة انسان وحوّل فوق منــه شجرة دلب عظيمة . ونهر الكلب هدم الجسر الذي عملته الملوك الاوايل ، وهاج البحر حتى دخل بالمينا ببيروت . ونهر طرابلس اخرب الحوانيت ومساكن كثيرة .

وفي هذه السنة وقع ايضاً الوباء .

وفيها جهّز الامير ناصر الدين بن حنش مقدم البقاع خمسة آلاف مقاتل على عبد الساتر بن بشاره في قرية شيحين ، وكان مطر عظيم وقتل من جماعة ابن حنش نحو مايتي قتيل .

٣ – جوان بك الدوادار في البقاع ومقتله ، واعتقال فخر الدين عثمان وموته . سيل في الشوف . وفاة الاسقف يوسف وتعيين القلاعي مكانه : سنة احد عشر وتسعماية للهجرة الموافقة لسنة الف وخمسماية وخمسة مسيحية (١٥٠٥ م) جهّز نايب الشام العسكر مع جوان بك الفرنجي دوادار الى البقاع ، فقُتل الدوادار بجسر (عند جسر) كامد وقُتل معه نحو ثلاثة ماية نفر . ثم جمع النايب العساكر وقصد التوجّه بنفسه الى البقاع فمات قبــل ظهوره من دمشق . ودخل إلى نيابة دمشق سيباي الاشرفي ، وبعد ايام قليلة قبض على الامير فخر الدين عثمان بن معن امير الاشواف من اعمال صيدا . ثم ان الامير عثمان توفي في ربيع الثاني سنة تسعماية واثنا عشر[٢].

١) وهنا نقرأ على الهامش هــذه العبارة : « وفي سنة افيد لليونان (ي ١٨١٣ = ١٥٠٢ م) كان ساكن بدير مار سمعان الفراديس القس حنا » وبالحرف اللاتيني مكتوب هذا الرقم « 1503 » والحرف الفرنجي « A » الذي معناه سنة .

٢) ونقرأ على الهامش ما يلي : « في سنة انه ... كان ناسك باخوس بن القس حنا بن الخريطة من قرية بان . وفي سنة اقلد (اي ١٥٢٤ م) نسك القس سركيس بن القس حنا بن الخريطة واخوه القس باخوس (الذي كان ناسكاً) . » . وبعد فسحة قليلة نقرأ هذه العبارة التي هي بشكل عناوين : « المطران داود الحدثي بقنوبين . المطران يعقوب ابن عزيز حدثي » . طالع تاريخ الموارنة الذي نشره الشرتوني ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

وفي سنة ثلاثة عشر وتسعماية للهجرة التي تبدأ في أيار من شهور سنة الف وخمسماية وسبعة مسيحية (١٥٠٧ م) كان النايب بدمشق سيباي الاشرفي ، وفي المملكة الحلبية خير بك . وفي ستة من شهر تموز حدث سيل عظيم في الشوف حتى نهر الصفا الذي بين صيدا وبيروت اخرب ما على جنبه من سكور الطواحين ، وقيل ان لم يعهد سيل مثله ولا في ايام الشتاء .

وفيها (اي السنة) كانت وفاة الاسقف يوسف من الخيزفانة بقبرس ، وتقلد بعده كرسي الافقسية الاسقف جبرايل بن القلاعي ، وأخذ السكنة اولاً في المدينة في دير مار نوهرا ومار انطانيوس كرسي الموارنة (هنا تنتهي ص ١٠١ وجهاً) ، ثم انتقل الى دير مار جرجس طالا ، ودبّر تلك الرعية بكافة الغيرة والعناية .

٤ ـ ثلج كثير على السواحل أهلك الحيوانات وخرّب الطرقات وسدّها : سنة اربعة عشر وتسعماية للهجرة (أي ١٥٠٨ م) وقع الثلج المعظم الذي لم يعهد مثله وكان بدؤه في سبعة ايام في سباط واستمرت ترمي ثلج قرب نصف شهر حتى انقطعت الطرقات في السواحل في الاماكن التي لا عادة لها تثلج . وكان الارتفاع بالسواحل نحو سبعة اشبار ، واما في الجبال فلا قياس له ، واستمرّ الثلج على جبال السواحل الى قرب آخر نيسان ، وفني الحيوان ، وهجّت الوحوش من المواضع المنخفضة[1] .

---

١) وهنا نقرأ على الهامش تاريخين منفصلين ، الاول هذا نصه : « في سنة اثز مسيحية (اي ١٥٠٧ م) صار رئيس على دير حوقا القس موسى المكاري وكان تلميذ الخوري اسطفان والقس ميخايل » . والتاريخ الثاني مكتوب بعد ستة اسطر هكذا : « سنة انح (اي ١٥٠٨ مسيحية) المطران يعقوب ابن عزيز الحدثي في قنوبين » .

٥ – ضنك في الشام وظلم ، الخوري حنا الناسخ والمعلم واولاده وضيق في الجزيرة . عودة النصارى منها الى الشام بسبب ذلك ،
سنة الف وخمساية وعشرة مسيحية (اي ٩١٦ هج) يذكر القس الياس من معد (معاد) ان في بلاد الشام كان ضنك عظيم علـــى الناس من الظالمين حتى انهم تركوا مواطنهم وتغرّبوا لبلدان بعيدة . وان في مركب واحد منهم دخل من بلاد جبيل الى جزيرة قبرس ماية وعشرين نفس وكان يحملتهم الخوري حنا بن الزطيمية من ترتج بعياله . وكان المذكور رجلاً فضيل ، وكان للطائفـة سنداً متين في نسخ الكتب البيعية وعـــلم الاولاد والشور والعـلم . وكانوا الروم يكنّوه كروكليا من الفوطة الزرقه التي كانت يلبسها على راسه ، وجادلهم دفوعاً كثيرة ولم يقدروا على مقاومته .

ثم ان بعض ناس من الطايفـة حسدوه واحتمل منهم اضطهاداً جزيل . وتخلف بعد منه ولده القس يوسف وابنــه الشماس الياس الذين انشهروا بنسخ كتب الكنيسة والافعال المرضية . وبصحبـة المذكورين كان الخوري لوقا بن بطرس ايضاً من ترتج فعمّر كنيسة شريفة على إسم مار لوقا الانجيلي في قرية كليبيني . وكذلك الخوري زكريا الذي ابتنا في مطوشي كنيسة مار ماما . وانتقل ايضاً الحج مخايل اللحفدي ابو الاسقف جبرايل الى قرية طالا وزادا على كنيسة السيدة سوق آخر على اسم القديس الجليل مار عبدا (وهنا انتهت ص ١٠١ قفا) .

وفي هذه السنة كان ديق (ضيق) عظيم عـلى المؤمنين ايضاً في جزيرة قبرس اولاً من الجراد الذي ارتعي الزروع ، ثم من الحكام الذين ولو كانوا نصارى (فقـد) كانوا يحمّلوا أثقال غير خفيفة للمؤمنين مثلهم ، ويأخذوا على رأس الرجل نصف دوقات وعـــلى

النساء والاولاد والملح وغيرهم عشر الدوقات . ولموضع ذلك كثيرين من الذين كانوا توجّهوا الى تلك الجزيرة طالبين الفرج عادوا الى بلاد الشام ، وبلغوا الخبر إلى حضرة السيد البطريرك الذي كاتب عن ذلك قدس البابا لاوون ، وصارت منه المراسلة الى ليوناردوس امير البندقية بأنه يكون شفوقاً على الموارنة الذين تحت حكمه كما صار .

٦ - وفاة الامير يونس معن - سيامة الاسقف سمعان على قبرس . البطريرك شمعون . الحبيس جرجس الهدناني . الحرب والغلاء والطاعون البقري . سنة صيز (اي ٩١٧ هج) التي توافق لسنة الف وخمساية واحدى عشر (مسيحية) كانت وفاة الامير يونس ولد (ابن) معن .

وفيها (اي السنة) سام السيد البطريرك الاسقف سمعان على الافقسية ، والاسقف جبرايل باقي في الحياة . وكان يعضد السيد البطريرك بقنوبين المطران شمعون والمطران يعقوب . وكان مستحبس بدير مار انطونيوس قزحيا الخوري جرجس الهدناني الذي (عاش) في الحياة الملائكية ونسخ الكتب ووصل إلى مرتبة عالية . والخوري بركة البقوفاني عمّر محبسة مار ميخايل بعدما كانت قطين للمعزة واخذ السكنة بتلك الحبسة[1] . وقيل ان في هذه السنة حدث على ديق (ضيق) عظيم لم يعهد مثله ، وحدث على الناس ايضاً جدري ثقيل جداً ، وبعد منه الجرب والحكاك الذي من شدته كان يمنع الناس عن النوم والقعود ، وحكم على البقر بالموت ببلاد الشام ، فلم يسلم منه الاّ القليل .

---

١) ان هذه المواضيع التي جرى وصفها هنا ، قد سبق ذكرها فيما قبل في هذا الفصل ، فلزم التنبيه ، وذكرها المعلم الشرتوني في تاريخ الطائفة ، ص ١٤٥ وما بعدها .

٧ – وفاة السلطان بايزيد الرومي وخلفه ابنه سليم . اجتماع اهل اهدن . زيارة المرسلين للبطريرك شمعون . ظهور شيطان او عفريت في قبرس : سنة ثمانية عشر وتسعماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٥١٢ م) كانت وفاة السلطان بايزيد ملك بلاد الروم ، وكانت مدة سلطنته اثنين وثلاثين سنة واستمرّ على سرير الملك ولده السلطان سليم (وهو الثالث في القسطنطينية) . وفيها اجتمعوا اهل اهدن ووضعوا اساس كنيسة السيدة التي في الحارة السفلية ، وكانت الخلفة اكثرها على بيت معوّض[1] . وفيها (السنة) حضروا الى زيارة السيد البطريرك البادري اسكندر والبادري قورصن من بلاد (تنتهي هنا ص ١٠٢ وجهاً) هيسبانيا من رهبان مار فرنسيس .

وفيها (السنة) يذكر الخوري حنا بن الزطيمية ان تباين في جزيرة قبرس عفريت ، وهو وحش عظيم ، فقلع أشجار كثيرة وضرب في الهواء فرساً في الكفريات ، وشال من البحر حجراً ثقيل ينوف عن خمسين قنطار والقاه في ارض ديكتيره التي بقرب برج كريفيه .

٨ – غلاء فاضح . رسامة المطران قرياقوس الاهدني . البطرك شمعون وطلب الدرع المقدس وعودة قاصده من روما مستعلماً : سنة الف وخمساية وثلاثة عشر مسيحية (التي توافق سنة ٩١٩ هج) كان الغلاء العظيم في بلاد الشام (وقد) وصل شنبل القمح بجبل

---

١) هنا في المتن سطران شطب عليهما المؤلف وهما : « وقيل ان زوجة مقدم بشري التي كانت بنت قاضي طرابلس وهبت (؟) في بكارتها ماية قرش » . ونقرأ بعد ذلك على الهامش هـذا الكلام : « توفي يعقوب المعروف من بيت الريّس مطران اهدن ، وله في المطرنية نحو خمسين (سنة) ، والمطران ابراهيم باقي في الحياة » . وقـد سبق الكلام على ذلك في هذا الفصل .

لبنان الى اربعين درهم ، وفي بلاد حلب الى ماية ، وقلة الزيت الى ماية وخمسين .

وفيها (اي السنة) انسام المطران قورياقوس من بيت حبلص من اهدن وأخذ السكنة في دير مار يعقوب الذي للطايفة ، وكانت له رعية تولا وبسلوقيت ، وكان رجلاً شجيع بالغ الشور ، وحسن التدبير ، وغيور في امور البيعة . وكان مهتماً بأمور الحبيس جبرايل الهدناني حتى يكون ملازم نسخ الكتب الكنائسية .

وفيها السيد البطريرك ارسل القاصد بطرس الى مدينة رومية الكبرى بسبب الطاعة والتثبيت[1] فأرسله اولاً بمكاتيب الى البادري مرقوس من فلورنسا ورديان بيروت على رهبان مار فرنسيس . والمذكور أرسل بطرس القاصد بمكاتيب إلى قدس البابا لاوون العاشر الذي كان جالساً على كرسي مار بطرس برومية ، شاكراً بهم طايفة الموارنة بحسن الاعتقاد والتمسك بكنيسة رومية ، وانهم محتملين الظلم والضنك من الغير مؤمنين بصبر جزيل ، وان بطركهم طالب من قدسه (درع) التثبيت على كرسي انطاكية . فأخذ القاصد بطرس مكاتيب ورديان بيروت ودخل بهم إلى رومية وقدّمهم للاون البابا .

فجمع قدس البابا بجمع الكردنالية وقرأوا مكاتيب الورديان . فمن قرايتهم ومن كلام القاصد ، فهموا أن البطرك كان قاصد التثبيت ، ولكن لأن ما وصل اليهم مكاتيب منه ولا القاصد عرف يخبّرهم ان كان البطاركة الذين سلفوا كانوا يأخذوا التثبيت من رومية ،

---

١) ان المؤلف ابتداءً من اللفظة التالية الى آخر هذا العدد شطب كلامه في المتن وحرّر بدله على الهامش العبارات التي نقلتها فيما يلي ...
واما الكلام الذي شطبه فهو عشرون سطراً فقط ، ولا يختلف كثيراً بالمعنى عما ذكرت.

صار الشعور ان القاصد يرجع الى جبل لبنان (وهنا انتهت ص ١٠٢ قفا) وارسل معه مكتوب إلى البطرك شمعون طالباً منه انه يرسل له السجلات والاموراة الموجودة عنده من بابية (باباوات) رومية قبل هذا الزمان ، ويختبر منه كيف تصير رسامة البطاركة ؟ ومـا هي أمانتهم ؟ ومـا هي ثياب الكهنوت التي يستعملوها في خدمة الاسرار الطاهرة ؟ وأينما رتبة يحفظون في تقدمة الصلوات وتقديس الميرون وغيرهم . فعاود القاصد بطرس لعند حضرة البطريرك (في قنوبين) .

٩ – الوفد البطريركي في روما يشرح للبابا عقيدة الموارنة وسر الميرون وسائر الامور الاخرى ، الاب سوريانو يشهد بصحة العقيدة ، الاضطهادات الدينية : سنة انيد مسيحية (أي ١٥١٤ م الموافقة لسنة ٩٢٠ كما هو محرّر بالفرنجي على الهامش) في ثامن آذار ارسل ثاني مرة (البطرك شمعون) القاصد بطرس الى رومية بمكتوب كبير الى حضرة قدس البابا لاوون ، وبعد السلام والتقبيل يجاوب عن اعتقاده واعتقاد الذين سلفوا قبل منه على كرسي انطاكية بتوحيد الذات الالهية وتثليث اقانيمها المسجود لهم ، وعن تجسد الكلمة في آخرة الازمنة من البتول الطاهرة وموته على الصليب من اجـل خلاصنا ، ونزوله الى الجحيم ليست فك الابرار ، وقيامته في اليوم الثالث وجلوسه عن يمـين الله الآب ، ومجيئه الثاني ليدين الاحياء والاموات .

ثانياً : يوصف له كيف يتقدّس الميرون وذلك على الزي القديم .
ثالثاً : كيف يجتمع الشعب عند وفاة البطرك برسامته وصفوة الجديد .
رابعاً : عن رتبة الصلاة . خامساً : عن ثياب القداس وتأويلهم .

سادساً : يذكر عظم المحبة والكرامة التي بـــه وبجميع شعبه الى كرسي مار بطرس الرسول الذي هو جالس عليه بابا رومية ، وان سلفايه على كرسي انطاكية دائماً طاعوا كرسي رومية وانشاالله يدوم ذلك للأبـــد . سابعاً : يطلب منه التثبيت والبركة ، وبدلة كاملة بصليب وخاتم واوجاه للمذبح وأربع مدرعات للشماس لأجل حسن الخدمة والذكر ، كما بعثوا قبل هـــذا العصر البابا زخيا الثالث ، واوجان الرابع وغيرهم . ثامناً : انه يمنع مطارنة الافقسية (الفرنج) في قبرس عن التعدي والطمع على دير مار يوحنا ووقوفات الموارنة بتلك الجزيرة . تاسعاً : ان لا يقطع عنايته عن الملة المارونية الذين يحتملون الضنك والخصاير من الغير مؤمنين ، بل يرسل ناس تستفقدهم وتحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية . عاشراً : انـــه يرسل يمنع حكام قبرس عن الاثقال التي يحمّلونها للنصارى الذين هربوا من جور الغير مؤمنين والتجأوا تحت حمايتهم (الفرنجية) . احد عشر : انـــه (تنتهي ص ١٠٣ وجهاً) يرسل غفران كامل له وللمته ليصير لهم بذلك تسلية ولكي تترمرم الكنايس . اخيراً : انه يرسل مكتوباً إلى المقدم الياس ولد (ابن) يوسف ولد يعقوب . ولأن هذه الرسالة انقرأت في مجمع لاتران كما يذكر القس كسبر بن الفريب ذو الذكر الصالح ، ردنا (اي اردنا) ان نتوضع هنا لأجـل خاطر القاريء اللبيب ، نسخة الرسالة[1] .

وأما البادري فرنسيس سوريانو الذي كان سابقاً ورديان ورئيس ديوـة القدس الشريف (فقد) ارسل مكتوب ايضاً الى البابا لاوون العاشر بسبب تثبيت البطريرك شمعون اذ يذكر له كما هو واضح من

---

١) على اننا لم نجـــد نص هـــذه الرسالة هنا ، ولكن يمكن الوقوف عليها في تاريخ البطريرك مسعد « الدر المنظوم » ص ١٥٥ ، وعلى سائر الرسائل المتعلقة بهـــذا الموضوع الهام ، وفي كتاب المستندات التاريخية باللاتينية للبحاثة الآباتي العنيسي .

رسالة البابا المذكور المحرّرة سنة انيه (اي سنة ١٥١٥) ان البطرك والموارنة جميعهم حافظين ومتمسكين على الحقيقة في الامانة الارثوذكسية ومثل البنين الصالحين والعابدين يكرّمون بالغاية كنيسة رومية المقدسة ولم يختلفوا عنها بما يوجب لخلاص الانفس إلاّ إن كان في بعض عوائد عامة على كهنة الشرق تحلّلات لهم من الكرسي الرسولي على يد الراهب غريفون[١] .

١٠ – رسالة البطريرك شمعون ارسلها الى البابا لاوون العاشر مع المرسل الاب سريانو وبصحبتها عدة رسائل بطريركية قديمة . سجل البابا اوجـين للأرمن واليعاقبة ، وتدبير شؤون الموارنة ومنحهم الغفران : سنة انيه مسيحية (أي ١٥١٥ م ، الموافقة لسنة ٩٢١ هج) تقدمت هذه الرسالة مع بطرس القاصد الى قدس البابا لاوون العاشر بابا رومية وقدّم له ايضاً ست رسايل الذين بابية رومية قبل هذا العصر كانوا بعثوهم الى بطاركة الموارنة ، اي مكتوب بابا زخيا الثالث التي بعثه سنة الـف ومايتين و ١٥ الى البطرك ارميا ، ومكتوب بابا اسكندر الرابع الذي بعثه سنة الف ومايتين و ٥٦ الى البطـرك شمعون . ومكتوب البابا اوجانيوس الرابع الذي كتبه سنة الف واربعماية و ٢٩ الى البطرك حنا الجاجي . ومكتوب البابا نقولا الخامس الذي ارسله سنة الف واربعماية و ٤٧ الى البطرك يعقوب الحدثي . ومكتوب البابا كاليستوس الثالث الذي كتبه سنة الف واربعماية و ٥٥ الى البطرك يعقوب المذكور . ورسالة البابا بولص الثاني سنة الف واربعماية و ٦٣ إلى البطرك بطرس بن حسان الحدثي[٢] .

١) طالع عن هؤلاء المرسلين سوريانو وغريفون وغيرهم حاشية ٣٠ في آخر هـذا الكتاب .

٢) طالع هذه الرسائل الست في كتاب الدويهي الذي طبعه الشرتوني ، ص ١٤٧ .

فلما قرى البابا لاوون هولاء السجلات ومكاتيب السيد البطريرك والبادري فرنسيس سوريانوس ، وتحقق عن حسن امانـة البطريرك وسائر ابناء الملة وعن عوايدهم واحتمالهم وسلوكهم المستقيم ، شهد في الرسالة التي كتبها البطرك ان اقبـل عليه فرحاً عظيم وامتلأ قلبه ابتهاج ومسرور لم يوصف حتى انه رفع التسابيح والشكران لله سبحانه وتعالى الذي بحلمه العظيم آثر بأن بين الكنايس الشرقية في وسط الكفر وميدان الارطقات يكونوا عبيده المؤمنين محفوظين كالورد في وسط الشوك لتسبحة اسمه ورجوع الغير مؤمنين . وانهم من غـير عيب ولا ريب يكونوا متمسكين في أمانة الكنيسة الجامعة الرومانية المقدسة وعوايدها ، ولا يبتعدوا عن أمانة المسيح لاجل الظلم والخساير والاضطهادات (هنا تنتهي ص ١٠٣ قفا) ، التي يحتملونها من اهل الانشقاق والبدايع والغير مؤمنين الذي (الذين) يشنون (اي يمقتون) ويضطهدون اسم المخلص بـل كل يوم يزدادون قوةً وأيد ليحتملوا الظلم والضنك في حب الله .

ثم ان البابا لاوون ارسل درع البطريركية إلى البطريرك شمعون الحدثي وثبّته على المـلة المارونية في الامور الروحانية والجسدانية ، وانـه يكون لهم كالراس وهم بمنزلة الاعضاء الخاضعين ، وارسل له مكتوب بذلك تحرّر في أول آب من شهور هـــذه السنة ويأمره بأمر الطاعـــة ان في تقديس الميرون لا يستعملوا شيئاً دون زيت الميرون والبلسان كما تسلّمت الكنيسة لرومانية من الآباء الاطهـار حسب مـا كان اوعد البطريرك ارميا العمشيتي وجميع الطائفة انهم يفعلوا ، وعن ذلك يعطي براهين مختلفة ، فأمرهم ان كل سنة يقدّسوا الميرون ويثبّتوا بـه المعمدين عند كمال السنّ . ثم يذكّره ولكل الطائفة انهم يتناولوا القربان المقدس اقل ما يكون في عيد القيامة ويتمسكوا ان روح القدس ينبثق من الآب والابن كمن علة واحدة .

ومن خصوص الامور التي ارسل يطلبها من قدس البابا فيجاوبه بمكتوب تحرّر في بدي شهر ايلول من شهور هذه السنة . انـــه رسل مكتوب إلى ليوناردوس لاوردان امير البندقية انه يكون ذو حـــلم وشفقة وكرم على الموارنة القاطنين في جزيرة قبرس . ومكتوب آخر إلى المقدم الياس ليكون مهتماً وغيوراً على امور البيعة والسياسة التي تخصّ طايفته . ومكتوب آخر إلى مطران الافقسية ينهيه به بأمر الطاعة عن ارزاق دير مار يوحنا ووقوفات الملة المارونية بوجه من ساير الوجوه . ومكتوبين واحد للبطريرك والثاني عموماً ان كنيسة مـــار يوحنا التي بأرض الافقسية وساير الوقوفات التي كانوا للملة المارونية في جزيرة قبروس يكونوا في تصرف البطرك ، واينما (واي) مطران ام اسقف تعدا عليهم بعد انشهار هولاء المكاتيب يكون ممنوع عن تقديس الاسرار ، وان كان ادنى من هولاء يكون تحت الحرومات القاطعة .

وأرسل له مع مكتوب التثبيت العداد والبدلات التي كان بعث يطلبها منه . وكتب ايضاً الى البادري فرنسيس من الكوه والبادري فرنسيس سوريانو من رهبان مـار فرنسيس أنهما يزوراه ولطائفته ، ويرشدوهم في امور الايمان . وارسل اليهما سجلّين كبار الذين ولّفهما البابا اوجان (وهنا انتهت ص ١٠٤ وجهاً) الرابع في المجمع الذي عقده بمدينة فلورنسا (احدهما باسم طائفة الارمن والآخر الى الملة اليعقوبية) ، ولم يصار فسحـــة انهما يرتسلا ، احدهما مكتوب إلى طائفة الارمن والآخر الى المــــلة اليعقوبية ويحويان باختصار جميع القوانين الذين رتّبوها الآباء بذلك المجمع العام ، وان هولاء السجلين ينعطوا الى البطرك شمعون حتى هو وطائفته يدرسونهم وثم يرسلونهم إلى الارمن واليعاقبة اذا جاهم محل .

وارسل ايضاً للطائفة المارونية غفران كامـــل ابدي لكل من يزور كنيسة الكرسي في الاعياد الربانية وفي نياحة السيدة وميلاد يوحنا المعمدان وعيـــد الرسولين بطرس وبولص وعيد الصليب اذ يعترف ويتقرّب ويصنع مـع كنيسة الكرسي حسنةً فينال غفران كامل على جميع خطاياه . وسبب هذا الغفران خاصةً حتى المؤمنين يساعدون ويرممون الكنايس ويحتملوا بصبر الشدايد والمظالم الصايرة عليهم ، وعطا فسحة للكهنة معلمين الاعتراف أنهم يحلّوا التايبين من جميع الخطايا ولو كانوا محفوظين للرؤساء ، ويبدلوا النذورات بأعمال اخرى صالحة ما خلا نذر العفة والرهبنة . وامر ان هذا الغفران يكون ثابت الى الابـــد كما هو واضح من مكتوب ابن عمه البابا اقليموس الذي تحرّر سنة انكح مسيحية (اي سنة ١٥٢٨ م) .

فوصلت هذه المكاتيب مع التثبيت والبدلات الى البطريرك شمعون الحدثي ، فحصل له منهم فرحاً جزيل وشكر الحق سبحانه وتعالى الذي لم يخيّب عبيـده من تسلية رحمته . ثم ان البادري فرنسيس الشهير من الكوّه كمّل ايام رياسته في مدينة بيروت . وعندما همّ بالرجوع لبلاده قدم إلى عند السيد البطريرك لأجل الزيارة كما امره قدس البابا ، فثبت في دير القدس عدة ايام وتكلم مع السيد البطريرك عن تقديس الميرون من الزيت والبلسان .

ثم ان سر المعمودية يصير قبل الاربعين يوم عن غيرهم . ولما في ١٣ شباط همّ في الدخول الى مدينـة رومية ، ارسل معه الخوري يوسف وراهبين القس موسى والقس الياس ليتأدبوا بعلوم الآباء الاطهار والكنيسة الرومانية المقدسة . وعند وصولهم وجدوا ان البابا كان عاقداً مجمع كبير في مدينة رومية في كنيسة مـــار يوحنا لاتران فتقدّموا القصاد مع البادري فرنسيس من الكوّه الى تقبيل قدميه

ورمي الطاعة ، واستقبلهم قدسه بكافة العزازة . ثم ان مكاتيب السيد البطريرك الانطاكي انقروا على المنبر (انتهت ص ١٠٤ قفا) في المجمع في العربي واللاطيني ، وتحرّر المكتوب في كتاب ذلك المجمع في الجلسة الاحد عشر وامر قدس البابا ان قصاد الكرسي الانطاكي ينزلوا عند الكردينال سنتاكروس في كنيسة مار غسطين .

ثم ان القصاد طلبوا من الكردينال المذكور فسحة ، ليقدّموا الأسرار الطاهرة في السريانية . واذ لم يكون قبل هـذا الآن في بلاد الغرب احد يعرف اللغة السريانية ولا العربية ، صار ان تاسيوس أمبروسيوس جعل اهتمامه وعنايته كلهـا بذلك وتعلم اللغة السريانية من القصاد المذكورين[1] . ومنه تعلم ناس آخرون فانتشرت من ذلك الآن في بلاد الغرب معرفة اللغة السريانية .

١١ — الوقعة بين الغوري المصري وابن عثمان في مرج دابق . عسكر الروم والجراكسة يتقابلان . الملك المظفر سليم يدخل دمشق وحلب ويرتّب البلدان ويعمّر البلاد ، تقسيم البلاد في كسروان . الدوادار طومان باي وانقراض الدولة التركية : سنة اثنين وعشرين وتسعماية للهجرة (الموافقة لسنة ١٥١٦ م) كانت الوقعة بين الغوري ملك مصر وابن عثمان عند مرج دابق ، اعني بين السلطان سليم ابن عثمان ملك القسطنطينية وبين ملك مصر الاشرف قنصوه . وذلك ان السلطان سليم بن السلطان ابا يزيد ملك الروم من حـين استقرّ على سرير الملك بـدا بقتال ملك العجم اسمعيل شاه ودخل برجاله وعساكره الى انـ وصل الى تبريز وكسر عسكر قزل باش وفتح

١) ومن رجـل يهودي ، كما جاء في تاريخ الدويهي ، (ص ١٤٩) ، ماهر في اللغة العبرانية ، ومن ذلك الزمان درجت في بلاد الغرب معرفة اللغـة السريانية (راجـع الدر المنظوم ، ص ١٥٥) .

تبريز ، واعطى الرعية تمام الأمن وانهزم من قدامه شاه اسماعيل . وكانت بين الغوري سلطان مصر وبين اسماعيل شاه محبة ومراسلات. فلما صارت الركبة على اسماعيل شاه كاتبه قانصوه الغوري بأنه يحرق اجران الحب والشعير ويرسل ناس تربط الدرب على القوافل التي كان اعدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤون والعليف . ففعل ذلك اسماعيل شاه . ولما انفتحت تبريز صارت مجاعة عظيمة حتى بيع رغيف الخبز بماية درهم ، وعليقة الشعير بماية ، فتفحّص السلطان سليم عن قطع الميره في محل الاحتياج اليه فأخبروه أن سبب ذلك الغوري سلطان مصر . بسبب ذلك ان استقرّت الركبة على اخــذ مصر وازالة الجراكسة عنها .

وفي هذه السنة برز عسكر الروم وعسكر الجراكسة ، وتلاقوا اثنينهما بمرج دابق الذي يقرب حلب . وكان الغوري ملك مصر يتوّهم ويخاف على نفسه من قواد العساكر خير بـك والغزالي اللاذان في الباطن كانا يكرهانه ويكرهها . ولذلك لما استقرّ الحرب امرهما ليقدما لقتال السلطان سليم ليقتلا في البنادل[1] في اول دفعــة . فتفطن خير بك والغزالي على عمل الغوري ، فارسلا الى السلطان سليم يطلبا منه الامان . فاجابهما الى ذلك واوعدهما انــه يعطي لخير بك مصر ، وللغزالي الشام . فلما اضطربت (أي اضطرمت) النيران بين العسكرين ، فرّ خير بــك بمن معه من الميمنة ، وفرّ الغزالي بمن معه من الميسرة ، وبقا السلطان الغوري ومن معه مع تباعه وخواصه في الوسط ، فقتل سيباي نايب دمشق ونايب طرابلس ونايب صفد وانكسر عسكره كسرة عظيمة من غير محاربة . وأما السلطان الغوري فمات من غير قتال ولا جراح ، بل لما خامرت عليه النواب ، غشي وغما عليه عند زيادة الغضب ومات .

١) والاصح : البنادق ، وهنا تنتهي ص ١٠٥ وجهاً .

وتملك الملك المظفّر سليم شاه بن عثمان ملك الروم جميع الاوثاق والخيل والمتاع . ثم صعد الى مدينة حلب واعطاهم الامان ودخل ، فوضعت رآياته على قلعة حلب الكبرى . وعندما حضر يوم الجمعة للصلاة ، دعى له الخطيب ولسلفائه ولقّبه بخادم الحرمين . فسرّ بذلك السلطان وخلع عليه خلعاً متعددةً ، واقام بحلب اياماً كثيرة حتى مهّد الملك واجرى احكام عادلة على الرعايا . ثم ملك حماة وحمص ، وسار بالجيش الى دمشق فخرج اهلها الى لقايه وطلبوا منه الامان . فأجابهم الى ذلك . فضبط حصونها ومهّد امورها وامر بعمارة الاكسير الاكبر وأوقف له وقوفات . ثم ارتحل بالجيش الى بلاد مصر ؛ ولما وصل الى بلاد غزة عدل بمفرده الى زيارة القدس الشريف والخليل بنفر قليل وعاد الى عسكره .

(وعلى الهامش نقرأ ما يتبع) : « والسلطان سليم لكثرة حلمه امر في عمار البلدان ، ورتّب على بلاد كسروان مال جزيه سبعماية سلطاني ، وكان مقدار السلطاني ثلاثين للقرش الاسدي ، وولّى عليه الامير عساف وكتب له خط شريف . وعندما عمّر البلاد ، قدمت الناس من كل جانب . فقدموا المتاولة من بلاد بعلبك ، وأخذوا خاطر المير ، وسكنوا في فاريا وحراجل وبقعاتا . وكذلك سنيّة البقاع اخذوا السكنة في فيطرون وفقيع (القليعات) وعرمون والجديدة وساحل علما وفتقا . وكذلك الدروز جاؤوا من المتن والجرد وسكنوا في برمانا ومزارع كسروان . وكذلك النصارى (جاؤوا) من بلاد طرابلس فسكنوا اهالي الجدل في عرامون . واهالي يانوح في كفور الفتوح . والشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن ميخايل من يانوح في اغزير ، وبيت كميد وكذلك الشدياق سركيس بن الخازن في سنة

انه (اي ١٥٤٥ مسيحية) خرج من جاج وجاء الى بلونه ، وبيت الجبيل إلى ...[1] » .

وفيها (اي السنة المذكورة أعلاه) اجتمع الجراكسة بمصر وجعلوا الدوادار طومان باي سلطاناً ولقّبوه بالملك الاشرف والقوا مقاليد سلطنتهم اليـــه . فجمع العساكر وخرج الى الريدانية خارج مصر ونصبوا المدافع الكبار لاقتال العساكر العثمانية . فأخبر الجواسيس السلطان سليم باستمداد الجراكسة فمضى هو وعسكره من خلف الجبل المقطم ، فقاتلهم السلطان طومان باي والجراكسة بشجاعة قوية ، وجرت بينهم حروب شديدة ، وكانت الكسيرة على الاتراك وانمسك السلطان طومان باي ، فصُلب عند باب زويله ، وفني من عسكر الروم خلقاً لا يحصر ولا يحصا ، وقتل الوزير الاكبر سنـان باشا ، وأسف عليه السلطان سليم . وفي طومان باي انقرضت دولة الترك بعد ان كان منهم تسعة واربعون سلطان . ثم يقول ان كملت الخمسون في عدون الاشرف قانصوه خمساية سلطاناً ، لكنه لم يملك القلعة . والبعض يعدّون شجر الدرّ جارية الملك الصالح لأنها ملكت ثلاثة شهور ثم خلعت نفسها وتولا آيبك مكانهـا ، فيجعلون ملوك الترك (انتهت ص ١٠٥ قفا) خمسين ملك الى آخر سنة صنب (اي ٩٥٢ هج) .

واما السلطان سليم (فقد) امر ببنيان كوشك في الروضة مشرف على بحر النيل وكان علو قاعات المقياس ، فضبط خراج مصر ودبّر امورها وأمّن الجراكسة وجعلهم امراءها وان يأكلوا وقوفاتهم . وفي كج (أي ٢٣) من رجب من سنة ثلاثة وعشرين وتسعماية هج

١) الى هنا انقطع الكلام المحرّر عـــلى الهامش ، واعتقد ان بيت الجبيل ذهبوا الى بكفيا في القاطع . وفي الصفحة التالية تكلة عن الامراء وتخصيص كل امير بمنطقة كما سنرى بعيده . ولنرجع الآن الى اتمام المكتوب في المتن كما يتبع هكذا :

(اي ١٥١٦ م) ولى الامير خير بك الديار المصرية ورجع إلى دمشق، ومنها إلى بلاد الروم، وتوّلى السلطان سليم على البحرَين والبرّين والحرمَين وديار ربيعه والجزيرة وغيرها . وفي هـذه الحروب صار ظلم عظيم على الخلق . وجيبوا (اي جمعوا) فيهـا الخراج مرتين، وارموا جمال على كل الناس، كل جمل بثلاثة آلاف وخمسماية . وكان الغلال عظيم على كل الارض فلا غلت الاراضي ولا الاشجار ولا البهايم ولا الدجـاج الا شيء قليـــل، وقوت الناس في البركان اكثره من الحليب .

١٢ – الامراء اللبنانيون يذهبون الى دمشق عند السلطان سليم فيثبتهم في ولاياتهم مع التشديد عليهم بالسير حسناً : وحضروا الى عنده (السلطان سليم) امراء البلدان، فولّى الامير قرقماز ابن الامير[١] يونس ابن معن بلاد الشوف . والامير جمـال الدين اليمني بلاد الغرب . والامير عساف كسروان وبلاد جبيل وغيرهم . واما امراء الغرب التنوخية فما تجاسروا على مواجهة السلطان لأنهم كانوا من حزب السراكسة . فاحسنوا السياسة لقومهم وعمرت بلدانهم . والامير عساف كان مقامه في بلاد كسروان عند عين شقيق، وفي الشتاء كان ينزل الى عنطورا، واركانه كانوا قاطنين في الازواق على سواحل البحر . فلمـــا قبل العفوتاما من السلطان سليم انتقل الى قرية اغزير واتخذ بها السكنة، وكان له ثلاث بنين وهم حسن وحسين وقيتبيه . فبادر الى عمار المحلات التي كانت بيده وردّ إلى عنده كثيرين من آيالة طرابلس (ما يتبع مشطوب عليـه) مثل الشيخ حبيش واولاده انتقلوا من يانوح الى غزير، والشدياق سركيس ابن

١) ان هذا المقطع الطويل كله مكتوب على هامش المخطوطة، انما القسم الاخير فقد شطب عليه المؤلف دون ابداء اي سبب لشطبه .

الخازن جاء واولاده من جاج الى ارض عجلتون . وبيت الجميل الى قاطع نهر الكلب وغيرهم . ولموضع شهامتهم وسعيهم تقدموا بطول المدى على سكان تلك الناحية . وبعد وفاة الامير عساف تآمر ولده حسن الذي كان الاكبر بين إخوته وأخذ الحكم على بلاد كسروان من قبل باشية الشام .

وكانوا اولاد حبيش يخدمون عنده والبعض منهم عند اخوته . ثم صارت الوحشة بين الامير قيتبيه وبين اخوته بسبب الحكم . ولان قيتبيه كان الاصغر فيهم وكان من غير امهم الاولى طفر الى الشويفات لعند الامير جمال الدين . فدخل بينهم الناس وتصالحوا . وعندما نزل الامير حسن وأخوه حسين لبيروت غدر بهم قيتبيه وقتلهما ولم يكن لأحد منهم ولد سوى واحد لحسن وكان يدعى منصور . فعفى عن قتله بينما يرزق ولداً . عند ذلك ضمن غزير قيتبيه وحده ، وقبض على يوسف وعلى ابيه سليمان اولاد حبيش الذين كانوا يخدمون عند اخوته فحبسهم في بيروت وغرّمهم ثم طفّرهم الى مصر ، واما الشيخ حبيش (فقد) انهزم الى الاسا مع أولاده الزين وابراهيم لعند الشيخ هاشم ابن العجم (هنا تنتهي الحاشية المضروب عليها بخط أسود كما قلنا) .

١٣ – وفـــاة الاسقف ابن القلاعي : مؤلفاته المتعددة وسيامة اسقف مكانه . ولاية دمشق الجديدة . هبوط ثلج كثير افسد الزروع :

سنة ثلاثة وعشرين وتسعماية للهجرة التي بدؤها في شهر سباط من شهور سنة الفين مسيحية (اي ١٥١٦ م) انتقل بالوفاة إلى رحمة الله الاسقف جبرايل بن القلاعي من لحفد ، يعجز اللسان عن وصف غيرته وعلومه وقداسته ، حتى ان هو وحده سند بدرعيه (اي بذراعيه

ملّته عندما أحاطت بها الارطقات ، وكانت قد قاربت إلى العدم ، ولم يسعفها بحياته فقط بل وبعـــد وفاته بواسطة المصنفات الذين خلّفهم بعد منه ، ونحن نذكر منهم لأجل علم القاريء النجيب :

صنّف كتاب ناموس . كتاب عظا (عظات) . وكتاب عن الاعتراف ، وكتاب عن أخبار بابية رومية ، كتاب عن ملوكها ، وكتاب عن اعتقاد الملة المارونية واتحادهم مع كنيسة رومية ، وكتاب عن الموت والقيامة ، وكتاب عن الايمان المستقيم واسرار حياة المسيح ، وكتاب عن رئاسة بابا رومية ، وكتاب عن علم الالهيات ، ونقل الى العربي الاستنكسار[١] الروماني وميمر عن آلام السيد المسيح الخلاص . وايضاً نحو خمسماية رسالة كتبها لبني ملته لأجل ثباتهم على امانة مار مارون والكنيسة الرومانية ، وصنّف في اشعار جملة مدايح عن حياة المسيح وآلامه وامه تحت الصليب . وعن سر الثالوث المقدس والتجسد الالهي عن طبيعة الرب والمشيئتين باقنوم واحد ، وعن انبثاق روح القدس من الاب والابن . وعن علم الايمان . وأيضاً عن قصاص الرسل الاطهار . وايضاً عن الست الطاهرة والدة الخلاص (وهنا انتهت صفحة ١٠٦ وجهاً) . وايضاً عن الاربع مجامع ومار مارون الانطاكي ، وعن قسطنطين وابتداء النصرنية . وعن إبراهيم الخليل ، وعن مار ريشا الروماني ، وعن مار شينا الحرامي . وعن مار سمعان الجبيلي ، وعن مار نوهرا الصمراني ، وعن مار جرجس اللدّاوي ، وعن برباره البعلبكيّة ، وعن افروسينا الاسكندرانية . وعن قصة كسروان والموارنة وعن الذين ارموا الزوان بالموارنة . وعن رفيقه فرا جوان المارولي . وعن الراهبة الشالحة . وعن معرفة الافلاك والابراج والاستقاسات . وايضاً جملة مدايح عن العلوم وعن

١) والصواب : السنكسار اي اخبار الآباء القديسين وسيرتهم .

لتوبة . وعن الموت . وعن النفس . وعن اوجاه الزيجة وغيرهم الذين لأجل الامراض نجوز عن ذكرهم . فيفهم القاريء من هؤلاء وغيرهم ما كان اعظم غيرة الاسقف جبرايل . ثم ارتسم بدله عـلى قبره الاسقف مارون إذ الاسقف شمعون باقي في الحياة .

وسنة صكو (٩٢٦ هج) للهجرة التي توافق سنة انيز مسيحية (اي ١٥١٧م) ولى السلطان سليم نيابة الشام الى جان بردي الغزالي واضاف اليها غزة والقدس وصفد والكرك . واما حلب وحماة وحمص وطرابلس والمدن البحرية بايدي عماله .

وفيها جاء ثلج عظيم فأحرق الزروع وامات المعـاز والبهايم . وفيها كانت وفاة المقدم الياس البشراني المعروف بعساف ولد سيفا بن المقدم يعقوب الذي البابا لاوون كتب له مكتوب توصية في الرعايا . وتخلف بعده ولده المقدم عبد المنعم .

(وعلى الهامش) : وفاة الامير عساف حاكم كسروان وجبيل وتخلف بعده الاكبر الامير حسن .

وفيها اي في سنة افكط لليونان (اعني ١٨٢٩) اهتمّ الخوري برد الحدحتي[1] في عمارة مار رومانوس وكتبه ، بايام المطران يعقوب في دير قنوبين والمطران جرجس (هنا انتهت ص ١٠٦ قفا) .

١٤ — وفاة السلطان سليم والمقدم عساف البشراني . جراد وغلاء شديد . سيامة المطران جبرايل ابن حبلص . دير مار سمعان

---

١) الارجح ان هذه اللفظة هي « الحدشيتي » والكنيسـة هي كنيسة مار رومانوس في بلدة حدشيت بالشمال ، كما لا يخفى . ونقرأ على الهامش في اول الصفحة التالية هذا الخبر : « في سنة اتـك (اي ١٥٢٠ م) القس موسى العكاري تلميذ الخوري اسطفان والقس ميخايل صار رئيس على دير سيدة حوقا » .

الفراديس . واهالي قرية بان . سنة ستة وعشرين وتسعماية للهجرة التي توافق سنة انبط مسيحية (أي ١٥١٩ م) كانت وفاة السلطان سليمان . وفيها زحف الجراد في بلاد الشام واكل كل الفاكهة والبزور، وصار الغلاء العظيم حتى إن شنبل القمح بلغ الماية دينار في بلاد طرابلس، وفي بيروت الى الماية وخمسين . ويقول حمزه ابن احمد ابن سباط المغربي في آخر تاريخه (ص ٤٢٥) ان في هذه السنة غلت جميع الاسعار خصيصاً الحرير والصوف والقطن والكتان والشعير واصناف الملبوس، وكذلك الحيوان فوصل البغل إلى خمسة آلاف وازيد، والحمار الى الف وخمساية، والراس البقر الى ثلاثة آلاف، والراس المعز والغنم الى ماية وخمسين، والطاير الدجاج الى ثمانية عشر درهم، والزيت إلى عشرين الشامي، وحق الشجر والخشب والحطب والنحاس والحديد والبولاد وجميع الاشياء زادت عن مجاري العوايد حتى حجار العمارة في البر كانت الالف حجر بماية درهم ودونها فبلغت إلى خمساية الالف حجر مكسورة مكانها .

(ونقرأ على الهامش ما يلي حرفياً) : « وفي سنة انبط (اي ١٥١٩م) كانت وفاة عساف وهو المقدم ابن جمال الدين يوسف بن عبد المنعم ايوب مقدم بشراي، وبسبب انه خلف حنا وكان قاصراً في العمر تغلب علـى المقدمية كمال الدين ابن عبد الوهاب الايطوني المعروف بابن عجرمه الذي كان متزوج ست الملوك بنت الشيخ علوان بني برجا جميل في قرية أيطو وحكم جبة بشراي ثمانية عشر سنة .

وفيها (اي السنة المذكورة) كانت رسامة الاسقف جبرايل بن حبلص الهدتاني ابن اخو المطران قورياقوس[1] :

١) ونجد هنا في المتن ثمانية اسطر شطب عليها المؤلف بخطوط سوداء كثيفة، وكتب بدلها على الهامش ما حررناه في المتن على الوجه التالي :

وفي سنة انكا (اي ١٥٢١ م) عندما مات القس حنا تروس (ترأس) على دير مار سمعان الفراديس قس يحنا غيره فجدّد فيه مواضع شتى والمذبح . وكان المعتني معه جبرايل من قرية اهدن ، والقس حنا بن يعقوب بن نمرون من قرية بان قد باع بيته ، ومن ترته بمبلغ الف درهم اشتروا بها سبعين عرق زيتون في قرية كفرفو من ابن عز الدين واوقفهم لكنايس الفراديس وهم مار سمعان ومار جرجس والست السيدة ومار ارناوس . وفي سنة انكو (اي ١٥٢٦م) حضروا اهالي قرية بان من كهنة وشمامسة واعوام وتحملوا نصف الديموس (المسح) الذي يخصّ مقاصب دير الفراديس ، وكان ذلك على يد المطران قورياقوس والمطران الياس والحبيس يونان .

١٥ – البابا ادريانوس والبطريرك سمعان وهدايا البابا للبطريرك الماروني مع الوفد بكميات وافرة وثمينة ، سنة انكب مسيحية (اي ١٥٢٢ الموافقة لسنة ٩٢٨ هج) كانت رسامة البابا ادريان السادس على كرسي رومية[١] فأرسل اليه البطريرك شمعون لأجل العادة القس موسى المكاري راهب دير حوقا الذي تكنّا سمعان . والراهب الياس بن ززور الحدثي خولي دير قنوبين . فمضيا الى مدينة رومية ونزلا عند الكردينال برزدين سنتاكروس اسقف اسطيا الذي كان وكيل الطائفة المارونية برومية . فضافهم في كنيسة مار أغوسطين ، وسجدوا بين يدي الحبر الاعظم وراموا له الطاعة بسم البطريرك الانطاكي ، والملة المارونية ، وقدّموا له المكاتيب الذين بهم البطريرك يهنيه بالدرجة المقدسة ويطلب من قدسه البركة له ولكل رعيته ، إذ يستقر ان كنيسة رومية هي ام جميع الكنايس ،

---

١) بعد وفاة المثلث الطوبى البابا لاورون العاشر ، تولى عرش البابوية البابا ادريانوس السادس سنة (١٥٢٢ – ١٥٢٣) وهو المحكي عنه في المتن .

وهـــو خليفة بطرس ، ونايب المسيح ، وراعي جميع المؤمنين على الارض . فقرى قدسه المكاتيب بمحبة جزيلة وفرح فرحة ً عظيمة ً لأجل حسن أمانته وطاعته لكنيسة رومية (هنا تنتهي ص ١٠٧ وجهاً) .

وفي المكتوب الذي كتبه البطريرك له انـــه تحقق عن حسن امانته وامانة طايفته لست (اي ليس) فقط من مكاتيبه بل ومن كلام القصاد الذين كان ارسلهم البابا لاوون العاشر قبل منه ، وعندما رجعوا شهدوا ان المـــلة المارونية قاتوليقية مثل كنيسة رومية . فبسبب ذلك يتلو الشكر والنعمة لله الذي عطى البطرك تلك الدرجة العظيمة ، حتى انه يحكم في ناموس الله بالصدق ويجعل ريحته (رائحته) فايحة بين الغير مؤمنين كرايحة الورد بين الشوك ، ويسأل من الرب الذي اشترانا بدمه الزكي انـــه يباركه ويبارك مطارنته واساقفته والرهبانـــ والكهنة والشدايقة والشمامسة ولجميع الشعب المـــاروني القاتوليقي .

ولما رجعوا القصاد ارسل معهم مكتوب تحرّر في ٢٢ من تشرين الاول وعدة مثمنة أعني بدلتين واربع كتاتين مزركشات وتنتين حمر مقصبات ، وغفارتين مزركشات : واحدة مخمل والأخره هرمزي ، وبطرشينين وزندين مزركشين ، وكتونة بيضه وخف وبشتيك وتاج بلولو وغفارة عتيقة مخمل ، ووجه ايقونه ووجـــه مذبح مزركش بتصاوير ، وغطاء كاس مجذوب بذهب وزنار بشمارك وصوابع وخاتم وصليب وكاسين وصينيتين فضة وعصة (وعصى) فضة بخمس قطع برأسها فضة وبلور وحديد للبرشان ، وكتاب ناموس افرنجي ، وغير هولاء كانوا اربع عداد يستعملوهم المطران يعقوب والمطران شمعون المزرعاني والمطران جرجس الهدناني الذين كانوا ساكنين في دير سيدة

قنوبين . فرجعوا القصاد واستقبلهم السيد البطريرك بكافـــة الفرح وارسل مكاتيب استكثار خـير الى البابا ادريانوس السادس ، وسام القس موسى المكاري مطراناً[1] .

١٦ – وفاة الامير قيتباي . الامير منصور يستولي عـــلى البلاد . خلاف بين الشعيبية والسيفلية . وقتل الشعيبية : في سنة تسعماية وثلاثين للهجرة (الموافقة لسنة ١٥٢٣ مسيحية) توفي الامير قيتبيه بن عساف واخذ الحكم ابن اخوه المير منصور . وكوخن عنده (اي ردّ لعنده) الشيخ يوسف والشيخ سليمان اولاد حبيش . واعطى بـلاد جبيل للشيخ هاشم العجمي ، وسكن عنده في اغزير عبد المنعم ابن عم هاشم . وبلاد طرابلس كانت سنجقية بيد الدولة . وفي غياب الترك كان يضمنه محمد آغا بن شعيب من اهالي عرقا . وكان ابن شعيب يضمن للمير منصور من تحت يـــده بلدان جبيل والبترون والجبة والكورة والزاوية والضنية .

وبسبب ان صار بينهم وحشة لأجـــل ورود المال ، صار ان الامـير منصور بعث خمساية رجـــل الى حارة الحصارنة[2] وبعث لعبد المنعم واولاد حبيش يتحاسبوا هم وابن شعيب عن المال قدّام القاضي في جامع طيلان . فوثبوا عليـــه وقتلوه وقتلوا ابنه معه واصلحوا امورهم مع القاضي حتى اعطاهم فتوى انهم كانوا ابرياء من

١) وهنا نقرأ على الهامش كل مـــا جاء في العدد التالي ١٦ كما سيأتي بيانه في المتن هكذا ، ونقرأ هنا ايضاً هذا التنبيه : « انظر سنة اتنو (= ١٥٠٦ م) » :

٢) ولعل الصواب : « حارة النصارى » كما جـــاء في كتاب الغرر الحسان في تاريخ هذه السنة . ويمكن مراجعة هذه الاخبار في اخبار الاعيان في ص ٩٧ و ٢١٦ و٣٤٧ و٣٤٩ كما جاء في كتاب الدويهي الذي طبعه الشرتوني (ص ١٠٨) حيث يذكر عبد الستار بدلاً من عبد الساتر .

قتله . وكذلك بعث اربعين رجال قتلوا عبد الساتر الكردي وابوه ، عندما راد هاشم يطلع من طاعة المنصور وهو وابن عمه عبد المنعم :

وكذلـــك بعث قتل القادر شيخ جبيل ومشيخ بيت الحسامي عوضه ، وكذلك المقدم ميخايل المتكلم على زوق مكايل اتفق مـع امراء فتقا من بيت الحنش على قتل الامير منصور ، (يعقوب اسقف زاوية رشمين) ، وعندما ساروا اليه لاغزير ليقتلوه صار انه كشف دغلهم فمدَّ لهم السماط ليتغذوا وقتلهم وهم على الاكل . وكذلك في بلاد عكار كانت خصومة بين الشعيبية اهالي عرقا وبين بيت سيفا امراء تركان ، حتى ان من جور اولاد شعيب طفروا السيفلية من بـلاد عكار الى الباروك عنـد الامير قرقماس بن معن . فعيّن لهم الامير منصور ثلاث ماية رجل من الشوف وقصدوا عرقا فكبسوا بيت شعيب وقتلوهم وتولوا حكم بلاد عكار موضمهم .

١٧ – سيامة المطران انطونيوس عـلى الشام وزيارته لقبرس حيث تجددت الكنائس . دخول العساكر العثمانية لمدينة رودوس :

سنة انعكج مسيحية (أي ١٥٢٣ التي توافق ٩٣٠ هج) كانت رسامة المطران انطانيوس على الشام (وارسله البطريرك شمعـــون) لزيارة الموارنة الذين في جزيرة قبرس ، وكان رجلاً ذو خلقة وقبول ، وفي زمانه كان تجديد كنيسة مار جرجس طالا ، وكانوا المؤمنين بخير ، فتجمع منهم ومن الافرنج والارمن دراهم غير قليلة لأجل تجديـــد الكنيسة المذكورة .

وفي سنة افـــلد لليونان (اي ١٨٢٣) دخلت العساكر العثمانية حاصرت لمدينة رودوس نحو ست شهور من غير نفع (انتهت الصفحة ١٠٧ قفا) .

١٨ – جراد وغلاء . وفاة المطران يعقوب الحدثي ، ثم المطران جرجس صدقني . وفاة البطرك شمعون حسان . وانتخاب البطرك موسى العكاري وارساله المطران انطون الذي وقع في ايدي القرصان :

سنة انكد (اي ١٥٢٣ م) زحف الجراد ي بلاد الشام وأكل الزروع ثم تبعه الغلاء والنقص . وفي ٢٧ من شهر تموز تنيح في دير قنوبين المطران يعقوب بن عزيز الحدثي ، وبعد منه بأربعة اشهر كان انتقال المطران جرجس (بن) صدقني من مزرعة الحدث في كب (٢٢) من تشرين الثاني ، وكان رجلاً فضيل جعل المؤرخين يشكرون من حسن سيرته ويدعونه قديساً ، وكانت وفاته في اليمّونة لما كان في زيارة الرعية ، وفي يوم نياحته خدم قداس في الكنيسة واذ هو يصلي ويقرأ مزامير داوود في الكنيسة علم ان دنت ساعته فأرسل جمع الكهنة وأخبرهم بحاله ووصّوا هم في الرعية[1] وعاهدهم ان لا يقبروه الا في مغـــارة البارة مارينه بقرب دير الكرسي ، وبدؤا بتجنيزه (اي باقامة صلاة الموتى) وبرفقتهم جنّز ذاتـــه ووضع بخوراً بيده ، ثم سلّم روحه بيد المولى الكريم ، وهو ضابط سفر الزبور بيده . فحزنت عليه الرعية وحملوه ليلاً الى دير قنوبين ،

---

١) ونقرأ على الهامش اخباراً سبق ذكرها وهي : « وفي هذه السنة الموافقة لسنة صلا (اي ٩٣١ هج التي توافق ١٥٢٤ م) كان مبتدا عمارة الصرايا التي ابتناه الامير حسن ابن عساف في قرية غزير . وذلك ان الامير عساف مات وله ثلاث بنين هم حسن وحسين وقيتباي بسبب انه كان الاصغر ومن ام اخرى فاضطر ان يهرب الى الشويفات عند الامير جمال الدين ويتزايد عـــلى اخوته في ضمان بلادهم . واما الامير حسن فكان رجل شجيع ونقل السكنة الى اغزير وابتنا صرايا شريفة في اغزير ، ولوضع حلمه وعدله افادت اليه الناس وباشر في عمـــار البلاد وقدموا الى عنده من الاسا الشيخ هاشم واخوه برزو اولاد سيف الدين العجمي واولاد عمهم عبد المنعم يصلب ، ومن بانوح الشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله حبيش واولاده يوسف وابراهيم والزين وسليمان . وخدم البعض منهم عند الامير والبعض عند اخوته . وكان المتقدم عـــلى العاقورة الشيخ مالك الماروني اليمني وكان ذو كلمة وسطوة جزيلة ... »

وفي ٢٣ من الشهر دفنوه بقرب المطران يعقوب . ثم ان بعد منه بخمسة ايام انتقل ايضاً الى راحة الصالحين البطرك شمعون بن داوود بن بطرس الشهير بابن حسّان ، وكان عمره ماية وفوق العشرين سنة وهو الثالث بين بطاركة بيت حسّان . وكانت مدة رياستهم نحو ثمانين سنة ، ورياسته ٣٢ سنة ، وكان حسن العقيدة ذو كرم وفضيلة ، إلاّ انه احتمل كثيراً من المقدم عبد المنعم بسبب ميلانه (ميله) الى اليعقوبية . وفي زمسان بيت حسان انتقلت البطركية الى دير قنوبين ، فاستراحوا بسبب ان الحكام كانوا نصارى وكثرت رؤساء الكهنة في جبة بشري ، واعطوا ديوراً وضياع يأكلوهم برضا البطاركة ، وكانت المزرعة لدير مار آبون ، واهدن لدير راس النهر ، وتولا وبسلوقيت لدير مار يعقوب ، وبقع كفرا ودير الاحمر لدير مار اليشع . وفي النهار الرابع عشر من وفاة البطرك شمعون ، اجتمعت الرعايا واختاروا المطران موسى ولد سعاده من البارده ، من بلاد عكار ، وقلدوه رياسة الكرسي الرسولي ، وكان ذلك بعناية واهتمام المطران قورياقوس الهدناني . وأرسل البطرك موسى الى رومية الكبرى انطانيوس مطران الشام بسبب (لنيل) الطاعة الى قدس الحبر الروماني . فوقع بيدي القرصان وتشلح قبل انه يصل الى رومية .

وفيها حنا[1] وهو عبد المنعم مقدم بشري هرب مع والدته من الواجس واخذ السكنة في (دير) سيدة عنتوين ، وكانت شدة عظيمة على النصارى من آل عثمان وصلت الجالية الى ثلاثماية . (هنا تنتهي ص ١٠٨ وجهاً) .

---

١) كانت في الاصل ماما فشطبها الناسخ او المؤلف وكتب فوقها « ص. حنا » كما في المتن . وقبل هذا نقرأ على الهامش بخصوص المطران موسى هذه الملاحظة : « ولقينا ان موتة المطران كان في سنة افلو لليونان ، اي ١٨٣٦ = ١٥٢٥ م .

١٩ – الاب يونان ترأس دير قزحيا . سيرة القديس بيشو . القديس سركيس عرجز . الزائر الرسولي قرصون . الجراد في وادي حيرونا دون بشراي وغـلاء شديد . سنة انكو مسيحية (اعني ١٥٢٦ م) بعد وفاة الحبيس جرجس الهدناني تروس على دير مـار انطونيوس قزحيا تلميذه الخوري يونان ابن القسيس موسى المتريقي ، وكان رجل روحاني سالك حسناً في الحياة الملائكية ، وكان تحت طاعته جملة كهنة ورهبان . فنقص خشب الحبس وزاد على مذبح مـار بشوي مذبحين : اقرّ احدهما باسم السيدة والآخر باسم مـار جبرايل راس الملايكة . وامر عجيب في سيرة القديس بشوي ، بعدمـا انهجر الحبس ، كم مرة (كانوا) يأخذوا الذخيرة الى دير مار انطانيوس وترجع الذخيرة الى موضعها من ذاتها ، وهي الى الآن في كنيسة الحبس وحدها . وكذلك سمعنا من ناس كثيرين امناء ان صار بشاهد مار سركيس عرجز لمـا رحلوا العراجسة اخذوا الكهنة ذخيرة القديس الى ايطو ووضعوها بالكنيسة التي على اسمه ، ولما دنا الليل شاهدوا اهل ايطو خارج من الكنيسة شهب مضيء فنزل الى عرجز ونزلوا الكهنة الى عرجز ، فوجدوا الذخيرة رجعت الى موضعها . ثم اخذوها مرتين آخر الى ايطو ورجعت الى مكانها ، عند ذلك وضعوها بحايط الكنيسة وسطموا عليها .

كذلك ذكروا ان صار بذخيرة مـار دوميط . فلما خربت بنسمك التي بأسفل الجبة ، اخذوا اهـل اجبع ذخيرة القديس الى عندهم ، فرجعت من ذاتها الى موضعها الاولي ، وقيل ان بعدها الى الآن في قرية بنسمك .

وفي هذه السنة البابا اقليموس السابع اختار البادري قرصون برنردين من رهبان مار فرنسيس الصغار ليكون مرسلاً الى بلاد

الشرق وقاصداً الى حضرة البطريرك بطرس وكل ملته الموارنة والى حضرة الملك جرجس وكل طائفته الارمنية ليزور هولاء الطائفتين ، وعطاه سلطان ليكرز ويحلّ من سائر الخطايا ويفسّح من الزيجات ، ويعطي غفراناً ويعقد مجامع في بلدان الارمن والموارنة لأجل حفظ الاتحاد مع كنيسة رومية مثلما صار في مجمع فلورنسا الذي عقده البابا اوجان الرابع سنة اتلط (أي عام ١٤٣٩ م) وصار الوفق بين كنايس النصارى شرقاً وغرباً .

وفي هـــذه السنة جاء الجراد من جهة قبلة ، وفي شهر نيسان غطّى جميع هذا البلاد ما خلا بلاد بعلبك وبلاد الجون ، ويذكر الحبيس جبرايل أن لما كان طالع الزحّاف في وادي حيرونا الى جبة بشري ، امر المطران قورياقوس بأن تتزيح (ذخيرة) الشهداء . ثم ان كل يوم يخرج كل الشعب ويمسك عليه المعابير ، فقتلوا (هنا انتهت ص ١٠٨ قفاً) منه ما لم يحصى ، ثم انه غلبهم ، عند ذلك ردّوا عليه الساقية على معبور زريق وانصفّت قباله ما ينوف عن ماية وخمسين رجـــال ، فغرق الذي غرق ، والباقي اصطادوه في السلال ، وخلصت الجبة من اذاه . وأما في البلاد (فقد) ارتعى الزرع والفواكي ، وجاء في اثره غلاء عظيم ثبت نحو تسع شهور ، وصل القمح الى ماية وخمسين درهم ، والدرا الى مـــاية وعشرة ، والدكن الى مـــاية ، وقلة الزيت الى المايتين ، والقنطار العنب الى خمساية ، ورطل الخـــبز الى ٢٥ درهم . واكثر الناس ترفّروا في الصوم كما يذكر الحبيس جبرايل .

٢٠ — وفاة المطران يوسف من كفرحورا في الزاوية . فأرسل البطرك المطران انطون الى روما لطلب الدرع وتقديم الخضوع .

اسماقات الاب الاقدس . وهرب الامير قيت بيه الى الشويفات : سنة انكز مسيحية (اي ١٥٢٧ م الموافقة لعام ٩٣٤ هـج) كانت وفاة المطران يوسف من كفرحورا التي بناحية زاوية طرابلس . وفيها[1] البطرك موسى ارسل انطون مطران دمشق الى رومية فوقع بيد القرصان وتشلح (وكان القصد من سفره رمي الطاعة للبابا وطلب درع التثبيت) . ثم انه استفك ذاته ودخل الى رومية لتقبيل اقدام البابا اقليموس السابع فاستقبله بكافة الكرامة وأنعم عليه واعطاه مكتوب الى كل من يتفضّل عليه بمها كان من الحسنة فينال غفران خطاياه من السبع في السابع من ايلول سنة انكب (أي ١٥٢٢) . وفي ذلك المكتوب بنفسه يثبّت فيه الغفران الكامل الذي كان ابن عمه البابا لاوون العاشر كان سابقاً ارسله الى كنيسة الكرسي ، وعطى سلطان للبطريرك المذكور ان في حياته يعطي الحلة لاوليك الذين نكروا دينهم المستقيم ام تزوجوا مع الغير مؤمنين اذا تابوا على ما سلف منهم واعترفوا بخطاياهم وعملوا القانون المفروض عليهم[2] .

٢١ – المطران الياس يزور الموارنة في قبرس . مقتل حسين وحسن اولاد الامير عساف بسبب الخلاف الذي كان مستحكماً بينهما وبين اخيهما الامير قيت بيه : سنة انكح مسيحية (اي ١٥٢٨ م وتوافق عام ٩٣٥ هج) دخل المطران اليّا الحدثي الى زيارة

١) هنا عدة اسطر في المتن شطبها المؤلف وكتب بدلها على الهامش ما تراه في المتن ، يقيناً منه ان العبارات الاولى مغلوطة فأصلحها بما يلي . وهذه الاخبار سبق ذكرها اعلاه كما لا يخفى .

٢) وهنا نقرأ على الهامش هـذا الخبر عن الامير قيتباي الذي سبق وصفه اعلاه : « فهرب قيت بيه الى الشويفات لعند الامير جمال الدين وقـد ثبت هناك نحو سنتين » كما رأينا سابقاً .

الموارنة الذين بجزيرة قبرس ، وكان فيها الغلاء ، وزحف فيها الجراد من قـــلة المطر . فأدركوا غلاءً عظيم وقحطاً لا يوصف ، فوصل شنبل القمح الى اثنا عشر دينار في السنة الاولة ، ثم ازداد في السنة الثانيــة حتى (ان) سلموا ارواحهم للموت ، وفي (السنة) الثالثة انعم عليهم الله بالرخص والرخاء العظيم .

وفي هذا الزمان كان مقتل حسن وحسين اولاد الامير عساف في بيروت . وذلك انه لمـــا كان الخلف بينهما وبين ابيهما الامير قيت بيه بسبب الحكم ، اتواسط بينهم بعض ناس حتى طلبوا الصلح ونزلوا إلى عند ابيهما قيت بيه لبيروت . فغدر بهما وقتلهما وتولّى من ذلك الحين قيت بيه حكم بلاد كسروان . ومسك الشيخ يوسف واخاه سليمان اولاد الشيخ حبيش الماروني فحبسهما في بيروت وغرّمهما ثم نفاهما الى مصر . وامــا ابوهما واخوانهما هربوا مع اولاد سيف الدين العجمي الى الأسا. وراد الامير قيت بيه يقتل منصور ام اخيه الامير حسن ليستريح من شره . ولكن بسبب ان الامير قيت بيه واخوه حسين ما كان لهما ولداً اشاروا عليه (ان) يمهل عليه حتى يكون جاءه ولداً . وعندما مهّد امور البلاد وخرج الى الحجاز وعاود الى الشام بشروه بأن جاءه ولداً ، فآثر بقتل ابن ابيه الذي كان معه . ولكن في هـــذه المدة عاود من مصر الشيخ يوسف وأخوه سليمان ، فصمدا الى الاسا لعند ابيهما وبرفقة اخوانهما ، (هنا انتهت ص ١٠٩ وجهاً) واولاد سيف الدين نزلوا الى الشام وهربوا ليلاً بمنصور ابن الامير حسن وعاودوا بـــه الى نواحي كسروان ، وانضاف اليهم كثيرين من توابع ابيه واصحاب الغرض وصاروا يخضخضوا في تلك الجهات . واما الامير قيت بيه اخرج اموالاً كثيرة واستمضى اموره في الشام وجـــاء بجملة بيارق الى مصادمة ابن اخيه ، فانهزم من قدامه إلى الاسا ولم يزال قيت بيه حاكم مقاطعته الى نهاية حياته .

٢٢ ـ وفاة المطران انطون وخلفه المطران جرجس الهدناني . وفاة المطران اليا وتخلف بعده المطران تادروس . مكاتيب البطريرك الى البابا اقليموس ، والكردينال سنتاكروش : سنة انكط مسيحية (اي ١٥٢٩ م التي توافق سنة ٩٣٦ هج) كانت وفاة انطوان مطران الشام وصار بدله على الشام المطران جرجس الهدناني ، وكان متولي مطرنية طرابلس المطران سمعان . وكان المطران سركيس الكسرواني وشيخ حدشيت الشدياق جرجس ابن الشيخ مرقوس ابن الصوفي[١] .

وسنة الف وخمساية وثلاثين مسيحية (اي ٩٣٧ هج) كانت وفاة المطران اليّا ثم تخلف بعده المطران تادروس الحدثي ، وكان معضداً للسيد البطريرك بـــدير قنوبـــين ، وكانت صايرة على الناس مظالم وحصاير عظيمة .

وفيها (السنة) كتب السيد البطريرك مكاتيب الى قـدس البابا اقليموس وارسلهم على يد شيلسوس يوبيلاوس الروماني ، ثم أرسل غيرهم على يـد اسكندر من لابلله إذ يخبره بها (انه وطائفته) في كثرة الضنك الذي كان على بيعة الله . ويذكر له عن طاعته وطاعة طائفته على كرسي مار بطرس . ثم يسأله انـــه يجعل الكردينال سنتاكروس الذي كان نزل عنده في رومية وكيلاً على الملة المارونية . وانه ينعم عليه بعدة كاملة لأجل خدمة الاسرار الالهية . فوصلت جميع هذه المكاتيب على حضرة البابا اقليموس وردّ جوابهم في رسالة تحرّرت في ٢٥ من كانون الثاني من شهور سنة انلا مسيحية (اعني ١٥٣١ م) يذكر بهـا ان اقبل عليه فرحاً جزيل عندما يسمع ان

---

١) ونقرأ على الهامش هذا الخبر : « سنة ام لليونان (= ١٨٤٠) نسك مرقوس القبرصي بن الشدياق انطون من قرية بطحاني بدير سيدة حوقا ، وكان قاطن فيها الاسقف سركيس والقس ابراهيم » .

كل يوم ... تزداد فيه وفي الشعب المؤمن عليه العبادة والطهارة وانهم يمجدوا الحق سبحانه وتعالى الذي بوساطة الظلام والتجارب راد يفحصهم كالذهب في أتون النار لينالوا في الدهر المزمع عوض الواحد ستون ومابة ضعف .

ومن خصوص ما ارسل يطلب منه يخبره انه اقام الكردينال سنتاكروس وكيلا ومتكلماً عن الطائفة في المدينة الكبرى ، واذا ارسل قاصده بسبب التثبيت وبعث له معه عـدة لخدمة الاسرار الطاهرة (وهنا انتهت الصفحة ١٠٩ قفا) .

٢٣ – المقدم عبد المنعم حنا وكمال الدين بن عبد الوهاب : سنة انلب مسيحية (اي سنة ١٥٣٢ م) كان متكلم على بشري وقاطع الحدث المقدم عبد المنعم حنا بن عساف البشراني . وعلى القاطع الآخر المقدم كمال الدين بن عبد الوهاب الايطوني المعروف بابن عجرمة فتزوج المذكور مع بنت الملوك بيت الشيخ علوان بن حسام الدين ابن ايوب ابن قمر ابن يعقوب مقدم بشري وحظي بأموال جزيلة وابتنا برجاً شريف في قرية ايطو (وهذا الكلام قد سبق تحريره في هذا الفصل) .

٢٤ – بناء دير مار اليشع ونفقاته . السيل في قبرس : سنة أنلج مسيحية (اعني ١٥٣٣ م الموافقة لعام ٩٤٠ هج) اهتم الراهب (القس) جرجس من بيت حرواص من قرية عرجز في الزاوية بعمارة دير مار اليشاع وتوسيعه ، وكان المقدم عبد المنعم حنا معضداً له ، وكان البنّاء المعلم براهيم ابن عم الخوري موسى الحصروني[1] ، واحسب

١) وهو الذي بنى المأذنة عند قبة النصر في طرابلس ، كما قال الدويهي ايضاً في كتابه الآخر « تاريخ الازمنة » في معرض كلامه على هذه السنة .

كرة (اجرة) الفعالة ثلاثة آلاف وسبعماية وخمسين درهم غير الكلفة والذين اشتغلوا لأجل الحسنة ، فيكون اقدره آخر . وكان الراهب جرجس المذكور لاوي وغيور فانسام في ما بعد مطراناً واخـذ السكنة في الدير المذكور ، وكانت رفقته بالنسك والتعب والشوقفة ببنيان هذا الدير المقدس الحاجة ساره ، الله يرحم اثنينهما .

وفيها (اي هذه السنة) في كب (أي ٢٢) من تشرين الاول جـاء في جزيرة قبرس سيل بغتة يشبه الطوفان ، فحملت الانهر والاودية واخذت من البوش والناس والاشجار والجسوره والطواحين شيء لا ينعد ، وتدمرت ضياع وبيوت كثيرة . وكان جريان السيل ليلاً والناس راقدين .

٢٥ ــ وفاة المطران سمعان . درع التثبيت . الترك في قبرس . دير حوقا . سنة انـلد (اعني عام ١٥٣٤ م = الموافق لسنة ٩٤١ هج) كانت وفـاة سمعان مطران طرابلس ، وانسام عليها الراهب يوسف بن بطرس وجاءه التثبيت من البابا بولص الثالث (١٥٣٤ – ١٥٤٩) من غـير التزام السكنة في طرابلس لأجل الظلم والحصاير الصايرة عليها .

وفيهـا (اي السنة المذكورة) أتت تسع سفن ترك الى جزيرة قبرس ودخلوا اليها من جهة الغرب نحو خمسماية مقاتل ، فنهبوا قرية كورماجيتي وشلّحوا الكنايس وألقـوا الى الارض الميرون الطاهر والاسرار المقدسة ، وعلقوا النار في بيوتها ، وكانت ديقة (ضائقة) (هنا تنتهي ص ١١٠) عظيمة في الجزيرة المذكورة ، بسبب الجراد الذي طاف كل الجزيرة ولم يترك من ثمره ولا ضيعة ، وكان ساكن فيهـا الاسقف سركيس بن نجيم رجل كسرواني من ضيعة تسمّا

بكركه فوق جونيه . ويقال انه دخل الى قبرس بسبب تهمة اتهم بها من ضيعته بالجور فأحرمهم وأخــذ السكنة بقبرس . وبسبب الحرم قيل ان ضربت بكركه وكانت ضيعة جامعة معتادين اهلها للسفر والمكاره .

(ونقرأ على الهامش ما يلي) : « وفي سنة انله (اعني ١٥٣٥ م الموافقة لسنة ٩٤٢ هج) كان مروس (مترأس) على دير سيدة حوقا الخوري ابراهيم ، وكان رفيقه القس مرقوس ، وكان له اليد الطويلة في نسخ كتب الكنايس » .

٣٦ – مقتل مقدّم ايطو ابن عجرمه ، قتله مقدّم بشراي :
سنة اربعة واربعين وتسعماية (هج الموافقة لعام ١٥٣٧ م) التي تبدأ في شهور حزيران من شهور سنة انـلز مسيحية (اي ١٥٣٧) كان مقتل كمال الدين ابن عبد الوهاب بن عجرمه مقدم ايطو ، وذلك ان كانت الوحشة بينه وبـين مقدم بشري عبد المنعم حنا بسبب حكم البلاد . ولمــا صار ذات يوم الجمـعة عند قرية تسمّا بلوزا ، ابن عجرمه سبق لمقدم بشري في عرق جوزة . ثم ان جاء مقدم بشري ولم راد يقوم واقفاً ابن عجرمه ولا يكرّمه كما يجب ، فازتاد (أي ازداد) عبد المنعم حنقاً وطعنه بالرمح وقتله ، فأخـذوا دفنوه في ضيعة ايطو خلف كنيسة مار سركيس .

٣٧ – الترك في قبرس ايضاً . القانون الرهباني والمحافظة عليه ومنع النساء مـن الدخـول الى الدير . الفصح . ثلج وضيقة :
سنة انلح مسيحية (اي ١٥٣٨ م الموافقة لعام ٩٤٥ هج) اتوا الترك إلى محاصرة لامسون التي في قبرس فملكوا قلعتها وقتلوا كثير من الموارنة الذين كانوا قاطنين فيها ونهبوا بيوتهم .

وفي سنة انلـط (اي ١٥٣٩ م) يونان المتريق ابن القس موسى نهى النسوان عن دخــول الدير بمضدة المقدم عبد المنعم ، وبرضا اولاده الرهبان القس مالك والقس جبرايل والقس موسى والقس يوسف والقس توما والقس ابراهيم والخوري يعقوب والقس سركيس وغيرهم الذين كانت تـلالي (تتلألأ) فضايلهم على الارض كالنجوم في السماء . وقبلوا على نفوسهم حلفان وحرماً ان لا احــد منهم يدخّل النساء الى دير مــار انطانيوس . وبعدمــا قدّسوا الاسرار الالهية ، وضعوا بخوراً وداروا في (هنا انتهت ص ١١٠ قفا) زياح الدير كله . فذكر الحبيس جبرايل ان حلت عليهم نعمة الله جهراً ، وكان ذلك في شهر ايلول من هذه السنة . وامر الحبيس يونان ان قنديل مار انطانيوس لا يطفى ليلاً ولا نهاراً ، وان لا يذوعي في الدير خمراً حتى يكونوا ملازمين خدمة الله ، ولا خدمة الموايد . واقــام ريساً على الدير القس حنا ابن يعقوب بن اسطفان الباني المعروف بابن نمرود .

وفي هذه السنة يذكر القس حنا ابن نمرود أن كان فرق الصيام والعيد الكبير بــين الارمن والسريان وبين باقية طوايف النصارى باسبوع ، وان الارمن عيّدوا بعد الملكية والقبط والكرج والافرنج وبعض الحبش ، وعلى يديهم أخرجوا النور[1] . وان في شهر نيسان جات ضربة على الكرم والزيتون وباقية الفاكهة ، فأحرقتهم ووصلت

---

١) ونقرأ على الهامش مما يلي : « زهّر ورد الجوري في الكفور (وفي مكان آخر كفور العربه) في اواخر كانون الاول وكذلك البنفسج والنرجس في الارض الفوقا . ومن كانون الآخر ما عاد مطر على الارض الى آخر نيسان ، وطلع الزرع في ارض العيون وفي الجبال ، وضربت الكروم والاثمار » .

« وفي هذه السنة ، الروم عيّدوا في ست ايام من نيسان ، والاسباط (اي الاقباط) عيّدوا في ١٣ منه » .

قـلة الزيت الى مايتين وخمسين ، واكثر الناس لم يوقدوا الا ديدان الصنوبر . وفي السنة الثانية وقع ثلجاً عظيم ، قال الشيوخ القدماء انهم لم يروا مثله جملة كافية .

٢٨ – الفتنة بين اهالي عينتورين واهالي بان بخصوص دير قزحيا : سنة الف وخمساية وأربعون مسيحية (الموافقة لسنة ٩٤٧ هج) كانت الفتنة بين أهل عنتورين واهل بان لمن يكون منهما دير قوزحيا . فوقفوا قدام القاضي وثبته لأهل عنتورين ، وتحرّر على الدير كل عام ثلاثماية درهم خراج ، فاستقبلوها على نفوسهم الى الابد . وبسبب ذلك انعزل عن رياسة الدير القس حنا ولد نمرود ، وتولاها الخوري حنا اللحفدي . ثم انه تنازل عنها المذكور وتروّس الاسقف يوسف الجاجي وكان ناسك جيد .

٢٩ – وفاة الحبيس يونان المتريتي . وتلميذ الخوري يوحنا اللحفدي وقصة حياتها : سنة ابمب مسيحية (اي ١٥٤٢ م) انتقل بالوفاة إلى رحمة الله الاب الراهب العابد الخوري يونان المتريتي رئيس الحبس (المحبسة) الذي كتب عنـه تلميذه الحبيس جبرايل المدناني ان خدم ربه نحو خمسين سنة في الطهارة والعبادة الزيدة ، وقبـل ما يتنبّح بمـدة اربع سنين ، اطوى يومين يومين ولم كان يفطر الا الاربعه والسبت والاحد في الصيام (تنتهي ص ١١١ وجهاً) . وكان صومه من عيد المنصرة الى ميلاد الرب ، ومن الغطاس الى عيد القيامة . وكان كل يوم يقدّس ولم يشرب إلا يوم السبت وان في جمعة الآلام كان يرمي كد (اربع وعشرين) الف منطانية إلى الارض ، وفي بقية ايام الصوم كان يرمي حتى يجري عرقه . واما في الرحمـة والحنية الى غيره لم أحد مائله بذلك العصر .

وكثيرون اقتفوا اثره وطلبوا (أن) يتماثلوا بفضايله ، وصار نسخةً صالحة تعجز عن رقم فضايله الاقلام حتى ان تلميذه الحبيس جبرايل لما راد يكتب سيرته وأفعاله الناجحة ، شهد على ذاته قائلاً: ما هنا انا الحقير تبكّتت من ذاتي وارميت القلم من يدي الخاطية لئلا يقول القاريء كيف ان هذه الشجرة المثمرة اخرجت هـذه الثمرة المفصة المرّة النعسانة الكسلانة . وأيضاً تلميذه الخوري حنا اللحفدي شهد عنه أنه ذات يوم كان فرغ مقدم الزيت الكبير فوضع معله بخوراً ، وبقوة الله وصلاته طفح إلى شفافه ، حتى ان التلميذ اخذه سهواً ولا يكون يعلم اين هو واقف . فقال له مجد لرقـا (لربنا) يسوع ، انظر عجايبه على يد اقل عبيده نشكره شكراً دايماً . لكن تكون عليك وصية ان اخبرت احداً قبل موتي . وعند ما دنا موته أرسل طلب الحلة والبركة من السيد البطريرك موسى ومن المطران قورياقوس بن حبلص . فحضروا اثنينهما على وفاته . وبعد ما وصام في الاخوة والتيقظ في خراف المسيح ، أسلم روحه الطاهرة بيد الخالق . فشاع خبر وفاته واجتمعت الرؤساء والاخوة وكل البلاد الى دير قوزحيا ليتباركوا من جسده الطاهر الذي بمدة خمسين سنة خدم ربه بالحبس والعبادة ، وبعد ما زيّحوه في البكاء والدموع دفنوه في الحبس ، ويقال ان جسده بعده محفوظ.

وكان[1] جبل لبنان والاودية والمغر جميعهم ملانين من الحبساء والرهبان حتى ان البطرك يوحنـا الصفراوي الذي من يديه اخذنا الكهنوت ، وكان قارب ذلك العصر كان يقول لنا أن في ايام الحدود والاعياد كان يعقد دخان البخاخير (المباخر) في تلك الاودية يشبه الطبابة .

---

١) هذا المقطع التالي كله نراه مشطوباً عليه بجذافيره بخط اسود عريض دليل الالغاء ، وقد ذكرناه هنا لما فيه من فائدة تاريخية جلية . انظر التاريخ المطبوع (ص ٢٥٥) .

ولما كان يجيء احداً ويشكي له عن بعض رهبان ان صارت قلقة ام فتنة بينهم كان معتاد يقول يا ولدي لا تواخذوم ، في ايامنا كانت هذه الديورة والاودية محبوكة كلهـــا من الرهبان والحبساء ، واعداء جنسنا الذين كانوا متفرقــين عليهم اجتمعوا كلهم على هولاء القلايل الذين فضلوا ، فاطلبوا لهم ولا تؤاخذوهم (وهنا انتهت ص ١١١ قفا).

وبعد مدة يسيرة من وفاة الحبيس يونان ، انتقل أيضاً الى راحة الصالحين تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي الذي تماثل بفضايله بكافة الخشوع والطهارة ، فخدم معلمه اربعة عشر سنة وهو ملقى بالمرض. وفي سبة الآلام كان يرمي ستة وعشرين الف منطانية . وشهد ان معلمه الحبيس يونان ظهر له بعد موته مواجهةً في اليقظا ، فسلاه ودعاه الى الحياة الدايمة .

٣٠ – عودة البادري مسعد من روما لعند البطريرك ورهبان لتعليم الاولاد . انتقـال بيت الخازن واهالي جاج الى كسروان والفتوح . الملك كرلوس يرسل للسيد البطريرك بدلة للقداس .

وفي هذه سنة اغب (١٥٤٢ م الموافقة لعام ٩٤٩ هج) كانت عودة البادري مسعد البندقي ورديان جبل صهيون إلى رومية ، وبعث معه البطرك موسى المكاتيب إلى البابا بولص الثالث يسأل قدسه انه يوصي رئيس الرهبان الصغار حتى يوجّه اليـــه ستة رهبان كهنة يقيموا مدرسة في جبل لبنان لتأديب الاولاد في اللغة اللاطينية لأجل بنيان الرعية وفهم الكتب المقدسة متعذراً ان من رياسة البابا لاوون العاشر ما قدم احـــد لاستفقادهم ، ولا صار له مقدرة ان يرسل احداً الى رومية ، من زيادة الظلم ، ولا يكون عنده احداً يعرف لغاتهم .

فلما انطلع البابا على هذه المكاتيب فرح فرحاً جزيل وأجابه إلى

جميع ما طلب وارسل مكاتيب إلى المقدم عبد المنعم حنا والى الروساء وساير الشعب ليثبتوا على طاعة الكنيسة وعلى اقتبال الظلم والمكاره بفرح لينالوا الخيرات الموعودة لصانعي الخير . وارسل أيضاً مكتوب غفران لساير الرعية ليكون ثابت الابد .

وفي سنة اغه (اي ١٥٤٥) مسيحية الشدياق سركيس بن الخازن انتقل من جاج الى البوار في الفتوح ، ومن هناك الى بلونه ، وكذلك بيت الجميّل الى قاطع بكفيا ، وبيت كميد الى قاطع اغزير[١] .

وفي سنة اغو (اي ١٥٤٦م) شاع خبر البطرك موسى حتى الى داخل بـــلاد النصارى ، وارسل له كرلوس اغوسطوس قيصر مع الشماس جرجس المتطبب ابن ابراهيم العاقوري عدة جميلة لخدمـــة الاسرار المقدسة وهي إلى الآن محفوظة في دير الكرمي .

٣١ – مقتل عبد المنعم حنا مقدم بشراي ، وانتقال الحكم الى العاحلة . تجديد كنيسة حصرون : في ســنة اغز (اي ١٥٤٧ م الموافقة لسنة ٩٥٤هج) كان مقتل عبد المنعم حنــا مقدم بشري ، وذلك ان ست الملوك بنت الشيخ علوان زوجة كمال الدين المقدم ابن عجرمه الايطوني لتأخذ ثار زوجها المذكور ، اتفقت مع الشيخ حماده ومع الصليبية نصارى ملكية من عين حليا حتى وضعوا له الكمين خارج البرج . فلــما خرج المقدم عبد المنعم سحراً ليصبّح القاضي ، وثبوا عليه وقتلوا له اولاده . فلما شاع الخبر في بشرى ، خرج اليهم منسوع وحنا ابن شيت وابن هارون تخاصموا معهم وضربوا بالسيف

١) وجاء في تاريخ الدويهي الآخر في هذه السنة ان الشدياق سركيس الخازن لما انتقل من جاج الى كسروان (في البوار) « نسخ انجيل ربش قريان هناك في الكرشوني » ثم طلع الى بلــونه .

الشيخ حماده على رجله . فحمله جماعته وهربوا به . فلحقهم اهـل البلاد الى الحرايص فقتلوا حماده وناس من رفاقه . وفي (مقتـل) المقدم عبد المنعم انقرضت دولة مقدمين بشري وانتقلت الى المناحلة (هنـا انتهت ايضاً ص ١١٢ وجهاً) وذلك أن عز الدين المنحلاني كان في سنة اتل (أي ١٤٣٠م) تأهل مع بنت حسام الدين ابن ايوب ابن قمر مقدم بشري . فخلف منها حسام الدين ، وهذا خلف اربع بنين وهم موسى وعاشينا ورزق‌الله وداغر . فلما فرغت سلالة المقدم سيفا اخذوا هم الولاية على جبة بشري .

وفي سنة اغط (اي ١٥٤٩ م الموافقة لعـام ٩٥٦ هج) اجتمعوا أهالي قريـــة حصرون وجدّدوا كنيسة السيدة التي خربت كما هو واضح من المغارة التي نصبوها بحايط الكنيسة في تاريخ سنـة افس لليونان (اي سنة ١٨٦٠ التي توافق سنة ١٥٤٩ م) .

٣٢ – وفـاة مطران اهدن السيد قرياقوس وانتخاب الراهب انطون الحصروني عوضه . عمار سوق السيدة . السلطان سليم التركي والمراسيم الشاهانية ؛ في سنة انن (أي ١٥٥٠ الموافقة لسنة ٩٥٧ هج) عندما قضى أجله مطران اهدن قورياقوس انتدب عوضه الراهب انطون الحصروني ابن الحاج فرحات . فهذا تربّى عند اخواله بدير مار يعقوب الحباش (الاحباش) وتأدب جيداً في اللغة السريانية والعربية والتركية ، وكان شجيعاً بأقواله ، وغـير متوانياً بافعاله . وعندما قدم السلطان سليمان إلى مدينة حلب حضر عليه مع جمـلة المشتكية الذين ساروا من مدينــــة طرابلوس . فأنعم عليهم بخمس مراسيم سلطانية ، ومن جملتها ان غلال الزيتون ينقسم تحت أمه على البساط ، وان لا احـد يمارض النصارى في دينهم ولا في زواجهم

وان تترمم الكنايس . وتسجّلت هذه الامور في طرابلوس في زمان حسن بيك .

ويقال ان بعد عودته عمّر سوق السيدة الذي في كنيسة دير راس النهر باهدن . وبسبب أن مطران الملكية أخذه الطمع واكل رعية الموارنة في بلاد عرقا وعكار سعى به في المحكمة وأمر القاضي ان مطران الموارنة يأكل رعية الملكية في تلك الناحية سبع سنين ليستوفي ما راح عليه في السبع سنين سلفت . وانعم البطرك موسى على المطران انطون بأنه يأكل نورية بلاد عكار الى نهاية حياته .

٣٣ – رسم البطرك مطراناً عـــلى قبرس داود ابن الخوري سمعان الحدثي . وحدث تعدي على دير قنوبـين فعرض البطرك الامر على السلطان : في سنة انتب (اي عـام ١٥٥٢ التي توافق عام ٩٦٠ هج) سام البطرك موسى داوود ابن الخوري سمعان الحدثي مطرانً ليكن مساعداً للكرسي مع المطران تادروس . وارسله مع جرجس الهدناني مطران الشام الى زيارة نصاره قبروس . فكرّسوا في تلك الجزيرة جملة كنايس وبرفقـــة فرنسيسكو الماروني اسقف الافقسية ساموا الراهب مرقوس ابن انطون من البيطوميني أسقفاً على مطوشي لموضع كثرة عبادته وسعيه في بنيان البيعة ونسخ كتبها .

وفي سنة انتج مسيحية (اي عام ١٥٥٣ التي توافق عام ٩٦١ هج) صار تعدّي على دير قنوبين وأخذ منه شوباصي سنجق طرابلوس ماية وعشرين فلوري زود عن الخراج المعتاد . فأرسل البطرك عرض حال الى السلطان سليمان وهو مقيماً في حلب ، فأرسل سعادته أمر همايون لقاضي طرابلوس يتبصّر بالدعوة ويأمر السنجق بردّ الدرام

لبطرس الدمي راهب دير قنوبين ، حرر في اواسط محرّم سنة تسعماية وواحد وستين (وهنا تنتهي ص ١١٢ قفا) .

٣٤ – رسالة البطريرك موسى الماروني الى البابا بولس الرابع ١٥٥٥ – ١٥٥٩ : في سنة اننه (اي عام ١٥٥٥م) جلس على الكرسي الروماني البابا بولص الرابع وانفذ اليــه البطريرك موسى مكاتيب التهنئة مع الخواجـه غالاطيوس من بونونيا (بولونيا في ايطاليا) . فاستقبله قدسه بكافة الكرامة وارسل له مع المذكور بدلة كاملة لخدمة القداس مع مكتوب البركة في تحرير سنة اننو (أي ١٥٥٦م) في يب (اي ١٢) من تشرين الآخر .

٣٥ – رسامة الاسقف جرجس على مار اليشع وكان موسى مطران بشراي . وفاة المطران جبرايل الهدناني وكان حبيساً لمدة ٤٣ سنة ، حياته النسكية : في سنة اننو (اي ١٥٥٦ الموافقة لسنة ٩٦٤ هج) القس جرجس ابن حرواص انسام اسقفاً على دير مــار اليشاع بارض بشري مجازاةً لتعبه في بنيان الدير المذكور . وامـــا موسى ابن الشيخ ايوب ابن قمر (فقد) كان مطران بشرى ، وكان قاطن بدير مار ماما .

وفي هذه السنة ضجع (مات) في الرب الاسقف جبرايل الهدناني من بيت ستيته الذي عاش في الحبس والنسك (مــدة) ٤٣ سنــة بدير قزحيا ، وبعد ما خدم معلمه الحبيس يونان المتريتي اربعة عشر سنة الزموه اعيان البلاد بالرياسة على دير مار انطانيوس بعد الاسقف يوسف الجاجي الذي ترأس عليه بعد يحنا اللحفدي . فانشى (انشأ) أرزاقاً كثيرة للدير واكمل عمـــارة القبو والدهليز والمجلس وعمارة

الطاحون على النهر ، وقصد انه يوسّع الكنيسة في الشقيف ، فخشي من نقر الصخر ومن كثرة الخرج ، فتراايا له الحبيس يونان وتشكر من جهاده وأمره ينقر الصخر النابت ولا يخشى ، وانه يبتني ثلاث مذابح : واحد باسم السيدة والثاني بسم مار أنطانيوس والثالث بسم البار مقاريوس . فصنع كما امره وتمّمه في سنة الفه (اي ١٥٤٥ م) وفي زاوية حايط الدهليز كان حجر كبير عجز عن طلوعه البنّا ، وفي اليوم الثاني سحراً وجدوه موضوعاً . وفي العيشة القشفة فاز على غيره . وفي الصوم الكبير كان كل يوم يرمي الف منطانية الى الارض ، وفي سبة الآلام لم يبطل رمي المنطانية من الغد إلى المساء ، وقيل انــه ثبت في مدة الصوم الكبير لم يذوق المـاء الى خميس الاسرار . وفي هذه الاتعاب كلهـا لم ينقطع عن نسخ الكتب حتى ان من خطه النظيف امتلى جبل لبنان ، وبالخاصة كنيسة اجداده مار جرجس كرمي اهدن ، من جميع مـا يشتهي القارىء لخدمة الله . واما البطرك مومي ليكافي تعبه سامه اسقفاً ، وفي الاحد عشر من تشرين الاول في هذه السنة رقد في الرب .

٣٦ – وفاة قايتبه بن عساف وتخلف بعده ابن اخيه الامــير منصور الذي قتل عدة امراء كما سنرى بعد اكتشافه المؤامرة عليه :

وفي قرب هذا العصر توفي في قرية اغزير الامير قيت بيه بن عساف وتخلف بعده في بـلاد كسروان ابن اخيه منصور[1] وامتدّ حكمه الى حد عكار ، فأعطى بلاد جبيل لهاشم العجمي ، وبقى لابن عمه عبد المنعم برجاً في اغزير وكوخنه على رزقـه . وكان مالك ابن

---

١) لقد ذكرنا هـذين الاميرين اعلاه في هذا الفصل في اخبار سنة ١٥٢٤ مسيحية ، فيلزم الانتباه . اما لفظة كوخنه فمعناها ان الامير جعل ابن عمه وكيلا على جميع املاكه ومشرفاً شرعياً .

بلغيث اليمني شيخ العاقوره ذو سطوة عظيمة ، وكانت الوحشة بين الشيخ مالك والشيخ هاشم بسبب الحربان ، حتى ان الشيخ مالك كبس جبة المنطرة واحرقها دفعتين ، عند ذلك اتفقوا اهالي الجبة مع القيسية سكان العاقورة على مالك ووضعوا له الكمين في عين الجرد وقتلوه في الغد . وكان مالك ذا شهامة عظيمة وكانت العاقورة تحوي على ستماية بغل . فصدف ان لما كان هاشم في الشام ساروا الحراجلة (المتوالة) من كسروان الى تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوا بها . فلما سمع بذلك مالك اخذ جماعته فأهزم الحراجلة واخذ على الستماية بغل وليس فقط اثاث الحراجلية بل قلع قلد تدمر ونقله الى العاقورة .

ثم ان حنش وحرفوش اخوة مالك نزلوا إلى الشام واشتكوا عليهم وجردوا ، فكتب النايب الى الامير منصور يسلّمه الغرماء . وقيل أن الامير منصور عندما استقوى عبد المنعم ولم يقدر يوّطيه ، حرّك عليه هاشم واوعده بالكوخنة عوضه ، فما اجابه إلى ذلك . حينئذ قسي قلب عبد المنعم على هاشم واوعده بحكم بلاد جبيل اذا قتله . فأذعن لقتله عبد المنعم وقتل لواحد من اولاد عمه وخرج في الرجال مع اخوة مالك بطلب هاشم والغرماء . فانهزم هاشم الى البر وانعكف الى الحرافشة . عند ذلك نهبوا الاسا وحرقوها وحرقوا بعض ضياع من الجبة ، وكذلك فرّوا قيسية العاقورة إلى طرابلوس ، فنهبوا حارتهم واحرقوها وخلت العاقورة .

واما الشيخ عبد المنعم ، عندما علم ان الامير منصور ابن عساف كان ضامراً على قتله ، كاتب الامراء الحرافشة واتفق معهم على قتل ابن عمه هاشم واوعدهم في قتل الامير منصور وبالولاية على المقاطعات التي بيده . فذعنوا لقتله الحرافشة وجردوا بهايم وقتلوه وارموا

جثته في البير الذي تكنّا باسمه بـير هاشم ، وفرّ اخو هاشم الى عند الامراء الشهابية . وامـــا عبد المنعم لينال غرضه من الامير منصور صار يسوّد على اولاد حبيش ويسمى في هلاكهم ، ولكن هولاء كشفوا الدغل وذهبوا ليلاً الى عند الامير واخبروه بالمؤامرة التي كانت بين عبد المنعم وبين الحرافشة . عند ذلك اعطاهم اذن عليه فكبسوا حارتـــه ليلاً وهو بقرب صور الامير فقتلوه وقتلوا احد عشر نفس من اولاد عمه ، وحينئذ تطمّن خاطر الامير منصور ، وجعل الشيخ ابو منصور واخوه اخو يونس سليمان كواخي ومتصرفين في تدبير حكمه . وأما العاقوره فقد ثبتت سبع سنين خالية ، ثم ان الشيخ ايوب واخوه فضول اولاد الشيخ توما جاؤا بأمور شريفة من نايب الشام وعاودوا بأربع ماية نفس فجدّدوا حاراتهم وداموا السكنة فيها . وقيـل ان لما خلت العاقورة وتفككت اهلها سار اولاد الشماس توما إلى دير مار ادنا كرسي العاقورة واخذوا يشتغلوا هناك ، فوقفوا على مطلب كان في الدير ، فتقووا به حتى نزلوا الشام وبادروا في عمار الضيعة واسترجاع اهلها واخذوا المشيخة عليهم .

٣٧ ـ مجمع طائفي في قنوبين . تقديس الميرون . دير مار جرجس ابو بلوطه . نهر قاديشا وثلج عظيم في الوادي وتعطيل القز والفاكهة . طرد الرهبان من جبل صهيون . وفاة الحبيس ملكا والماء من الصخر : في سنة انئز (اي عام ١٥٥٧ م الموافقة لعام ٩٦٥ هج) أقـام البطرك موسى مجمع في نهار خميس الاسرار ، وقدّس الميرون ، وكان حاضر المطران قورياقوس والمطران داوود والمطران ملكا الحبيس الذي حمـــل الميرون وخمس مطارنة غيرهم والحبيس ميخايل بن الرز والمقدم رزق‌الله واولاده عساف وجبرايل مع نحو اربعماية كاهن وشعب كثير . ويذكر الخوري شمعون ابن

القس موسى القبياتي في الميمر الذي ولّفه ان البطرك موسى في هذه السنة عمّر دير مار جرجس في ارض شدرا بأمر القاضي والامارة[1]. وهذا القديس الذي العرب يسمّونه أبو بلوطه يصنع كل يوم عجايب كثيرة حتى ان النصارى والمسلمين يودعون فيه المغل في العدال (الاعدال) من غير سكرة ولا حارس ، فولا يمكن ان احداً يسرق للآخر شيئاً . وعندما قصد بعض ناس يفعلوا ذلك تعتمت بصايرهم وما قدروا يهتدوا إلى الباب .

وفي هذه السنة جاء سيل عظيم حتى ان نهر قديشا ما ترك جسراً عامر من الجرد إلى البحر . وفي الثامن عشر من شهر آذار جاء ثلج وريح حتى أن في الوادي بلغ الثلج الى علو قامة واحترق توت القز والكرم مع ساير الفواكي (وهنا انتهت ص ١١٣ قفا) .

وفي سنة انس (= ١٥٦٠ م) انتقل الى رحمة الله الحبيس ملكا البقوفاني الذي حفظ النسك نحو ستين سنة . فاتخذ السكنة اولاً في قزحيا ، ثم بمار دوميط داريا ، ثم كنيسة السيدة التي في الشقيف قبال عرجز ، ثم في محبسة مار ميخايل فوق دير قزحيا . وكان عبرةً صالحة لكل من ينظر اليه ، فانه كان يطوي كل الصيام جمعة جمعة . ويقهر جسده في دوام الجوع والعطش والقهر والحفاء والعري ، ولم يبطل ذكر الله ولا ينظر الى وجه امرأة ابداً . وبسبب ان محبسة مار ميخايل عادمة الماء ومن كثرة الضعف لم يجد قوة حتى يستقي من عند محبسة (مار انطانيوس) قزحيا ، طلب من الرب (ان) ينيّحه من تلك المشقة . فأخرج له من الصخر ماء جارية التي ولو كانت شحيحة نقر لها خابية ، فصارت تفضل عنه وعن

---

١) نقرأ على الهامش هذه العبارة : « في سنة انسط (اي ١٥٥٩ م) رهبان القدس طُردوا من جبل صهيون » .

الذين يأتون لزيارتـه . فلموضع فضله جمّله البطريرك موسى بدرجة الاسقفية في هـــذه الحياة ، وجمّله الباري بتاج التسبحـة في تلك الحياة الدائمة .

٣٨ – درع التثبيت للبطريرك موسى جرجس القبرسي وتزوير مكاتيب السيد البطريرك . طمع المطران الفرنج بالاملاك المارونية وتدخل الحبر الاعظم . الجريمة في القدس . السلطان سليم وطرد الرهبان من جبل صهيون . دير الصليب في حدشيت ، وأمـــا البطرك موسى إلى هذا الآن مـــا (كان) جاه المطران انطون ، وعندما وقـع في اليسر (الاسر في قبرص) طالت المكاتيب . ثم ارسل مع رهبان القدس بجملة مكاتيب لصاحب الكرسي الروماني ، ومع التجار ، وحظى بجوابهم ، ولكن التثبيت مـــا صار له[1] ، بسبب ان لم يرسلوه الا مـع اولاد الطايفة . وفي سنة انسا (أي عام ١٥٦١ م) اضطر انـه ارسل القس جرجس القبرسي الذي من مباشرة الفرنج اخذ معرفة اللغة الرومانية ، وأرسل معه ست مكاتيب وسجلات التي ارسلوها بابيه (أحبار) رومية الذين سلفوا قبل منه الى الكرسي الانطاكي . وكذلك شهادة رؤساء الكهنة وتسليات اعيان الملة المارونية في خطوط اياديهم وختوماتهم انهم اختاروه برضاهم ، ويسألون قدسة (أن) يجمّله بدرع التثبيت لتكملة سلطان الرياسة .

وعرض البطرك ايضاً على صاحب الكرسي الروماني بأن مطران الافقسية الفرنجي لم يزال يتطمّع على الوقوفات التي تخصّ الطايفة . فالبابا بيوس قبـــل القاصد أجلّ قبول وارسل معه درع التثبيت

١) جواب ليس من باب الاهمال او النسيان بل من عدم التسهيل ، لان الرسال وقع في الاسر بين ايدي القرصان وفقدت المكاتيب ... [راجع حاشية رقم ٣١ في آخر هـذا الكتاب عن هذا الموضوع الغير الواضح تماماً لتبيان مسبّباته] .

والرياسة وعدة كاملة للبطرك موسى ومكاتيب البركة والغفران لكل الطايفـة ، اذ يوصيهم بالثبات على الايمان وعلى احتمال الضنك الذي يصيبهم من الامم الغريبة . وبعث ايضاً مراسيم ان لا احد يعارض الموارنة ورؤساهم في املاكهم والوقوفات التي تخصّهم بتاريـخ سنة انسب (أي سنة ١٥٦٢ م) في اول شهر ايـلول . ولم يجب اننا نتجاوز هاهنا بالسكوت عن ما صدر من القس جرجس القاصد في هذا السفر ليتحظر غيره . وذلك انه قبل ما يدخل البحر صدف ان جرجس الهدناني مطران الشام انتقل الى رحمة مولاه . وان البطرك موسى (هنـا انتهت ص ١١٤ وجهاً) ختم له ورق بيـض بختمه حتى اذا دعت الضرورة يكتب هو باسمه مكاتيب لأجـل بعد (بعض) البلدان .

فالقس جرجس القبرسي لموضـع طمعه صنّف مكتوب باسم البطرك يسأل به البابا بيوس انه يسيم (= يرسم) القاصد اسقفاً على الشام حتى تتبارك الرعية منه ، وان كان يرسم خاطره انـه يرسله يحضر الجمع الذي امر بالتيامه في مدينة طرنتوس . فالبابا عندمـا انطلع على المكتوب امر في رسالته لأجل خاطر البطرك ، ولكن جاوب ان مـا كان له عازة في حضور الجمع بسبب انه كان امياً في اللغة اللاطينية وغـير فصيح في معرفة الايطاليانية . وعندما خرج من رومية دخل الى قبرس فوجد ان الاسقف فرنسيسكو قضى أجله ، فضبط رزقه واستقرّ يتنعم بين جماعته مهملاً عن الوصول الى عند الذي سفّره (أي البطرك) ، وبسبب ان الغفارة التي ارسلها البابا بيوس كانت طويلة ، قصّرها وصار يلبسها بافتراء جزيل .

وبسبب أن قبل هذه السنين عرض واقع في القدس الشريف وتوزّعت الجريمة على حارة النصارى بمحلة الرحبة وهملوا جماعتنا في

الجرية التي اخصت كنيسة مار جرجس التي للطائفة حتى ان القبط دفعوا الدرام ووضعوا يدهم عليها ، لأجل ذلك البطرك موسى أخذ مكتوب من مصطفى باشا حاكم الشام وسار الى القـــدس الشريف بنفسه ليستردّ الكنيسة . وعندما كان هناك بلغه الخبر عن جميع دقايق جرجس القاصد ، فأنفذ اليه ورقـــة الربط مـــع البادري بونيفاسيوس الذي تفرغ عن وردبانية القدس وبعث مـــع المذكور مكتوب الى صاحب الكرسي الروماني بتحرير سنة انسد (اي عام ١٥٦٣ م) في اول يوم من تشرين الاول يخبره عن افعـال جرجي القاصد وتزويره .

(ونقرأ على الهامش مـــا يلي) : « وفي سنة انثط (اي عام ١٥٥٩ م) السلطان سليم بعدما تولّى الامصار المصرية والشامية اخذ من رهبان الفرنج العلية الصهيونية التي كان لهم بها قاطنين من سنة اشيح (اعني عام ١٣١٣ م) فانتقلوا من جبل صهيون الى داخل المدينة ، وعند هذه الاحوال صار قتل في كنيسة الموارنة مار جرجس الخضر في محـــلة الرحبة ووضعوا القبط يدهم عليها عندما قبّضوا الجرية التي صارت عليها . ثم ان الفرنج في سنة انسا (= ١٥٦١م) اخـذوا السكنة في حارة المخلص داخـل المدينة . وفي سنة انسد (اي عام ١٥٦٤ م) الموافقة لسنة اثنين وسبعين وتسعماية للهجرة ، في آخر شهر محرّم ، البطرك موسى العكاري اخـذ معه مكتوب من مصطفى باشا حاكم الشام الى حضرة شريف السابب الماب القاضي في القدس الشريف بطلب رجع (ارجاع) الكنيسة المذكورة التي خذوها القبط جبراً وظلماً وتعدّي » .

وفي هـــذا الزمان الشدياق سمعان ابن القس هارون ابن الخوري حنا الحدشيتي أخــــذ يجدّد دير الصليب الذي شرقي حدشيت في

الوادي ، وتعب فيه تعباً بالغاً وأنفق عليه دراهم كثيرة ، واشترى مجلدات كثيرة على ورق وعلى رقّ لخدمة الكنيسة من غير الذين خطّهم بيده وثبت فيه نحو عشرين سنة ، وكان ذو غيرة جزيلة .

٣٩ – وفاة المطران انطون الاهدني وخلفه المطران سركيس . الترك يغزون جزيرة مالطه ولكنهم ينكسرون ويهربون راجعين الى القسطنطينية : في سنة انسه (أي عام ١٥٦٥ م الموافقة لعام ٩٧٣ هج) بعد وفاة المطران انطون الحصروني انسام على اهدن المطران سركيس ابن القس موسى الدويهي ، واخذ السكنة بدير مار سركيس راس النهر الذي هو للطايفة منذ الزمان القديم .

وفيها (اي السنة المذكورة) السلطان سليان جرد العساكر العثمانية إلى محاصرة جزيرة ملطا (كما جاء في تاريخ الغرر الحسان ص ٦١٣)، وكان مصطفى باشا قايد الجيش في البحر ، ومعه نحو اربعين الف مقاتل بمايتين غليون من غير المراكب والجيش الذي قدم من بلاد الغرب (لتعضده) . وكان قد استعدّ للاقاتهم في الجزيرة نحو خمساية كولير (فارس) ونحو عشرة آلاف جندي . وبعد وقعات كثيرة فتحوا الحصن الواحد ، واستبشروا بتمليك الجزيرة . ولن جاءتهم النجدة من سقالية ، فكبر عليهم (اي الاتراك) الوهم فهربوا (راجعين الى القسطنطينية) ، ويقال أن قتـل من الكوليارية (اعني جنود الجزيرة الفرسان) ماية وخمسين نفر ومن النصارى ثلاثة آلاف ، ومن الترك نحو يه (اي ١٥) الف نفر . (وعلى الهامش) : « وكان المتكلم على الترك مصطفى باشا ، وعلى الجزيرة واليطا فرنساوي الجنس . واهل الجزيرة يعتقدون ان هذا الظفر الذي صار في الثامن يوم من ايلول مـا صار الاّ في شفاعة مختصة من القديسة مرت مريم ومن

القديس يوحنا المعمدان كفيل الجزيرة . ولهـذا السبب يعيّدون في الثامن يوم من ايلول لميلادة السيدة ، وفي النهار الذي يتقدم العيد يقدّسوا لأجل القتلى الذين قتلوا في هذا القتال (وهنا انتهت ص ١١٤ قفا) .

٤٠ – وفاة البطرك موسى العكاري واختيار الحبيس الرزي مكانه بطريركاً . المصاعب التي اعترضته . ارساله الشماس لوقا الى روما . وقاصداً الى جزيرة قبرس وذكر اسماء الروساء على دير قزحيا : في سنة انسز (اي عام ١٥٦٧ م الموافقة لعام ٩٧٥ هج) في يط (اي ١٩) من شهر اذار كانت وفاة البطرك موسى العكاري وله من العمر فه (٨٥) سنة ، ومنـذ دخل الرهبنة ستون سنة ، وعلى الكرسي الانطاكي اثنين وأربعين سنة ونحو ثلاثة شهور ، وكان ذو عبادة وغيرة جزيلة ، دخل لرومية وجـاب (درع) التثبيت للبطريرك شمعون ، صنّف ميمر سرياني عن سفره . ولـّف مديحة يوسف الحسن . انشى ارزاق كثيرة لدير قنوبين . وعندمـا ضجع (رقد) في الرب ترك له ثروة جيدة ، وحزن على موته ، وفي البيعة قدّسوا جسده الطاهر ودفنوه في مغارة مارينا في البكاء والحزن . وبعد دفنتـه جعلوا اوضته التي بقرب باب السيدة كنيسة ونصبوا فيها مدبحين باسم الرسولين بطرس وبولص حتى لا احد يسكنها بعده .

وفي نهاية تاسعه بعد تقدمة الاسرار اتفق رأي رؤساء الكهنة واعيان الطايفة على صفوة الحبيس ميخايل ابن الرزي من قرية بقوفا. فان بعد الحبيس جبرايل الهدناني تسلّم رياسة دير مـار انطانيوس قزحيا القس يوسف الايطوني . وبعد مدة أعادوا الخوري حنا او يحنا ابن نمرود (والاصح نمرون الباني) . فثبّت مدة قليلة واخلع

ذاته من الرياسة وانتقل الى دير مار سمعان ايطو ، واقاموا عوضه الحبيس ميخايل ، وبسبب ان حنا كان طالب التوحيد انتقل إلى محبسة مار بيشوى التي قبال قزحيا ورفع يده عن تدبير الدير ، فأعادوا اليه الخوري حنا ابن نمرود الباني . فنشى رزقه وابتنى له الطاحون بلزق الدير وجرّ اليه الماء من النهر وصار له صيط (سمعة طيبة) جيد . وبعد هذا ترأس الخوري ابراهيم الحدثي ، رجل شيخ روحاني . وبعد مدة يسيرة تخلف القس يوسف البسلوقيتي فتحمّل بمقدم بشري حتى تنزّل عن الرياسة وصار عوضه الخوري يوحنا الخوري ، الذي رهب يونان ويوسف اولاد جلوان من سمر جبيل الذين كانوا يقاربوه ، ومن ذلك الزمان افترقت محبسة مار بيشوي عن دير مار انطانيوس ، فصارت تحت تدبير بيت الرز ، ودير مار انطانيوس تحت النوبة حتى من الخوري يوحنا الخوري اتصلت الى رهبان بيت جلوان من قرية سمر جبيل .

فلما توفي البطرك موسى ، روساء الطايفة حملوا الحبيس ميخايل وألزموه بتدبير الكرسي الانطاكي وساير الطايفة واقاموا عوضه في الحبس اخاه القس سركيس البقوفاني . وفي حال اقامة البطرك ميخايل الى الكرسي ، هوذا وصلت البيارق من طرابلوس إلى قنوبين فنهبوا الدير وضبطوا ثياب الكهنوت واواني القداس ووضعوا يدهم على سايقة الدير وعلى وقوفاته واملاكه ، وكان البعض يطلبون الفين قرش غريمة بسبب الكنيسة الجديدة ، والبعض الفين آخر فتاوة بسبب متخلفات البطرك الذي توفي . فصار البطرك ميخايل في ديقة (ضيقة) شديدة جداً . وما رضاهم الا بعد خسارة كبيرة ومدة طويلة من الزمان .

وفي هذه السنة ارسل البطرك ميخايل ليوليوس الاسقف الى زيارة

شعبه في جزيرة قبروس ، وكانت سنة ديقة من الامم الغريبة وقيضة في الغل حتى ان بتلك الجزيرة وصل مد الشعير الى ثمان دنانير . وأمره (ان) يبعث له الشماس لوقا من الاسكيبه (الافقسية) الذي كان رجلاً موسر فصيح الكلام (هنا انتهت ص ١١٥ وجهاً) خبيراً بلغات الفرنج ، ودخل سابقاً في متجر الى راوونا (Ravenna) برفقة اخيه نقولا ، والشماس عازار .

فلما وصل الى تقبيل أقدام البطريرك ميخايل سامه خوري بردوط وسفّره إلى الحبر الاعظم بكاتيب وهدايا رؤساء الملة المارونية لأجل الطاعة . وكذلك ارسل مكاتيب الى الكردينال الكسندروس والى الكردينال كريبلوس المتوكلين على الطايفة ليكونوا مساعدين للقاصد في ارتسال (درع) التثبيت[١] .

٤١ – الخوري لوقا قاصد البطرك في قبرس . هجوم السفن الاسلامية والاتراك للجزيرة . ترحيب البابا بالقاصد البطريركي . البادري جيرانيموس من فستّاتو . التهمة الباطلة . البابا بيوس ومطالب البطريرك : وفي سنة انسز مسيحية المذكورة ، في ٢٤ من شهر حزيران سار الخوري لوقا الى قبروس ، فوجد ان قدمت سفن الاسلام الى عاربة الجزيرة ، واحاطوا بالافقسية فاجتمعوا النصارى وفكوا اسوار الافقسية وبنوهم جديداً في شهر حزيران ، وكان الجميع يسمون بالعمار من غير اهمال ، لأجل الرعية التي شملتهم في قدوم الاعداء . ولاجل ذلك اضطر الخوري لوقا يكسر نحو سنة بتلك الجزيرة حتى ارتفع عنهم الحصار . ثم انه اخذ اخاه

١) هنا نقرأ ثلاثة اسطر مشطوباً عليها بخط عريض اسود ، ومعناها ان الخوري سار الى قبرص واخذ اخته معه وتاريخ السنة .

نقولا صحبته ، ومعه متجر بمبلغ احد عشر الف قرش ودخل لرومية في نصف حزيران سنة انسز المذكورة ، فترحّب به الحبر الاعظم عندما قـدم إلى تقبيل اقدامه . ولكن بسبب ان المكاتيب كانوا مختومين بختم جديد ، فما صار له القبول المعهود ولا تمّ له امراً .

وفي سنة انسح (اي عام ١٥٦٨ م الموافقة لعام ٩٧٥ هج) قدم الى زيارة البطرك الجديد القاصد جيرونيموس فوستّاتوس واخبره بأن فرغت ايام رياسته وقصد العودة الى رومية حتى ان كان له غرض في تلك الناحية يعلمه حتى يقضيه من غير اهمال . ففرح به البطرك ميخايل وقبـله بكافة الكرامة والعزازة واخبره عن القاصد الذي ارسله لرمي الطاعة ولم يأتيه من المذكور ، لا جواب ولا خطاب ، وعن الخساير والبلص التي كانوا يحتملونها من الامم الغريبة حتى ان في كل يوم يتكلف دير الكرسي نحو ماية قرش . وعند ذلك جدّد البطرك ميخايـــل المكاتيب باسمه وباسم علماء الطايفة وروساها ، وسفّروا البادري جيرونيموس فوساتوس لرومية بقضاء امور الطايفة . وكان البادري المذكور جزيل الفطنة وشديد الغيرة لانتشار الديانة المسيحية ، وكفؤاً للحملة عند صاحب الكرسي الروماني واهل ديوانه . فتودّع البادري المذكور من البطرك . وعندما حضر لتقبيل اقدام البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ – ١٥٧٣) عرض عليه مكاتيب البطرك والطايفة وخبّره عن احوال الطايفة ، وان في كل بـلاد الشرق لم يكن احد متمسكاً في الكنيسة الجامعة سواهم ، واذ لم يكن لهم من يسعفهم فانهم يقدمون إلى الخراب .

ثم كتب عرض حال الى الكردينال انطون كرففا المتوكل على الطايفـــة ينذره أن كما ان الرب انتخبه وكيلا ومعضداً لكنيسة انطاكية التي الرسول بطرس جمّلهـــا (هنا انتهت ص ١١٥ قفا)

بكرسيه وتبشيره لها وبها ساير المؤمنين وتسمّوا مسيحيين ، كذلك لا يصعب عليه بأنه بحليب حلمه يغذّي انفس المحتاجين المكدونين تحت نير العبودية الذين يستمدون المعونة من سيادته . ثم يخبره ان هذا الامر يصير بهذه الابواب الثلاثة : اولاً بأن يرسلوا لهم كتب تقوّي قواعد الايمان حتى يتعلموها ويتمسكوا بها . ثانياً بأن يعطوا مسكناً حتى يرسلوا اولادهم اليه ليتأدبوا في معرفة اسرار البيعة وثم يعلمونها لجماعتهم . ثالثاً بأن ينجدوهم بحسنة حتى تترمم الكنايس والاديرة الذين تحت طاعة بطريركهم .

فانعرضت هذه الاشياء على البابا بيوس وانسرّ بها جداً ، وفي العاجل امر ان ينطبع في العربي كتاب التعليم المسيحي . واوصى الكردينال كرففا (كارّفا) بأن يكون ناظراً وساعياً في افـــادة الطايفة . حين كانوا في هذه الهمة صار ان الشيطان سعى بتبطيلها وذلك ان في تلك الايام قـــدم الى رومية ناس شيّعوا الخبر بأن البطرك الجديـــد غيّر تسليمات ابّهاته وتمسّك باليعقوبية . فصعب ذلك كثيراً على البابا وعلى الكردينال المتوكل بالطايفة وخاصة على البادري جيرونيموس القاصد الذي طلع بسواد الوجـــه قدامهما . ولكن رسم البابا بأن يحضر لعنده الكردينال رئيس رهبان مار فرنسيس الصغار وأمره (ان) يكتب الى ورديان جبـــل صهيون (ان) يسير بنفسه الى عند البطرك الجديد ويختبر حسناً عن اموره .

وفي سنة انسح المذكورة في الثامن من حزيران ، ارسل الكردينال كرففا السيكولنت مرسال ومكاتيب إلى البادري ج وان فرنسيس بياجنتين ورديان القدس بأنــه بأمر البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ — ١٥٧٢) يتوجّه في العاجل الى جبل لبنان ويسلّم على البطرك الجديد باسم قدسه ، وانه في محبة روحانية ، وبفطنة زايدة يفحص

فحصاً بليغاً عن عمر البطرك وعن وظيفته وسيرتـه وعن امانته وسلوكه وعن الدرجة التي كانت معه ، وكيف كان تدبيره بهـا . وان كان صفوته (اختياره) إلى البطريركية كانت باختيار الروساء وبتسليم الشعب ، كما جرت عوايدهم ، من قديم الزمان ، فاذا كانت على هذا المنوال ويؤمل منه عمل الخير والسلوك لبنيان الرعية بأنه يحلّفه قدام الشهود للثبات على الاعتقاد المستقيم والطاعة لصاحب الكرمي الروماني . ثم انـه يطوف البلاد ويختبر عن عوايـدهم في الصلاة ورتبهم في القداس وأسرار الكنيسة ، وان كان سلوكهم في عبادة وتقوى ام ان كان هم مفروزين ببدعة من بداع (بدع) الشرق ، وكيف يكون العمل حتى يتحدوا اتحاداً كامل مع الكنيسة الجامعة .

وارسلوا له عشرين كتاب من التعليم المسيحي واوصوه (هنـا انتهت ص ١١٦ وجهاً) ان يسلمهم للبطريرك الجديـد حتى يفرّقهم على الكهنة الذين يدبّرون الشعب ليتلمذوا بهم الاطفال وأهل الرعية . وبسبب ان البطرك الجديـد تكلم مع البادري جيرونيموس القاصد ان بخاطره ان يرسل اولاداً لأجل اكتساب العلم انه يذكّره ويوصّيه الى هذا الامر ، وأن البابا تشكر كثيراً من هذا الرأي ، وله خاطر كلي على تأديب أولادهم ، واذا ارتضى بذلك انه يتسلم منه الاولاد ويرسلهم الى قبرس الى عند نايب المطران ، فهو يدبرهم على موجب رسم البابا . أخيراً انه يمسك بخاطر البطرك بسبب الخصاير والظلم الصاير عليه . فان ما أحد خالص من تعب القلب ، والقديسين ما تفضلوا ولا فازوا الا في الصبر والاحتمال .

واما سبب الهرطقة التي انتهم بها البطرك هو لأن اصله من قرية بقوفا الذين غالبهم تبعوا اليعقوبية كما خبرنا سابقاً في تاريخ سنة[1] .

١) دون ذكر السنة اصلا .

وقيل أن لما قدّس البطرك الميرون كان حاضر اسقف من اليعاقبة ، ولذلك الذين دخلوا لرومية لطّخوه برزيتهم . واما البطرك ميخايل وطايفته حاشام من هذه التهمة . وعندما توجّه الى عنده ورديان القدس احتجّ (البطرك) عن ذاته وبرّىء نفسه من تلك التهمة . فالورديان فحص البطرك فحصاً جيداً وطاف في بلاد الجبة وتحقق عن صيت اعتقاد البطرك وطايفته ، وبعث يعلم قدس البابا والكردينال الوكيل بالجميع ، وكذلك ارسل لهم البطرك ميخايل المكاتيب .

٤٢ – رسم البطريك ميخايل اخاه سركيس اسقفاً على عرقا وعقد مجمعاً طائفياً ، واحتج عـــلى التهمة الموجهة اليه ومقتل مقدم بشراي : وفي سنة انسط مسيحية (١٥٦٩ الموافقة لعام ٩٧٧ هج) البطرك قسم (اي رسم او سام) اخـــاه الحبيس سركيس اسقفاً على عرقا وأقام مجمعاً امام البادري زوان (جوان) فرنسيس ، حضر فيـــه الاسقف داوود المتوكل على الطايفة وسركيس اسقف اهدن ، وجرجس اسقف بشري ، وسركيس اسقف عرقا ، فشهدوا وأكّدوا أن البطرك الذي انتخبوه فقد الزموه بهذه الدرجة رغماً عنه ، وانه لا غيّر امانته ولا تبع أمانة جديدة ، وارسلوا يعلموا بذلك صاحب الكرسي الروماني والكردينال كرففا بتحرير سنة انسط (المذكورة أعـلاه) في كا (٣١) من شهر تشرين الآخر[١] (هنا تنتهي ص ١١٦ قفا) .

٤٣ – مقتـل عاشينا والمقـدم رزقالله اخيه . حرم البطرك للمقدم رزقالله . تشليح القفل والحكم بالموت على المقدم رزقالله

١) هنا نجـد ثمانية اسطر مشطوباً عليها وهي تتكلم عـلى مقتل المقدم عاشينا واخيه رزقالله مقدم بشراي وعلى جانب الشطب نقرأ هذه العبارة : « ان المقدم رزقالله اعطى لاخيه عاشينا البرج الفوقاني » .

في محكمة طرابلس باطلاً ، في سنة انع (أي ١٥٧٠ م الموافقة لعام ٩٧٨ هج) كان مقتل رزق‌الله واخيه عاشينا مقدمين بشري وذلك أن المقدم رزق‌الله ابن حسام الدين العنحلاني اعطى لأخيه عاشينا البرج العتيق ونزل ابتنى له برجاً قدام هيكل مار سابا في بشري . فتولّى المقدمية من قبل الامير منصور ابن عساف ، وكان مبادراً في عمار البلاد وتحصيل المال السلطاني . ولكن صارت الفتنة بينه وبين أخيه عاشينا بسبب ان عاشينا كان جاهل ينهب ويقتل ولم يعفي عن سوء ، وكان السواد يرتدّ كله على رزق‌الله حاكم الناحية .

ومن توبيخ المقدم رزق‌الله ، حرد عاشينا وانتقل إلى قرية حصرون وصار يحتّ على اخيه . فصعد البطرك ميخايل واصلح بينهما واعاد عاشينا الى حارتـه . واذ لم يكفّ عن طريقته الاولى نفرت منه قلوب الناس وقـدمت فيهم السعاية الى نايب طرابلوس . فرزق‌الله ليخلص من شره أدبر على قتله وبعث عزمه لعنده الى البرج التحتاني ، وكان تؤامر مـع ناس من الضنية الذين كمنوا له داخل البرج . فلما دخل عاشينا البرج وثبوا عليه واماتوه . وحين سمع بذلك البطرك صعد لبشري وحرم رزق‌الله بصوط (بصوتٍ) صارخ بسبب انه أدبر على هلاك اخيه .

وامـــا صاحب القفل الذي تشلّح على المسقية طلب من المقدم (أن) يردّ لهم ارزاقهم فتبرّى من ذلـك . ثم داعوه الى المحكمة فنزل المقدم رزق‌الله ونزل معه مشايخ الضياع بسبب محاسبة المال ، وحضر على القاضي ، واذ لم يكن مع غرمائه بيّنة ولا عهود عليه ، ابقوا الدعوة (الدعوى) حتى تحضر الشهود . ثم ان بعد مدة من الزمان نزل المقـــدم الى طرابلوس بسبب أمور البـلاد ، وراصده صاحب القفل حتى دخل الحمام ، عند ذلـك برطل الحارس وختم

(طرف) عمامة المقدم رزق‌الله التي كانت يانس ابيض بالداغ الذي كان على قماشه . وعندمـا خرج من الحمام مسكه بيده وقال له يا مقدم ما يجوز لك تاكل رزق الاسلام . فجاوبه انه بريء من تلك التهمة . فأخـذه ثانياً الى قدام القاضي ومن الداغ الذي وضعه على عمامته اوجب الحق عليه ، وامر القاضي والسنجق انه يتجرجر وهو مربوط على ذنب الخيل . فقضى أجله على تلك الحالة وهو بريء مما تجنّى عليه صاحب القفل باطلاً .

٤٤ – السلطان سليم يهاجم جزيرة قبرس ويقتل خلقاً كثيراً . والموارنة الذين استسلموا بناءً على الوعد قتلهم الاسلام بكاملهم . وفي بيروت وضعوا يدهم على كنيسة مار جرجس المارونية : وفي هـــذه السنة التي توافق لسنة الهجرة تسعماية وثمانيـة وسبعين أمر السلطان سليم ابن السلطان سليمان بالركبة على جزيرة قبرس ، وخرجت الشواني والمراكب من طرابلس الشام مـــنذ مقتل المقدم رزق‌الله ، فأخذوا الملاحـة ثم انتقلوا الى الافقسية فبنوا برجاً وشدّوا عليهـا الحصار من اول الصوم الكبير الى اول ايلول[١] . ثم نقلوا الحصار الى الماغوصه ويقال ان كان فيهـا الف مدفع فأهلكوا من المسلمين ما لا يحصا عددهم . ولكن من عدم القوت ونقص البارود اضطروا الى تسليمها بشرط أن لا يقتلوا احداً ، فسلخوا جلد القبطان وقتلوا معـــه أربعماية نفر وكان وكيل الافقسية يدعا مرقوس ، ووكيل الماغوصة نقولا ، والباشا الذي عمل هذا الفتح يدعا مصطفى باشا . ويقال ان عـــدد الذين اسبوهم من النصارى (هنا انتهت ص ١١٧

١) وهنا نقرأ سطراً ونصف مشطوباً عليهما ويدور الكلام فيهما على ان «قيل انهم قتلوا من النصارى خمسين الف واحرقوهم بالنار واسبوا مابة وثمانين الف نفر » .

وجهاً) نحـــو ماية وثمانين الف ، والذين قتلوا وحرقوا بالنار نحو خمسين الف ، والذين قتلوا من الموارنة ثمانية عشر الف .

(وعلى الهامش نقرأ هذا الخبر) : « وكان استعصى من الموارنة اثنا عشر الف جندي في ضيعة تدعا كالسفاسي على راس الجبـــل فوق مار جرجس طالع ، وكانت القرية عاصية وعنده ماء وطاحون هواء ، فحلف لهم الاعـــداء ان يسلموا واوعدوهم بأن يردّوا لهم ضياعهم ويولوهم عليهم ولا يضروهم . وعندما سلمـــوا قتلوهم عن آخرهم . وقبل ان وسقوا من قبرس ثلاث غلاوين (مراكب) من النساء ليرسلوهم الى اسطنبول . وحين كانوا بالقرب من شيرينه امرأة (منهن) علّقت النار فيهم (المراكب) وحُرقوا ثلاثتهم » .

وبسبب ان مصطفى باشا كان ابن عرب راد يسلّم القلاع بيد اهالي مطوشي الذين هم من بلادهم فتمنعوا برضاهم عن ذلك ، وكان المتولي تدبيرهم الاسقف يوسف من جوصطريا على كنيسة مار انطانيوس ومار نوهرا كرسي السريان الموارنة في الافقسية . وبعـــد افتتاح الماغوصة ، طافت الاسلام الجزيرة فنهبوا وسلبوا واستعبدوا النصارى وأخـــذوا منهم جاليتين ، وبدلوا كنايسهم في الجوامع والخانات ، وباعـــوا الوقوفات بثمن رخيص . وفي شهر تشرين الاول صارت زلازل ورجفات عظيمة ومخيفة .

وفي هذه السنة ، أهالي بيروت وضعوا يدهم على كنيسة الموارنة فهجروها وجعلوها قيسارية ، ومـــا تبقا للطايفة الا كنيسة مـــار جرجس في بيروت العتيقة . فاجتمع الشيخ ابو منصور يوسف ابن حبيش مـــع مشايخ بيت الدهان واتفقوا بأن طايفة الروم وطايفة الموارنة يشتركوا بكنيسة مار جرجس في بيروت العتيقة وفي كنيسة السيدة في بيروت الجديدة .

٤٥ – دير ميفوق والاتراك . القشلق والنتائج الوخيمة الصادرة عنه . ضيق وغلاء وموت وفناء . البطرك يستفك املاك قنوبين وخراب دير ميفوق : (على الهامش) : « وفي سنة القشلق كان ساكن في دير سيدة ميفوق الخوري عطيه وسركيس اخو المطران يوحنان السمراني ، وأنه خرج من اسطنبول اربع كرات ترك وتفرّقوا في معاملة طرابلوس ، فنهبوا دير ميفوق وجميع مـا وجدوا فيه ، وثبتوا المذكورين هاربين ست أشهر » .

وفي سنة انصب (اي ١٥٧٢ م الموافقة لعـام ٩٨٠ هج) توزّع القشلق على آيالات الشام ، وقيـل ان الذي توزع على جبة بشري كان واحد وعشرين الف سلطاني[١] . فنهبوا البـلاد ، واخذوا سايقته ، وضبطوا الوقوفات . فالبطرك ميخايل استفكّ رزق دير قنوبين بألفين سلطاني بواسطة الشيخ منصور ابن حبيش كما هو واضح من الحجة التي تحرّرت في أوايل جمادى الاول سنة ثمانين وتسعماية (هج) على ان الامير منصور ابن عـاف استفكهم على يـد ناصر جلبي ابن يوسف ابن كرامه الطرابلسي، ابن علي جلبي مفدى الشام ، وكذلك ملك دير مار سركيس كرسي اهدن استفكهم اهل العيلة الدويهية على يد ابن الجاموس مفدي طرابلوس . ومن جور هـذا القشلق خـلي دير سيدة ميفوق وأديرة كثيرة غيره وضياع كثيرة مثل الناووس وحيرونا وبرحليون وادنيت في الجبة وضياع في بلاد الشام . وكانت جزية النصارى بقبرس ثلاثة عشر قبرسي ، وانضامت الناس كثيراً حتى كانوا يطلبون لأنفسهم الموت[٢] .

---

١) وكان السلطاني ثلاثين قرشاً كما جاء في تاريخ الدويهي نفسه في اخبار هذه السنة .

٢) وهنا نقرأ على الهامش والمتن عبارة نصفها باللاتينية والكرشونية والارقام العربية وهي : « An. Hag. An x. 1572, 980 ، توفي الامير منصور ابن عساف الذي كان قاطن في أغزير وحكم بدله ولده الامير محمد وعمّر صرايا في بيروت وجبيل » . وبهـذا الكلام تنتهي ص ١١٧ قفا .

٤٦ – مقتل المقدمين داغر وعساف ، ابو سلهب القريعي يحكم الجبة ثم يعزل ويأتي بعده المقدم مقلد وبيت المشروقي : وبعد مقتل رزق‌الله مقدم بشري ، تولّى المقدمية أخوه داغر وعساف ابن اخيهما موسى من قبل المير منصور ابن عساف . فأرسل ناس داوود وموسى اولاد شلندي البشراني وقتلوهما . فان هولاء كانوا اولادهما المقدم رزق‌الله ويقال انهما عملا على قتله . ثم ان لوازم شلندي والذين من حوفهم (خوفهم) نزلوا الى طرابلوس واشتكوا على المقدم داغر انه هو كان سبب قتل اولاد شلندي ، (فطيّب خاطرهم) . وعندما صعد الشوباصي الى بشري بسبب جمع المال امره السنجق بقتل المقدم داغر . وعندما استوفي المال وركب حصانه وهمّ على الرجوع طعن المقدم داغر بالرمح وقتله ولم يكن له في المقدمية الا ثمانية اشهر .

واما المير منصور (فقد) بعث قتل المقدم عساف ابن موسى واعطى حكم الجبة إلى ابو سلهب القريعي ، وكان ذلك بخلاف رضا الشيخ أبو منصور ابن حبيش لئلا يدخل رجل غريب على جبة بشري فحكمه سنة ونصف . ثم ان أبو منصور ابن حبيش علّم لأولاد المقدمين انهم يخاصموا القريعية فقتلوا رجلين من بشري عند العين تحت بقعكفرا ، وقدّمت الشكاية لفزير بسبب القتلاء ، وعلى شور ابو منصور ابن حبيش عزل المير منصور القريعية وولّى على الجبة المقدم مقلد بن الياس وكان ذلك في سنة انعد (اعني سنة ١٥٧٤ م) ، وكان شريكه الشدياق يوسف المسمى خاطر بن الشدياق شاهين من بيت مشروقي الحصروني ، بل ان اهدن كانت تتدبّر من أربع شمامسة بأمر شريف .

وكذلك استعطف خاطره على الشيخ برو من الاسا . فحضّره

لمنده وصرّفه في بلاد جبيل عوض أخوه هاشم (وهنا نصف صفحة شطبها المؤلف بخط أسود عمودي وبها انتهت ص ١١٨ وجهاً) .
يقـول الحبيس سركيس السمراني ان سنة انعز (اي ١٥٧٧ م) كانت السنة الثالثة من حيـاة المطران يونان ، والاسقف يوسف ، والمطران يعقوب ، في كتاب القداس .

٤٧ – المير التنوخي انشأ سراي وبرجا في الشحار ، وزلازل ورجفات في قبرس وتخريب كنائس وضياع كاملة : في سنة تسعماية واربعـة وثمانين (هج التي توافق سنة ١٥٧٦ مسيحية) المير منذر بن سليمان التنوخي أنشأ صرايا وبرجاً شريـف في قرية عبيـه في شحار الغرب .

وفي سنة انعو (اي ١٥٧٦ م الموافقة لعام ٩٨٤ هج) في اربعة وعشرين من كانون الآخر حدثت رجفة عظيمة في جزيرة قبرس كلها . وقعت فيهـا كنيسة مار ميخايل في ساماتو وكنيسة مـار الياس والمأذنة التي على مرت سوفيا في الاقفسية وكنايس وضياع كثيرة غير الكهوف والشقفان . وكان ذلك في نهـار الاثنين بمدة ساعتين لا غـير .

٤٨ – سيامة جرجس البسلوقيتي مطراناً على الشام وسفره قاصداً للبطرك الى روما . فتنة في الدير . ورقة منع . وفاة المطران سركيس . براءة البطرك من التهمة . البابا غريغوريوس والقصاد : في سنة انعز (اي ١٥٧٧ م الموافقة لعام ٩٨٥ هج) سام البطرك ميخايل القس جرجس البسلوقيتي مطران على الشام وسفّره إلى رومية مع الخوري قليموس الهدناني لأجل الطاعة وبطلب درع

التثبيت والرياسة على الكرسي الانطاكي وارسل معهما أيضاً مكاتيب إلى الكردينال كرففا بهذه ، وان يكون حسن نظرهما على كرسي دير قنوبين . ويستكثر خيرهما بما انهما به عليه على يد ورديان القدس وكان ذلك في العاشر من شهر نيسان .

وبعدما سافرا صار أن عرضت فتنة بالدير ، وذلك ان في ايام البطرك موسى قدم الى قنوبين الخوري مارون بن انطون المطوشي وصحبته راهبتان يجانساه وهما الحاجة برباره والحاجة مرتا ، فقدّما للكرسي عن والديها وعن أنفسهما نحو عشرة آلاف قرش ، واخذا السكنة في الدير ، وصار لهما كرامة وعزازة زايدة . فعندما توفي البطرك موسى بادرا حتى صارت اوضته كنيسة ، وبسببها تغرّم الدير وانهانت الرهبان كما ذكرنا سابقاً . والراهبتان كانا قايما (كانتا قائمتين) في خدمة الاخوة ، ولكن طلبا الحكم فيهم وفي الاجراء ، فنصحهما البطرك دفوع شتّى ، واذ لم يعتبرا ، امر بعزلهما من قنوبين ، فعرض من ذلك فتنة غير يسيرة . فان الخوري مارون اخذ الراهبتين الى دير حوقـــا وخرج معهما ايضاً القس يعقوب ابن حويص الحقلاني والاسقف داوود الذي كان الثاني بعد البطرك بقنوبين . وعندما استقروا بحوقا سام الاسقف داوود (انتهت ص ١١٨ قفـا) لرفيقه القس يعقوب أسقفاً . وهذا ليكيد البطرك اتفق مع رهبان مار انطانيوس وبافتراء زايد قسم (اي رسم او سام) الحبيس يونان واخاه القس يوسف اولاد جلوان من ممر جبيل اساقفة من غير علم البطرك وقسموا ايضاً كهنة" وشمامسة . فلمـا بلغ ذلك الى مسامع البطرك ارسل لهم ورقة منع وارسل فيها ايضاً المكاتيب الى البابا غريغوريوس الثالث عشر في السابع عشر من شهر ايلول . وامـــا اولاد جلوان عندما وصلت اليهم ورقة المنع خرجوا من الدير بأمر الحاكم . فيونان حملوه في النعش على الفراديس لعنـــد القس يعقوب

عصاص السمراني من بيت الرز الذي استحبس في دير مار سمعان ، واما اخوه يوسف سار إلى قريته معمر جبيل ، والحبيس سركيس صعد الى عنتورين . وبعـد ثلاثة اشهر نزل المقدم مقلد والشدياق خاطر واعيان البلاد (لعند البطرك) تشفعوا بهم حتى اذن لهم البطرك بالعودة وباركهم واعطاهم عشر رهبان وبقر ومعاز ومغل وغير ذلك لأجل بنيان الدير ولازالة الفتن والشكوك ، وأمر البطرك برضا اهل الناحية ان الحبسة تكون بذاتها ، والدير بذاته ، ولا احـد يلتزم بطاعة الآخر وحرّروا لكل دير تخوم ، وتعمّر الموضعان بفرح كل أحد (منهم) .

وفي هذه السنة انمز (اي ١٥٧٧ م) كانت وفاة سركيس اسقف اهدن وله اثنتا عشر سنة في الرياسة ، وكان ذا غيرة على بنيان الكنايس والاديرة . وتخلف بعده الاسقف يوحنا ابن عبيد ، وكان حسن العبادة وله اليد الطولى في قلم النسخ ، ومعـه قبل السيامي الاسقف يوسف على مدينة بيروت .

واما الاسقف جرجس والخوري قليموس عندما بلغـــا لرومية وعرضا المكاتيب على غريغوريوس البابا وعلى الكردينال كارففا واخبراهما في حال البطرك وساير الطايفة ، ترحّبا بهما وارسل البابا مكتوب بركة الى البطرك ميخايل وساير الرعية وثبّته على الكرسي الانطاكي بل ان ما ارسل له درع الرياسة ، ويوعظهم بها على احتمال المشقات وعلى الثبات في الايمان ، وان على الثلاث تقديسات لا يزيدوا واصطلبت حلفين[1] ، وان تقديس الميرون يتجدّد في كل عام ، وان رؤساء

١) التي معناها « يا من صلبت لاجلنا » مترجمة عن السريانية ، لأن هذه التقديسات يمكن توجيهها امـــا الى الابن وعندئـذ تزاد عليها هذه العبارة ، واما توجّه الى الثالوث الاقدس ، وعندئذ لا تزاد قطعاً كما هو معروف لدى الغربيين والشرقيين معاً ، وعندنا نحن الموارنة بالخصوص .

الكهنة يثبتوا في رعاياهم ، وان لا يشوتفوا (اي يناولوا) الاطفال قبل السبع سنين ، ولا يحللوا في الزيجات الا فوق الاربعة اقانيم .

والبابا غريغوريوس ليختبر جيداً عن امور الطايفة ورؤساها وعن امانتهم وسلوكهم ، امر لرئيس شركة الايسوعية بأنه يرسل كاهنين مع القصاد يكونوا ذوي تقوى وعلم ومعرفة اللغة العربية . وصار الاعتماد على ارسال البادري جوان باطشتا اليان والبادري توما برون ، وارسل معهما البابا غريغوريوس للبطرك عـــدة كاملة لأجل تقديس الاسرار ، وامرهم ينادوا بالغفران الكامل الذي قبل تملك السنـــة نادوا به برومية . وبعد ما تودعوا من قدسه ، دخلوا لجبل لبنان في مدخل الربيع . فاقتبلهم البطرك ميخايل بكل فرح وعزازة . وبعدما فحص البادري اليـــان صفوة (انتخاب) البطرك وحسن أمانته ، خرج الى زيارة الرعية ولم يزل بمدة سنة يختبر عن رتبهم ويتأمل تدابيرهم ويفحص كتبهم ، ثم اخذ معه ولدين لرومية ليتأدبوا بالعلوم . وفي ٢٥ من شباط سنة انمط (اي ١٥٧٨ م) تودّع من البطرك ومن روسائها ورجع الى رومية ، واخبر قدس البابا ان طايفة الموارنة ماسكة جداً على الايمان ، ولهـــا محبة صادقة لدى الكرسي الروماني ... وطالبين العلم الاّ أن من مخالطة الامم الغريبة دخل بينهم بعض كتب غير مقبولين ، وبعض عقايد غير ممدوحة ، فان صار لهم معلمـــين ترشدهم تزول من بينهم كل شبهة . فابتهج قدسه (الحبر الاعظم) بهذه التعليمات الصادرة (انتهت هنا ص ١١٩ وجهاً) ، وبارك على الولدين الذين دخلوا للعـلم ورسم بنزولهم في موضع (مخصّص) لبين مـا يكثر عدد التلاميذ . وفي سنة انمط (اي ١٥٧٩م) عندما دقّق وتحقّق عن صحة أمانة البطرك وطايفته ، ارسل له درع الرياسة ومكاتيب التثبيت مع البادري جوان باطشتا اليان ومع القس جوان برونا من شركة الأيسوعية .

٤٩ – الطاعون والغلاء وعزل منصور بن عساف . وتعيين طرابلس باشاوية وعليها يوسف سيفا لتدبيرها . وهرب المقدم مقلد الى الشوف وخاطر الى بعلبك . وفاة الامير منصور ابن عساف والحبيس يوسف البسلوقيتي : وفي هذه سنة انمط (اي ١٥٧٩ م الموافقة لعام ٩٨٧ هج) . عرض الطاعون في الديار المصرية والشامية ثم تبعه الغلاء في اعمال طرابلوس ، وقد وصل شنبل القمح الى قن (١٥٠) والحمص الى قم (١٤٠) والدرا الى ق (١٠٠) والشعير الى ف (٨٠) وقلة الزيت الى شم (٣٤٠) .

وفيهـــا (اي السنة) استقرّت مدينة طرابلوس باشاوية وتوّلى تدبيرها يوسف ابن سيفا التركماني ، وذلك بسبب ان المير منصور ابن عساف قتل عبـد الساتر ابن الكريدي شيخ البترون ، وغادر شيخ جبيل ، وامراء بيت الحنش في فتقـا . وأرسل خمساية رجـل الى طرابلوس مع ابو منصور وابو يونس، وقتلوا لابن شعيب في جامع طيلان الذي خارج المدينـة (كما سبق الوصف) . فتقدّمت بـــه الشكايات إلى الباب الاعـلا ، ولتنكسر شوكته خرج الامر بأن طرابلوس تكون بشاوية .

وكانت المنادة على الذين من غرض ابن عساف ، فهرب المقـدم مقلد الى ناحيـة الشوف ، ومات هناك عن صبي وبنت ، وهمـــا جمال الدين يوسف وست البنات . وهرب المقدم خاطر الى بـــلاد بعلبـك . فأرسل يوسف باشا مكاتيب الامان الى الشدياق خاطر واعاده الى حكم جبة بشري ، وجعل ان الشدياق باخوس ابن صادر الحدشيتي يكون شريكه (في الحكم كما ورد في كتاب الغرر الحسان صفحة ٦١٧) .

وفي سنة انف (١٥٨٠ م) كانت وفاة المير منصور ابن عساف وتخلف بعده ولده المير محمد[١] .

٥٠ – وفاة البطرك ميخايل الرزي وانتخاب اخيه سركيس بطريركاً انطاكيا وتسفير قاصد من قبله الى روما القاصد برونو . درع التثبيت . وفاة الشيخ ابو منصور حبيش : وفي سنة انفا (اي عام ١٥٨١ م والتي توافق عام ٩٨٩ هج) في كا (٢١) من شهر ايلول كانت وفاة البطرك مخايل بدير قنوبين ، واتخذ سيرة النسك منذ صباه ، وكان ذا قلم نشيط وخط فايق ، لـيّن الجانب وكثير البرّ ، ثبت في البطريركية ثلاثة عشر سنة ونصف ، احتمل مشقات كثيرة ، وفي رياسته صار فحص بليغ عن ديانة الملة المارونية ورتبهم وتسليماتهم على يد جيرونيموس من فوساتوس ورديان القدس ، وجوان باطشتا اليان الايسوعي ، وانشهر الصدق من الكذب .

وفي يوم تاسعه ، اجتمعت رؤساء الطايفة واعيانها وصيّروا اخاه الاسقف سركيس عوضه (بطريركاً) . وروّس على الحبس يوسف ابن أخيهما موسى . وفي حال ارتقائه للدرجة المقدسة ، سفّر الى رومية الى رمي الطاعة للبابا غريغوريوس يج (الثالث عشر) القس جوان برون من شركة الايسوعي في مكاتيب وهدايا من رؤساء الكهنة واعيـــان الطايفة ، وكان حاضر في الرسامة جوان باطشتا ورفيقه جوان برون . فدخل القاصد لرومية وعرض المكاتيب على قدس البابا (وهنــا انتهت ص ١١٩ قفا) . وفي الرابع عشر من

---

١) وهنا نقرأ ثلاثة اسطر مشطوباً عليها ، وبدلها على الهامش هذا الخبر : « وبقرب هـذا الزمان توفي يوسف البسلوقيتي الذي استحبس عـــار انطانيوس الفراديس . فلوضع سيرتـه الملائكية قسمه البطرك اسقفاً وعندما اكمل حياته بشيخوخة نقية قدم الى زيارته السيد البطريرك واخذ قبره في مغارة القديس مارينا » .

شهر اذار في سنة انفب (اي عام ١٥٨٢ م) امر بأن يعطى التثبيت ودرع الرياسة[1] ، دون الصعوبة وسلطان الحل والربط وان الجميع يكونوا تحت طاعته في الروحاني والجسداني .

وفي سنة انفج (اي ١٥٨٣ م الموافقة لعام ٩٩١ هج) كانت وفاة الشيخ ابو منصور يوسف بن حبيش الذي كان المتكلم قدام المير منصور وولده المير محمد . وكان ذو سطوة وغيرة عظيمة ، وتولى الكوخنة عوضه اخوه الشيخ سليمان (ابو يونس) .

٥١ – سرقة الخزينة السلطانية في عكار وجود الباشا جعفر وابراهيم باشا بالامراء اللبنانيين والحبيشيين والدروز . الامير فخرالدين واخوه الامير يونس والامير سيفالدين . المدرسة المارونية:
في سنة انفه (اي عام ١٥٨٥م) وثب قوم ارديا على خزنة السلطان وهي سايرة الى اسطنبول فنهبوها ، في جون عكار ، لموضع ذلك خرج الأمر بأن جعفر باشا الطواشي يجمع العساكر من سواحل البحر ، من صيدا لحمص ، على يوسف باشا ابن سيفا . فحرقوا بلاد عكار . فعظمت به المشتكية انه ظلم البلاد الى ابراهيم باشة مصر الذي تولّى الوزارة العظما[2] : « فجمع العساكر من حلب وشام

---

١) وعلى الهامش نقرأ هذه الملاحظة : « وقيل ان في سنة أفصب (اي سنة ٨٩٢هـ الموافقة لعام ١٥٨٣ م) للاسكندر في كط (٢٩) من تشرين الاول نهار الاحد في حكم مورادخان أمروا النصارى (ان) يلبسوا عمائم سود » . ونقرأ على الهامش ايضاً بعد هذه العبارة ما يلي: « بسنة افصو لليونان (اي ١٨٩٦ التي توافق ١٥٨٥ مسيحية) وسنة حصب للهجرة (اي ٨٩٢) في يسط (١٩) ايلول » .

٢) وهنا نجد اربعة اسطر من المتن مشطوبا عليها ونقرأ بدلها على الهامش ما يأتي نصه ثمانية اسطر فقط وهي التالية في المتن ، وانظر حاشية رقم ٤٥ في آخر هذا الكتاب عن المدرسة المارونية في روما .

ومصر وقبرس في مرج عرموش في زمور وطبول وملاعب وسناجق ملوكية حتى ارتعب منه كل بلاد العرب ، وقدّمت الشكايات في الامير محمد بن عساف وفي الدروز واولاد حبيش أنهم شلحوا الخزنة. فبعث طلب الغرماء من الامير قرقماس بن معن ، ومسكوا دروب البحر ، والبقاع على الدروز وقتلوا خلقاً كثير ».

فحضر عليه الامير محمد ابن جمال الدين من عرامون الغرب ، وابن عمه الامير منذر من عبيه ، والامير محمد ابن عساف من اغزير . واما الامير قرقماس (فانه) هرب الى مغارة من بلاد الشوف ، فمات فيها عن ولدين وهما الامير فخر الدين واخوه يونس ، بل حضر عليه (اي الوزير) عقّال الدروز عند عين صوفر ، فباق فيهم وقتل منهم نحو خمساية نفس . واما الامراء الذين اعطاهم الامان وحضروا عليه أخذهم صحبته الى نصف اسطنبول . فقبلهم حضرة السلطان مراد ابن السلطان سليم بحلم وقرّر على امراء الغرب بلادهم ، وعلى ابن عساف آيالة طرابلوس بتمامها دون المدينة ، وعادوا الى مواطنهم بسلامة .

وفي هذه الاحوال ارسل المير سيف الدين التنوخي اخذ الى عنده للشوف اولاد اخته الامير فخرالدين واخوه المير يونس . وعند نهاية الست سنين رجع الامير سيف الدين إلى عبيه في الغرب ، وولّى الامير فخر الدين على الشوف . واما الامير محمد بن عساف عندما عاود من اسطنبول اخذ الى عنده الشيخ ابو قانصوه بن حماده واعطاه حارة في اغزير . والامير محمد عمّر قصيراً في اغزير جاب معه المعلم من اسطنبول ، ويقال انه تكلّف عليه اربعة عشر الف قرش ما عدا الفعالة . وان في الشام ودايرتها ما كان له شبيه . وقنّا (اي جلب له الماء) الماء من نبع المغارة وعمّر بقربه جامع .

وفي هذه السنة البابا غريغوريوس اقام في مدينة رومية المدرسة التي باسم الموارنة وفي تلك السنة مات . ومـا استطاع يماين (أن يعيّن) لهـا علوفة الا من الخرج الذي يخصّ صفرته (مائدته) . ثم تخلف بعده البابا كسوسطوس ، وكان لست (ليس) بانقص جودة ومحبة لدى الكرسي الانطاكي من الذي سلف قبله . فرتّب لهـا مدخول يكفي خمسة عشر نفس . (وعلى الهـامش) : « البطرك رسم الخوري قليموس الهدناني اسقفاً ليكون مساعداً له في قنوبين » . (وهنا تنتهي ص ١٢٠ وجهاً) .

٥٢ – وفاة القس يعقوب عصّاص وما زال جسده محفوظاً :

وفي هـــذا (الوقت) القرب ضجع في الرب القس يعقوب عصّاص السمراني من بيت الزيات . فهذا ترهّب اولاً في دير قزحيا ثم قضا عمره بكافة النسك والقداسة في محبسة مـــار سمعان الفراديس ، وجسده هو الى الآن محفوظ ، وهو جالس في مغارة مار ادنا .

٥٣ – كنيستا مـــار عبدا والملائكية في بكفيا . وفاة اسقف قبرس المطران يوحنـا . مقتل الامير محمد عساف وكان عادلاً . امرأته تزوجت ابن سيفا . اولاد حبيش هربوا الى الشويفات . فتنة بين المشايخ وغلاء : وفي سنة انفز (اي عام ١٥٨٧ م الموافق لعام ٩٩٦ هج) اعتنا الخوري انطون من بيت الجميّل وبنا كنيسة مار عبدا بكفيا وصوّرها على يد الشدياق الياس الحصروني ، وتكلف على بنيانها الف قبرصي غير كلفة أهالي بكفيا وغيرهم من المحسنين . وبعد عمارتها اهتمّ الخوري عيسى من بيت الخرّاط وابتنـا كنيسة الملايكة في القرية المذكورة . والخوري انطون المذكور لموضع تعبه

سامه البطريرك اسقفاً ، ولكن بسبب انه تعظّم بذاته وقصد ان يرفع يد السيد البطريرك من رعية كسروان ربطه ، وفي الثالث يوم مات وهو يح (الثامن عشر) من شهر تشرين الآخر سنـة أنصه (اي ١٥٩٥ م) .

وفي سنة انفح (اي سنة ١٥٨٨ م الموافقة لعام ٩٩٧ هج) انتقل الى رحمة الله في جزيرة قبرس الاسقف يوسف واسام (اي رسم) البطرك عوضه يوحنا ابن اسكيلا المعلم من الخيزفانه .

وفي سنة انص (اي ١٥٩٠ م الموافقة لعام ٩٩٩ هج) الموافقة للتسعماية وتسعة وتسعين للهجرة كان مقتل الامير محمد ابن عساف وذلك انه خرج بعسكر كثيف في عكار بسبب المال الذي تبقا له عنده (ابن سيفا) لمقاتلة ابن سيفا ، فوضعوا له الكمين في البترون والمسيلحة وقتل ولم يخلّف ولداً . وانقرضت فيه دولة بيت عساف . وصار عليه حزناً عظيم لأجل عدله وحسن حكمه ، وطلبوا اهـل اغزير ان الشيخ ابو يونس سليمان ابن حبيش كاخيته يسلّم ابنه ويدخل الى حريمه ورزقه ومرتبته . فتمنّع عن ذلك . عند ذلك الامير يوسف ابن سيفا تزوّج امرأة الامير محمد وتملّك جميع ما لبيت عساف . وقيل (على الهامش) : « انه وجد في خزانة الامير محمد ماية كرة قروش ، لأنه كان يضمن بلاد كسروان في ثلاثة آلاف قرش ، وبيروت بسبعة ، وبلاد طرابلوس بشيء زهيد على موجب التحرير القديم . وعندما قتل ابن عساف ودخل ابن سيفا عـــلى حريمه ، بيت حماده الذين كانوا عند ابن عساف انتقلوا إلى طرابلوس لعند ابن سيفا مع الست التي تزوجها (ابن سيفا) . وامـــا اولاد حبيش (فقبض عليهم ابن سيفا) وقتل منهم الشيخ سليمان والشيخ

منصور والشيخ مهنا ، ونكبوا حاراتهم وهرب الشيخ يونس والشيخ حبيش الى عند الامير محمد محمد بن جمال الدين في الشويفات[1] .

وفي السنة الثالثة مسك لاخو يونس سليمان ولاخو سعد منصور ومهنا اولاد حبيش وعطا (واعطى) النيابة عوضهم للمسلمين . وأما اولادهم فهربوا الى الشويفات والتجوا بالأمير محمد ابن جمال الدين . وفيها (أي السنة) يوسف ابن سيفا فتن بـــين المشايخ بيت حماده والمستراحية الذين كانوا ساكنين في المنيطرة ومتأهلين منهم . فالشيخ قانصوه قتل منهم ناس في طرابلوس وناس في كفرحلدا ، وعندما صعد الى العاقوره بجيش لهلاك ابو جمال الدين سياله ، حكمته (اي قانصوه) رصاصة وقتل ، فأخذوا قبروه في كفتين .

وفي سنة انصا (١٥٩١م) كان الغلاء العظيم في بلاد الشام ووصلت الغرارة إلى ماية قبرصي ومات ناس جوعاً .

٥٤ – وفاة الكردينال كارّفا . وفاة السلطان مراد . وفـــاة الشدياق سركيس . رسامة المطران سركيس وتسفيره قاصداً الى روما . دنديني وقصادته المشهورة والمجمع الطايفي وفاة البطرك :

وفي هذه السنة (اي ١٥٩١ مسيحية) انتقل الى راحـــة الابرار في يج (١٣) من شهر كانون الآخر الكردينال كرّافا الذي اوقف لمدرسة الموارنة رزقه بمبلغ عشرة آلاف سكوت .

وفي سنة ثلاثة والف للهجرة الموافقة لسنة انصد (١٥٩٤ م) في سادس عشر جمادى الآخرة توفي السلطان مراد بن السلطان سليم

١) جاء في اخبار الاعيان ص ٣٤٩ ، ان ابن سباط ذكر مـــدة ولاية الامراء آل عساف على كسروان فقال انها كانت ميئتين واثنتين وثلاثين سنة، وانه قتل في سنة ٩٩٩ ضمن كمين اذ كان سائراً لطرد يوسف باشا بن سيفا في بلاد عكار ، وان الكمين كان في العقبة بين البترون والمسيلحة .

الذي انشى تكية في المدينة المنوّرة ، واوقف لها قرى من قليم مصر تجمع كل عام ثلاثين كيس . وكانت مدة سلطنته عشرون سنة وتسعة اشهر وستة ايام ، وتولى بعده ولده السلطان محمد خان .

وفي سنة (على الهامش) : « انصد (اي ١٥٩٤ م) كانت وفاة الشدياق باخوس بن صادر الحدشيتي الذ ، مع الشدياق خاطر الحصروني كان متولي مشيخة جبة بشري ، وتخلف عوضه ولده الشيخ فرج . وفيها الخوري جبرايل من كرم سدي كان مرؤس على دير حوقا ، فجدّد قبوه الكبير والبركة وبناه ثانياً » .

وفي سنة انصه (اي عام ١٥٩٥ م الموافقة لعام ١٠٠٤ هج) قسم (اي رسم) السيد البطريرك سركيس ليوسف ابن اخيه موسى أسقفاً وارسله سفيراً الى قدس البابا اقليموس (١٥٩٢ – ١٦٠٥) الثامن بسبب امور الطايفة ولكي يهنيه في الدرجة المقدسة . وعند عودته ارسل معه البابا اقليموس قسيسين من شركة الايسوعية وهم جيرونيموس دندينوس وفابيوس برون ليتأملا الفايدة التي تصدر من التلاميذ الذين تأدبوا برومية . وبعدما وصلوا لتقبيل ايادي السيد البطريرك سركيس في اليوم الثامن عشر من شهر أيلول سنة انصو (اي ١٥٩٦ م) عقد بجمع امامهم (هنا انتهت ص ١٢٠ قفا) وقدام موسى اسقف بشري ويوسف اسقف قزحيا والشدياق يوسف خاطر الحصروني والشدياق فرج من قرية حدشيت وجملة كهنة وعلمات (وعلماء) الطايفة . فقرأ عليهم مكتوب البابا قليموس ، وبرهن قدامهم ان اخوه البطرك ميخايل وساير الملة المارونية كانوا أبرياء من التهمات التي لطّخهم بها باطلاً جوان باطشتا اليانو ، وتحقّق ذلك عند البادري دندينوس وحرّره في الكتاب الذي ولّفه عن سفره لجبل لبنان . ثم انه في السابع يوم بعد المجمع تنيّح من شقاء هذا العالم البطرك سركيس ابن

الرز وله خمسة عشر سنة في البطركية ، وفي نهار تاسعه ، تخلّف بعده الاسقف يوسف ابن اخيه موسى الرزي ، وله من العمر ستة واربعين سنة ، وترأس على الحبس سركيس ابن اخيه (وكان قد تلقى العلوم في مدرسة رومية المارونية[1]) .

٥٥ – وقعة نهر الكلب وانتصار فخرالدين . وفاة الاسقف اقليموس الاهدناني ويوحنا اسكيلا . سفر الخوري جرجس الى روما.

وفي سنة الف وسبعة هج الموافقة لسنة انصح (١٥٩٨ م) كانت وقعة نهر الكلب ، وذلك أن صار القتال بين المير فخر الدين ابن معن ويوسف باشا ابن سيفا ، بسبب بلاد كسروان . فكسر المير فخرالدين لابن سيفا وقتل ابن اخيه المير عليّ وتشتّت جيشه ، وتولى حكم بيروت وكسروان . فحكمهم سنةً واحدة ثم تركهم في الصلح لابن سيفا وسار إلى الشوف[2] .

وفيها (اي السنة) توفي الاسقف قليموس الهدناني الذي كان ذا رأي محترم وارسل دفوع شتّى سفيراً الى رومية الكبرى . وفيها ايضاً توفي يوحنا ابن اسكيلا اسقف الافقسية وتخلف بعده موسى العنيسي مطران من العاقوره الذي تربّى في العلوم برومية . وفيها سفّر البطريرك الى رومية الخوري جرجس ابن يونان من قرية إيليج والشماس يوسف اليان الحلبي بسبب الطاعة ، وفي كز (٢٧) من ايار سنة انصط (أي عام ١٥٩٩م) ارسل له البابا قليموس الثامن (درع) التثبيت مع درع الرياسة مع المذكورين .

---

١) طالع حاشية رقم ٣٢ في آخر هذا الكتاب عن هذا المجمع الطائفي الذي نشرنا كتاباً خاصاً عنه ، سمّيناه «علاقات الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي المقدس» . طبع سنة ١٩٦١ بجونيه ، كسروان .

٢) وجاء في تاريخ الدويهي المطبوع ان شرب الدخان انتشر في الامصار الشامية والمصرية في هذا الايام .

الفصل الثاني عشر

في حوادث واخبار الجيل السابع عشر

١ – تجديد الفتنة بين الحبسة ودير قزحيا بسبب وقف العربة. سيامة المطران سركيس على الشام. والخوري عميره مطراناً على اهدن. والقس موسى على دير مار اليشع. والقس ميخايل على دير مارت موره. ومطران على العاقورة. فخر الدين يتسلم صيدا. مقتل مقدمي جاج في ايام الحصاد: في سنة اس (اي الف وستماية مسيحية الموافقة لعام ١٠٠٩ هج) تجدّدت الفتنة بين الحبس ورهبان دير قوزحيا بسبب وقف العربة والخربان. ورسم البطرك بان اولاد جلوان يخرجوا من الدير فانتقلوا. ورسم البطرك يوسف (الرزي) لابن اخيه الحبيس سركيس مطراناً على الشام، وجرجس ابن عميرا الهدناني أسقفاً، واخذ السكنة بدير مار يعقوب الحباش، وكانا اثنينهما من تلاميذ مدرسة رومية، وارتسم موسى العرجزاني اسقفاً على دير مار اليشع بشري، وكذلك ارتسم ميخايل من بيت عبيد الهدناني اسقفاً واخذ السكنة بدير مرتي مورا باهدن. وفي السنة التي بعدها، في عشرين من تشرين الثاني، ارتسم بطرس ابن الخوري

سابا العاقوري من بيت حليب ، ارتسم اسقفاً على العاقورة بعد وفاة اسقفها المطران موسى . وفيها (السنة) القس حنا العاقوري انتقل من حبس قوزحيا إلى مار سمعان الفراديس .

وفي سنة الف وتسعة للهجرة (الموافقة لعام الف وستماية مسيحية) جاء باشا الشام في البحر وطلع لمدينة صيدا ، فواجهه الامير فخرالدين وقدّم له التقادم والذخاير ، فطيّب خاطره وكتب عليه آيالة صيدا واقاليمها ، ومكن الامير في صيدا ، فحسدوه بيت سودون حكّام بلاد بشاره وقرايبهم بيت ظريفة القاطنين في قلعة بانياس ، فزحفوا على بلاد صيدا بنحو الفين رجال ونزلوا عند النهر الزهراني ، فخرج اليهم الامير فخر الدين بخمسماية رجال ، فوقعوا في المانة خيال التي كانوا قد بعثوها لينهبوا سايقة صيدا فكسروهم ، ثم اجتمعت عليه الرجال وكسروا جماعة الامير .

وفيها نزل الحاج يوسف وأبو قانصوه اولاد حماده الى عند ابن سيفا فقبلهم واوصاهم الى هناك مقدمين جاج بسبب انهم كانوا من حوق (جوقة) الامير فخر الدين فأخذوا مكاتيب ابن سيفا وساروا لعندهم بطلب زيجة حتى يزوجوا اخوهم ، وكان ذلك في ايام الحصاد ، فقتلوهم اربعتهم وغنموا بأموالهم وأرزاقهم وصاروا مشايخ في بلاد جبيل .

٢ – الحرافشة في جبة بشري ، والسكانية في بعلبك ، كنيسة مارونية في بعلبك . اليد اليابسة . حرق ابن سيفا بلاد الحدث وحاصر القلعة ؛ وفي سنة اسب (اي ١٦٠٢ الف توافق سنة ١٠١١ هجرية) في اول جمعـــة من شهر حزيران أتى الامير موسى ابن حرفوش مع جملة ناس من جماعته وكبسوا جبة بشري واخذوا سايقتها

ونهبوا جميع ما قدروا ، لأن اهلها كان غالبهم في الساحل في حلالة القز . وبعد شهر بلغ ذلك يوسف باشا ، فجمع سفهانيته (او بالأحرى سكانيته) واهل الناحية (وهم) نوف عن خمسة آلاف نفس فكسبوا مدينة بعلبك في يوم عيد مولد مار يوحنا المعمدان ، فنهبوا المدينة وقتلوا ولم يعفوا عن شرّ وهرب اهلها الى الشام ، والتجا شلهوب ابن نبعا مع جماعة من بيت الحرفوش في قلعة بعلبك ، وكان معه من اهل البلاد ما ينوف عن الف رجل غير النساء والاولاد .

(وعلى الهامش نقرأ ما يلي) : « وكان لطايفة الموارنة في بعلبك كنيسة صغيرة باسم السيدة ، وكانت من الكنايس القدماء ، وكان خادمها الشدياق ميخايل بن الياس بن الشدياق . فلما الامير حاصر القلعة ، نقضوا خشب الكنيسة وجعلوه على حايط القلعة حتى قدروا المعلمين ينقبوا القلعة » .

فحرق ابن سيفا بلاد الحدث وحاصر القلعة مدة خمسين يوم ثم ملكها ، وقتل لابو رعد ابن نبعا ولابن فاطمة ، وبعد ذلك نادا في الامان . (وعلى الهامش) : « وأما يوسف باشا (فقد) اجتهد على قتل الشيخ رعد بن نبعا من طبشار بسبب انه كان مع الامير فخرالدين في وقعة نهر الكلب وقتل الامير علي الذي كان ابن أخوه».

وعندما كبس الامير موسى جبة بشري حدث امر عجيب وهو ان اثنان من جماعته دخلوا الى كنيسة دير راس النهر وضرب واحد منهم صورة السيدة بخنجره ، وبقوة الله عندما خرج من الدير يبست يده ، وفي تلك الليلة هلك ومات .

٣ – سيامة الاسقفين يوحنا مخلوف ويوحنا الحصروني الحوشبي.

وفاة السلطان محمد مراد . هزة ارضية . صلح بين سيفا وجنبلاط ، وقعة جونيه بين فخر الدين ويوسف باشا الطرابلسي : في سنة اسج (اي عام ١٦٠٣ م الموافق لعام ١٠١٢ هج) ارتسم الاسقف يوحنا ابن مخلوف الهدناني وقام في قنوبين مع خاله خوري عبدالله . وفيها رسم السيد البطريرك ليوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي اسقفاً في قنوبين ، وكان من تلاميذ رومية (وهنا تنتهي ص ١٢١ قنفا) وارسله سفيراً إلى البابا بولس الخامس (١٦٠٥ — ١٦٢١) لأجل مصالح الطايفة .

وفي هذه السنة التي توافق لسنة اثنتا عشر والف للهجرة في يب (١٢) رجب ، توفا السلطان محمد ابن مرادخان ، وكانت مدة سلطنته تسع سنوات وخمسة عشر يوماً ، ثم توّلا السلطان احمد خان ولده . وفي سنة الف وستماية واربعة في الثاني يوم من شهر اذار كانت الهزة (الارضية) .

وفي سنة أربعة عشر والف للهجرة صار الصلح بين يوسف ابن سيفا بكلربكي طرابلوس وبين علي باشا ابن جنبلاط الذين تسمّوا تفكجية .

وفيها (اي السنة) كان الوقعة بين الامير فخر الدين وبين يوسف باشا عند جونيه ، وكانت الهزية على ابن سيفا ، وحكم البلاد الامير فخر الدين (حاكم الشوف) حتى جاه الحافظ . وكان الحاكم من قبله في اغزير الشيخ يوسف ابن الاسلاماني ، (كما في الغرر الحسان صفحة ٦٢٤) .

٤ — تغيير حساب الصوم والاعياد . وفاة المطران بطرس

حليب ودفن في مار جرجس بيروت ؛ وفي سنة اسو[1] (التي هي ١٦٠٦ الموافقة لسنة ١٠١٥ هج) ، عاود الاسقف حنا الحصروني من رومية إلى لبنان . وفيها (= السنة) صار تغيير حساب الصوم الكبير على نوع كنيسة رومية ، وعيّدوا جماعتنا في طرابلوس وفي الجبة وجبيل والبطرون عيد الرسل مع الفرنج نهار الخميس ، قبل طوايف الشرق بعشرة ايام . ثم درج هـذا الحساب في ساير الـبر والمدن ما خـلا الذين في جزيرة قبرس ، فأذن لهم البطرك حفظ الحساب العتيق بسبب أنهم في بلاه غريبة .

وفيها (اي السنة المذكورة) انتقل إلى رحمة الله الاسقف بطرس العاقوري في قرية العبادية ونقلوا جسده الى مـار جرجس بيروت ودفنوه على الاسقف حمّص البيروتي من بيت مصيصن ، وكان أصله من جربتا البطرون . وكان الاسقف بطرس حسن الغيرة وكثير العبادة ونسخ جملة كتب سريانية ، وصنّف مدايح كثيرة على لحو العرب .

٥ — نكث الصلح بين جنبلاط وسيفا والاتفاق مع فخر الدين . حروب شديدة . وخاصة مع الوزير مراد باشا الذي ارسل القشلق الى البلدان فخرّبها ونهبها وقتل سكانها ؛ في سنة يو (١٦) والف للهجرة التي توافق لسنة الف وستماية وسبعة نكث علي باشا جنبلاط نكث الصلح مع ابن سيفا واتفق مع الامير فخر الدين (المعني) وجرت حروباً شديدة بينه وبـين ابن سيفا . ثم ان ابن جنبلاط خرج عن طاعـة السلطان واخذ مدينة حلب . فتوجّهت عليـه العساكر العثمانية من اسطنبول بمحافظة مراد باشا الوزير ، وقبل ان يبلغوا الى ارض حلب خرج ابن جنبلاط الى لقاهم مسافة بعيدة ،

---

١) انظر حاشية رقم ٤٦ في آخر هذا الكتاب عن الحساب الجديد .

وكانت الكسيرة على ابن جانبلاط . فعاود لوقته الى حلب ، فحصّن القلعة من المياه وآلات القتال وجعل بها اسبابه واعياله وعساكره ، وولّى عليها اطلي طالمش بلك باشي ، وامره يتحفظ بها لمدة ثلاث شهور (وهنا تنتهي ص ١٢٢ وجهاً) لبينا يكون اتاه بالنجدة من الشاه سلطان العجم .

وفي حال خروجه من ارض حلب وصل اليها مراد باشا الوزير ، ومعه احمـــد باشا حافظ دمشق ، ويوسف باشا ابن سيفا بكربكي طرابلوس الذي كان سردار العساكر . فشدّ الحصار على المدينة وافتتحها ثم رتّب المنجنيقات على القلعة ، وكاتب اطــــلي طالمش حافظها واوعده في اعطاه سنجقية ، واوعد الآخرين بخيرات كثيرة فتطمّنوا وسلّموه القلعة . ثم قبض عليهم وقتلهم عن آخرهم . واما اعيال ابن جانبلاط وجواره باعهم بيد الدلال كالدواب ، وأبيعت والدة علي باشا بيد الدلال بثلاثين قرش . ثم صارت المنادة الى كل جنس السكانية . وكان عـدد عسكر ابن جانبلاط نحو من ثمانين الف نفر قتلوا في مواضع مختلفة وأتوا برؤوسهم الى عنــد الوزير ، ولم يخلص منهم الا القليل . لأن كل رجل واحد يقتل عشرة منهم حتى ذات ليلة مرّوا على فلاّح خمسة عشر سكاني هاربين ، فمسكهم وحده ، وفي المسّاس شلّحهم بندقهم وسلاحاتهم ، طالبين منه السترة وكتم الخبر . وعندما استقرّ الوزير على حلب وبلادها ومهّد امورها ، خدمه جميع العرب . وامــا الامير فخر الدين بسبب انه كان من حزب ابن جانبلاط وكان معه في ارض عراد عندما كسر العساكر الشامية حنق عليه الوزير . لموضع ذلـك وجّه الى عنده في شهر رمضان ابنه الامير علي وله من العمر نحو تسع سنين ، ودفع له في دفعتين ثلاثماية الـــف قرش لاستعطاف خاطره . فعفى الوزير عنه وانعم على ولده بسنجقية صيدا وبيروت واغزير .

وفيها صار القشلق وتفرّقت عساكر السلطان على البلدان من حلب إلى بلاد الشوف ، وكان ضيقاً عظيم على العباد حتى وصل شنبل القمح الى ست قبارسة ، اعني اربع قروش . وشنبل الشعير للقرشين . ومن شدة الضيق ، هجّت الناس ، لأن كان له كل يوم على كل ضيعة عشر قروش . وتكالف دير قنوبين مع دير قزحيا وحوقا نحو ثلاثة آلاف قرش خرج غير التبن والنبيذ ، لأن كان عليهم كل يوم نحو اربعماية قرش . حتى دخل ابن اللقّاس وكرم الطورزاني البيروتي إلى عند يوسف باشا وتكفلوا له ببيت القاضي في القشلق ، حينئذ انعزل عنهم وعاود الى طرابلوس . وأما القشلق فقد دام خمسة اشهر في البلدان ، ثم بعث الوزير أخذه الى حلب[1] .

٦ – قلعة زغرتا . كنيسة السيدة . تجديد القبو . القس يوحنا الشدراوي : وفي سنة اسز (اي ١٦٠٧ مسيحية الموافقة لعام ١٠١٦ هج) ، عندما سلخت قلعة زغرتا التي في زاوية طرابلوس ووقعت كنيسة السيدة وانسلخ القبو في القبلي التي كانت مقببة عليه ، اعتنى الاسقف جرجس ابن عميره وكلّس القبو الارضي ، وشيّد صوره (سوره) وكرّسه باسم السيدة . وفي هذه السنة انتدب إلى رياسة الكهنوت يوحنا الشدراوي .

٧ – وفاة البطرك يوسف الرزي . تغيير العوايد المارونية القديمة ، وامر البابا بالرجوع الى الاصل ، تأخير الانتخاب بعلة وفاة المطران ابراهيم . حرم الشدياق خاطر وتحويل الحرم على الصخرة : وفي سنة اسح (أي سنة الف وستماية وثمان مسيحية

---

١) وجاء في تاريخ الدويهي المطبوع ، « ان بلاد البترون خربت كلها مثل حوب وبلما ورام وتولا ، وترك الاسقف يونان السمراني والخوري عطيه تركا دير ميفوق وهربا وقد سلب القشلق كل ما وجد فيه » . (وهنا انتهت ص ١٢٢ قفا) .

الموافقة لعام ١٠١٧ هج) في شهر آب توفا البطرك يوسف ابن الرزي وله في البطريركية احده عشر سنة وشهر ، وكانوا يعضدونه رؤساء الكهنة ابراهيم من قرية موسى ، وجرجس البسلوقيتي ويوحنا الهدناني . كان له دالة عظيمة على يوسف باشا وكان يكرّمه ويعزّه . واعطاه ستة آلاف قرش حتى جرى في بلاد الشرق الحساب الجديد ، وحق المعروفين بالبياضية الذين كانوا يلعبوا بالدينين وتظاهروا بالنصرانية من غير خوف ولا محاكمة . وعندما حسام الدين اليموتي ، وكان من جملة خدام الباشا ، قصد انه يثغر حدود الكنيسة ويتزوّج بامرأة التي لم تحلّ له في الناموس طعنه في الحرم ، وبقرب مغارة مارينا نزلت عليه النار من السماء وجعلته تلة رماد . أقام الجسر بين النهرين في وادي قنوبين . عمّر دير مار دوميط بأرض داريا ، وخرج دراهم كثيرة في عمار دير الكرمي . ولكن كان[1] كله واحدة وهي انه كان يحب التغيير ، فحلّل أكل اللحم لرؤساء الكهنة ، وأكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين ، رفع جمعة نينوى ، قصّر قطاعة الرسل التي تسبق عيد الميلاد وغيرهم حتى يدخل عوايد الكنيسة الرومانية .

فلكن البابا بولص الخامس ارسل مكتوب الى البطرك يوحنا الذي تخلف بعده بتبطيل هذه الامور كلها وذلك بتحرير سنة امي (أي الف وستماية وعشرة) في السادس من آذار ، والقس نصرالله شلق العاقوري الذي كان يدبّر مدرسة راوتنا صنّف كتاب ضد هـذه التغيرات بسبب أن بيعة الله لم تأذن بتبطيل ولا بتبديل العوايد الممدوحة التي اتصلت الينا من الآباء الاطهار . وفي نهار تاسعه ، انتقل إلى رحمة الله الاسقف ابراهيم من قرية موسى الذي

١) هنا ناقص بعض كلمات قليلة فرجعنا الى الكتاب المطبوع فقرأناها كما يلي : « ومن شدة غيرته حتى تتحد طائفته مع الكنيسة الرومانية حلل اكل اللحم ... »

كان ساكناً بدير قنوبين ، ومـــا أمكن ان في ذلك اليوم ينسام البطريرك الجديـد على موجب العادة التي جرت منذ الزمان القديم بسبب المظـالم التي صارت في توزيع القشلاق . فتأخرت الى الشهر التاسع . وفي شهر حزيران من شهور سنـة اسط (اي ١٦٠٩ م) صُيِّر بطريرك الاسقف يوحنا ابن مخلوف برضا واختيار كل الرعية . فأرسل الى روميـة القس جرجس ابن مارون الهدناني في مكاتيب الطايفة لأجـــل العرف والعادة . ولكن بسبب كثرة الخساير التي صارت عـــلى الكرسي من يوسف (وهنا تنتهي ص ١٢٣ وجهاً) باشا ومن الشدياق خاطر اضطر انه يتوجّه الى ناحية بـلد الشوف ليكن تحت حماية حضرة الامير فخر الدين ابن معن .

وعندما كان سايراً في ارض بريسات جثّ (جثا) على ركبتيه وكشف هامته وحرم على دفعتين الشدياق خاطر ، لأنه كان سبب خروجه من مستقره (بقنوبين) فارتما عليه اهل الناحية ان لا يعامل الجاهل بجهله . عند ذلك حوّل الحرم على قلعة كبيرة فوق الحدث فانشقت لساعتها وإلى هـذا الآن تعرف بالقلعة المحرومة . وعندما حضر على الامير فخر الدين قبله بكل كرامة ، وصدف ان في ذلك الزمان انفتنوا المسلمين سكانـة قرية مجدل معوش في بعضهم بعض ، وكثر بينهم القتال والقتلى حتى انهم اتفقوا على بيع القرية والخروج منها . فاشتراها منهم ودفعها الامير للنصاره . فنزل فيها البطرك وعمّر له فيها داراً وكنيسة وسكّن بهـا جماعته ومنها توجّه الى زيارة القدس الشريف[1] .

١) ونقرأ في احدى نسخ التواريخ الدويهية المعروفة بالمسودة ص ٢٧٠ هذه العبارة عن عودة البطرك من القدس ، وهي : « وعند رجعته من القـدس الى جبل لبنان بارك قدسه المطارين الذين بيت الرزي كانوا حرموهم ، فأخرجهم من دير مار انطونيوس واذن لهم بالرجوع وعمارة الدير » . طالع حاشية رقم ٣٣ في آخر هـذا الكتاب عن التغييرات والوكيل البطريركي للروم الكاثوليك .

٨ – مكاتيب ومراسيم البابا بولس الى السيد البطريرك وسيامة الاسقف يوسف بشاره : في سنة امي (اي الف وستماية وعشرة مسيحية الموافقة لسنة ١٠١٩ هج) رجع القس جرجس من رومية الكبرى ومعه مكاتيب التثبيت ودرع الرياسة بتحرير ثمانية من شهر آذار ، ومكتوب البركة الى الرعية ، ومكتوب في بطلان السنن التي وضعها البطرك يوسف الرزي الذي سلف قدامه . وان العوايد تعاد الى مـا كانت اولاً . وفيه يضم حرم قاطع وحكومات كنايسية على كل من يمنع روساء الكهنة عن استعمال سلطانهم ، وعلى كل من يعترض لهم ام يتحمّل عليهم في المقتدرين ، ويوصّي البطرك (ان) يبادر بارتفاع الاهانة التي تصير للكهنة في طلب المال .

وفيهـا انسام الاسقف يوسف ابن بشاره من بيت السوق الذي كان ابن اخ الاسقف قليموس الهدناني . (وبعد هـذا الكلام خمسة اسطر مشطوب عليها ، وبها تنتهي ص ١٢٣ قفا) .

٩ – نصّوح باشا الوزير ومشاكله مـع الامير فخر الدين . حافظ احمد باشا والفتن التي حرّكها في لبنان . معارضة فخر الدين له وسفره الى بـلاد ايطاليا . مقتل نصوح والحرب في لبنان وانتصار فخر الدين : في سنة واحـد وعشرين والف للهجرة التي بدؤها في سنة اسيا (اي ١٦١١ م) بعد وفاة مراد باشا ، اخـذ الوزرة (أعني الوزارة) العظما نصّوح باشا ، توجّه الى ديار بكر وقدّمت اليـه بالخدم والعطايا ساير الامراء والمقدمين ، وارسل اليه الامير فخر الدين الخدم مع كاتخدا مصطفا قدرها كه (٢٥) الف خـلا عن الخيل والاقمشة . فقبلها الباشا وأرسل له الخلع (كلام مشطوب : واحكام سلطانية انـه يكون متولّى على المقاطع التي معه) ، ولكن ما اظهر له البشاشة المعهودة .

وحين قدم الى مدينة حلب أرسل يطلب منه خدمة" الى حضرة السلطان . فأرسل له الامير فخر الدين كه (٢٥) الف غير الاوله لاستعطاف خاطره ، وخمسين الف لحضرة السلطان ، وخمسة آلاف لعلي شاويش . وتغيّر خاطر نصوح باشا على الامير بسبب انـــه عضد لابن حرفوش ولابن الشهاب عندما احمد باشا ابن حافظ دمشق طلب القبضة عليها . وثانياً بسبب انـــه انقص خدمته عن التي ارسلها لمراد باشا مع ولده الامير عليّ .

وفي سنة كب والف (أي ١٠٢٢ هج الموافقة لسنة ١٦١٣ م) عاد نصّوح باشا الى الباب الاعلى وسار معه كاتخدا مصطفى مــع خدمة الامير فخر الدين .

وفيها (السنة المذكورة) قدم من حلب إلى دمشق حافظ احمد باشا وصار يحرّك الفتن في الامير حمدان ابن قانصوه عن سنجقية عجلون ونابلوس ، واعطاها الى فرّوخ بك الذي جاء معه . وعزل عمر شيخ عرب المفارجة من بـلاد حوران واعطا مشيختها لرشيد شيخ عرب السردية . فاستنجد الامير حمدان والشيخ عمر بابن معن ليردّهمـــا الى بلدانها . فلبثا عنده مدة شهر منتظرين الجواب من كاتخدا مصطفا . ثم جهّز معها ولده الامير علي مع أوفر من ثلاثة آلاف خيّال ، فغزوا بـلاد الغرب وحوران وتواقعوا مع عساكر الشوام ومــع الشيخ ناصر الفحيلي ، فظفروا بهم وغنموا اموالهم ودوابهم واستمرّ الامير حمدان في عجلون ، والشيخ عمر في حوران وعاد الامير عـلي الى عند اخيه . بسبب ذلـــك وردت عروض وعاضر من جماعة حافظ احمد الى الباب الاعلا بأن الامير فخر الدين غزا بلاد حوران والجولان ، وانه حاصر مدينة دمشق .

فعيّن السلطان اربعة عشر بكلربكي من ديار بكر ، واناطولية ،

وقرمان والرها ودرابزون وملاطية وحلب وطرابلوس والشام وغيرهم . وخمسين سنجق مع عساكرهم ، وجهّز من انكشارية اسطنبول الفين رجل وان نصّوح باشا يكون وزيراً وحافظاً عليهم . فلما وصلوا الى دمشق وقرّت الامور ، توجّه الامير يونس ابن الحرفوش والامير احمد ابن شهاب والامير علي حافظ وادي التيم الى مقابلة الوزير . واما الامير فخر الدين راد يدخل البرية ولا يقاتل عساكر السلطان فلم تتركه العربان . ثم انه حصّن قلعة شقيف ارنون وقلعة بانياس الصبيبة ومغارة نيحا المسمّي شقيف طيرون ، وكفاهم من المياه وآلات الحرب ، وجعل فيهم أعياله واثقاله ، وولّى حسين الياصجي حصن بانياس ، وحسين الطويل حصن الشقيف ، وأما ابنه الامير عليّ فسلّمه للشيخ عمر الذي (كان) استرجع له مشيخة حوران واعطاه اربعماية سياني (سيكاني) بعلوفتهم ليحفظوه في صدر البرية . وكان الشيخ عمر رجلاً شجيع يدعا بالناقه ، وكانت له ولسلفايه منذ الزمان القديم رماية على الحاج اثنا عشر الف قرش .

ثم جمع (الامير فخر الدين) أخاه المير يونس والست الوالدة ومشايخ الشوف وبيت الخازن وأوصاهم ان يكونوا مشداً واحد ويصونوا بلادهم من يد الترك ، ولا يصدقوا عهودهم ابداً لئلا يجري بهم كما صار في جماعة ابن جان بلاط . ثم انه استكرى غليونين فرنج جعل بهم تحف واموال جزيلة ، ودخل في البحر على خيرة الله لعشرة خلت من شهر محرّم قاصداً بلاد الكران دوقا[1] ، فنزل في برّ مدينة ليفورنه واستقبله حضرة الامير ووالدته بكافة العزازة

---

١) C'est le Grand Duc de Toscane, طالع تاريخ فخر الدين المعني للصفدي الذي حقّقه وطبعه العالمان رستم وفؤاد افرام البستاني ، ص١٩٠ حيث يقولان ان فخر الدين سافر من صيدا الى ايطاليا سنة ١٠٢٢ الموافقة لعام ١٦١٣ م .

وأخلى لهم صرايا كبيرة ، ورتّب له علوفة سنوية كل سنة الفين سكوت ، (وكان) كل اسكوت بقرش وربع .

وأما حافظ احمد (فقد) جمع نحو ماية الف رجل من سيانية ودروز وعربان ، زحف بهم من دمشق الى بلاد الشوف ، وضع الحصار على قلعة الشقيف وحصن بانياس ، وولى حسين باشا بن سيفا مدينة بيروت ، والشيخ مظفر رأس اليمنية بلاد الشوف ، وابن البستنجي مدينة صيدا . وبعدما طالت مدة الحصار نحو خمسين يوم من غير افادة امرهم ان يركبوا على البلاد من كل جهة وينهبوا ويقتلوا ويحرقوا مهما وجدوا . فلما بلغ ذلك الامير يونس ، جمع مشايخ البلاد في دير القمر ، وكاتب الوزير لأجل الامن . فأجابهم على ذلك وامرهم ان يوجّهوا اليه عقال الشوف وعلماءهم مع الست والدة الامير ليتكلفوا له بالذي يصير عليه القرار . فحضروا عليه وصار الوفق على ماية الف قرش فضية . ثم اخذهم معه الى دمشق لبينما يورد اليه المبلغ المذكور .

فأرسلوا له المبلغ الذي صار عليه القرار كله ما خلا عشرين الف يقال ان اخذها الشيخ احمد ابن العكس من دروز كورة حلب الذي كان على يده كان يورد المال وهرب بها الى بلاده ، (وهنا انتهت ص ١٢٤ قفا) وبسبب كسر المال صار ان حافظ احمد باشا (جدّد الركبة) وسار الى البقاع مرة ثانية وكاتب الى جميع امراء بلاد الشام وجيرانهم (أن) يجتمعوا لعنده لكي يجدّدوا الركبة . وعندما صار ذلك ، قصدوا الشوافنة بلاد صيدا ، والبعض وادي التيم ، والبعض وادي بسره من قدام العسكر ، ودخل الامير يونس مع اربعماية من اجاويد الشوف إلى حصن بانياس . فأرسل الوزير جماعةً من العسكر وغزوا وادي بسره . فتشدّدوا عليهم الشوافنة

وقتلوا منهم نحو سمائة رجـل . فلما بلغ ذلك الوزير ، جهّز اليهم نحو ثمانية الف فشتتوا شملهم وقتلوا واسروا الذين لحقوهم . ثم أمر الوزير بحرق البلاد .

وعندما ثبتوا اربعة ايام ينهبوا ويقطعوا ويحرقوا فيـه ، وصل الخبر ان نصوح باشا الذي كان الوزير الاعظم قُتل ، تفزّع الحافظ وسرّح اولاد العرب وعاد الى دمشق . ومن هناك ارسل الناس الى مقاتلة الشيخ عمر الناقه . فتقوّا عليهم فقتل البعض وهزم البعض ، الا ان ولده انطمن برصاصة وقتل . ثم ان الحافظ ارسل مكاتيب الى الشيخ عمر حتى يسلّمه الامير عليّ ابن الامير فخر الدين ، وإلى حسين الطويـل حتى يسلّمه حصن الشقيف ويوعدهما بعطايا جزيلة وبسنجقية سرمدية . فما دخلت عليهم مواعيده ولا قبلوا مراسيله .

١٠ – وفـاة الشيخ قرقماس الخازن ، وسفر الشيخ ابو رحال خاطر الى ايطاليا لاعلام فخر الدين بأحوال البلاد : وفي هـــذه السنة كانت وفاة الشيخ ابو قرقماس عون ابن الخازن ، وفيها اخوه الشيخ ابو رحّال خاطر دخل في مكاتيب الامير يونس إلى بلد النصارى ليعلم اخاه الامير فخر الدين بالذي صار (في لبنان مع نصوح باشا واحمد حافظ باشا والخراب الذي حدث)[١] .

١١ – البابا بولص يستفقد المـــلة المارونية بواسطة المرسلين اليسوعيين : في سنة ابيب (أي ١٦١٢ م الموافقة لسنة ١٠٢١ هج) استفقد البابا بولص (الخامس) الملة المارونية في مكتوب بركة عليهم وعلى كل ارزاقهم ، وامر لرئيس شركة اليسوعية المسمى كلوديوس

---

١) هنا تنتهي ص ١٢٠ وجهاً .

اكوا ويتا (Acqua Vita) انـه يخرج جسد القديس امارينتن من بيت الشهداء ويرسله الى البطرك يوحنا . ورأسه هو الى هذا الآن محفوظ بكل كرامة في سيدة قنوبين تحت المذبح الكبير .

١٢ – عزل حافظ باشا واختيار جركس باشا مكانه . وعودة فخر الدين الى عكا فلبنان : في سنة كج والف للهجرة (أي ١٠٢٣ هج الموافقة لسنة ١٦١٤ م) انعزل حافظ احمد باشا عن نيابة دمشق وقدم إلى دمشق وتسلّم (مكانه) جركاس محمد باشا ، فضمّن بلد الشوف الى الشيخ يوسف مسلماني الذي كان واحداً من كواخي بيت معن حتى يضمّن الناس ويردّ النزّاح ، ولذلك كاتب الامير يونس الشوافنة حتى يعاودوا الى بلادهم ، وأرسل الشيخ ابو نادر ابن الخازن والشيخ ابو طاهر ابن حبيش حتى يعدّوا الشجرية ويستوفوا المال مع ابن المسلماني . واما الامير فخر الدين ليلا يحضر (كلمة مقلوبة : يضجر) من الغربة توجّه الى بلاد فرنسا وعاد الى ليفورنا (اي ليفورنو) . ثم انه تودّع من حضرة الفران دوقا وسافر إلى مدينة نابل فقابله حاكمها بأوفر اوقار ، وجعل له ولخدامه صرايا وعلوفة تكفيهم .

ومن هناك برفقة الشيخ أبو رحّال ابن الخازن ، دخل في غليون قرصان وسار الى سواحل بلد الشام . وعندما بلغوا لعند نواحي عكا ، انزل لأبو رحّال في الليل إلى الارض وارسل معه المكاتيب الى اخيه الامير يونس يخبره عن ذاته ، ويطلب منه اعلام الناحية بذلك (وهنا انتهت ص ١٢٥ قفا) .

١٣ – فيضان نهر طرابلس . وفاة الشدياق خاطر . ابنه رعد تزوج ست البنات التي اماتته مسموماً . ابو عاشينا شلهوب مقدم

جبة بشري قتل اولاد الشدياق خاطر ، وفي سنـــة اسيب (اي ١٦١٢ م) جاء سيل عظيم حتى ان نهر طرابلوس أخذ بيوت وطواحين وجسوره وأهلك خلقاً كثير .

وفيهـا (أي السنة الهجرية ١٠٢٢) كانت وفاة الشدياق خاطر الحصروني وتخلف عوضه ابنه الشماس رعد فتزوج ست البنات بنت المقدم مقلد ، وبسبب ان ما جاء منها ولد كان يبنها ، ومن خوفها الا يقتلها قبل أن وضعت له سماً في طعام دجاجة ، فأكل منها هو وأخوها جمــال الدين يوسف ، فماتا اثنينهما . وفي جمال الدين يوسف انقرضت ذرية العناحلة في سنة اسيج (اي ١٦١٣) .

وأما اخته ست البنات (فقد) تزوج بها موسى البشراني وسار بها الى حلب ، فرزق منها عساف ، سار الى بلاد النصارى ومات في الرهبنة . واما ام جمال الدين حرمة المقدم مقلد ، بعد وفاة زوجها وابنها اوقفت جميع ما كانت تملك في قرية سرعل لدير قنوبين .

واما يوسف باشا بكلربكي طرابلوس فقدّم على حكم جبة بشري أبو عاشينا شلهوب من بيت حسينات ، لأنه كان ابن بنت المقدم عاشينا بن حسام الدين المنحلاني . فخلف ثلاث بنـــين : عاشينا وحنا وميخايل . وبسبب ان أولاد الشدياق خاطر كانوا يتزايدوا عليه في ضمان البلاد ، تؤامر عليهم المقدم شلهوب بن الحاج سليمان الملكي كاتب ديوان يوسف باشا حتى ان الباشا قبض على نعمه وعلى اخيه داوود وحبسهما في دار الست أصيل ، وفي المواعيــد المزورة انه يردّهم الى حكم الجبة استجرّ منهما اموالاً كثيرة كانت خلّفها والدهما الشدياق خاطر ، وعندما فرغت قوتهم حملها ليلا على الدواب الى قبور الغرباء ، فخنقهما ورجمهما في البير الازهري . وقبض ابو عاشينا على ابيهما جرجس فغرّقه في الماء عند راس النهر في طرابلوس .

وما زال متقدم على الجبة الى سنة اسك (اي سنة ١٦٢٠ م) التي دخل بها المير فخر الدين مدينة طرابلوس وعزل منها يوسف باشا .

١٤ – سيامة جرجس الهدناني اسقفاً على قبرس . الخلاف على ايام الصوم . المجادلة على الصوم بين البطركين في المحكمة والحكم على بطرك الروم . حافظ باشا في حلب : في سنة اسيد (أعني سنة ١٦١٤ م الموافقة لسنة ١٠٢٣ هج) انسام القس جرجس ابن مارون الهدناني اسقفاً على الافقسية بقبروس وبعث طلب من البابا بولص الخامس ورقة بركة لجميع رعيته التي في الجزيرة وغفران كامل .

وفيها (أي السنة المذكورة اعلاه) كان فرق الصوم بيننا وبين ساير الطوايف (خمس جماع) . فبطرك الروم قدم الشكاية إلى حافظ احمد نايب الشام بأن طايفة الموارنة فسخوا ديانة النصارى وخرجوا عن ساير الطوايف في تعييد الفصح . فأرسل قبض على القس ميخايل والقس الياس وثلاثة ارجل من الطوايف وقدّمهم للحبس في د (اي ٤) من نيسان . ثم أن القس يوسف ابن المطران قدّم عرض حال الى حافظ احمد بأن ذلك الامر ما صدر منهم الا بأمر بطركهم ، وان قصد يفحص بينهم يجمع البطركين ليحتجّ كل واحد منهم عن ذاته ، ويغرّم الذي يكون خارج عن الصواب على رضاه . فأرسل الباشا العلم الى بطرك الملكية انه يحضر الى المجادلة مع بطرك الموارنة ، فتمنّع عن ذلك وفي العاجل امر برفعه الى القلعة واعطا بيورده (مرسوم) الى كهنة الموارنة بأنهم يخرجوا من الحبس ويعيّدوا على ما يشتهوا ، واوعدهم انه يجب لهم خط شريف من البابا الاعلى .

وفي اليوم الرابع من شهر نيسان ، نهار الجمعة ، خرجوا من الحبس بطبول وزمـــور والقاويقية تسير قدامهم بسبب ان القوباصي كان

غرضـــه معهم . ثم ارسلوا جماعتنا اخرجوا امورات سلطانية من اسطنبول بسبب تغيير الحساب واستمضوها في مدينة دمشق (وهنا انتهت ص ١٢٦ وجهاً) .

وفيها (السنة المذكورة) حافظ احمـد شتّى في مدينة حلب ، فتوجّه اليه الامير محمد ابن سيفا حردان من عمـــه يوسف باشا ، فأعطاه سنجق جبله . وكذلك عزل يوسف باشا من آيالة طرابلوس وولا عليها جلال حسين باشا .

١٥ – جركس باشا في دمشق . والدة فخر الدين تعـــود الى قصرها عند ابنها يونس ومكاتيب الى فخر الدين . الامير شلهوب في البقاع . اجتماع الامير معن في دير القمر وارسال امراء لدى الوزير في حلب . حصن الشقيف وحصن ارنون : وفيها (اي السنة المذكورة) في شهر جمادي الثاني دخل مدينة دمشق جركس محمد باشا ، وفي حال وصوله اطلق سبيل أم الامير فخر الدين لترجع الى عند ولدها الامير يونس . وأرسل مكاتيب مع الشيخ شهاب الدين ابن عـون والشيخ يونس ابن المسلماني الى الامير فخر الدين يطيبان خاطره ليرجع إلى بلاده .

وفيهـا أيضاً الامير شلهوب ابن الحرفوش خـدم محمد باشا باثنا عشر الف فولاء مقاطعة البقاع التي كان حاكمها عمـه الامير يونس ابن الحرفوش . ثم ان عمه سار الى حلب لعند حضرة الوزير فخدمه ولأرباب دولته بأربعين الـف ذهب فأعاده الى حكمه . فقام ابنه الامير أحمد في قب الياس على البقاع وابنه الامير حسين على بعلبك .

وامـا الامير يونس ابن معن فقد جمع امراءه ومقدمين الشوف الى دير القمر وارسلوا الامير ناصر الدين ومصطفى كاتخدا الى رمي

الطاعة لحضرة الوزير في مدينة حلب ، وقدموا له كه (٢٥) ألف قرش ، ولحضرة السلطان ماية الف ذهب . ومن غير ذلك اوعدوه بأن في كل سنة يقدّموا للسلطان خمسون الف قرش ، وأنها تدفع إلي مدينة دمشق نوف عن كل المال المعتاز . وان خمسين نفر من الترك يكونوا قاطنين في حصن الشقيف وحصن أرنون . فارتضى بذلك الوزير محمد باشا وخلع عليهم الخلع ، وولا الامير علي ابن معن سنجقية صفد ، وعمه الامير يونس سنجقية صيدا وبيروت وبلدانها . وكان رجوعهم من حلب إلى بيروت في آخر شهر ذي القعدة ، وقدم معهم يوسف آغا ليتسلم الحصون ، (وهنا انتهت ص ١٢٦ قفا) .

١٦ – يوسف آغا . هدم الحصون . ابن الحرفوش وسنجقية حمص وجمع الاموال . موقعة الناعمه وانكسار بن سيفا وانتصار ابن معن . ارتحال المير حسين باشا . بيت الخازن في كسروان . البرد والعواصف : سنة كه والف (أي سنة ١٠٢٥ هج الموافقة لسنة ١٦١٦ م) ما اراد يوسف آغا يسلم البلدان للأمير علي ولعمه حتى يتسلم الحصون ويرفع منهم جميع اولاد العرب ويكونوا بيد الترك . فصعب ذلك على الامير يونس وشرع على هدمهم (الحصون) . ولهذا السبب ارسلوا مصطفى كاتخدا وحسين الياصجي الذي كان متوكل بالحصون ليأخذوا خاطر الوزير ويهدموا القلعتين لازالة كل فزع . ففرح بذلك الوزير جداً وأمر بخراب القلعتين . وكان توجه معهم الامير يونس ابن الحرفوش فأنعم عليه بسنجقية حمص ، وراد حضرة الوزير يعطيها لحسين الياصجي فتمنّع عنها ، وهكذا صار ان في واحد وعشرين من شهر ربيع الاول كان مبتدا هدم القلاع . فثبتوا المعلمين نحو اربعين يوم حتى دكّوهم إلى الارض .

واما ابن الحرفوش عندما استقرّت له سنجقية حمص ، جمع منها اموالاً كثيرة حتى ان من واحد من تبّاع ابن سيفا حصّل اثنا عشر الف قرش وركب على عرب آل موسى عند حولة بمرين ، فظفر بهم ، وغنم جميع طرشهم ، وعشر رؤس خيل واربعماية جمل . وسبب ذلك لأن مقدمينهم كانوا بالسفر مع الوزير ، برفقة حسين باشا ابن سيفا . واما الوزير حين نظر ان حسين الباصجي دكّ القلعتين الأرض وتمنّع برضاه عن السنجقية التي أنعم بهـا عليه ، عفى عن نصف مال الارسالية التي تعاهد له بها ، فجعلها كه (٢٥) الف قرش لا غـير كل سنة لازالة ضرر البلاد وخرابه ، واعطاه احكام مقرّر تامات وخُلع سنيات ، وان يوسف ابن سيفا يرفـع يده عن بلد كسروان وبيروت وعن مساعدة الشيخ مظفر وابن الامير محمد ابن جمال الدين والمقدمين بيت الصوّاف .

فلما بلغ ذلك ليوسف باشا ابن سيفا فما راد يقبله ، بل ارسل جمع المير شلهوب بن الحرفوش ، وامراء راس نحاش وحسن آغـا وغيرهم نحو الفين نفس الى مقاتلة آل معن . وجمع الامير يونس بن معن وابن اخيه المير علي ، والمير علي ابن الشهاب رجال بلاد بشاره والشوف وصيدا وجملتهم نحو ثلاثة آلاف ، والتقى الجمعان عند عين الناعمه . وبعد جهاد طويل كانت الكسيرة على عسكر ابن سيفا ، فطردوهم المعنية الى قرب الشويفات وقتل منهم ما ينوف عن مايتين نفس ، ولم يقتل من المعنية الا ثلاثة انفس وكانت الوقيعة نهار الاثنين لثاني شعبان . وفي هذا (هنا انتهت ص ١٢٧ وجهاً) النهار التحم القتال ايضاً بين المساعرة (او المشاغرة) والمطاوعة في قرية اعبيه وفي اجميـد (او اغميـد) وفي عندارا . وفي الجميع كانت النصرة لجانب بيت معن . وفي اليوم الثاني عندما توجّه العسكر الى اخذ بيروت خرجوا أهلهـا طالبين الأمن . فأمّنهم على عشرين الف ،

فأعطا منها الامير علي لكل سكاني خمس قروش . واما الشوافنة فاذن لهم (ان) يغزوا بلد الغرب والجرد والمتن ، فنهبوا جميع أرزاقهم ، وحرقوا جميع حاراتهم ، وفي الخاصة حارة الامير محمد بن جمال الدين في الشويفات ، وحارة المقدمين بيت الصواف في الاشبانية .

فلما نظر ذلك الامير حسين ابن يوسف باشا ، اخذ اعيال اخيه حسن باشا وارتحلوا من اغزير . وأما الامير يونس ابن معن فأرسل الشيخ أبو نادر ابن الخازن ومملوكه ذو الفقار ليسكنا بها ويحكما بلد كسروان ، وعلى بقية البلدان ولاّ (ولّى) حكام تحكمها .

وفيها (السنة) في كب (٢٢) من شهر نيسان ، نصف الليل ، وقع برد عظيم في القدر وريح عاصف جداً . فضرب الكرم والزرع والزيتون ، ومحا ورق التوت والتزم الناس في بعض أماكن يكبّوا الدود لعدم (وجود) الورق .

١٧ — مقتل حسن سيفا باشا في وليمة . خلع الوزير الى ديار بكر . طلب المال من الامير فخر الدين والحصول عليه . وفاة السلطان احمد وتولى مكانه اخوه مصطفى ثم عثمان : سنة كو بعد الالف للهجرة (أي ١٠٢٦) الموافقة لسنة اسيو (اعني ١٦١٦ م) مسيحية رجع الوزير من السفر ، وعندما كان حسن باشا ابن سيفا راجعاً إلى عكار ، دعاه قارقوش متولي حلب الى وليمة . فمسكه وقتله في شهر ربيع الاول . وكان ذلك برضا محمد باشا الوزير بسبب سوء افعاله بطرابلوس ، وارسل رأسه الى الباب الاعلى . وفي جمادى الاول ورد الامر من قبـل السلطان احمد بخلع الوزير ، وأقام بدله خليل باشا .

فهذا توجّه الى ديار بكر وارسل قبجي رستم آغا الى الامـير

علي ابن معن بطلب مال ارسالية سنتين والخدمة التي صارت لحضرة السلطان، فأرسل الامير كك (عشرين) الف قرش إلى الوزير، وخمسة آلاف الى دولته، معتذراً ان البلد كان قد نهبه حافظ احمد باشا وتبع ذلك الغلاء والقحطة التي مـــا لها نظير. فقبل عذره الوزير وكتب عن ذلـك الى الباب العالي. واعطا الامير (معن) خمسة آلاف القبجي ولرفاقه. واما المال المعيّن عليه، ارسله الى الشام وهم خمسة عشر الفاً (وهنا انتهت ص ١٢٧ قفا).

وفي هذه السنة لثلاثة وعشرين ذي القعدة، توفا السلطان احمد ابن محمد خان، وتولى أخوه السلطان مصطفى ثبت على تخت السلطنة ثلاثة شهور، واقاموا عوضه السلطان عثمان ابن السلطان احمد.

١٨ – عزله جركس باشا عن دمشق وتولاها احمد الجوكهدار وخلع ابن معن من سنجقية صفد لاعطائها لحسين الياصجي. وفاة القس يعقوب الدويهي: وفي هذه السنة انعزل عن دمشق جركس باشا وتولاهـــا محمد باشا الجوكهدار. فأرسل الى ابن معن قبجي بطلب المال والارسالية. فأعطاه كك (عشرين) الف من حساب المال ولم يعطيه شيء من خصوص الارسالية. عند ذلك صعد القبجي وحسين الياصجي إلى دمشق، فخلع محمد باشا ابن معن من سنجقية صفد واعطاها لحسين الياصجي وخلع عليه. ولأجل هـذا استدان حسين الياصجي جملة دراهم من اعيان بلوكباشية دمشق فدفع يب (١٢) الف لنايب الشام ودولته. وارسل للوزير كك (عشرين) الف عوض الذي جابهـا من ابن معن. واعطا خمسة آلاف لرستم القبجي، وارسل لحضرة السلطان نصف مـال الارسالية اعني يب (١٢) الف وخمساية قرش، واشترا بعشرة آلاف الة السنجقية من طبول وزمور وغيرها.

وفي هذه السنة كانت وفاة القس يعقوب الدويهي .

١٩ – موقعة بين حسين الياصجي وفخر الدين كان فيها الانتصار لفخر الدين . وفاة البردوط ميخايل الاهدني في محبسة قزحيا :

سنة كز والف (اي ١٠٢٧) هج الموافقة لسنة اسيز (اعني ١٦١٧ م) توجّه حسين الياصجي الى صفد وقبله بعض ناس مثل المشايخ القبلية بيت منكر وبيت شاكر واولاد علي الصغير ، واما الامير علي ابن معن (فقد) جمع ما ينوف عن الف رجل وطلب التوجه الى صفد في شهر جمادي الاول ، فتلاقا مـع عسكر حسين الياصجي عند الوعرة التي فوق الوقاص ، وبعد مقاتلة ساعتين قُتل حسين وانهزم عسكره واتاكدت (أي غنم معن) امورهم وطبولهم وامتعتهم . ثم انـه أرسل الخدمة الى الوزير وتكفّل في مال الارسالية وبالدراهم التي تدينّهـا حسين الياصجي ، فجته (فجاءته) احكام من الباب الاعلى بسنجقية صفـد وصيدا وبيروت وبلدانهم (وهنا انتهت ص ١٢٨ وجهاً) .

وفي التاسع من شهر شوال وصل الامـير فخر الدين الى عكـّه وكان مدة غربته في بلد النصارى خمس سنين . فوجهوا اليه بيت الحرفوش وبيت الشهاب وغيرهم الخدم . ثم انـه ركب على العصاة في بلد صفد ، فقتل ونهب ، والذين طلبوا الأمن أمّنهم . ثم انـه اعطا لأحمد آغا الذي جـاء بطلب مال الارسالية ثلاثة آلاف ، وارسل معه لو (٣٦) الف قرش لكمال مال ارسالية ثلاث سنوات .

وفي هذه السنة كانت وفاة ميخايل البردوط من اهدن الذي أخذ السكنة في محبسة مـار ميخايل في وادي قزحيا التي عمّرها القس بركه ، وقبل منه تروس القس جبرايل . وقبل هذا عمـه

القس ميخايل ، وقبله القس حنا ، وقبل القس حنا القس ميخايل جميعهم من اهدن . وقبل المذكور تروّس القس يعقوب من برتاسا من معاملة البطرون ، وقبله القس موسى من اليمونه كما هو مكتوب في كتاب انجيل الحبسة المذكورة .

٢٠ – عصيان ابن سيفا على الباشا التركي الذي استعان بفخر الدين . سيفا يستنجد بنايب دمشق ونايب حلب ويدفع غرامة لفك الحصار عنه : سنة كح والف للهجرة (اي ١٠٢٨ هج) الموافقة لسنة اسيح (اي عام ١٦١٨ م) قدم الى طرابلوس عمر باشا الكاتنجي وضبط المدينة . واما بلدانها فكانت كلها بيد ابن سيفا ولم يعوّضه منها شيء . فكتب عمر باشا إلى الامير فخر الدين حتى يركب معه على ابن سيفا . وقبل أن يصل خبر ذلك لابن سيفا ، أرسل الامير لأبو نادر ابن الخازن حتى يربط طريق نهر ابراهيم . فتجمعت العساكر من بلد الشوف وصيدا وصفد وغيرهم . وفي شهر صفر زحف بها حتى وصل الى قبولا . فوصل الخبر ليلا لابن سيفا ، فارتحل بغتة الى قلعة الحصن .

فغنم الامير (فخر الدين) بأثقاله ثم اجتمعوا مع عسكر باشة طرابلوس . وتضايق ابن سيفا اشدّ الضيقة من قلة المياه والمدد حتى أكلوا لحم الخيل . وبعث ابن سيفا يطلب النجدة من مصطفى باشا نايب دمشق الذي تخلف على نشنجي احمد ، ومن اياز محمد باشا نايب حلب ، فجمعا اثنينهم العساكر وبلغا إلى (هنا انتهت ص ١٢٨ قفا) حماه وكاتبا لعمر باشا نايب طرابلوس ، وللأمير فخر الدين بالترفع عن ابن سيفا . فلم يرتفعا حتى اعطاهما ماية الف قرش . واعطا ايضاً للأمير فخر الدين ماية الف غيرها ، وكتبت حجج ومخابرات بين ابن سيفا والامير فخر الدين ان ما تبقا لأحد عند الآخر شيء .

وفي نهار الخميس لعشرين ربيع الاول ، ارتفع الحصار ورجع كل واحد بمكاسب عظيمة كثيرة ربحوها من بلد عكار . ثم ان الامير فخر الدين عند العودة ، حاصر قلعة جبيل الذي كانت في يـد السيفلية فأمّنهم على الخروج وهدمها . وكان بنيانها مشيداً جميل منذ الايام القديمة ، وولّى على بلد جبيل الشيخ أبو نادر ابن الخازن . وفتح ايضاً قلعة سمار جبيل ولم يخرّبها وولّاه على بلاد البطرون المقدم يوسف ابن الشاعر . ثم عاد الى بيروت . ثم في العشر الاول من ربيع الثاني وصل قبجي من الباب العالي باموره سلطانية تتضمّن تقرير يوسف باشا في آيالة طرابلوس ، فدخلها واستقامت احواله .

٢١ — المساومة على حكم باشية طرابلوس ومصاهرة بين الامراء الاعداء للاتفاق ، وحصول الوفق والنكاح بين العائلات وعزل مصطفى باشا . وفاة الوزير والاسقف السمراني : سنة كط والف هج (اي عام ١٠٢٩ م) ارسل ابن معن مصطفى كاتخدا بعشرة آلاف عن ارسالية هذه السنة ، وانه يسعى في عزل ابن سيفا عن طرابلوس ، وان تكتب آيالتها عليه ام على حسين الجلالي . فانكتبت على حسين باشا الجلالي بازيد مال مما كانت مع ابن سيفا . وانكتبت جبلة والاذقية على الكاتخدا . وجاب معه احكام شريفة بهدم القلاع الذين بيد ابن سيفا وبضبط رزقه وارزاق تباعه .

وحين بلغ ذلك الى يوسف باشا أرسل ابنـه الامير حسن الى عند فخر الدين ليدخل في رضاه . وصار الوفق بينهما وانعقد نكاح الامير عليّ ابن معن على شقيقة الامير حسن ابن سيفا ، ونكاح الامير بلك ابن يوسف باشا على اخت الامير على ابن معن . وعاد الامير حسن إلى عند ابيه مجبور الخاطر ، واما في اسطنبول بعـد

خروج مصطفى كاتخدا ، دخلوا كواخي ابن سيفا على عليّ باشا الوزير فدفعوا له ل (ثلاثين) الف ذهب خدمة ، وارسلوا احكام تقرير البلد على يوسف باشا وفي منع حسين الجلالي عنه (وعزله).

وفي هذه السنة انعزل مصطفى باشا عن محافظة الشام (وهنا انتهت ص ١٢٩ وجهاً) وتولاها سليمان باشا . وبها (السنة) مات علي باشا الوزير وجلس في الوزارة العظمى حسين باشا الباستنجي . وفيها (اي السنة ايضاً) توفا في خمسة وعشرين من تشرين الاول الاسقف يوسف ابن يحنا ابن الخوري تادروس السمراني ، وله من العمر في الرهبنة ٥٥ سنة .

٢٢ ـ المطالبة بالمال السلطاني . نفوذ الامير فخر الدين . ابن الباشا يبيع مخلفاته في بيروت وسواها لدفع الاموال . مراسيم سلطانية الى الامير فخر الدين : سنة ل (ثلاثين) والف هجرية (الموافقة لسنة ١٦٢٠ مسيحية) قدم الى عند الامير فخر الدين مصطفى آغا من قبل الوزير الاعظم حسين باشا في مكاتيب الحوالة على يوسف باشا بطلب المال . وللوقت توجّه في العساكر الى برج البحصاص خارج طرابلوس . ولما بلغ ذلك يوسف باشا ، ترك ابنه الامير حسن في طرابلوس وانتقل الى جبلة وأرسل الى الباب العالي حق ترتفع عنه يد ابن معن الذي ما كان قصده تحصيل المال بل حكم البلد .

واما الامير حسن برضا والده يوسف باشا باع للامير فخرالدين جميع متخلفات بيت عساف بمدينة بيروت ومزرعة انطلياس وحارة اغزير بحجة انكتبت في محكمة طرابلوس . واما الامير ، بعدما قبض الحجة ، كاتبه بسبب تحصيل مال السلطان . فامتنع يوسف

باشا وابنه عن ذلك وبعث يطلب النجدة من سليمان باشا بكلربكي دمشق ومن العربان والتركمان . فوضع الامير فخر الدين الحصار على طرابلوس ، وكان معه من السكمانية نحو ثمان ماية علوفة .

وفي نهار الاربعه ثامن شهر رمضان دخل المدينة وحاصر القلعة ، فما امكن انه يفتحها . ثم نزل الى الابرجة ، فخرج اليه يوسف باشا في عربان وتركمان البقيعة وحمص ، وارسل له ايضاً سليمان باشا ماية رجل بسبب الصلح والاصطلاح بين الامير وابن سيفا . فتواقعوا الفريقين عند نهر البارد وقتل منهما نفراً كثير . ثم وصل مصطفي باشا القبجي ومعه خلفه للامير فخر الدين ومراسيم انه يرتفع عن مطالبة ابن سيفا . وقدّمت معه ايضاً خمسة اجربة في البحر لمضدة اسكلة طرابلوس . فلما قريء الامير مكاتيب السلطنة ترك طرابلوس وارتحل الى بلاده يوم الخميس وهو السابع من شهر (هنا انتهت ص ١٢٩ قفا) ذي القعدة . وفي آخر هذه السنة ، الامير عليّ ابن معن جاءه ولداً من بنت سيفا وسمّاه الامير حسن[١] .

٢٣ – مقتل السلطان واعادة مصطفى للحكم . الغلاء الشديد . وصول المتسلّم الجديد الى طرابلوس وتعيين فخر الدين مساعداً له . رجال كسروان وجبيل يقاتلون في جبة بشراي . سنة لا والف هج (اي ١٠٣١ هـ الموافقة لعام ١٦٢١ م) في ليلة الجمعة في شهر شعبان كان مقتل السلطان عثمان ، واعادوا السلطان مصطفى الى سرير السلطنة . وفيها ابن سيفا بعث أن تنعدّ جميع الشجرية وانضامت به جبة بشري ، لأنهم ضبطوا حق النصبي الذي لم يحلّ

---

١) هنا نقرأ سبعة اسطر في المتن مشطوباً عليهـا ، وعليها يدور الكلام عن وفاة الشماس رعد ابن الشدياق خاطر الحصروني وقد سبق ذكره اعلاه ولا حاجة لاعادة خبره هنا.

عليه العدد . وقيل ان لحقت اهدن الى خمسين الف ومائة وخمسة وستين اصل ، ولموضع زيادة الخراج ارتحلت الناس الى بلدان بعيدة.

وفيها كان الغلاء العظيم الذي حصل في جزيرة قبرس وفي الديارات المصرية الشامية حتى ان في مصر أبيع اردب القمح بالكيل المصري مايتي نصف فلوس انحاس . والشعير بماية وعشرين . والفول بماية وستين . والعدس والرز كل اردب في مايتين وأربعين ونصف . وفي بلد طرابلوس كان شنبل القمح بثلاث قروش اسدية . وسبب ذلك لأن نهر النيل مكث فوق الاراضي الى آخر شهر هاتور (الذي هو تشرين الثاني) . فالزروع الشتوي هاف ولم يحصل منه الا قليل، ولكن منّ الله على عباده بنمو زرع الدرا الذي أخصب ونمي وحصل به نفع كثير . لموضع ذلك ، غالب طرش العربان والخيل الجياد ماتوا لقلة الشعير والمرعى .

وفي هذه السنة في شهر ذي الحجة وصل متسلّم عمر باشا الختمنجي الى مدينة طرابلوس في مكاتيب وأحكام الى الامير فخرالدين انه يكون مساعداً لمتسلّمه إذا عاصاه ابن سيفا . وبسبب ان المذكور ما راد يصرف المتسلّم بشيء عند ذلك جمع الامير فخر الدين سكمانيته ورجاله وقصد التوجّه إلى ذاك الجانب . عند ذلك اخلا ابن سيفا طرابلوس (وهنا انتهت ص ١٣٠ وجهاً) وبلادها وسار مع قرايبه وتباعه الى عكار ، فبطّل الامير الركبة بل أرسل الشيخ ابو نادر الخازن برجال كسروان وجبيل الى جبة بشري حتى اخرج منها تباع بيت سيفا وولّاه عليها الشيخ أبو صافي ابن الخازن ، وعيّن معهم بلوكباشي يقيم بنفره في برج قلعة بشري[1] .

١) وجاء في تاريخ الطائفة الذي نشره الشرتوني ، ص ١٩٧ بالحاشية ما يلي : « ويروى في اخبار الاعيان : فولّى الامير فخر الدين الشيخ آبا نادر الخازن على بشراي واشرك معه عمه الشيخ ابا صافي ، وجعل مقدمي البلاد تحت تدبيرهما » .

٢٤ – اجراءات عزل وتولية مختلفة . الوزير يكتب لابن معن ليعضد عمر باشا على ابن سيفا . بلاد صافيتا . مقتل الامير عاشينا وابنه بسبب سوء فعلته : وفي هذه السنة انعزل عن ولاية حمص الامير حسن ابن الامير يونس ابن الحرفوش وانكتبت على عمر بك ابن سيفا ، وانكتبت سنجقية عجلون على الامير حسن ابن الامير فخر الدين . ثم انعزل مصطفى باشا الفخلي عن الوزرا (الوزارة) وتولاها محمد باشا الكرجي ، فعزل لمصطفى بك عن سنجقية نابلوس وقرّرها على مصطفى كاتخدا ابن معن . وكذلك عزل لابن سيفا عن طرابلوس وقررها على عمر باشا . وقرّر حماه على احمد بك ، وجبلة على جعفر أفندي ، وابن معن على جبيل والبطرون وبشري والضنيه وعكار . وكتب كرجي محمد باشا الوزير لنايب دمشق والى ابن معن حتى يعضدا لعمر باشا وان تنضبطا املاك ابن سيفا وتورد في مال الخزينة ولاصحاب الديون .

فجمع الامير (معن) رجال بلده وقدم الامير محمد ابن الشهاب برجال وادي التيم ومرجعيون وتوجّهوا الى طرابلوس نهار الاحد يا (١١) جمادي الاول . فخرج الى لقـاه لبرج البحصاص عمر باشا والقاضي وخلع عليه . وفي اليوم الثالث صدف ان ورد أمر شريف من قبل السلطان بتقرير بكلربكية طرابلس لابن سيفا ، وذلك بسبب ان قرا حسين باشا أخذ دولته وسار مع الامير فخر الدين إلى مدينـــة بيروت ، وكان عددهم ازيد من اربعة آلاف نفر ، وثبت عمر باشا في بيروت نحو شهر ثم توجّه بدرب البحر الى الباب العالي[١] .

وفيها (اي السنة المذكورة) الامير سليمان ابن اخو يوسف باشا

---

١) امـــا الامير فخر الدين فرجع الى بلاده كما جـاء في مسودة الدويهي المحفوظة في ارشيف بكركي .

تولّى حكم بلد صافيتا ، فعصي على عمه وما راد يورد له المال الذي تحصّل . لأجل ذلك جمع عليه يوسف باشا العسكر وحاصر جماعته في صافيتا . واما الامير سليمان (فقد) فرّ الى الضنيّة واستنجد بالامير فخر الدين ، وللوقت جمع (فخر الدين) الرجال وتوجّـــه بهم الى بشري . فبسبب ذلك ترك ابن سيفا صافيتا وعـاود لطرابلوس ، وكان ايضاً الامير مدلج الحالي (وهنا انتهت ص ١٣٠ قفا) كاتبه بالصلح .

وفيها ايضاً عاشينا ابن شلهوب مقدم بقرية اهدن شاب جاهل أخذ معه سعاده خيّان من بيت حمامات العاقوري وحنا ابن جوبة البشراني ونزل نهب دير مار توما بأرض حصرون ، فقتـــل القس دانيال المكّاري الذي كان مترهّب فيه . فلمـا بلغ الخبر للشيخ ابو صافي (الخازن) امر بمسكه وتعذيبه . فقرَّ له انه فعل ذلك لأجل طمع الدراهم وعندمـا همّ في العودة الى كسروان اخذه معـه ومن معار جبيل بعث يعرض فيـــه للامير فخر الدين فأذن له بهلاكه . فقتله ودفنه عند جسر المدفون . ثم قدم المقدم شلهوب ليحتجّ عن ابنه ، فقبض عليه الشيخ ابو نادر (الخازن) وارسل يعلم حضرة الامير أن المذكور كان من غرض ابن سيفا ، وباذنه خنقه والقاه في المدفون . وكانت مدة حكم ابو عاشينا تسع سنين لا غير .

٢٥ – عزل بعض جماعة معن عن نابلس وعجلون فأظهر بها الامير فخرالدين صكوكاً قديمة ثم امر بنهبها وهدم قلاعها . منافسة بين المعنيين والحرافشة . قب الياس . ابن طربيه . حسين الطويل . نصّوح معن : سنة لب والف هج (اي ١٠٣٢ الموافقة لسنة ١٦٢٢م) عزل محمـد باشا أبازا قلاوون في مؤامرة الامير يونس ابن الحرفوش عزل ابن جماعة معن عن نابلوس وعجلون . فلمـا بلغ ذلك الامير

فخر الدين صعد الى قب الياس ومعه تمسّكات ان حارة قب الياس وتلّ نمرا وبعض املاك في البقاع التي كان يتصرّف (بهـا) ابن الحرفوش ، كان قد اشتراهم ابن معن من الامير منصور ابن فريك . وارسل الامير فخر الدين يطالب بهم الامير حسين ابن الامير يونس ابن الحرفوش . فضا ذلك وقال لوالده الامير يونس . فصعب عليه وقال : ما له عندنا شيء ، فاخلوا البلد ومضوا إلى الزبدانية .

عند ذلك سكمانية ابن معن انتهبوا بـلاد البقاع وضبطوا نحو ستماية راس من الطرش . وجاءت أهل الشوف ونقلوا كل غلال ابن الحرفوش من البقاع الى بلادهم ، لأنها كانت ايام البيادر ، وثبتوا مدة شهر ، ليل ونهار ، ينقلوا فيها . ثم امر الامير بهدم تلك الحـارة التي بقب الياس الى الارض . وحين كان الامير مقيم بقب الياس جاءه حكم نابلس وعجلون ، وارسل الى الامير عليّ ابن شهاب (وهنا انتهت ص ١٣١ وجهاً) وإلى حسن الطويل بلوكباشي يتسلّموهما ، فأحرقوا قرية قارا وقرية حلاوه والخربة لأنهم كانوا تبع المير بشير ، وهم اكبر قرايا عجلون .

ثم ان الامير فخرالدين ، في اواخر ذي القعدة ، ابقا الحاج كيوان وانتقل الى جسر المجامع وكتب الى ابن الشهاب ، وحسين الطويل ، والشيخ حسين ابن عمر الناقه ، والامير احمد ابن قانصوه ، والشيخ احمد الكنّاني (ان) يلاقوه برجالهم وعشيرهم . واما ابن الحرفوش فقد اتفق مع كرد حمزه ونزل الى الشام ومهّدا امورهما مع مصطفى باشا صاحب دمشق ، ودفع له الامير يونس ابن الحرفوش الف ذهب نوف عن المال ، فكتب اليه سنجق صفد ، والى الامير بشير سنجق عجلون ، وجمع مصطفى باشا وكرد حمزه عساكرهما وخرجوا في الخيام خارج مدينة دمشق ، واتفق مع ابن الحرفوش الامير احمد

ابن طربيه ، وكتب ابن الطربيه الى الشيخ احمد الكنّاني انه يكون من حزب ابن الحرفوش ولا من تبع ابن معن .

فلما بلغ ذلك الامير فخر الدين ، جهّز ناس حتى اخذوا صيفا من يد ابن طربيه ، وعيّن عليها كيوان آغا شوباصي عكه ، فأحرق جميع قرايا الكرمل . وعندما عاد الامير يونس الى بعلبك كاتب الدين في غرضه . فجمع ابن سيفا الرجال في طرابلوس واتاه عمر ابن سيفا حمص برجالها وصار معه ثلاثة آلاف ، وجاءة الامير مصطفى ابن أبي زيد حاكم ناحية دركوش من بلاد حلب بمقدار الف سكماني ، وقدم معه الامير حسين ابن فياض بعربانه بمقدار الف نفر ، وبعث كذلك الامير فخر الدين الى ولده يرسل رجال بلاده من الشوف والغرب ، وانه يرسل رجال الجرد والمتن الى قب الياس لعند الحاج كيوان ، ثم سار الامير فخر الدين بالفين وخمساية سكماني الى غزوة بلاد ابن طربيه والامير بشير . فابقا الازلام مع حسين الطويل في جنين وجرّد بالخيالة وعددهم نحو الف وخمساية إلى نهر العوجا . فكبس بيوت عرب الامير احمد ابن طربيه والامير بشير وكسبوا طرشهم واثاث بيوتهم . ثم اجتمعت عليهم العربان فقتلوا من عسكر ابن معن واستخلصوا المكاسب ، وطردوهم حتى الى خان جلجولية . ثم اجتمع عسكر ابن معن وطرد عنه عرب السوالمة وعرب الحارثة . وغار كذلك ابن طربيه على بلاده ، وهو ساحل عكا ، بخيله فقتل نصوّح بلوكباشي ابن معن واستخلص طرشه (وهنا انتهت ص ١٣١ قفا) .

٣٦ – مؤامرة علي الوزير لخلعه وخلع السلطان مصطفى وجلوس مراد احمد مكانه . اعطى سنجق صفد لابن معن الامير عليّ فهرب ابن الحرفوش . دخول فخر الدين الى الكرك وبعلبك .

الغلاء والوباء . وفاة الاسقف يونان السمراني : وفي هذه السنة ، في شهر ذي القعدة ، توامرت الصباهية والقضاة على قرا حسين الوزير الاعظم ، فأخذوا من يده ختم الوزاره واعطوه لعليّ باشا . وفي نهار الاحد ، رابع عشر من الشهر المذكور ، خُلع السلطان مصطفى وجلس على سرير السلطنة السلطان مراد ابن احمد خان بتدبير علي باشا الوزير وطايفة الصباهية . فخدمه الحاج درويش وكيل ابن معن في مدينة اسطنبول بخمسة الف قرش . وقرّر سنجق صفد على الامير عليّ ابن معن .

وحين وصلت البشاير الى الامير فخرالدين وهو عند بركة الملاحة ، فانتقل الى صفد وارسل لولده الامير عليّ ان يأتي اليه بالرجال . فهرب من قدامه الامير يونس ابن الحرفوش ، ودخل الامير فخرالدين الى الكرك . فتح باب مزار سيد نوح وقتل ما ينوف عن ثلاثين رجل من تبّاع ابن الحرفوش واستأسر نفراً أرسلهم الى بيروت . ثم ان العسكر نهبوا بلاد بعلبك واحرقوا الكرك وسرعين وغيرهم من قرى بيت الحرفوش . وجاء فخر الدين إلى قب الياس حيث استمر مع اخيه وابنه . وضايق ابن معن هذا على بيت الحرفوش بسبب أن الامير موسى ابن الحرفوش كان سابقاً يعطي القسم الى الفدادين التي كان يشدّها في بلاد بعلبك كواحد من جماعته . ولما التصق بابن معن ، بايام عليّ باشا ابن جنبلاط ، حكم بلاد بعلبك وقوي أمره وقيل ان كان له ولاولاده مقدار الف فدان واربعين قطيع من المعاز (المعز) . فصار يمنع اهل الشوف عن الزراعة في بلاد البقاع . وفي هذه السنة كان سبب رفع دولة بيت معن عن عجلون ونابلوس .

وفيها (السنة المذكورة) ازداد الغلاء العام وتحرّكت اسعار الغلاء

بزيادة في الثمن . وقصدت الناس الدرا من بلاد الشام والحجاز ، والذي ضبط بيعه من الدرا خاصة بثغر دمياط في مدة ثلاثة شهور ما يزيد على ستين الف اردب خارج عن الذي ابيع من الشعير والحنطة والفول والعدس والرز . ويقول صاحب دوحة الازهار ان التخمين ما أبيع من الدرا بثغر دمياط (بلغ) ماية وعشرين الف اردب ، وضعف ذلك ما ابيع (هنا انتهت ص ١٣٢ وجهاً) بثغر رشيد . واما ما ابيع ببولاق والمداين والقرى فلا حصراً له ، وكل ذلك بعد كفاية اهل مصر وقراها وما يذكرونه لزيادة الثمن ، فسبحان المنعم المتفضّل .

وبعد الغلاء تبع الوباء الشديد ، وعلى الحالتين شاعت قداسة البطريرك حنا ، فبيّن كرمه في سنين الشحّة ، وامر بنصب كرم درجاتا ، فكانت الناس تأكل من مال الكرسي ، وعند المساء يأخذون الزاد لاعيالهم . وفي زمان الوباء كانوا يأتونه بالمرضى المضروبين ، وكان بوضع يده عليهم كثيرين كانوا مقاربين الموت رجعوا معافين إلى بيوتهم . وفي هذه السنة في يز (١٧) من كانون الآخر كانت وفاة الاسقف يونان ابن الصمراني (الذي كان حبيساً بدير قزحيا) .

٢٧ — موقعة عنجر وانتصار فخر الدين فيها . حصار بعلبك وتسليمها له وهدمها . وصف لضخامة بنيانها . قسطنطين بنى بقربها كنيسة للموارنة . موقعة بين معن وابن طربيه كانت نهايتها الصلح بينهما : سنة لج والف (اي ١٠٣٣ هج) الموافقة لسنة اسكج (اي ١٦٢٣ م) في شهر محرّم اجتمعت مع عسكر ابن الحرفوش عساكر الشام وبيت سيفا وعربان حمص وغيرهم ما ينوف عن عشرة آلاف نفس واتوا الى مقاتلة ابن معن عند نبع عنجر

فخرج الى لقاء المنيّة بقرب خمسة آلاف ، فظفروا بهم : فقتلوا وشلّحوا ومسكوا نفراً كثيراً وانهزم الباقي الى مواضع مختلفة . وتبقا مصطفى باشا صاحب دمشق وحده ونحو عشرة انفس من دولته . ولما وصل اليه الامير فخر الدين ، قبّل ذيله وعيّن معه بلوكباشي ومضى به الى قب الياس واستفك جماعته واعطاه الف قرش[1] .

ثم توجّه العسكر إلى بعلبك ، ولم يجدوا بها الاّ حواصل ابن الحرفوش ، ازيد من الحاصل حنطة وشعير ، فغنم بها القوم من جبيل وكسروان والبترون وبشريه ، ومن البقاع ووادي التيم ، وتوجّه الامير يونس إلى مدينة حلب ، وتفرّقوا جماعته في بلدان مختلفة .

واما مصطفى باشا فقد خلع على الامير فخرالدين الخلع ، وقرّر عليه وعلى جماعته مقاطعات غزه والبقاع العزيز ، وسناجق عجلون وصفد ونابلس والجون ، وعاد الى دمشق . واما الامير فخر الدين ، وضع الحصار على قلعـة بعلبك ، وبعد مدة من الزمان شاع الخبر ان مراد باشا صاحب حلب ارسل قبض عـلى الامير يونس ابن الحرفوش في المعري من بلاد نعمان ورفعه الى قلعة سلمية ، عند ذلك سكانية ابن الحرفوش الذين كانوا في القلعة (هنا انتهت ص ١٣٢ قفـا) سلموها للامير فخر الدين في الثامن من جمادى الثاني . وفي اليوم الثالث من فتحها ، امر الامير فخرالدين بهدمها . ويقول احمد الخالدي عن هذه القلعة انها كانت عظيمة الشأن رسيمة البنيان حتى ان حائطها القبلي جميعه مبني بثلاثة احجار لا غير بحيث لم يوقف على مثلها لا في قلعة ولا في دير ، كل حجر من هذه الاحجار هو

---

١) نقرأ على الهامش هذه الملاحظة : « في سنة الف وثلاثة وثلاثين للهجرة انشى المير منذر بن سليمان بن علم الدين بن محمد التنوخي داراً شريف في عبيه من شحار الغرب » .

ازيد من مائة شبر طولاً واكثر من ثلاثين شبر عرضاً . واقل حجارة بقية حيطانها طوله ذراعان . فأكثروا بها العواميد كل واحد منها قريب من ثلاثين ذراع ، ودوره لا يحوط به الا باعان . وكان في القديم مبني في روسها قلعة رفيعة البنيان لتحكم على جميع الجوانب بضرب لكل من يحاصرها من اي مكان كان . لكنها هرمت من طول المدة ، وما بقا منها إلاّ العواميد هكذا واقفة وما وقعت ، وعدتها نحو خمسين عامود ، وشرحه .

قـام الامير فخر الدين مدة على حصارها ولم يقدر على فتحها وانتقل من جماعته اربعين رجل من السكانية والمعلمين الذين كانوا ينقبوا فيها . وعندما وضع عليها الحصار ، خرّب السكانية كنيسة السيدة التي كانت بقرب القلعة ، وكانت لطايفة الموارنة ، وقيل ان قسطنطين الملك الكبير بناها في عصره[1] . ثم سار الامير فخر الدين الى حصن اللبوة الذي كان بيد ابن الحرفوش وتولى عليه . واما الامير يونس المذكور فذهب إلى حلب ، فدفع عن ذاته مال جزيل لمراد باشا واطلق سبيله .

وفيها (السنة) قدم الى طرابلوس عمر باشا في البحر فما قبله يوسف باشا ، فـنزل في البترون وارسل الاموراه (اي المراسيم) السلطانية إلى الامير فخر الدين ليكون مساعداً له اذا مانع ابن سيفا . فنزل لعنده وكتب الامير إلى بلاد بشاره والشقيف والشوف والبقاع والجرد والمتن وكسروان بأن تجتمع الرجال ويتوجهوا الى البترون لعنده ، وبعث ابن سيفا طلب رضاه ويهل الى ان يجيه

---

١) وهنا نقرأ باللاتينية المصدر الذي استند اليه علامتنا الدويهي وهو المؤرخ اوسابيوس القيصري عن الملك قسطنطين في كتابه الثالث فصل ٥٦ هكذا :

Euseb. Cesar. lib. 3. c. 56. de Constantino.

جواب على من تتقرّر آيالة طرابلوس . عند ذلك الامير فخر الدين غزا بلاد عجلون ونابلوس وانهزم ابن طربيه من قدامه ، والامـير بشير والشيخ رشيد ، وانتقل الى نهر العوجا بعدما أمَّن تلك البلدان . ثم توجّه الى عنده ولده الامير عليّ والامير محمد وعمه الامير أحمد اولاد الشهاب ، وقطعوا النهر مـع بعض خيّالة ومشاة ، فكبستهم العربان وقتلوا منهم نحو مـاية وخمسين نفس (هنا انتهت ص ١٣٣ وجهاً) والباقي رجعوا مهزومين الى الاوتاق .

وفي اليوم الثـامن طردوهم ايضاً عربان ابن طربيه حتى وصلوا الى النهر النازل من عين أم العلق . ثم ان جماعة ابن طربيه وفلاحين بـــلاد حارثه حاصروا الذين كانوا في عمارة جنين وفتحوها بالامان وقتلوا منهم كثيراً واخذوا عدادهم واسبابهم . وبعدما وصل الامير فخر الدين إلى صيدا ، اطلق الامير احمد ابن طربيه اخوته واولاده على بلاد ابن معن ، فنهبوا وقتلوا وأخذوا طرشاً كثير . ثم خرج اليهم كيوان آغـــا شوباصي عكا فهزموه وقتلوا من جماعته وغزوا ساحل عكه وجيرتها . ثم صارت مكاتبة ومراسلات بـــين الامير فخر الدين وبـين الامير احمد ابن طربيه ، وحصل الاتفاق على ان ابن معن يرفـع سكلنيته من برج حيفا ، وابن طربيه يمنع عربانه عن الخربان في بلاد صفد . فهدم ابن طربيه برج حيفا ، وسلكت الدروب بين بلاد حارثه وبلاد صفد .

وفي شهر ذي القعدة جـاء التقرير لعمر باشا بآيالة طرابلوس ، وان ابن معن يكون له معضداً . وكان عمر باشا بعـده مقيماً في مدينة بيروت متوقعاً الجواب . فقريء المكاتيب وعرضها على الامير فخر الدين . وكان مع عمر باشا تمسكاً من يوسف باشا بخمسين الف قرش من حين كان محاصراً له مع الامير فخر الدين في قلعة الحصن

واخرج به أمر شريف ، فوهبها للأمير فخر الدين . وعندما اجتمعت العساكر في أرض البترون وصــل احكام بتقرير آيالة طرابلوس الى يوسف باشا ، فرجع عمر باشا الى الباب العالي .

واما الامير فخر الدين فانه في اليوم الرابع ذي الحجة اخرج الجيوش وسار بهم الى صفد لمقاتلة الامير بشير ، وصار بينهما المراسلات ، آخرها ان الامير بشير دخــل تحت طاعة بيت معن فأقامه الامير فخر الدين نايباً عن ابنه الامير حسين الى بلاد عجلون كما كان اولاً ، وصار الاتفاق بين بيت معن وأمراء البلدان القبلية .

٢٨ ـ وفاة يوسف سيفا باشا طرابلوس وتخلف بعده ابنه القاسم .

وحضر حافظ احمد باشا من قبل الصدر الاعظم ظالماً ، سنة لد والف (اي ١٠٣٤ هج) التي بدؤها في تشارين سنة اسكد (اعني ١٦٢٤ م) في نصف شوال ليلة الاحد ، كانت وفاة يوسف باشا بن سيفــا في مدينة طرابلوس . فحضروا أولاده من حصن الاكراد الامير محمود ، ومن عكار الامير بلك ، والامير قاسم من جبلة . فتخلف عليه الامير قاسم في طرابلوس والآخرون عادوا إلى مواطنهم . وبعد ذلك بسبعة أشهر ، نزل الامير فخر الدين من بعلبك على جبة بشري . وفي عيــد ميلاد الرب في الحساب العتيق دخلوا مدينة طرابلوس ولم يزالوا في مــدة أربعين يوم ينهبوا ويسبوا ويشلّحوا (هنا انتهت ص ١٣٣ قفا) ، حتى دخل باشة حلب . ثم ان مصطفى باشا ابن اسكندر جاء من قبل الصدر الاعظم حافظ احمد الوزير وتولى آيالة طرابلوس ، وكان دخوله بــلا رحمة لكثرة الظلم الذي صدر منه ، فكتب عكار على الامير سليان وطفّروا اولاد عمه السيفلية الى الحصن .

٢٩ – انشاء مدرسة حوقا والبطرك يوحنا مخلوف . تهنئة البابا اوربانوس وجوابه للسيد البطريرك . الاسقف حنا الحصروني :

وفيها (اي السنة المذكورة) اقام البطرك يحنا مدرسة لعلم الاولاد في دير سيدة حوقا ليتأدبوا بها الاولاد الذين يدخلون الى مدرسة رومية والذين يعاودون منها[1] . وعندما تسلّم تدبير الكرمي الروماني البابا اوربانوس الثامن ، ارسل له البطرك مكاتيب التهنئة مع القس حنا ابن قورياقوس الحصروني المعروف من بيت سندوق (صندوق) الذي مع القس جبرايل ابن صهيون الهدناني ضبط ترجماته اللغات الشرقية عند حضرة سلطان فرنسا . فترحّب به قدس البابا وبعث معه للبطرك يحنا تاجاً جميل وكتباً وعداد لأجل خدمة الاسرار المقدسة ورسالة يمدح بها ديانة الملة المارونية ، ويتشكر بها من غيرة البطرك في بنيان المدرسة في دور حوقا لأجل تعليم الاولاد ، وعيّن لها علوفة سنوية .

وعند عودة القس يحنا انتدب إلى درجة الاسقفية ، واخذ السكنة في دير مار جرجس في بقرقاشا خدم بها أربع شهور واستراح من شقاء العالم في سنة اسكو (اي ١٦٢٦ مسيحية) في عيد الشعانين . وكان المذكور ذا علم وتقوى جزيلة .

٣٠ – الامير فخر الدين في بعلبك . ابن حرفوش يهرب الى

١) وجاء في تاريخ الطائفة الذي نشره الشرتوني ، ص ١٩٩ بهذا الخصوص ما يلي : « سنة ١٦٢٤ انشأ البطريرك يوحنا مخلوف مدرسة لتعليم ابناء الطائفة بدير سيدة حوقة ، ووعد الذين يفوقون غيرهم علماً وادباً انه يرسلهم الى رومية لاتمام دروسهم فيها » . انظر ايضاً الدر المنظوم ص ١٥٩ . امـا مكاتيب التهنئة التي ارسلها البطريرك مخلوف للبابا اوربانوس الثامن فقد ذكرها الشرتوني ص ٢٠٠ ، في ذكر تاريخ سنة ١٦٢٥ . راجع درج الردود للدبس ص ١١ و ٢٤ .

حلب . مقتل الامير يونس الحرفوش . قـــلة مطر . صاحب طرابلس يغزو آل سيفا . اتفاق فخر الدين وسيفا بعد تسليمهم القلاع . الامير مدلج . خادم الموارنة في قبرس . سيامة الاسقف يوحنا على دير مار اليشع بشري ؛ سنة له والـف للهجرة (اي ١٠٣٥ هج) الموافقة لسنة اسكه (اي سنة ١٦٢٥ م) تقرّر بـلاد بعلبك على الامير فخر الدين . وكان ابن الحرفوش في حصن اللبوة . فلما تحقق عن قدوم ابن معن الى تلك الجهة ، انتقـــل بعياله الى حلب . واما ابنه الامير حسن ، حضر على عمه فخر الدين فاعطاه الأمن وسكّنه في الحدث . ثم انه اخذ بنت الامير وارتحل ليلاً الى عند والده ، وصار الامير يونس يفتن على الامـير فخر الدين ، واشرط على نفسه ان كان ابن معن يسلّم القـــلاع يكون بقطع راسه ، فرقمه الوزير الى القلعـة . ثم ان ابن معن سلّم القلاع .

وفي محرّم افتتاح سنة لز والف (أي ١٠٣٧) امر الوزير بجدف رأس الامـير يونس . وفي هـــذه السنة دخلت الكوانين واسباط (شباط) ولم يصير مطر الا قليل ، وفي السواحل لم تقطع الناس النهورة (هنا انتهت ص ١٣٤ وجهاً) الا في المخاضة وظهر بها الجراد في أرض بعلبك والحصن وجون طرابلوس .

وفيها (السنة) مصطفى باشا صاحب طرابلوس ركب على بيت سيفا وسار في الرجـال الى مرقيه لتحت قلعة المركب حيث كانوا مجتمعين الامير قاسم ابن سيفا ويوسف آغا والشيخ عليّ ابن حماده والذين من غرضهم . فدفعوا له عشرين الف حتى أخذوا خاطره ورجع الى طرابلوس ، ثم انه بعد قليل كتب الى ابن معن لينجده في الرجال ويجدّد الركبة على بيت سيفا . فجمع الامير فخر الدين جيشاً عظيم من سكمانية وعربان وأهل بلاده وزحف بهم من بيروت

على البقاع واللبوة والهرمل . وكان الامير سليمان ابن سيفا متحصن في حصار صافيتا ومعه نحو أربعة آلاف رجـل . فلما بلغه قدوم الامير (فخر الدين) اطلق الرجال وسار بنفر قليـــل الى سلمية طالباً يستمز في الامير مدلج البدوي . وفي حال وصوله قبض عليه رفاق مدلج البدوي وارسلوه موثوقاً إلى عند استاذهم . وكان الامير مدلج راكباً مع الوزير حافظ احمد في مدينة بغداد ، فتقوا (فتقوّى) عليهم الشاه وقتل منه (منهم) مقتلة كبيرة . وحين رجع الوزير الى ديار بكر اخذ الامير مدلج الامير سليمان والقاه في نهر الفرات .

ثم ان اولاد سيفا طلبوا ارضاء الامير فخر الدين واسلموه قلعة الحصن وقلعـــة المرقب . فطاب خـاطره عليهم ومنع عنهم باشة طرابلوس . ثم انه تزوّج الست بنت العيس من آل ابو ريشه امارة البحار . فركب معهم على الامير مدلج . وفي محرّم سنة لو والف (اي ١٠٣٦ هج) دخل مدينة سلمية وهدم صورها وملك قلعتها . ثم انه حكم مدينة حما وحمص وسلمها لجماعته . ثم انه عاد الى مدينة بيروت وصار الصلح بينه وبين الامير مدلج .

وفي هـذه السنة كان متكلم على الموارنة الذين بقرية الكفريات بقبرس القس جرجس . فخدعوه الروم وتملّك هو وناس من قرباه واخذ كنيسة السيدة التي كان يخدمها بالكفريات وجعلها تحت طاعة اسقف الروم . ثم ان بعد ستة عشر سنة القس بطرس خادم موارنة الكفريات وكان ذا طهارة وغيرة كبيرة خرج عليها مـــال كثير واسترجعها الى الطايفة في اموره سلطانية .

وفيها كانت قسمة (سيامة) الاسقف يوحنا من بيت قيزوح على مار اليشاع بشري وقرية دير الاحمر بعد مار اليشع في ك (٢٠) من تشرين الاول (وهنا انتهت ص ١٣٤ قفا) .

٣١ – عزل مصطفى باشا وتعيين عمر باشا محله على طرابلس . نقص وغلاء اسعار . الوزير خليل باشا محل حافظ احمد . تحويل الهجوم ضد الامير فخر الدين الى الشام : سنة لو والـــف للهجرة (اي ١٠٣٦ ، وهي توافق سنة ١٦٢٦) بعث حافظ احمد الوزير عـزل مصطفى باشا ابن سكندر عن آيالة طرابلوس واعطاها لعمر باشا باش دفتردار ، وفي حال وصول مصطفى باشا إلى ديار بكر قتله الوزير واخذ ماله وخرج في عدد الرجال والاشجار في ناحية الزاوية وطرابلوس والكورة الشيخ عـلي ابن حماده وعبدي آغا من قبل الامير فخر الدين .

وفي هذه السنة جـاء النقص بأرض الشام والساحل في الاطفال والشباب وفي البقر والجاموس ، وغلت الاسعار . فكان رطل الزيت الشامي بنصف قرش . ورطـــل الصابون بقرش . وشنبل الحنطة بقرشين . وبيع رطل الحرير الابيض المتروك بعشرين قرش .

وفيها (السنة) بعد عودة حافظ احمد من بغداد ، اخذ الوزارة خليل باشا ، فتوجّه الى حلب في العساكر بسبب الركبة على الامير فخر الدين ونهب بـــلاده . وبعث عزل عن طرابلوس عـمـر باشا واعطاها لابراهيم باشا . فرفع رفاق الامير من الزاوية والكورة . واما الامير فخر الدين لاستعطاف خاطر الصدر الاعظم ، ارسل مع عبدالله بلوكباشي يوعده بخزاين كثيرة وبتسليم قلعة الحصن وصافيتا وسلميه وشميس . وعندما صار الوفق على ذلـــك تحوّلت الركبة على الشام .

٣٢ – وفـاة الاسقف سركيس السمراني فرسم البطرك عوضه ابن اخيـــه بولس ثم المطران يوسف حليب العاقوري والمطران

البلوزاني . نقض كنيسة في البترون ؛ وفي هذه السنة في الثامن من تموز توفّا الاسقف سركيس السمراني الذي استحبس بدير مار انطانيوس قزحيا ، وكان رجـلاً ديّناً وراغباً في العلوم وماهراً في اللغة السريانية والعربية . فنسخ كتباً كثيرة لخدمة البيعة ، وألّف بعض مدايح ، ومات موتة الصالحين . ثم ان السيد البطرك سام عوضه ابن اخيـــه الاسقف بولص ، وسام ايضاً الاسقـف يوسف العاقوري من بيت حليب على مدينة صيدا ، والاسقف يوسف البلوزاني على مدينة بيروت .

(وعلى الهـامش نقرأ) : « في سنة اسكو (اي ١٦٢٦ م) في دولة فخر الدين نقـض الخوري يوسف ابن الخوري حبيب كنيسة السيدة في قرية بشعله من عمل البترون وبناها قبواً » .

٣٣ – فخر الدين يعمّر البـلاد في طرابلوس . زواج الشيخ نادر الخازن باحتفال عظيم . تجديد بناء دير مار شليطا مقبس . اسحق الشدراوي اسقف طرابلوس ؛ سنة لز والف (اي ١٠٣٧ هج الموافقة لسنة ١٦٢٧ م) تولّى الامـير فخر الدين آيالة طرابلوس ، ومشّى ساقية القاع ، وعمّر القليعات في ارض جونـ طرابلوس ، ونصب في مفراقها اربعـــة عشر الف نصبة توت ، ونصب ايضاً بستان أكبر من ذلك في ارض الحيصه .

وفي كج (٢٣) من شهر سفر كانت زيجة الشيخ نادر ابن الخازن في قرية سمر جبيل مـع بنت الشيخ ابو حبيش معتوق ، وصار له فرحة عظيمة ، والتمّ الى عرسه جملة آلاف من الرجال . وقيل ان كانـ سماطه (مائدته) في كل دفعة الف ومايتين صحن نفايس ، (وهنا انتهت ص ١٣٥ وجهاً) .

وسنة اسكح (أي ١٦٢٨ م الموافقة لسنة ١٠٣٨ هـج) اهتمّ القس حنا ابن القس يوسف ابن محاسب من قرية غوصطا في تجديد وبناية دير مار شليطا بأرض مقبس ، وهو الاول في الديورا الذي صار في بلاد كسروان ، وانتقل اليه ابن أخيه القس مركيس الذي كان مترهباً بدير قزحيا ، وكان بنيانــه في مساعدة القرى الذين في جيرته .

سنة اسكط (اي ١٦٢٩ م) في كه (٢٥) من شهر آذار ارتسم اسحاق الشدراوي اسقفاً على مدينة طرابلوس ، والمذكور دخل إلى مدينة روميــة وتربي في مدرسة الطايفة وصار ملفاناً في العــلوم الاهية والطبيعية .

٣٤ – فخر الدين في بعلبـك . الرهبان الفرنج في كسروان يؤسسون الاديار ويعمّرون الكنائس . زلزلة شديدة تسبب خراباً في القلعة والبلاد : سنة م بعد الالف (اي ١٠٤٠ هج الموافقة لسنة ١٦٣٠ م) توجّه الامــير فخر الدين في الرجال الى مدينة بعلبك بسبب قلعة تدمر فأخذها من يد الاشوام .

وفي الخامس من التشرين الثاني نهار الاحد ، حدثت زلزلة مريعة ، وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سمار جبيل وهدمت البرج الوصطاني من اربع جوانبه ، وأخذ جميع مـــا فوق القبو التحتاني المركب على البير . وخطف العارض لنوفل ابن الشيخ نادر ولوالدته بنت الشيخ معتوق مع ستة انفس . وفي السنة الثانية بـدأ الشيخ ابو نوفل نادر في عمارة القلعة .

(وعلى الهامش) : « سنة ١٦٣٢ ، وفي دولة الامير فخر الدين

وحكم الشيخ ابو صافي ابن الخازن تملكوا النصارى في جبة بشري ، وكثيرين اتخـــذوا سيرة النسك ، وتعمّرت الكنايس والديوره ، وقصدوها النصارى من داخل البحر . فان الرهبان الفرنج اخذوا السكنة في دير مار يعقوب الحباش في قرية اهدن . والكبوشية في دير مار قبريان اهدن ودير مار توما حصرون . والرهبان الكرملتانية بدير مرته موره اهدن وبدير مار اليشع بشري وكذلك بعض حبساء .»

٣٥ – فخر الدين والتجارة مع الفرنج . القشلق في بلاد الشام . واشتعال الحرب معه . موقعة صفد وبناء مغارة وقلعة . ولد الامير فخر الدين يحارب احمد قانصوه والشيخ بشير . بلاد قبله :
سنة مـــا والف (أي ١٠٤١ هج الموافقة لسنة ١٦٣١ م) سارت مراكب كثيرة من بلاد الفرنج إلى عكه وصور والرمله وطرطوزه بسبب وسق القمح . وكانت الغلة شحيحة وهم يشتروها بأغلا ثمن . وكان الامير فخر الدين مساعداً معهم ، حتى أن في مدينة عكه وحدها انعدّوا ماية وعشرين برشه بطلب القمح . وزادت الشحّة حتى وصل الشنبل في طرابلوس الى ثلاث قروش . وشنبل الشعير والدرا الى قرشين وربع من غير وجود في كل سواحل البحر .

فلما سمع قبضان البحر العثماني بورود مراكب الفرنج إلى هـذا الجانب ، ارسل عشرة اجربة لأجل محافظة السواحل . وفي اول شهر ايلول دخلوا الى مينه طرابلوس ، وكانت (هنا انتهت ص ١٣٥ قفا) طرابلوس منذ خمس سنين لم تندبر الا من المتسلمين . ومن هناك ساروا الى بيروت والى صيـــدا والى عكه والى قبروس . ورادوا الفرنج يخاونوهم فما اذن لهم الامير بل اشار عليهم بالخروج من قدامهم .

وفيهـا (السنة) توزّع القشلق على بـلاد الشام وتكلفت مدينة دمشق على كل خاني خمسين قرش ، وهمّت الناس على الرحيل لأجل قلة الحبوب والتبن . وعندما توجّه الامير فخر الدين من صيدا الى طرابلوس خرجت اليه أهـــل المدينة لعند باب الحلق وطلبوا منه يمنع عنهم القشلق . فأرسل الشيخ احمد بن حماده مع بعض ناس من السكانية من اولاد العرب يوعدوه بمبلغ من المال ولا يدخل البلاد . فلاقوه الى ضهر مريعين ، فما ارتضا منهم ، فخاونوه وقتلوا ناس من جماعته . فرجع الى حماه ومن هناك الى بلاده .

وفي العشر الاول من جمادى الثاني الذي يوافق لشهر كانون الاول جمع الامير فخر الدين أهـــل كسروان وجبيل والبترون وبشري والكوره وعكار والضنية والحصن وجبلة ولاذقية وصافيتا وسكانية وغيرهم وتوجّه إلى مصيات ، فدخل قلعتها وعزم على نهب البلاد ، لأن ما ابدا قابلوا حاكم قبل هذا الآن . فحضر عليه المقدّم محمد ابن شلهوب من قرية فقرو ، والمقدم رزق بن عمر من قرية عناب ، فخلع عليهم وفلّت العساكر .

وفيها (السنة) ولده عليّ بك تخاون مع الامير أحمد آل قانصوه والشيخ رشيد ومقلد اولاد بشير بأرض صفد فظفر بهم . وامـــا الامير فخر الدين فلما بلغه خبر القتال جمع العساكر لينجده فوصل بهم الى نهر الدامور ، ولما بلغه كسرة الاعداء امر ان تفلّ العساكر .

وفيهـا (السنة) في عشرة أيام من ذي الحجة الموافـــق لشهر حزيران ، ركب الامير فخر الدين برجال كسروان ، والشيخ ابو نادر برجال جبيل ، والشيخ صافي اخوه برجال بشري ، والمقدم عـــلي برجال البترون ، وامراء الفدار برجال الكوره ، والشيخ احمد ابن حماده برجال عكار والحصن وصافيتا وجبـل الكلبين ، وتوجّه الى

صفد ، لأن ولده علي بك كان راكب بنحو خمسة آلاف على عرب قانصوه وبشير وتوابعهم في بلاد قبله . فلما نظروا ذلك أهالي قبله طلبوا الصلح والمهادنة ، (وهنا انتهت ص ١٣٦ وجهاً) . ومشت السابلة . وقبل ان تفلّ العساكر ، عمّر في بلاد صفد مغارة الحمام فوق نبع اسبانيا وعملها حصار مانع[1] .

٣٦ – فخر الدين في بيروت يعمّر البلاد . بيت الشمالي في درعون يعمّرون الكنايس . وفاة المطران يوحنا الحصروني المشهور . كنايس بكفيا . دخول رهبان الفرنج الى جبل لبنان ، دير سيدة حوقا . في سنة اسلب (١٦٣٢ م الموافقة لسنة ١٠٤٢ هج) عمّر الامير فخر الدين الجنينات وبرج الكشاف والحوش للوحوش في مدينة بيروت .

وفيها (السنة المذكورة) القس فرح ابن الشمالي واخوه القس حنا كانا سالكين في التقوى ، فعمّر احدهما كنيسة السيدة ، والثاني كنيسة مار انطانيوس قبواً في قرية درعون في بلاد كسروان .

وفيها كانت وفاة الاسقف يوحنا الحوشي من قرية حصرون في مدينة رومية في دير مار بطرس حيث صُلب . وتعلم المذكور وتأدب في مدينة رومية وكان ذو علم غزير ودخل رهبنة عبد الاحد . واختصر كتاب مار توما الملفان في اللغة العربية ونادى في تسليك حساب الجديد . وحين كان في مدينة حلب ، دفعوا عليه طوايف

١) وفي هذه السنة كان ملروس على دير سيدة حوقا في الضنية الخوري حنا من قرية الصفرا في فتوح جبيل ، فاعتنى وعمّر البرج الذي فوق الباب الشرقي من الارض وطالع وكذلك باب المغارة والباب السفلي وحايط الفرن وكان ذلك على يدا المعلم ميخايل بن هوشر الحصروني » . (هذا تقرأه على الهامش في مطلع الصفحة ١٣٦) .

النصارى للحكام اربعة آلاف ويحرقوه . فحضر (الاسقف) إلى المحكة وجاوب عن جميع ما سألوه عنه بحكة جزيلة حتى أن ما أحد (تجرأ ان) قذفه بكلمة . ثم صعد الى المجادلة والمباحثة بما يخص حساب الصيام والفصح ، فما أحد من الطوايف استطاع (ان) يقاومه . عند ذلك أطلقوا سبيله بعدما كانوا شعلوا النار ليحرقوه . وأخذوا مبلغ الدراهم المذكورة من الفرباء[1] .

وفيها اهتمّ الشيخ ابو عماد ابن جميّل في مساعدة اهل بكفيا وجدّد كنيسة مار عبدا بكفيا وعقدوها قبواً بثلاثة اسواق على يد المعلم حنا الشامي .

وفيها كان دخول رهبان الفرنج في جبل لبنان ، والرهبان السبكوشيه أنعم عليهم السيد البطريرك في دير مار يعقوب الحباش في قرية اهدن برضا الاسقف جرجس ورضا اهل الضيعة ، وأعطا للرهبان الكبوشيه دير مار قبريان اهدن ودير مار توما حصرون . وكذلك بعض من الحبساء (وهنا نقرأ هذه العبارة التي وردت سابقاً عن رهبان الكرمل وقد شطبها المؤلف وهي : « واعطا لرهبان الكرمل دير مرت موره اهدن ودير مار اليشاع بشري » . وهنا تنتهي ص ١٣٦ قفا) .

٣٧ – البطرك مخلوف يعمّر كنيسة كفرزينا . وابن معن يأمر بالاحصاء . هجوم الدولة على المير علي المعني والمعنيين . هزيمة

١) وقال الدويهي في تاريخ الطائفة الذي نشره المعلم الشرتوني ، ص ٢٠٣ ، تكملة لهذا الخبر ما يلي : « وخرج من المحكة منصوراً ، ثم انتقل الى راحة الصالحين ، وكانت وفاته في مدينة رومية بدير مار بطرس ومرشللين » للرهبان الحلبيين ، وله كتاب آخر عنوانه قطف الاسرار في اللاهوت الادبي ، انظر سفر الاخبار ، ص ٢٠٧ .

المعنيين واعتقال فخر الدين وارساله الى اسطنبول واما بعض الامراء المعاونون فتمكنوا من الهرب . وحكم على فخر الدين واولاده بالموت ؛ سنة اسلج (أي سنة ١٦٣٣ الموافقة لسنة ١٠٤٣ هج) اعتنا البطرك حنا ابن مخلوف وعمّر كنيسة كفرزينا ، وهي باسم السيدة مرت موره ومرقي برباره . وابن معن ارسل يمدّ الرجال والشجر في الجرد .

وفيها (السنة) كانت الركبة من قبل السلطان مراد على الامير فخر الدين بسبب العروضات التي تقدمت فيه . وكان سردار العسكر كجك احمد باشا . وفي شهر ايلول الموافق للربيع الاول خرجت الدولة بعسكر كبير من مدينة دمشق في نهار الاربعه وكبسوا بلاد ابن الشهاب وغزوا وادي التيم ونهبوا وحرقوا وقتلوا . ثم نزلوا عند الخان الجديد تحت حاصبيا . وكان المير علي ابن معن في صفد . فلما اخذ خبرهم خرج مع الرجال من صفد وما بات الى (ان وصل) بانياس . ثم قام ليلاً وكبس الدولة عند الصبح فقتل والذين معه البعض منهم قتلوا والبعض انهزموا[1] . وفيها جاء جعفر باشا قبطان البحر في الاجربة على طرابلوس وعلى بيروت ، وجمعوا السبقلية عسكراً كبيراً وجاؤا قبالهم في طريق البر . فانهزم الامير فخر الدين من قدام الدولة وأدخل عياله على قلعة نيحا . ثم نزل مع الشيخ ابو نادر وسرور آغا وابو علوان وابو صافي تخبّوا في مغارة جزين . ثم سار كجك احمد الى صيدا واعطا للأمير يونس ابن معن الأمان ، وحين حضر عليه قتله وانهزم ولده الامير ملحم . وغزت

١) وهنا نقرأ على الهامش هذا الكلام : « في سنة الج للهجرة دخل الشيخ علي بن علم الدين اليمني على قرية عبيه وجمع المير يحيى العاقل والمير محمود وناصر الدين وسيف الدين التنوخية في الدار السفلى وذبحهم اربعتهم في اليوان ، وبعث جاب من البرج اولادهم الصغار ثلاثتهم وقتلهم ولم يترك لهم ذكر يخلفهم وبهم انقطعت الامارة التنوخية » .

الدولة بـــلاد الدروز فنهبوا وقتلوا واخذوا القلاع وفتحوا جميع الحصارات . ومسكوا الامير حسين ابن الامير فخر الدين وكاخيته الشيخ ابو نوفـل نادر الخازن من قلعة المرقب وارسلوهما إلى حلب لعند الوزير ، وحاصروا قلعة نيحا ومغارة جزين حصاراً شديد ، ثم انهم كشفوا على قنا الماء المنحدر لقلعة نيحا فأفسدوا المـــاء وملكوا القلعة .

كذلك وضعوا النقّابين على مغارة جزين اولاً من فوق المغارة ثم من اسفل ، ومـــا زالوا في القطع حتى بلغوا اليهم فملكوهم في آخر جمادي الآخر ، ثم تولوا على جميع ما كان معهم من الاموال . ثم ان كجك احمد اوثق الامير فخر الدين والاماره اولاده منصور وحيدر وبلك مع كواخيه الشيخ ابو نادر ويوسف آغا وسار بهم مسروراً الى الشام . فاستفكّ ابن علم الدين لأبو نادر (الخازن) ، ويوسف آغا السيفلي استفكّ سرور آغا بمبلغ من الدراهم اخذاهما منهما مضاعفة واطلقا سبيلهما . وكذلك الشيخ ابو نوفل نادر أسهل الله امره حتى هرب من حلب . واما الامير فخر الدين واولاده ارسلوهم الى اسطنبول (هنا انتهت ص ١٣٧) ، فحضروا على حضرة السلطان واحتجّ فخر الدين عن ذاته انه ما قتل الا العصاة وانــه مـا جمع الرجال الا بأموره مختصة من الوزراء والنواب الطايعين ، وان القلاع التي فتحها من العصاة اسلمها للسلطنة . فاقتنع حضرة السلطان من كلامه وراد (ان) يعتقه ويردّ له اولاده إلى مواطنهم .

واما الامير علي ابن علم الدين اليمني حكم الشوف وقبض على مناصب بيت معن قتلهم وسلب ارزاقهم ، وعندما جـاء الى قرية أعبيه من بـلاد الغرب وعزموه إلى الغداء الامراء آل تنوخ فباق

فيهم وقتلهم عن آخرهم وكانوا في العدد سبع اماره (امراء)[1] .
فالامير ملحم ابن يونس ما امكنه انه يحتمل كل هذا الجفاء . فجمع العسكر وركب على اليمنية في المقيرط فوق بجدل معوش فقتل كاخية كجك احمد وقتل من الفريقين نحو اربعماية نفس . وعندما انكسر ابن علم الدين انهزم الى طرابلوس ومن هناك إلى مدينة دمشق ، فتحمّل بدولة الشام وعاد بنجدة منهم إلى قب الياس . فسار الى مقاتلتهم الامير ملحم بنحو خمساية نفس ، وحين وصلوا لتحت قب الياس ، أخلوا الدولة الاوطاق حتى دخل سيد احمد ابن ابو عذري بأربعماية رجل ثم طبقوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم . فرجع الامير ملحم بالذين تبقوا معه واختفى في الشوف (ثلاثة أسطر مشطوب عليها وهناك بدلها كلام الهامش هو) :

« وأما الامير ملحم بن الامير يونس (المعني) عندما جاء كجك أحمد ، هرب الى عند الامراء آل طربيه ولم يزل هناك حتى قبضوا على عمه الامير فخر الدين وقتلوا أباه المير يونس . عند ذلك سلمه المير ابن طربيه بيد ابراهيم كاخيه ، وعندما كان ساير به الى دمشق نزلوا في قرا خان ، ويدعوه اهل البلاد خان القيح (والاصح : الشيخ) فأسلمه بيد العبد . واما الامير ملحم فهمّ في الهروب ، وعندما قال للعبد يطلقه يسير ، قفز نازل من سطح الخان . فلحقه العبد وانكسرت رجله . فدخل هو (اي الامير ملحم) في النهر الذي بقرب الخان واحتما تحت العبّارة على صفصافه . فتفرّقت الدولة في طلبه . وسار على العبّارة كب (٢٢) خيّال ، وبعدما جالوا ذلك الوطا ، عادوا الى الخان وهو يراقبهم . وعند ذلك

١) هنا نقرأ على الهامش كلاماً كثيراً عن الامير ملحم بن الامير يونس ... وعن ارتفاع راس النصارى في دولة فخر الدين المعني وتعمير الكنايس ... وسوف يأتي ذكر هذا الكلام بعد النهاية من المتن . وهذا للعلم والاستدراك .

خرج من هناك في حال الليل وسار الى عَرّنه ، فوقع براعي وقال له (ان) يصيح له بشيخ الضيعة . فلما حضر لعنده واخبره بذاته ، تمسّك به الراعي واخفاه بداره ثلاثة أشهر لأنه كان من غرض بيت معن . وفي دولة الامير فخر الدين ارتفع راس النصارى ، لأن اغلب عسكره كانوا نصارى وكواخيه وخدامه موارنة . فصاروا يركبوا الخيـل بسروج ويلفّوا شاشات وخرور ويلبسوا طوامين وزنانير مسقطة ويحملوا البندق والقفـاص الجوهرة . وفي ايامـه تعمّرت الكنايس في بكفيا والعربانية وبشعله وكفرزينا وكفرحلتا ، وقدموا المرسلين من بلاد الفرنج واخذوا السكنة في البلاد » .

فأما دولة الشام والعلماء فأعرضوا الى الباب العالي بالأمور التي كانت تصدر من الامير ملحم ، فتغيّر خاطر حضرة السلطان مراد على عمه الامير فخر الدين ، وأمر بقتله وقتل اولاده الصغار .

٣٨ – وفاة البطريرك يوحنا مخلوف . وصف سيرته واعماله ، وانتخاب ميخايل عميره بطريركاً جديداً . رهبان الكرمل في الشمال :

وفي هـذه السنة المذكورة في أواخر تشرين الثاني كان انتقال والدنا الى رحمة خالقه ، وفي الخامس عشر من شهر كانون الاول تنيّح البطرك يوحنا ابن مخلوف الهدناني ، وله خمسة عشر سنة ونصف في البطركية[١] ، وكانت وفاته في قرية كفرزينا في زاوية طرابلوس وحملوه ليلاً الى دير قنوبين . وكان المذكور ليّن الجانب كريم الاخلاق ، ولموضع غيرته سامه البطرك يوسف الرزي اسقفاً ليكون مساعداً له (في امور البطريركية) . ثم استحقّ تدبـير الكرسي الانطاكي ،

---

١) هذه العبارة مشطوب عليها في المتن بخط عريض .

وجلس عليه خمسة عشر سنة ونصف ، واقتنا له املاكاً كثيرة في جبة بشري وفي زاوية طرابلس ، نشا البعض واشترى البعض (الآخر).

وفي سنين الغلاء عندما كانت فرغت خوابي الزيت وصناديق الحنطة ، اخذ الماء طوريو ويخترهم ، وفي القدرة (ص ١٣٧) الالهية انتلت الخوابي زيتاً والصناديق حنطة . وقد جرت العادة ان لما الرؤساء يبلغوا أجلهم ، يباركوا على الرعية كلها ، ويطلبوا لها من الله العناية والاحتفاظ على شبه ما هو مذكور كما فعل يعقوب لاولاده الاثني عشر . فبعدما توفا السيد البطريرك يوحنا بستة ساعات ، تذكروا الحاضرين انه ما بارك الرعية ، وتوهّم عليهم انه مات وهو غير راضي عليهم بسبب الفتنة والحروب التي كانت صايرة بين بيت سيفا وبيت معن . فأمر عجيب (صار وهو) انه رفع يمينه وهو ميت ورشم اشارة الصليب ما كأنه الا حي . وصار هذا الامر بمحضر جمع كثير من نصارى ومسلمين الذين اجتمعوا لموته .

وفي السابع وعشرين من شهر كانون الاول المذكور تخلّف بعده البطرك جرجس ابن عميره من اهدن . وامتنعوا روساء الكهنة عن الاجتماع لصفوة البطرك الجديد في نهار تاسع المرحوم كالعادة القديمة بسبب الاطهاد (الاضطهاد) المظيم الذي كان على الكرسي من الحروب . (وجاء في المسودة المحفوظة في بكركي ص ٣٨٣ ما يلي) : « ان في هذه السنة صارت فتن بين الاسلام فمسكوا المطارين ، ونهبوا الديورة ، وشلّحوا الكنايس بجبل لبنان ، وصارت خساير عظيمة ، فهرب كثير من المطارين . وفيها دخل ابن مارون الى قبرس ، وانكتبت فيه مكاتيب إلى حضرة البطريرك انه كان يجبي دراهم من الرعيـــة عنوةً والذي ما يعطيه يحرمه ، وانه كان يرمم بناديق ويعرّف ويقرّب خارج ملتنا بسبب المكسب ، وبسبب ذلك ارسل البطرك

يوبّخه واذ لم يرجع عن ذلك شهر عليه الحرم والبطرك ميخايل عميره هو العاشر من البطاركة في دير قنوبين » .

وفيها (السنة) جاؤا رهبان الكرمل إلى جبة بشري ، فأخذوا السكنة اولاً بدير مار اليشاع بشري ، ثم انتقلوا الى دير مرت موره اهدن ، ثم عاودوا الى مار اليشاع ...

٣٩ — القتال بين حماده وبيت سيفا ابن عساف باشا . الظلم وهرب الاكليروس . وفاة البطرك الملكي كرمه . وفاة الحاجة مريم قمر : سنة مد والف (اي ١٠٤٤ هج) الموافقة لسنة الف وستماية واربعة وثلاثين ، بعد وفاة فخر الدين ، تولوا السيفلية آيالة طرابلوس وأخذ محافظتها قاسم باشا ابن يوسف باشا . وعندما جاءه الامر من قبل السلطان مراد بالسفر إلى بلاد الاعجام ، امر جماعته بالركوب والسفر ، فلم يطاوعوه كواخيه حسن آغا ويوسف آغا ، وقد جمع نفراً قليلاً وسافر قناقين ثلاثة . ثم كثر عليه الوهم فعمل روحه مجنون وانهزم . عند ذلك عاد العسكر الى طرابلوس ، اجتمعوا الاعيان فيهم وحكّموا لابن اخته الامير علي ابن الامير محمد ، فدبّر المدينة شهرين ، ثم ركب عليه خاله الامير عساف ابن يوسف باشا ، فاهزمه من طرابلوس الى بيروت . وهناك اجتمع الامير علي مع حسن آغا ، وحرّكوا ابن علم الدين الدرزي حتى صاروا مشداً واحداً وساروا في رجاله في طريق الجرد فحكموا المنيطرة وبلاد جبيل . فركب عليه الامير عساف مع بيت حماده فكبسوا المنيطرة واحرقوها وقتلوا الشيخ ابو جمال الدين سياله وابن اخيه ابن احمد من بيت المستراح .

ثم ان المقدم زين الدين بن الصواف جرّد الرجال واتحد مع الامير

علي السيفلي (وهنا تنتهي ص ١٣٨ وجهاً) وساروا في طريق الجرد الى قرية ايعال التي على نهر رشعين طرف بلاد الضنيّة . فصعد اليهم الامير عساف مع مشايخ بيت حماده وكبسوهم في ايعال ، فلم يقدروا عليهم لأن الامير علي والمقدم زين الدين قتلوا الشيخ كنعان ابن قانصوه حماده مع جماعة كثيرة من جماعة الامير عساف واتوا بروس القتلى الى طرابلوس . فحكم المنية وبلاد البترون وجبيل المير عليّ ابن محمد بن عساف ، وكثر الظلم والبلص والنهب في آيالة طرابلوس لكثرة الفرض في الحكام وصبيانهم واخذوا من الديورة مالين بدل المال . ومسكوا الرؤساء الكهنة ورؤساء الديورة والمرابيط حتى يقرّوا على رزق ابن معن وبيت الخازن وغيرهم ، وحمّلوا النـاس فوق طاقتهم حتى ان البعض انهزموا ، والبعض نزلوا إلى المدينة بأموالهم وبوشهم ، والبعض دخلوا في البحر .

وكان القس حنا ابن بهينا الاجبعاني قاطن في دير مـار مارون « ريش مران » في قرية كفرحي ، فوشى بـه الملكية اهالي بقسميا لابن سيفا حتى بهدله واخذ منه المال مرتين ، ومن كثرة شرهم ترك الدير ، فخرب الدير وايضاً قرية بقسميا .

وفي هذه السنـة هرب الاسقف جرجس ابن مارون إلى جزيرة قبرس ، ثم انه عاد لاهدن ، ومات بها وقبر عند دير مار يعقوب ، وكان رجل سخي النفس محترم ، دخل دفوع شتّى سفيراً الى رومية ، ومن غير انه يكون تعلم في المدارس كان يوعظ ويبكت ويرشد بعجب عظيم .

وفيها كانت وفاة افتيشيوس[١] كرمه بطرك الملكية ، وتخلّف

---

١) هو ملاتيوس كرمه الحموي وسمي افتيميوس بعد ارتقائه السدة البطريركية ، مات في حلب سنة ١٦٣٥ للميلاد ، راجع ما كتبناه بشأنه في كتبنا التاريخية عن الرهبنة ، مج ٩ ص ١٥١ ٢ و ١٠ ص ٤ ٣٢ ، وكتابنا الخاص عن الكنائس الشرقية (فصل كامل عن الملكيين) .

بعده افتيميوس الساقزي ، وقيل ان البطرك كرمه مات في السم ، بسبب انه كان يريد يغيّر حساب الصوم ويدرجه زي الكنيسة الرومانية ، وكان ذا معرفة جزيلة ، ونقل رتب الكنيسة من اللغة الرومية والسريانية الى العربية .

(وعلى الهامش) : « وفيهــا كانت وفاة الحاجة مريم الشامية بنت قمر في رومية . واوصت ان الدراهم التي لها في منتي (جبل) اورسينوس ، كل رابع سنة يستوفي غلالها الشماس يوسف ابن قمر ، وبعد المذكور يكون وكيلها مدبر مدرسة الموارنة فيستوفي الغلال كل رابع سنة ، ويبعث فيه عداد اواني مقدسة حق البطرك يفرّقها على الكنائس التي تكون محتاجة . »

٤٠ ـ مصطفى البستنجي او النيشنجي ، القتـال بـين سيفا وعساف . وحش في الجامع : سنة مــه والف (اي ١٠٤٥ هج) الموافقة لسنة ١٦٣٥ (اي ١٦٣٥ م) تولّى آيالة طرابلوس مصطفى باشا النيشنجي ، وفوّض حكم جبيل والبترون والضنّية للأمير علي السيفلي . وجبة بشري للشيخ ابو كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي وابو جبرايل يوسف الهدناني (وكان حكمه معتدل) . وعكار والحصن وصافيتا لقرايبه[1] .

وعندما امره السلطان بالركبة على الشاه الذي كان تملك مدينة ازوان (وفي سباط : أرزون) فوّض محافظة البر على الامير عساف

١) طالع تاريخ الدويهي هذا الذي طبعه سنة ١٨٩٠ المعلم الشرتوني، ص ٢٠٨ فتجد هناك تصحيحات كثيرة هامة نقلاً عن تاريخ ابن سباط ، والغرر الحسان، واخبار الاعيان ومــا شابه ذلك من التواريخ التي ذكرناها في المقدمة . وجدير بالذكر ان اسم مصطفى النيشنجي هنا ورد في تاريخ الغرر الحسان وابن سباط : « البستنجي » .

ابن سيفا ، ونادى حضرة السلطان مراد بالسفر ، فمصطفى باشا تحصّن في طرابلوس ، اما ابن اخته الامير علي فصعب عليه ذلك فكبس قرية اميون فنهبها وبدّد مغلها وزيتها ونبيذها في شهر رمضان الموافق لشهر اذار . وفي نهار عيد رمضان (وهنا انتهت ص ١٣٨ قفا) دخل الى طرابلوس وحش من باب التبانة ودخل الى الجامع وجرح في الاسواق نوف (اكثر من) خمسين نفس من الادمية غير البقر والخيل . فالبعض منهم ماتوا ، والبعض سلموا ، وفي تمـــام الاربعين يوم غالبهم الكلب ومات .

وفيها (السنة) قدم الامير عليّ الى قرية أميون وانهزم اهلهـا من قدامه الى طرابلوس ، فنهبها وبدّر مغلها وزيتها ونبيذها ، وفي الثالث يوم جمع الامير عساف السكمانية والعرب وخرج إلى مقاتلـة ابن اخته عـــليّ والتحم الشر بينهم في ارض عزقيه[1] في طرف الزاوية في كح (٢٨) من شهر اذار الموافق للعاشر من شوال ، وكانت الكسيرة على الامير عليّ ، وكان صحبته المقدم محمد ابن علي الصوّاف . فانهزموا وساروا الى عند ابن علم الدين اليمني . واما الامير عــليّ فكانت اولاده ونسوانه في برج سير بأرض الضنّية . فجمع الامير عسّاف والمتسلّم الرجال وتوجّهوا الى البرج فحاصروه وقبضوا على اعيال الامير علي وارسلوهم الى نفس عكار . حينئذاً نزل المتسلّم الى طرابلوس ، والامير عساف توجّه برجاله الى البترون فأخذ العمارة وسار بها الى جبيل ، حكم بلدانهم وضبط الحرير .

ثم ان الامير علي عاد من بلاد الدروز وقصد مقاتلة خاله الامير عساف في قرية اعناز من بلاد الحصن ، فظفر به وقتل من جماعته

١) وفي الغرر الحسان « عرقـــه » ، وفي ابن سباط « غرفة » ، راجع المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

مقتلة كبيرة ، ومسك الامير عيسى العذري أخذه يسيراً (اسيراً) وكانت الكاينة في الاثنين وعشرين من شهر تموز الموافق لثامن يوم من شهر صفر ، وبين هذين الاثنين خربت البلدان .

(على الهامش) : « وفي هذه السنة دخل البحر الشيخ بو نادر مع ولده ومع اخيه الشيخ أبو خطار لعند الكران دوقا (وبعد سنتين عاودوا [1] » .

وفي شهر آب من هذه السنة كانت وفاة القس نصرالله ابن شلق العاقوري . هذا تتلمذ في مدينة رومية ، وصنّف بعض كتب عن رتب الكنيسة المارونية وعوايدها . وخلّف سبعة آلاف وخمسماية قرش وصّى بها ان تتعمّر مدرسة للموارنة (في راوونا) وجعل وكيله بذلك القس جبرايل ابن عواد الحصروني . فاتفق المذكور مع الكردينال كابّون ومع فرنسيس اينجولي ياصجي بجمع انتشار الايمان على انها تنقام (هذه المدرسة) في مدينة راوننا ، والكردينال المذكور زارها وساعدها بمبلغ أربعة آلاف وستماية سكوت ، جملة درام ، لأنه كان أسقف راوّننا وكفيل الطايفة ، وجعلوا القس جبرايل المذكور ساعياً في بجيبة الاولاد وتدبيرهم . [ثم بطلت هذه المدرسة ونقل تلاميذها الى مدرسة الموارنة في رومية سنة ١٦٦٤ ، نقلاً عن الدر المنظوم للبطرك بولس مسعد ، ص ١٦٠] .

---

١) وفي اخبار الاعيان نقلاً عن المعلم الشرتوني في الموضع نفسه ص ٢٠٨ بهذا الصدد ما يلي : « لما بلغ بني الخازن امر السلطان بقتل الامير فخر الدين واولاده خافوا فتوجّه المشايخ ابو نادر وابنه ابو نوفل نادر واخوه ابو خطار عبدالله الى توسكانا بايطاليا عند الدوكا المعظم . والدوكا هذا هو فرديناندو الثاني دوك توسكانة وكان من اسرة ميدسيس المشهورة ، وله رسالة وصاية في الشيخ ابي نادر وغيره من العائلة الخازنية ، والرسالة محفوظة الى الآن بصورتها عند الشيخ بطرس كنعان الخازن وقد رأيتها بأم العين ونقلتها الى العربية ... »

والكردينال المذكور استمدّ من البابا زخيا العاشر ان المدرسة المذكورة تدعا (كلمة ايطالية غير مقروءة ولعلها « Pontifici » اي حبرية -- باباوية) كما هو واضح من السجل . ولأن تلك المدرسة ما كان يصدر منها نفع ... وصار ان في رياسة البابا اسكندر السابع امر الجمع المقدس لانتشار الايمان أن تلك المدرسة تنتقل لرومية . فنقلوا التلاميذ إلى مدرسة رومية فثبتوا مدة يسيرة هناك ثم نقلهم إلى مدرسة الموارنة برومية . وفي مدة اكثر من ثمان سنين ما تبقا من التلاميذ إلا واحد . ثم ان المطران جرجس من بسبعل كتب للمجمع ان الخوري . . . بن عويضه والقس بطرس بن مخلوف الى قنيموس بسبب هولاء التلاميذ ، فأمر أن يكونوا ...(١) .

٤١ – الاختلاف بين ابن علم الدين واحمد الشاملي الذي قاتل الاول وهرب الى كسروان . مقتل ابن حبيش . الوفق بين الامير عساف وابن اخته علي . سقوط البرّد الكبير . الحرب بين كجك احمـــد باشا والاعجام وانكسار الباشا . المطران يكرّس كنيسة العربانية . ظهور الامير المعني ملحم . استيلاؤه على بلاد الشوف بعد كسره علم الدين . متسلم الباشا كاتاجاج دخل طرابلس مع بيت سيفا : سنة مو والف (اي ١٠٤٦ هج الموافقة لسنة ١٦٣٦ م) وقعت المخالفة في بلاد الغرب في جبـل بيروت بين ابن عـلم الدين اليمني واحمد آغا الشاملي بسبب (تأخير دفع) مال السلطان . فاتفق مع الشاملي سنجق صفد ومتسلّم بيروت والمقدّم ابن ابو لمع والامير

١) ان هـذا المقطع عن المدرسة مكتوب بخط رفيع جداً على الهامش وبحبر عاطل ، وبطريقة غير واضحة اصلاً ، فلا يمكن الوصول الى قراءته ، ولذا جاء المعنى متقطعاً ولا لحمة بين العبارة واختها ، على الرغم من بذل الجهود في الوصول الى فهم عباراتها والتمكن من قراءتها وفهم المعنى ، وهذا ما دعاني الى وضع بعض النقاط الدالة على الاستفهام ، بين العبارة واختها فيلزم الانتباه .

عساف ابن علم الدين ، فانهزم من قدامهم برجاله واعياله وراحت معـــه الرعايا والفلاّحين من بلاد الغرب والجرد والمتن والشويفات والشحار ، ومن كان تحت حكمه بأعيالهم وماشيتهم ما ينوف عن سبعة آلاف . فدخلوا بلاد كسروان ونهبوا قرية بكفيا ، وانهزموا من قدامهم أصحاب الاغراض .

ثم ان تكاثرت على ابن علم الدين الدولة والرجال فخاونوهم في مرحاتا وكسروه وقتل الشيخ ابو فارس ابن حبيش . وكان اخوه الشيخ ابو حبيش متقدماً على الجماعة ، ثم تواقعوا في المروج وقتل بها الشيخ حمزه ابن القاضي ، ثم طفّـروهم من بلاد كسروان . فانهزم حتى وصل الى بلاد عكار في اوايل ايلول واجتمعوا في قرية عرقا مع عسكر علي ابن سيفا . وأما الدولة فساروا على درب الساحل (بعكس الآخرين) ودخلوا طرابلوس وخرجوا الى مقاتلته عند نهر البارد ، فانهزم من قدامهم ، ثم لحقوه في ارض الجون فوق برج تيب بين المتّلول فكسروه ، واسبت (الدولة) الاروام حريمهم واخذوا بوشهم وكسبهم (اي مغانمهم) وفلّت العساكر ، ثم دخل طربوش البدوي في الصلح بين الامير عساف وابن اخته الامير علي وصار الوفق بينهم في قرية المنيه .

وفي أوايل شهر تشرين الاول ، نزل برَد في ارض الزاويـــة والضنيّة وقالوا ان لحقت للبردة الى ثقل وقية . وبعد ذلك جـاء قيظ عظيم ودخلت التشارين وكانون الاول والدنيا رايقة بلا مطر اكلوا فيها التوت والتين والقراصيا والتفّاح عن امّه . فغلت الاسعار ووصل شنبل القمح إلى قرشين ونصف في الاسكلة ومـا ينوجد ، وشنبل الدرا والحمص الى قرشين ، وعلقوا للخيل الخرنوب والجوز .

وفيها (اي السنة) في تشرين الاول ورد الخبر أن كانت الخاونة

بين كجك احمد باشا والشاه (في بلاد الاعجام) . فمسكه الشاه يسيراً وقتل من عسكره خمسين الف . وفي اثر هذا الخبر جـــاء قبجي في اموره سلطانية الى آيالة طرابلوس بطلب الذخيرة الى حضرة السلطان مراد ، وكانت السنة مقحطة ، فضاجت الناس وطلعت الى دار المتسلّم ورجموه بالحجارة ، وانهزم النايب محمد أفندي من قدام الرعايا . فخرجت اليهم جماعة المتسلّم بالسيوف منعوهم عن البوابة . فتسكرت المدينة وبطل البيع والشراء ، ورحل من طرابلوس أعيال كثيرة . ثم ان وصلت عزلة متسلم بروجال احمد باشا ودخل مرتضى آغا (وهنــا انتهت ص ١٣٩ قفا) متسلّم من قبل مصطفا باشا كاتاجاج في كز (٢٧) من تشرين الاول ، ونادى بالامــان والطمان والبيع والشرى . وأعطى حكم بلاد جبيل والبترون للشيخ عــلي والشيخ احمد ولدَي قانصوه اللذان كانا يتكلمان قدامــه ، وكتب بلاد عكار على الامير عساف[١] .

« وفي سنــة أسلو (على الهامش) في ٦ تموز يوسف العاقوري مطران صيدا كرّس كنيسة سيدة العربانية التي عمّرها الشيخ عون بن المكاري . وأبو عطاالله بن القبرسي والحاج ميخايل وابو نعمه الساكن في صليما » .

وفيها (اي هذه السنة) حين كان الامير علي ابن سيفا وخاله الامير عساف في بيروت ، كان ظهور الامير ملحم ابن معن . فجمع (ابن معن) رجاله وخرج الى مقاتلة ابن علم الدين فكسره واهزمه من الشوف وتولّى الحكم (مكانه على بلاد الشوف) . وكذلك الاماره اولاد الحرفوش جمعوا الرجال من سكمانية وعربان

١) على الهامش نقرأ مــا يلي : « في سنة اسلو الزموا تلاميذ المدرسة المارونية بالحلفاء انهم يعاودوا لبلادهم ويقيمون في مساعدة البطرك مدة ثلاث سنين » .

قصدوا استرجاع بلاد بعلبك . فلما بلغ ذلك قول الشام لاقوهم بعسكر كبير فخاونوا الحرافشة وكسروهم وقتلوا منهم مقتلةً كبيرة .

وفيها (السنة) قدم متسلّم بروجال احمد باشا على آيالة طرابلوس فما أمكنه كاناجاج الدخول الى المدينة ، ورجع الى حماة . ثم ان كاناجاج ارسل عليّ آغا وناس من دولته ليجتمعوا في قرية بقرزلا في ناحية عكار في الشيخ أحمد وربطوا على ان مصطفى باشا يتفق مع السيفلية ويمنعوا برجال احمد وغيره عن ايالة طرابلوس . فأولاد سيفا الامير عساف والامير علي كانوا مطابقين لهذا الامر . فقتلوا في نهار عيد الفطر الذي هو رمضان الشيخ احمد حماده ابو قانصوه وعلي اغا والدولة الذين كانوا معه وكان مقتلهم في شهر رمضان . فلما سمع بذلك مصطفى باشا انهزم في الليل الى حصن القليعات . ومن هناك دخل المتسلّم ورجاله الى المدينة ، وكان بصحبته أمراء بيت عساف والامير علي .

٤٢ ـ الخلاف والقتال بين الامراء عساف وسيفا وحماده . فتنة بين رهبان قزحيا والخوري حنا الفسطاوي . فتنة بين الامير عساف وابن اخته . عزل والي طرابلس . آل مدلج الحياري . شاهين باشا . الامراء السيفلية . عزل الوالي على طرابلس واجراءات جديدة : سنة مز والف (اي سنة ١٠٤٧ هج الموافقة لسنة ١٦٣٦ م) كان الخلف بين برجال احمد وبين بيت سيفا بسبب ايراد المال . وفي اول محرم جمع رجاله وعوبان ونادى بالركوب عليهم وكان مقيداً في مصالحة الشيخ علي حماده فاهزمهم من عكار الى صافيتا . ثم جاء قبجي من بيرم باشا الوزير بعدم المعارضة لبيت سيفا فعاود .

وفيها (السنة) في شهر صفر الموافق لحزيران كانت الوقعة في أرض امهج بين بيت حماده وبين الامير اسماعيل الكردي ومحمد ابن يوسف اغا ، وكانت الكسيرة على بيت حماده ، فتولى ابن يوسف اغا بلاد جبيل والبترون . واما برجال باشا زاد الظلم والبلص في ايالة طرابلوس ، وخرج الى حمص وحماة وبلص الناس فوق قوتهم .

وفيها في اوايل ربيع الاول دخل السلطان مراد الى حلب .

وفيها رجع من بلاد الفرنج الشيخ ابو نادر وتوجّه لعنده الشيخ علي ابن حماده ... واما ابن علم الدين قيل انه توجّه إلى سيواس.

وفيهـــا في كانون الثاني الموافق لرمضان توجّه الامير عساف ابن يوسف باشا الى مدينة جبيل سكن بها ثلاثة اشهر . وفيها كانت الفتنة بين رهبان قزحيا وبين القس حنـــا بن اسحاق البرّي من غصطا الذي كان قاطن في دير مار ميخايل بسبب الماء والخربان . فخدع الشيطان لابن البري (الغسطاوي) وسار الى اغزير كتب عرض حال عند شاد بك بن هارون في (حق) رهبان قزحيا ، ملان زور ، وقدّمه على يد أم وهيبـه من دلبتا للامير عساف وهو في جبيل . فأرسل الامير من قبله بلوكباشي مع أبو مومى سعيـد بن دغيم من ملكية مزرعة عكار الى رهبان قزحيا بطلب دراهم . فشاوروا الرهبان لأبو كرم شيخ الجبة وهو في سرعل بـسبب هذه القضية . فقال لهم (ان) يرضوا الحواليه بخمسين قرش . فما رضوا بذلك . وعندها اشتدّ اللزز (الالحاح والتوعيد) عليهم ، قال لهم ان الدعوة لم تنقضي بانقص من اربعماية قرش ، واذ لم يذعنوا لشوره اخـذت الحوالية الاسقف بولص واخيه القس سمعان الى جبيل موثوقين . فعذّبهم الامير عساف عذاباً شديد . فميزر الاسقف بولص في الحبل براسه حتى طارت عينه الواحدة ، ثم وضع له القصب بين ظوافير

يديه حتى تكرتمت أصابيعه ، وربطوا معاريه بالاوتار ، والسكمانية تضرب على الاوتار ، واستجروا منه نحو اربعة آلاف قرش[1] .

وكان يشاهد بعينيه ان ماري انطانيوس كان ماسك بلجام فرسه ويقيدهـا الى حيث يشاء . وكانوا يشيروا على الامير انه لا يذعن لكلام شاهين باشا (الذي تمّين والياً على طرابلوس مكان سالفه) ولا يواجهه ، وهو يقول اطردوا عني هذا الراهب الذي أخذ لعقلي ولم يدعني ارجع ولم يطلقه حتى قطل (قتل) . وكذلك أبو موسى الكردي انقطمت خلايفه وثبت نحو سنتين لم يبرّز الا من فمـــه (وهذا هو عقاب من يضرب الاسقف) .

وكانت الفتنة بينه (اي الامير عساف) وبين ابن اخته الامير عليّ . وصار أن في هذا شهر رمضان ابن علم الدين انهزم من قلمة الشقيف واجتمع مع برجال احمـد وصار الوفق بينهما وبـين الامير عساف آل مدلج الحيارى ، وهو (هنا انتهت ص ١٤٠ قفا) مطرود من ابن عمه الامير صاحب حماة فاتفق معهم ايضاً ، (وكان اعتصم معهم ابن علم الدين وسكمانية برجال أحمد) .

في هذه الاحوال جاءت العزلة لبرجال احمد عن آيالة طرابلوس . فاجتمع (عندئذ) في ابن علم الدين والامير علي (عساف) في حارة الاكراد بقرية الحصن ، وارتحل لمرج بعرين . وامـــا الامير عساف (فقد) زحف في اثرهم الى صافيتا وجبل الكلبية ، الى كفرطاب بارض حماة ، الى الحصين في اطاريف بلاد صافيتا ، الى مصيات . ثم اخذ معه ابن آل مداج الحيارى وساروا في الليل حتى انهم لحقوا

١) نجد هنا ثلاثة اشطر مشطوباً عليها في المتن ، بخط عريض ، ولذا يصعب قراءتها تمـاماً كما لا يخفى .

الامير علي في خريبة الجنظوا وحاصروه فيها اشد حصار ، وكانوا قتلوه لو ما يتواسط بينهم بعض بلوكباشية . عند ذلك اصطلحوا، فخرج الامـير عساف بعسكره الى البقيعـة ، والامير ملحم الى بلاد الشوف .

وفي حال هذه الامور ، وافا شاهين باشا الى البقيمة وتقدّمت اليه شكاوات كثيرة في بيت سيفا انهم خربوا بلاد السلطان . واما الامير عساف (لكي يستعطف خاطره) خدمه بخيل وذخيرة ، فخلع على كاخيته وامّنه حتى قدم لعنده . وفي حال دخوله الاوثاق ، امر برفعه الى قلعة الحصن . وفي اليوم الثاني نهار الاربعه ، علقوه على البوابة بثيابه . وفي الثامن وعشرين من ذي الحجة في كب (٢٢) من ايار نادى شاهين باشا على السيفلية وتوابعهم وعلى أرفاقه وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ، واستباحوا خيلهم واسبابهم ولم يفرّ منهم الاّ بعض خيّالة . ثم ركبت الدولة على بيت عساف وتوابعهم فقبضوا على قاسم باشا المجدوب وعلى أولاد ونسوان ، وصار التفتيش في القرى والديورة على دوابهم وأرزاقهم . وفي كه (٢٥) من حزيران كبس علوان آغا والامير اسماعيل مع جملة رجال دير قنوبين ليلاً فما وجدوا احـد من توابع بيت سيفا . فاخذوا الرهبان موثوقين الى بشري وتكلف عليهم البطرك ستين قرش . وكان الامير اسماعيل بن الامير موسى الكردي براس نحاش والشيخ علي حماده قايمين في استخدام شاهين باشا بكلربكي طرابلوس بالاستقامة .

وفيها (السنة) الامير علي ابن علم الدين الدرزي أخذ يحكم بلاد الشوف من قبل نايب الشام . فطفروا المشايخ الخوازنة والحبيشية الى بلاد جبيل خوفاً منهم . وكذلك الامير علي ابن سيفا ترك جميع

ما كان له في بلاد طرابلوس وسار الى بلاد الشوف عند ابن علم الدين خوفاً من شاهين باشا (وهنا انتهت ص ١٤١ وجهاً) .

٤٣ – السلطان مراد افتتح بغداد وامر بالزينة . ابن علم الدين في بلاد بشارة فيهاجمه ابن معن وينكسر تاركاً الشوف . الامير عساف في حمص وحماة . النار في الزيتون . وفاة الحبيس سركيس الرزي . الفتن في مدينة طرابلوس وتبديل في السلطات : سنة مح والف (اي ١٠٤٨ هج الموافقة لسنة ١٦٣٨ م) في ربيع الاول قدم حضرة السلطان مراد خان الى ايالة حلب قاصداً بغداد ، وتوجّه اليه اصحاب الايالات والحكم من بلاد الشام وغيره . فتوهّم علي ابن علم الدين منه وارتحل الى بلاد بشاره . فاجتمع اليه أولاد علي الصغير واصحاب الاغراض من اليمنية ومن والية قبله ومن صفد وجبل البقيعة وعكا . فركب عليهم ابن معن وفي التاسع عشر من آب كبسهم في قرية انصار فقتل منهم خلقاً كثير . ثم ان ابن علم الدين اجتمع في متسلّم مدينة الشام وجرد برجال على الامير ملحم ، فطفر من قدامهم وطفروا من اوطانهم اهل الشوف والغرب والمتن والجرد ، وخلي بلاد الدروز .

وفي شهر رجب حاصر مدينة حمص وحماة الامير عساف آل مدلج الحياري بسبب ان الامير طربوش كان في السفر على الشام ، فانقطعت السابلة والطرقات . وفي غرة شهر رجب قدم من الشام عبد الرحمان آغا باموره شريفة بأن بلاد جبيل والبترون وجبة بشري ينقطعوا عن طرابلوس ويكونوا تبع الشام . ولذلك انهزم الشيخ علي بن حماده من طرابلوس إلى الكورة مع توابعه ، لأن شاهين باشا كان في السفر . وفي شهر شعبان جاء من قبل الاقوام ابن يوسف

اغا شعلي بن زين الدين وحسن اغـا وحكت بلاد جبيل والبترون وبشري .

وفي تشرين الثاني علقت النار في الزيتون بأرض كفرعكـّا وكـبـا وبصرما لارض اميون ، فأهلكت نوف من خمسين الف شجرة .

وفي سنة اسلح (١٦٣٨ م) في شهر حزيران كانت وفاة الحبيس سركيس ابن موسى الرزي مطران دمشق الشام في مدينة ، وله من العمر ستة وستين سنة . لأن في سنة انفج (١٥٨٣ م) دخـل إلى رومية ليتعلم وله من العمر يا (١١) سنة . وفي سنة انصب (١٥٩٢ م) رجع الى البلاد . وفي سنة انصو (١٥٩٦ م) دخل لرومية ليرمي الطاعة للبابا قليموس ، وثاني سنة رجع للبلاد ، وفيها مات عمـه البطرك سركيس وتخلف عليه اخوه البطرك يوسف وصار هو حبيس موضعه ، وسامه مطران على الشام . ثم انه دخل إلى رومية .

وفيها تباين الشيخ سرحان ولد قانصوه بن حماده واولاد ابو رعد ، وتوابع بيت حماده كبسوا لعلي زين الدين بن سيف الدين من بيت المستراح في قرية مشان ، وقتلوه في اواخر شهر كانون الموافق لشهر شوال ، وتمشيّخ الشيخ ابو محمد سرحان ، وفي التاريخ المذكور تعيّن احمد اغا الشمالي على حكم صيدا وبيروت ونواحيها فقتـله ابن علم الدين في أرض خلده بين صيدا وبيروت .

وفيها السلطان مراد افتتح مدينة بغداد ، وامر بالزينة ، وانعزل عن آيالة طرابلس شاهين باشا ودخلها درحق محمد باشا في شهر شوال.

٤٤ – وفاة المطران عبدالله الاهدني ورسامة القس يوحنا اسقفا لاهدن . شراء دار الى كرسي قنوبين : وفي سنـة أسلط (اي

١٦٣٩ م الموافقة لسنة ١٠٤٩ هج) في ٢٣ من تشرين الثـــاني توفي المطران عبدالله الهدناني ، وكان ذا شور محـترم ومحب للعمار ، وله لو (٣٦) سنة في رياسة الكهنوت ومعضدة الروساء في نشو (نحو) رزق الكرسي . وانسام على إهدن القس الياس ابن يحنا من عيلة الصراصرة ، اكتسب العلم والاسكيم في دير مار انطانيوس قزحيا ، ثم سار الى القدس الشريف وجاهد هناك نحو عشرين سنـة . وفي سنـــة لا والف للهجرة (اي ١٠٣١) اشترى مع القس انطانيوس الراهب الهدناني ، على كيس كرسي قنوبـين ، دار الرزي[1] الذي بقرب كنيسة مـــار جرجس المـدعو الخضر من يعقوب ويوسف وجرجس أولاد يوحنا ابن يعقوب الهدناني (وهنا انتهت ص ١٤١ قفا) المعروف بابن الكسار ترجمان رهبان الفرنج ، وعندما عــاود الى جبل لبنان دخل إلى رومية برفقة المطران جرجس بن مارون وفي هذه السنة لرياسة كرسي اهدن [وفي ١٣ من تشرين الثاني كانت وفاة المطران عبدالله] .

٤٥ ـ محمد باشا الارناووطي في طرابلس . وفاة السلطان مراد وجلوس ابراهيم مكانه . زلزلة مريعة . دير مار شليطا مقبس : سنة مط والف (اي ١٠٤٩ هج الموافقة لسنة ١٦٣٩ م) انعزل محمد باشا بن درويش ودخل متسلّم بعده محمد باشا الارناوط . وفي ربيع الاول قبل أن يدخل الباشا الى طرابلوس ، الامير سليمان مع الامير محمود وبعض خوارج من السيفلية كبس بلاد عكار والضنّية وطفّر مشايخ بلادهم . فارتمى عليه الصوط (الصوت) في مدينة طرابلوس وطلعوا اليـه وخاونوه في أرض الضنيّة فكسرهم ولحقهم حتى إلى

[1] اما في المخطوط فانها مكتوبة هكذا : « دار الازي » فيلزم الانتباه .

المدينة . ثم انهم جدّدوا العزم وطلعوا إلى مقاتلته فكسروه وقتلوا جملة رجال من جماعته وانهزم الباقي .

ثم حكمت الدولة البلاد ، وفي الرابع يوم من شهر رجب الموافق لتشرين الاول ، دخل الارناوط وحكم في العدل والانصاف . (وعلى الهامش) : « وكان كاخيته مصطفى بـك بن الصهيوني ، وحضر عليه الشيخ علي ابن حماده ، والمقدم علي بن الشاعر ، ولامير سماعيل من راس نحاش اصحاب الحكم ما خلا بيت سيفا وابو كرم شيخ الجبة » .

واما الامير بن علم الدين فسار الى عند باشة الشام ، وعلي رضاه كبس مشغرة ونهبها ثم توجّه الى بيروت وسكن بها . وفي نصف جمادي الثاني كج (٢٣) تشرين الاول حدثت زلزلة مريعة ثبتت ثلاثة ايام ، وكسّرت اشجار ومراكب كبار في ساير مياه البحر ، التي للعرب والترك والافرنج .

وفيها كانت وفاة السلطان مراد وكان في نفس اسطنبول وجلس على تخت السلطنة ولده السلطان ابراهيم .

وفي سنة اسم هج (١٦٤٠ الموافقة لعام ١٠٥٠ هج) انتقل القس يحنا ابن القس يوسف بن الحاسب الذي بنى دير مار شليطا (مقبس في غوسطا) الى رحمة الله . ثم ان الكنيسة وقع قبوها ورجـع القس سركيس جدّدها في سنة اسع (= ١٦٧٠) مسيحية على يد القس جرجس البنّاء الذي في الاصل كان من اميون من بيت العازار ، ثم لبس اسكيم الرهبنة على يد القس يوسف بن آصاف وتبع الكنيسة الرومانية وكان رفيق القس سركيس في الرهبنة القس جرجس ابن افرام الباني .

٤٦ – مقتل الشيخ ابي كرم الحدثي معذباً على الكلاّب . وقعة بين سليمان سيفا والدولة . مقتل يمين حماده . وفاة علي ابن قانصوه حماده . نهب بلاد الكفور وحردين : وفي يو (١٦) من شهر نيسان سنة خمسين والــف في دخول محرّم الموافق لسنة اسم (١٦٤٠ م) جمع الارناووط المير اسماعيل الكردي ومبعد بيت الشاعر ومشايخ بيت حماده والدولة وركبوا على الشيخ ابو كرم الحدثي المتكلم على جبة بشري ، بسبب أنه ما نزل معهم وحضر على الباشا . فمسكوا ابن عمه سعد وهو هرب من قدامهم ، وصار بلاء وضيق عظيم على الديوره والضيــاع من العسكر الذين (هنا انتهت ص ١٤٢ وجهاً) كانوا يفتشوا عليه وعلى اولاده وتباعه ورزقاته .

واضطر البطرك جرجس ينزل بنفسه يشاور عليه حضرة الباشا ، فأخرج منه بيوردين (مرسومين) ، وكذلك مرقس صودرين قنصل الفرنج اخرج بيوردي ان لا احد يتطاول على دير قنوبين . ثم ان ابو كرم نزل من ذات نفسه على الشاطي لطرابلوس ، وحضر عليه لأجل ازالة الشرور التي كانت تصير من العسكر ، فأمر (الباشا) برفعه إلى القلعة . ثم بعد مدة نزّله من القلعة وطوّفه على الجمل في مدينة طرابلوس ، وحطوا في قفــاه شاميات مشعولة بنار وعرضوا عليه الاسلام فتمنّع ومات على الكلاّب .

وفي سنة نا والــــف (اي ١٠٥١ هج الموافقة لسنة ١٦٤١ م) عندما خرج الارناووط في الدوره الى حماة وكانت الوقعة بين الامير سليمان بن سيفا وبين دولة الباشا فطفر بهم المير سليمان الى عكار ، وطفرت من قدامه العسكر إلى نفس طرابلوس . وكــان مع المير سليمان الشيخ حمدان بن الشعار من قاريا المنسوب بالقربة إلى الشيخ علي بن حماده . فنزل هذا الى المدينة وطلب الخرج من يمين الدين

الذي كان كاتب ديوان الباشا ووكيل خرجه . فما راد يعطيه ، عند ذلك قتل يمين الدين وولده مصطفى في تسعة وعشرين من تموز[1] . لأجل ذلك جمع زلفي آغا الرجال وركب على حمدان الذي كان منسوب بالقرب إلى الشيخ علي بن حماده وكبس عليه في قرية حردين التي باطاريف البترون وفي كفور العربه ، فانهزم من قدامهم . واما الدولة فنهبوا الكفور وحردين وقتلوا بعض ناس ومسكوا مراة حمدان ، وميخايل ابن المطران .

وفيها (السنة) في عشرين من شوال كانت وفاة الشيخ علي ابن قانصوه بن حماده ، ودفن في طورزيا ، وتمشيخ على بيت حماده الشيخ ابو محمد سرحان .

٤٧ – خروج بيت حماده من بلاد جبيل ، القتال على اهل قريطش في الجزيرة . اخو السلطان وعمته اعتنقا النصرانية . وفاة الشيخ جبرايل الاهدني واختيار ولده مكانه : وفي سنة تا والف (المذكورة اعلاه) ركب الارناووط مع الامير عساف آل مدلج الحيارى الى المير طاهر سلطان العرب وطرده حتى الى سلمية ، ثم صار الصلح بينهم . وفي عودته الى طرابلوس صارت المنادة على بيت حماده ، فطفّرهم من وادي علمات ومن بلاد جبيل ، وقتل الشيخ محمد ياغي بن قمر الدين حماده وصعب ابن حيدر وبعض جماعة ، وولى على بلاده ابن علم الدين . وفيها دخلت الكوانين اثنينهما بلا مطر ، وحكم الجدري في الاطفال وكان ثقيلاً عليهم .

وفيها (السنة) جردت العساكر العثمالية الى مقاتلة البنادقة (أي

١) وهنا نجد عشرة اسطر ، في المتن وعلى الهامش ، مشطوباً عليها ولذا يصعب قراءتها وكلها تتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده ، ولا تزيد على القضية شيئاً جديداً البتة .

أهل البندقية في ايطاليا) على جزيرة كنديا وهي قريطش . وذلك بسبب أن مغاربة النصارى مسكوا اخو السلطان وعمته ، وهما سايرين في البحر لمكه . فأخوه تبع النصرانية (كما قيل) واعتمد وتسمّا عبد الاحد ثم انه لبس اسكيم مار عبد الاحد وانسام كاهن وفي سنة أسسا (اعني ١٦٦١) استراح من شقاء العالم .

وفيها (السنة المذكورة) كانت وفاة الشيخ أبو جبرايل بن الشماس جرجس الهدناني وله عشر سنين في مشيخة جبة بشري ، وتخلف بعده اخوه الشيخ أبو ديب حنا . فبادروا على قتل مشايخ بيت حماده على يد الشيخ احمد العرّاك ، ثم في مطابقة مصطفى بك (انتهت هنا ص ١٤٢ قفا) تولى حكم الجبة المقدم زين الدين ابن الصواف ، وكان معه أبو عون ابن النعمة من بكفيا ، وتحوّل الشيخ ابو رزق الترجي على فدادين الارناووط وارزاقه .

٤٨ ــ الارناووط في صيدا وبيروت بفضل مراسيم سلطانية . الشيخ سرحان حماده في غباله الفتوح هاجر الى طرابلوس . طرح الشاشات والبوابيج على الرعايا . دير حراش . الاسقف العاقوري :

سنة نب والف (أي ١٠٥٢ هج المطابقة لسنة ١٦٤٢ م) جاءت اموره شريفة من الباب العالي للارناووط في تسليم صيدا وبيروت . فأرسل كاخيته زلفي آغا (ان) يتسلمها وكان الامير ملحم بن معن في الشوف وابن علم الدين في قرية بشتودار من بلاد البترون .

وفيها في شهر آب ، الامير علي بن علم الدين كبس الشيخ سرحان بن حماده في قرية غباله من فتوح جبيل ، فنهب غباله ومسك أولاد الشيخ سرحان واولاد قرايبه ، فقتل منهم خمسة . واما الشيخ سرحان فقد أرما الصوت الى اهل غزير ، فلحقهم

وصار بينهم خون ، ولأجل انهم احتالوا عليهم قائلاً : ان كان ذلك بأمر الارناووط رجعوا عنه . فيما بعد اجتمعت الرجال على الشيخ سرحان من جبيل والبترون وكان معهم الامير اسماعيل والمقدم عليّ وبيت حماده ، فطفّروا سرحان من آيالة طرابلوس ، ومسكوا البعض من توابعه ، والبعض انهزموا وصار ضيم عظيم على الرعايا بسبب التفتيش التي (الذي) صار على جماعته .

وفيها الارناووط في مقارشة زلفي آغا ومصطفى بك ابن الصهيوني طرح شاشات وبوابيج على الرعايا[1] ، وكان حق كل شاش اربعين قرش ، والبابوج عشرين قرش ، وعمّر القصر على نهر رشعين ، وكانت سنة مريعة على الناس لأجل زود المال والبلص والسخرة في العماير ، وكان الحرير بمحل حق المالفين تركوا الخصاص وانهزموا .

وفيها الاسقف يوسف العاقوري اشترا من الشيخ ابو حبيش ارض مار يحنا حراش بأرض درعون في ناحية كسروان ، وابتنا كنيسة جميلة باسم السيدة ، وعمّر ديراً لأجل سكنة البنات التي يقصدون خدمة الله . فوصل عددهم الى قرب ثلاثين راهبة ، وراس عليهم الحبيّة رفقة بنت القس حنا (ابن) المحاسب .

٤٩ – عزل الباشا الارناووط من طرابلس ، وتعيين حسن باشا مكانه ، غلاء وظلم : سنة نـــد والف (أي عام ١٠٥٤ هج الموافقة لسنة ١٦٤٤ م) في كك (عشرين) من شهر محرّم الموافق لشهر نيسان عشرة منه ، انعزل محمد باشا الارناووط من آيالة طرابلوس

---

١) هذا القول انما هو اصطلاح اهل ذلك الزمان ، وهكذا محفوظ في مختصر تاريخ لبنان وفي تاريخ ابن سباط ، كما ذكره المعلم الشرتوني ص ٢١٠ في الحاشية ، ومعنى ذلك انه اجبرهم على مشترى ما ذكر من بوابيج وشاشات .

مـدة واخذها حسن باشا ، وكان كاخيته الشيخ ابو رزق الترتجي ، ودخلت المشتكية الى الباب الاعلى ، جابوا محرّر كاتب ولاية ، فعدّ الاشجار ، وكتب الرجال والبيوت والخانات . وبعدما سافر المحرر بطّل الباشا ذلك وتبع سيرة الارناووط ، واخذ من الرعايا بزيادة الحد ، وضام الناس ، ورحلت من كثرة الظلم ، وقلة المعاملة (وهنا انتهت ص ١٤٣ وجهاً)[١] .

٥٠ — ابو رزق حاكم جبة بشري . الحبيس الفرنساوي الشهير شستيل وسلستين الكرملي . والبطرك جرجس عميره واعماله ثم وفاته وخليفته البطرك يوسف العاقوري . سيامة مطارين : سنة اسمد (١٦٤٤ م) المذكورة تولى الشيخ ابو رزق الترتجي حكم جبة بشري من قبل حسن باشا .

وفيها كانت وفاة الحبيس فرنسيس الفرنساوي الجلس من بيت جلاوب من مدينة اس . فهذا زهد في الدنيا وترك استادية فسطوبل . وفي سنة اسلب (اي ١٦٣٢ م) جاء الى جبل لبنان واستحبس اولاً في سيدة حوقا ثم انتقل الى اهدن ، وحبس ذاته تحت دير مـار يعقوب الحباش ، وكان القس الياس يخلف عليه ، وانتقل إلى دير مـار سركيس راس النهر ، لعند الاسقف جرجس بن عميره ، وبعـد منه تخلف الاسقف الياس وسكن بدير مار سركيس وثبت عنده حتى الاسقف اخذه معه ، ولأن الاسقف خرج من الدير وعاد الى الضيعة ، انتقل الحبيس الى دير مار اليشاع بشري ثبت هناك

---

١) ونقرأ في تاريخ الدويهي المطبوع ، ص ٣٤٣ بهذا الخصوص ما يلي : « وكان الرجل من ضيقته يبيع ثلاث شنابل قمح واربع شنابل شعير بقرش ويتسلّم على قلة الزيت قرش وربع». وهذا تدليلا على شدة الضنك والظلم الذي كان سائداً في تلك الايام العصيبة!

مدة يسيرة من الزمان ثم سلّم روحه بيد الخالق في ١٥ من ايار ليلة العنصرة . فبلغ اجل المراتب في الورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وفي تجريد العالم والضبط في المحبسة والهدس في الالهيات حتى ان صدرت منه معجزات ، وسبق ان اخبر عن المزمعات . (ونقرأ على الهامش) : « وقبل هذا بسنة كان البادري سلستين الكرمليطي أخذ السكنة بدير مار اليشاع »[1] .

وفيها في التاسع والعشرين من تموز كانت وفاة البطرك جرجس بن مخايل بن عميره الهدناني العالم البارع المحقق المدقق الذي تأدب على يد خاله القس يعقوب الدويهي في اللغة السريانية ، ثم اخذه معه الى رومية واشتغل في المدرسة في اكتساب النحو والاصول والمنطق والهندسة والكتب الالهية وحوى اللغات السريانية والعربية والعبرانية والطوسكانية (أي الايطالية) والرومية (اي اللاتينية) واليونانية . وصنف الغراماطيق الكلداني في اللغة الرومية ، وبرهن عن أقدمية السرياني على ساير لغات العالم . وتزخرفت صورته في مدينة رومية الكبرى وصار له بها مديح من الندماء ، ومجادلات مع العلماء . وترتبت له علوفة سنوية الى نهاية حياته .

وعندما رجع إلى عند خاله ارتفع الى درجة رياسة الكهنوت وثبت بها ٣٣ سنة على كرسي اهدن . فانشى لها ارزاقاً وساس جماعته سياسة الابرار في تعليم الشعب وتربية الايتام ، ومالت اليه

١) ان المؤرخ الفرنسي دي لاروك المبعوث من قبل ملك فرنسا لويس الرابع عشر لتفقد احوال الكاثوليك في سوريا ولبنان ، وضع كتاباً عن رحلته الى الشرق ، طبعه في باريس سنة ١٧١٦ ، فيه الشيء الكثير عن هذا الحبيس الفرنساوي المشهور الذي احب لبنان كثيراً ومات فيه، وذكر فيه ايضاً مشاهير العلماء في لبنان ومنهم البطريرك المعروف جرجس عميره صاحب الغراماطيق السرياني الشهير .

فلوب القناصل ، وترجم للامـــير فخر الدين كتاب الهندسة لبناية الابراج فعوّف نصف رزقه من الخراج . ثم بعد وفاة البطرك يوحنا ابن مخلوف ، ارتقى تدبـــير الكرسي الانطاكي كما سبق واعلن له الحبيس فرنسيس الذي تقدم ذكره من قبل مـــا ينسام . وشاع خبره شرقاً وغرباً ، ولذلك حسده مصطفى بك بن الصهيوني وكلّفه نحـو ثمانية عشر الف غرش ، وفي شيخوخة صالحة أكمل عمره وله في رياسة انطاكية عشر سنين وسبعة أشهر . وفي اليوم الثاني من وفاته حـين اجتمعت الروساء والكهنة لجنازته وهو جالس عـــلى الكرسي خرج من بهجته من تحت التاج ازرار العرق حتى ان الحضار تعجبوا وتباركوا من جسده الطاهر ، (وهنا انتهت ص ١٤٣ قفا) . وفي الخـامس عشر من شهر آب تخلف عليه في الكرسي الرسولي يوسف مطران صيدا ابن الاسقف بطرس العاقوري ابن حليب وكان ذلك بعناية الشيخ أبو رزق الترجي حافظ الناحية (وجبة بشري) .

وفي هذه السنة رسم المطران يوسف ابن عميمة الكرمسداني على مدينة دمشق ، والاسقف ميخايل ابن سعاده الحصروني على مدينة طرابلوس ، وقبلوا السيامة في دير مـار يوحنا حراش الذي ابتناه بكسروان .

٥١ ـ مشايخ جبيل اولاد الحسامي . البطريرك يوسف العاقوري . الشدياق ابن محاسب وتجديد كنيسة مار سمعان بغوسطا : سنة نه والف (أي ١٠٥٥ هج الموافقة لسنة ١٦٤٥ م) اولاد الحسامي مشايخ مدينة جبيل انكتبوا انكشارية من قبل الـسلطان فعمّروا القلعة والصور ودقت لهم نوبة سلطانية في القلعة .

وفيهـا ارسل البطرك يوسف (العاقوري) القس عبد المسيح بن

الياس بن الطويـــل الحدثي ، والقس بطرس بن مخلوف الغصطاوي ليرمي الطاعة للبابا زخيا العاشر ويهنيه في الدرجة ، ويطلب التثبيت كجاري العادة ، وسأل قـدسه بسبب طبع الشحيمة الصغـيرة والفراماطيق التي صنّفه في اللغة السريانية[1] . فأرسل له عدة كاملة مـــع التثبيت ودرع الرياسة السامية ومكتوبين بتحرير شهر ايلول سنة انسمو (اي سنة ١٦٥٦ م) .

وفيها اعتنا الشدياق الياس ابن القس يحنا المحاسب مع أهالي قرية غوصطا وجدّدوا كنيسة مار سمعان العامودي .

٥٢ – الأرناووط يعود الى طرابلس ، وحدوث مظالم ، ثم تنزيله وتعيين الصوفي مكانه ثم عاد الى منصبه للمرة الثالثة . وفاة الشيخ ابي نادر الخازن . خلع السلطان ابراهيم : سنة نو والــف (أي ١٠٥٦ هج الموافقة لسنة ١٦٤٥ م) أنزل حسن باشا من آيالة طرابلوس ، وعاد اليها محمد باشا الارناووط وجعـــل كاخيته الحاج قمر الدين وابن الصهيوني[2] . وكانت سنة رخص واقبال ، بل دخل فيها شهر نيسان بارد كثير الامطار ، فانضرب الجوز والكرم وورقت التوت وطلعت المواسم ممحـلة في غـــلال الحنطة والكرم والزيتون والحرير حتى نصف رطل البزر عمل رطلين شرانق فقط ،

---

١) طالع عن هذا العالم الماروني مؤلف جورج غراف: تاريخ الآداب العربية المسيحية ج ٣ ص ٣٣٩ (بالامانيـة) وانظر كتاب سفر الاخبـــار ، ص ٢٠٦ ؛ والشرتوني ، ص ١٨٤ و٢١٦ .

٢) جـــاء في كتاب الغرر الحسان ص ٧٢٦ ان الارناووط عاد الى طرابلس سنة ١٦٤٤ بخلاف ما تسجّل هنا ، وهذا للمعلومية والتدقيق . ونقرأ على الهامش في الصفحة التالية ١٤٤ قفا في اولها هـــذه العبارة : « سنة اسمو (اي ١٦٤٦) كان مقتل الامير محمد بن المير قيت بيه بن عساف » .

وكان الملك سابقاً قسم فجمله خراج ، وقطع على كل فدان وعلى كل الرجال ٢٤ قرش . وكان الخراج على ماية الزيتون خمس قروش وعلى ماية التوت اربعة ونصف . وانضامت الرعايا وانهزمت الناس وضياع بتمامها من كل معاملة طرابلوس الى بعلبك (وهنا انتهت ص ١٤٤ وجهاً) وكسروان وغيرهما .

سنة نز والف (أي ١٠٥٧ هج الموافقة لسنة ١٦٤٧ م) أنزل الارناووط عن آيالة طرابلوس ودخلها محمد باشا الصوفي ، وفي شهر ذي القعدة وقبلما يكمّل سنته انعزل وعاد الارناووط وفرّق قدوميّة وعيدية على ساير النواحي وصارت الناس في وجل ومضايقة وكان شنبل القمح بقرش ونصف .

وفيها في أول تموز الموافق لشهر جمادى الاول كانت وفاة الشيخ أبو نادر ابن ابو سقر بن الخازن ، كاخية الامير فخر الدين بن معن . فحكم بلاد كسروان وجبيل والبترون وبشرّي والمرقب . وكان ذو غيرة في أمور الدين ، وفي زمانه ارتفع شأن النصارى وابتنت الكنايس والديورة ، وتخلّف بعده ولده الشيخ ابو نادر نوفل ، فازتاد على والده في الغيرة والمكارم ، وابتنا على ضريحه مسجداً وجعل له كاهن يخدمه أبداً[1] .

وفيهــا انفتن القول على السلطان ابراهيم بسبب كثرة امتحانه بالنساء ، فخلعوه من الحكم واقاموا عوضه ولده السلطان محمد ، ثم بعد قليل قتلوه .

---

١) وفي مكان آخر من تاريخ الدويهي يصحّح لفظه هذا « مسجداً » بكلمة اخرى : « كنيسة » ، وهو الاصح . ويقول الشرتوني ص ٢١٨ ، ان صاحب الغرر الحسان وابن سباط اختلفا في تعيين سنة وفاة الشيخ ابي نادر الخازن ، فذكرها الثاني في سنة ١٠٥٤ للهجرة وذكرها الاول في سنة ١٠٥٧ وهو الاصح وان كانا قد اتفقا في التعبير عنها ، طالع ايضاً اخبار الاعيان ص ٨٦ .

٥٣ – سيامة المطران حبقوق على العاقورة . وفاة البطريرك يوسف العاقوري . وانتخاب يوسف الصفراوي بطريركاً انطاكياً

محله : سنة اسحح (اي ١٦٤٨ م الموافقة لسنة ١٠٥٨ هج) في ٢٤ من شهر آب كانت رسامة القس جرجس بن حبقوق من بشعله على العاقورة واخذ السكنة في دير قنوبين . وفيها في ج (اي ثلاثة) من تشرين الثاني كانت وفاة البطرك يوسف العاقوري ، وكان رجلاً شاجعاً متورعاً محباً لمنادمة العلماء ومهتماً في بنيان الكنايس والاديرة ، وغيوراً في امور الدين وحفظها ، شديد الغضب وحسن الرضا ، دام في الرياسة على صيدا وبلاد الشوف يح (١٨) سنـة وعلمهم التقوى والرتبة الحسنة . واما على الكرسي الانطاكي (فبقي) ثلاث سنين ونحو ثلاثة اشهر ، واحتمل مشقةً كبيرة بسبب صهره قرقماس الذي بدّل ديانة والديه بغيرها واخذوا اولاده بقوة السيف ، وخصّر جماعتنا الموارنة خصارةً بالغة ، وكان سبب خرابهم وتشليتهم من مدينة دمشق . واما موتة البطرك يوسف (فقـد) عرضت حين كان في ضيعته العاقورة ، ودفن في كنيسة مار بطرس المنقورة في الشقيف فوق العاقورة .

وفي نهـــار تاسعه من دفنته وهو يج (١٣) من تشرين الثاني اجتمعوا الرؤساء وساير الشعب بدير قنوبين واختاروا الاسقف يحنا من بيت البواب من الصفره في فتوح جبيل وأقاموه عوضه . وفيها سنة نح والف (اي ١٠٥٨ هج) حكمت القوانين ما جرى فيهم ، واذ ولا طلع نبع الى الصوم الكبير . وفيها جاء الاستقرار للارناووط (هنا انتهت ص ١٤٤ قفا) .

٥٤ – عزل الارناووط وتعيين صهره عمر بك . الجراد والغلاء .

وقعة وادي القرن بين الامير ملحم معن واعدائه وانتصاره عليهم وضمانه بلاد البترون وجبيل . الشيخ ابو نوفل الخازن . وفاة الاسقف البلوزاني . والشيخ يونس حبيش : سنة نط والف (أي ١٦٤٩ م الموافقة لسنة ١٠٥٩ هج) انعزل الارناووط واخـــذ آيالة طرابلوس صهره عمر بك ، ووقف حسن ديب ابن الشيخ علي حماده في شهر ايلول . ولأن المذكور كان غشيم في تحصيل الاموال وظلم العباد ، استرجع بن الصهيوني وكوخنه . وفيها جاء الجرد من ناحية عكه فأكل التوت بعد الحرير والكرم والزرع الاخضر ، وكان الغلاء في الزيت وقد وصلت القلة لخمس قروش .

وفي سنة اسمط (أي ١٦٤٩ م) كانت رسامة الاسقف سمعان من قرية عمر جبيل على دير مـــار انطانيوس قزحيا ، وفي التاسعة من كانون الآخر من سنة اسنا (١٦٥١م) مات في شيخوخة كبيرة .

وسنة سا والف (اي ١٦٦٠١ م) الموافقة لسنة اسن كانت الكاينة (اي المعركة) في وادي القرن بين بشير باشا وصحبته الاشوام وبين الامير ملحم بن معن ، قد حركهم عليه الامير علي بن علم الدين ، فانتصر الامير عليهم وانهزموا هزيمة قبيحة في كك (٢٠) من شهر ذي الحجة الموافق لشهر تشرين الآخر . وفيهـــا ضمن الامير ملحم بلاد البترون من عمر باشا واعطاه الشيخ ابو نوفل ، وكان البلاد في العدل والامان . وفيها انكتبت امرية الحاج عـــليّ ابن الصهيوني فتوجّه الى نابلوس ، ثم تسمّا مصطفى باشا . وفيهـــا في شهر تموز توفّا الاسقف يوسف البلوزاني من بيت متان ودفن في دير مـــار شليطا مقبس . وفي سنة اسنا المذكورة (اي ١٦٥١ م) واسا للهجرة في ٣ من ايار توفي الشيخ يونس بن سليمان بن حبيش .

٥٥ – حسن باشا مكان عمر بك على طرابلوس . المنافسة بين المشايخ على الحكم . الاسقف الياس الاهدني اهتم بكنيسة زغرتا . وفاة الاسقف سمعان السمراني : في سنة سب والف (اي ١٠٦٢هج الموافقة لسنة ١٦٥١م) انعزل عمر باشا ورجع حسن باشا ، وسلّم قوده (قيادته) للشيخ ابو رزق الترتجي . وكان أبو رزق متفقاً مع المقدم علي بن الشاعر ومع الامير اسماعيل الكردي قاصداً عداوة بيت حماده بسبب ما سلّفه بايام عمر باشا . فتقوّا عليه ابن الصهيوني ودخل موضعه في الكوخنة . فانهزم من طرابلوس ، وطلموا خلف توابعه ورزقه . فكاتب ابو رزق للامير ملحم بن معن واعطاه آيالة عكار وحكمها من تحت يد حسن اغا أبو دية ، فطرده منها الشيخ سرحان ، واخذ حكم جبة بشري ابو شاهين علي بن العجّال من بشنّاقا .

وفيها الاسقف الياس الهدناني اهتمّ بتوسيع كنيسة زغرتا لأجل كثرة الناس الذين كانوا يترددون اليها ويقصدون شفاعتها ، ففتح سوق القلعة الشرقي الذي فوق الكنيسة فبيّضه وكرّسه واقام فيه ثلاث مذابح . وفيها في ط (تسعة) من كانون الثاني كانت وفاة الاسقف سمعان الصمراني ... (وهنا انتهت ص ١٤٥ وجهاً) وكانت حلب بيد بشير باشا .

٥٦ – عودة الارناووط ، شيخ المشايخ ، الحكم على الشيخ ابو رزق ، ثم استفك وتزوج امرأة مسلمة لينجو من الموت وهربت اولاده الى ولاية معن : سنة سج والف (أي ١٠٦٣ هج) الموافقة لسنة اسنب مسيحية (اي ١٦٥٢ م) بعد عزلة عمر باشا حكم طرابلوس الارناووط فجعل كاخيته الشيخ ابو رزق وفوّض اليه كل

اموره وضمن بلاد عكار والزاوية والضنيّة والجبة بيـد اخيه الشيخ ابو صعب ، والكوره بيد الشيخ سعيد بن علي حماده ، وصار للشيخ ابو رزق يد عظيم تدقّ قدامه النوبة في مدينة طرابلوس ، ونودي باسمه أنـه شيخ المشايخ واجرى له الجراية من الباب الاعلى بل يوم قري وفوّض اليه الارناووط امور ديوانه حسده اكابر البلاد ، وقذفوه بأمور شتّى ، ومن جملتها انه لا يجب ان الاسلام تنقاد الى رجل نصراني . وكان قـد وافاه الشيخ قيد بيه واخوه الشيخ طربيه من اعيان المشايخ الحبيشية مع جمـلة ناس ، قصدهم يتحوّجوا ليزوجوا واحداً من اولادهم ، وكان نزولهم مع خدامهم في دار الشيخ ابو رزق ، واهل الغرض نسبوا قدومهم حتى يهربوا به . فلأجل ذلك في نهار الجمعة ، وهو اول يوم من نيسان سنة اسنج (اي ١٦٥٣ م) أمر الارناووط بالقبض على الشيخ ابو رزق ورفعه الى القلعة . فنكبوا داره واستباحوا ماله واخذوه مع اولاده والناس الذين كانوا نازلين عنده ووضعوهم في وثاق الحديد وكان عددهم تسعين نفساً . وبعد ايام قليلة وردت البشاير في عزلة محمد باشا عن آيالة طرابلوس وقدوم قره حسن موضعه . فتوجّه الارناووط إلى حماة في الدورة لأجل تحصيل المـــال ، واخذ لابو رزق والمرابيط سجنهم في الصرايا التي بناها بجاه ، وقصد المحاسبة مع ابو رزق عن المقبوضات التي بضمنته ، فاثبت عليه اثنيعشر الف باقية عنده[1] .

وسنة سد والف (اي ١٠٦٤ هج) الموافقـة لسنة اسنج (اي

١) هنا في المتن نرى ١٤ سطراً مشطوباً عليها وبدلها نقرأ هذا المقطع الذي سجلناه في المتن قبل الحاشية . وجـاء في تاريخ الدويهي الذي طبعه الشرتوني ص ٢٢٢ ان « الآباء اليسوعيين سكنوا في قرية عين طوره من ساحل كسروان وكانت سكناهم في المحل الذي اعطاهم اياه الشيخ ابو نوفـل الخازن ، وللرهبان اليسوعية مجموعة تاريخية تسمّى الرسائل البانية ، طبعت في باريس سنة ١٧٠٨ « Lettres édifiantes » .

١٦٥٣ م) اخذ آيالة طرابلوس قره حسن فدخل حماه ونزل في صرايا الارناووط ، وحين بلغه خبر الشيخ ابو رزق ، وانه في السجن مع جماعته ، تكلم بسببه لأنه كان يحبه وكان له خاطر عليه لأجل تعبه السابق ، فحاسب بينهم وتسجل على ابو رزق من كسر المقبوضات تسعة اكياس دفعها عنه ابن الصهيوني . وعندما اطلق سبيله وسبيل المسجونين معه وقصد يفوّض اليه اموره وصل قبجي بطلب راس ابو رزق لأجل الشكايات التي تقدمت فيه من أهل الاغراض . فأشار عليه حسن باشا وابن الصهيوني بأنه يدخل دين الاسلام ولا يقتل . فاستمال كرهاً إلى قولها . وفي نهار الثلاثة اواسط شهر حزيران أمام القاضي ، اعطوا القبجي الف قرش ورجع راضياً . ثم لما قدم حسن باشا الى مدينة طرابلوس دخل معه الشيخ ابو رزق وضمن منه جبلة ولاذقية ، وحين همّ بالخروج إلى لاذقية ليستوفي مالها ، اوصى اخاه ابو صعب ان يأخذ اولاده ويتوجّه بهم الى تحت حكم ابن معن . فصعب رواحهم على حسن باشا . وابو رزق ليزيل عن باله الظن العاطل تزوج بمرأة موسى باشا .

٥٧ — قبرس وحكم الباشا الظالم فيها والمصائب . الطاعون في بلاد الشام . حماية سيدة زغرتا . سيامة اسقفين احدهما في قنوبين والآخر في دير حوقا : وفي هذه السنة في جزيرة قبرس ، بعد عزلة درويش باشا ، اخذ الحكم محمود باشا القرماني رجل اعور اكتع اعرج وظالم . فأرمى رمايا على كل الضياع ، وغلاّ اسعار المغلّ وكان معه مايتي رجّال . فخاون الانكشارية والصباهية فغلبهم وخرّب لاوضة الانكشارية وكلّفهم خصايراً عظيمة . وأخذ منهم الخراج بشبه النصارى . واستجرّ من النصارى ما لا ما له عدد . ثم ركب على الكاف أو الباق فافتتحها وقتل ناس منهم ، وبلص البعض والبعض حطّهم

في الجرابات ، وفي ايامه قلّت الامطار ، وتوّلى الجراد على تلك الجزيرة وصارت الناس بوجل عظيم .

وفيها حكم الطاعون العظيم في بلاد الشام أخذ نفراً كثير ، فالتجوا اهل زاوية طرابلوس وجبة بشري الى حماية سيدة زغرتا واخذوا السكنة في الضنيّة . وفي شفاعتها لم يرا احــد منهم ضرراً بل شاهدوها كثيرين إنها كانت تسير على صطح البرج كالست المتجلاّية بثياب مفتخرة ، وانها كانت ترجر العساكر المقبلين في الفضاء من ناحية الشمال وتضمحلهم بشبه الدخان ، سبحان رب جعلهـا بيت ملجأ للمؤمنين به ، (وهنا انتهت ص ١٤٥ قفا) .

وفيها كانت وفاة الاسقف يوسف بن عميمه الكرمسداني وهو رجل محترم غيور بل ذو غيرة عظيمة في امور الدين ، وفي نياحة السيدة انسام عوضه المطران يعقوب الرامي إلى دمشق واخذ السكنة بقنوبين . وفيها كانت قسمة الاسقف يوسف الحصروني على مدينة جبيل الذي كان رفيق السيد البطريرك ، وتنوّب عنه بدير حوقا .

٥٨ ـ محمد باشا الكبري في طرابلوس . السلطان يمنح اختام الوزارة الى بشير باشا ويتوجه الى اسطنبول وهناك يقتل مع اتباعه علم الدين وابن الصهيوني . وابن معن يولى على صفد والشيخ عياده على جبة بشري : سنة سه والف (اي ١٠٦٥ هج الموافقة لسنة ١٦٥٤ م) انعزل حسن باشا عن طرابلوس فدخلها محمد باشا الكبري . فاعطى حكم البترون للمقدم علي بن الشاعر ، واقـام باستخدامه في المدينة الامير سماعيل الكردي والحاج سعيد بن حماده . ثم أن نفرت قلوب الانكشارية منهم بسبب كثرة صبيانهم وقوّاستهم الذين يتردّدون في طرابلوس . فصارت المنادة عليهم وخرج ابن

الباشا يطردهم إلى أطاريف الزاوية فقتلوا أبو يزبك عبدالله بن الشمر العاقوري بأرض عردات واثنين معـــه وشلحوا سلاحات القواسة وشاشاتهم ، وانهزم الامير سماعيل والحاج سعد الى الكورة وصاروا يخضخضوا هناك .

وفيها ارسل حضرة السلطان أختام الوزرنة (الوزارة) الى بشير باشا نايب حلب ، فتوجّه إلى عنده اصحاب الاغراض : الامير علي بن علم الدين ، ومصطفى بك بن الصهيوني ، قاصدين الركوب على الامير ملحم بن معن الذي كسرهم في قرية القرن . فالوزير قصد الدخول الى اسطنبول ليمهّد اموره ويُخرج فيهم امورات سلطانية . وسار معه بن علم الدين وابن الصهيوني بعسكر عظيم . ولما كان ساير على الادنه ، امر بقتل الشيخ ابو رزق الترتجي ، لأن شهد فيه بن علم الدين وابن الصهيوني انه كان من حزب ابن معن وان اخـاه ابو صعب كان حاضراً معه في وقعـــة وادي القرن ، وان أخوه ابو صعب واولاده قاموا بعضدة ابو رزق وساروا الى مساعـــدة ابن معن . فأخذوه الى ارض حلب وقتلوه في مدينة قونيه بالسيف وكان ذلك في أول شهر اذار .

وحين دخل الوزير إلى اسطنبول زعم انه يعزل ارباب دولتها ، ويقيم عوضهم من جماعتــه في مراتب الانكشارية وآغاوية القول . فقمروهم بذلك وهجموا على قتــله فانهزم إلى داخل صراية السلطان ولم ويرجعوا من هناك حتى حضرة السلطان امر بقتله والقى لهم راسه نازل من السرايا ، واخذ الوزرنة (الوزارة) بدله مراد باشا . واما توابع بشير باشا انهزموا من المدينة ورجع بن علم الدين بأربع خيالة للشام . وصارت فرحة عظيمـة في بلاد الشوف . فنوّرت النـاس وقوّست الخدامة . وأما الامير ملحم ارسل ثلاثين الف مع محمـد

آغـــا بن القهوجي الى حضرة الوزير مراد باشا لاجل استعطاف خاطره . فارسل له مع المذكور سنجقية صفد وطيّب خاطره ، وتوجّه الى صفد الامير ملحم معن مع ولديه الامير احمـد والامير قرقمـــاس .

وفيها الشيخ احمد ابن محمد عياده ابن قانصوه اخذ حكم جبـة بشري على يد الامير ملحم ، والشيخ ابو نوفل بالاثنا عشر الف .

٥٩ – الخوري جرجس البجّاني يعمر كنيسة بيت شباب . الطاعون في تلك النواحي وفي قنوبين : وفي سنة اربعة وخمسين والف وستماية مسيحية اعتنـا الخوري جرجس بن الخوري رزق الله البجّاني ، وفي معضدة اهالي قرية بيت شباب وعمّر كنيسة مـاري جرجس بجردق . فوقع من علو القبو المعلم ابراهيم وابو موسى الفاعل الى الارض ولم ينالهم ضرر وكان وقوعهم على الصخر .

وكان الطاعون شديداً في تلك النواحي ، وامات خلقاً كثير ، والذين كانوا يتعبون في بنيان الكنيسة ما صار لهم شيء . وكذلك في دير قنوبين ماتوا ثلاثة في الواجش ، وانطعن موسى بن الخوري ايوب البشراني الذي تعلم في مدرسة رومية . ولموضع عبادته وعلمه وحسن خطه ، اقامه المطران يعقوب الراعي شدياقاً له . وقبل ما يموت بخمسة ايام حضر عليه اخنوخ والياس فسلّياه . وبعد ذلك دخل اليه شيعة عبيد وهم يصرخون : قوم يا برغوث النار لأخذك للنار ، فاستغاث بالله وفي شفاعة السيدة التي عبدها منـذ صغره ، فسجّمته وازالت عنه الحزن . واخذت مسبحته ووضعتها في عنقه وقالت له : لا تخشا بعد خمسة ايام تنتقل الى مجمع الابرار . واخبر بذلك معلمه المطران يعقوب والقس اليـــاس بن عويضه والاسقف

يوسف الحصاراتي ، الذي شهد ان في يوم وفاته اعترف ثلاث مرات ، وغيرهم الذين سمعوا من منطقه واخبرونا بما ذكرنا .

٦٠ – استقرار محمــد الكبري في طرابلوس . سيامة اساقفة لمساعدة البطريرك والرعايا . البرديوط آصاف اهتم ببناء كنيسة مـار عبدا هرهريا وزهد كل اهله على مثال القديس برندوس .
سنة سو والف (اي ١٠٦٦ هج) الموافقة لسنة اسنه مسيحية (اعني ١٦٥٥ م) استقرّت آيالة طرابلوس على الكبري[1] ، وكانت فيهـا الكونه في حريشة المري في كورة طرابلوس بينه وبين الامير اسماعيل والحاج سعد ، بسبب قـلة ايراد المال . فانكسروا وارتحل الامير اسماعيل باعياله وقرايبه من آيالة طرابلوس الى عنـد الامير احمد ، فأعطاه مدينة صور .

وفيها كانت رسامة الاسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجز ليكن مساعداً للبطرك في قنوبين ، وكذلك الأسقف يعقوب العنتاري ، والاسقف ابراهيم السمراني (وهنا انتهت ص ١٤٧ قفا) على دير قزحيا .

وفيها يوسف البردوط بن القس آصاف من قرية أعرامون في بلاد كسروان اعتنا وعمّر كنيسة مار عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل مع قلالي لسكنة الرهبان . ولا يجب اننا نتأخر عن ذكر ما فعله الله ، لأن على يد البردوط المذكور زهدوا في العالم وطلبوا الاسكيم الملايكي اخوته اندراوس وانطانيوس وحنا . ثم تبعتهم اختهم رفقه ،

---

1) Voir Hammer, Hist. de l'Impire Ottoman, Paris 1876, c. 10, p. 399. « Keprilu Mohammed ».
(راجع الاب توتل اليسوعي عن تاريخ الازمنة ، ص ٣٥٢) .

ثم ايضاً والديهم اللذان كانا بعدهما مكدونان في نير الزواج . فبرضا اثنينهما وعلى شور الاسقف يوسف حبقوق تركا العالم واتخذا سيرة الرهبنة . فاوقفوا عنـــد ذلك جميع مالهم واملاكهم لهذا الدير ، وأحبوا الفقر ، وان الكبار والصغار يعيشوا تحت يده . وصاروا عبرة صالحة لساير الناس ليس فقط في دخول الرهبنة بل في السيرة الحسنة والعبادة الجزيل قدرها الى نهاية عمرهم .

٦١ ـ عزل مراد باشا من الوزارة . القنصل بيكت . البطرك اندراوس اخيجان . البطرك يوحنا الصفراوي وفاته وسيرته . حيات في بسكنتا . وفاة المطران بولص السمراني : سنة ستة والف (اي سنة ١٠٦٧) للهجرة الموافقة لسنة اسنو (اي ١٦٥٦) مسيحية انعزل مراد باشا عن الوزرنة العظمى وعُطي الختام (الاختام) إلى محمد باشا الكبري ، فولّى محمد آغـــا الطبّاج على آيالة طرابلوس ، واسماعيل آغا على صيدا وبيروت . وبشمق محمد آغا على صفد ، وضمن المقدم فارس بن مراد بن باللمع جبة بشري من الطبّاج .

وفيهـــا كان حافظ قنصلية الطايفة الفرنسية في مدينة حلب فرنسيس بيكت ، صار له ثناء عظيم في بلاد الشرق بسبب عبادته وكثرة كرمه وسلوكه بين الحكّام والطوايف الغريبة . وعندما قصده شمعون (أي اغناطيوس شمعون) بطرك اليعاقبة مدة وسعفه بجملة آلاف من الدراهم ، ثم ناظراً الى الطغيان التي كان سالك فيه هو وجماعته ، كتب الى البطرك يوحنا انه يرسل له اسقفاً القس اندراوس اخيجان الذي في الاصل كان يعقوبياً من مدينـــة حلب ، ثم انـــه رجع الى معرفة الحق . وليتثبّت في الامانة كان ترسله (ارسـله) البطرك يوسف الصفراوي صحبـــة الاولاد الى مدرسة

(الموارنة) برومية . فثبت بها ثلاث سنين واستمدّ معرفةً جزيلة من قراية الكتب ومنادبة العلماء والمخالطة . وكان منذ صغره فصيح اللسان ومأدباً في اللغة السريانية والعربية (هنا انتهت ص ١٤٨ وجهاً) والتركية . فسامه السيد البطريرك حنا في عيد مار بطرس وبولص الرسولين اسقفاً على دير قنوبين ، وارسله الى عند القنصل بشرط انه لا يتعاطى اموار (امور) الموارنة بمدينة حلب . فقبله بكل كرامة ولأجل خاطره صار له القبول عند البطرك شمعون ، وعندما همّ البطرك على الخروج في الدورة لأجل وفي الديونات التي كانت على الكرسي وكل موضعه الاسقف اندراوس الذي تكنّا باسم ديونيسيوس .

وفيها كانت رسامة الاسقف جرجس بن الحاج رزق‌الله من قرية بسبعل الى سيدة قنوبين . وكانت قسمته (رسامته) في كه (٢٥) من شهر تموز . وفي اواخر هذه السنة قضى أجله البطرك حنا الصفراوي في كج (٢٨) من كانون الثاني . وكان المذكور رجلا طاهراً باراً تأدب منذ صباه بالتقوى وسيرة النسك ، وارتفع الى اجلّ المراتب بالخضوع والاتضاع ، وكان ذا نفس مقتنعة راضية ولم يعرف التكدير قط . كان كل يوم يصلّي السبع صلوات المفروضة ، ثم يصلّي الشبيبة والمسبحة لم ترتفع من يده . وكان يصوم الى الظهر جميع ايام الاربعة والجمعة من القطاعات ما كلا لما يكون في زيارة الرعايا . خدم في رياسة الكهنوت ١٢ سنة ، وفي البطريركية اربع سنين ، واعطاه الله انه قضا رياسته في الهدوء والنياحة لأجل حكم الامير ملحم بن معن الذي حكم أحكاماً عادلة .

وعندما كان في ساحل علما من بلاد كسروان وهو عند المساء نازل في دار الشيخ ابو ياغي حبيش وحده ، ودخل إلى عنده القس مرهج بن نمرود الباني وغيره ، وجدوه ملقياً على الارض ونوراً عظيم

خارج من وجهه ساطع (ينير) كل المنزول . وعندما دنت ساعته وهو في دير قنوبين سال[1] الرب يكون حافظاً للرعية . وصدر من وجهه نوراً شديد حتى ان ابو راشد من غباله الذي كان خادمه خطر بباله انـه احترق واخذ ابريق ورشّ عليه ليطفي الاضطرام واللهبة . فانتبه البطرك (من جراء ذلك) والخادم من وهلته وقع وكسر الابريق وهرب . وحين شاع الخـبر عن نياحته ، اجتمعت الاخوة والكهنة والروساء تباركوا منه وزيّحوه في اوقار ودفنوه في مغارة القديس مارينا . وعندمـا ادخلوا جسده وجلّسوه في قبو المقبرة شهد قدامنا الاسقف الحصاراتي واخوه القس موسى الذي كان شمس القلاية والخوري ابراهيم زياده بن القس عبيد الهدناني انه رجل تقي وخايف الله ، وانهم شاهدوا جسد البطرك جرجس عميره بعـــده محفوظاً لا ينقصه الا الروح .

وفي نهار تاسعــه اجتمع رؤساء الكهنة وأكابر الطايفة واتفقوا على اقامة الاسقف جرجس من بشعلة ، فتمنّع هو وهرب الى قلاية من قلالي الرهبان . فخلعوا البــاب واخرجوه عنوةً وأصعدوه الى دهليز الكنيسة وهو يمانع بكل قواه ، واذ لم يستفيـــد شيئاً مع الكثرة ، طيّب خاطرهم وقـــال لهم : دعوني استريح قليلاً . ثم استغفلهم وهرب بلطف واختفى في (هنا انتهت ص ١٤٨ قفـا) في الوادي برفقة اخيه . وحين عجزوا منه انتخبوا الاسقف جرجس

---

١) ونقرأ في الكتاب الآخر للدويهي عن هذا البطريرك انه : « كان نازلاً في ساحل علما عند الشيخ ابو ياغي حبيش ، وان وفاتـــه كانت في الليلة التي تسبق عيد الميلاد ... وبسبب ان الليـلة كانت باردة وكان ابو راشد من غبالي قايم بخدمته ووضع منقل النار بقرب تخته ، توهّم عليه بأن طارت عليه شرارة من نار المنقل واحرقت الفرشة ، فتقدّم الى الابريق ليطفيها فطلمت بيـده اذن الابريق وانكسر على الارض وهرب ، فتحقق ان ذلك النور الخارج من وجهه ما كان مادي بل سماوي ... » .

بن الحاج رزق‌الله من قرية بسبعل في زاوية طرابلوس ، واجلسوه على الكرسي الرسولي ، وكانت اقامته في اول يوم من كانون الثاني ، وهو افتتاح سنة اسنز (اي ١٦٥٧ م) . وارسل مكاتيب الشهادة والتسليم الى البابا اسكندر السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧ م) مع البادري يوحنا الكرمليطي الملقّب بالقديسة راسيا ، وكان المذكور بدير مار اليشع بشري . وحدث ان في حال دخوله الى رومية حكم فيه امر الباري ومات . لذلك جدّد المكاتيب وتأخر تلبيته ومجيبة درع الرياسة الى سنة اسنط (اي ١٦٥٩ م) .

وفيها في بدو تموز تباينت حيّات كثيرة في باب جميلة بأرض بسكنتا . وعند طلوع الشمس كانوا يرفعوا رؤسهم من شقوق الارض . ويقال ان قتلت الناس منهم نحو ثلاثة آلاف حيّة في موضع صغير على شبه البيدر .

وفيها في اول أيلول كانت وفاة الاسقف بولص الصمراني ، وكان قد اعتنى وبنى كنيسة مار الياس في عربة مرعل .

٦٢ – اجتماع الامير ملحم واولاده واحزابه . استقرار الطبّاج في طرابلوس . الامير ملحم في صفد لجمع المال يمرض ويموت هناك وكان عادلاً رحيماً . وفاة الاسقف السمراني : سنة سح والف (اي ١٠٦٨ هج الموافقة لسنة ١٦٥٧ م) كانت المحافظة بين الامير ملحم واولاده من بلاد الشوف طايفة اليزبكية والمقدم مراد بن باللمع واهل الجرد والغرب نحو الف وخمساية رجال وتوجّهوا الى ناحية بكفيا طالبين الحكم من نهر الصفا الى جسر المعاملتين ودافعوا عن البلدان التي كانت مع بيت معن في آيالة طرابلوس . فلما بلغ ذلك والدم وهو في بيروت امر ان يُرمـــا الصوط (يُرمى الصوت) .

فاجتمعوا اليه اربعة آلاف نفس ثم نزل الى عند الامير عليّ والامير منصور اولاد الشهاب برجالهم . فاصلحوا بينهم ، وعندما حضروا اولاده استقبلهم احسن استقبال .

وفيها الطبّاج جاءه استقرار على ايالة طرابلوس ، فاعطى عكار والجبّة للمقدم فارس بن بالمع ، والبترون لمقدم علـــي بن الشاعر بوصاطة الامير ملحم واستوفا مالهم الشيخ ابو نوفل بن الخازن . واما الحاج حسن بن الشاطر فقبض عليه ونهب بيته واسبابه واخذ منه نحو عشرين الف قرش .

وفيها الامير ملحم (بن معن) توجّه الى صفد ليجمع مالهـا فمرض بعكسه ، وثقل مرضه عليه فنقلوه في تحت اروام (اي تخت) الى مدينة صيدا ، وفيها قضى اجله في كح (٢٨) ذي الحجة وهو السادس عشرين من ايلول بانكساف القمر . فاجتمعوا اولاده والناس من ساير البلدان واقاموه نحو ثلاثة اشهر ، وكان اميراً جليلاً رحيم ، عدّل على الرعايا والدولة راضيين منه .

وفيها توفا الاسقف بولص السمراني في بدو شهر أيلول ، واحتمل مشقات كثيرة من الامير عساف بن سيفا وانتقـــل لجمع الابرار ، (وهنا انتهت ص ١٤٩) .

٦٣ – قبـــلان باشا في ايالة طرابلس . اجراءات جديدة . توزيع المقاطعات على الامراء . عروضات على الباب العالي وتحصيل المـــال ومنع الباشا من الدخول الى المدينة . الاسقف سركيس الجمري : سنة سط والف (أي ١٠٦٩ هج الموافقة لسنة ١٦٥٨ م) التي بدؤها في سبعة عشر من شهر ايلول ، أخذ آيالة طرابلس قبلان

باشا وجاب معه أمورات شريفة في بيت حماده (بسبب الحربان) ، فجمع نحو الفين رجال من دولة واولاد عرب وسار بهم إلى البترون والي بــلاد جبيل ، فما لحق احداً منهم لأنهم قطعوا في أعيالهم ومواشيهم الى بلاد كسروان . فأخرب جاراتهم وقرايا وادي علمات . ثم نزل في العسكر إلى جبيل وكان فيها حنطة الاهالي كسروان بمبلغ ثمانية آلاف قرش ، فضبطوه جميعه وأخذوه .

ثم كتب بلاد البترون على المقدم عليّ بن الشاعر بسبعة عشر الف قرش ، وجبة بشري باثنا عشر الف قرش ، وأرسل مكاتيب لأولاد معن انهم يكونوا عن المقدم بجمع المال واعطاهم خمسة آلاف باشين البلادين ، واستوفى مال الجبة المقدم قيت بيه ابن المقدم عليّ والشيخ أبو قانصوه ابن الشيخ ابو نوفل . وقرّر الباشا بلاد جبيل على جاور اغلي ، وبلاد عكار على المقدم فارس بن المقدم مراد بكفالة روم احمد . وعاد الى طرابلوس . وأما بيت حماده لم يرادوا ينهبوا ويخضخضوا حتى وصــلوا الى ابواب طرابلوس ، وثم يحتمسوا في كسروان . فأرسل يعرض بهم إلى الباب الاعلى . ثم مسك محمد آغا جاور أغلي وقتله لأجل كسر المال في ضمنة جبيل ، وانكسر على المقدم فارس من مال عكار ثلاثة عشر الف ، فأخذها من روم احمد الذي كفله .

وكذلك قوم الشام بعثوا عروضات الى الباب الاعلى في (أي بحق) الامير علي والامير منصور أولاد الشهاب ، وفي عبد الاسلام وبعض آغاوات المتكلمين في مدينة الشام . وذلك بسبب انهم كانوا حكموا في المدينة وبرها ، وكان البكلربكي (في طرابلوس) بمجرد الاسم لا غــير كالناطور . وحين قدم مرتضى باشا الى آيالة الشام

جمع عليه المتسلم السكانية وجمع اولاد الشهاب ما ينوف عن سبعة آلاف ، فمنعوه عن الدخول الى طرابلوس .

وفي هذه السنة أسنح رجع القس سركيس ابن الجمري من اهدن ، من فرنسا حيث قـــام في ترجمانية اللغات الشرقية ، وكان له كج (٢٣) سنة في الكهنوت ، فارتفع على يد الشيخ ابو نوفل الخازن إلى رياسة كهنوت الشام[١] .

٦٤ – احمد الكردي بالشام ، وقبلان في طرابلس ، والارناووط في صيدا وبيروت . الباشاوات يحاربون امراء لبنان ، وابناء معن يهاجون ويتحالفون مع بيت حماده وشهاب : سنة ع والف (أي ١٠٧٠ هـج الموافقة لسنة ١٦٥٩ م) بسبب العروضات التي تقدّمت للباب الأعلى في بيت الشهاب وبيت حماده ، أرسل محمد باشا الوزير الاعظم ارسل ولده أحمد باشا الكبري الى آيالة الشام ، وقبلان باشا الى آيالة طرابلوس ، ومحمد آغـــا الارناووط إلى صيدا وبيروت . وارسل ابن الكبري المكاتيب (وهنا انتهت ص ١٤٩ قفا) الى سنجق صفد ، وابن طربي البدوي وابن أحمد بك باشا غزه وباشة القدس ، وإلى بني يمن ليجمعوا الرجال ليركبوا على بني قيس . فمات المقدم علي ابن الشاعر في الشام لأنه طلع في رجال البترون . وفي ربيع الثاني مات الامير علي بن عـــلم الدين وذلك ان خطر عليه الجرح الذي صابه في خونة وادي القرن ومات . وزحف أحمد باشا بمبلغ (بعــدد) خمسة عشر الف رجال من الشام الى سعسع ، وكان معه ابن الصهيوني والامير محمد والامير منصور أولاد ابن علم الدين وغيرهم من أصحاب الاغراض .

---

١) طالع حاشية رقم ٤٧ في آخر هذا الكتاب عن هذا الموضوع .

فكاتبوه الامراء اولاد الشهاب بدفيعة من المال وتبطيل الركبة. فما استقبل. فهرّبوا اعيالهم وتوجّهوا بنحو ستماية رجل الى قهز في اطارف كسروان، واجتمعوا مع بيت حماده. فوصل ابن الكبري الى وادي التيم فهـــدّم حارات بيت الشهاب في حاصبيا وريشيّا وحارات كواخيهم، وقصّوا توتهم في مرجعيون ووادي التيم والبقاع نوف من خمسين الف شجرة. واعطى حكم وادي التيم إلى اولاد ابن علم الدين والمقدم زين الدين ولابن اخيه عبدالله. ثم سار إلى تحت قبّ الياس، وكاتب الامير احمد والامير قرقماس اولاد معن بطلب الشهابية والحادية، وارسل الشوابصه الى صفد وبلاد بشاره وصيدا وبيروت يجمع الرجال الى ثاني أمر. وامـــا امارة بيت معن فقد جمعوا الرجال نحو سبعة آلاف وصعدوا بهم من بعقلين الى عين سحلته راس بلاد الشوف، ومـــا كان بينهم وبين الباشا الا الجبل العال. ولم يجتمعوا معهم امارة بيت الشهاب ومشايــخ بيت حماده، لأنهم كانوا مطلوبين. وكتبوا لابن الكبري بأن بيت الشهاب وبيت حماده ما دخلوا بلادهم. فرسل طلب منهم خدمة، وكان محمد آغا حاكم صيدا اخـــبره في احوال الامراء وقوتهم المال الذي خلفه والدهم، وطلب منهم اربع كرات. فصار الرضا على كرتين ونصف.

وارسلوا المـــير قاسم من الشويفات والمقدم شرف الدين من حمانا رهناً عن أن المبلغ المذكور يتورد على الشام دفعة بعد دفعة بمدة اربع شهور، حينئذ أحمد باشا في شهر جمادي الاخر فلّ العساكر ورجع الى الشام، وأخــذ معه ابن احمد بك باشة غزة، فقتله وعمل على اهله كرة ونصف مال. وعمل على ابن طربيه مقدار مايتين كيس. وأما قبلان باشا توجّه على الهرمل الى طرابلوس، ثم مسكه وقتله والقاه على الجسر بسبب انه كان مع جملة عسكر اولاد معن حـــين توجّهوا الى عين سحلته (وهنا انتهت ص ١٥٠ وجهاً).

٦٥ – وفـــاة الاسقف الياس المدناني وخلفه الاسقف بولس الدويهي . وفاة البطرك شمعون اليعقوبي وجلس مكانه المطران اخيجان بفضل قنصل فرنسا والبطرك الماروني : وفي هذه السنة في كانون الثاني كانت وفاة الاسقف الياس بن الحاج حنا المدناني وله عشرين سنة على كرسي اهدن . وتخلف بعده ابن عمنا الاسقف بولص بن القس بولص بن القس عبيد الدويهي واخـذ السكنة في دير مار سركيس راس النهر .

وفيها توفي ايغناطيوس شمعون بطرك اليعاقبة في مدينة دمشق . والقنصل بكيت بعث إلى اسطنبول وجاب امر شريف للمطران ديونيسيوس اندراوس (اخيجان) أن يكون بطركاً بدله على الملة اليعقوبية وتسمّا ايغناطيوس ، ومـا قبلته الطايفة إلا رغماً عنهم ، بسبب أنه كان تابع الكنيسة الرومانية . وصار ذلك على هـــذه الشروط الثلاثة : اولاً أنه لا يكلفهم شيئاً على ورود الامر الشريف . وثانياً انه يتكفل في جميع الديون التي كانت على الكنيسة . ثالثاً انه يستفك آلات الكنيسة التي كانوا مرهونين .

فالقنصل الغيور اقضى الجميع وكان يكفي البطرك من جميع ما يحتاج اليه . ثم انه قسم (رسم) اخاه روحيجان مطراناً على حلب وتلقب بديونوسيوس ، وبعث رسم الطاعة للكرسي الروماني ، وكتب قرار الايمان التي يخص تلك الدرجة ، والحلفان انه لا يذبيع عنه . فجاءه التثبيت وبدلة كاملة . واما من خصوص قسمته (رسامته) بتلك الدرجة صارت على يد مكاريوس بطرك الملكية . فحين طلب منه وضع اليد على درجة البطريركية قال له اني قـــد رفعت من درجة الانجيلية إلى درجة البطريركية . وقيل ان قسمته صارت على يـد اخو المطران ديونوسيوس ، وعلى الجهتين كانت سيامته شحيحة

(اي غير صالحة) . فالواجب ان مثلما على يـــد بطرك الموارنة صيّر (صار) كاهن ومطران ، كذلك عليه ان يرسل يطلب منه اثنين من رؤساء الكهنة (المطارين) حق على موجب قوانين الكنيسة منهما ومن أخيه بصحبتهما يقبل السياميذ (اعني السيامة الاسقفية) .

وفيها كانت وفاة الياس بن يحنا اسقف اهدن (وكان من عيلة الصراصرة وكان رجلاً عابداً ذا غيرة في أمور الدين ، ربي بدير قزحيا وسكن في القدس نحو عشرين سنة واشترى دار الرزي مع القس انطانيوس الراهب ... وقد سبق ذكره أعلاه فلا حاجة إلى اعادة خبره) .

٦٦ – ابن الوزير الاعظم بالتعاون مع الباشاوات حارب الامراء اللبنانيين وخاصة بيت معن والخازن وحماده وحرق بيوتهم : سنة عا والف (أي في سنة ١٠٧١ هج الموافقة لسنة ١٦٦٠ م) لما نظر ابن الوزير ان الامراء اولاد معن ما ارسلوا الدراهم التي صار عليها الشرط بتمامها بـل كانوا يماطلوا بهـــا ، خرج بالاوطاق إلى المرجه ونادى بالركوب ، فحضر باشة غزة ، وباشة طرابلوس ، وابن طربيه واولاد علم الدين برجالهم . فانتقل الى مرج برغوث ثم الى مرج عيون ثم الى تحت قب الياس . وامـا امارة بيت معن توجهـوا الى قهز وتشاوروا مع بيت الشهاب وبيت حماده ، وصار الشور (هنا انتهت ص ١٥٠ قفا) بأن تفلّ الرجال ، والسكمانية واللاوند تسير الى عند الامير كنعان آل عساف الجباري ، ثم إن الامير قرقماس بن معن والامير علي والامير منصور الشهابية ساروا بخمسين رجال الى جهات حلب واختفوا فيها ، والامير احمد قصد الطيران في حرش كسروان وبلاد جبيل .

حينئذ الشيخ سرحان بن عماد شيخ الباروك مع مشايخ الشوف كاتبوا حضرة ابن الوزير يعلموه بأن امارة بيت معن وبيت الشهاب انهزموا من جميع تلك البلدان ولا يعلموا اين توجّهوا . وان خراب بلاد السلطان غير واجب . فان رسم خاطره يقيم على البلدان حاكم ويحمل عليهم شيء معلوم لأجل خرج العسكر . فكتب حكم الشوف على الشيخ سرحان بن عماد ، وبلاد الغرب والجرد والمتن على اولاد علم الدين ، وكسروان على محمد آغا ، ووزّع على كل مقاطعة عشرين الف قرش غير المال ، وحق يحطم ذراع اولاد العرب عمل صيدا بشاوية وكتبها على علي باشا الدفتردار .

وبسبب انه اخذ الخبر ان الامير احمد بن معن توجّه صوب قمهز ، امر قبلان باشا أن ينشّ عليه بخمسة آلاف بلاد جبيل والبترون وكسروان والشوف ، وأن يحرقوا حارات بيت حماده وابن باللمع وبيت الخازن وبيت معن وكواخيهم ويقطعوا أشجارهم من غير ان يصير ضرر على الفلاحين . فأخذ قبلان صالح آغا الكاخية وبني يمن وسار بهم الى عين صنين ، وزحم بالرجال الى الجوزات ، الى قمهز ، إلى المنيطرة ، ونشّوا تلك المواضع وحرقوا بيوتها وقطعوا اشجارها ، وأرسل اولاد علم الدين واصحاب الاغراض عملوا كذلك في وادي علمات وداسوا حرش مشمش ولحفد وأرض جبيل والبترون وجبة المنيطرة والعاقورة . فلما اختبر بن الوزير ان الخراب كله على الرعايا ، فلّ العساكر وعاد إلى الشام (وهنا انتهت ص ١٥١) .

٦٧ – الطاعون في البلاد والخوف منه ومن الجوع . كنيسة مار جرجس بيروت تتحوّل الى جامع . ناووس مدفون في

قرب الكنيسة ، سنة عب والــف (أي ١٠٧٢ هج الموافقة لسنة ١٦٦١ م) حدث الطاعون واهلك كثيرين وكان وجل عظيم على النصارى من زيادة الظلم .

وفيها عـلي باشا الدفتردار عمل بلصة على كنيسة مار جرجس الذي خارج بيروت . واذ لم يستقبلوا فيها النصارى ، اخذ وقوفاتها وأذّنوا فوق منها وصارت جامعاً .

وفيها واحـــد من متاولة برج بيروت حفر من جهة قبلي البير الذي في القرية ، فوجد ناووساً مدفون فيه واحد على راسه وبيده كاس وصينية وجسده بعده محفوظاً ، وقيل ان ذاك البير كان من قديم بير الكنيسة .

٦٨ – عـزل باشا صيدا . غـــدر محمد باشا بالامراء المعنيين ومقتل الامير قرقماس واختفاء اخيه المير احمد : سنة عج والف (اي ١٠٧٣ هج الموافقة لسنة ١٦٦٢ م) انعزل علي باشا عن آيالة صيدا وتولاها محمد باشا . فكتب الى حضرة الامير احـــد واخيه الامير قرقماس اولاد معن بالأمان والطمان ، وان مراده يولّيهم على بلادهم مثلما كانوا سابقاً . وبسبب ذلـك ارسل كاخيته الى موضع يدعى عين مزبود ومعه سبعة انفس ليجتمع فيهم . فنزلا اثنينهما في الرجال ، وحـــين اسقاهم القهوة باق فيهم فقتل الامير قرقماس ولم يقدّرهم الله على أخيه . عند ذلك عطى الباشا محافظة البلاد للأمير محمد بن عـلم الدين والشيخ ابو علوان القيسي من الباروك ، واختفى الامير أحمد (وهنا انتهت الصفحة وهي ناقصة اي متروكة بياضاً) .

٦٩ – غلاء ومحل في الزرع وارتفاع الاسعار : سنة الف وعد

(أي ١٠٧٤ هج و١٦٦٣ م) ، صار في بلاد طرابلس ظلم شديد ومحل في الزرع وفي الحرير حتى ان وصل رطل الحرير إلى عشرين قرش ، وقـلة الزيت بسبعة ، وشنبل الحنطة في البيدر بقرش ونصف ، فتشتت الناس عن مواطنهم من شدة العازة . (وهنا انتهت صفحة ١٥٢ وهي لا تحمل الا خمسة اسطر فقط ، وباقي الصفحة متروك بياضاً) .

٧٠ - هزة ارضية احدثت اضرارا كثيرة في الارواح والماديات : في سنة أسسه (١٦٦٥ م) في آخر تشرين الاول ليلة الجمعة كانت هزة عظيمة اخربت دوراً وقتلت ناس كثيرين في الشوف وغيره ، وقيل ان في ارزنبان (ارزنخان) قتل اكثر من الف نفس بها[١] .

٧١ - الوقعة بين اليمنية والقيسية وانكسار الاولى وانهزامها الى الشام . سقوط كوكب مما اضرّ بالزرع وسبّب الغلاء : سنة اسسز (اي سنة ١٦٦٧ م الموافقة لعام ١٠٧٨ هج) بأيام الشرحي على آيالة صيدا كانت الوقعة عند برج بيروت بين اليمنية والقيسية ، قُتـل المقدم عبدالله بن قيت بيه بن الصوّاف ، وقتل كثير من الفريقين . الا ان الكسيرة كانت عـلى اليمنية فانهزموا الى بلاد الشام ، والامير أحمد تولّى على بلاد الشوف والغرب والجرد والمتن وكسروان[٢] .

---

١) وهنا انتهت ص ١٥٢ قفا ولم يكتب على هـذه الصفحة الا هذه الاسطر الاربعة فقط . والظاهر ان اموراً كثيرة واخباراً شتى كان المؤلف يرغب في تسطيرهـا وعدل عن ذلك في آخر دقيقة للتحقيق فيها او لسبب آخر نجهله نحن . ارزنخان هي بلدة في جهات الموصل .

٢) راجع عن هذه المواضيع تواريخ اخبار الاعيان لطنوس الشدياق ، ص ٣٤١ ، والغرر الحسان ، ص ٧٣٤ لسنة ١٦٤٤ .

وفيها في التشارين تباين كوكب بشبه السهام بين القبلة والغرب ، فانضرب التوت والجوز ، وحكمت الحرة للزرع فأكلوه في مواضع مواضع فريكاً جيد ثم اسود ، وعطل وصارت قحطة عظيمة .

وفي سنة أسبح مسيحية (١٦٦٨ م = ١٠٧٩ هج) بعدما ثبتنا خمس سنين في مدينة حلب نخدم جماعتنا في الوعظ ، قصدنا زيارة القدس الشريف ، فسرنا الى دير قنوبين لتقبيل ايادي سيدنا البطرك جرجس واخـــذنا معنا الوالدة وأخونا الحاج موسى وناس آخرين وتوجّهنا عـلى خيرة الله . فتباركنا من المواضع المقدسة التي تردد بها المخلص في القدس وبيت لحم والناصرة وغيرهم ، ورجعنا (انتهت الصفحة ١٥٢ مكرر) كلنا بالسلامة الى مدينة طرابلوس . وكان بخاطرنا العودة الى مدينة حلب ، فنزلوا قرايبنا وجماعتنا أهالي اهدن الزمونا بالطلوع الى اهدن . وفي ثمانية من شهر تموز صار النصيب اننا ارتفعنا الى رياسة كرسي الافقسية بقبروس ، وارسلنا السيد البطريرك إلى زيارة جبة بشري وزاوية طرابلوس وبلاد عرقا . ثم في مدخـل شهر شباط دخلنا الى زيارة رعيتنا في قبرس . ولئلا نكون بطالين اشغلنا ذاتنا بجمع هـذه التواريخ لأجل افادة ذاتنا ومعرفتنا أحوال بلاد الشام .

وفيها كانت وفـاة سركيس ابن الجري مطران الشام ، وكان ذلك في بلاد فرنسا الى حيث اتجه لأجل تقرير قنصلية الشيخ أبو نوفل الخازن على مدينة بيروت ، ولأجل بعض مصالح تخصه ، لأنه كان سكن بها مدة من الزمان واشتغل في ترجمانية الاجل في ملوك النصارى ملك فرنسا . وعندما قضا اموره وعاد الى مدينة مرسيليه قضى بها اجله ودفن بغاية الكرامة في أواخر ايار .

وفيها صيّر المطران يوحنا التولاني من بلاد البترون على مدينة صيدا ، واختاره السيد البطرك ليكن مساعداً له بدير قنوبين .

وفيها حـــدث الطاعون في آيالات الشام فأهلك نفراً كثير . أغلق البيوت وضعّف المدن في مواضع كثيرة . وقيل ان الذين ماتوا بالواجش في مدينة حلب وانضبطوا في دفـــتر القاضي ينوف عددهم عن ماية وأربعين الف نفس .

وفيها قدم من بـلاد فرنسا أربعة انفس طالبين يخدموا الله في محابس جبل لبنان ، فأعطاهم البطرك جرجس ناس تجول معهم المغر (المغاور) والمحابس ، ويرمرموا المواضع التي كانت خلت ، ويقطع عنهم سواقي الماء الشاردة ، ويكفوهم من جميع ما يحتاجون اليه من اكل وشرب وغيره . فاختار البعض منهم السكنة في مغارة مـار شليطا بدير مار اسيا ، بأرض قرية كفرصارون . والبعض في دير مار انطانيوس الذي فوق دير قنوبين ، والبعض في دير مـار آبون بأرض مزرعة الحدث .

وفيها تملك السلطان محمد جزيرة قريطش ومدينتها (هنا انتهت ص ١٥٢ مكررة) ، بعدما حاصرتها العساكر العثمانية سبعة وعشرين سنة . وقيل أن في مدة كل هذه السنين قتل من جيش الاسلام انوف عن تنتين وأربعين كرة . فحزنت النصارى عليها كثيراً . وقيل أن بسبب خبرها اغتمّ البابا اقليموس التاسع (١٦٦٧ — ١٦٦٩ م) وتنيّح في تسعة من كانون الاول .

٧٢ — وفـــاة الاسقف ميخايل الحصروني صاحب المؤلفات الكثيرة . وفاة البطرك البسبعلي ، وانتخاب البطريرك الدويهي

صاحب هذه التواريخ العظيمة وطلب التثبيت ، واوامر سلطانية بمنع الخور : سنة اسسط (اي ١٦٦٩ = ١٠٨٠ هج) كانت وفاة الاسقف مخايل بن سماده الحصروني ، وكانت وفاته في حارة الحصارنة التي على كتف مدينة طرابلوس ، وحملوه وقبروه في مغارة القديسة مارينا على موجب وصيته . والمذكور تربّى في مدرسة رومية ، ودخـــل سفيراً الى مدينة رومية بطلب (درع) التثبيت للبطرك جرجس بن عميرا . ونقل كتاب المطبوخ عن الحساب الجديد من اللغة الرومية وطبعه بالعربية ، واختصر كتاب شريعة الملوك النصارى عن الميراث لأجل افادة رؤساء الكهنة واهل الذمة . وصنّف كتباً آخرين . خدم كنيسة قناصل طرابلوس ، وبعدما ارتسم اسقفاً على طرابلوس اخـــذ السكنة بدير قنوبين وبدير مار جرجس بقرقاشا وعمّر حوشه . ثم من جـــور الحكام تركه وسكن في طرابلوس متخفياً . وفي ١٣ من شهر أسباط لهذه السنة السادسة وعشرين من رياسته انتقل إلى مشاهدة الباري .

وفي سنة اسع (= ١٦٧٠) مسيحية لثاني عشر من نيسان في دخول ليلة أحد الجديد كانت وفاة البطرك جرجس بن الحاج رزق الله من قرية بسبعل . فثبت في رياسة الكرسي الانطاكي ١٣ سنة وثلاثة أشهر واحتمل مشقات كثيرة من وجع الجذام الذي صابه ، ومن جور الحكام الغير مؤمنين ، فارتحل الى ناحية كسروان ، وفي دير مار شليطا قضا اجـله ودفن وترك على الكرسي جملة دين . وكان رجل شجيع ذو نفس كريمة ، وماهر في اللغات السريانية والعربية والتركية .

وفيها في كك (٢٠) من شهر أيار نهار الثلاثة كان ارتفاع صاحب هـذه التواريخ الى الدرجة البطريركية وكانت سنة صعبة من جور

الحكام ، ومن الوباء المظيم المتولي على السواحل والجبال ، فأخذ ناساً كثير ، ولم يصير اجتماع الى اختيار البطريرك الجديد الى وفاة القس انطانيوس بن الرزي الذي (وهنا انتهت ص ١٥٣ وجهاً) كان المتخوّل على دير قنوبين وكان من تلاميذ رومية ، وكان ذا حكمة ومعرفة زايدة ، فاجتمع رؤساء الكهنة ورؤساء الديورة واعيان الشعب لدفنته ، وحكموا باقامة البطرك الجديد ليقوم بحملة الكرسي ، وكانت الرسامة في اربعين البطرك جرجس ، وارتسل الى رومية القس يوسف الحصروني لأجل الطاعة وطلب درع التثبيت . وفي الثالث من آب في سنة اسعب (أي ١٦٧٢ م) انعم البابا قليموس في مكاتيب التثبيت ودرع اكمال الرياسة .

وفيها طلعت أوامر من الباب الاعلى ببطلان الخمور في اسطنبول ودمشق وحلب وصيدا وساير الآيالات ، فانهرقت الانبذة وانكسرت اوانيها . حتى أن في مدينة حلب وحدها انضبط ثمن الاواني التي تكسرت الف وخمساية قرش .

٧٣ — فتنة بين الامراء وتدخل الدولة في الامر . علي حرفوش . فارس شهاب وبيت حيمور في البقاع . وقعة بين امير الحاج وامير العرب . الحاج الى مكه : سنة اسعا (اي سنة ١٦٧١ م الموافقة لسنة ١٠٨٢ هج) كانت الفتنة بين الامير عمار ابن الحرفوش وابن عمه الامير علي . فاستنجد الامير علي بدولة الباشا واهزم المير عمار مع الامير شديد والامير يونس واصحاب الاغراض ، فنهب رزقه وأحرق دوره وتولى على بلاد بعلبك .

وفيها الامير فارس بن الشهاب ركب على بيت حيمور في البقاع وقتل منهم جملة رجال . فاستنجدوا بيت حيمور في دولة الشام

واجتمعوا مع الامير موسى بن الامير منصور واخوته الشهابية ، فداسوا وادي التيم واحرقوا حارات المير يونس وضياعه .

وفيها ملك الهند ركب على مكة فأخذها ونهب الحاج وقتل جميع من كان فيها من العثمانية ، وسلب خلعهم عن القبر وبطّل دعوته .

وفيها كانت الوقيعة بين بن الرشيد امير العرب وبين دولة الشام في الدرب للحاج . فقتل موسى آغا بن حسن التركمان واسرت الدولة . وكانت هذه السنة مرخصة[1] ومن كثرة الظلم والكساد في الاسواق انضامت الناس وتشتت عن مواطنها .

وفي سنة اسعب (اي ١٦٧٢ م) عندما قصد الحاج السفر الى مكة تولى امرة الحاج هرموش بن كرزو وجهّز معه باشة الشام لأجل صيانتهم من العربان (وهنا انتهت ص١٥٣ قفا) .

٧٤ – انحباس المطر في التشارين . وفاة المطران لوقا القبرصي . ونهبوا رزقه . عزل محمد باشا عن طرابلس وتعيين حسن باشا مكانه فحاسن بيت حماده ، سنة اسعج (اي ١٦٧٣ م الموافقة لسنة ١٠٨٤ هج) دخلت التشارين ولم ينزل مطر ولأجل ذلك محل دود القز في السواحل وكثر الحرقص في الكورة والدوره في الجرد . ثم ان انضرب الزرع من الحمرة في السواحل والجرد ، وبعدما أكلوه فريك اسودّ وهفى .

وفيها كانت وفاة لوقا مطران الافقسية بقبروس وتولا الصباهي على جميع رزقه . وانهانوا كثيرين في التفتيش على رزقه[2] .

---

١) وردت هذه اللفظة في مخطوطات اخرى هكذا : « وكانت الدنيا معربطة ، ومن قلة السعد ذاقت الناس مرارة الموت وتشتتوا عن مواطنهم » .

٢) وفي هذه السنة ، (كما نقرأ في تاريخ الدويهي المطبوع ص٣٦٧) الشيخ ابو فارس واخوه ابو ناضر اولاد الحاج ابي منصور الهدناني كاتب الامير احمد ممن نقضوا كنيسة السيدة وعمّروها قبواً في دير القمر » وهي كنيسة سيدة التلة بدير القمر ، على ما نعتقد .

وفيهـا انعزل محمد باشا عن آيالة طرابلوس ودخلها حسن باشا واعطى لبيت حماده مقاطعاتهم وعاملهم خير من الذين سلفوا قبله . ولم يكلفهم لا تسافير ولا استمجالات . فأخـــذهم الطمع وكسروا المال وقتلوا ناس في عشاش التي على نهر رشعين ، وخرّبوا المقاطعات في النهب .

٧٥ – حسن باشا في طرابلوس يقتصّ من الشيخ احمد قانصوه وابنه ويقبض على محمد ديب ويحبسه ، ويعين غيرهم : سنة اسعد (أي عام ١٦٧٤ م الموافقة لعام ١٠٨٥ هج) استمرّ حسن باشا على آيالة طرابلوس . وعندما نزل لعنده الشيخ احمـد بن قانصوه حتى يأخـذ حكم الجبة رفعه للقلمة مـــع ولده موسى بسبب الخربان . وقبض كذلك على الشيخ محمد بن حسن ديب وحبسه بسبب كسر مال الضنية ، وصرّف الشيخ سرحان في بلاد جبيل والبترون . وارسل امـين دولته ابراهيم آغـــا الى محافظة جبة بشري وكانوا المتكلمين قدامه الشيخ ابو كرم بن بشاره الهدناني والشيخ أبو شديد غصيبه بن كيروز البشراني .

٧٦ – سفير فرنسا يسافر الى القدس ويزور لبنان ويحضر سيامة المطران مخلوف على قبرس . مطر غزير وثلج : وفي هذه السنة توجّه من اسطنبول الى زيارة القـــدس الشريف ألشي ملك فرنسا ، فاشترى كنيسة مار يوحنا في عين كارم وسلمها بيد رهبان القدس . وفي العودة ، صعد الى جبل لبنان برفقة جمـــلة قناصل وخواجيه وبادريه . وفي خمـة من تمـــوز انتخبنا القس بطرس بن مخلوف الغوسطاني الى مطرنية الافقسية (بقبرس) بحضور وبمعضدة

اخوتنا رؤساء الكهنة جرجس بن حبقوق ، ويعقوب الرامي ، وبولص المدناني ، ويوحنا التولاني (وهنا انتهت ص ١٥٤) .

وفيها في اواخر تشرين الاول نزل من السماء مطر غزير دام نحو عشرين يوم ، وحمل السيل أملاكاً كثيرة ، واخرب عماير وطواحين كثيرين . وكثر البرَد والثلج حتى وصل الى البحر . وقيل ان في رشيد جرفوه عن المراكب وادنق (مات من الصقيع) اثنين من النوتية . وفي قرية كفرسيلوان انباع طبق الزبل بربع قرش لشدة البرد . وفي وادي المسيلخ التي بناحية كسروان انفتحت هوقـــه (هوّة) كبيرة شرقي دير مار يحنا حراش فبلعت سيل الوادي .

٧٧ – استمرار الباشاوات في الآيالات . تحصيل المال الاميري بالقوة . الهجوم على العصاة . بيت حماده يغيرون على النصارى . قيت بيه يقبض على المشايخ . النواب ينالون المال : سنــة اسعه (أي سنة ١٦٧٥ م الموافقة لسنة ١٠٨٦ هج) استقرّت آيالة طرابلس على حسن باشا ، وصيدا على اسماعيل باشا ، ودمشق الشام على حسين باشا . فباشة طرابلوس رفع يـــد الشيخ سرحان عن بلاد جبيل والبترون ونادى بالركوب على بيت حماده بسبب كسر المال ، وارسل مع الكاخية نحو تسعماية رجل من الدولة واليمنية واصحاب الاغراض في كه (= ٢٥) من ايار على درب الجرد . فانهزموا من قدامهم مشايخ بيت حماده على وادي بالندا تحت الاسا وصعدوا الى عــين النقير . فتخاوتوا فقتل واحــد من بيت حماده وأربعة من الدولة ، وأفرق بينهم الليل .

ثم في كز (اي ٢٧) من تموز نهـــار الجمعة صنع الباشا وليمة لأهل دولته . وكان في جملتهم الشيخ ابو طاهر بن الحاج يوسف

والحاج باز بن ابو رعـد ، وابو عساف مدلج بن شريف ، وابن ابو زيدان وغيرهم من اولاد العرب ، ثم امر بحضور الشيخ احمد وابن حسن ديب وامرهم يضربوا فيهم وقتلوهم . وحين شاع خبرهم هاجت الحمادية وتوابعهم ، فوثبوا على نصارى بـلاد جبيل فنهبوا وحرقوا وقتلوا نحو ثلاثة عشر نفس وعلقوا النار في اهل حصرايل ، ونهبوا قرى بلاد البترون في الجرد ، وأخذوا سايقة حصرون في الجبة . فمرض من ذلك للنصارى ضيم عظيم ، فتضعضعوا وارتحل منهم ناس الى المدينة .

عند ذلك المقدم قيت بيه بن الشاعر وضمّانة بلاد جبيل قبضوا على مشايخ القرى وحبسوهم في جبيل لأجل تكلمة المال وصاروا الناس في وجل عظيم من العاصين والطايعين . وفي هذه الحال جاء الامر من الباب الاعلا ان باشة دمشق وباشة صيدا يجدوا (ينجدوا) باشة طرابلوس على العصاة . وخرج باشة طرابلوس في كط (أي ٢٩) من ايلول قرب العصر من المدينة على طريق حدث الحديد التي في جبة بشري (وهنا تنتهي ص ١٥٤ قفا) . فما اصبح له لجبة المنيطرة حتى تضعضع عسكره ، وانفرز معه احـد عشر بغـل من زيادة الركض ، وبلغت مدوّرتـه الى بعلبك حتى يكبس العصاة ، ولم ينال مناه .

ثم في اوايل تشرين الاول اجتمعت نواب الشام وصيدا وطرابلوس بنحو خمسة آلاف سيكاني وعرب تحت قب الياس ، وخاطرهم من الركبة اولاً على ابن معن ثم على بيت حماده . فارتحلت اهل الشوف والبلدان القريبة بأعيالهم إلى سواحل البحر . ولكن اسماعيل باشا منع عن اذية بلاده وتشكّر من الامير احمد بن معن انـه محصّل المال ومسلك السابلة . وكاتبه أنه يكون طيّب الخاطر يجمع عسكره

ولا يأخذه توهيم من أحد ، فاجتمعوا اولاد العرب والامراء الشهابية في دير القمر وكان عددهم نحو أربعة آلاف . فأرسلوا الباشاوات لابن معن بطلب مشايخ بيت حماده . فكان جوابه انهم جاؤا لعنده بمفردهم من غير انهم يستقروا عنده وانهزموا . وعندما بلغ ان دعوة باشة طرابلوس على بيت حماده كانت على عشرين كيس ، منها ١٤ كيس مكسورة من العام الماضي ، وستة اخذها الشيخ مرحان متسبقاً . فتكفّل حضرته في العشرين كيس على يد اسماعيل باشا بشرط أنه يخرج لهم الرهونة الذين كانوا محبوسين في طرابلوس . وعندما وصلوا الرهونة في طريق البحر الى صيدا اورد اسماعيل باشا مبلغ العشرين كيس وانفلّت العساكر .

٧٨ – سنجق جديد مع حسن باشا ضد الشهابية في حاصبيا . انتخاب يوسف الحصروني مطراناً على طرابلس : وفي هذه السنة ايضاً جاء سنجق جديد الى حاصبيا بسبب العروضات التي تقدّمت في الامراء الشهابية لأجل الخربان . وعندما فلّت العساكر من قب الياس ، توجّه حسن باشا بكلربكي الشام الى حاصبيا ، وركب مع السنجق على الشهابية فقتلوا من جماعتهم يه (اي ١٥) نفس ولم يزالوا يطردوا فيهم نحو ثلاثة ابردة فقطع الليل بينهم . وكذلك ارسل باشة الشام خمساية خيال لتكبس الامير عمر في الكرك فانهزم من قدامهم وهرب .

وفي هذه السنة انتخبنا ياصحبنا القس يوسف الحصروني إلى رياسة الكهنوت على مدينة طرابلوس . وكان ذلك في رضا اخوتنا المطارنة وبحضور مشايخ بيت الخازن ومشايخ بيت حبيش بدير مار شليطا مقبس بغاية العز .

٧٩ – بقاء حسن باشا على طرابلوس انما تغييرات في المناصب والمقاطعات . ثم سفر الباشا . وقوع الحربات في غيابه والقتل والتدمير والحريق ، وبعد رجوعه ايضاً ، وكان الطاعون والجدري ايضاً : سنة اسعو مسيحية (أي سنة ١٦٧٦ م الموافقة لسنة ١٠٨٧ هـج) جـاء الاستقرار أيضاً لحسن باشا على آيالة طرابلوس ، فولّا الحاج حسن بن الحسامي والشيخ أبو حيدر نمس على بـلاد جبيل ، والحاج باز بن ابو رعـد مع الشيخ مرعب بن الشاطر عـلى بلاد البترون ، والشيخ ابو كرم الهدناني على جبة بشري . ووزّع البيارق على جميع المقاطعات خوفاً من بيت حماده .

ثم جاءه الامر بالسفر (وهنا تنتهي ص ١٥٥) على تركان البغدلة (أو البجدلة) ، وكان معه اربع باشاوات ووصلوا لعين النهرين . وحين كانوا في السفر ، رجعوا بيت حماده الى بلاد جبيل والبترون وصاروا يطالبوا الناس . فمات مرعب الشاطر في حبس طرابلوس ، والشيخ حسين ابن أحمـد وضع الكمين على الحاج باز في ارض لحفد وقتله . وارسل ناس إلى جبة بشري تكمن في وادي حيرونا عـلى الشيخ ابو كرم الذي كان في زغرتا ، فوقع بين يديهم الشدياق انطون اخو المطران ليلاً وقتلوه في يج (أي ١٣) من ايلول . عند ذلك انهزمت الرعايا وتشتتت الناس .

ثم في السابـع عشر من تشرين الاول نزل الشيخ حسين بنحو ثلاثين خيّال الى زغرتا في الليل لكبس ابو كرم ، وكان المذكور راقداً مع ثمانية انفس . فتجاوشوا من بعضهم بعض ولم يحاسروا النصارى يقوّسوا صايب فرجعوا مخزيين . وشهد عبد القادر سيـد عردات والحاج محمـد قاطرجي خضر آغا أنهم شاهدوا السيدة فوق البرج علانيةً وهي تصون النصارى بيدها وتطرد المتعدّين عليهم . وفي

تلك الوقيعة حدث ان محمد الحجازي أخذ في السخرة فرس ابو شديد غصيبه ، لأجل ذلك أبو شديد المذكور مع بعض خوارج ربطوا عقبة حبرونا على خيل الشوباصي فخطفوا منهم كديشة . واذ لم يقدر الآغا يلحقهم عاد الى بشري واحرق حارة بيت بو كيزوز ودير مار اليشاع .

فلما عاود حسن باشا من السفر وهو منصور ، نزل في الميدان فتكدّر خاطره بسبب الخربان الذي صار في بلاده . فارسل مدوّرته الى ناحية الجون ليظهر قدام الناس انه متوجّه الى ذلك الجانب . وعند العصر جمع الرجال وسار إلى جهة جبيل ، فوصل الى المدينة في الليل . ثم صعد في الوادي وامر ان اولاد العرب يلحقوه على طريق الجرد ، فمسك شيخ البرباره وقتله ، وكبس على الشيخ سرحان وقرايبه وهم في وادي علمات ، فما حظي فيهم . لأجل ذلك في العودة مسك الحاج حسن بن الحسامي ، فبهدله واخذ منه نحو اربعة آلاف ، ومسك شيخ قرية بجماز وشيخ غرزوز ، وذلك بسبب أن بلغه أن الشيخ حسن كان يصرّف بيت حماده في ارزاقهم حين كان في السفر والآخرين ارسلوا لهم الحنطة .

حينئذ امر الباشا في خراب أملاك بيت حماده . وبعدما نهبوا البلاد واخذوا المعاز (المعز) والبقر احرقوا فريقات وعلمات ومشّان وطورزيّا والحصون واهمج وجاج ، وتوجّهوا إلى جبة المنيطرة فاحرقوا كفرحيّال والمغيرة والاسا (وهنا انتهت ص ١٥٥ قفا) والمنيطرة وأفقه . وبعدما رجعت الدولة ، جاؤا بيت حماده فأحرقوا قسّوبا مزرعة بيت الحسامي وقصّوا توتها . وبسبب ان المقدّمين بيت الشاعر كانوا حاضرين مع الباشا في النكبة احرقوا ضياعهم ايضاً تولا وعبدالله وبسبينا وسغار وشبطين ، وكذلك بيوتهم في كفرحولدا

ومصرح[1] . وكانت هذه السنة ثقيلة جداً على الرعايا ، ليست فقط بسبب العساكر بل ايضاً لأجل الطاعون والجدري على الاطفال .

٨٠ – وفاة ابن الكبري وحلّ مكانه مصطفى باشا وتغيير النواب والوظائف . الجراد والغلاء والسيل . وفاة الاسقف ابراهيم . وفاة بطرك السريان اخيجان . قيام عبدالمسيح اليعقوبي وانهزم :

سنة اسعز (اي سنة ١٦٧٧ الموافقة لسنة ١٠٨٨ هج) حدث ان توفّا في اسطنبول الوزير الاعظم بن الكبري . فتولّا اختام الوزرنة مصطفى باشا فغيّر النواب في ساير الآيالات . وعوض حسن باشا قرّر آيالة طرابلوس على محمد باشا . وعندما هو متوجّه اليها اجتمع في حسن باشا فأخبره في افعال بيت حماده واعطاه آغاواته وناس من دولته . وفي حال وصوله الى مدينة طرابلوس ، ارسل الكاخية الى نهر ابراهيم حتى لا يصحّبهم في الحكم ولا في ارزاقهم . وعندما نظر ان وقع المحل في القز وفي الزرع ، أضطر رغماً عنه يداريهم ، فكتب بلاد جبيل على الشيخ سرحان ، والبترون على ابنه الشيخ حسين ، وجبة بشري على حسين ابن الشيخ احمد ، وامرهم ان يأمّنوا الرعايا ويردّوا النزّاح .

وفي هذه السنة بسبب ان غالب قسم الشتوية كان صحواً تحرّك الجراد ، وفي اوايل اذار جاء الطيّار على جميع المقاطعات من سواحل البحر الى دمشق ولم يزال طاير نحو اثنا عشر يوم فغطّا عين الشمس وارتعى كل الخضير حتى يبس الوزلان والقندول ، ولم يترك اخضر قدامه لكثرته . ثم غرّز في السواحل وثبت الى نصف تموز وصار يطيّر . فجاءه سمرمر من البقاع بكثرة فحام عليه ودوّبه . وفي

---

١) طالع عن هذه المشاهد المؤلمة كتاب الغرر الحسان ، ص ٧٣٨ .

الثامن عشر من اذار جاء سيل عظيم لم يشهد مثله ثم في كه (أي ٢٥) منه جاء البرد في الجرد بشبه الجون وضرب (هنا انتهت ص ١٥٦) الشجرية ، وحكم الجرد في قضيب المسقية فأهلكه ، وتجمّع في مواضع مواضع بالتلال حتى وكثّرت فيه الوحوش لكثرته .

وفي ط (اي ٩) من أيار جاءه ريح شلوق ثبت مدة سبعة ايام ، وكان دود القز في حدود القصلة فشوّبه وشبشله واهلكه حتى خصاص كثيرة في السواحل ما دخل لهم شيحة . ومن الذين تشيّحوا ، البعض ما عقد فيهم شرنقة . والذين كانوا مقبلين في ساير سواحل البحر ما فاتت وقيتهم خمسة ارطال شرانق بالشامي . وأما موسم الجبل فكان مصطلح. لكن غالب الناس تفرّغوا من البرد ومن الجرد ، فكبّوا الدود وطلع مكسبهم قليل . وكان راس السعر في بيروت رطل الشامي بأحد عشر قرش . وكذلك الخضير الصيفي في الجرد كان مقبل لكن اعله الطير الذي جاء هكذا بكثرة حتى كان الناس تطرده في العصي وفي آياديهم .

وفي يح (اي ١٨) من أيار كانت وفاة الاسقف براهيم بدير مار انطانيوس قزحيا . وكان رجل ذمّي هادي الاخلاق وكثير العبادة. وفي نهار تاسعه قسمنا (رسمنا) ولده القس حنا اسقفاً على البترون وتسلّم تدبير الدير المذكور .

وفي كط (أي ٢٩) من تموز كانت وفاة ايغناطيوس اندراوس أخيجان بطرك السريان في مدينة حلب . وكان مستقيم الايمان وذا غيرة جزيلة واقتاد كثيرين الى الخلاص ، واوفا الديون التي كانت على كنيسة من زمـــان البطرك شمعون ، واستفكّ آلات الكنيسة والكتب التي كانوا مرهونين ، وانشأ غـــيرهم ، وترك في الكنيسة صندوق صلبان ونوف عن خمسين قنديل فضة . وفي مـــدة رياسته

لا كلّفهم صواني ولا نوريّه ولا غيرهـا . وقيل ان تكلّفت الفرنج التجّار بسببه اكثر من ثلاثين الف قرش . وعندما انتقل الى راحة الصالحين ، حزنت عليه جميع الطوايف وقاموا له جناز شريف .

ثم بعد شهرين ، قدم عبد المسيح المارديني بأمر شريف انه يتولّى بطركية اليعاقبـة ، وانشأ في حلب اضطهاداً عظيم على الذين تبعوا البطرك اندراوس والزم باداء الخراج الذين ترهبوا على يده وحـطّ عن خدمة الكهنوت الذين ارتسموا منـــه ، والذين تبعوا رأيه من الاعوام غرّم البعض ، والبعض الآخر أحرمهم ، والبعض هرّبهم الى بلدان بعيدة ، حتى رهبان الفرنج اخرج فيهم بيوردلي (مرسوماً) ان لا أحـد من اليعاقبة يدخّلهم بيته . ثم في عناية تجّار الفرنج جاء امر شريف ان الاسقف بطرس يكون بطركاً عليهم وكان قويم الدنة (انتهت ص ١٥٦ قفا) فانهزم عبد المسيح ورجع مخزياً الى بلاده .

٨١ – خليل باشا في صيدا ومحمد في طرابلوس . شتاء وثلج . وفاة الشيخ ابو نوفل الخازن وسيرته واعماله . وفاة الامير ملحم بن معن شاباً : سنة اسمي (أي سنة ألف وستماية وثمانين مسيحية الموافقة لعام ١٠٩١ هج) تولّى على آيالة صيدا خليل باشا بن كيوان ، وعلى آيالة طرابلوس محمد باشا فصرّف مشايخ بيت حماده ، وكان قسم الشتاء شديد الى النهاية ، ودخل حزيران ، وفي بعض مواضع من الجرد والثلج لم يرتفع عن الاراضي المزروعة .

وفيها في الثالث عشر من آب كانت وفاة الشيخ ابو نوفل بن الخازن الذي فاز على اهل عصره في السعد والمعرفة والكرم والسيط (الصيت) والنخوة ، فاستفكّ ذاته من يد الحافظ ، ومن بن علم الدين

حسين مسكوه مع الامير فخر الدين ، واسترجع ارزاقه في اموره شريفة بعدما صاروا بكليك ، واستحق ان البابا اسكندر السابع من ذات نفسه انعم عليه كواليارية رومية في سنة اسنو (اعني ١٦٥٦م) ، وانه يتجنّد بطوق وسيف وحايز من ذهب .

وكذلك سلطان فرنسا الاعظم في سنة اسنط (اي ١٦٥٩ م) أنعم عليه في قنصلة بيروت . وتصرّف بذلك في قنصلية البندقية ، وكانت جميع امارة الشام واكابرها تعزّه . وكذلك القناصل وتجار الفرنج . وكلمته كانت في كل موضع نافذة . وفي أيامه تعمّرت الكنايس والاديرة في ناحية كسروان . وعندما قارب لتسليم الروح ، فرّق عليهم الدراهم وقشع اولاده واولاد اولاده في العزّ والكرامة ، وكل بلاده في الامان والراحة . ثم مات موتاً مرضياً لله معترف ومتقرّب وممشوح .

وفيها في خمسة من كانون الاول كانت وفاة السيد الاجل صاحب القدر والمحلّ ذو الحسب السامي والنسب النامي ، الامير ملحم خليفة الامير أحمد بن معن ، وله من العمر اثنا عشر سنة ، فحزنت عليه جميع الرعايا لأجل أصله وجودته وحسن اخلاقه وخاصة لأجل قصف شبابه وزيادة محبته للنصارى . فحدّوا عليه نصف سنة ، (وهنا انتهت ص ١٥٧) .

٨٢ – مقتل فارس شهاب . وفاة الاسقف حنا التولاوي . قلة المطر وظهور شهب مضيء ثم امطار . مقتل خازن : سنة اسف (اي ١٦٨٠ م الموافقة لسنة ١٠٩١ هج) ضمن الامير فارس ابن الشهاب بلاد بعلبك من قبل دولة الشام ، وطرد منه الامير عمر بن الحرفوش الذي توجّه الى ناحية بيت حماده . وفي السابع والعشرين

من شهر آب جمع الامير عمر الرجال ونزل الى المير فارس وهو تحت نيحا فقتله وقتل من جماعته خمسة وخمسين نفس من اجاويد وادي التيم .

وفي الحادي عشر من شهر نيسان كانت وفاة الاسقف حنا التولاني وهو عند ولده الخوري موسى في بعبدات ، ودفن في كنيسة بعبدات بقرب المطران يعقوب الذي كان سبقه بسبعة اشهر . وموضعها رسمنا على مدينة صيدا قرايبنا وياصحبنا القس بطرس الهدناني ليكون مساعداً لنا في مصالح الكرمي .

وفيها دخلت التشارين والكوانين قليلين المطر . وتبان في الفضاء شهب بين القبلة والشمال ثبت نحو شهر ، وفي دخول هلة اسباط غاب وتزل الثلج . وفي ايه (اي ١٥) من كانون الثاني انهزّت الدنيا .

وفيها كان مقتل الشيخ خازن ، على يد اخيه الكبير ، وذلك ان بعد وفاة والدهم صارت الوحشة بينهم بسبب الحكم ، فتزوّج خازن بنت أبو نصار بن حبيش واخذ السكنة في اغزير . وبسبب ان المشايخ الحبيشية قصدوا انهم يأخذوا حكم ضياعهم عامل على تطفيرهم . ثم قصد المعاندة لاخوته والاتفاق مع الغرباء . فاجتمعوا عليه اخوته الرجال وساروا بهم الى قرب دلبتا ثم تواسطوا اكابر الناحية وصالحوا بينهم . ثم بعد مدة حمل ذاته وجاء الى عند الشيخ ابو قانصوه الى غوصطا لجوّا الدار فقتلوه اولاده في الثامن وعشرين من كانون الاول .

٨٣ ــ غلاء في الاسعار وضرر في المزروعات . مقتل امير العرب . وفاة البرديوط سركيس الحاسب القسطاوي . وفاة المطران

بطرس الاهدني . وفاة الامير عمر الحرفوش : سنـة أسفا (اي سنة ١٦٨١م الموافقة لعام ١٢٩٢ هج) دخل ربيعها[١] بارد وانضربت الشجرِيّة من البرَد . وفي بعض مواضع بلغت البردة الى ثقل اوقية وثلث . وقيل ان في بلاد حوران بلغت الوقيتين، فأهلكت كثيراً من البهايم وقشّرت الشجر وابادت الزرع في اماكن اماكن . ثم لحقها الوباء فثبت في آيالة طرابلوس نحو ثلاثة سنين، إلاّ انه كان مرفق ينتقل من موضع لموضع .

وفيها باشة حلب قبض على ملحم الظاهر أمـير العرب وارسله الى الباب الاعلى . فقتل وقتلوا ارفاقه أيضاً (وهنا انتهت صفحة ١٥٧ قفا) وكان بعده شاب في العمر، وتوّلا سلطنة العرب العبّاس.

وفي كز (أي ٢٧) من تشرين الاول كان انتقال سركيس البردوط بن المحاسب الغوصطاني رئيس دير ماري شليطا مقبس رجلا عابداً ديّن سمحٌ وجوّاداً ادخل سيرة النسك في ناحية كسروان . وبني للدير ارزاقاً كثيرة، وكتب بخط يده مجلدات عديدة، وبامر الرؤساء كان يعطي فدوات (اي فتاوى) ويصلح اصحاب الدعوات الذين يأتون اليه، وله الهيبة والكرامة عند ساير الناس . وعندما هبطت الكنيسة جدّد قبوها، وصار نسخةً صالحة لساير الناس في المحبة والرحمة والخضوع والطاعة والعبادة، ومن غير صلوات السواعي كان في كل يوم يقرأ الشبيّة والمسبحة وفصول من كتب العتيقة والجديدة ولم يقدّس لقرب الظهر . وعندما كبر تجرّد عن العالم بالكلية وترك الرياسة لابن أخيه القس يحنا، وكان من الغد بسير

---

١) اعني ربيع السنة الماضية ، التي تكلم عليها المؤلف في المقطع السابق عندما قال « وفي كانون الثاني اهتزّت الدنيا » وتابع بعدها قائلا : « ودخل ربيعها بارداً ... » .

الى القفر ، وهناك يختلي وحده في الصلاة وتلاوة الكتب ، ولم يلتفت الى الأكل بل كان يغتذي بالذي يتقدّم له .

وفي سنة اسفنج (١٦٨٣م الموافقة لعام ١٠٩٥ هج) كانت وفاة المطران بطرس بن القس ابراهيم الهدناني في ستة من ايار في البهلولية ، وهو في زيارة الرعية . فحملوه الى وادي صفره وفي حال ثقيل ، فرقد في الرب وله من العمر اثنين وخمسين سنـــة ، وفي سنة من حزيران في نهار عيـد العنصرة انسام بدله على مدينة صيــدا القس يوسف ابن مبارك من رهبان دير ريفون .

وفيها كانت ايضاً وفاة الامير عمر بن الحرفوش ، في بلاد جبيل ، ودفن في طورزيا وهو مطرود عن بلاد بعلبك . ثم ان ابن صدقه جاب سنجقية بعلبك وتدمر ووادي التيم ، فردّ لابن اخيـــه المير شديد إلى بلاد بعلبك .

٨٤ – الدويهي البطريرك في دير القمر وبجدل المعوش هرباً من الظلم . ثم عودته بناءً على الالتماس والخضوع . الكبوشية في غزير :
وفي هذه السنة لزيادة الظلم في جبة بشري ، ولعدم الوفق بين مشايخ كسروان ، توجهّنا في اول يوم من ايلول الى عند الامير احمـــد ابن معن ، وضمننا من سعادته قرية بجدل معوش وانتقلنا اليها ، وكان الحاج جبرايل بن بهينا متكول في دير قنوبين . ثم أن اجتمعوا اعيان البلاد ، بعد سنتين ، وراحوا إلى عند سعادته وحلفوا وحرموا حالهم إن لما تتغير الشروط التي راحوا بها ، كلهم يخرجوا من البلاد ، وكان ذلك على رضا الحاكم واهالي الناحية[١] .

١) وجاء هـذا المقطع في النسخة المطبوعة اكثر وضوحاً وهو : « ثم ان اولاد الجبة ارتموا على حضرة الامير بمكاتيب خضوع من اولاد الشيخ احمد انهم ما عادوا ابداً يبدلوا ولا يغيروا شروطهم معنا ، فرجعنا معهم الى الجبة ... » .

(وعلى الهامش نقرأ) : وفي هذه السنة ، بناءً على طلب الشيخ ابو شديد وطلب المشايخ الحبيشية ، اعطينا اذن للرهبان الكبوشية بالسكنة بدير مار الياس في قرية اغزير لمدة خمسة وعشرين سنة لا غير ، لأن رادوا يبيعوهم الكنيسة بثلاث ماية قرش قداديس ، فربطنا الكنيسة ومنعناهم عن ذلك ، ثم لاجل خاطرهم أذننا لهم بالسكنة لا غير وكتبنا لهم بها ورقة لمدة خمسة وعشرين سنة .

٨٥ — الحرب مع النمسا . مشايخ بيت حماده يخرجوا رهائنهم بعد عزل الباشا ويهجموا على عشقوت ، فحاربهم الامير المعني وهربوا الى طرابلس . تشفع بهم الكواخي : وفي سنة اسفد (أي ١٦٨٤ م الموافقة لعام ١٠٩٦ هج) جرّد السلطان احمد آل عثمان العساكر الى غز بلاد النمسا . وفيها (اي السنة) مشايخ بيت حماده قتلوا ابو نادر شيخ المزرعة بعكار ، وكذلك ابن اخت الباشا في حلبا . وبعدما انعزل الباشا نزلوا طالعوا رهونتهم بالسيف من القلمية ، وقتلوا اربعة انفس في بلاد كسروان . ثم انهم برفقة الحرافشة وبيت حميه كبسوا عشقوت وقتلوا من اهلها احد عشر نفس . لأجل ذلك حضرة الامير احمد ابن معن في العشر الاول من ايار توجّه بنفسه الى اغزير ومعه نحو خمسة آلاف نفس قواسه ، ووصل اليه المفوتامات ان تكون بيده جميع المقاطعات التي كانت (هنا انتهت ص ١٥٨) بيد الحمادية .

فاضطروا يهربوا من آيالة طرابلوس ودفعوا خمسة اخيال لدولة الباشا (محمد باشا) حتى صار لهم الدخول الى بلاد بعلبك . وابن معن في حال وصوله الى اغزير ، امر للأمير قاسم ان يأخذ الرجال وينش عليهم (أي يكبس) بلاد جبيل والبترون ، وان الامارة

الشهابية ومقدمين بيت باللمع ومشايخ كسروان يغزوا جبة المنيطرة ، وكان سردارهم الشيخ ابو قانصوه بن الخازن ، فحرقوا ايليج والاسا وافقا والمغيرة ، وقصّوا أملاكهم ودكّوهم الى الارض . ثم ان كواخي سعادته تشفعوا فيهم ، وذكّروه ان الشيخ سرحان كان له تعب قدامه ، وان أولاده قتلوهم اليمنية على كيسه ، فتشفّق عليهم وعفى عنهم ورجع الى الشوف من غير انه يستقبل في الخلعة التي كان ارسلها الباشا اليه . ثم انه في السادس عشر من كانون الاول قدم الشيخ سرحان وابنه الشيخ حسين وابن اخيه الشيخ حسين الى جونيه اجتمعوا في الشيخ أبو قانصوه حتى انه هو واخوته اخذوا الشيخ سرحان الى تقبيل ايادي سعادته ، فخلع عليه ورجع مسروراً الى وطنه .

٨٦ – ثلج ودبابات وجراد وصراصير مؤذية اهلكت الزروع والقز . ركبة الباشا على عرب البغدلة : سنة اسغو (أي عام ١٦٨٦ م الموافق لعام ١٠٩٨ هج) دخلت الكوانين دافية ثم حكم ثلج عظيم وبرداً كثير في سباط واذار ، فكثرت الدبابات والفار والدود . وفي صوم النصارى تباين طاير الفرفور ، وكان بكثرة على شبه الجرَد في السواحل والجبال ، فأمات النحل ورعى الزهور . وكذلك الصرصور في السواحل كان كثيراً فأهلك دود القز . ونقلوا ان صرصورة واحدة لو ما يطردوها لكانت كفؤاً لتهلك دود القز . والحرقص قطع نبات الزرع والدرا في مواضع شتّى . والفار تسلط على دود القز في الجرد حتى اضطرت الناس تنقله الى الخصاص . والدودة اهلكت الكروم ورعت الشجر والسنديان حتى صاروا على شبه الذي احرقتهم النار .

وفي السنة هذه ركب علي باشا على البغدلة في بلاد الشمال .

فوثب المشايخ الحمادية على عـــلي ابن أبو فاضل رعد شيخ الضنيّة فقتلوه وقتلوا أبو داغر شيخ حردين وغيرهما . وقبض الكاخيا على اثني عشر نفس من تباعهم فأماتوهم عـــلى الخازوق . وفي دخول التشارين رجع علي باشا إلى طرابلوس وجاءه امر من الباب العـــالي مع عبدالله حلبي ابن ميخايل الفرنجي بالركبة على الامير شديد ابن الحرفوش ، بسبب انه اخرب عليه قرية راس بعلبك واحرق قلعتها . فنادى بالركبة عليه واجتمع اليـــه الامير بشير بن الشهاب والمقدم قيت بيه بن الشاعر ورعد شيخ الضنيّة وأصحاب الاغراض ابن دندش والحزازره وساروا الى بلاد بعلبك على طريق الهرمل .

وامـــا الامير شديد فسار الى بلاد جبيل واحتمى في المشايخ بيت حماده[1] .

---

١) الى هنا ينتهي المخطوط الذي نحن بصدده ، امـــا المخطوط المطبوع فبقي يواصل سرد الاخبار والحوادث لغاية سنة ١٦٩٩ مسيحية التي يوافقها عام ١١١١ هجري ، اي نحو ثمـاني صفحات فقط يدور فيها الكلام حول تأديب العصاة ، هزيمـة الاتراك في حرب المجر ، تحريك الفتن بـــين امراء لبنان ، الضرائب ، وفاة آخر المعنيين واستشهاد الشيخ يونس البشملاني ، الباشا في طرابلس يستنجد بالامـــير بشير لتأديب العصاة وتعيين قنصل فرنساوي في صيـدا ، هو السيد دومينوس دي بريمون (de Bremond) ، وينتهي المخطوط العظيم الذي طالمـا يتشوّق الناس الى الحصول عليه لقراءتـــه والاستفادة منه . واليك الآن ملحقنا الهام .

ملحق

يحوي ملاحظات وحواشي وتفسيرات

من قلم الناشر

حاشية اولى

ان جميع العناوين والفصول التي نقرأها في هذا الكتاب انما هي من عندياتنا وضمناها لتسهيل القراءة وفهم الموضوع وإظهار التنظيمات التاريخية . فالعنوان التالي مثلاً عن نشأة الاسلام ومـــا يتبع من ظهور الدعوة ومقاومة قريش وغزوة بدر ، وحروب هرقل الملك وسحق الفرس ومصرع كسرى ومن شاكل ذلك هو من وضعنا ، وهكذا في أول كل فصل ، مما يلزم التنبيه .

وهنا تجدر الاشاره إلى اننا تكلمنا في حواشي المجلد الثاني لهذا التاريخ (ص ٤١٩) على ابن العميد (+ ٩١١) والطبري (٨٣٩ — ٩٢٣) اللذين استند اليهما علامتنا الدويهي في وضع تاريخــه الشهير

الذي نحن بصدده ، ونقتصر هنا الآن على ذكر ما يهمنا بهذا الخصوص فنقول :

كان ابن العميد وهو نصراني في بلاط المماليك بمصر ، وقد اعتمد في تصنيف تاريخه عن الاربعين خليفة ، على التواريخ الملخصة عن الطبري في تسلسل الحوادث وذكر الآراء ليلتزم الجيدة الواجبة ، ولكنه لم يتقيد قط كما قال المؤرخ المعروف الشيخ نسيب الخازن بنصوص الطبري . ومعلوم ان ابا جعفر محمد بن جرير الطبري طبعت مؤلفاته المتعددة في التفسير والحديث والفقه بالقاهرة في ثلاثين مجلداً وفهرساً سنة ١٩٠٢ ، وله مجموعات ضخمة من مخطوطات مكه وجده وحران والقاهرة ، كما ان له تاريخ الامم والملوك وهو يدعى بصواب المؤرخ العربي الاول . وينتهي تاريخه هذا سنة ٣٠٢ هج الموافقة لسنة ٩١٥ مسيحية . على ان علامتنا الدويهي اعتمد المؤرخ ابن العميد في كتبه التاريخية التي نحن بصددها ، لأنه رآه قد لخص الطبري « تاريخ الامم والملوك » وزاد على كل حقبة ما عرفه من تواريخ النصرانية لأنه كان نصرانياً . ويظهر ان الدويهي طالع النصوص العربية التي وضعها ابن العميد عند رجوعه الى لبنان من المدينة الخالدة ، ولدى مكوثه ان في حلب مدة خمس سنين واكثر ، مضيفاً الى كل هذا ما استطاع ان يجمعه من التواريخ والمخطوطات والوقائع وغيرها . (انظر ايضاً حاشية ٤٨ في آخر هذا الكتاب) .

حاشية ٢

ولد آريوس في القيروان ، وقيل في الاسكندرية حوالى سنة ٢٧٠ للميلاد ، وسيم كاهناً وهو متقدم في العمر ، واقام في الاسكندرية حيث تعلم وبدأ في سنة ٣١٢ بلنشر تعاليمه المضلة ، وآرائه المريبة ،

القائمة على انكار الوهية المسيح وانكار مساواته الجوهرية لأبيه الأزلي ، وهي آراء مفسدة لكل معنى من معاني الرسالة الانجيلية كما لا يخفى ، وقد دعيت بالاريوشية وانتشرت بسرعة ، وكادت تقيم على أنقاض الايمان الصحيح هيكلا لابليس الرجيم الذي بعث في صدور مخترعيها هذا الضلال المبين الهدّام . وقد حرم الجمع النيقاوي هذه الهرطقة سنة ٣٢٥ ، معلناً قانون الايمان الذي تترنّم به الكنيسة المقدسة مشيدةً بالوهية السيد المسيح فيه .

ومن المعروف لدى الجميع أن آريوس كان متقشفا ورجلا حديدي الاعصاب يرغب في الجدال واقامة الحروب ، وقد أوجد الله امامه رجلا اشد صلابة وجرأة منـــه وأكثر ثقافة في العلم والدين ، هو القديس اتناسيوس الذي شرع يقارعه بالحجـــة والبرهان وهو في العشرين من عمره . راجع ما كتبناه عنه في كتابنا « حول الهدى وتاريخ الطائفة » المطبوع في جونيه سنة ١٩٥٤ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ . وانظر :

Voir : Dan. Rops, L'Eglise des Apotres et des Martyrs, p. 532; Théodoret, Hist. I. 4; St. Athanase, de Synodis, 16 ; de Sent. Dionysii, 123; contra arianos, or. 1. 5. 6. 9; St. Epiphane, Haers. 69. 6 éte.

حاشية ٣

كان المجوس كهنةً لدين الفرس ، كما جاء في تاريخ الازمنة الذي كان المؤرخ نسيب وهيبه الخازن والخوري قراعلي باشرا بطبعه سنة ١٩٥٠ (ص ٣) . وكانت وظيفتهم دينيةً وعلمية ، وعقيدتهم توحيدية مع اتخاذ النار رمزاً للخالق ، وقد آمنوا بخلود النفس وقالوا ان النفوس الصالحة تصعد الى مقر شبهوه بالشمس بعد ان تطهر في

سبع مراحل ، ترمز اليها الكواكب السيارة السبعة ، اما علومهم فقد تناولت بنوع خاص الفلك والعلوم السرية ، وقد بقي السحر حاملاً لاسمهم في اللغات الغربية (Magie) .

امـــا الصائبة فهم عباد الاجرام السماوية وهم من أهـل اليمن وحضرموت وعسير ، وقد تركوا آثاراً وعرف من أمرهم مـا ذكره جغرافيو الروم والتوراة الخ. راجع آثارهم في مؤلف أرثر ستانلي تريتون rise of Imams of Sanáá لندن سنة ١٩٣٨ .

حاشية ٤

يذكر الطبري في المجـــلد الاول السالف الوصف ، ص ٦١٨ ، « مريم الرومية » وكذلك ابن العميد (ص ١٢) في ترجمة فاتيــه ، وفقاً لما روى الشيخ نسيب وهيبه في الموضع المذكور ، أما المؤرخون الروم المعاصرون فيذكرون بين نساء الملك كسرى الثاني هـــذا ، المدعوة سيرا ، ويقولون انها رومانية مولداً ونصرانية ديناً ، ولكن هذا النسب الملـكي ادّعته القصص والقصائد الفارسية حيث يدعونها « شيرين » الجميلة ابنــة الامبراطور موريق الملك ولم يشذّ عن ذلك الاديب المؤرخ العالمي ميرخوند (١٤٣٣ – ١٤٩٨) : « القاموس العام لشعوب الشرق طبعة لاهـاي (Dict. Universal) سنة ١٧٧٧ – ١٧٩٩ ، ص ٧٨٩ ، و ٩٩٧ – ٩٩٨ .

وتابع المؤرخ وهيبـه في الصفحة الرابعة من تاريخ الازمنــة عن الرومانيين النصارى فقال : « ان ايفاجريوس (Evagrius) السوري (٥٣٦ – ٦٠٠) الذي كان محامياً في انطاكية ومن كبار الموظفين ، وكذلك تيوفيلاكت المصري الذي تقلّد وظائف سامية في القسطنطينية

في عهد هرقل الملك (٦١٠ - ٦٤٠) قد ذكرا بتفصيل علاقات كسرى بالنصارى وتعبده للقديس سركيس الذي كان له في الرصافة معبد ودعيت المدينة باسمه : « سرجيو بوليس » . وقد افاضت مجلة المشرق (م ٣٤ سنة ١٩٣٦ ص ٢٥٢) في وصف هـذه الكنيسة . وقد وقّع كسرى بيده نصّ الدعاء الذي ارسله الى بطريرك انطاكية ونقش هذا الدعاء بعد ذلك على صفائح من الذهب اودعت في كنيسة سرجيو بوليس السالفة الذكر ، واتصل بنـــا النص بفضل تدوين ايفاجريوس وتيوفيلاكت ». (طالع ايفاجريوس ، تاريخ الكنيسة وهو مؤلف من ستة مجلدات ومطبوع في لندن سنة ١٨٩٨) .

حاشية ٥ : غريغوريوس

اعتلى البابا غريغوريوس الكبير العرش البابوي سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٠٤ ، وهو اول من وقّع خادم خدام الله ، ويقول البحاثة الآباتي طوبيا العنيسي في سلسلة البطاركة التي طبعها بروما سنـة ١٩٢٧ ، ص ٧٩ ، ان البابا فعـل ذلك لينكس سامي بصر يوحنا بطريرك القسطنطينية الذي تفاخر وسمّى نفسه البطريرك المسكوني .

إنما المقصود هنا ، كما يقول المؤرخ نسيب وهيبه الخازن في هذا الصدد (ص ٥) ، غريغوريوس المفسّر الذي رسم جاثليقاً سنة ٦٠٥ ـ لغاية سنة ٦٠٩ مسيحية في مجمع المدائن (ابن العبري ٢ — صفحة ١٠٧ و١٠٩ ، والمستشرق جويدي والعلامة يوسف السمعاني في المكتبة الشرقية مج ١ ص ٤٤٩) ، وكان ارتقاؤه بسعي شيرين وهو مواطنها من ميشان[١] حيث يقول انـه كان لكسرى امرأتان مسيحيتان :

١) انظر تاريخ كلدو واثور للمطران ادي شير ، طبعة للآباء اليسوعيين ، سنة ١٩١٢ ، م ٢ ص ٢٢٠ .

مريم الرومية بنت الملك موريق ، وشيرين الارامية من ارض ميشان .
فبنى لمريم كنيستين ولشيرين كنيسة كبيرة وقصراً في بلاشبار .

حاشية ٦ : ملك البلغار وغزواته

في سنة ٤٨٧ انتهى المطاف بجيش البلغار إلى شواطيء الدانوب ، وتوالت حروبهم وغزواتهم على الامبراطورية البيزنطية ، وظلت الحروب تتعسر الى ان حلّ الافار بدورهم في تلك الشواطيء سنة ٥٥٧ ، فأخذوا يشدّون الحرب ضد البلغار من سنة ٥٦٠ الى سنة ٦٣٤ ولم ينفكّوا يقاتلون الروم في بلادهم ، وتحالف خاقان ملك الافار المدعو بايان مع كسرى الملك وحاصروا القسطنطينية . اما البلغار فانهم حاربوا الروم مع الروس والسكلافون تحت راية ملك الافار ، في اثناء قيام هرقل بحربه مع الفرس وفي حصار القسطنطينية في سني ٦١٩ و ٦٢٦ ، كما ذكر الشيخ نسيب في الصفحة السادسة من تاريخ الأزمنة الذي كان باشر نشره .

حاشية ٧ : قساوة الملوك

القائد شاهين كما يذكره الطبري ، وساين كما ورد في التواريخ الافرنجية هو الذي قاد وفد الملك هرقل الى مليكه كسرى المنتصر على الاعداء ، وقد غضب كثيراً وقال لقائده : لا اريد سفراء بل كان الواجب ان تحضر أمامي هرقل مكبّلاً بالسلاسل . وقد أمر بسلخ جلد قائده ، وبوضع السفراء في السجون . وقد نقل لنا هذه التفاصيل المؤرخ وهيبه عن تاريخ جيبون الانكليزي ، مجلد ٤ ، ص ٥١٦ ، وهو من اشهر المؤرخين الافرنج .

حاشية ٨ : روباص

هي كلمة عامية لبنانية تعني سبائك الذهب . ذكر بارونيوس المؤرخ الكنسي[1] ان الحوابي في أقبية البطريركية في الاسكندرية كانت ملأى بالذهب لا بالعسل وان البطريرك قدم هذا الكنز من الروباص) لهرقل بطيبة خاطر ، دفاعاً عن البلاد . وقد نوّه بذلك بعد مائتي سنة نيقوفورس (٧٥٨ – ٨٢٩) في مختصره التاريخي .

حاشية ٩ : « بئر معاوية »

لم يرد هذا الاسم في التواريخ مع إني بالغت في البحث عنه . والطبري يذكر « بئر معونة حيث قتلت السرية التي وجّهها الرسول » عند الكلام على غزوة المنذر بن عمرو ، (مج ٢ ص ٢١٩ الى ٢٢٣). اما عن اجلاء بني النضير فيقول في صفحة ٢٢٦ : « فخرجوا الى خيبر ... ومنهم من سار الى الشام » . ويقول ابن الاثير طبعة احمد الحلبي بمصر (سنة ١٣٠٢ هج) في ذكر إجلاء بني النضير (ص ٣ - ٧١) : وكان سبب ذلك ان عامر بن الطفيل أرسل الى النبي يطلب دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن امية ويقول عن اجلاء بني النضير... فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام » . فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام » . ويقول الشيخ نسيب الخازن الذي عنه اخذنا هذا الكلام : ان هذا الاسم انما هو مأخوذ من ترجمة اربنيوس اللاتينية المطبوعة في لندن سنة ١٦٢٥ ، وترجمها الى الفرنسية سنة ١٦٥٧ بيير فاتييه[2] .

---

1) cf. Annales eccles. A. D. 620, N. 3 et Nicophorus, Breviarium Historicum.

2) Voir Pierre Vattier, L'Histoire Mahométane ou les Quarante-Neuf Chalifes du Macine, Paris, 1657.

حاشية ١٠ : «بلاد الخزَر»

ان العلامة الدوهي عرّبها حرّر ، والاصح خزَر ، والخزَر هم اتراك . وابن العميد في ترجمة فاتيبه الباريسية ، يقول في الكتاب الاول ص ١٤ هكذا : حرر هي ترجمة Cherar ، وهو كما يذكر في مقدمته ص ٢٠ و ٢١ قد استعمل Ch مقابل حرف الحاء والخاء على السواء ، فتكون اذاً خزر بل حرر . وقد وردت هذه الكلمة في قاموس جيبون طبعة لندن الاخيرة سنة ١٩٣٨ ، في المجلد الرابع صفحة ٥٢٦ هكذا : Chozars اي خزر .

وبعد هذه الكلمة بقليل نقرأ اسم « ماحورْ » وهـــذا لم يرد مطلقاً ، كما يقول العالم نـيب وهيبـــه ، في تاريخ الطبري ولا في تاريخ ابن الاثير ، ولكن وجد في ترجمة فاتيبه ص ١٤ حيث ذكر مترجم ابن العميد « الماشوره » (La Machoure) . وقال ياقوت في معجم البلدان ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٦ ، ص ٣٦١ ان « حورى » هي قرية من قرى دجيل في بغداد . وقال في مجلّد ٥ ص ١٠٩ ان « سلق » هو جبل عال مشرف على الزاب من اعمال الموصل ، متصل بأعمال شهر زور ويعرف بسلق بني الحسن بن الصباح بن عباد الهمداني وله ذكر في الاخبار والفتوح .

حاشية ١١ : «النسطورية»

هي البدعة المنسوبة الى نسطور الذي كان يعلّم ان في السيـد المسيح اقنومين وشخصين خلافاً للعقيدة الايمانية المقدسة ، فيقول أن اقنوم المسيح يتمـيّز تماماً عن اقنوم الكلمة ، وان اقنوم الكلمة حلّ

في المسيح كما في هيكل حلولاً دائماً واتحد به اتحاداً غير منفصم ، ومن ثم استنتج ان مريم العذراء لا ينبغي ان تدعى ام الله مطلقاً بل ام المسيح . وقد حرمت البدعة هذه في مجمع افسس سنة ٤٣١ ، مع نسطور واتباعه .

كان نسطور فارسي الاصل ، نشأ في اواخر القرن الرابع في مدينة جرمانيقة ، وهي المعروفة اليوم باسم مرعش من أعمال سوريا . وكان زلق اللسان وفصيح الكلام ، يستر تحت رداء الفضيلة روح الكبرياء ، كما يمنع من قبله آريوس الملحد . وما كاد يتمين بطريركاً على القسطنطينية نحو عام ٤٢٩ حتى اخذ ينفث ما كان يبطنه من من سموم الكفر والضلال[١] .

حاشية ١٢ : « جمع القرآن »

جاء في الطبري وابن الاثير مجلد ٣ ص ٥٤ عن هذا الموضوع ما مؤداه : « لما كثر القتل في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر ... اني ارى ان تأمر بجمع القرآن . فأمر ابو بكر . فجمع من الرقاع والعسب وصدور الرجال . فكانت الصحف عند ابي بكر . ثم عند عمر . فلما توفي عمر ، أخذتها حفصة بنت عمر . فأرسل عثمان اليها واخذها منها وامر بنسخها ... فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان ان اختلفتم فاكتبوها بلغة قريش . وارسل الى كل افق بمصحف ، وحرق كل ما سوى ذلك ، وامر ان يعتمدوا عليها » . هذا ما يشير اليه علامتنا الدويهي في تاريخه المشهور .

---

١) طالع هـذه والمصادر العديدة عن هذه البدعة في كتابنا « حول الهدى وتاريخ الطائفة » ص ١٠٦ — ١٠٩ .

حاشية ١٣ : عن الخليفة المقتدر بن المعتضد

قال ابن العبري في مختصره[1] عن الخليفة المقتدر بن المعتضد ، انه لما ثقل المكتفي في مرضه ، استشار الوزير العباس بن الحسن اصحابه فيمن يصلح للخلافة . فقالوا له : « اتقِ الله ولا تولِ من قد لقي الناس ولقوه ، وعاملهم وعاملوه ، وتحنّك وحسب حساب نِعَم الناس ، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم . فقال الوزير : صدقتم ونصحتم . ولكن بمن تشيرون ؟ قالوا : أصلح الموجودين جعفر بن المعتضد . قال : ويحكم هو صبي بعد . قال ابن الفرات : الا انه ابن المعتضد ولا تأتي برجلٍ كامل يباشر الامور بنفسه غير محتاج الينا . فركز الوزير الى قولهم . ولما مات الخليفة نصّبوا جعفراً للخلافة ولقّبوه باسم المقتدر بالله . ولكنّ الوزير استصغره اذ كان عمره وقتئذٍ ثلاث عشرة سنة وكان كلام الناس فيه كثيراً ، وهمّ على خلعه مع القوّاد والقضاة .

على أن الحسن بن حمدان وثب عليه فقتله ، وخلع المقتدر ، وبايع ابن المعتزّ ولقّبه باسم المرتضي بالله ، ولما عاد الى دار الخلافة ، قاتله الخدم والغلمان والرجّالة طوال النهار . فترك بغداد سائراً إلى الموصل ، لا يدري لماذا فعل ذلك ، ولم يكن بقي مع المقتدر من القواد إلاّ مؤنس الخادم ومؤنس الخازن . فلما رأى ابن المعتزّ ذلك ، ركب ومعه وزيره محمد بن داود وغلام له وساروا نحو الصحراء ، ظناً منهم ان من بايعه من الجند يلحقونه . ولكن لما لم يتبعه احد ، رجعوا واختفوا ووقعت الفتنة والنهب والقتل ببغداد ... وخرج

---

١) تاريخ الدول ، طبعة بيروت سنة ١٨٩٠ ، للأب انطوان صالحاني اليسوعي ، ص ٢٦٨ .

المقتدر بالعسكر وقبض على جماعة وقتلهم واعاد الهيبة الى الخلافة واحسن الحكم ... لكن بعد عدة سنين خلع من الولاية وبويع اخوه القاهر بالله ، فبقي يومين وأعيد الى الخلافة ... على انه في النهاية لحقه قوم من المغاربة وشهروا عليه سيوفهم . فقال لهم ويحكم انا الخليفة ! قالوا : قد عرفناك يا سفالة ، وضربه واحد منهم بسيفه على عاتقه ، فسقط الى الارض ، وذبحه بعضهم ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبّرون ويلعنون ، واخذوا كل ما كان عليه حتى سراويله وتركوه مكشوف العورة ، إلى أن مرّ به رجل من الاكرة ، فستره بحشيش ثم حفر له في موضعه حفرة ودفن فيها وعفا قبره . وكانت خلافة المقتدر بالله خمساً وعشرين سنة ، وعمره ثماني وثلاثين سنة .

حاشية ١٤ : حسن الحلاج بن منصور

وجـــاء في مختصر ابن العبري (ص ٢٧١) تصحيح للاسم وهو « الحسين بن منصور الحلاج » . قتـل في سنة تسع وثلاثماية للهجرة الموافقة لسنة تسعماية وإحدى وعشرين للميلاد . وكان ابتداء حال الحسين انه كان يظهر الزهد والكرامات ، وقيل انه حرّك يوماً يده فانتثر على قوم دراهم ... وقدم من خراسان الى العراق وسار الى مكة ، فأقام بها سنة في الحجر ، لا يستظل تحت سقف شتاءً ولا صيفاً ، ورُئي في جبل أبي قبيس على صخرة حافياً ، مكشوف الرأس ، والعرق يجري منه الى الارض ، وتبعه جمع كبير . ثم عاد الحلاج الى بغداد ، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول والربوبيّة ، ثم نقل عنه الى الوزير حامد انه احيا جماعةً من الموتى .

ولما سأله الوزير عن ذلك انكره ... فلم يتمكن الوزير من قتله حتى رأى له كتاباً فيه ان الانسان اذا اراد الحجّ ولم يمكنه ، أفرد

من بيته داراً طاهراً ، فاذا حضرت ايام الحج طاف حوله وفعل ما يفعل الحجاج بمكة ، ثم يطعم ثلاثين يتيماً ويكسوهم ويعطي كل واحد منهم دراهم . عندئذ أحضر الوزير القضاة ووجوه الفقهاء واستفتاهم . فكتبوا باباحة دمه . فسلّمه الوزير الى صاحب الشرطة ، فضربه الف سوط ، فما تأوّه لها ، ثم قطع يده ثم رجله الأخرى ثم يده ، ثم قتل وأحرق وألقي رماده في دجلة ونصب الرأس في بغداد . واختلف في بلدة الحلاج ومنشأه ، فقيل انه من خراسان ، وقيل من نيسابور ، وقيل من مرو ، وقيل من الطالقان ، وقيل اخيراً من الري ... » .

حاشية ١٥ : القاهر بالله

هو محمد ابن المعتضد بالله ، بايعه الجند والناس بالخلافة في ليلتين بقيتا من شوّال سنة عشرين وثلاث ماية للهجرة التي توافق سنة تسعماية واثنتين وثلاثين للميلاد ، ولقّبوه القاهر بالله وكان ذكياً وصاحب حيلة . اما مؤنس الخادم فكان كارهاً لخلافته ويقول انني عارف بشره وشؤمه كما يذكر ابن العبري (ص ٢٧٦) . ومع ذلك استحلف الخليفة لنفسه ولحاجبه بليق ولعلي بن بليق . فاستحجب القاهر علياً بن بليق ، ثم تشاغل بالبحث عمن استتر من اولاد المقتدر وحرمه ، فأحضر أم المقتدر عنده وكانت مريضة . فسألها عن مالها ، فاعترفت له بما عندها من المتاع والثياب ، ولم تعترف بشيء من المال والجواهر . فضربها اشدّ ما يكون من الضرب ، وعلقها برجلها كما يقول ابن العبري ، « وضرب المواضع الغامضة من بدنها . فحلفت انها لا تملك غيرما اطلعته عليه . فصادر القاهر جميع حاشية المقتدر واصحابه ، ووكل على بيع املاك وحل وقوفها فبيع جميع ذلك » .

عند ذلك استوحش مؤنس الخادم ، وبليق الحاجب ، وولده علي ، والوزير ابو علي بن مقلة من القاهر نفسه ، وضيّقوا عليه ، ووكلوا على دار الخليفة احمد بن زيرك وامروه بتفتيش كل من يدخل على الدار ويخرج منها وأن يكشف وجوه النساء المنقّبات ... فعلم الخليفة بذلك واخذ في الحيلة والتدبير عليهم قبل ان يتمكنوا من خلعه ... وبينا هم يحيكون المؤامرات عليه لخلعه ، أمر بالقبض على بليق الحاجب وعلى ابن زيرك ، وارسل يطلب مؤنساً ان يحضر لعنده قائلاً له : « انت عندي بمنزلة الوالد وما احب ان اعمل شيئاً إلاّ عن رأيك » . فاعتذر مؤنس ، فأظهر له الرسول النصح ، فسار مؤنس اليه خائفاً . فلما دخل الدار قبض عليه القاهر وحبسه ، وكان قد ظفر بعليّ بن بليق ، فأمر بذبحه واخذوا رأسه في طشت الى ابيه . فوضع الطشت بين يديه وفيه رأس ابنه والخليفة واقف امامه يتفرّج . فلما رأى بليق ابنه مذبوحاً بكي كثيراً وأخذ يقبّل الرأس ويترشّفه .

حينئذ أمر القاهر بذبحه ، فذبح بليق وجعل رأسه في الطشت وحمل بين يدي الخليفة ومضى به حتى دخل على مؤنس ، فوضعها بين يديه . فلما رأى الرأسين تشهّد ولعن قاتلها . فقال القاهر : جرّوا برجل الكلب الملعون . فجرّوه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت ، وامر فطيف بالرؤوس الثلاثة في جانبي بغداد ونودي عليها: هذا جزاء من يخون الامام ويسعى في فساد دولته . على ان القاهر لم يملك الا عاماً وسبعة اشهر كقول ابن العبري في ص ٢٨١ ، لأن ابن مقلة الذي كان مستتراً والقاهر يتطلبه ، راسل قواد الساجيّة والحجرية وخوّفهم من شر القاهر ، ثم اتفق معهم ومع اصحابهم على خلعه ، وزحفوا عليه في ليلة كان مخموراً فيها فلم يتمكن من

الهرب ، فطلع الى سطح الحمام . فأخذوه من هناك وحبسوه ومات خاملاً مذلولاً .

حاشية ١٦ : الكُرج والخَزَر

يقول ابن العبري في الصفحة ٣٥٠ من كتابه المذكور ، انه ما من علاقة بين الكُرْج والخزر[١] . فالكرج « هم جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القَبْق وبلد السرير ، وقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس . قال المسعودي : ويقال لملكهم برزينان . أما الخزر فبلادهم هي خلف باب الابواب المعروف بالدربَنْد على السواحل الشمالية الغربيسة من بحر الخزر المعروف في زماننا ببحر قزبين ، وملكهم يقال له خاقان ، وكان له مدينة عظيمة تسمّى إتل على جانبي نهر إيل Volga ، وهذا النهر يجري إلى الخزر من الروس والبلغار ويصبّ في بحر الخزر .

حاشية ١٧ : عن الاسماعيلية

جاء في كتاب الدر المنظوم للبطريرك العلامة بولس مسعد ، ص ٢٤٢ ، بشأن الاسماعيلية ما يلي : « واما الاسماعيلية فقامت منهم دولة في العراق العجمي ، وكان يسمونهم أسياخ الجبـل ، والمسلمون يسمونهم ملاحـدة لفساد تعاليمهم . ويوجـد قوم منهم في مقاطعة الخوابي (وهي الى الجنوب الشرقي من المرقب) ومقاطعة القدموس (وهي الى جهة الشرق من المرقب) من جبال النصيريّة ، ومصياف بحدودها شمالاً .

---

١) لقد سبق ذكر هذا الشعب الخزر في الحاشية رقم عشرة فلتراجع هناك .

حاشية ١٨ : عن الرافضية والحرمية

وتابع العلامة مسعد في تاريخه المشار اليه ص ٢٤٢ عن الرافضية فقال : « أمـا الرافضية فهم المتاولة ويقال لهم الشيعيّة . وسمّوا متاولة من قولهم : توالينا بعد الله في الدين خمسة ، اي محمد وفاطمة وعلي والحسن والحسين . ولهم في ذلك وخلافـه بعض عقايد يأباها السنّية ومن اجلها يسمونهم ارفاضاً أو رافضية وشيعية .

وأما الحرميّة فهم منسوبون الى بابك الحرمي ، الذي كان ظهوره في خلافة عبدالله المأمون بن الرشيد العباسي ، وغلب على بـــلاد همذان والجبال ، ثم انهزموا إلى بلاد الروم ويسمونهم ملاحدة » .

حاشية ١٩ : عن الفاطمية

الفاطمية ، كما وصفها البطريرك بولس مسعد في تاريخه المذكور ، ص ٢٤١ ، هي نسبة الى فاطمة زوجة علي بن ابي طالب . فكان آخر ملوكهم في مصر والشام العاضد لدين الله عبدالله بن يوسف بن الحافظ . وقد انقرضت في سنة ١١٧١ . وكان الفاطميون يستعملون اللون الأخضر ، كما ان الامويين اللون الابيض ، والعباسيين اللون الاسود .

اما النصيريّة فهي نسبة الى رجل يقال له نصير النمري ، وقيل الى نصير مولى علي بن أبي طالب ، وهي فرع من القرامطة الذين نشأوا في اراضي الكوفة من العراق العربي ، وهم من الطايفة الباطنية التي تلقبت هكذا من حمدان بن قرمط الذي ظهر سنـــة ٨٧٨ او سنة ٨٩١ للمسيح ، وسمي تعليمه عـــلم الباطن . وفي سنة ١١٧٣ تعمّدت هذه الطائفة بالنصيرية وهي القاطنة في القرى والحصون التي

في القرب من طرطوس ، فاعفاها الماريكوس ملك القدس من إداء الالفين درهماً التي كانت مفروضة عليهم في كل عام لفرسان الهيكل . وما برحت الى الآن تحفظ بعض اعياد وعوائد نصرانية ، كما يقول مسعد في الموضع نفسه ، وان كان عـــلى اساوب مخالف في غالب الاحيان . والجدير بالذكر أن الاسماعيلية والرافضية والحرمية والفاطمية هي فروع للنصيرية ، التي سبق وصفها اعلاه .

حاشية ٣٠ : الدولة الايوبية والجركسية

اما عن الدولة الايوبية فيقول البطريرك مسعد في الموضع المذكور، ص ٢٤٧ ما نصه : « كان ابتداء الدولة الايوبية الكردية في سنـة ١١٧١ بالنـــاصر صلاح الدين يوسف بـن نجم الدين ايوب بـــن شادي بن مروان بن أيوب . وكان شادي من بلد دوين من الاكراد الراودية ، ومقامه بتكريت التي هي من مدن الجزيرة مما يلي العراق على غربي دجلة ، وفيها توفي . وكان انقراضها من الديار المصرية في سنة ١٢٥٣ بالأشرف مظفّر الدين ابي موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل ، وفي الديار الشامية منـذ سنة ١٢٥٩ بالناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب مقتولاً من هولاكو جنكزخان ملك التتر .

اما الدولة التركية فكان ابتداؤها في سنة ١٢٥٣ بالمعزّ عز الدين أيبك التركاني الصالحي ، وملوكها يُعرفون بمماليك الدولة الكردية وبالمماليك البحرية ، وانقراضها كان في سنة ١٣٨١ بالصالح حاجي .

واما الدولة الجركسية فكان ابتداؤها سنة ١٣٨١ بالظاهر برقوق بن عبدالله بن انس بن برد بك ، وكان اسمه الطنبغا ، فسمّاه استاذه يلبغا الكبير . وهو الذي لمـا حضر متنكراً الى بشراي في جبل

لبنان ، أقام يعقوب بن ايوب الماروني مقدماً على جبـــة بشراي ، وكتب له بذلك صحيفةً من نحاس سنة ١٣٨٨ التي فيهـا قصدت عساكر الظاهر برقوق تركان كسروان وتواقعوا في جورة منطـاش التي موقعها غربي زوق مكايل على البحر . وملوك هذه الدولة أيضاً يعرفون بالمماليك البرجية وانقراضها كان في سنـــة ١٥١٧ بقتل طومان باي .

حاشية ٢١ : بعض مدن قديمة مثل الخطا وآمل وجند الخ.

جـاء في مختصر ابن العبري (ص ٣٧٤) تفسير وتحديد لبعض هذه المدن والشعوب القديمة وهذا قوله :

١ — الخطا ويُروى الخطاي ، فهم قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين الشمالية وجزءاً من بلاد التتر . ثم إن الصينيين استنصروا التـتر الساكنين في شمالي كوريا والمسمين « نيوتشي » وهم أجـــداد « المندشو » على شعب الخطا ، فنصروهم وغصبوا الملك ، وكـانت منهم الاسرة الملكية المعروفة بآل كين اي آل الذهب . فانتقـل قسم عظيم من الخطا نحو الغرب واستوطنوا بلاد كاشغر ، وهي التي تسمّى قرا خطا ومعنى قرا الاسود .

٢ — جَند هي مدينةٌ عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبـين خوارزم عشرة أيام تلقـاء بلاد الترك من وراء النهر ، قريب من نهر سيحون .

٣ — امْوية وتسمى آمو وآمل أيضاً ، وهي مدينة مشهورة في غربي جيحون على طريق القاصد الى بخـارا من مرو ، ويقابلها في شرقي جيحون مدينة فِربْر ، وبينها وبين شاطيء جيحون نحو ميل ،

ويقال لهذه آمل زمّ ، وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المفازة ، لأن بينها وبين مر رمالاً صعبة المسلك وميازة اشبه بالمهلك . وبين آمل هذه وبخارا سبعة عشر فرسخاً ، وبخارا هي في شرقي جيحون .

٤ - عبرَ نور الدين محمود زنكي الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وسنجار ، واتى مدينة «بَلَد»[١]. فما هي بلدة بَلَد؟ ان بَلَد وربما قيل لها بَلَط ، واسمها بالفارسية شهر آباذ، انما هي مدينة قديمة على دجلة في العراق فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً . واما سائر المدن فمعروفة لدى الجميع ومكانها في العراق . اما الرقة ويقال لها فالونيقوس فقد بناها الملك بطليموس أورغاطيس اليوناني الذي معناه الصانع .

٥ - قلعة شوش ، هي قلعة عظيمة عالية قرب عَقْر الحُمَيدية من اعمال الموصل ، قيل هي اعلى من العَقر واكبر ، ولكنها في القدر دونها (الموضع نفسه ص ٣٧٩) .

حاشية ٢٢ : الملك نور الدين محمود زنكي

كان صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر ، توفي في يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسماية للهجرة ولم يكن في سير الملوك احسن من سيرته ولا اكثر تحرياً للعدل منه ، وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف في الذي يخصّه إلا من ملكٍ كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . ويروى أن زوجته شكت

١) انظر مختصر ابن العبري في كلامه عل الخليفة المستضيء بالله وقواده واعماله الحربية، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

اليه من الضائقة المالية فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو عشرين ديناراً . فلما استغلّتها ، قال لها : ليس لي إلاّ هذا فقط ، وجميع ما في يدي فأنا فيه خازن للمسلمين ، لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لأجلك (انظر ابن العبري في الموضع نفسه ، ص ٣٧٥) . فلنتأمل !

حاشية ٢٣ : نور الدين محمود والطبيب الرحبي

روى ابن العبري في تاريخه (ص ٢٧٨) عن مرض نور الدين محمود بن زنكي أنه لما اشتدّ عليه المرض استدعى طبيبه الخاص الرحبي . فحضر ، وبعد الفحص البليغ قال : استدعاني نور الدين محمود في مرضه الذي توفي فيه مع غيري من الاطباء ، فدخلنا اليه وهو في بيت صغير بقلعة دمشق ، وقد تمكنت منه الخوانيق ، وقارب الهلاك ، فلا يكاد يُسمع صوته ، وكان يخلو فيه للتعبد . فابتدأ به المرض ، فلم ينتقل عنه . فلما دخلنا ورأينا ما به ، قلت له : كان ينبغي ان لا تؤخر احضارنا الى ان يشتدّ بك المرض .

الآن ينبغي أن تعجّل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضيء ، فله اثر في هذا المرض . وشرعنا في علاجه وأشرنا بالفصد ، فقال : ابن ستين سنة لا يفتصد . وامتنع منه . فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء ومات .

حاشية ٢٤ : جنكزخان والترخان

جاء في دولة المغول سنة ١٥١٤ للاسكندر الموافقة لسنة ١٢٠٣ الميلاد ، انه ظهر بينهم امير معتبر كان يسبح ، (كما يقول ابن

العبري في الموضع نفسه ص ٣٩٤) في الصحارى والجبال ، في وسط الجبال عرياناً حافياً ، ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول : « كلمني الله وقال لي ان الارض بأسرها قد اعطيتها لتموجين وولده ، وسمّيته جنكزخان ، فسمّاه جنكزخان ثبت تنكري[1] ، وكان يرجع إلى قوله ولا يعدل عن رأيه . ولما علا شأن جنكزخان أرسل الرسل إلى جميع شعوب الترك ، فمن اطاعه وتبعه سعد ، ومن خالفه خذل ، وانعم على ذينك الغلامين وذرّيتهم بأن جعلهم ترخانية .

والترخان هو الحرّ الذي لا يُكلف بشيء من الحقوق السلطانية ، ويكون ما يغنم من الغزوات له مطلقاً لا يؤخذ منه نصيب للملك . وزاد لهؤلاء أن يدخلوا على الملوك بغير اذن ولا يُعاقبوا على ذنب الى تسعة ذنوب . وكان لجنكزخان من الاولاد الذكور والاناث جماعة ، وكانت الخاتون الكبيرة زوجته تسمّى أويسونجين بيكي (الموضع نفسه ص ٣٩٥) . وكان لهذه الخاتون اربعة بنين ولاّهم جنكزخان الامور العظام في المملكة : الاول توشي ولي امر الصيد والطرد وهو أحب الامور اليه . والثاني جغاتاي ، وقد ولي امر الحكومات والناموس والقضاء . والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة رأيه . والرابع تولي فولاّه أمر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العسكر .

حاشية ٢٥ : الفرنج في القسطنطينية سنة ١٢٠٣

في سنة ستماية للهجرة الموافقة لسنة ١٢٠٣ (او اربعة) استولى الفرنج على مدينة القسطنطينية بقيادة ثلاثة ملوك من قوادهم كما سنرى .

جاء في تاريخ ابن العبري ، في الحاشية ، ص ٣٩٦ ، ما يلي :

١) هذه كلمة تركية وتُلفظ طنري ومعناها اسم تعالى ، وجنكزخان معناه الملك الاعظم.

«وكان ألكسيس الثالث انتزع الملك من أخيه اسحاق الثاني وسمله وطرحه في السجن. فالتجأ ألكسيس الرابع ابن اسحاق إلى الصليبيين ووعدهم الوعود الحسنة، ومنها انه يسعى بضمّ الكنيستين: الشرقية والغربية، وانه يمدّهم بالجيوش والنفقة. فأجابوه الى سؤله وفتحوا القسطنطينية، بعد حصار ستة ايام. فتسارع ألكسيس الثالث الى الهرب، ورجع المُلك الى اسحاق ونودي باتحاد الكنيستين في كنيسة أجيّا صوفيا المشهورة، واقرّ البطريرك بأن البابا هو خليفة بطرس الرسول، ونائب السيد المسيح على الارض. وكان البابا وقتئذٍ انوكنت الثالث (أي اينوشنسيوس الثالث: ١١٩٨ – ١٢١٦). ثم ان احد الخوارج دوقاس الملقب هيّج الشعب، وغصب المُلك، وتسمّى ألكسيس الخامس، واغتال ألكسيس الرابع وامات أباه إسحاق كمداً عليه. فأوغرت هذه الفظائع قلوب الصليبيين، فثاروا للانتقام من الغاصب الخارجي، ففتحوا القسطنطينية ثانية». [ويزيد ابن العبري مغالياً في هذا الفتح ما شاءت اغراضه فيقول:

«ففتحوا الفرنج الابواب ودخلوها ووضعوا السيف ثلاثة أيام وقتلوا حتى الاساقفة والرهبان والقسيسين الذين خرجوا الى لقائهم من كنيسة ايّا صوفيا العظمى، وبايديهم الاناجيل والصلبان... فقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة. وكان الفرنج ثلاثة ملوك: دوقس البنادقة ... والمركيس مقدم الفرنسيس، وكونت كندافلند وهو اكثرهم عدداً[1] ... على انه تغلب عليهم بطريق من بطارقة الروم اسمه الاشكري (Théad. Lascaris)».].

---

١) ان كند افلند ويسمّى بالفرنسية (Comte de Flandre) هو بودوين التاسع الذي اختاره الصليبيون ليكون اول ملك فرنجي على المملكة التي أنشأها الفرنج في القسطنطينية كما ترى في كلامنا على الفتوحات الصليبية، وتسمّى بلدوين الاول وجاء غيره كثيرون بهذا الاسم كما لا يخفى. والمركيس هو بونيفاسيوس الثاني مركيس دي مونتفرّات (Montferrat) ولم يكن فرنسياً بل كان مقدماً لجيوش فرنسا وفلاندرا معاً.

حاشية ٢٦ : رجل تركاني يدعى بابا

في هذه الايام ظهر في بلدة اماسيا من اعمال الروم رجل تركاني ادّعى النبوّة ، وسمّى نفسه « بابا » ، فتبعه قوم كبير ، وكان له مريد اسمه اسحاق ، يتزيّا بزي المشايخ ويدافع عنه ويشرح اقواله. فانفذه بابا الى اطراف الروم ليدعو التركانيين الى اتباع دعوته والسير ورائـه . فوافى اسحاق هـــذا الى سميساط واظهر الدعوة للبابا ، فاستغوى جماعةً كبيرة من التركان وتبعوه وبلغ عددهم ستة آلاف فارس من غير الرجالة ، فحاربوا من خالفهم ولم يقل كما يقولون بل قال : « لا اله الا الله وبابا رسول الله » . فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين والنصارى من اهل حصن منصور في العراق وكاختين وكركر (التي على جانب الفرات) وسميساط وملطيه ممن لم يتبعوهم .

ولم يتجرأ المسلمون على محاربهم بل خرج الفرنج (كما يقول ابن العبري ص ٤٣٩) وتولوا بأنفسهم محاربة الخوارج ورموهم بالسيف وقتلوهم واسروا الشيخين بابا واسحاق ، وضربوا اعناقهما وكفوا الناس شرهم وانتهى الامر .

حاشية ٢٧ : جسر نهر الكلب والطريق الانطونياني

ان الرواية التي ذكرها العلامة الدويهي في هـــذا المقطع عن نهر الكلب ، وهو الاول الذي رواها نقلاً عن كتب التاريخ القديم ، قد ذكرها بالتقريب الشفاليه دارفيو في تاريخه عن الشرق (صفحة ٣٧٨) ، كما قال الاب تونل اليسوعي نقلاً عن كتاب الاب رينـه موترد اليسوعي عن نهر الكلب (ص ١٤ — ١٥) . وهاك هنا هذه الاسطورة كما طبعها الاب تونل في تاريخ الازمنة (ص ١٥٢) قال :

« في سنة ١٢٩٢ مسيحية كان الفراغ من عمارة جسر نهر الكلب الذي بناه سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري الناصري في ايام الملك المنصور ... قلاوون . وكان نشوءه بعد ما خرب الجسر الذي أقاموه الملوك الرومانيين ، وبالخاصة السلطان انطونيوس الحليم الذي تولى سلطنة رومية بعد السيد المسيح بماية وأربعين سنة ، وهو قطع الصخوره وبنا برج ونهج الطريق التي على شاطي البحر السالكة إلى بيروت ... الامبراطور قيصر مرقوس اورليوس انطونيوس الحليم السيد اوغسطوس كبير البرت كبير البريطانيين كبير الجرمانيين الحبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقا[1] ، ونهج الطريق مستسهلاً ، ولقبه بالطريق الانطونياني ، وهذا النهر قد تلقب بالكلب لكون بعد ما اصلح الطريق انطونيوس الملك ، نصبوا به الكفار قاعة من حجر كبير على هيئة الكلب ، وقيّدوه بسلسلة من حديد في الصخر ، وجعلوا له بها نقير لأجل الطعام وقيل أنه دخله الشيطان ، وصار رصد أن متى قصدوا رجال القبارسة ام اهـــل الغرب ان يغزوا سواحل الشام في مراكبهم ، كان الرصد ينبح ليستعدوا الى قتالهم ، وما زال ذلك مستمراً حتى قصدوه البحرية والقوا تلك القائمـة في البحر . ثم ان في سنة ١٦٧٥ مسيحية قدم بعض تجار فرنج قطعوا راس الكلب وحملوه بسبب الفرجة الى البندقية .

حاشية ٢٨ : « عن جزيرة نجريبنت »

ان هذه الجزيرة اليونانية (Negrepont) وتسمّى اوبيه (Eubée) انما هي جزيرة في الأرخبيل اليوناني ، وقـد ذكرها واصفاً فتحها

---

١) من اللاتينية التي معناها الذئب . وجاء في كتاب الاب موترد عن نهر الكلب ص ١٠ ان الامبراطور كاراكلا الروماني (٢١١ - ٢١٧) المنتسب الى انطونيوس التقي هو الذي ذكر على الصخر اعمال الفرقة الغالية الثالثة (توتل ص ١٠٣) .

المؤلف هامر في كتابه « تاريخ السلطنة العثمانية » مج ٣ ص ١٣١ وما يليها (توتل ، ص ٢١٣ في الحاشية) .

حاشية ٢٩ : كنيسة السيدة في موضع معبد الاصنام

جاء في تاريخ الازمنة للدويهي الذي طبعه الاب توتل اليسوعي (ص ٢١٧) عن هذا الموضوع ، في المتن ، ما يلي : « فيخبر أوسابيوس القيساري ان قسطنطين الملك الكبير امر بهدم المقام واقـــام برجاً متين على اسم السيدة ليمنعهم عن فعلهم الردى » . وعقّب على ذلك الاب توتل في الحاشية بمـــا يلي ذاكراً المصدر المعروف : (راجع اوسابيوس في مجموعة مين ، للآباء اليونانيين ، عمود ١١١٩ — ١١٢٢). فانه ذكر الفواحش ولكنه لم يذكر البرج ، بل مضيفاً : « ان قسطنطين امر العسكر بهدم المقـام حتى يرعوي الجهـال عن غيّهم واباطيلهم » .

حاشية ٣٠ : «عن فراغريفون»

لقد اسهبنا في الكلام على هذا الموفد الحبري الرسولي الشهير ، الذي كان في ايام البابا أوجين الرابع (١٤٣١ – ١٤٤٧) ومن خلفه على عرش البابوية في روما العظمى ، وذلك في متن الحواشي الطويلة التي عقّبنا بها على تواريخ علامتنا اسطفان الدويهي في آخر المجلد الثاني ، ص ٤١٠ وما بعدها ، استناداً إلى التواريخ القديمة الثابتة ، كما جاء في كتاب العالم اليسوعي الاب لامنس[1] وتاريخ المطران

1) Voir Lammens, Fr. Gryphon, dans Revue de l'Or. Chrét. 1899, t. 4. p. 94 - 95; Hist. univ. des Missions francisc., Paris, 1898, III, p.

بطرس ديب المطبوع باللغة الفرنسية في بيروت ، سنة ١٩٦٢ صفحة ٩٢ وغيرهما .

حاشية ٣١ : سبب تأخير الجواب عن ارسال الدرع المقدس الى البطريرك الماروني موسى العكاري

نقرأ في تاريخ الطائفة للعلامة الدويهي المطبوع سنة ١٨٩٠ ، ص ١٦٨ ، بهذا الخصوص ما يلي توضيحاً لهذا الامر :

« دخلت سنة ١٥٦١ ولم يرد التثبيت من رومية للبطريرك موسى، وكان قد مضى له في البطريركية ست وثلاثون سنة . ولم يكن ذلك من باب التهامل بل من عدم التيسير . لأنه كان قد سيّر اولاً المطران انطون فوقع اللصوص البحرية عليه وتلفت رسائله . ثم انه ارسل البطرك غيرها دفعات عديدة مع رهبان القدس ومع تجار الافرنج ، وحظي بأجوبتها من أصحاب الكرمي الروماني الذين جادوا عليه بغفارين كثيرة وحلل للتقديس جميلة وغير ذلك .

« ومن حيث انه لم يسافر احد من أبناء الطائفة الى رومية في طلب التثبيت من بعد المطران انطون ، لم ينمموا به عليه انتظاراً لوصول مرسال . وفي هذه السنة لما بلغه أن القس جرجس القبرسي عارف باللغة الافرنجية احضره اليه وامزه بالمسير الى رومية واعطاه رسائل الطاعة والخضوع مع شهادات رؤساء الكهنة وكتابة اكابر الطائفة بأختامهم وخطوط ايديهم الناطقة بأنهم اختاروه برضاهم وانه اهل لهذه الدرجة المقدسة والسياسة الرعية . وارسل معه ايضاً ست رسائل وست كتابات (براءات) كان بعث بهـــا احبار الكرسي الروماني الى البطاركة الموارنة الذين سلفوا قبـــله . وارسل ايضاً

عريضة، تشكي بها من مطران الافقسية الافرنجي اليوناني، بسبب تعديه على اوقاف الطائفة.

«فلما وقف البابا بيوس على هذه الرسائل، بعث له مع القاصد بدرع تمام الرئاسة مع حلة كاملة لخدمة الاسرار، وجاد عليه بغفران كامل لجميع ابناء الطائفة، ومنشور امر به ان لا يعارض احد الموارنة ورؤساءهم في املاكهم ووقوفاتهم، وكان ذلك في غرة ايلول سنة ١٥٦٢ ...».

وجاء في روح الردود للمطران يوسف الدبس المعروف، ص ٩، بهذا المنشور ما يلي: «قد علمنا من رسائلكم التوقير السامي والتكريم العميق والتعلق الراسخ الذي تبجلون به كرسي بطرس زعيم الرسل، وثباتكم وثبات طائفتكم على التشبث بالايمان الحق الذي تعلمه الكنيسة المقدسة الرومانية. فنتحفك بالتهنئة لك ولطائفتك، مسدين الشكر لرأفة الله من صميم فؤادنا، لأنه ابقى له في هذه الامصار القاصية الوفاً عديدة لم تحن ركبها لباعال، ولم يرهبها ثقل نير غير المؤمنين لتبتعد عن الايمان المسيحي، ولم يفسدها قربها من الاراطقة المشاقين، ولم يستطع ان يفصلها عن الكنيسة الكاثوليكية ...».

حاشية ٣٢: عن المجمع الملي الماروني الملتئم في عهد البطريرك سركيس الرزي

ذكرنا في كتابنا هذا عن علاقات الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي المقدس، ان المجمع الطائفي اللبناني المنعقد يوم ١٥ و ١٦ و١٧ من شهر آب سنة ١٥٨٠ في عهد البابا غريغوريوس الثالث عشر

برئاسة القاصد الرسولي يوحنا باطشتا اليانو ورفيقه يوحنا برونو من الرهبانية اليسوعية، وقد حضره البطريرك الماروني ميخايل الرزي واساقفة طائفته، هذا المجمع المشهور قد اصلح ما اعتوره من اغلاط (وقع فيهـــا الموفد الرسولي المذكور) المجمع الطائفي الآخر الذي ترأسه القاصد الرسولي الاب إيرونيموس دنديني اليسوعي، في قنوبين سنة ١٥٩٦، وحضره البطريرك سركيس الرزي واساقفة الطائفة وغيرهم من الكهنة والرهبان والاعيان. وقد المح علامتنا الدويهي الى هذا الموضوع في تاريخه الذي نحن بصدده، انما في تاريخ الازمنة المطبوع فقد ذكر بجلاء، ص ٢٩٠، ما يتبع حرفيا[١] :

« في ١٨ من شهر ايلول انعقد المجمع بحضور البطريرك سركيس والمطران يوسف الحبيس الرزي ويوسف مطران مـــار انطانيوس وموسى مطران بشري والشدياق يوسف خاطر الحصروني، والشدياق فرج الحدشيتي مشايخ البلاد، وبحضور البادري دنديتوس الايسوعي قاصد البابا اقليموس الثامن، وجملة كهنة وعلماء الطائفة. وبعد ما انقرت رسالة البابـــا، شكى البطريرك سركيس وتعتّب بسبب القوانين الذين كان سابقاً انكتبوا بأيام اخيه البطريرك مخايل الرزي سنة ١٥٨٠، ومن غير اجتهاد تحرروا، وتحرّر على الطائفة جمـلة ارطقات انتهموا فيهم باطـلا، فانفحصوا فحصاً بالغ وتثبتوا ان أمانة الطائفة المارونية ويومئذ ومن قبـل هي ان في السيـد المسيح

١) على ان الدويهي روى قبل هـــذا الكلام المدوّن فيما يأتي « قصة القاصد الرسولي ايرونيموس دنديني (ص ٢٨٩) قائلا : « في سنة ١٥٩٦ أمر البطريرك بالتيام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبة وعلماء الطائفة. وبعـــد قراءة مكتوب البابا برهن قدامهم وقدام قصاد الكرسي الرسولي ان اخـــاه البطرك ميخايل والطائفة كانوا ابرياء من التهمات التي لطخوهم بها باطلا جوانـ باطشتا اليانو. ومن قرار علماء الطائفة ومن فحص الكتب التي وممها بخطه تحقق البادري دنديتوس ان التهمات كلها كانت تجني لا اصل لها وحرر ذلك في الكتاب الذي طبعه عن سفره لجبل لبنان ».

المخلص اقنوم واحد الالهي وطبيعتين ومشيئتين وفعلين الهين وبشرية. ب : ان روح القدس منبثق من الآب والابن كمن بدو واحـد . ج : إن الثلاثة تقديسات ينقالوا على نوعـين ، وان التي تنقال على الابن وحده يضع عليها الولادة والصلبوت والموت . د : ان المطهر موجود ولذلك تصير الطلبات والصدقات والقداسات لأجل إفـادة الموتى المؤمنين . هـ : ان الخطية الاصليـة متصلة بجميع الناس ، ولذلك يتعمّدون لينالوا الخلاص الابدي . و : وان انفس الموتى في حال انتقالهم من هـذا العالم يحضرون للمداينة ، فالبعض منهم يصعدون الى النعيم السماوي ، والبعض الى العذابات الابدية ، والبعض لعذاب المطهر الذي هو زماني . ز : ومن ينكر المسيح بفمه يستوجب ان ينكره قدام ابيه السماوي ».

حاشية ٣٣ : عن بطلان التغييرات الصادرة عن البطريرك يوسف الرزي الماروني

في سنة ١٦١٠ أنفذ الحبر الاعظم البابا بولس الخامس رسالة الى البطريرك يوحنا مخلوف يوعز بها اليه ان يرجع الصيامات التي ابطلها سالفه البطريرك يوسف الرزي وغيرها من الاسرار والعوائد القديمة ، كما جاء في مجموعة الرسائل المارونية للآباتي العنيسي (عدد ٥٦ وما بعده) . وهذه التغييرات ذكرها علامتنا الدويهي في تاريخ الازمنة الذي طبعه الاب توتل اليسوعي (ص ٣٠٢) في الحاشية حيث قال :

١ – لقد اذن للاساقفة والمطارين ولو كانوا رهبان بأكل اللحم . ٢ – انه حلّل اكل السمك والخمر في الصوم . ٣ – ان صيام الميلاد كان اربعين يوماً ولم يصير فطور للظهر ، فجعله عشرين يوماً فقط . ٤ – ان صيام الرسل كان ثلاثين يوماً أم اقـل ، والمذكور قصّره

الى ١٥ يوم ضد عادة كل بلاد الشرق . ٥ – ان السبة التي تتقدّم الصيام كانوا يقطعونها عن اكل اللحم ويأكلوا بها جبن وما يشاكل ذلك ، فاحلل أكل اللحم فيها . ٦ – في الجده كانت العادة ان الكاهن اولاً يأخذ خبزاً ويباركه ويفرّقه للشعب ، فقطع هذه العادة وغيرها ، من غير انهم يكونوا مضاددين لعوائد الكنيسة القديمة . تحرّر هذا المكتوب في ٦ آذار سنة ١٦١٠ » .

« وكان وكيل البطريرك في تسليم الدرع المقدس القس كسبر الغريب . . . هذا هو كسبر القبرصي الذي قبل الكل مضى إلى مدرسة روميــة ، وارسل مع الراهب جرجس بركة لكل شعب الموارنة ، وان البطرك والمطارين يعطوا لكل الشعب مرةً واحدة غفران كامل الى كل من يكون بريء من الخطية » .

حاشية ٣٤ : بيت حبيش وأصلهم

ان اصل بيت حبيش من قرية يانوح التي بقرب قرية المغيرة في جبة المنيطرة ، كما جاء في تاريخ الطائفة للعلامة الدويهي (ص ١٥٣ من طبعة الشرتوني) حيث قال : « والشيخ حبيش ابن موسى بن عبدالله مخايل انتقل بعياله من يانوح الى غزير » . قال صاحب مختصر تاريخ لبنان : « انه لما وقعت العداوة بين بيت حبيش وبين أهالي العاقورة ، وخربت يانوح ، توجّه جدهم إلى قريــة غزير بأرض كسروان . ولما قدم بيت عساف الى غزير ارتفعت منزلة المشايخ المذكورين عندهم ، وكانوا مدبرين (كواخي) عند عساف واولاده من بعده الى ان انقرضت دولتهم . ولما تولّى بيت سيفا مكانهم ، لم يزل بيت حبيش مدبرين عندهم . ولما انقرضت دولة بيت سيفا تولّى الشيخ ابو منصور حبيش قرية غزير من بيت معن ، واستمرت

بيده وبيد أولاده من بعده ، فقويت شوكتهم وتعاظمت سطوتهم شرقاً وغرباً . واقتنوا املاكاً غير قليلة في غزير وبـــلاد جبيل والفتوح ، وصاروا من مزاويج بيت الخازن . وتوجّه منهم قوم الى بلاد الغرب ، ونالوا من ملوكها التفاتاً وحظوة ، ثم جاؤوا الى غزير وهم بها الى اليوم (الدويهي للشرتوني ص ٢٢٥) .

حاشية ٣٥ : عن ماني الملحد

وصف ابن العبري في مختصر تاريخه لنـــاشره الاب الصالحاني (ص ١٢٩) . ماني الملحد فقال : « كان ماني اول امره يظهر النصرانية ، وصار قسيساً بالاهواز في العراق ، وكان يعلم ويفسّر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين . ثم مرق من الدين وسمّى نفسه مسيحاً ، واتخذ اثني عشر تلميذاً وارسلهم الى بلاد المشرق بأسرها حتى الهند والصين ، وزرعوا فيها علم الثنوية ، وهو أن للعـالم الهين ، احدهما خير وهو معدن النور ، والآخر شر وهو معدن الظلمة : (Duolisme) ، وانهما تمازجا فانتصر الخير على الشر ، فانتقل الشر الى جهة الجنوب ليعمل هناك عالماً ويتسلّط عليه .

ولما شرع وعمل بنات نعش حول القطب الجنوبي كهذه التي حول القطب الشمالي ، اصلحت الملائكة بينهما بأن ألقى الخير شيئاً من نوره على الهيولي فوُجد عالم قابل للكون والفساد وتسلّط عليـه الشر . ولأن الخير انما فعل ذلك مكرهاً ومجبراً خلق في السماء سفينتين كبيرتين همـا الشمس والقمر وصار يجمع فيهما انفس الناس ويسترجع نصيبه الذي صار الى الشر ليخـلو الهيولي رويداً رويداً من آثار الخير فيبطل سلطان الشر . وكان يقول بالتناسخ اي التقمص ، وان في كل شيء روحاً مستنسخة » . وكان يفرط في تمجيد النار

وتعظيم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح ، كل ذلك لنورها واضاءتها وتوسطها في المكان بين الفلكيات والمنصريات . واهل الارض للتحقير لكونها مظلمة لا يستضيء باطنها بالفعل ولا بالقوة .

وهذا المذهب قـــد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني ، ولكن شيّده بالحجج الاقناعية . ونِعمَ مـا اجاب عنه الشيخ الرئيس بن سينا اذ قال : «كيف السبيل الى ان يوجد في النار كل معنىً واقع في حـيّز الخير ، وفي الارض كل معنىً واقع في حـيّز الشر !؟ فان الارض حـيّز البقاء والحياة للحيوان والنبات . والنار مفرطة الكيفية مفسدة بتفريق أجزاء المركب وتشتيتها .

وقيل ان سابور ملك الفرس قتل مـاني وسلخ جلده ، وحشاه تبناً ، وصلبه على سور المدينة ، لأنه كان يدعي الدعاوي العظيمة وعجز عن ابراء ابنه من مرض عرض له (ص ١٣١) .

حاشية ٣٦ : اليهود سبع فرق

ذكر العلامة غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري ، (ص ١١٦) «ان اليهود سبع فرق : الاولى الربانيون وهم كتّاب الناموس ومعلموه . والثانية هم اللاويّون الذين لم يفارقوا خدمة الهيكل . والثالثة هم المعتزلة الذين يؤمنون بقيامة الموتى ويقولون بوجود الملائكة ويصومون يومين في الاسبوع . والرابعة هم الزنادقة الذين يجحدون القيامـــة والملائكة . والخامسة هم المغتسلون الذين يقولون : لا يُثاب احد ان لم يغتسل كل يوم . والسادسة هم النسّاك الذين لا يأكلون شيئاً فيـــه روح . والسابعة هم السحرة الذين لا يقبلون من الكتب الا التوراة وهي المجسّمة (أي القائلون بأن الله ذو جسم ») .

حاشية ٣٧ : وفرق العرب الاصوليين ست

ويذكر ابن العبري عن كبار فرق الاصوليين (ص ١٦٤) ستاً هي المعتزلة ثم الصفاتية ، وهما متقابلتان تقابـل التضاد . وكذلك القدرية تضادّ الجبرية . والمرجئة الوعيدية ، والشيعيـة الخوارج . ويتشعّب عن كل فرقة اصناف ، فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة .

ويتابع المؤلف شارحاً كل فرقة على حدة ويقول : « اما المعتزلة فالذي يعمّهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات الباري تعالى هرباً من اقانيم النصارى . فمنهم من قال انه تعالى عالم لذاته لا بعلم وكذلك قادر وحي . ومنهم من قال انه عالم بعلم هو ذاته وكذلك قادر وحي . فالاول نفى الصفة رأساً ، والثاني اثبت صفة هي بعينها ذات . واتفقوا على أن كلامه تعالى محدث بخلقه في محل ، وهو حرف وصوت وكتب مثاله في المصاحف . ومن المعتزلة احمد بن حائط زعم ان المسيح تدرّع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما يقول النصارى ...

وبازاء المعتزلة الصفاتية وهم يثبتون لله صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة وغيرهـا . وبلغ بعضهم في إثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حد التجسيم ... اما القدرية فهم معتزلة ايضاً انما لقّبوا بالقدرية لنفيهم القَدر لا لإثباتهم إياه ، فانهم يقولون ان العبد قادر خالق لأفعاله ، خيرها وشرّها ، مستحق على مـا يفعله ثواباً وعقاباً . فالرب منزّه عن ان يضاف اليه شر وظلم ... وبازاء القدرية الجبرية وهم الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ، ويقولون ان الله تعالى يخلق الفعل في الانسان قدرةً متعلقة بذلك

الفعل ولا تأثير لتلك القدرة على ذلك الفعل . ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر ما في الفعل ويقولون ان الله مالك في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل ...

واما المرجئة فهم يقولون بارجاء حكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي بتأخيره اليها . فلا يقضون بحكم ما في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً ويقولون ايضاً انه لا يضرّ مع الايمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وبازاء المرجئة الوعيدية وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمناً ، لكن عقابه اخف من عقاب الكفار . واما الشيعة فهم الذين شايعوا علي ابن أبي طالب وقالوا بامامته بعد النبي ، وان الامامة لا تخرج من اولاده الا بظلم ... فان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه إلى العامة . ومن غلاة الشيعة النصيرية وقد سبق ذكرهم وهم القائلون بأن الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عما يتعلق بباطن الاسرار ...

حاشية ٣٨ : ملك فرنسا القديس لويس وحمايته للموارنة

سنة ١٢٥٠ للميلاد

نشر القنصل الفرنسي المعروف والكاتب الشهير ريستلهوبر سنة ١٩١٨ كتاباً فرنسياً عن « تقاليد فرنسا في لبنان » نقله الى العربية الاب بولس عبود الراهب الماروني ، سنة ١٩٢١ وطبعه في حريصا ، جاء فيه عن مساندة الموارنة للعساكر الفرنسية في عهد الصليبيين وخاصةً في عهد الملك العظيم القديس لويس بعد ما وقع في الاسر تحت أيدي الاعداء المصريين في المنصورة ، ما يلي (ص ٦٩) :

« ولما وصل الملك لويس بعد ذلك إلى عكا ، ارسل اليه نصارى لبنان الموارنة مالاً ورجالاً ، ونزل كثير منهم من الجبال لمشاهدة ملك فرنسا كما نزل اجدادهم من قبل عند وصول الصليبيين الاولين. فالموارنة يسمّون الملك لويس بلغتهم الشرقية سيف العالم وابن الشريعة والانجيل . وبعث اليه امير الجبل تحت امرة ابنه ٢٥ الفاً من الجنود يحملون اليه المؤن والهدايا . فوجّه القديس لويس الى الموارنة في هذه الفرصة تلك الرسالة الشهيرة التي يفتخرون بكونها دليلا رسمياً على الحماية الفرنساوية :

« لويس ملك فرنسا ، الى امير الموارنة بجبل لبنان والى بطريرك واساقفة الطائفة المارونية المذكورة .

« ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم الامير سمعان قد اتى مع ٢٥ الفاً حاملاً الينا شهادة حاستكم الحبيّة ومقدماً لنا الهدايا الفاخرة ، وبالحقيقة ان محبتنا الخالصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو امة الموارنة ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون [1] قد تضاعفت اليوم بزيادة ، ونحن موقنون أن هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الافرنسية . لأن محبتها للفرنسيين تشبه محبة الفرنسيين بعضهم لبعض ، وعليه فيجب من قبيل العدل

---

١) ويقول رستلهوبر نفسه في صفحة ٦٧ من كتابه المذكور عن افتتاح جزيرة قبرس سنة ١٠١٢ «ان ريشار قلب الاسد فتح قبرس وسلمها للملك القدس الذي عمل على انجاحها، فدعا الى التملك فيها الفرنج الهاربين من فلسطين والنصارى المضطهدين في سوريا ولبنان. فلبّى كثير من الموارنة دعوته وجاؤوا الى قبرس وقصد مالهم ان يقيموا في المدن التي لم يألفوا الاقامة بها بل أمّوا الجبال شمالي نيكوسيه وهناك عاشوا في محيط يذكّرهم جبال لبنانهم العزيز يحرثون الارض ويحافظون على اخلاقهم العائلية الساذجة ، فنجحت الجالية المارونية تحت رعاية ملوك قبرس ، وكثر عددها حتى عمّرت ٧٢ قرية ، كما جاء في مجلة الارض المقدسة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، ص ٧٩ و١١١ و١١٨ » .

ان تتمتعوا انتم وجميع الموارنة بنفس الحماية التي يتمتع بها الفرنسيون من جانبنا ، وان تُقبلوا في الوظائف كما هم يقبلون . ولذلك فاننا نستحثك ايها الامير الرفيع الشأن على ان تسعى كل السعي فيما يعود على اهل لبنان بالسعادة ، وان تعنى باقامة اشراف من أكثر الناس اهلية لديك كما هو جار في فرنسا .

« وانتم ايها السيد البطريرك والسادات الاساقفة وجمهور الاكليروس وعامة الشعب الماروني واميركم المظم اننا رأينا بكامل السرور تعلقكم الثابت بالدين الكاثوليكي واحترامكم لرئيس الكنيسة خليفة بطرس الرسول برومية فنحثكم على المحافظة على هذا الاحترام وان تبقوا دائماً غير متزعزعين بهذا الايمان . اما نحن وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسا فنعد بأننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين بعينهم ، ونسعى في كل وقت فيما يكون آئلا لسعادتكم .

« عكا في اليوم الواحد والعشرين من أيار سنة ١٢٥٠ ، وهي السنة الخامسة والعشرون لملكنا[١] » .

حاشية ٣٩ : لجوء الصليبيين الى الموارنة في لبنان وامتزاج دمائهم معاً في حومة الوغى

ويتابع رستلهوبر كلامه في ص ٧٣ عن الصليبيين ولجوءهم إلى جبل لبنان وانقراضهم في سوريا ولبنان فيقول : « تبيّن الآثار التاريخية

١) هـذا هو النص الذي رواه البارون دي تاستا في مجموعته : « معاهدات السلطة العثمانية » مج ٣ ص ١٤٠ في الحاشية ، وانظر تاريخ الطائفة للعلامة الدويهي المطبوع سنة ١٨٩٠ ، ص ١١٠ .

مـا كان من لبنان واهـله في هذه الآونة فتصرّح براءات الاحبار الاعظمين (اسكندر السادس مثلاً وبناديكتوس الرابع عشر) بما بذله البطريرك الماروني سمعان وأمته من الاحتفاء بالصليبيين الذين جاءوا لبنان بعد هزيمتهم في فلسطين . فمن سجايا الموارنة السخاء والضيافة والاحتفاء بالغريب ولاسيما اذا كان فرنسياً . فلا عجب اذا حموا في هذه الظروف المحزنة اخوانهم في الدين ضحية عدوهم العام واعطوهم طعاماً ومسكناً وأرضاً يحرثونها . فاحكمت وحدة المصيبة عرى المودة القديمة بينهم وعاشوا معاً زماناً طويلاً بالصفاء والولاء ، حتى تركت عيشتهم المشتركة هذه في لبنان آثاراً خالدة لا تمحوها يد الدهر .

« ففي تلك المحنة الشديدة حيث تقوّضت اركان الدولة اللاتينية واندثرت بقاياها ، عارك المسلمين الصليبيون واللبنانيون جميعاً (اكثر من ثلاثين سنة) فامتزجت دماؤهم ثانيةً في حومة الوغى ، كمـا امتزجت في عروقهم من قبل ، وابلى الموارنة في هذا المعترك بلاءً حسناً . وهم لا يجهلون ما سيكون من انتقام عدوهم وشدة هوله . لكن غلب العددُ البسالة فوقعت جبيـل ، وهي في قلب لبنان في ايدي المسلمين سنة ١٢٦٦ ، وتلتها بعد سنتين انطاكية ، وهوى بعد يسير كرك (حصن) الفرسان امـام وثبات سلطان مصر بيبرس خلف صلاح الدين الذي لم يكن باقياً من قلاع الصليبيين عند وفاته سنة ١٢٧٧ إلا المرقب وطرابلس وصيدا وعكا ، وهذه لم تثبت زماناً طويلاً .

« فبعد سنة ١٢٨٨ كانت في كل سنة تسقط مدينة منهنّ حتى انتهى الامر بعكا آخر معقل للصليبيين سنـة ١٢٩١ وكان سقوطها بعد سقوط بيروت . وهكذا اندثر ملك الصليبيين الفرنساويين في سوريا ولبنان ، وصار اثراً بعـــد عين ... ان الفرنساويين الموالي

هجروا لبنان لما بلغ سيل الاسلام الجارف اعاليه بعد ان اقاموا فيه زهاء قرنين . ولكن لم يهجروه كلهم لأن البعض منهم كانت تربطهم به علاقات المصلحة والعائلة والعادة ، فتخلوا عن وطنهم ، واتخذوا البلاد التي اكرمت مثواهم وطناً لهم ... » .

حاشية ٤٠ : جزيرة قبرس والموارنة

امتلكت جزيرة قبرس أسرة لوزينيان الفرنسية من ريجارد ملك الانكليز سنة ١١٩١ الذي كان قد امتلكها بحرب سنة ١١٩٠ من اسحاق كومنانو الرومي الذي اختلسها بدوره من ملوك الروم . واول اللوزينيين في قبرس هو غويدو دي لوزينيان بن هوغو لبرون الذي صار ملكاً على القدس في سنة ١١٨٥ وغصبه منه صلاح الدين الايوبي[١] . وظل اللوزينيانيّون في الجزيرة قرناً كاملاً ، فعاش الموارنة فيها مع الفرنج وتحت حمايتهم زماناً طويلاً ، وزاد عددهم بمن هجروا لبنان واتوا الجزيرة راكبين البحر في ظلمات الليل ، هرباً من شر المسلمين واضطهاداتهم ، وطلباً للحرية في الجزيرة .

« ولكن كما يقول رستلهوبر (ص ٧٦) حدث في قبرس سنة ١٣٧٣ ، بعد وفاة الملك ، فتنة" فاستولى على الجزيرة اهل جنوا غيلة" نحو قرن ايضاً ، وغصبهم اياها أهل البندقية سنة ١٤٨٥ ، واندثر ملك الفرنجة في الشرق عندما طرد هؤلاء المسلمون من الجزيرة في سنة ١٥٧١ ، فانقطعت العلاقات بين لبنان واوروبا ، لأن المسلمين بعد استيلائهم على البلاد ، اخذوا يرقبون حركات النصارى فيها غير ناسين ما كان من نجدتهم لأعدائهم الصليبيين ، وكيف كانت هذه النجدة سبباً لاطالة الحرب ، فرأوا في تقرّبهم من الفرنج خيانة اعدّوا

---

١) راجع الدر المنظوم ، ص ١٦٥ وما بعدها .

لها عقاباً شديداً ، فقطعت علاقة الموارنة بفرنسا اكثر من مئتي سنة الى أن نشأت الصلات التجارية بين مرسيليا والشرق ، وجاء المرسلون الفرنسيون إلى لبنان وجدّدوا العلاقات القديمة ، فصارت الى ما كانت عليه من الوداد والولاء ، وبلغت في عهد لويس الرابع عشر حدها الاقصى ، كما رأينا .

حاشية ١٤ : اعمال القناصل الفرنسية المحمودة في الشرق الادنى منذ القديم لدى الكاثوليك

ترك لنا الكاتب المشهور رستلهوبر في كتابه الجليل (ص ١٣١) صفحةً رائعة عن الاعمال الجيدة التي قامت بها القنصلية الفرنسية في الشرق منذ سنة ١٥٤٨ فما بعد ، وهي الاقدم بين القنصليات الفرنجية والمعروفة بقنصلية سوريا ، وكان يقيم قناصلها تارة في طرابلس لبنان وطوراً في حلب ، تلك المدينة الزاهرة بالعلوم والتجارة وتشمل مدينة حلب وملحقاتها وبلاد الكرمل وفلسطين وجزيرة قبرس وطرابلس وبيروت وصيدا ...

وكان من بين قناصلها المشهورين بالاعمال الجليلة الحميدة المسيو بونان البروفنسالي الذي تعين قنصلاً في حلب سنة ١٦٣٩ وبقي لغاية وفاته سنة ١٦٥٢ ، وخلفه في القنصلية هذه السيد فرنسيس بيكات (المولود في ليون سنة ١٦٢٦) واستمر قائماً بالاعمال الجيدة حتى سنة ١٦٦١ حيث رجع إلى فرنسا ودخل الاكليريكية وصار كاهناً ثم مطراناً ، ثم نائباً رسولياً في بابل سنة ١٦٧٩ ، وبالوقت نفسه سفيراً في العجم ، ومات سنة ١٦٨٥ في همذان بينما كان راجعاً الى فرنسا . كتب ترجمة حياته كثيرون لما كان يتحلّى به من مناقب رفيعة واعمال طيبة ، من بينهم الشافيلية درفيو افور ، فخصّه بفصل خطير

في « تذكاراته » حيث قال عنه : « ان بيكات كان رجلا عجيباً في خدمة ربه وخدمة مليكه وكان يحذق اللغات الشرقية وماهراً فيها » . واستطرد الكاتب الفرنسي رستلهوبر مادحاً وقال :

« وكان بيكات جامعاً بين العدل واللطف والحزم والمروءة ، وقد نال بهذه الخلال الكريمة مقاماً رفيعاً في سوريا ولبنان لم ينله سواه ... وكان لبنان داخلاً في منطقة قنصلية حلب في ذلك العهد ، وكان موارنة حلب لا يقل عددهم عن مئتي عائلة (اي في سنة ١٦٥٧) . ولذلك كان بيكات حامياً للامة المارونية كلها ، وكان يحنّ حنين الاب على الموارنة حريصا عليهم ، يمدّهم بحسناته ، ويحميهم بنفوذه ... ان ما كان بقنصل حلب من الحب الخاص لقطيع الموارنة المقدس عندما كان يرى من شدة تعلقهم بالكرسي الرسولي ، لم يقفه عن الاهتمام لسائر نصارى المشرق ... بل كان مروره عظيماً يوم توّجت مساعيه بالنجاح : اذ رأى سنة ١٦٥٧ ثلاثة من بطاركة المشرق اعني بطاركة السريان والارمن والروم نابذين البدعة ، وعائدين الى حضن الكنيسة المقدسة ، وكان الاب سيلفيستر دي سانتينيان ، رئيس الكبوشية في بيروت ، قد هيّئهم إلى ذلك بغيرته ونشاطه ، وسافر إلى رومه حاملاً صورة ايمانهم . وكان سفره هذا فرصةً ثمينة اتخذها القنصل بيكات ليدافع في فرنسا عن قضية اصدقائه الموارنة ، ويعمل على تخفيف كروبهم . وادراكاً لذلك اتفق هذا القنصل مع البطريرك الماروني جرجس السبعلي والشيخ أبو نوفل الخازن وكتبوا رسائل ضمّنوها شكاويهم ورغائبهم وحمّلوها الاب سيلفيستر المذكور ، وبسطوا له باللسان كل ما كانوا يطلبونه من الدولة الفرنسية ...[1] » .

١) ان المطالب التي ذكرها البطريرك السبعلي والشيخ ابو نوفل الخازن الى الدولة الفرنسية لخصّها السيد البطريرك بهذه الكلمات : « لقد اوقرت ضرائب الاتراك الفاحشة كواهل الموارنة وهم هدف دائم لمظالمهم ، والعذاب الذي يلقاه الاكليروس اشد واعظم ،

حاشية ٤٢ : الدُمُستق وما اليه

جاء في تاريخ ابن العبري ص ٢٩٤ شرح لهذه الكلمة قال : «وفي سنة ٣٥١ هجرية ملّك الروم عليهم نيقيفور الدمستق وجعلوا شخصاً يسمّى شومو شقيق دمستقاً له». وفي الحاشية قال شارحاً: «شومو شقيق او شمشقيق انما هو لقب ليوحنا الاول ملك الروم، وهي كلمة ارمنية معناها قصير القامة . واما دمستق فهي كلمة لاتينية (Domesticus) وهو لقب قائد جيش الروم . ويوحنا هذا قتل نيقيفور واستبدّ بالملك بعده وكان مظفراً في الحروب وهو اول من ضرب السكك بهذا الرسم يسوع المسيح ملك الملوك .

حاشية ٤٣ : كفرطاب

جاء في معجم البلدان لياقوت ٤ ، ص ٢٨٩ ، طبعة وستانفلد أن كفرطاب انما هي بلدة قديمة بين المعرة وحلب في بريّة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من الامطار . . . وقد اسهبنا في الكلام على هذه البلدة المنسوب اليها المطران توما الكفرطابي صاحب المقالات العشر في المجلد الاول من تاريخ الدويهي (ص ١٧٩ — ١٨٣) ، فنحيل القارىء الى ذلك . وللعلامة الالماني جورج غراف في كتابه «الالماني» تاريخ الآداب العربية المسيحية ، مج ٢ ص ٩٨ — ١٠١ ، مقال في توما الكفرطابي الماروني مشبع بالمصادر والمراجع المتمة ، وجدير

ولاسيا في جهات بشراي الخاضعة لباشا طرابلس حيث الاديار خربت وبادت ، فلا سبيل الى مؤاساة هذه الحال المحزنة الا بحرمان الاتراك الولاية على البلاد وايلائها الى الشيخ ابي نوفل الخازن ... فاذا تولى هذا الولاية ، وهو عزيز لدى الحاكم الامير ملحم ، يتعهّد بجباية الاموال والضرائب وبتأديتها الى الحكومة التركية ، ولا يرجى ذلك الا بواسطة ملك فرنسا وسفيره الجليل المقام ... » .

بالانتباه ، كما ان العلامة المطران يوسف دريان استفاض بالكلام على هذا الاسقف الكفرطابي ، في كتابه المعروف « لباب البراهين الجلية في حقيقة الطائفة المارونية » (ص ٢٥٦) فليراجع هناك .

حاشية ٤٤ : الملك لويس التاسع

جاء في تاريخ الطائفة المارونية للدويهي الذي طبعه المعلم رشيد الشرتوني (صفحة ١٠٩) عن هذا الملك الفرنسي ما يلي : « في سنة ١٢٤٩ مسيحية التي توافق سنـــة ٦٤٧ هجرية ، قدم لويس التاسع القديس ملك فرنسه بجيوش عديدة واموال وافرة واهبـة جزيلة ، وقضى فصل الشتاء في قبرس ، ومنها سار الى عكا وارسى بهـا ، وفرّق جماعته على ساحل البحر فازدادوا عزماً وقوةً . ثم سار في البحر بخمسين الفاً قاصداً دمياط ، وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات الحرب العظيمة وذخائر وافرة . وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة والفروسية . وفي شهر صفر وصلت الافرنج إلى برّ دمياط الغربي فكبر الخوف على بني كنانة ، فهربوا من دمياط واخلاها اهلها فملكها الفرنج من غير قتال واستولوا على جميع مــا فيهـــا . وكان الملك الصالح صاحب مصر يومئذ في الشام يحاصر حمص ، فلما بلغه امر دمياط سار مسرعاً الى الديار المصرية ، وعند وصوله الى المنصوره اصيب بمرض في رجـله فأمر الاطباء بقطعها . واذ كان يعاني الالم أتي ببني كنانــة فأمر بهم وكانوا اربعة وخمسين اميراً ، فصُلبوا كما هم بثيابهم وخفافهم ...

« وفي سنة ١٢٥٠ مسيحية (أي ٦٤٨ هج) ، جمع ملك فرنسة جيوشه مريداً ارض مصر ، فصبر المصريون الى ان عبر الخليج من النيل ثم زحفوا عليـــه حتى التقى العسكران بين برّ دمياط وبرّ

المنصورة وصار قتال شديد ، فانهزم الافرنج اقبح هزيمة وامسر الملك لويس وبلغ عدد القتلى من الافرنج ثلاثين الفاً . . . ونحن وقفنا على بعض كتب تخبر ان ملك فرنسه ابقى بيته وعساكره في جبل لبنان حتى الى أوان تحريره هذه الرسالة الآتية الى عامة الشعب الماروني :

« لويس ملك فرنسه الى امير الموارنة بجبل لبنان والى البطريرك واساقفة الطائفة المذكورة .

« ان قلبنا امتلأ فرحاً لما رأينا ولدكم سمعان قد اتى مع ٢٥ الفاً من الرجال حاملاً الينا شهادة حاستكم الحبيّة ومقدماً لنـــا الهدايا الفاخرة ، وبالحقيقة ان محبتنا الخاصة التي ابتدأنا ان نستشعرها نحو امة الموارنة ايام حلولنا في قبرس حيث هم مقيمون أيضاً ، قـــد تضاعفت اليوم بزيادة ، ونحن موقنون أن هذه الامة التي قامت تحت اسم القديس مارون هي قسم من الامة الفرنسية ... اما نحن وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسة فنعد بأننا نوليكم انتم وجميع شعبكم حمايتنا الخاصة كما نوليها للفرنسيين بالذات » . ولم تزل هذه الرسالة محفوظة في خزانة البطريركية المارونية في بكركي .

وجـــاء في كتاب « تقاليد فرنسا في لبنان » للقنصل الفرنسي رستلهوبر الذي نقله الى العربية الاب بولس عبود سنة ١٩٢١ صفحات مجيدة عن هذه الحماية الفرنسية التي كانت امراً مألوفاً ، راجع مثلاً (ص ١٢٧) من هذا الكتاب حيث يذكر : « ان الموارنة كانوا اشد الناس احتياجاً الى هذه الحماية في الشرق ، فلاذوا بهـــا والتمسوها مراراً وتكراراً ، ففي عهد الملك لويس الرابع عشر وكان لم يزل بعد تحت وصاية والدته ، جاء فرنسا السيد اسحق الشدراوي مطران طرابلس مندوباً من قبل البطريرك ليبيّن شقاء نصارى لبنان ويلتمس

عون حاميتهم القديمة .. (عن سجلات الوزارة الخارجية الفرنسية، مجلد ٣٦ ورقة ٢٣٢ ، والمشرق مج ٢ ص ٩٣٩)[١] » .

حاشية ٤٥ : المدرسة المارونية في روما

يعود تاريخ هذه المدرسة رسمياً إلى سنة ١٥٨٤ ، كما ذكرنا في كتابنا عن « الكتاب المقدس وعلماء المدرسة المارونية في القرن السابع عشر » (صفحة ٢) الذي نشرناه سنة ١٩٧٠ في مطابع الكريم الحديثة بجونيه ، فقلنا : « وكانت لأول عهدها تمثل داراً رومانية قديمة في قلب العاصمة الرومانية ، روما ، قرب كنيسة مار يوحنا ديلا فيكوتشا خصّصها البابا غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الآتين من الشرق الى رومية لإنجاز أعمالهم المتنوعة بموجب براءة رسمية صادرة في ٣١ كانون الثاني سنة ١٥٨٢[٢] ثم حوّلها مع كنيستها ملكاً للطائفة بموجب براءة رسولية ثانية صادرة في ١٣ كانون الاول سنة ١٥٨٣ ، كما هو ظاهر من كتاب البراءات المذكورة في الحاشية . واخيراً أمر البابا بتخصيصها مع كنيستها وما يلحق بها من الجنينة لاحداث الطائفة المارونية ، او « المدرسة الرومانية » بالاختصار . وفي ٥ تموز سنة ١٥٨٤ وقف لها مداخيل كافية لسد حاجاتها ، منها ١٢٠٠ سكودي على مجمع الداتاريا . وزاد على ذلك المثلث الرحمة الكردينال كارافا محامي الطائفة بما وقف لها من ماله الخاص البالغ عشرة آلاف سكودي مع كل متروكاته .

---

١) طالع عن هـــذه الحماية وعن اعمال المرسلين الفرنج في لبنان ، الرحالة روي دي لاروك في كتابه : « رحلة الى سوريا » باريس ١٧٢٢ مجلد ٢ ص ١٤٧ ، وتقاليد فرنسه في لبنان ، ص ٧٨ وما بعدها .

٢) مصدرة بعبارة Exigit incumbentis ومنشورة في كتاب البراءات المارونية، للأباتي المنيسي ص ٨١ .

وجاء في الدرّ المنظوم (صفحة ١٥٨ - ١٥٩) ان البابا المشار اليه عهد بادارة المدرسة المذكورة الى آباء الرهبانية اليسوعية ، واستمرّت تحت ادارتهم الى سنة ١٧٧٣ التي ألغيت فيها هذه الرهبانية العظيمة . فسلّمت ادارتها الى كهنة علمانيين ، الى ان باعها رجال الجمهورية الفرنساوية حين هجومهم على رومية سنة ١٨٠٧ - ١٨٠٨ . قال مؤلف سيرة القديس مارون المطبوعة في رومية سنة ١٧٤١ ، صفحة ١٥[١] : ان البابا غريغوريوس الثالث عشر قد أنشأ من فضله مدرسة في رومية للموارنة سنة ١٥٨٤ مكافأة لثباتهم الذي لا يغلب في استمرارهم دائماً كاثوليكيين بين الطوائف الكثيرة ذات البدع . وبمثل ذلك قال الكردينال ترلي في الكتاب الذي طبعه برومية سنة ١٦٨٥ في الفاتحة بشأن مدرسة الموارنة هذه :

على ان بطاركتنا المغبوطين كانوا قبل افتتاح المدرسة المارونية هذه يرسلون الاحداث الاذكياء المرشحين للكهنوت الى روما لكي يتعلموا في كلياتها الاوروبية ويتقنوا الفلسفة واللاهوت وما اليها من العلوم الرفيعة ، ليتمكنوا من ترجمة البراءات الحبرية والكتابات الرسولية ، وبالتالي كي يقدروا أن يصحّحوا الكتب الطقسية وينقحوها ويطبعوها مع ترجماتها ويساعدوا إخوانهم اللبنانيين على الترقي في مدارج المعارف الدينية والمدنية على السواء ، وفقاً لتلك اللائحة التي ذكرناها في كتابنا السالف الذكر اعلاه (صفحة ٣) .

---

١) طالع تاريخ الطائفة المارونية الذي نشره المعلم الشرتوني للدويهي الكبير ، ص ١٨٠ حيث يقول : « اما صاحب مختصر تاريخ لبنان وهو الشماس انطونيوس فقد ذكر ان انشاء المدرسة كان سنة ١٤٨٠ وهو سهو ظاهر ، لان جميع مؤرخي طائفتنا قد وافقوا رواية العلامة الدويهي حيث قال : وفي سنة ١٥٨٥ توفي البابا غريغوريوس وقد انشأ في مدة حياته مدارس في رومية لجميع الطوائف . ولما كثرت تلاميذ الموارنة هناك قبل وفاته بسنة اقام لهم مدرسة خصوصية واجرى عليهم الوظائف من نفس طعامه » (راجع سفر الاخبار للمطران يوسف الدبس ص ٢٠٥) .

واذ بلغ عدد التلاميذ عشرين[1] فتحت المدرسة المارونية في روما ابوابها لأول مرة ، وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط سنة ١٥٨٤ ، وكان الكردينال كارفا قد وضع لها نظاماً خاصاً بها بصفته الحامي الاول للطائفة ، في اللغة اللاتينية ونقله أحد تلامذتها الى اللغة العربية ، فأيد البابا هـذا النظام بسلطانه الرسولي ببراءة خصوصية مؤرخة في الخامس من تموز سنة ١٥٨٤ . وأول رئيس اقيم على هذه المدرسة هو الاب يوحنا برونو رفيق القاصد الرسولي الاب يوحنا باطشتا اليانو في قصادته في لبنان سنة ١٥٨٠ ، وظلّ يشغل هذه الوظيفة في رئاسة المدرسة المارونية الى عـام ١٥٩٠ ، واستمرّ آبـاء رهبانيته اليسوعية يتدبّرون شؤون المدرسة الى ان حلّت رهبانيتهم كما سبق القول .

وقد ازدهرت هذه المدرسة ازدهاراً عظيماً ، فكان التلاميـــذ الموارنة ينهلون من ينبوعها الصافي ما ساغ من علوم راقية واخلاق سامية ، ونبغ كثير منهم وحازوا درجات الملفنـــة في الفلسفة واللاهوت والعلوم الأخرى ، فخدموا الطائفة وبلادهم والعلم وأدّوا للعالم الخدمات الجلى ، فانارو المغرب بعلوم المشرق وتاريخه العريق كما انارو المشرق بعلوم المغرب وتاريخه المشع ، فصار والحالة هذه اسم « ماروني » في اوروبا مرادفاً لاسم « عالم » فقيل في امثلتهم : هذا عالم مثل الموارنة ... وسنفرد كتاباً خاصاً بهذه المدرسة .

حاشية ٤٦ : الحساب الحديد

جاء في الدر المنظوم (صفحة ١٨٠) بهذا الخصوص ما يلي : لقد

1) Voir P. P. Raphaël, Rôle du Collège Mar. Romain... Beyrouth 1950, p. 54.

نادى بهـذا الحساب في حلب المطران يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهــد الحوشي الحصروني الماروني . فخاصمه رؤساء طوائف حلب المسيحية . ودفعوا لواليها اربعة آلاف قرش ليميته حريقاً بالنار . فحضر الى المحكمة ودافع عن هـذا الحساب فأفحم خصومه وخرج من المحكمة فائزاً بالغلبة . ولابن عمه المطران ميخايل سماده شرح على هذا الحساب طبعه في رومية سنة ١٦٣٧ وهو كاهن .

أما الملكيون الكاثوليك فانما أخذوا في اتباع الحساب الغريغوري سنة ١٨٥٨ ، ولذا كثر بينهم من الخصام والانقسام ما اوجب غبطة السيد اكليمندوس باخوص بطريركهم أن يتنزّل عن مقامه ، ثم رجع اليـه بأمر الكرسي الرسولي المقدس الذي لم يقبل هذا التنزل .

حاشية ٤٧ : سيامة مطارنة من بيت الخازن

جاء في تاريخ الطائفة الذي نشره المعلم رشيد الشرتوني للبطريرك الدويهي ، سنة ١٨٠٩ (ص ٢٣٢) ما مؤداه :

« فقدّم القس سركيس ابن الجري الاهدني على يد الشيخ ابي نوفل الخازن الى رئاسة كهنوت الشام » . فعقّب المعلم رشيد على ذلك قائلاً : « كانت العائلة الخازنية تنتخب ثلاثة مطارين ، فأبرشيــة بعلبك يكون انتخابها من مشايخ بيت قانصو ، وابرشية دمشق من مشايخ بيت ابي ناصيف ، وابرشية حلب من مشايخ بيت ابي نوفل. لأن الاساقفة لم يكونوا قبلاً يقطنون في المدن كما يتبين ذلك من مطالعة التواريخ . الا ان هذا الحق كان لهم قبــل انعقاد المجمع اللبناني المعروف » .

حاشية ٤٨ : عن المؤرخ ابن العميد ايضاً

يفيدنا مواطننا المؤرخ الشيخ نسيب وهيبه الخازن انـه اهتدى إلى ترجمة تاريخ المكين بن العميد (الذي اعتمده علامتنا الدويهي في سرد اخباره عن المسلمين) في المكتبة الملكية المصرية بسراي القبة تحت هذا العنوان الفرنسي :

L'Histoire mahométan ou les 49 Chalifes du Nacine.

وان المترجم فاتيه (Vattier) وضع ترجمته هـذه سنة ١٩٥٧ نقلاً عن النسخة اللاتينية المطبوعة في ليدن سنة ١٦٢٥ بيـد العالم (Erpénius) . وزاد على ذلك قائلاً في كتاب الاصول التاريخية[١] ما نصه :

« وقـد كتب ابن العميد في نهاية تاريخه نبذة عن تاريخ اسرته ملخصها انـه في عهد الآمر بالله قدم من تكريت تاجر مسيحي من الشام يدعى ابو الطيب بن يوسف قرّبه الامير واقطعه بلدة . وبعد وفاة الآمر بالله ووفاته كان له ولد يسمى قاورين تعـلم وتوظف في ديوان المال ورزق ولداً دعاه باسم جده أبو الطيب ، وملك الاراضي الواسعة والمواشي وذاع ذكره ثم باع كل شيء ، وحمل معه ماله وعزم على ترك الوظيفة وعلى عدم تعليم ابنائه وكانوا خمسة ترهب منهم اربعة ، وارتقوا الى الاسقفية والاصغر المدعو ابو المكارم تزوّج اخت المكين سمعان بن خليل بن مقار من بلدة ميخايل باصو ، وهو كاتب

١) مج ٣، ص ٢٧٤ . وجاء في الموضع نفسه ص٨٥ ان ابن العميد ولد سنة ١٢٠٥ وتوفي سنة ١٢٧٣ ، وان الدويهي نقل عنه ونحا نحوه بحيث كان عادلاً في سرد الحوادث الى ابعـد حـد فسجّل على الصليبيين محاسنهم ومساوئهم ، وعلى المسلمين محامدهم واغلاطهم معطياً كل ذي حق حقه .

حاذق تولّى ديوان الجند في عهد صلاح الدين سنة ٥٦٩ هج (أي ١١٧٦) وكان السلطان يعزّه واقطعه أرضاً، ثم ترك الخدمة في عهد الملك العادل وترهّب في صحراء اسقيط، وحبس نفسه في صومعة بناها في وسط الدير، ومكث فيها أكثر من ثلاثين سنة.

« ابو المكارم المذكور رزق ثلاثة ابناء بخيت ابو الفضل، والعميد ابو العازار، والمخلص أبو الزهار. ثم ماتت زوجته وترهب بعدها ومات سنة ٦٠٦ هج (اي ١٢١٠ م). والعميد ابو العازار خدم في ديوان الجيش محل خاله المكين سمعان، وكانت سيرته في الدنيا كسيرة الحبساء، ولما مرض رئيس الشرطة عيّنه الملك العادل بدله الى ان تعافى، وبقي في ديوان الجيش ٤٥ سنة، ومات في صفر سنة ٦٣٦ هج (اي ١١٣٩ م). هذا ما يفسّر ذكر عماد الدين لمسيحيي الشام وأقباط مصر، ويثبت لنا من ناحية أخرى تبوّء المسيحيين المراكز الخطيرة في دول الاسلام ... ».

حاشية ٤٩ : بناء جسر نهر الكلب

إن قصة نهر الكلب جاءت مشوهةً بعض الشيء في هذا المخطوط الفاتيكاني الذي نحن بصدده، فرجعنا الى النسخة الكاملة الأخرى المحفوظة في ديرنا مار انطونيوس بروما، تحت رقم ٧٥ في خزانة المخطوطات فوجدناها مضبوطة فنقلناها كما يلي (ورقة ٥٨ قفا):

« في سنة ١٢٩٢ مسيحية في اول ربيع عد ١ كان الفراغ من عمارة جسر نهر الكلب الذي بناه سيف الدين ابن الحاجي ارفطاي المنصوري الناصري كافل السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية في أيام الملك المنصور بكر ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون.

وكان نشوءه بعدما خرب الجسر الذي أقاموه الملوك الرومانيين ، وبالخاصة السلطان انطونيوس الحليم الذي تولّى سلطنة رومية بعد السيد المسيح بمائة واربعين سنة . وهو قطع الصخوره وبنى البرج ونهج الطريق التي على شاطيء البحر السالكة الى بيروت ، كما هو منقور على الصخر قبل الجسر القديم بمالي ناحية القبلة على هذه الصفة « الأب عمازادور » (اي الامبراطور) قيسر (قيصر) مرقوس اورليوس انطونيوس الحليم السعيد اوغوسطوس ، كبير البرت كبير البريتانيين ، كبير الجرمانيين ، البحر الاعظم ، قطع الجبال المشتملة على نهر ليقا .

« هذا النهر تلقّب بالكلب لكون بعد ما اصلح الطريق انطونيوس الملك ونهج الطريق مستسهلاً ، ولقّبه الانطونياني ، نصبوا به الكفّار قائمة من حجر كبير على هيئة الكلب وقيّدوه بسلسلة من حديد في الصخر وجعلوا له بها نقير لأجل الطعام . وقيل انه دخله الشيطان وصار رصد ان متى ما قصدوا القبارسة ام اهل الغرب يغزوا سواحل الشام في مراكبهم ، كان الرصد ينبح ليستعدوا لقتالهم ، وما زال ذلك مستمراً حتى قصدوه البحرية وألقو تلك القايمة في البحر . ثم في سنة ١٦٧٠م قدم بعض تجار فرنج قطعوا رأس الكلب وحملوه لسبب الفرجة ، الى البندقية » .

يستنتج المطالع من هذه القصة الواضحة البليغة ، دون اعمال فكر ، ان هذا المخطوط المحفوظ في مكتبتنا الديرية انما هو أكمل واوفى من كل ما سبقه من سائر المخطوطات التي قام بنشرها الاب توتل اليسوعي ، وجميعها تبتدي بتاريخ ١٠٩٥ اي بدخول الصليبيين الى الشرق لاستخلاص الاراضي المقدسة ، وقد سماه الدويهي بالمختصر كما ورد في المقدمة ، لأنه ترك تدوين حوادث واخبار السنين التي

عبرت منذ الفتح الاسلامي سنة ٦٢٢ الى سنة ١٠٩٥ السالفة الذكر . وقد اسهبنا في الكلام على ذلك في المقدمة فنحيل القاريء الكريم إلى هناك ، رغبةً في الاختصار .

حاشية ٥٠ : عن عبد المنعم المقدم وزجلية القلاعي

اسهبنا في الكلام على اقوال ابن القلاعي وقصة المقدم عبد المنعم في حواشي الجزئين السابقين من تواريخ علاّمتنا البطريرك اسطفان الدويهي فلا حاجة الى الاعادة . انما يجدر بنا هنا ان نذكر المجلة البطريركية المارونية التي كان يديرها المرحوم الخوري بولس قراعلي حيث نشر زجلية ابن القلاعي وحروب المقدمين ، سنة ١٩٣٠ ، صفحة ٥٢٩ وما بعدها ، فلتراجع هناك وكفى .

فهرس الكتاب

٤٠

في الشام وفي نهر الكلب . وصول المراكب الجنوية الى يافا . الجيوش المصرية تقاتل الفرنج في الرملة . الفرنج في حماة واللاذقية وعكا . أسر الملك بلدوين في الرها . رجوع صاحب انطاكية الامير بوهمند الى فرنسا للزواج من ابنة الملك . توما الكفرطابي . وفاة الملك رايمند ويوردان . الفرنج في طرابلس وجبيل والمنيطرة وحصون عكار وفي صيدا ويحاربون الجيوش الوافدة عليهم من الشام وبغداد ويحتلون الثغور ويعقدون الهدنة ، ويرسلون قصادهم الى رومـــا . زواج الملك بلدوين . وفاة فخر الملوك السلجوقي . زلازل في حلب والشام وغيرها . انهزام آق سنقر في الموصل وعسقلان . الفرنج في الاردن . هجر الملك بلدوين لزوجته ثم وفاته وذكر اعماله الحربية . هجوم فاشل من جميع الاطراف . وفاة الملك الكسوس الرومي البابا بسكال والبطرك اللاتيني .

فرسان القدس (ص ١١٣) . هجوم المسلمين على حلب وإنطاكية . رهبان قبرس والبطرك الماروني . وفاة غازي التركي في انطاكية . الحرب في طبريه . هجوم المصريين الفاشل . نجدة اهل البندقية واستيلاء الفرنج على صور وقلعتها وفــك اسر بلدوين . معارك طبريه وقتل آق سنقر . وفاة ملك دمشق العربي وبطرك القدس وزواج ابنة بلدوين وهجوم فاشل على دمشق . وفاة خليفة مصر الآمر المنصور . حروب في قيليقيه . وفاة بلدوين الملك ملك القدس فولقان . شمس المــلوك في بانياس . زواج رايمندوس في انطاكية . بناء الحصون في عسقلان . سقوط

صفحة

طرابلس في يـد المسلمين . هجوم الروم على انطاكية والاسماعيليين عـــلى صاحب دمشق . البطرك الماروني غريغوريوس الحالاتي . قدوم بطرك الارمن الى القدس . الحرب في حلب وشيزر ومراغه .

حرب المماليك على الشام (ص ١٣٤) وفاة فولقان وهرب جوسلين . البطرك الماروني يعقوب الراماتي . زنكي يتسلّم سروج والرها وبعض الحصون ثم يموت ويخلفه ابنه نور الدين ليقاتل جوسلين في الرها . هزيمة الصليبيين في الاناضول ، وامام أسوار دمشق . القتال حول انطاكية . وفاة الملك الحافظ لدين الله المصري ومبايعة ابنه الظافر . فتنة بين الفرنج ومقتل صاحب طرابلس . فتح عسقلان من قبل الفرنج مقتل الخليفة الظافر وتعيين ابنه الفائز خليفة مكانه . نور الدين في دمشق وبعلبك . جيوش الروم والأرمن في الحرب ، وريتلدوس في قبرس وبلدوين في بانياس . حرب نور الدين ضدهم . الفرنج في شيزر وزواج بلدوين الثالث من تاودوره ابنة ملك الروم . انتصار ملك الروم ودخوله الى انطاكيـة بعز . هجوم نور الدين على قلعة حارم . وفاة بلدوين وخلفه الميريكوس . غدر شاور البدوي ونور الدين . الميريكوس في مصر ثم يعود ليتزوج من ابنة ملك الروم . الفرنج في دمياط . مصالحة ملكي الروم والقدس. اقامة الخطبة العباسية في مصر.

١٦٨ ــ ٢٠٢ **الفصل السابع : في الدولة الايوبية :** الملك صلاح الدين الايوبي ونور الدين . امير الارمن يخون الفرنج والميريكوس

صفحة

يغزو قيليقية . طائفة النصيرية . صلاح الدين في الكرك وفي اليمن ونورالدين يطالب بالحساب . وفاة الملك العادل وصفاته وفتوحاته . وفاة ملك القدس وقيام بلدوين ابنه بعده. صلاح الدين في الشام وحماه وحلب ويحارب الاسماعيليين. الفرنج في بانياس وجبيل . صلاح الدين يغزو السواحل . امير فلندره في القدس ومطران صور في روما وبلدوين في الاردن يبني الابراج . صلاح الدين في طبريه وطرابلس وعقد هدنة . وفاة الملك الصالح وملك الروم عمانوئيل . نقض الهدنة . غزوات صلاح الدين وبلدوين في جهات بيروت والموصل . وفاة الملك بلدوين الرابع . فتوحات صلاح الدين وخلافه مع الفرنج . نواب صلاح الدين . وقعة حطين . صلاح الدين يفتح بيت المقدس محاصراً صور والجبال . الفرنج في عكا وعسقلان ويافا ولكنهم في الآخر ينكسرون . وفاة ابو سعد الموصلي وتقي الدين في حماه وابو محمد عبدالله وفتيان الشاغوري وصاحب صور . وفاة صلاح الدين ومقدم الاسماعيلية .

الملك عثمان يفتح دمشق والعادل يافا ، والفرنج بيروت ثم تبنين ثم هدنة . وفاة الامير العزيز وقتال بين الامراء بعد وفاة زنكي مودود . الملك العادل يفتح مصر ويملّك أولاده على البلاد . الملك الظاهر مع اخيه الافضل يغزوان منبج والمعرة وكفرطاب ودمشق . زلازل وغلاء ووباء . هزيمة الافرنج .

٢٠٣ – ٢٣٦ **الفصل الثامن : في حوادث الجيل** : الحرب في القدس بين الملك العادل والفرنج ، وبين الروم والعرب . غارات

صفحة

على عكا وبرج الاكراد وطرابلس وقلعة دمشق . الهدنة بين مختلف الاطراف . وفاة البطرك ارميا العمشيتي بعد حضور المجمع اللاتراني . معركة عين جالوت وجزين وعكا . الفرنج في دمياط . وفاة الملك الظاهر والعادل وتقسيم المملكة . ظهور التتر ومهاجمتهم الفرنج . هرب أهالي القدس . الملك الكامل في الشام . وفاة المظفر . ملك صقلية في عكا . الملك المعظم يفتح قيسارية وعتليت . وفاة الملك المنصور . زحف الفرنج إلى مصر وتسليمهم بالهدنة واطلاق الأسرى . وفاة الملوك : الناصر والعادل والظاهر . انتصار الاشرف . الملك المظفر يهزم الفرنج في حماه .

دخول التتر لديار بكر والجزيرة . مقتل جلال الدين الخوارزمي . الملك الكامل يغلب الاتابكي على آمد . فشل الكامل على ملك الروم ثم فوزه عليه . وفاة سيف الدين الآمدي . وفاة صاحب حلب . وفاة الاشرف والكامل والجوّاد يونس . تحريك التتر على بغداد . فتنة بين الامراء العرب . وفاة شيركوه صاحب ماردين ايضاً . حروب بين الخوارزم والحلبيين وخراب الدير في الرها . المؤامرة على صاحب مصر . وفـاة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله . مقتل التنوخي . اتفاق الملك الصالح اسمعيل مع الفرنج . انتصار الخوارزمية في دمشق . عقد مجمع ليون . الملك لويس التاسع . البطريرك سمعان الماروني . انكسار الخوارزمية بعد مقتل مقدمهم واستيلاء الملك الصالح ايوب على بعلبك والكرك . وفاة عبد المحسن حمود . فتح عسقلان وطبريه من الملك المذكور . ملك فرنسا في دمياط

صفحة

ومقدم بشراي . وفاة الملك برقوق وجلوس اخيه فرج . بعض العصيان وتملك سودون على الشام . فتوحات تمرلنك وهديته وكتابه للسلطان . معارك ضارية وظهور الجراد وتفشي الوباء . تعمير دمشق وحلب . مصالحة تيمرلنك مع السلطان المصري وتوقيع الصلح . وفاة ملك مصر وتوزيع الملك بين اولاده الاربعة . وفاة الخليفة وجلوس المستعين ابو الفضل العباس . انهزام يلبغا وطرد الامير نعير البدوي من دمشق . السلطان محمد بن بلدر . نيروز في الشام . مقتل السلطان فرج ومؤامرة الخاصكي . خلافة المستعين بالله . مقتل نيروز وخلفه السلطان داود على مصر والشام . حرب المؤيد للفرنج . وفاة الاسقف داود الماروني . وفاة الملك المؤيد . الملك الظاهر ططر . وفاة السلطان بلدر وخلع ططر . وجلوس الملك الاشرف . تاريخ الزملكاني . المراكب الفرنجية في ثغور مصر . مهاجمة قبرص ونزع ملكها في الأسر .

البابا اوجانيوس الرابع والمجمع المسكوني (ص ٣٤٨) ورسالة البطريرك الماروني الى المجمع والحبر الاعظم . حبس الموفد البابوي والافراج عنه بسعي هذا البطريرك . وفاة الملك برسباي . الملك جقمق . البطريرك يوحنا الجاجي ويعقوب الحدثي والدرع المقدس محاصرة القسطنطينية . دير قنوبين . وفاة الملك جقمق وخلفه ولده المنصور . المقدم عبد المنعم وجحده الايمان . البابا كلليستوس يجمع العساكر لاسترجاع الارض المقدسة . البطرك بطرس بن حسان الماروني . تعداد الفلاحين واصحاب الحرف . سيامة

وانخساف القمر والشمس وفيضان في العاصي والليطـاني والكلب والاولي وفي طرابلس . مقدم البقاع حنش يهاجم عبد الساتر . مقتل الداوادار في البقاع . اعتقال فخر الدين عثمان . القلاعي ايضاً . ثلج كثير على السواحل اهلك الحيوانات وخرّب الطرقات . ضنك في الشام وضيق في الجزيرة وهرب النصارى الى الشام . الخوري حنا الناسخ والمعلم واولاده . وفاة الامير يونس معن . سيامة الاسقف سمعان على قبرص . الحبيس جرجس الهدناني . الطاعون البقري . المطران قرياقوس الاهدني . طلب الدرع المقدس للبطرك شمعون وعودة القاصد الرسولي . الوفد البطريركي في رومـــا يشرح للبابا عقيدة الموارنة وتمسكهم بالدين والبابوية بشهادة المرسل سريانو المعروف .

رسالة البطرك شمعون إلى البابا لاون مع المرسل سريانو . سجل البابا للارمن واليعاقبة . الميرون المقدس . الوقعـة بين الغوري وابن عثمان في مرج دابق . الملك سليم يدخل دمشق . تقسيم البلاد في كسروان . الأمراء اللبنانيون عند السلطان سليم في الشام . وفاة القلاعي ومؤلفاته . ولاية دمشق الجديدة . ثلج غريب أفسد الزروع . وفاة السلطان سليم والمقدم عساف البشراني . المطران حبلص . دير مار سمعان بالفراديس . أهالي قرية بان . هدايا البابا ادريانوس للبطرك سمعان الماروني . وفـاة الامير قيتباي واستيلاء الامير منصور على البلاد . خلاف بين الشمعيية والسيفلية . سيامة المطران أنطونيوس على الشام . العساكر العثمانية في رودوس . المطران جرجس صدّقني . انتخاب

والقس موسى ، وميخايل . مقتل مقدمي جاج . فخرالدين يتسلّم صيدا . الحرافشة في جبة بشراي . والسكانية في بعلبك . ابن سيفا يحرق الحدث ويحاصر القلمة . سيامة الاسقفين مخلوف والحوشبي . هزّة ارضية . صلح بين جنبلاط وابن سيفا . وقعة جونيه بين فخرالدين ويوسف باشا الطرابلسي . تغيير حساب الصوم والأعياد . وفاة المطران حليب . نكث الصلح بين جنبلاط وسيفا والاتفاق مع فخر الدين . حروب شديدة مع الوزير مراد باشا . قلعة زغرتا . كنيسة السيدة العذراء . تجديد القبو . القس يوحنا الشدراوي . وفاة البطريرك يوسف الرزي . تغيير العادات المارونية القديمة وامر البابا بالرجوع الى الاصل . حرم الشدياق خاطر وتحويل الحرم على الصخرة . مشاكل الوزير نصّوح باشا والامير فخر الدين لحافظ احمد باشا ، وسفره الى بلاد ايطاليا . مقتل نصّوح وانتصار فخرالدين . وفاة الشيخ قرقماز الخازن وسفر ابو رحّال الى ايطاليا عند فخر الدين .

البابا بولس الخامس يستفقد الموارنة ويوفد اليهم اليسوعيين . فيضان في طرابلس . وفاة الشدياق خاطر ومقتل اولاده . اسقف قبرص . خلاف على ايام الصوم وحدوث مجادلة امام المحكمة بهذا الخصوص . حافظ باشا في حلب . وجركس باشا في الشام . ام فخر الدين تعود لقصرها . الامير شلهوب في البقاع . اجتماع الامير معن في ديرالقمر وارسال امراء لدى الوزير التركي في حلب . الحصون والامر بهدمها . يوسف آغا . ابن الحرفوش وسنجقية

حمص وجمع الاموال . موقعة الناعمة . انتصار ممن على سيفا . ارتحال المير حسين باشا . بيت الخازن في كسروان . برد وعواصف . مقتل حسن سيفا في وليمة . خلع الوزير إلى ديار بكر . طلب الاموال . وفاة السلطان احمد . احمد الجوكهدار . عزل ابن ممن عن صفد لتقديمها لحسين الياصجي . وفاة القس يعقوب الدويهي . انتصار فخرالدين على الياصجي . وفاة البرديوط ميخايل الاهدني . عصيان ابن سيفا على الوزير التركي . باشية طرابلس والمساومة عليها . عزل مصطفى باشا . المال السلطاني . نفوذ الامير فخرالدين والمراسيم السلطانية . مقتل السلطان واعادة مصطفى باشا للحكم . تعيين فخرالدين مساعداً للحاكم الجديد . رجال كسروان وجبيل يقاتلون في الجبة .

الوزير يستعين بفخر الدين على ابن سيفا . صافيتا . مقتل الامير عاشينا وابنه لسوء فعلته . فخر الدين في نابلس وعجلون . قب الياس . ابن طربيه . حسين الطويل . نصّوح ممن . منافسة بين المعنيين والحرافشة . مؤامرة على الوزير لخلعه وخلع السلطان مصطفى وجلوس مراد احمد مكانه . ابن ممن في سنجق صفد وهرب الحرافشة . دخول فخر الدين إلى الكرك وبعلبك . وفاة الاسقف يونان السمراني . غلاء ووباء . موقعة عنجر وانتصار فخرالدين . بعلبك . كنيسة بقربها عريقة القدم . مصالحة بين ممن وابن طربيه بعد معركة . وفاة يوسف سيفا باشا طرابلس . حافظ باشا من قبل الصدر الاعظم . مدرسة حوقا . البطرك يوحنا مخلوف وتهنئته للبابا . الاسقف يوحنا

قبرص والحكم الظالم فيها مع الطاعون . سيدة زغرتا . سيامة مطارين . محمد باشا الكبرى . بشير باشا واختام الوزارة . مقتل اتباع علم الدين وابن الصهيوني . ابن معن في صفد والشيخ عباده في جبة بشراي . البجاني يعمّر كنيسة بيت شباب . الطاعون في قنوبين وفي كسروان . البرديوط آصاف يبني مار عبدا هورهريا . عزل مراد باشا . القنصل الفرنسي بيكيت . البطرك السرياني اخيجان ويوحنا الصفراوي . حشرات في بسكنتا . الامير ملحم واولاده وأتباعه في اجتماع هام . الطبّاج في طرابلس . الامير ملحم في صفد لجمع المال حيث يموت عادلاً رحيماً . قبلان باشا في طرابلس واجرآته الجديدة وتوزيع المقاطعات . الاسقف سركيس الجري . احمد الكردي بالشام والارناووط في صيدا وبيروت وجميع الباشاوات يحاربون امراء لبنان ، اما ابناء معن فيتحالفون مع بيت حماده وشهاب ويهاجمون . البطرك شمعون اليمقوبي وفاته وتعيين اخيجان مكانه بفضل البطرك الماروني والقنصل الفرنسي المذكور . حريق في كسروان والطاعون والخوف من الجوع . كنيسة مار جرجس ببيروت تتحوّل الى جامع . تاووس مدفون . عزل باشا صيدا . غدر محمد باشا بالأمراء المعنيين ومقتل الامير قرقماس . هزّة ارضية وغلاء . معارك بين القيسية واليمنية . ميخايل الحصروني ومؤلفاته . وفاة البطرك السبعلي وقيام الدويهي مكانه . علي حرفوش . فارس شهاب وبيت حيمور . الحاج إلى مكة .

المطران لوقا القبرسي . عزل محمد باشا عن طرابلس

صفحة

صفحة